

الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ

لِلْحَافِظِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلَ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ
٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ عَبْدُ بَنِي عَبْدِ الْمُحْسِنِ التُّرْكِيُّ

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ

مَرْكَزُ الْبَحْثِ وَالدراسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ

بِدَارِ هَجَرَ

الْجُزْءُ السَّادِسُ عَشَرَ

هَجَرَ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالْعِلَاقِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٢٥١٧٥٦

المطبعة : ٢، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ٣٢٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَائِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ

فيها^(١) سارَ جماعةٌ للحجِّ بِخَفَّارَةٍ، فلم يُمكنْهم المَسِيرُ، فعدَلُوا إلى الكوفةِ وَرَجَعُوا. وفي ذِي الْحِجَّةِ منها شُرِعَ في بناءِ المدرسةِ النَّظَامِيَّةِ ببغدادَ، ونُقِضَ لأجلِها دُورٌ كثيرةٌ من مَشْرِعَةِ الزَّوَايا، وبابِ البَصْرَةِ. وفيها كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ تَمِيمِ بْنِ^(٢) الْمُعْزِّ بْنِ باديسَ^(٣)، وأَوْلَادِ حَمَّادٍ، والعَرَبِ والمَغَارِبَةِ بِصِنْهَاجَةٍ^(٤) وَزَنَاتَةٍ.

وحجَّ بالناسِ مِنْ بَغْدَادَ النَقِيبُ أَبُو الغَنَائِمِ.

وفيها كانَ مَقْتُلُ عَمِيدِ المُلْكِ الكُنْدَرِيِّ، وهو "مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ [١٨٣/٩] مُحَمَّدٍ، أَبُو نَصْرِ، وَزِيرُ طُغْرُلقُك، وقد كانَ مَسْجُوعًا لَهُ سَنَةً تَامَةً، وَلَمَّا قُتِلَ حُمِلَ فَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ بِقَرْيَةِ كُنْدَرٍ^(٥)، مِنْ عَمَلِ طُرَيْثِثَ، وَلَيْسَتْ بِكُنْدَرٍ

(١) المنتظم ٩١/١٦، والكامل ٤٤/١٠.

(٢ - ٢) في ب، خ، م: «العزير وباديس».

(٣) صنهاجة: قوم من المغرب.

(٤) زناتة: ناحية بسرقسطة من جزيرة الأندلس. معجم البلدان ٩٤٧/٢.

(٥ - ٥) سقط من النسخ، وانظر ترجمته في: المنتظم ٩٢/١٧، ووفيات الأعيان ١٣٨/٥، وسير أعلام النبلاء

١١٣/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٢٢، وشذرات الذهب ٣٠١/٣.

(٦) معجم البلدان ٣١٠/٤.

التي بالقرب من قَرْوِينَ . واستحوذَ السلطانُ على أمواله وحواصِلِهِ ، وقد كان
ذكيًا فصيحًا شاعرًا ، لَدَيْهِ فضائلُ جَمَّةٌ ، حاضرُ الجوابِ سريعه . ولَمَّا أَرْسَلَهُ
طُغْرُلْبُكُ إلى الخليفةِ يَخْطُبُ إليه ابنته ، وامتنعَ الخليفةُ مِنْ ذلك أشدَّ الامتناعِ ،
وأنشدَ مَثَلًا بقولِ المتنبي ^(١) :

* ما كُلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ *

فَتَمَّمَهُ الوزيرُ :

* تَجْرَى الرياحُ بما لا تَشْتَهِي الشفْنُ *

فسَكَتَ الخليفةُ وأطرقَ .

وكانَ عَمْرُ الكُنْدُرِيِّ حينَ قُتِلَ نَيْفًا وأربعينَ سنةً . وَمِنْ شعرِهِ الجيِّدِ قولُهُ :

إِنْ كَانََ بِالنَّاسِ ضِيقٌ عَنْ مَنَافَسَتِي فَاَلْمَوْتُ قَدْ وَسَّعَ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ
مَضِيَّتُ وَالشَّامِثُ الْمُغْبُونُ يَتَّبِعُنِي كُلُّ لُكْأَسِ الْمَنَايَا شَارِبٌ حَاسِي
وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ طُغْرُلْبُكُ بَعَثَهُ مَرَّةً لِيَخْطُبَ لَهُ امْرَأَةً خُوَارِزْمَ شَاهٍ فَتَرَوَّجَهَا هُوَ ،
فَخَصَّاهُ وَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِهِ ، فَدُفِنَ ذَكَرُهُ بِخُوَارِزْمَ ، وَسُفِّحَ دَمُهُ حِينَ قُتِلَ بِمَرُورِ
الرُّوْذِ ، وَدُفِنَ جَسَدُهُ بِكُنْدَرٍ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ فَدُفِنَ بِنَيْسَابُورَ ، وَنُقِلَ قَحْفُ رَأْسِهِ إِلَى
كَرْمَانَ .

(١) انظر : ديوان المتنبي ص ٤٦٩ .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

فى يوم عاشوراء^(١) أغلق أهل الكرخ دكاكينهم ، وأحضروا نساءً فتحن على الحسين ، كما جرث به سالف عادات يدعهم المتقدمة ، فحين وقع ذلك أنكرته العائمة ، وطلب الخليفة أبا الغنائم نقيب الطالبيين ، وأنكر ذلك عليه ، فاعتذر بأنه لم يعلم بذلك ، وأنه حين علم به أزاله ، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك ، ويتصلون منه ، وخرج التوقيع بكفر من يسب الصحابة ويظهر البدع .

قال ابن الجوزي^(٢) : وفى ربيع الأول ولد ياب الأزج صبيّة لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيدي ، على بدن كامل ثم ماتت . قال^(٣) : وفى جمادى الآخرة كانت زلزلة بخراسان لبثت أياماً ، تصدّعت منها الجبال ، وأهلك جماعة ، وحسفت بعدة قرى ، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هنالك ، ووقع حريق بنهر معلّى^(٤) من بغداد فأحرق مائة دكان وثلاثة دور ، وذهب للناس شيء كثير ، ونهب الناس بعضهم بعضاً .

قال ابن الجوزي^(٥) : وفى شعبان وقع قتال بدمشق ، فضربوا داراً كانت مجاورة من الجامع بالنار ، فاحترق جامع دمشق . [١٨٤/٩] كذا قال ابن الجوزي ؛ والمشهور أن حريق جامع دمشق إنما كان فى سنة إحدى وستين

(١) المنتظم ٩٤/١٦ ، والكمال ٥٢/١٠ .

(٢) المنتظم ٩٥/١٦ .

(٣) نهر معلّى : أشهر وأعظم محلة فى بغداد ، وكان بها دار الخلافة .

(٤) المنتظم ٩٥/١٦ .

وأربعمائة بعد ثلاث سنين . وأنَّ غِلْمَانَ الْفَاطِمِيِّينَ اقْتَتَلُوا مع غلمانِ الْعَبَّاسِيِّينَ فَأُلْقِيَتْ نَارٌ بِدَارِ الْإِمَارَةِ - وهى الْخُضْرَاءُ - فَاحْتَرَقَتْ وَتَعَدَّى حَرِّقُهَا إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْجَامِعِ فَسَقَطَتْ سَقُوفُهُ ، وَخُرِفَتْهُ ، وَرُخَاهُ ، وَبَقِيَ كَأَنَّهُ خِرَابَةٌ ، وَبَادَتْ الْخُضْرَاءُ فَصَارَتْ كَوْمًا مِنْ تَرَابٍ ، بَعْدَمَا كَانَتْ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِثْقَانِ ، وَطِيبِ الْغِنَاءِ ، وَحُسْنِ الْبِنَاءِ ، فَهِيَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا لَا يَسْكُنُهَا - لِرَدَاءَةِ مَكَانِهَا - إِلَّا سِفْلَةُ النَّاسِ وَشَقَّاطُهُمْ ؛ بَعْدَمَا كَانَتْ دَارَ الْمُلْكِ وَالْإِمَارَةِ ، مِنْذُ أَسَّسَهَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . وَأَمَّا الْجَامِعُ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِنَاءً أَحْسَنَ مِنْهُ ، إِلَى أَنْ احْتَرَقَ فَبَقِيَ خِرَابًا مَدَّةَ ثُمَّ شَرَعَ الْمُلُوكُ فِي تَجْدِيدِهِ وَتَرْمِيمِهِ ، حَتَّى بُلِّطَ فِي زَمَانِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي تَحْسِينِ مَعَالِمِهِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا ، فَتَمَثَّلَ حَالُهُ بَعْضَ التَّمَثُّلِ ، وَهُوَ بِالنَّسَبَةِ إِلَى حَالِهِ الْأَوَّلِ كَلَا شَيْءَ ، وَلَا زَالَ التَّحْسِينُ فِيهِ إِلَى أَيَّامِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكِيْزٍ ^(١) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ ، فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ ^(٢) وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا بِبَسِيرٍ .

وَفِيهَا رُخِصَتِ الْأَشْعَارُ بِبَغْدَادَ رُخْصًا بَيِّنًا ، وَنَقَصَتْ دِجْلَةُ نَقْصًا ظَاهِرًا . وَفِيهَا أَخَذَ الْمَلِكُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ الْعَهْدَ بِالْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ لَوْلَدِهِ مَلِكُشَاهَ ، وَمَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْغَاشِيَةِ ^(٣) ، وَالْأُمَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَمَاشُونَ بِالْخَلْعِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا . وَحَجَّ النَّاسُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ نَوْرَ الْهُدَى أَبُو طَالِبِ الْحُسَيْنِ بْنِ نِظَامِ الْخَضِرَتَيْنِ ^(٤) ،

(١) فى م : « بتكنزين » ، وانظر الوافى بالوفيات ١٠ / ٤٢٠ ، والنجوم الزاهرة ٩ / ٣٢٧ .

(٢) فى ب ، خ ، م : « ثلاث » .

(٣) الغاشية : وهى غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه - أى بين يدى الخليفة - عند الركوب فى المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركاب داريئة ، رافعا لها على يديه يلفتها يمينا وشمالا ، وهى من خواص هذه المملكة . صبح الأعشى ٧ / ٤ .

(٤) بعده فى الأصل ، ص : « أبى الحسين محمد بن » .

الرَّيْنَبِيُّ ، وجاورَ بمَكَّةَ .

وَمَنْ توفى فيها مِنَ الأعيان :

الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي^(١) ، أخذ الحفاظ الكبار ، له التصانيف التي سارت بها الرُّكبان في سائر الأمصار والأقطار ، وُلِدَ سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وكان واحدَ زمانه في الإثقان والحفظ والفقه والتصنيف ، كان فقيهاً ، مُحَدِّثاً ، أَصُولِيّاً ، أَخَذَ العلمَ عن الحاكم أبي عبد الله النَّيْسَابُورِيِّ ، وسمع على غيره شيئاً كثيراً ، وجمع أشياء كثيرة نافعة جداً ، لم يُسَبِّقْ إلى مثلها ، ولا يُدْرِكُ فيها ؛ من ذلك كتابُ « السُّنَنِ الكبير » ، و« نصوص الشافعي » كلٌّ في عشرة مجلدات^(٢) ، و« السُّنَنِ^(٣) والآثار » ، و« المدخل » ، و« الآداب » ، و« شُعَبُ الإيمان » ، و« الخلافات » ، و« دلائل النبوة » ، و« البعث والنشور » ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة ، التي لا تُسامى ولا تُداني ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، كثيرَ العبادة [١٨٤/٩ ط] والورع ، رحمه الله تعالى . وكانت وفاته بَنِيْسَابُورَ ، ونُقِلَ تابوته إلى يَتَهَقَ في جُمادى الأولى من هذه السنة .

الحسن بن غالب بن علي بن غالب بن منصور بن صُغْلُوك ، أبو علي التَّمِيمِي^(٤) ، ويُعرف بابن المبارك المقرئ ، صَحِبَ ابنَ سَمْعُون ، وأقرأ القرآن على

(١) وفيات الأعيان ١/ ٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٣٨ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١١٣٢ ، طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٤ .

(٢) في السير : أن كتاب « نصوص الشافعي » يقع في مجلدين ، والذي أورده ابن كثير موافق لما في المنتظم ٩٧/ ١٦ .

(٣) بعده في م : « الصغير » ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٦ .

(٤) الجرح والتعديل ٣/ ٣٢ ، وتاريخ بغداد ٧/ ٤٠٠ ، والمنتظم ٩٧/ ١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٤٤ ، وغاية النهاية ١/ ٢٦ .

حُرُوفٍ أُتِّكِرَتْ عَلَيْهِ، وَجُرِّبَ عَلَيْهِ الْكَذِبُ، إِمَّا عَمْدًا وَإِمَّا خَطَأً، وَاتَّهِمَ فِي رِوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ ^(١) «أَبُو الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيُّ مِمَّنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ، وَكُتِبَ عَلَيْهِ مَحْضَرٌ وَالزِّمَ بَعْدَ الْإِقْرَاءِ بِالْحُرُوفِ الْمُنْكَرَةِ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ السَّمَرَقَنْدِيِّ ^(٢): كَانَ كَذَّابًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيِّ. ^(٣) قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: أَخَذَ الْفَقْهَ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ نَاصِرٍ ^(٤) بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيِّ الْمَرْوَزِيِّ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ وَاشْتَهَرَ بِهِ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِهِ ^(٥).

القاضي أَبُو يَغْلَى الْحَنْبَلِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ الْفَرَّاءِ ^(٦). القاضي أَبُو يَغْلَى، شَيْخُ الْحَنْبَلِيَّةِ، وَمُتَّبِعُ مَذْهَبِهِمْ فِي الْفُرُوعِ، وَوُلِدَ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَحَدَّثَ عَنْ ابْنِ حُبَابَةَ. قَالَ ابْنُ الْحَوْزِيِّ ^(٧): وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ الثَّقَاتِ، وَشَهِدَ عِنْدَ ابْنِ مَأْكُولٍ وَابْنِ الدَّامَغَانِيِّ فَقِيلَ لَهُ، وَتَوَلَّى النِّظَرَ فِي الْحُكْمِ بِحَرِيمِ دَارِ الْخِلَافَةِ، وَكَانَ إِمَامًا فِي الْفِقْهِ، لَهُ التَّصَانِيفُ الْحَسَنَةُ الْكَثِيرَةُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ، وَدَرَسَ وَأَفْتَى سِنِينَ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ الْمَذْهَبُ، وَانْتَشَرَتْ تَصَانِيفُهُ وَأَصْحَابُهُ، وَجَمَعَ الْإِمَامَةَ وَالْفَقْهَ وَالصُّدُقَ، وَحَسَّنَ الْخُلُقَ، وَالتَّعَبَّدَ وَالتَّقَشُّفَ وَالْخُشُوعَ، وَحَسَّنَ السَّمْتَ، وَالصَّمْتَ عَمَّا لَا يَغْنَى.

(١ - ١) فِي ب، خ، م: «أَبُو بَكْرٍ».

(٢) الْمُنْتَظَمُ ٩٨/١٦.

(٣ - ٣) هَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَلَمْ أَجِدْ هَذَا الْقَوْلَ لَابْنِ خَلِّكَانَ، وَلَعَلَّهَا مَقْعَمَةٌ هُنَا، حَيْثُ إِنَّ الْحَسَنَ هَذَا اشْتَهَرَ بِأَنَّهُ مَقْرَأٌ، وَلَمْ أَجِدْ فِي مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ أَنَّهُ اشْتَهَرَ بِالْفَقْهِ أَوْ الْحَدِيثِ.

(٤) فِي ب، خ، م: «نَاصِرٌ».

(٥) تَارِيخُ بَغْدَادَ ٢/٢٥٦، وَطَبَقَاتُ الْحَنْبَلِيَّةِ ٢/١٩٣، وَالْمُنْتَظَمُ ٩٨/١٦، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ١٨/٨٩، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٥١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٥٣، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٣/٧.

(٦) الْمُنْتَظَمُ ٩٩/١٦.

وكانت وفاته في العشرين من رمضان من هذه السنة عن ثمانٍ وسبعين^(١) سنة، واجتمع في جنازته القضاة والأعيان من الفقهاء والشهود، وكان يوماً حاراً، فأفطر بعض من اتبع جنازته ذلك اليوم. وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم وأبا الحسين وأبا حازم. ورآه بعضهم في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: رَجَمَنِي وَغَفَرَ لِي وَأَكْرَمَنِي، وَرَفَعَ مَنْزِلَتِي. وجعل يعدُّ ذلك بإصبعه. فقال: بالعلم؟ فقال: بل بالصدق. رحمه الله تعالى.

ابن سيده اللغوي، أبو الحسن علي بن إسماعيل المزبلي^(٢)، كان إماماً حافظاً للغة، وكان ضريز البصر، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه، وكان أبوه ضريزاً أيضاً، ثم اشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي، وله «المحكم» في مجلدات عديدة، وله «شرح الحماسة» في ست مجلدات، وغير ذلك، وقرأ على الشيخ أبي عمر الطلمنكي^(٣) كتاب «الغريب» لأبي عبيد سرّداً من حفظه. والشيخ يقابل نسخته بما يقرأ، فسمع الناس بقراءته من حفظه [١٨٥/٩]، وتعجبوا لذلك.

وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة، وله ستون سنة، وقيل: إنّه توفّي في سنة ثمانٍ وأربعين. والأوّل أصحّ، والله أعلم.

(١) في الأصل: «ستين».

(٢) بغية الملتبس ص ٤١٨، وإنباه الرواة ٢/ ٢٢٥، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٤٤،

وبغية الوعاة ٢/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٤٧.

(٣) سقط من: ص، وفي الأصل: «المالكي»، وفي ب، م: «الطلمنكي».

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

فيها^(١) بنى أبو سعيد المستوفى الملقب بشرف الملك، مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان ببغداد، وعقد عليه قبة، وعمل بإزائه مدرسة، وأنزلها المدرس والفقهاء فدخل أبو جعفر ابن البياضي زائراً لأبي حنيفة فأنشد ارتجالاً^(٢) :

ألم تر أن العلم كان مُضَيَّعاً فجمَّعه هذا المغيَّب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميته فأنشرها جودُ العميد أبي السعد
وفي شعبان هبَّتْ ريحُ حارَّةٍ فمات بسببها خلق كثير، ودواب ببغداد،
وأتلَّفت شجراً من الليثون والأترج.

وفيها احترق قبر معروف الكرخي، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشعير لمرضه، فتعدت النار إلى الأخشاب فا احترق المشهد بكماله.

وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران، وخراسان بكمالها، ووقع الفناء في الدواب؛ كانت تنفخ رؤوسها وأغنيها حتى كان الناس يأخذون حُمُر الوحش بالأيدي، ولكن يأنفون من أكلها.

قال ابن الجوزي في المنتظم^(٣) : وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد أبو سعيد القاضي الناس؛ ليحضرُوا الدرس بالنظامية ببغداد، وعيَّن

(١) المنتظم ١٠٠/١٦، والكامل ٥٤/١٠.

(٢) الأبيات في المنتظم ١٠٠/١٦.

(٣) المنتظم ١٠٢/١٦.

لتدريسها ومشيعتها الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، فلما تكامل اجتماع الناس، وجاء أبو إسحاق ليدرس، لقيه فقيه شاذي، فقال: يا سيدي، تذهب تدرس في مكان مغصوب؟ فامتنع من الحضور ورجع إلى بيته، فأقيم الشيخ أبو نصر بن^(١) الصبّاغ فدرس، فلما بلغ نظام الملك ذلك تعيظ على العميد، وأرسل إلى الشيخ أبي إسحاق، فردّه إلى التدريس بالنظاميّة، في ذي الحجة من هذه السنة، وكان لا يصلّي فيها مكتوبة، بل يخرج إلى بعض المساجد فيؤدى المكتوبة؛ لما ذكر من كونها في بعض أرضها غضب، وقد كانت مدة تدريس ابن الصبّاغ عشرين يوماً، ثم عاد الشيخ أبو إسحاق إليها.

وفي ذي القعدة من هذه السنة قتل الصليحي أمير اليمن وصاحب مكة، قتله بعض أمراء اليمن، وخطب بها للقائم بأمر الله العباسي.

وحج بالناس في هذه السنة أبو الغنائم النقيب.

ومن توفي فيها من الأعيان [١٨٥/٩ ط]:

محمد بن إسماعيل بن محمد، أبو علي الطوسي^(٢)، ويقال له: العراقي؛ لظرفه وطول مقامه بها، سيع الحديث من أبي طاهر المخلف، وتفقه على أبي محمد الباق^(٣)، ثم على الشيخ أبي حامد الإسفرايني، وولى قضاء بلدة طوس^(٤)، وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين، رحمه الله تعالى.

(١) سقط من: م.

(٢) في الأصل، ب، خ، م: «الطرسوسي»، وانظر ترجمته في: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٥١، وفيه: «محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل»، والمنظم ١٠٤/١٦، والكامل ٥٦/١٠. وذكر ابن الأثير أنه: «عمر بن إسماعيل بن محمد أبو علي الطوسي» وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٧٥، وفيه «محمد بن إسماعيل بن أحمد بن عمرو».

(٣) في خ، ص: «النامي»، وفي م: «الباقي». وانظر سير أعلام النبلاء ٦٨/١٧.

(٤) في النسخ: «طرسوس» والمثبت من مصادر الترجمة.

ثم دخلت سنة ستين وأربع مائة من الهجرة النبوية

قال ابن الجوزي^(١): في جمادى الأولى كانت زلزلة شديدة بأرض فلسطين، أهلكت بلد الرملة، ورمت شرافتين من مسجد رسول الله ﷺ، ولحقت وادى الصفراء وخيبر، وانشقت الأرض عن كنوز من المال، وبلغ حبشها^(٢) إلى الرحبة والكوفة، وجاء كتاب بعض التجار في هذه الزلزلة يقول: إنها حسفت الرملة جميعاً حتى لم يسلم منها إلا داران فقط، وهلك منها خمس عشرة ألف نسمة، وانشقت الصخرة التي ببيت المقدس، ثم عادت فالتأمت بقدره الله تعالى، وغار البحر مسيرة يوم وساخ^(٣) في الأرض، وظهر مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها^(٤)، ودخل الناس إلى أرضه يلتقطون، فرجع عليهم فأهلك خلقاً كثيراً منهم^(٥).

وفي يوم السبت النصف من جمادى الآخرة قرئ الاغتقاد القادري، الذي فيه مذهب أهل السنة والجماعة والإنكار على أهل البدع، وقرأ أبو مسلم الليثي^(٦) البخاري المحدث كتاب «التوحيد» لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين. وذكر

(١) المنتظم ١٦/١٠٥، وانظر الكامل ١٠/٥٧.

(٢) أى صوبتها.

(٣) فى ص، ومصدر التخريج: ساح. وما أثبتاه أوفق للمعنى، فقول «ساخ فى الأرض»، أى: غاص فيها. تاج العروس (س و خ).

(٤ - ٤) فى الأصل، ص، ومصدر التخريج: «فى البر وخرّب الدنيا».

(٥) بعده فى الأصل، ص: «هذا لفظه».

(٦) فى ب، م: «الكجى». وفى حاشية خ: «الكشى». وانظر المنتظم ١٦/١٠٦، وسير أعلام النبلاء

٤٠٧/١٨.

بمخَضِرٍ مِنَ الْوَزِيرِ ابْنِ جَهْمٍ وَجَمَاعَةِ الْأَعْيَانِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ، وَاعْتَرَفُوا
بِالْمُؤَافَقَةِ، ثُمَّ قُرِئَ «الْإِعْتِقَادُ الْقَادِرِيُّ» عَلَى الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ ^(١) ابْنِ الْمُهْتَدَى
بِاللَّهِ بِيَابِ الْبَصْرَةِ، وَذَلِكَ لِسَمَاعِهِ لَهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ مَصْنُفِهِ.

وَفِيهَا عَزَلَ الْخَلِيفَةُ وَزِيرَهُ أَبَا نَضْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ جَهْمٍ، الْمُلَقَّبَ فَخَرَ
الدَّوْلَةِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ يِعَاتِيَهُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، فَاعْتَذَرَ مِنْهَا وَأَخَذَ فِي التَّرْفِيقِ وَالتَّذَلُّلِ،
فَأُجِيبَ بِأَنْ يَرْحَلَ إِلَى أَىِّ جِهَةٍ شَاءَ، فَاخْتَارَ حِلَّةَ ابْنِ مَرْزُوقٍ، فَبَاعَ أَصْحَابُهُ
أَمْوَالَهُمْ وَأَمْثَلَهُمْ وَطَلَّقُوا نِسَاءَهُمْ، وَأَخَذَ أَزْوَاجَهُمْ وَأَهْلَهُ، وَجَاءَ لِيَرْكَبَ فِي
سُفِينَةٍ ^(٢) لِيَنْحَدِرَ مِنْهَا إِلَى الْحِلَّةِ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ يَتَبَاكُونَ لِبُكَائِهِ، فَلَمَّا اجْتَارَ بَدَارَ
الْخِلَافَةِ قَبْلَ الْأَرْضِ دَفَعَاتٍ وَالْخَلِيفَةُ فِي الشُّبَّاكِ، وَالْوَزِيرُ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
ارْحَمْ شَيْئَتِي وَغُرْبَتِي وَأَوْلَادِي. فَأُعِيدَ إِلَى الْوِزَارَةِ [١٨٦/٩] بِشَفَاعَةِ دُيَيْسِ بْنِ
مَرْزُوقٍ، فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ، وَامْتَدَّحَهُ الشُّعْرَاءُ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِرُجُوعِهِ إِلَى الْوِزَارَةِ،
وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ ^(٣) أَبُو مَنْصُورٍ ^(٤)، الْمُلَقَّبُ بِالشَّيْخِ الْأَجَلِّ،
كَانَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِي الْقِيَامِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَاصْطِنَاعِ
الْأَيَادِي عِنْدَ أَهْلِهَا مِنَ أَهْلِ السُّنَّةِ، مَعَ شِدَّةِ الْقِيَامِ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ وَلَعْنِهِمْ،

(١ - ١) فِي ب، م: «ابْنُ الْمُقْتَدَى»، وَفِي خ: «الْمُقْتَدَى».

(٢) فِي ب، خ، م: «سَفِينَةٌ».

(٣ - ٣) فِي م: «ابْنُ مَنْصُورٍ». وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: تَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٣٤/١٠، وَالْمُنْتَظَمُ ١٠٧/١٦،
وَالْكَامِلُ ٥٨/١٠، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٣٣٣/١٨، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٥١ - ٤٦٠ هـ)
ص ٤٨٦، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٨٢/٥.

وافْتِقَادِ الْمُشْتَوْرِبِينَ بِالْبِرِّ، وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْمَحَاوِجِ وَإِخْفَاءِ ذَلِكَ جَهْدَهُ وَطَاقَتَهُ، وَمِنْ غَرِيبٍ مَا وَقَعَ لَهُ أَنَّهُ كَانَ يَبِيرُ إِنْسَانًا فِي كُلِّ سَنَةٍ^(١) بَعَشْرَةَ دَنَانِيرَ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا عَلَى رَجُلٍ يَقَالُ لَهُ: ابْنُ رِضْوَانَ. فَلَمَّا تُوفِّيَ جَاءَ الرَّجُلُ إِلَى ابْنِ رِضْوَانَ فَقَالَ: اذْفَعْ إِلَيَّ مَا كَانَ يَصْرِفُ لِي الشَّيْخُ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ رِضْوَانَ: إِنَّ الَّذِي كَانَ يَكْتُبُ لَكَ عَلَى قَدْ مَاتَ، وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَصْرِفَ لَكَ شَيْئًا، فَذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى قَبْرِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ فَقَرَأَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ التَفَّتْ فَإِذَا هُوَ بِكَاعِغِدٍ فِيهِ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ، فَأَخَذَهَا وَجَاءَ بِهَا إِلَى ابْنِ رِضْوَانَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ رِضْوَانَ: هَذِهِ يَا أَخِي سَقَطَتْ مِنِّي الْيَوْمَ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَخُذْهَا وَلَكَ^(٢) عَلَى مِثْلِهَا فِي كُلِّ عَامٍ^(٣).

كَانَتْ وَفَاتُهُ الْمُتَنَصِّفَ مِنْ مُحَرَّمِ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ يَوْمُ مَوْتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا، حَضَرَهُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ.

أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الطُّوسِيِّ^(٤) فَقِيهُ الشَّيْعَةِ، وَدُفِنَ بِمَشْهَدٍ عَلَى، وَكَانَ مُجَاوِرًا بِهِ، حِينَ احْتَرَقَتْ دَارُهُ - بِالكَرْخِ - وَكُتِبَتْهُ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ إِلَى الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَتُوفِّيَ وَدُفِنَ هُنَاكَ.

(١) فِي ب، خ، م: «يَوْم».

(٢ - ٢) فِي ب، خ، م: «عِنْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهَا».

(٣) الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ ١/٤١٩، سِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ١٨/٣٣٤، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٥١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٩٠، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ لِلْسَّبْكِ ٤/١٢٦، وَالْوَفَايَاتُ بِالْوَفَايَاتِ ٢/٣٤٩، وَالنَّجُومُ الزَّاهِرَةُ

^(١) خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله، الواعظة المعروفة بالشَّاهِجَانِيَّة^(٢)، وُلِدَت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وكانت قد صَحِبَت ابنَ سمعونَ، وروث عنه وعن ابنِ شاهينَ، ودُفِنَت إلى جانبِ ابنِ سمعونَ^(٣).

(١ - ١) سقط من: ب، خ، م، وبعده في الأصل، ص: «ترجمة أبي القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البزري الجزري شيخ الشافعية، والمجمع عليه في مصادر ترجمته أنه من وفيات سنة ستين وخمسائة، وسنورد ترجمته في موضعها الصحيح.

(٢) تاريخ بغداد ٤٤٦/١٤، والمنظوم ١٠٧/١٦، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٥١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٨٣ والنجوم الزاهر ٨٢/٥، وشذرات الذهب ٣٠٨/٣.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ [١٨٦/٩ ط]

فى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ^(١) كَانَ حَرِيقُ جَامِعِ دِمَشْقَ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ غِلْمَانَ الْفَاطِمِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ اخْتَصَمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَأُلْقِيَتْ نَارٌ بِدَارِ الْمَلِكِ، وَهِيَ الْخَضْرَاءُ الْمُتَاخِمَةُ لِلْجَامِعِ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ، فَاحْتَرَقَتْ، وَسَرَى حَرِيقُهَا إِلَى الْجَامِعِ، فَسَقَطَتْ سَقُوفُهُ وَتَنَاقَزَتْ فُصُوصُهَا الْمَذْهَبَةُ الَّتِي عَلَى جُذُرَانِهِ، وَتَقَلَّعَتِ الْفُسَيْفِسَاءُ الَّتِي كَانَتْ فِي أَرْضِهِ، وَعَلَى جُذُرَانِهِ، وَتَغَيَّرَتْ مَعَالِمُهُ وَمَحَاسِنُهُ وَتَبَدَّلَتْ بِهِجَتُهُ بِضِدِّهَا، وَقَدْ كَانَتْ سَقُوفُهُ مَذْهَبَةً مِبْطَنَةً كُلُّهَا وَالْجَمْلُونَاتُ مِنْ فَوْقِهَا، وَجُذُرَانُهُ بِالْفُصُوصِ الْمَذْهَبَةِ الْمَلُونَةِ مَصُورٌ فِيهَا جَمِيعُ بِلَادِ الدُّنْيَا^(٢)؛ الْكَعْبَةُ وَمَكَّةُ فِي الْحَرَابِ، وَالْبِلَادُ كُلُّهَا شَرْقًا وَغَرْبًا، كُلٌّ فِي مَكَانِهِ اللَّائِقِ بِهِ، وَمَصُورٌ فِيهِ كُلُّ شَجَرَةٍ مَثْمَرَةٍ وَغَيْرِ مَثْمَرَةٍ، مُشَكَّلٌ مَصُورٌ فِي بُلْدَانِهِ وَأَوْطَانِهِ، وَالشُّتُورُ مُرَخَّاةٌ عَلَى أَبْوَابِهِ النَّافِذَةِ إِلَى الصَّخَنِ وَعَلَى أَصُولِ الْحَيِّطَانِ إِلَى مَقْدَارِ الثَّلَاثِ مِنْهَا، وَبَاقِي الْجِدَارَانِ بِالْفُصُوصِ الْمَلَوَّنَةِ، وَأَرْضُهُ كُلُّهَا بِالْفُصُوصِ؛ الرُّخَامِ وَالْفُسَيْفِسَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا بِنَاءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ، لَا قُصُورُ الْمُلُوكِ وَلَا دُورُ الْخِلَافَةِ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ لَمَّا وَقَعَ هَذَا الْحَرِيقُ فِيهِ، تَبَدَّلَ الْحَالُ الْكَامِلُ بِضِدِّهِ، وَصَارَتْ أَرْضُهُ طِينًا فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، وَغُبَارًا فِي زَمَنِ الصَّيْفِ، مُحْفُورَةٌ

(١) الكامل ٥٩/١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٥، وانظر ما تقدم ص ٧، ٨.

(٢) بعده فى ب، خ، م، «بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج فى إقليم أو بلد وجده فى الجامع مصورا كهيئته، فلا يسافر إليه ولا يعنى فى طلبه فقد وجده من قرب».

مُهْجُورَةً ، ولم يَزَلْ كذلك حَتَّى بُلُطَ أَرْضُهُ فِي زَمَنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أُتُوبَ ،
 بَعْدَ السُّتُمَاثَةِ سَنَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ جَمِيعُ مَا سَقَطَ مِنْهُ مِنَ الرُّخَامِ وَغَيْرِهِ مِنَ
 الْأَخْشَابِ مُودَعًا فِي الْمَشَاهِدِ الْأَرْبَعَةِ ، شَرْقِيَّةً وَغَرْبِيَّةً ، حَتَّى فُرِغَهَا مِنْ ذَلِكَ
 الْقَاضِي كَمَالُ الدِّينِ الشَّهْرُزُورِيُّ ، فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ بْنِ
 زَنْكِيٍّ ، حِينَ وَلَّاهُ نَظَرَهُ مَعَ الْقَضَاءِ وَنَظَرَ الْأَوْقَافِ كُلِّهَا ، وَنَظَرَ دَارَ الضَّرْبِ وَغَيْرَ
 ذَلِكَ ، وَلَمْ تَزَلِ الْمُلُوكُ تَجَدُّدُ فِي مُحَاسِنِهِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا ، فَتَقَارَبَ حَالُهُ فِي زَمَنِ
 الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكَزَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ نَائِبِ الشَّامِ ، أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ
 أَرَّخَ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي « الْمُنْتَظَمِ » ^(١) هَذَا الْحَرِيقَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ
 وَخَمْسِينَ ، وَتَبِعَهُ ابْنُ السَّاعِي ^(٢) فِي « تَارِيخِهِ » ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَمَا
 ذَكَرَهُ ابْنُ السَّاعِي ^(٣) أَيْضًا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَشَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّهَبِيُّ
 مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ فِي « تَارِيخِهِ » ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفِيهَا نَقَمَتِ الْخَنَابِلَةُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ ، وَهُوَ مِنْ كُبَرَاءِهِمْ ؛ بِتَرَدُّدِهِ
 إِلَى أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْوَلِيدِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُعْتَرِ لِيٍّ ، وَاتَّهَمُوهُ بِالْاِعْتِرَالِ ، وَلَا شَكَّ [١٨٧/٩] أَنَّهُ
 لَمْ يَكُنْ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ إِلَّا لِإِحْيَاطِ عِلْمًا بِمَذْهَبِهِ ، وَلَكِنْ سَرَقَهُ الْهَوَى ^(٤) ، وَصَارَتْ فِيهِ نَزْعَةٌ
 مِنْهُ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَتَأَذَّى بِسَبَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، وَمَا سَكَنَتِ الْفِتْنَةُ إِلَى
 سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بَعْدَ اخْتِصَامٍ كَثِيرٍ .

وَفِيهَا زَادَتْ دِجْلَةٌ عَلَى إِحْدَى وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا حَتَّى دَخَلَتْ مَشْهَدَ أَبِي
 حَنِيفَةَ ^(٥) وَمَشْهَدَ النَّذَوْرِ . وَفِيهَا وَرَدَ الْخَبْرُ بِأَنَّ الْأَفْشِينَ دَخَلَ بِلَادَ الرُّومِ حَتَّى

(١) الْمُنتَظَمُ ٩٦/١٦ .

(٢) (٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) بَعْدَهُ فِي ب ، خ ، م : « فُشِّرَ شَرْقُهُ كَادَتْ رُوحُهُ تَخْرُجُ مَعَهَا » .

(٤) فِي الْمُنتَظَمِ ١١٤/١٦ : « مَشْهَدُ الْمَالِكِيَّةِ » .

انتهى إلى عُمُورِيَّة^(١)، فقتل خلقًا وغنم أموالًا كثيرة. وفيها كان رُحْصٌ عظيمٌ بالكوفة حتى بيع السمك كلُّ أربعين رطلًا بحَبَّة^(٢).

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو الغنائم العلوي.

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الفُورَانِيُّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فُوران الفُورَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ^(٣)، أحدُ أئمة الشافعية، مصنفُ «الإبانة» التي فيها من الثُّقُولِ الغريبة، والأقوال والأوجه التي لا تُوجدُ إلَّا فيها، كان بصيرًا بالأصول والفروع، أخذ الفقه عن أبي بكر القفال، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير، فلم يلتفت إليه، فصار في نفسه منه، فهو يخطئه كثيرًا في «النهاية». قال القاضي ابنُ خُلِّكان^(٤): فمضى قال في «النهاية»: وقال بعضُ المصنِّفينَ كذا وغلط في ذلك. وشرع في الوقوع فيه، فمُرَّاهُ أبو القاسم الفُورَانِيُّ. وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة بمَرْو، عن ثلاث وسبعين سنة، وقد كتب تلميذه أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد^(٥) المأمون المعري^(٦) - المدرس بالنظامية بعد الشيخ أبي إسحاق وقبل ابن الصَّبَّاحِ وبعده أيضًا - كتابًا على «الإبانة»، سماه «تَيْمَّةُ الْإِبَانَةِ»، انتهى فيه إلى كتاب الحدود، ومات قبل إتمامه، فتَمَّمَهُ أسعدُ العجلِّي وغيره، فلم يلحقوا شأوه، وسَمَّوه: «تَيْمَّةُ التَّيْمَةِ»، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى.

(١) في الأصل، ص، ب: «عورنة»، وفي م: «غورية».

(٢) أى: من ذهب. انظر المنتظم ١١٥/١٦.

(٣) المنتخب من السياق ٣١١، ووفيات الأعيان ١٣٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٦٤/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠هـ) ص ٤٥. وطبقات الشافعية للسبكي ١٠٩/٥.

(٤) وفيات الأعيان ١٣٢/٣.

(٥) بعده في الأصل، ص: «بن». وانظر وفيات الأعيان ١٣٣/٣، سير أعلام النبلاء ٥٨٥/١٨.

(٦) ليس في مصادر ترجمته أنه منسوب إلى «معة»، ولعلها: «التولى» وحرفت هنا، وانظر وفيات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ^(١)

قال ابنُ الجَوْزِيِّ: فَمِنَ الحَوَادِثِ فِيهَا أَنَّهُ كَانَ عَلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى، وَهُوَ «الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ»^(٢) آذَارَ، كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِالرَّمْلَةِ وَأَعْمَالِهَا، فَذَهَبَ أَكْثَرُهَا وَانْهَدَمَ سَوْرُهَا، وَعَمَّ ذَلِكَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَتَنْبُيَسَ^(٣)، وَانْخَسَفَتْ أَيْلَةُ^(٤)، وَانْجَفَلَ الْبَحْرُ حَتَّى انْكَشَفَتْ أَرْضُهُ، وَمَشَى نَاسٌ فِيهِ ثُمَّ عَادَ، وَتَغَيَّرَتْ إِحْدَى زَوَايَا جَامِعِ مِصْرَ، وَتَبِعَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ فِي سَاعَتَيْهَا زَلْزَلَتَانِ أُخْرَيَانِ.

وَفِيهَا تَوَجَّهَ مَلِكُ الرُّومِ مِنْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ، فَتَزَلَ عَلَى [١٨٧/٩ ط] مَنَبِجَ وَأَحْرَقَ الْقُرَى مَا بَيْنَ مَنَبِجَ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ، وَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ، وَفَرَعَ الْمُسْلِمُونَ بَحْلَبَ وَغَيْرَهَا فَرْعًا عَظِيمًا، فَأَقَامَ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا ثُمَّ رَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْمِيرَةِ وَهَلَاكِ أَكْثَرِ جَيْشِهِ بِالْجُوعِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَفِيهَا ضَاقَتْ يَدُ أَمِيرِ مَكَّةَ فَأَخَذَ الذَّهَبَ مِنْ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَالْمِيزَابِ وَبَابِ الْكَعْبَةِ، فَضَرَبَ كُلَّ ذَلِكَ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ بِالْقَنَادِيلِ

(١) المنتظم ١١٦/١٦، والكمال ٦٠/١٠.

(٢) ٢ - ٢) في ب، خ، م: «ثامن عشرين»، وفي مصدر التخريج: «الثامن من».

(٣) في ب، خ، م: «نابلس»، وتنبس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. معجم البلدان ٨٨٢/١.

(٤) في ب، خ، م: «إيليا»، وأيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. معجم البلدان ٤٢٢/١.

التي في المسجد النبوي - على ساكنه أفضل الصلاة والسلام .

وفي هذه السنة كان غلاءً شديداً ، وقحطٌ عظيمٌ بديار مصر ، بحيث إنهم أكلوا الجيفَ والميتات والكلاب ، فكان يُباع الكلبُ بخمسةَ دنانير ، وماتت الفيلةُ فأكلت ، وأُفْنيت الدوابُّ ، فلم يبقَ لصاحبِ مصرِ سوى ثلاثةِ أفراسٍ ، بعدَ العددِ الكثيرِ منها . ونزل الوزيرُ يوماً عن بغلته ، فغفل الغلامُ عنها لضعفه من الجوع ، فأخذها ثلاثةُ نفرٍ فذبحوها وأكلوها فأخذوا فضلبوها فأصبحوا فإذا عظامهم باديةً ، قد أكل الناسُ لحومهم . وظهرَ على رجلٍ يقتلُ الصبيانَ والنساءَ ويدفنُ رؤوسَهم وأطرافَهم ، ويبيعُ لحومَهم ، فقتل^(١) . وكانت الأعرابُ يقدمون بالطعامِ يبيعونَه في ظاهِرِ البلدِ ، لا يتجاسرونَ يدخلونَ لئلاً يُخطَفَ ويُنهَبَ منهم . وكان لا يجسرُ أحدٌ أن يدفنَ ميتتهُ نهاراً ، وإنما يدفنه ليلاً خفيةً ؛ لئلاً يُنبشَ فيؤكل . واحتاجَ صاحبُ مصرَ حتى باعَ أشياءَ كثيرةً من نفائسِ ما عنده ؛ من ذلك أحدَ عشرَ ألفَ درع ، وعشرونَ ألفَ سيفٍ مُحلًى ، وثمانونَ ألفَ قطعةٍ بلّورٍ كبارٍ ، وخمسةٌ وسبعونَ ألفَ قطعةٍ من الديباجِ القديمِ ، وبيعت ثيابُ النساءِ والرجالِ وسجفُ اليهودِ بأرخصِ الأثمانِ ، وكذلك الأملاكُ وغيرها ، وقد كان بعضُ هذه النفائسِ الخليفةَ ، ممَّا نهبَ من بغدادَ في أيامِ البساسيري .

وفيها وردتِ الخدمُ والتحفُ والهدايا من الملكِ ألبِ أرسلانَ إلى الخليفةِ القائمِ بأمرِ الله . وفيها ضربَ اسمُ وليِّ العهدِ على الدنانيرِ والدراهمِ ، وسُمِّيَ الأميرَ ، ومُنِعَ التعاملُ بغيرِها .

وفيها وردَ كتابُ صاحبِ مَكَّةَ إلى الملكِ ألبِ أرسلانَ وهو بخراسانَ ، يخبرُه

(١) بعده في ب ، خ ، م : «وأكل لحمه» .

بإقامة الخطبة للقائم بأمر الله وللسلطان بمكة، وقطع الخطبة للمصريين، فأرسل إليه ثلاثين ألف دينار وخِلعة سنيّة، وأجرى له في كل سنة عشرة آلاف دينار. وفيها تزوّج عميد الدولة ابن جهمير بابنة نظام الملك بالرّي، ثم عاد إلى بغداد.

وحجّ بالناس أبو الغنائم العلوي.

وفيها توفّي من الأعيان [١٨٨/٩] والمشاهير:

الحسن بن علي بن محمد^(١) بن باري^(٢) أبو الجوائز الواسطي، سكن بغداد دهرًا طويلًا، وكان أدبيًا شاعرًا ظريفًا، وُلد سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة، وتوفّي في هذه السنة عن مائة وعشر سنين. ومن مُستجاد شعره قوله^(٣):

وَا حَزَنِي مِنْ قَوْلِهَا خَانُ غُهْوِي^(٣) وَلَهَا
وَحَقٌّ مَنْ صَيَّرَنِي وَقَفًّا عَلَيْهَا وَلَهَا
مَا خَطَرْتُ بِخَاطِرِي إِلَّا كَسَتْنِي وَلَهَا

محمد بن أحمد بن سهل^(٤)، المعروف بابن بشران النحوي الواسطي، وُلد سنة ثمانين وثلاثمائة، وكان عالمًا بالأدب، وانتَهت إليه الرحلة في اللغة، وله

(١ - ١) سقط من: م. وفي الأصل، ب، خ، ص: «بن بابي». والمثبت من مصادر الترجمة، وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٣٩٣/٧، والمنتظم ١١٩/١٦، والكامل ٦٢/١٠، ووفيات الأعيان ١١١/٢، وميزان الاعتدال ٥١٣/١.

(٢) المنتظم ١٢٠/١٦، والكامل ٦٢/١٠، ووفيات الأعيان ١١٢/٢.

(٣ - ٣) في النسخ: «قد خان عهدي». والمثبت من مصادر التخريج.

(٤) معجم الأدباء ٢١٤/١٧، والمنتظم ١٢٠/١٦، وإنباه الرواة ٤٤/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٣٥/١٨ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٧٠، والوافي بالوفيات ٨٢/٢.

شعرٌ حسنٌ ، فمنه قوله ^(١) :

يا شائدًا للقصور مهلاً
لم يجتمع شملُ أهلٍ قَصرٍ
وإنما العيشُ مثلُ ظلٍّ
وقوله ^(٢) :

ودعّتهم ولي الدنيا مودعة
وقلت يا لذتي بيني وبينهم
لولا تعلُّ قلبي بالرجاء لهم
ياليت عيسهم يوم النوى نُحرث
يا ساعة البين أنت الساعة اقتربت
وقوله ^(٤) :

طلبتُ صديقاً في البرية كلها
بلى من تسمى بالصدیق مجازةً
فطلّقتُ ودَّ العالمين صريمةً ^(٥)
فأغيا طلابي أن أصيب صديقاً
ولم يك في معنى الوداد صدوقاً
وأصبحتُ من أسير الحفاظ طليقاً

(١) المنتظم ١٦/ ١٢٠، والوافي بالوفيات ٨٢/ ٢.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٢١.

(٣) جزر السباع : اللحم الذي تأكله .

(٤) معجم الأدباء ١٧/ ٢٢٢، والمنتظم ١٦/ ١٢١.

(٥) في ص : « مكرمة » ، وفي خ ، م : « ثلاثة » .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة

وفيها^(١) أقبل ملك الروم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكُرج^(٢) والفرنج، وغدِدَ عَظِيمَةً وتَجَمَّلَ هائل، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة، مع كل بطريق^(٣) ما بين ألفي فارس إلى خمسمائة فارس^(٤)، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، [١٨٨/٩ ظ] ومن الغُر^(٥) الذين يكونون وراء القسطنطينية خمسة عشر ألفاً، ومعه مائة ألف نقاب وحفار، وألف^(٦) روزجاري، ومعه أربعمائة عجلة تحمِلُ النعال والمسامير، وألفاً^(٧) عجلة تحمل السلاح والشروج والعَرَادَاتِ والمجانيق، منها منجنيق يُمدُّه ألف ومائتا رجل، ومن عزمه - قَبَّحه الله تعالى - أن يجتث الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستَوْصَى نَائِبُهَا بالخليفة خيراً فقال له: ازفُقْ بذلك الشيخ؛ فإنه صاحبنا. ثم إذا استَوْسَقَتْ ممالك العراق وخراسان لهم مألوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعأذوه من أيدي المسلمين، واستنقذوه فيما يزعمون، والقدر

(١) المنتظم ١٢٣/١٦، والكامل ٦٥/١٠.

(٢) في م: «الكرخ». والكُرج، بالضم: جيل من النصارى، ومنهم من جعلها ناحية من الروم بغير أذربيجان. تاج العروس (ك ر ج).

(٣ - ٣) في ب، خ، م: «مائتا ألف فارس».

(٤) في م: «الغزاة». والغز: جنس من الترك. تاج العروس (غ ز ز).

(٥) في المنتظم ١٢٤/١٧: «مائة ألف». والروزجاري: نسبه إلى روزجار، وهو روزكار، يعني الذي يعمل بالنهار، ويقال: ببغداد لمن يعمل بالنهار: الروزجارية. الأنساب ١٠٤/٣.

(٦) في المنتظم ١٢٤/١٧: «ألف».

يقول: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. فالتقاء السلطان ألب أرسلان في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، بمكان يقال له: الرَّهْوَةُ. في يوم الأربعاء لحمس يقيّن من ذى القعدة، وخاف من كثرة المشركين، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما تواجّه الفئتان، نزل السلطان عن فرسه، وسجد لله عز وجل، ومرّغ وجهه في الثراب ودعا الله تعالى، واشتتصره، فأنزل الله نصره على المسلمين، ومنحهم أكتاف المشركين فقتلوا منهم خلقاً لا يحصون كثرة، وأسير ملكهم أرمانوس؛ أسره غلام رومي، فأمره السلطان، وأعطاه شيئاً كثيراً، وقد كان هذا الغلام غرض على نظام الملك الوزير في جملة تقديمه فلم يقبله، فقال له سيّده: إنه ... وإنه ... يئسني عليه فردّه، وقال كهيفة المستهزئ به: لعله يجيئنا بملك الروم أرمانوس أسيراً. فوقع الأمر كما قال، فله الحمد والمنّة^(١).

فلما أوقف أرمانوس بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارِع وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك ماذا كنت تفعل؟ قال: كل قبيح. قال: فما ظنك بي؟ قال: تقتلني أو تشهوني في بلادك، فأما العفو وأخذ الفداء فبعيد. فقال: ما عزمت على غير العفو والفداء. فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار،^(٢) وأن يطلق كل أسير في بلاد الروم، وعلى هذنة خمسين سنة، يحمل فيها عن كل يوم ألف دينار^(٣) وقام بين يدي الملك فسقاه شربة من ماء وقبّل الأرض بين يديه، وإلى نحو جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً،

(١ - ١) سقط من: ب، خ، م.

(٢ - ٢) سقط من: ب، خ، م، ص.

فأطلق له الملك عشرة آلاف دينارٍ ليتجهَّزَ بها ، وأطلقَ معه جماعةٌ من البطارقةِ [١٨٩/٩] من أصحابه ، وشيَّعَه فرسَخًا ، وأرسلَ معه جيشًا يخدمونه ويحفظونه ويحفظونه إلى بلاده ، ومعهم رايةٌ مكتوبٌ عليها : لا إلهَ إلاَّ اللهُ محمدٌ رسولُ الله . فلمَّا انتهَى إلى بلاده وجدَ الرومَ قد ملكُوا عليهم غيره ، فأرسلَ إلى السلطانِ يعتذرُ إليه ، وبعثَ من الذهبِ والجواهرِ ما يقاربُ ثلاثمائة ألفِ دينارٍ ، وتزهدَ وليسَ الصُّوفَ ، ثم استضافَ ملكَ الأرمنِ ^(١) فأخذه فكحلَه ، وأرسلَ إلى السلطانِ فأعلمَه بذلكَ يتقرَّبُ إليه به .

وفيهما خطبَ صاحبُ حلبَ محمودُ بنُ صالحٍ بنِ مِزْدَاسٍ للقائمِ بأمرِ اللهِ وللسلطانِ ألبِ أرسلانَ معه ، فبعثَ إليه الخليفةُ بالخيلِ ، والعهدِ مع الشريفِ طرادٍ الزَّيْنَبِيِّ .

وفيهما حجَّ بالناسِ ^(٢) نورُ الهدى أبو طالبِ الزَّيْنَبِيُّ ^(٣) ، وخطبَ بمكةَ للخليفةِ القائمِ بأمرِ اللهِ ، وقُطِعَتْ خُطْبَةُ المصريِّينَ منها ، وقد كان يُخطبُ لهم فيها مائةَ سنةٍ ، فانقطعَ ذلكَ في هذه السنةِ ، وللهِ الحمدُ والمنَّةُ .

ومن توفى فيها من الأعيان :

الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ البغداديُّ ، أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ ثابتٍ بنِ أحمدَ بنِ مهديٍّ ^(٣) ، أحدُ مشاهيرِ الحفاظِ ، وصاحبُ « تاريخِ بغداد » وغيره من المصنَّفاتِ

(١) استضاف ملك الأرمن أي : لجأ إليه ، وطلب ضيافته . انظر تاج العروس (ض ي ف) .
(٢- ٢) في الأصل ، ص : « نور الهدى أبو الغنائم العلوي » ، وفي ب ، خ ، م : « أبو الغنائم العلوي » .
والثبت من إتحاف الوري ٤٧٣/٢ . وانظر ما تقدم في ص ٨ .
(٣) تاريخ دمشق ٣١/٥ ، والمنظوم ١٢٩/١٦ ، ومعجم الأدباء ١٣/٤ ، ووفيات الأعيان ٩٢/١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨ ، وتذكرة الحفاظ ١١٣٥/٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ، ص ٨٥ . وطبقات الشافعية للسبكي ٢٩/٤ .

العديدة المفيدة ، نحو من ستين مصنفًا ، ويقال : بل مائة مصنف . فإلله أعلم .
 وُلد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وقيل : سنة ثنتين وتسعين . وأوّل
 سماعه سنة ثلاث وأربعمئة ، ونشأ ببغداد ، وتفقه على القاضي أبي الطيّب
 الطبريّ وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد ، وسمع الحديث الكثير ، ورحل إلى
 البصرة ونيسابور وأصبهان وهمدان والشام والحجاز ، وسُمّي الخطيب ؛ لأنّه كان
 يخطب بدرزيجان^(١) ، وسمع بمكة على القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة
 القضاعي ، وقرأ « صحيح البخاري » على كريمة بنت أحمد في خمسة أيّام .

ورجع إلى بغداد فحظي عند الوزير أبي القاسم ابن المسلمة . ولما ادّعى
 اليهودُ الحيازة أنّ معهم كتابًا نبويًا فيه إسقاط الجزية عنهم أوقف ابن المسلمة
 الخطيب على هذا الكتاب ، فقال : هذا كذب . فقيل : وما الدليل على ذلك ؟
 فقال : لأنّ فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ، ولم يكن أسلم يوم خيبر ، وقد
 كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة ، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة
 سعد بن معاذ ، وقد كان توفي عام الخندق سنة خمس . فأعجب الناس ذلك .
 وقد سبق الخطيب إلى [١٨٩/٩ ط] هذا النقد^(٢) ، كما ذكرنا ذلك في مُصنّف
 مُفرد .

ولما وقعت فتنة البساسيري ببغداد سنة خمسين ، خرج منها إلى الشام ، فأقام

(١) في النسخ : « درب ريحان » . وهو تحريف . والمثبت من سير أعلام النبلاء ٢٧٠ / ١٨ ، وتاريخ
 الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٨٦ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٩ / ٤ . قال ياقوت
 في معجم البلدان ٥٦٧ / ٢ : درزيجان ، بفتح أوله وسكون ثانيه وزاء مكسورة وياء مثناه من تحت وجيم
 وآخره نون : قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي منها كان والد أبي بكر أحمد بن ثابت ،
 الخطيب البغدادي ، وكان أبوه يخطب بها .

(٢) في ب ، خ ، م : « النقل ، سبقه محمد بن جرير » .

بدمشق بالمئذنة الشرقية من جامعها ، وكان يقرأ على الناس الحديث النبوي ، وكان جمهوري الصوت ، يُسمع صوته من أرجاء الجامع كلها ، فاتفق أنه قرأ يوماً على الناس فضائل العباس ، فنار عليه الروافض وأتباع الفاطميين ، وأرادوا قتله فتشفع بالشريف الزينبي فأجازه ، وكان مسكنه بدار العقيقي . ثم خرج من دمشق فأقام بمدينة صور ، فكتب شيئاً كثيراً من مصنفات أبي عبد الله الصوري بخطه ، كان يستعيرها من زوجته ، فلم يزل مقيماً بالشام إلى سنة ثنتين وستين ، ثم عاد إلى بغداد فحدث بأشياء من مسموعاته ، وقد كان سأل الله تعالى بمكة أن يملك ألف دينار ، وأن يحدث بـ « التاريخ » بجامع المنصور ، وأن يموت ببغداد ، فيدفن إلى جانب بشر الحافي ، فيقال : إنه حدث بـ « التاريخ » بجامع المنصور ، وإنه ملك ذهباً يقارب ألف دينار . وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار ، فأوصى بها لأهل الحديث ، وسأل السلطان أن يمضى له ذلك ؛ فإنه لم يترك وارثاً ، فأجيب إلى ذلك .

وله مصنفات كثيرة مفيدة ؛ منها كتاب « التاريخ » ، وكتاب « الكفاية » ، و « الجامع » ، و « شرف أصحاب الحديث » ، و « المتفق والمفترق » ، و « السابق واللاحق » ، و « تلخيص المتشابه في الرسم » ، و « فضل الوصل » ، و « رواية الآباء عن الأبناء » ، و « رواية الصحابة عن التابعين » ، و « اقتضاء العلم العمل » ، وغير ذلك . وقد سردها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في « المنتظم »^(١) . قال : ويقال : إن هذه المصنفات أكثرها ابتدأها أبو عبد الله الصوري ، فتممها الخطيب .

(١) المنتظم ١٦ / ١٣٠ ، ١٣١ .

وقد كان حسن القراءة ، فصيح اللفظ ، عارفاً بالأدب ، يقول الشعر ، وقد كان أولاً على مذهب الإمام أحمد ، فانتقل إلى مذهب الشافعي ، ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد ويقدم فيهم ما أمكنه ، وله دسائس عجيبة في ذمهم ، ثم شرع ابن الجوزي^(١) ينتصر لأصحابه بما يطول ذكره . وقد أورد ابن الجوزي من شعر الخطيب قصيدة - من خطه - جيدة المطلع حسنة المنزع ، أولها^(٢) :

لعمرك ما شجاني رسم دارٍ	وقفت به ولا ذكر المغاني
ولا أثر الخيام أراق دمعى	لأجل تذكري عهد الغواني
ولا ملك الهوى يوماً قيادى	ولا عاصيته فتى عناني [١٩٠/٩]
عرفت فعاله بذوى التصابى	وما يلقون من ذل الهوان
فلم أطمعه فئ وكم قتيل	له في الناس ما يخصى وعان
طلبت أتحا صريح الود مخضاً	سليم الغيب محفوظ ^(٣) اللسان
فلم أعرف من الإخوان إلا	نفاقاً في التباعد والتداني
وعالم دهرنا لا خير فيهم	ترى صوراً تروق بلا معاني
ووصف جميعهم هذا فما أن	أقول سوى فلان أو فلان
ولما لم أجذ حراً يواتى	على ما ناب من صرف الزمان
صبرت تكرماً لقرع دهرى	ولم أجزع لما منه ذهاني
ولم أك في الشدائد مستكيناً	أقول لها ألا كفى كفاني
ولكنى صليب العود عود	ربيط الجاش مجتمع الجنان

(١) المنتظم ١٦/١٣٢ - ١٣٤ .

(٢) المنتظم ١٦/١٣٠ . وانظر معجم الأدباء ٤/٢٢ - ٢٥ .

(٣) في المنتظم ، ومعجم الأدباء : « مأمون » .

أَبَى النَّفْسِ لَا أُخْتَارُ رِزْقًا يَجِيءُ بِغَيْرِ سَيْفِي أَوْ سِنَانِي
 فَعِزٌّ فِي لَطَى بَاغِيهِ يُشَوِي أَلَدُّ مِنَ الْمَذَلَّةِ فِي الْجِنَانِ^(١)
 وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في «تاريخه»^(٢) ترجمة حسنة كعادته،
 وأورد له من شعره قوله:

لَا تَغْبِطَنَّ أَحَا الدُّنْيَا لَزُخْرُفِهَا وَلَا لِلذِّقِّ وَقْتِ عَجَلَتْ فَرْحَا
 فَالدهرُ أَسْرَعُ شَيْءٍ فِي تَقْلُبِهِ وَفَعْلُهُ بَيِّنٌ لِلخَلْقِ قَدْ وَضَحَا
 كَمْ شَارِبٍ عَسَلًا فِيهِ مَنِئْتُهُ وَكَمْ تَقَلَّدَ سَيْفًا مَنْ بِهِ ذُبْحَا
 وقد كانت وفاته يوم الاثنين ضحى السابع من ذى الحجة من هذه السنة،
 وله ثنتان وسبعون سنة، في حُجْرَةٍ كان يسكنها بدرب السلسلة، جوار المدرسة
 النظامية، واحتفل الناس بجنائزته، وحملها فيمن حمل الشيخ أبو إسحاق
 الشيرازي، ودُفن إلى جانب قبر بشر الحافي، في قبر رجل كان قد أعدّه لنفسه،
 فُسِّلَ أن يتركه للخطيب فشحت به نفسه، حتى قال له بعض الناس: بالله
 عليك لو قدمت أنت والخطيب إلى بشر أيكما كان يُجلّسه إلى جانبه؟ فقال:
 الخطيب. فقيل: فاسمخ له به. فوهبه له، فدُفن فيه رحمه الله وأكرم مثواه، وهو
 ممن يُنسَدُ له قول الشاعر:

مَا زِلْتُ تَذَابُّ فِي التَّارِيخِ مَجْتَهِدًا حَتَّى رَأَيْتُكَ فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبًا
^(٣) وَحَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ^(٤) عَنِ السَّمْعَانِيِّ أَنَّهُ تُوفِّي فِي شَوَّالٍ، وَأَنَّهُ تَصَدَّقَ^(٥)

(١) بعده في المنتظم، ومعجم الأدباء:

وَمَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي وَابْتَغَاهَا أَدَارَ لَهَا رَحَى الْحَرْبِ الْقَوَانِ

(٢) تاريخ دمشق ٣٧/٥. وانظر معجم الأدباء ٢٥/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٨.

(٣ - ٣) سقط من: ب، خ، م.

(٤) وفيات الأعيان ٩٣/١.

١) بجميع ماله ، ووقف كُتبه^(١) .

[١٩٠/٩ ظ] حَسَّانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَسَّانِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنِيْعِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَخْزُومِيِّ الْمَنِيْعِيِّ^(٢) ، كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه ، ثم ترك ذلك ، وأقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة والإحسان إلى الخلق ، وبناء المساجد والرباطات ، وكان السلطان يأتي إليه ويتبرك به ، ولما وقع الغلاء كان يعمل في كل يوم شيئاً كثيراً من الخبز والطعام ، فيتصدق به ، ويكسو في كل سنة قريباً من ألف نفس ثياباً وجباً وافرة ، وكذلك النساء ، ويجهز بنات الفقراء الأيتام ، وأسقط شيئاً كثيراً من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور وقرها ، وهو في غاية التبذل والثياب الأظمار ، وترك الشهوات ، ولم يرل كذلك حتى كانت وفاته ببلده مرو الروذ في هذه السنة ، تغمده الله برحمته ، آمين .

٢) مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْزَةَ ، أَبُو يَعْلَى الْجَعْفَرِيُّ^(٣) فقيه الشيعة في زمانه .

مُحَمَّدُ بْنُ وَشَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَبُو عَلِيٍّ مَوْلَى أَبِي تَمَّامٍ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ الزَّيْنَبِيِّ^(٤) ؛ سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا ، وَكَتَبَ لِنَقِيبِ الثَّقَبَاءِ

(١ - ١) سقط من : ب ، خ ، م .

(٢) المنتظم ١٣٥/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٥/١٨ ، وتذكرة الحفاظ ١١٣١/٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١١٦ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٩٩/٤ .

(٣ - ٣) في النسخ : « محمد بن الحسن بن حمزة أبو علي الجعفرى » . والمثبت من المنتظم ١٣٧/١٦ ، والكامل ٦٨/١٠ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٣٦/٣ ، ودمية القصر ٣٧٧/١ ، والمنتظم ١٣٦/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٣٤ ، والنجوم الزاهرة ٨٩/٥ .

الكامل ، وكان يُنسبُ إلى الاعتزالِ والرَّفُضِ ، ومن شعره قوله ^(١) :

حَمَلْتُ الْعَصَا لَا الضَّعْفُ أَوْجَبَ حَمْلَهَا عَلَيَّ وَلَا أَنِّي تَحَنُّيْتُ مِنْ كِبَرِ
وَلَكِنِّي أَلَزَمْتُ نَفْسِي بِحَمْلِهَا لِأَعْلِمَهَا أَنَّ الْمُقِيمَ عَلَى سَفَرِ
الشيخُ أبو عمر بن عبد البر النَّمْرِيُّ ^(٢) ، الحافظُ صاحبُ التصانيفِ ؛ منها
« التَّمْهِيدُ » ، و « الاستِذْكَارُ » ، و « الاستيعابُ » ، وغيرها .

ابنُ زَيْدُونِ الشاعرُ ، أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ غالبِ بنِ زَيْدُونِ ،
أبو الوليدِ ، الشاعرُ الماهرُ الأَنْدَلُسِيُّ الْقُرْطُبِيُّ ^(٣) ، اتَّصَلَ بِالْأَمِيرِ الْمُعْتَضِدِ ^(٤) عُبَّادِ
صاحبِ إشبيليةَ ، فَحَظِيَ عِنْدَهُ وَصَارَ عِنْدَهُ مُشَاوِرًا فِي مَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ ، وَوَزَرَ لَهُ
وَلَدَهُ ^(٥) أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الْفِرَاقِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يَقُولُ
فِيهَا ^(٦) :

بِئْسَ وَبِنًا فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَاقِينَا
نَكَادُ حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا
حَالَتْ لِبُعْدِكُمْ ^(٧) أَيَامُنَا فَغَدَتْ سُودًا وَكَانَتْ بَكُمْ بَيْضًا لِيَالِينَا

(١) المنتظم ١٣٦/١٦ .

(٢) جذوة المقتبس ص ٢٦٧ ، وترتيب المدارك ٨٠٨/٤ ، ووفيات الأعيان ٦٦/٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/

١٥٣ ، وتذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٣٦ .

(٣) جذوة المقتبس ص ١٣٠ ، خريدة القصر (قسم شعراء المغرب والأندلس) ٤٨/٢ ، ووفيات الأعيان ١٣٩/١ ،

وسير أعلام النبلاء ١٨/٢٤٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١١٣ .

(٤) في النسخ : « المعتمد بن » . والمثبت من وفيات الأعيان ١/١٤٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١١٣ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/٢٥٦ ترجمة المعتضد عباد ، و ٥٨/١٩

ترجمة المعتمد بن عباد .

(٥) في ب ، خ ، م : « ولولده » . وأبو بكر وزير أيضا للمعتمد بن عباد . انظر وفيات الأعيان ١/١٤١ .

(٦) شعر ابن زيدون ص ٩ ، ١٠ .

(٧) في مصدر التخريج : « لفقدكم » .

^(١) بِالْأَمْسِ كُنَّا وَلَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا وَالْيَوْمَ نَحْنُ وَلَا يُرْجَى تَلَاقُنَا
وهى قصيدة طويلة ، وفيها صنعة قوية مهيّجة على البكاء لكل من قرأها أو
سمعها ؛ لأنه [١٩١/٩] ما من أحد من أبناء الدنيا إلا وقد فقد حلاً أو حبيباً أو
قريباً أو نسيباً ، ومن شعره ^(٢) :

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع سرّ إذا ذاعت الأسرار لم يدع
يا بائعاً حظّه منى ولو بُذلت لى الحياة بحظى منه لم أبع
يكفيك أنّك إن حملت قلبى ما لا تشتطع قلوب الناس يشتطع
تّه أحتمل واشتطل أصبر وعزّ أهنّ وولّ أقبل وقُل أسمع ومزّ أطع
توفّى فى رجب من هذه السنة ، واستمرّ ولده أبو بكر وزيراً للمعتد بن
عبّاد ، حتى أخذ ابن تاشفين قُرطبة من يده فى سنة أربع وثمانين ، فقتل يومئذ .
قاله ابن خلّكان فى الوفيات ^(٣) .

كريمة بنت أحمد بن محمد بن أبى حاتم المروزيّة ^(٤) ، كانت عالمةً سالحةً ،
سمعت « صحيح البخارى » على الكشميهنى ، وقرأ عليها الأئمة ، كالخطيب
وأبى المظفر السمعاني وغيرهما .

(١ - ١) فى مصدر التخرّيج : « وقد نكون وما » .

(٢) شعر ابن زيدون ص ٦٨ .

(٣) وفيات الأعيان ١٣٩/١ .

(٤) المنتظم ١٣٥/١٦ ، والكامل ٦٩/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣٣/١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
وفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٢٥ ، والمعين فى طبقات الحديث ص ١٩٦ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعُمَائَةٍ

فيها^(١) قام الشيخُ أبو إسحاق الشَّيرازيُّ مع الحنابلة في الإنكارِ على المُفسِدينَ، والذين يبيعونَ الخُمورَ، وفي إبطالِ المؤاجراتِ؛ وهُنَّ البغايا، وكُوتِبَ السلطانُ في ذلك، فجاءتْ كُتُبُه بالإنكارِ. وفيها كانت زلزلةٌ عظيمةٌ ببغدادَ اِرْتَجَّتْ لها الأرضُ سِتَّ مراتٍ.

وفيها كان غلاءٌ شديدٌ ومَوْتانٌ ذريعٌ في الحيواناتِ؛ بحيثُ إنَّ بعضَ الرُّعاةِ بخراسانَ قامَ وقتَ الصباحِ ليشْرَحَ بَعَنِمِه فإذا هُنَّ قد مِتْنَّ كُلُّهُنَّ. وجاء سيلٌ عظيمٌ وبرَدٌ كِبَارٌ أَتَلَفَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الزُّرُوعِ وَالثَّمَارِ بِخُرَاسَانَ.

وفيها تَرَوَّجَ الأميرُ عُدَّةُ الدينِ وَلَدُ الخليفةِ بَابِنَةَ السلطانِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ مِنْ^(٢) سفرى خاثونَ، وذلكَ بَنَيْسَابُورَ، وكان وكيلاً السلطانِ نظامَ الملِكِ، ووكيلُ الزوجِ عميدَ الدولةِ ابنَ جَهِيرٍ، وَحِينَ عَقِدَ العَقْدُ نُثِرَ على الناسِ جَواهرُ نَفيسةٌ، وكان يوماً مشهودًا؛ زُيِّنَتْ الأَفِيلَةُ والخِيُولُ، وَضُرِبَتْ الدِّبَادِبُ والبوقاتُ.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

بَكْرُ^(٣) بَنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَيدٍ، أَبُو مَنْصُورِ النِّيسَابُورِيِّ، كان يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ

(١) الكامل ٧٠/١٠، والمنتظم ١٣٩/١٦.

(٢) سقط من النسخ. والمثبت من المنتظم ٤٦٤/١٦، والكامل ٧١/١٠.

(٣) في ب، خ، م: «زكريا». وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩٨/٧، والأنساب ٢٩٧/٢، والمنتظم ١٤١/١٦، وفيه: بكر بن محمد بن حيدر أبو منصور النيسابوري، وسير أعلام النبلاء ٢٥٢/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٤٥.

سُلَالَةَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْمَذْهَبِ ، وَكَانَ ثَقَّةً .
تُوفِّيَ فِي الْحَرَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ .

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُهْتَدَى بِاللَّهِ ،
أَبُو الْحَسَنِ الْهَاشِمِيُّ ^(١) ، خَطِيبُ جَامِعِ الْمَنْصُورِ ، كَانَ مِنْ يَلْبَسُ الْقَلَانِسَ
الطُّوَالَ ، حَدَّثَ عَنْ ابْنِ رَزَقَوَيْهِ ^(٢) [١٩١/٩ ظ] وَغَيْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ ، وَكَانَ
ثَقَّةً عَدْلًا ، شَهِدَ عِنْدَ ابْنِ مَآكُولَا وَابْنِ الدَّمَاعَانِيِّ فَقَبِلَاهُ ، تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ
ثَمَانِينَ سَنَةً وَذُفِنَ بِقَرَبِ قَبْرِ بِشْرِ الْحَافِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَاهِدٍ ^(٣) بْنِ جَعْفَرٍ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْفَهَانِيُّ ، وَلِيَّ
الْقَضَاءِ بِدُجَيْلٍ ، كَانَ شَافِعِيًّا ، وَرَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي عَمَرَ بْنِ مَهْدِيٍّ ، وَكَانَتْ
وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ ، وَنُقِلَ إِلَى دُجَيْلٍ .

(١) تاريخ بغداد ٣٥٦/١ ، والمنظوم ١٤١/١٦ ، والكمال ٧٢/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٨ ،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٥٥ ، والنجوم الزاهرة ٩٠/٥ ، وفي الكامل
والنجوم الزاهرة : كنيته أبو الحسين .

(٢) في ب ، خ ، م : « زرقويه » .

(٣) في الأصل ، ص : « ساه » ، وفي م : « شاره » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ -
٤٧٠ هـ) ص ١٥٦ : « شاذة » . والمثبت موافق لما في المنظوم ١٤٢/١٦ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ

فى^(١) يومِ الخَمِيسِ حَادِى عَشَرَ المَحْرَمِ حَضَرَ إِلَى الدِيَوَانِ أَبُو الوَفَا عَلِىُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلِ الْعَقِيلِىِّ الحَنْبَلِىِّ ، وَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ كِتَابًا يَتَضَمَّنُ تَوْبَتَهُ مِنَ الِاعْتِرَالِ وَمَخَالِطَةِ أَهْلِهِ ، وَأَنَّهُ رَجَعَ عَنِ اغْتِقَادِ كَوْنِ الحَلَاجِ مِنَ أَهْلِ الخَيْرِ ؛ وَقَدْ رَجَعَ عَنِ الْجَزْءِ الذِى عَمِلَهُ فِى ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ بِإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، وَقَدْ كَانُوا مُصَيِّبِينَ وَهُوَ مُخْطِئٌ ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فِى الكِتَابِ ، وَرَجَعَ مِنَ الدِيَوَانِ إِلَى دَارِ الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَعَظَّمَهُ . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ .

وفاة السلطانِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ، وَمُلْكُ وَلَدِهِ مَلِكُشَاه : كَانَ السُّلْطَانُ قَدْ سَارَ فِى أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ فِى مَائَتَى أَلْفِ مِقَاتِلٍ يَرِيدُ غَزَاةَ مَا وَرَاءَ النِّهَرِ ، فَاتَّفَقَ فِى بَعْضِ المَنَازِلِ أَنَّهُ غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : يَوْسُفُ الخَوَارِزْمِىِّ ، فَأَوْقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَشَرَعَ يَعْائِثُهُ فِى أَشْيَاءَ صَدَرَتْ مِنْهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُضْرَبَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْتَادٍ وَيُضْلَبَ بَيْنَهَا ، فَقَالَ لِلسُّلْطَانِ : يَا مُحَنِّتٌ ، أَمِثْلَى يُقْتَلُ هَكَذَا؟! فَاخْتَدَّ السُّلْطَانُ وَأَمَرَ بِإِزْسَالِهِ ، وَأَخَذَ القَوْسَ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَأَخْطَاهُ ، وَأَقْبَلَ يَوْسُفُ نَحْوَ السُّلْطَانِ فَتَهَضَّ السُّلْطَانُ عَنِ السَّرِيرِ ، فَنَزَلَ فَعَثَرَ ، فَوَقَعَ فَأَدْرَكَهُ يَوْسُفُ ، فَضْرَبَهُ بِخَنْجَرٍ كَانَ فِى يَدِهِ فِى خَاصِرَتِهِ ، وَأَدْرَكَهُ الجَيْشُ فَقَتَلُوهُ ، وَقَدْ جُرِحَ السُّلْطَانُ جُرْحًا مُنْكَرًا ، فَتَوَفَّى فِى يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ رَبِيعِ الأوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَيُقَالُ^(٢) : إِنْ أَهْلَ بُخَارَا

(١) المنتظم ١٦/١٤٣ .

(٢) المنتظم ١٦/١٤٥ ، والكامل ١٠/٧٣ .

لَمَّا اجْتَنَزَ بِهِمْ ، وَنَهَبَ عَشِكْرَهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَهُمْ ، دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ .

وَلَمَّا تُوفِّيَ جَلَسَ وَلَدُهُ مَلِكُشَاهَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ وَقَامَ الْأُمَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ : تَكَلَّمْ أَتَيْهَا السُّلْطَانُ . فَقَالَ : الْأَكْبَرُ مِنْكُمْ أَبِي ، وَالْأَوْسَطُ أَخِي ، وَالْأَصْغَرُ ابْنِي ، وَسَأَفْعَلُ مَعَكُمْ مَا لَمْ أُسَبِّقْ إِلَيْهِ . فَأَمْسَكُوا فَأَعَادَ الْقَوْلَ ، فَأَجَابُوهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . [١٩٢/٩] وَقَامَ بِأَعْبَاءِ أَمْرِ الْوَزِيرِ لِأَبِيهِ نِظَامُ الْمَلِكِ ، فَرَادَ فِي أَزْرَاقِ الْجَنْدِ سَبْعِمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَسَارُوا إِلَى مَرَوْ فَدَفَعُوا بِهَا السُّلْطَانُ ، وَسَيَّأَتِي ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ تَرْجُمَتِهِ فِي الْوَفَايَاتِ . وَلَمَّا بَلَغَ مَوْتَهُ أَهْلَ بَغْدَادَ أَقَامَ النَّاسُ لَهُ الْعَزَاءَ ، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ وَأُظْهِرَ الْخَلِيفَةُ الْجَزَعُ عَلَيْهِ ، وَتَسَلَّطَتْ ^(١) ابْنَتُهُ الْخَاتُونُ زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ ، وَجَلَسَتْ عَلَى التَّرَابِ . وَجَاءَتِ الْكُتُبُ مِنَ السُّلْطَانِ فِي رَجَبٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَتَأَسَّفُ فِيهَا عَلَى وَالِدِهِ ، وَيَسْأَلُ أَنْ تُقَامَ لَهُ الْخُطْبَةُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ . وَخَلَعَ مَلِكُشَاهَ عَلَى الْوَزِيرِ نِظَامِ الْمَلِكِ خِلْعًا سَيِّئَةً ، وَأَعْطَاهُ ثُحْفًا كَثِيرَةً ؛ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَلَقَّبَهُ أَتَايَكَ ، وَمَعْنَاهُ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْوَالِدُ ، فَسَارَ سِيرَةً حَسَنَةً . وَلَمَّا بَلَغَ قَاوَرَتْ بَكَ مَوْتُ أَخِيهِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ رَكِبَ فِي جِيوشٍ كَثِيرَةٍ قَاصِدًا قَتَالَ ابْنَ أَخِيهِ مَلِكُشَاهَ ، فَالْتَقِيَا فَاقْتَتَلَا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ قَاوَرَتْ وَأُسِرَ هُوَ ، فَأَنْبَتَهُ ابْنُ أَخِيهِ ثُمَّ اغْتَقَلَهُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ .

وَفِيهَا جَرَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَبَابِ الْبَصْرَةِ وَالْقَلَّائِينَ ، فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَاحْتَرَقَ جَانِبٌ كَبِيرٌ مِنَ الْكَرْخِ ، فَانْتَقَمَ الْمُتَوَلَّى لِأَهْلِ الْكَرْخِ مِنْ أَهْلِ بَابِ الْبَصْرَةِ ، فَأَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا كَثِيرًا ؛ جُنَايَةً لَهُمْ عَلَى مَا

(١) تسلبت المرأة : أخذت ولبست السلاب ، وهو ثوب أسود تغطي به المحد رأسها . انظر تاج العروس (س ل ب) .

صَنَعُوا. وفيها أُقِيمَت الدَّعْوَةُ العَبَّاسِيَّةُ بَيْتِ المَقْدِسِ. وفيها مَلَكَ صَاحِبُ
سَمَرْقَنْدَ، وَهُوَ أَلْتِكِينُ مَدِينَةَ تَرَمِذَ. وفيها حَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو الغَنَائِمِ العَلَوِيُّ.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

السلطانُ أَلْبُ أَرْسَلَانَ الملقَّبُ بسلطانِ العالمِ، ابنُ جُغرى بَك داوَدَ بنِ
ميكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ بنِ ثُقَاقَ التُّركيَّ^(١)، صَاحِبُ المَمَالِكِ المُتَّسِعَةِ، وَقَدْ مَلَكَ
بَعْدَ عَمِّهِ طُغْرُلبَك سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا، وَكَانَ عَادِلًا يَسِيرُ فِي النَّاسِ
سِيرَةً حَسَنَةً؛ كَرِيمًا رَحِيمًا، شَفُوقًا عَلَى الرِّعِيَّةِ، رَفِيقًا عَلَى الْفُقَرَاءِ، بَارًّا بِأَهْلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَمَمَالِيكِهِ، كَثِيرَ الدُّعَاءِ بِدَوَامِ مَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْهِ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ، يَتَصَدَّقُ
فِي كُلِّ رَمَضَانَ بِخَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَا يُعْرِفُ فِي زَمَانِهِ جِنَايَةً وَلَا
مُصَادَرَةً، بَلْ يَفْتَنُّ مِنَ الرِّعَايَا بِالْخَرَجِ فِي قِسْطَيْنِ؛ رِفْقًا بِهِمْ.

كَتَبَ إِلَيْهِ^(٢) بَعْضُ الشُّعَاةِ فِي نِظَامِ الْمَلِكِ، فَاسْتَدْعَاهُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانَ هَذَا
صَحِيحًا فَهَذَّبْ أَخْلَاقَكَ وَأَصْلِحْ أَحْوَالَكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا فَاعْفُزْ لَهُمْ
زَلَّتْهُمْ بِمُهِمٍّ يَشْغَلُهُمْ [١٩٢/٩ ظ] عَنِ السَّعَايَةِ بِالنَّاسِ. وَكَانَ شَدِيدَ الْحَرَصِ عَلَى
حِفْظِ مَالِ الرِّعَايَا؛ بَلَّغَهُ^(٣) أَنَّ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِهِ أَخَذَ إِزَارًا لِبَعْضِ التَّجَارِ، فَصَلَبَتْهُ
فَارْتَدَّعَ سَائِرُ المَمَالِيكِ بِهِ؛ خَوْفًا مِنْ سَطْوَتِهِ.

وَتَرَكَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَلِكُشَاهَ الذِّي قَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِيَّازَ وَتِكِشَ وَبُورِي بَرَسَ

(١) المنتظم ١٦/١٤٧، والكامل ١٠/٧٣، ووفيات الأعيان ٥/٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/٤١٤،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٦١.

(٢) الكامل ١٠/٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٦٢.

(٣) الكامل ١٠/٧٥.

و «أَرْسَلَانْ أَرْغُونْ»^(١) وسارّة وعائشة وبنّتاً أخرى . وكانت وفاته في هذه السنة عن إحدى وأربعين سنةً ، ودُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ بِالرَّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

أبو القاسم القشيري ، عبدُ الكريم بنُ هُوَازِن بنِ «عبد الملك»^(٢) بنِ طَلْحَة ، وأُمُّهُ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، تُوفِّيَ أبُوهُ وَهُوَ طِفْلٌ فَقَرَأَ الْأَدَبَ وَالْعَرَبِيَّةَ ، وَصَحَّبَ الشَّيْخَ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَاقَ ، وَأَخَذَ الْفِقْهَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيِّ ، وَالْكَلَامَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ فُورَكَ ، وَصَنَّفَ الْكَثِيرَ ، فَلَهُ «التفسير الكبير» ، و «الرسالة» التي ترجم فيها جماعة من المشايخ والصالحين ، وَحَجَّ ضُحْبَةً إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَأَبِي بَكْرٍ الْبَيْهَقِيِّ ، وَكَانَ يَعْظُمُ النَّاسَ .

تُوفِّيَ بَنِيْسَابُورَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ شَيْخِهِ أَبِي عَلِيٍّ الدَّقَاقِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بَيْتَ كُتُبِهِ إِلَّا بَعْدَ سَنِينَ ؛ احْتِرَامًا لَهُ ، وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا قَدْ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا تُوفِّيَ لَمْ تَأْكُلْ عُلْفًا حَتَّى نَفَقَتْ بَعْدَهُ بَيْسِيرَ ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوَزِيِّ^(٣) .

وقد أثنى عليه القاضي ابنُ خَلِّكَانَ فِي «الوفيات»^(٤) ثَنَاءً كَثِيرًا ، وَذَكَرَ شَيْئًا مِنْ شَعْرِهِ الرَّائِقِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

(١ - ١) فِي النسخ : «أَرْسَلَانْ وَأَرْغُو» ، وَفِي الْكامل ٧٣/١٠ : «أَرْسَلَانْ أَرْغُو» ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ مُختَصَرِ تاريخِ دولةِ سلجُوق ص ٤٥ . هَذَا وَفِي الْكاملِ وَالمُختَصَرِ وَلَدٌ آخَرٌ وَهُوَ تَتَشْ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ تَتَشْ هَذَا قَرِيبًا .
(٢ - ٢) فِي النسخ : «عبد المطلب» . وَالمُثَبَّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ ، انْظُرْ تاريخَ بَغْدَادِ ٨٣/١١ ، وَدميةِ القصر ٢٤٦/٢ ، وَالمُنْتَظَمُ ١٤٨/١٦ ، وَوفياتُ الْأَعْيَانِ ٣/٢٠٥ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ١٨/٢٢٧ ، وَتاريخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٧٠ ، وَطبقاتُ الشَّافِعِيَةِ لِلْسَّبْكِ ١٥٣/٥ ، وَطبقاتُ الْأَوَلِيَاءِ ص ٢٥٧ ، وَطبقاتُ الْمُفَسِّرِينَ لِلْسَّبْكِ ص ٧٣ .

(٣) الْمُنْتَظَمُ ١٤٩/١٦ .

(٤) وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣/٢٠٧ .

سَقَى اللَّهُ وَقْتًا كُنْتَ أَخْلُو بَوَاجِهَكُمْ وَتَغْرَاهَوَى فِي رَوْضَةِ الْأَنْسِ ضَاحِكُ
أَقَمْنَا زَمَانًا وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ وَأَصْبَحْتُ يَوْمًا وَالْجُفُونُ سَوَافِكُ

وقوله ^(١) أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

لَوْ كُنْتُ سَاعَةً بَيْنَنَا مَا بَيْنَنَا وَشَهِدْتُ حِينَ ^(٢) نُكْرِّرُ التَّوْدِيْعَا
أَيَقَنْتُ أَنَّ مِنَ الدُّمُوعِ مُحَدَّثَا وَعَلِمْتُ أَنَّ مِنَ الْحَدِيثِ دُمُوعَا

وقوله أَيْضًا ^(٣) :

وَمَنْ كَانَ فِي طُولِ الْهَوَى ذَاقَ سَلَوَةً فَإِنِّي مِنْ لَيْلَى لَهَا غَيْرُ ذَائِقِ
وَأَكْثَرُ شَيْءٍ نِلْتُهُ مِنْ وَصَالِهَا أَمَانِي لَمْ تَصْدُقْ كَخَطْفَةِ بَارِقِ

ابن صُرَبْعَر الشاعِر ، اسْمُهُ عَلِيٌّ بْنُ الْحَسَنِ ^(٤) بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْفَضْلِ ، أَبُو مَنْصُورِ
الكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ صُرَبْعَر ، وَكَانَ نِظَامُ الْمَلِكِ يَقُولُ لَهُ : أَنْتَ صُرْدُرٌ لَا
صُرَبْعَرٌ ^(٥) . وَقَدْ هَجَاهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ ^(٦) :

لَئِنْ نَبَزَ النَّاسُ قِدَمًا أَبَاكَ وَسَمَّوْهُ مِنْ شُحِّهِ صُرَبْعَرَا
فَإِنَّكَ ^(٧) تَنْثُرُ مَا صَرَّه ^(٧) عَقُوقًا لَهُ وَتُسَمِّيهِ شِعْرَا

(١) البیتان فی طبقات الشافعية للسبکی ١٦١/٥ ، وهما أيضا فی وفيات الأعيان ٢٠٧/٣ ولكنهما منسوبان لذی القرنين ابن حمدان .

(٢) فی الوفيات : « كيف » .

(٣) وفيات الأعيان ٢٠٧/٣ .

(٤) فی ص ، ب ، خ ، م : « الحسين » . وانظر ترجمته فی : دمية القصر ١/٣٣١ ، والمنتظم ١٦/١٤٩ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٨٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٠٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٧٦ .

(٥) المنتظم ١٦/١٤٩ ، والکامل ١٠/٨٨ .

(٦) المنتظم ١٦/١٤٩ ، ١٥٠ ، والکامل ١٠/٨٨ ، ٨٩ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٨٦ .

(٧ - ٧) فی الأصل ، ص ، ب ، خ : « تنيز بالصدر » ، وفي المنتظم : « تنيز بالصربرا » ، وفي =

قال ابنُ الجَوْزِيِّ^(١) : وهذا ظلمٌ فاحِشٌ ؛ فإنَّ شعْرَه في غايةِ الحُسْنِ ، ثم أوردَ له قِطْعًا حَسَنًا مِنْ شعْرِه ، فَمِنْ ذلك قولُه :

إِيَّه أَحَادِيثُ نَعْمَانٍ وَسَاكِنِهِ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَشْمَارُ
أُقْتَشُ الرِّيحَ عَنْكُمْ كُلَّمَا نَفَحَتْ مِنْ نَحْوِ أَوْضِئِكُمْ نَكْبَاءُ^(٢) مِعْطَارُ

قال : وقد حفظ القرآن وسمع الحديث من ابنِ بَشْرَانَ وغيره ، وحدَّث كثيرا ، وَرَكِبَ يَوْمًا دَابَّةً^(٣) فتردَّى هو والدابَّةُ في بئرٍ ، فماتا ودُفِنَ بِيَابِ أُبَيْرِزَ^(٤) ، وذلك في صفرٍ من هذه السنة . قال ابنُ الجَوْزِيِّ^(٥) : قرأتُ بخطِّ ابنِ عقيلٍ : كان صُرْبَعْرُ خَازِنًا^(٦) بِالرُّصَافَةِ ، وكان يُنَبِّزُ بِالْإِلْحَادِ . وقد أوردَ له ابنُ خَلِّكَانَ^(٧) شيئا مِنْ أشعارِه ، وأثنى عليه في فنِّه . واللَّه أعلم بحالِه .

محمد بنُ عليّ بنِ محمد بنِ عُبيدِ اللَّهِ^(٨) بنِ عبدِ الصَّمدِ بنِ المُهتَدِي

= الكامل : «تنظم ماصره» .

(١) المنتظم ١٦/١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) في ب ، خ ، م : «مسكاو» . والنكباء : الريح . تاج العروس (ن ك ب) .

(٣ - ٣) في الأصل : «عنها هو ووالدته في بئر فماتا فدُفِنَا بِيَابِ تَبْرِيرِ» ، وفي ب : «هو ووالدته بالشونيزية فسقطا عنها في بئر فماتا ودُفِنَا بِيَابِ» ، وفي خ : «هو ووالدته فسقطا عنها في بئر فماتا ودُفِنَا بالشونيزية» ، وفي م : «هو ووالدته فسقطا بالشونيزية عنها في بئر فماتا فدُفِنَا بِيَابِ» ، وفي ص : «فتردى عنها هو ووالدته في بئر فماتا ودُفِنَا بِيَابِ تَبْرِيرِ» . والمثبت من المنتظم . وانظر الخبر في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٠٤ .

وباب أَيْرِز : محلة ببغداد . لب اللباب ١/٩٢ .

(٤) المنتظم ١٦/١٥١ .

(٥) في ب ، خ ، م : «جارنا» .

(٦) وفیات الأعيان ٣/٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٧ - ٧) في النسخ ، والكامل ١٠/٨٨ : «عبد الله» . والمثبت من مصادر ترجمته ؛ تاريخ بغداد ٣/١٠٨ ، المنتظم ١٦/١٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/٢٤١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٨٦ .

بِاللَّهِ، أَبُو الْحُسَيْنِ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْغَرِيقِ، وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ وَسَمِعَ الدَّارَقُطْنِيَّ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَابْنُ شَاهِينَ وَتَفَرَّدَ عَنْهُ، وَسَمِعَ خَلْقًا آخَرِينَ، وَكَانَ ثِقَةً دَيِّنًا، كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: رَاهِبُ بَنِي هَاشِمٍ. وَكَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، كَثِيرَ التَّلَاوَةِ، رَقِيقَ الْقَلْبِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، رَحَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ مِنَ الْآفَاقِ، ثُمَّ ثَقُلَ سَمْعُهُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ، وَذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، وَخَطَبَ وَلَهُ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَشَهِدَ عِنْدَ الْحُكَّامِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةَ، وَوَلَّى الْحُكْمَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةَ، وَأَقَامَ خَطِيبًا بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ وَجَامِعِ الرُّصَافَةِ سِتًّا وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَحَكَّمَ سِتًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَتُوُفِّيَ فِي سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ جَاوَزَ تِسْعِينَ سَنَةً، وَكَانَ يَوْمُ جِنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَرُئِيَ لَهُ مَنَامَاتٌ صَالِحَةٌ^(١).

(١) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي الْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ نَسْخَةِ مَكْتَبَةِ بَرْنَسْتُونِ وَالْمَشَارِ إِلَىهَا بِالرَّمْزِ (ب).

ثم دخلت سنة ست وستين وأربع مائة

فى صفر^(١) جلس الخليفة جلوساً عاماً وعلى رأسه حفيده الأمير عُدَّة الدين ، أبو القاسم عبد الله المقتدى بأمر الله ، وعمره يومئذ ثمانى عشرة سنة ، وهو فى غاية الحسن ، وحضر الأمراء والكبراء ، فعقد الخليفة بيده لواء السلطان ملكشاه ، وكان يوماً مشهوداً ، وكثر الزحام يومئذ حتى هتأ الناس بعضهم بعضاً بالسلامة .

غرق بغداد

فى جمادى الآخرة جاء مطرٌ عظيمٌ وسيلٌ قوى كثيرٌ ، وزادت دجلة حتى غرقت جانباً كبيراً من بغداد ، وحتى خلص ذلك إلى دار الخلافة ، فخرج الجوارى حاسرات ، حتى صرن إلى الجانب الغربى ، وهرب الخليفة من مجلسه فلم يجد طريقاً يسلكه ، فحمله بعض الخدم إلى التاج^(٢) ، وكان ذلك يوماً عظيماً ، وأمراً هائلاً ، وهلك للناس أموالٌ عظيمةٌ جداً ، ومات خلق كثيرٌ تحت الرّدم من أهل بغداد والقرايا^(٣) ، وجاء على وجه السيل من الأخشاب والوحوش والحيات شىء كثيرٌ جداً ، وسقطت دورٌ كثيرة فى الجانبين ، وغرقت قبورٌ كثيرة ؛ من ذلك مقبرة الخيزران ، ومقبرة الإمام أحمد بن حنبل ، ودخل الماء من

(١) المنتظم ١٦/١٥٤ ، والكامل ١٠/٩٠ .

(٢) التاج : اسم لدار مشهورة ، جليلة المقدار ، واسعة الأقطار ببغداد ، من دور الخلافة المعظمة . معجم البلدان ١/٨٠٧ .

(٣) فى م : « الغرباء » ، والقرايا ؛ يدل سياقها فى الكتب على أنها جمع قرية وهو جمع لم تذكره معاجم اللغة ، وقد استخدمه أبو شامة فى كتابه الروضتين ١/٤٨ ، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث =

شَبَابِيكَ المَارِسْتَانِ^(١) الْعَضُدِيُّ ، وَأَتْلَفَ السَّنِيلُ فِي الْمَوْصِلِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَصَدَمَ سَوْرَ
سِنْجَارَ فَهَدَمَهُ ، وَأَخَذَ بَابَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ إِلَى مَسِيرَةِ أَرْبَعَةِ فَرَسَاتٍ .

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا جَاءَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ بِأَرْضِ الْبَصْرَةِ ، فَانْجَعَفَ^(٢) مِنْهَا نَحْوُ
مِنْ خَمْسَةِ^(٣) آلَافٍ نَخْلَةٍ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ ، أَبُو الْحُسَيْنِ السَّمْنَانِيُّ ، الْحَنْفِيُّ الْأَشْعَرِيُّ^(٤) . قَالَ
ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٥) : وَهَذَا مِنَ الْغَرِيبِ . تَزَوَّجَ قَاضِي الْقَضَاةِ^(٦) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ
ابْنَتَهُ ، وَوَلَّاهُ نِيَابَةَ الْقَضَاءِ ، وَكَانَ ثَقَّةً نَبِيلًا مِنْ ذَوِي الْهَيْمَاتِ ، جَاوَزَ الثَّمَانِينَ .

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ [١٩٣/٩ ظ] بْنِ سُلَيْمَانَ ، أَبُو مُحَمَّدٍ
الْكَتَّانِيُّ^(٧) الْحَافِظُ الدَّمَشْقِيُّ ، سَمِعَ الْكَثِيرَ ،^(٨) وَكُتِبَ كَثِيرًا ، وَصَنَّفَ فَأَجَادَ
وَأَفَادَ ، وَلَهُ فِي الْفَضَائِلِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ غَرِيبَةٌ ، وَبَعْضُ مَا يَرْوِيهِ مَوْضُوعٌ ، وَلَا يُنْبِئُهُ
عَلَيْهِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ ثَقَّةً ، ضَابِطًا ، حَافِظًا ، صَدُوقًا ، مُسْتَقِيمَ الطَّرِيقَةِ وَالْإِعْتِقَادِ^(٩) ،

= ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠) ص ٢٤ . وانظر ما تقدم في كتابنا ٨١٥/١٤ .

(١) في الأصل ، ص : « يمارستان » . والمَارِسْتَان : دار المرضى ، وهو معرب ، وأصله يمارستان . المعرب
للجوابي ص ٣٦٠ ، وتاج العروس (م ر س) .

(٢) في الأصل : « فاجتث » . وانجحف : انقلع . تاج العروس (ج ع ف) .

(٣) في خ ، م : « عشرة » .

(٤) تاريخ بغداد ٣٨٢/٤ ، والمنظوم ١٥٧/١٦ ، والكامل ٩٣/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٣٠٤/١٨ ،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ١٩٢ ، والجواهر المضية ٢٥٤/١ .

(٥) المنظوم ١٥٨/١٦ . والذي استغربه ابن الجوزي أن يكون الحنفى أشعرى .

(٦ - ٦) في خ ، م : « ابن » . وانظر الأنساب ٤٤٦/٢ .

(٧) في الأصل : « الكيلاني » ، وفي خ ، م : « الكتاني » . وانظر ترجمته في : تاريخ دمشق (ط . مجمع

اللغة العربية بدمشق) ٢٩٤/٤٢ ، والمنظوم ١٥٨/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٤٨/١٨ ، وتذكرة الحفاظ

١١٧٠/٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٠٢ .

(٨ - ٨) سقط من : خ ، م .

^(١) سَلَفَى المَذْهَبِ ، وقد كَتَبَ عنه الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عليٍّ بنِ إبراهيمَ بنِ جعفرٍ ، أبو بكرٍ العطارُ
الأصبهانيُّ ^(٢) الحافظُ ، مُسْتَمَلِي أبي نُعَيْمٍ ، سَمِعَ الكثيرَ ^(٣) ، وكانَ يُمَلِّى مِنْ
حِفْظِهِ ، وكتبَ عنه الخطيبُ حديثًا واحدًا ، وكانَ عَظِيمًا فِي بَلَدِهِ ، ثِقَةً نَبِيلاً
جَلِيلًا . وكانت وفاته في هذه السنة ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

الماورديُّ ^(٤) ، ذَكَرَ ابنُ الجَوَزيُّ أَنَّهَا كانتَ عَجُوزًا صالِحَةً مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ
تَعِظُ النِّسَاءَ بِهَا ، وكانت تَكْتُبُ وتَقْرَأُ ، ومَكثَتْ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ عُمرِهَا لا تُفْطِرُ
نَهَارًا ولا تَنَامُ لَيْلًا ، وتَقْنَتُ بِخَبْرِ الباقِلَاءِ ، وتَأْكُلُ مِنَ الثَّيْنِ اليَابِسِ لا الرُّطْبِ ،
وَشَيْئًا يَسِيرًا مِنَ العِنَبِ والزَّرْبِيبِ ^(٥) ، وَرُبَّمَا أَكَلَتْ مِنَ اللَّحْمِ اليَسِيرِ ، وَحِينَ تُوْفِيَتْ
تَبَعَ أَكْثَرُ أَهْلِ البَلَدِ جِنَازَتَهَا ، وَدُفِنَتْ فِي مَقَابِرِ الصَّالِحِينَ .

(١ - ١) سقط من : خ ، م .

(٢) تاريخ بغداد ٤١٧/١ ، والمنظوم ١٥٩/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣٨/١٨ ، وتذكرة الحفاظ ١١٥٩/٤ ،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢١٤ ، والوافي بالوفيات ٣٥٥/١ .

(٣) المنظوم ١٥٩/١٦ ، وصفة الصفوة ٤٧/٤ ، والنجوم الزاهرة ٩٧/٥ ، وأعلام النساء ١٣/٥ .

(٤) في خ ، م ، وصفة الصفوة : « الزيت » .

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربع مائة

فى صَفَرٍ منها^(١) مَرِضَ الخليفةُ القائمُ بأمرِ الله مَرَضًا شديدًا ؛ انْتَفَخَ مِنْهُ حَلْقُهُ ، وَاَمْتَنَعَ مِنَ الْقَصْدِ ، فلم يَزَلِ الوزيرُ فخرُ الدَّولةِ عليه حتى افْتَصَدَ ، فصلَحَ الحالُ ، وكان الناسُ قد انْزَعَجُوا ففَرَحُوا بعافِيَتِهِ .

وجاءَ فى هذا الشهرِ سَيْلٌ عظيمٌ ، قاسى الناسُ مِنْهُ شَدَّةً عظيمةً ، ولم تَكُنْ أَكْثَرُ أُبَيَّةٍ بَعْدَ تَكَامَلَتِ مِنَ الْعَرَقِ الْأَوَّلِ ، فخرجَ الناسُ إلى الصَّحراءِ فجلَسوا على رءوسِ التُّلُولِ تحتَ المطرِ .

ووقعَ وباءٌ عظيمٌ بالرَّحْبَةِ ، فماتَ مِنْ أَهْلِهَا قَرِيبٌ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ ، وكذلك وقعَ بَوَاسِطِ والبَصْرَةِ وخُوزِسْتَانَ وأَرْضِ خُرَاسَانَ وغيرها . واللهُ أعلمُ .

صفةُ موتِ الخليفةِ القائمِ بأمرِ الله :

افْتَصَدَ فى يومِ الخُميسِ الثامنِ والعِشرينِ مِنْ رَجَبٍ مِنْ مَاشَرًا^(٢) كانتْ تَعْتَاذُهُ مِنْ عَامِ الْعَرَقِ ، ثم نَامَ بَعْدَ ذَلِكَ فَاَنْفَجَرَ فِصَادُهُ ، فاستَيْقَظَ وقد سَقَطَتْ قُوَّتُهُ ، وحَصَلَ الْإِيَّاسُ مِنْهُ ، فاستَدْعَى بِحَفِيدِهِ وولِىَّ عَهْدَهُ مِنْ بَعْدِهِ عُذَّةَ الدِّينِ أبى القاسمِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ القائمِ ، وأَحْضَرَ إِلَيْهِ الْقَاضِيَّ وَالتَّجْبَاءَ ، وأَشْهَدَهُمْ عَلَيْهِ ثَانِيًا بولايَةِ الْعَهْدِ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَشَهِدُوا ، ثم كانتْ وفاتهُ لَيْلَةً

(١) المنتظم ١٦١/١٦ ، والكامل ٩٤/١٠ .

(٢) فى خ ، م : « بواسير » ، وفى الكامل ٩٤/١٠ : « شرى » . والمأشرا : ورم حار ينتج عن دم صفراوى يعمُ الوجه ، وربما غطى العين . الموجز فى الطب ص ١٧٤ .

الخميس الثالث عشر من شعبان عن أرزيع وسبعين سنة، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً، فلم يتلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة، وقد جاوزت خلافة أبيه أربعين سنة، فكان مجموع أيامهما خمساً وثمانين سنة وأشهرًا، وذلك مقارب لدولة بنى أمية كلها، وقد كان القائم بأمر الله جميلًا مليح الوجه، أبيض، مُشربًا حمرة، فصيحًا، ورعًا، زاهدًا، أديبًا، كاتبًا، بليغًا، شاعرًا، كما تقدم^(١) ذكر شيء من شعره وهو بحديثه عانة سنة خمسين، وكان عادلاً كثير الإحسان إلى الناس، رحمه الله.

وغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلّي؛ عن وصية الخليفة بذلك، فعرض على الشريف أبي جعفر ما هنالك من الأثاث والأموال، فلم يقبل منه شيئًا، وصلى على الخليفة في صبيحة يوم الخميس المذكور، ودُفن عند أجداده، ثم نُقل إلى الرصافة، فقبره يُزار إلى الآن، وغُلقت الأسواق لموته، وغُلقت المسوح، وناحت عليه نساء الهاشميين وغيرهم، وجلس الوزير ابن جهمير وابنه للعزاء على الأرض، وخرق الناس ثيابهم، وكان يومًا عصيبًا، واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام، وقد كان [١٩٤/٩] من خيار بنى العباس دينًا واعتقادًا ودولةً، وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري التي اقتضت إخراجهم من داره ومفارقته أهله وأولاده ووطنه، فأقام بحديثه عانة سنة كاملة، ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته وخلافته، كما قال الشاعر^(٢):

(١) تقدم في ٧٦٩/١٥.

(٢) البيت للفرزدق، انظر ديوانه ص ٢٢٣.

فَأُصْبِحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ
وقد تقدّم له فى ذلك سلف صالح كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص : ٣٤] وقد ذكرنا ملخص ما ذكره
المفسّرون فى سورة « ص » ^(١) ، وبسطنا الكلام فى هذه القصة العباسيّة والفتنة
البتّاسيريّة فى سنة خمسين ، وإحدى وخمسين وأربعمائة .

خِلَافَةُ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ

وهو أبو القاسم عدّة الدين عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين محمد بن الخليفة
القائم بأمر الله عبد الله بن القادر العباسي ، وأمه أرمينية تسمى أَرْجَوَان ، وتُدعى
قُوَّة العَيْن ، وأدركت خلافته ، وخلافته ولديه ؛ المُسْتَظْهِر والمُسْتَرْشِد . وقد كان
أبوه تُوفى وهو حَمَلٌ ، فحين وُلِدَ ذَكَرَا فَرِحَ جَدُّهُ والمسلمون به فَرَحًا شَدِيدًا ؛ إِذْ
حَفِظَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَقَاءَ الْخِلَافَةِ فِي الْبَيْتِ الْقَادِرِيِّ ؛ لِأَنَّ مَنْ عَدَاهُمْ يَتَذَلُّونَ
فِي الْأَسْوَاقِ مَعَ الْعَوَامِّ ، وَكَانَتِ الْقُلُوبُ تَنْفِرُ مِنْ تَوَلِيَةِ مِثْلِ أَوْلَئِكَ الْخِلَافَةِ عَلَى
النَّاسِ ، وَنَشَأَ هَذَا فِي حِجْرِ جَدِّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ يُرِيهِ بِمَا يَلِيقُ بِأَمْنَالِهِ ، وَيُدْرِبُهُ عَلَى
أَحْسَنِ السَّجَايَا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ، وَكَانَ عُمُرُ الْمُقْتَدِي حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ عَشْرِينَ
سَنَةً ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ خَلْقًا وَخُلُقًا ، وَكَانَتْ يَتَعَتَّهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّالِثَ عَشَرَ
مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَجَلَسَ فِي دَارِ الشَّجَرَةِ ، بِقَمِيصٍ أَيْضَ ، وَعِمَامَةٍ
يَبِيضَاءَ لَطِيفَةٍ ، وَطَرَحَ قَصَبَ دُرِّيَّةٍ ، وَجَاءَ الْوُزَرَاءُ وَالْأَمْرَاءُ وَالْأَشْرَافُ وَوُجُوهُ
النَّاسِ فَبَايَعُوهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ أَبِي مُوسَى الْحَنْبَلِيُّ ،

(١) التفسير ٥٧/٧ - ٦١ .

وَأَنشَدَهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ^(١) :

* إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى^(٢) قَامَ سَيِّدٌ *

ثم أُرْتِجَ عَلَيْهِ فلم يَدْرِ ما بَعْدَهُ ، فقالَ الخليفةُ :

* قَتُولٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولٌ *

وبَإِيَّاهُ مِنْ شُيُوخِ الْعِلْمِ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيُّ ، وَالشَّيْخُ أَبُو نَصْرِ بْنِ الصَّبَّاحِ ، الشَّافِعِيَّانِ ، وَالشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ الْحَنْبَلِيُّ ، وَبَرَزَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ الْعَصْرَ ، ثُمَّ بَعْدَ سَاعَةٍ أَخْرَجَ تَابُوتَ جَدِّهِ بِسُكُونٍ وَوَقَارٍ مِنْ غَيْرِ ضَرَاخٍ وَلَا نَوْحٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَحُمِلَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ كَانَ الْمُقْتَدِي بِاللَّهِ شَهْمًا شُجَاعًا ، أَيَّامُهُ كُلُّهَا مُبَارَكَةً ، وَالرِّزْقُ دَارٌّ ، وَالْخِلَافَةُ مُعْظَمَةٌ جَدًّا ، وَتَصَاغَرَتْ الْمُلُوكُ لَهُ ، وَتَضَاعَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَالشَّامَاتِ كُلِّهَا ، وَاسْتَرْجَعَ الْمُسْلِمُونَ الرُّهَا وَأَنْطَاكِيَّةَ مِنْ أَيْدِي الْعُدُوِّ ، وَعُمِّرَتْ بَغْدَادُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَاسْتَوَزَرَ ابْنَ جَهْمٍ ، ثُمَّ أَبَا شُجَاعٍ ، ثُمَّ أَعَادَ ابْنَ جَهْمٍ ، وَقَاضِيَهُ الدَّامَغَانِيَّ ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ الشَّامِيُّ^(٣) ، وَهُؤُلَاءِ مِنْ خِيَارِ الْقُضَاةِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَفِي شَعْبَانَ أَخْرَجَ الْمُفْسِدَاتِ مِنَ الْخَوَاطِئِ مِنْ بَغْدَادَ عَلَى حُمْرَاتٍ يُنَادِينَ عَلَى أَنْفُسِهِنَّ بِالْعَارِ وَالْفَضِيحَةِ ، وَخَرَّبَ دَوْرَهُنَّ ، وَأَسْكَنَهُنَّ الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ ، وَخَرَّبَ أَثَرِجَةَ الْحَمَامِ ، وَمَنَعَ مِنَ اللَّعِبِ بِهَا ، وَأَلْزَمَ النَّاسَ بِالْمَازِرِ فِي الْحَمَامَاتِ ،

(١) البيت للسموأل ، انظر ديوان السموأل ص ٩١ طبعة دار صادر .

(٢) في مصدر التخريج : « خلا » .

(٣) في النسخ : « الشاشي » . والمثبت من المنتظم ١٧/١٦٦ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/٨٥ .

وَمَعَ أَصْحَابِ الْحَمَامَاتِ أَنْ يَصْرِفُوا فَضْلَاتِهَا إِلَى دِجْلَةٍ ، وَأَلْزَمَهُمْ بِحَفْرِ آبَارٍ لَتِلْكَ
الْمِيَاهِ الْقَدِيرَةِ ؛ صَيَانَةَ لِمَاءِ الشَّرْبِ .

وَفِي سُؤَالٍ وَقَعَتْ نَارٌ فِي أَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ بِبَغْدَادَ ، حَتَّى فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ،
فَأُخْرِقَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الدُّورِ وَالذَّكَائِكِينَ .

وَوَقَعَ بِوَاسِطِ حَرِيقٍ فِي تِسْعَةِ أَمَاكِنَ ، وَاخْتَرَقَ فِيهَا أَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ دَارًا وَسِتَّةَ
خَانَاتٍ ، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً غَيْرُ ذَلِكَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَفِيهَا عُيِّلَ الرِّصْدُ لِلسُّلْطَانِ مَلِكُشَاهُ ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ
الْمُنْجَبِينَ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، وَبَقِيَ الرِّصْدُ دَائِرًا حَتَّى مَاتَ السُّلْطَانُ فَبَطَلَ .

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ أُعِيدَتِ الْخُطْبَةُ بِمَكَّةَ لِلْمَصْرِيِّينَ وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ الْعَبَّاسِيِّينَ ،
وَذَلِكَ لَمَّا قَوَّى أَمْرُ صَاحِبِ مِصْرَ بَعْدَ مَا كَانَ ضَعِيفًا بِسَبَبِ غِلَاءِ بَلَدِهِ ، فَلَمَّا
أُرْخِصَتْ تَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا ، وَطَابَ [١٩٤/٩ ظ] الْعِيشُ بِهَا ، وَقَدْ كَانَتِ الْخُطْبَةُ
الْعَبَّاسِيَّةُ بِمَكَّةَ أَرْبَعَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، وَسَتَعُوذُ كَمَا كَانَتْ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ
فِي مَوْضِعِهِ .

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ انْجَفَلَ أَهْلُ السَّوَادِ مِنْ شِدَّةِ الْوَبَاءِ وَقَلَّةِ مَاءِ دِجْلَةٍ وَنَقْصِهَا .
وَحَجَّ بِالنَّاسِ الشَّرِيفُ أَبُو طَالِبِ الْحُسَيْنِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّيِّنِيِّ ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ
لِلْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ^(١) ، وَقَدْ ذَكَرْنَا شَيْئًا مِنْ تَرْجُمَتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ

(١) تاريخ بغداد ٣٩٩/٩ ، والإنباء في تاريخ الخلفاء ص ١٨٨ ، والمنظم ٢٩٥/٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/

٣٠٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٢٦ ، والوفاء بالوفيات ٢٠/١٧ .

وفاته، رحمه الله.

الداودي راوي « صحيح البخاري »، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر ابن محمد بن داود، أبو الحسن^(١) بن أبي طلحة الداودي، وُلد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، سمع الكثير، وتفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وأبي بكر القفال، وصحب أبا علي الدقاق، وأبا عبد الرحمن الشلمي، وكتب الكثير ودرس وأفتى وصنف، ووعظ الناس، وكانت له يدٌ طولى فى التَّظْمِ والتَّثْرِ، وكان مع ذلك كثير الذكر، لا يفتُر لسانه عن ذكرِ الله تعالى، دخل عليه يوماً الوزير نظامُ الملك فجلس بين يديه، فقال له الشيخ^(٢): « إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَّطَكَ عَلَى عِبَادِهِ، فَانْظُرْ كَيْفَ تُجِيبُهُ إِذَا سَأَلَكَ عَنْهُمْ. » وكانت وفاته ببوشنج^(٣) فى هذه السنة وقد جاوز التسعين. ومن شعره قوله^(٤):

كان فى الإجماعِ بالناسِ نورٌ فمضى النورُ واذلهم الظلامُ
فسد الناسُ والزمانُ جميعاً فعلى الناسِ والزمانِ السلامُ

أبو الحسنِ عليّ بنِ الحسنِ بنِ عليّ بنِ أبي الطَّيِّبِ البَاخَرَزِيِّ^(٥)، الشاعرُ المشهورُ، اشتغل أولاً على الشيخِ أبي محمدِ الجويني، ثم عدل إلى الكتابةِ

(١) فى الأصل، خ، ص: « الحسين »، وانظر ترجمته فى: المنتظم ١٦/١٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/٢٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٣٢، وفوات الوفيات ٢/٢٩٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/١١٧، وطبقات المفسرين ١/٢٨٨.

(٢) المنتظم ١٦/١٦٩.

(٣) بوشنج: بليدة من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ. معجم البلدان ١/٧٥٨.

(٤) المنتظم ١٦/١٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/٢٦٦، وفوات الوفيات ٢/٢٩٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/١٢٠.

(٥) معجم الأدباء ١٣/٣٣، ووفيات الأعيان ٣/٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٣٨، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/٢٥٦.

والشعر، ففاقَ أقرانه، وله ديوانٌ مشهورٌ، فمنه^(١) :

وإنِّي لأشكو لَسَعِ أَصْدَاغِكَ الَّتِي عَقَارِبُهَا فِي وَجْنَتَيْكَ تَحُومُ
وَأُنْكِي لَدُرَّ الثَّغْرِ مِنْكَ وَلِي أَبٌ فَكَيْفَ يُدِيمُ الضَّحْكَ وَهُوَ يَتِيمُ

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٨.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة^(١)

قال ابن الجوزي^(٢): جاء جرّاد في شعبان بعدد الرمل والحصى، فأكل الغلات، وأكّدى^(٣) أكثر الناس وجاعوا، فطحن الخثوب بدقيق الدخن^(٤) فأكلوه، ووقع الوباء، ثم منع الله الجرّاد من الفساد، فكان يمر ولا يضر، فرخصت الأسعار. قال: ووقع غلاء شديد بدمشق واستمر ثلاث سنين.

وفيها ملك نصر بن محمود بن صالح بن مرّداس مدينة منبج، وأجلى عنها الروم، ولله الحمد.

وفي ذى القعدة من هذه السنة ملك الأقيس مدينة دمشق، وهزم عنها المعلّى ابن حيدرّة نائب المستنصر العبيدي إلى مدينة بانياس، وخطب فيها للمقتدى، وقطعت خطبة المضرين عنها إلى الآن، فاستدعى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات في السجن^(٥).

(١) المنتظم ١٦/١٧١، والكامل ٩٩/١٠.

(٢) المنتظم ١٦/١٧١.

(٣) في النسخ «كدى» ويقال: أكّدى الرجل: افتقر بعد غنى انظر اللسان (كدى).

(٤) الدخن: نبات عشبي، حبه صغير أملس كحب السمسم، ينبت برياً ومزروعاً. الوسيط (دخ ن).
(٥) بعده في خ، م: «قلت: الأقيس هذا هو أئمز بن أوف الخوارزمي. ويلقب بالملك العظيم، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين، وأزال الأذان منها بحى على خير العمل، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام، مائة وست سنين، وكان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين، ونشر العدل وأظهر السنة، وهو أول من أسس القلعة بدمشق، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو، فبناها في محلها هذه التي هي فيها اليوم، وكان موضعها بباب البلد يقال له: =

وحجَّ بالناس في هذه السنة مُقَطَّعَ الكُوفَةِ ، وهو الأمير ^(١) خُتْلُغُ بْنُ كَنْتِكِينَ التركى ، ويُعرَفُ بالطَّوِيل ، وكان قد شَرَّدَ خَفَاجَةً في البلادِ وقَهَرَهُمْ ، ولم يَصْحَبْ معه سِوَى سِتَّةِ عَشَرَ تُرْكِيًّا ، فوصلَ سالماً إلى مَكَّةَ [١٩٥/٩] ، ولَمَّا نَزَلَ ببعض دُورِها كبسه بعضُ العبيدِ ، فقتلَ فيهم مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وهزَمَهُم هَزِيمَةً شَنِيعَةً ، ثم إنَّما كان يَنْزِلُ بعد ذلك بالزَّاهِرِ ؛ قاله ابنُ السَّاعِي في « تاريخه » . وأُعِيدَتِ الحُطْبَةُ في ذِي الحِجَّةِ بِمَكَّةَ لِلْعَبَّاسِيِّينَ ، وَقُطِعَتْ حُطْبَةُ الْمِصْرِيِّينَ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ .

وَمَنْ تُوِّفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

محمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ^(٢) بْنِ مُحَمَّدٍ ^(٢) بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ أَبِي مُوسَى ، أَبُو تَمَّامِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ ، الْهَاشِمِيُّ ، نَقِيبُ الْهَاشِمِيِّينَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى الْفَقِيهِ الْحَنْبَلِيِّ ، رَوَى الْحَدِيثَ ، وَسَمِعَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي ، وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ .

محمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ عَبْدِوَسٍّ ، أَبُو بَكْرِ الصَّفَّارُ ^(٣) ، مِنْ أَهْلِ

= باب الحديد . وهو تجاه دار رضوان منها ، وكان ابتداء ذلك في السنة الآتية ، وإنما أكملها بعده الملك المظفر تتش بن ألب أرسلان السلجوقي كما سيأتى بيانه .

(١ - ١) في الأصل : « ختلع الشكين » ، وفي ص : « ختلع الفتكين » ، وفي خ : « جعل البيكنى جعل » ، وفي م : « السكينى جنفل » ، وفي مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٦ : « قتلغ » . والمثبت من المنتظم ٢٦٢/١٦ ، والنجوم الزاهرة ١٢٣/٥ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، خ ، م . وانظر ترجمته في : المنتظم ١٧٤/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٦٨ .

(٣) المنتظم ١٧٤/١٦ ، والكامل ١٠١/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣٧/١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٦٩ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٩٤/٤ .

نَيْسَابُورَ؛ سَمِعَ الْحَاكِمَ وَأَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشُّلَمِيَّ وَخَلَقًا، وَتَفَقَّهُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْجَوْنِيِّ، وَكَانَ يَخْلُقُهُ فِي خَلْقَتِهِ.

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو الْحَسَنِ ^(١) الْبَيْضَاوِيُّ الشَّافِعِيُّ، خَتَنُ أَبِي الطَّبَّيْبِ الطَّبْرِيِّ عَلَى ابْنَتِهِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ ثَقَّةً خَيْرًا، تُوفِّيَ فِي شَعْبَانَ مِنْهَا، وَتَقَدَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو نَصْرِ بْنِ الصَّبَّاحِ، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّمَغَانِيُّ مَأْمُومًا، وَدُفِنَ بِدَارِهِ فِي قُطَيْعَةِ الْكَرْخِ.

مُحَمَّدُ ^(٢) بْنُ نَصْرِ بْنِ صَالِحٍ، أَمِيرُ حَلَبَ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَهَا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ شَكْلًا وَفِعْلًا.

مَسْعُودُ ^(٣) بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٣) بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، أَبُو جَعْفَرٍ الْبِيَّاضِيُّ الشَّاعِرُ، وَمِنْ شِعْرِهِ ^(٤):

لَيْسَ لِي صَاحِبٌ مُعَيَّنٌ سِوَى اللَّهِ لِي إِذَا طَالَ بِالصُّدُودِ عَلِيًّا
أَنَا أَشْكُو بُعْدَ الْحَبِيبِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَشْكُو بُعْدَ الصَّبَّاحِ إِلَيَّا

(١) فِي النُّسخ: «الحسين». وَاُنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: تَارِيخُ بَغْدَادَ ٢٣٩/٣، وَالْمُنْتَظَمُ ١٧٤/١٦، وَالكَامِلُ ١٠١/١٠، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٦٩، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكِ ١٩٦/٤.

(٢) فِي النُّسخ: «محمد». وَاُنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: الْمُنْتَظَمُ ١٧٥/١٦، وَالكَامِلُ ١٠٥/١٠، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٥٨/١٨، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٤٤، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٢٩/٣.

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: النُّسخ، وَالْمُنْتَظَمُ ١٧٥/١٦، وَالكَامِلُ ١٠١/١٠. وَاُنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: دُمِيَّةُ الْقَصْرِ ٣٧٣/١، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ١٩٧/٥، وَالمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ١٩٢/٢، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤٠٩/١٨، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٧١ وَفِيهِ: «مَسْعُودُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ».

(٤) الْبَيْتَانِ فِي الْمُنْتَظَمِ ١٧٥/١٦، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٠٣/٥.

وله أيضًا^(١) :

يا مَنْ لَبِسْتُ لَهُجْرَهُ ثَوْبَ الضَّنَى حتى خَفِيتُ بِهِ عَنِ الْعَوَادِ
وَأَنَسْتُ بِالسَّهْرِ الطَّوِيلِ فَأُنْسِيتُ أَجْفَانُ عَيْنِي كَيْفَ كَانَ رُقَادِي
إِنْ كَانَ يُوشَفُ بِالْجَمَالِ مُقَطَّعَ الْ أَيَّدِي فَأَنْتَ مُفَتَّتُ الْأَكْبَادِ

الوَاحِدِيُّ الْمَفْسَرُ

أبو الحسن علي بن^(٢) أحمد بن^(٣) محمد بن^(٣) علي بن مثنويه الواحدي، قال ابن خلكان^(٤) : لا أدرى هذه النسبة إلى ماذا، وهو صاحب التفاسير الثلاثة : « البسيط »، و « الوسيط » و « الوجيز ». قال : ومنه أخذ الغزالي أسماء كُتِبَ . قال : وله « أسباب النزول »، و « التَّحْيِيرُ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى »، وقد شرح « ديوان المتنبي » وليس في شروحه - مع كثرتها - مثله . قال : وقد رُزِقَ السَّعَادَةَ فِي تَصَانِيفِهِ، وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى حُسْنِهَا وَذَكَرَهَا الْمُدَرِّسُونَ فِي دُرُوسِهِمْ، وَقَدْ أَخَذَ التَّفْسِيرَ عَنِ الثَّعَالِبِيِّ، وَقَدْ مَرَضَ الْوَاحِدِيُّ مُدَّةً، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ بَنِيَسَابُورَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

(١) الأبيات في المنتظم ١٦/١٧٥، ١٧٦، والكامل ١٠/١٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٧٢.

(٢) بعده في م : « حسن بن »، وانظر ترجمته في : إنباه الرواة ٢/٢٢٣، ووفيات الأعيان ٣/٣٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/٢٤٠، وغاية النهاية ١/٥٢٣، وطبقات المفسرين للدواودي ١/٣٨٧.

(٣ - ٣) سقط من: النسخ . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة .

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٠٣.

ناصرُ بنُ محمدٍ بنِ عليٍّ ، أبو منصورٍ التُّركِيُّ المصافريُّ^(١) ، وهو والدُ
الحافظِ محمدِ بنِ ناصرٍ ، قرأ القراءاتِ ، وسمع الكثيرَ ، وهو الذي تَوَلَّى قِراءةَ
« التاريخ » على الخطيبِ بجامعِ المنصورِ ، وكان ظريفاً صبيحاً ، مات شاباً دونَ
الثلاثين سنةً [١٩٥/٩ ط] في ذى القعدةِ منها ، وقد رثاه بعضهم بقصيدةٍ طويلةٍ
أوردَها كلُّها ابنُ الجوزيِّ في « المنتظم »^(٢) .

يُوسُفُ بنُ محمدٍ بنِ يُوسُفَ بنِ الحُسنِ ، أبو القاسمِ الهَمْدانيُّ^(٣) ، سَمِعَ
وجَمَعَ وصنَّفَ ، وانتَشَرَتْ عنه الروايةُ ، وكانت وفاته في هذه السنة وقد قاربَ
التسعين .

(١) في الأصل : « المصافري » ، وفي ص : « الضافري » ، وفي خ ، م : « الصافري » . والمثبت من المنتظم
١٧٦/١٦ ، وله ترجمة في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٧٤ .
(٢) المنتظم ١٧٧/١٦ - ١٧٩ .
(٣) المنتظم ١٧٩/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣٤٨/١٨ ، والعبير ٢٦٨/٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٧٧ ، ومراة الجنان ٩٧/٣ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ^(١)

فى المحَرَّمِ^(٢) مَرِضَ الخَلِيفَةُ مَرَضًا شَدِيدًا فَأَرْجَفَ النَّاسُ بِهِ ، فَرَكِبَ حَتَّى رَأَى النَّاسَ جَهْرَةً فَسَكَنُوا .

وفى جُمَادَى الآخِرَةِ زَادَتْ دِجْلَةُ زِيَادَةً كَثِيرَةً ؛ إِحْدَى وَعَشْرِينَ ذِرَاعًا وَنِصْفًا ، فَنَقَلَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ ، وَخِيفَ عَلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَتَقَلَّ تَابُوتُ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْلًا إِلَى الثَّرْبِ بِالرُّصَافَةِ .

وفى شَوَّالٍ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْحَنَابِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ ابْنَ الْقُشَيْرِيِّ قَدِمَ بَغْدَادَ فَجَلَسَ يَتَكَلَّمُ فِى الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ ، وَأَخَذَ يَذُمُّ الْحَنَابِلَةَ وَيَنْسُبُهُمْ إِلَى التَّجْسِيمِ ، وَسَاعَدَهُ أَبُو سَعِيدٍ الصُّوفِيُّ ، وَمَالَ مَعَهُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيُّ ، وَكَتَبَ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ يَشْكُو إِلَيْهِ الْحَنَابِلَةَ وَيَسْأَلُهُ الْمَعُونَةَ ، وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى

(١) بعده فى خ ، م : « فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المعظم أُنْزِلَ بن أوف الخوارزمى لما انتزع دمشق من أيدي العبيدين فى السنة الماضية ، شرع فى بناء هذا الحصن المنيع بدمشق فى هذه السنة ، وكان فى مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانية منها ، وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقى ، فأكملها وأحسن عمارتها ، وابتنى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء فى أيام نور الدين محمود بن زنكى ، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئًا ، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها دارًا هائلة للمملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين اقتسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجًا منها جده وعلاه وأطده وأكده ، ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربى القبلى ، ثم ابتنى بعده فى دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، نائبه الشجاعى الطارمة الشمالية والقبعة الزرقاء وما حولها .

(٢) المنتظم ١٦ / ١٨٠ ، والكامل ١٠ / ١٠٣ .

الشَّريْف أبي جَعْفَرِ بْنِ أَبِي مُوسَى شَيْخِ الحَنَابِلَةِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ ، فِدَاعَ عَنْهُ
أَخْرُونَ ، وَقُتِلَ رَجُلٌ خَيَّاطٌ مِنْ سُوقِ الثَّلَاثَاءِ^(١) ، وَجُرِحَ آخَرُونَ ، وَثَارَتِ الْفِتْنَةُ ،
وَكَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ ، وَأَبُو بَكْرِ الشَّاشِيُّ إِلَى نِظَامِ الْمَلِكِ ، فَجَاءَ كِتَابُهُ إِلَى
فَخْرِ الدَّوْلَةِ يُنْكِرُ مَا وَقَعَ ، وَيَكْرَهُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بَنَاهَا شَيْءٌ مِنْ
ذَلِكَ ، وَعَزَمَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ عَلَى الرَّحْلَةِ مِنْ بَغْدَادَ ؛ غَضَبًا مِمَّا وَقَعَ مِنَ الشَّرِّ ،
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يُسَكِّنُهُ ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَأَبَى سَعْدِ
الصُّوفِيِّ ، وَأَبَى نَصْرِ بْنِ الْقُشَيْرِيِّ عِنْدَ الْوَزِيرِ ، فَأَقْبَلَ الْوَزِيرُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ يُعْظِمُهُ
فِي الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ ، وَقَامَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ فَقَالَ : أَنَا ذَلِكَ الَّذِي كُنْتَ تَعْرِفُهُ
وَأَنَا شَابٌّ ، وَهَذِهِ كُتَيْبِي فِي الْأَصُولِ ، أَقُولُ فِيهَا خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ . ثُمَّ قَبَّلَ رَأْسَهُ ،
فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ : صَدَقْتَ ، إِلَّا أَنَّكَ لَمَّا كُنْتَ فَقِيرًا لَمْ تُظْهِرْ لَنَا مَا فِي نَفْسِكَ ،
فَلَمَّا جَاءَ الْأَعْوَانُ وَالسُّلْطَانُ وَخَوَاجَا بُزْرُكُ^(٢) - يَعْنِي نِظَامَ الْمَلِكِ - أَبْدَيْتَ مَا
كَانَ مُخْتَفِيًا فِي نَفْسِكَ . وَقَامَ الشَّيْخُ أَبُو سَعْدِ الصُّوفِيِّ فَقَبَّلَ رَأْسَ الشَّرِيفِ أَبِي
جَعْفَرٍ أَيْضًا وَتَلَطَّفَ بِهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ مُغَضَّبًا وَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، أَمَّا الْفُقَهَاءُ إِذَا
تَكَلَّمُوا فِي مَسَائِلِ الْأَصُولِ فَلَهُمْ فِيهَا مَدْخَلٌ ، وَأَمَّا أَنْتَ فَصَاحِبُ لَهْوٍ وَسَمَاعٍ
وَتَعْبِيرٍ ، فَمَنْ زَاخَمَكَ مَنَّا عَلَى بَاطِلِكَ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، أَيُّ صُلْحٍ بَيْنَنَا ،
وَنَحْنُ نُوَجِّبُ مَا نَعْتَقِدُهُ وَهُمْ يُحَرِّمُونَ ؟! وَهَذَا جَدُّ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمُ ، وَالْقَادِرُ قَدْ
أَظْهَرَ اعْتِقَادَهُمَا لِلنَّاسِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالسَّلَفِ ، وَنَحْنُ عَلَى
ذَلِكَ ، كَمَا وَافَقَ عَلَيْهِ الْعِرَاقِيُّونَ وَالْحَرَّاسَانِيُّونَ ، وَقُرِئَ عَلَى النَّاسِ فِي الدَّوَاوِينِ

(١) فِي خ ، م : « التَّبَنِ » . وَسُوقُ الثَّلَاثَاءِ : مَحَلَّةُ بَيْغَدَادَ . تَاجُ الْعُرُوسِ (س و ق) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « بَزْرُك » ، وَفِي خ ، م ، ص : « بَزْك » . وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْمُنْتَظَمِ ، وَبَزْرُكُ أَعْجَمِيَّةٌ ، وَمَعْنَاهَا :
الْكَبِيرُ أَوِ الْعَظِيمُ ، لُقِّبَ بِهَا الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ . الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (ب ز ر ك) ، وَتَبْصِيرُ الْمُنْتَبِهَةِ ٨٠ / ١ .

كلّهما . فأرسلَ الوزيرُ إلى الخليفة يُعلِّمه بما جرى ، فجاءَ الجوابُ بِشُكْرِ الجماعةِ
وخصوصًا الشَّريفِ أبا جعفرٍ ، [١٩٦/٩ و] ثم استُدعي إلى دارِ الخلافةِ للسلامِ
عليه ، والتَّبرُّكِ بِدُعائه .

قال ابنُ الجوزي^(١) : وفي ذى القَعْدَةِ كَثُرَتِ الأمراضُ في الناسِ بِبَغْدَادَ
ووَاسِطِ والسَّوَادِ ، ووَرَدَ الخبرُ بأنَّ الشَّامَ كذلك .

وفي هذا الشهرِ أزيلَتِ المُنكَرَاتُ والبَغَايَا بِبَغْدَادَ ، وهَرَبَ الفُسَّاقُ منها . وفيها
مَلَكَ حَلَبَ نصرُ بنُ محمودٍ بنِ مِرْدَاسٍ بعدَ وفاةِ أبيه .

وفيها تزوَّجَ الأميرُ عليُّ بنُ أبي مَنْصُورٍ بنِ فَرَامَزَرٍ^(٢) بنِ علاءِ الدولةِ بنِ
كَالَوَيْهِ^(٣) السَّتَّ أَرْسَلَانَ خاتونَ بنتَ داودَ عَمَّةَ السُّلْطَانِ مَلِكُشَاه^(٤) ، وكانتْ
زوجةَ القائمِ بِأَمْرِ اللَّهِ .

وفيها حاصرَ الأَقْسِيسُ صاحبُ دِمَشْقَ مِصْرَ ، وضَيَّقَ على صاحبِها المُسْتَنْصِرِ
بِاللَّهِ ، ثم كَرَّرَ راجعًا إلى دِمَشْقَ . وحجَّ بالناسِ فيها الأميرُ خُتْلُغُ^(٥) التُّركِيُّ ، مُقْطَعُ
الْكُوفَةِ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَسْبَهْدُوسْتُ^(٦) بنُ مُحَمَّدٍ بنِ الْحَسَنِ ، أَبُو مَنْصُورٍ الدَّيْلَمِيُّ الشَّاعِرُ ، لَقِيَ

(١) المنتظم ١٨٣/١٦ ، ١٨٤ .

(٢) في خ ، م : « قرامز » .

(٣) في الكامل ١٠٥/١٠ : « كاكويه » .

(٤) في النسخ : « ألب أرسلان » . والمثبت من الكامل ١٠٥/١٠ . وانظر ما تقدم في ١٠٦/١٢ ، ١٠٧ مطبوع .

(٥) في الأصل ، ص : « ختلغ » ، وفي خ : « خليغ » ، وفي م : « جنفل » . وكذا فيما سيأتي من مواضع .

والمثبت مما تقدم في ١١٣/١٢ .

(٦) في خ : « استدرست » ، وفي م : « اسفهدوست » . وانظر ترجمته في : المنتظم ١٨٤/١٦ ، وفيه : =

أبا عبد الله بن الحجاج ، وعبد العزيز بن نباتة ، وغيرهما من الشعراء ، وكان شيعيًا
فتاب ، وقال قصيدة في ذلك منها^(١) :

وَإِذَا سُئِلْتُ عَنْ اعْتِقَادِي قُلْتُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُ الْأَبْرَارِ
وَأَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صِدِّيقُهُ وَأَنْيَسُهُ فِي الْغَارِ
ثُمَّ الثَّلَاثَةُ بَعْدَهُ خَيْرُ الْوَرَى أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ سَادَةِ أَطْهَارِ
هَذَا اعْتِقَادِي وَالَّذِي أَرْجُوهُ فَوْزِي وَعِثْقِي مِنْ عَذَابِ النَّارِ

طاهر بن أحمد بن بابشاذ ، أبو الحسن المصري^(٢) النَّحْوِيُّ ، سَقَطَ مِنْ
سَطْحِ جَامِعِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمَضَرَ ، فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ
السَّنَةِ . قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلَّكَانَ^(٣) : كَانَ بِمَضَرَ إِمَامَ عَصْرِهِ فِي النَّحْوِ ، وَلَهُ
الْمُصَنَّفَاتُ الْمَفِيدَةُ ، مِنْ ذَلِكَ « مُقَدِّمَتُهُ » وَ« شَرْحُهَا » وَ« شَرْحُ الْجُمَلِ »
لِلزَّجَّاجِيِّ . قَالَ^(٤) : وَكَانَتْ وَظِيفَتُهُ بِمَضَرَ أَنَّهُ لَا تُكْتَبُ الرِّسَالُ فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ
إِلَّا عَرِضَتْ عَلَيْهِ ، فَيُضْلِحُ مِنْهَا مَا فِيهِ خَلَلٌ ، ثُمَّ تُنْفَذُ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي عُيِّنَتْ لَهَا ،
وَكَانَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ مَعْلُومٌ وَرَاتِبٌ جَيِّدٌ . قَالَ^(٤) : فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ يَوْمًا مَعَ
بَعْضِ أَصْحَابِهِ طَعَامًا ، فَجَاءَ قِطٌّ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا ، فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ سَرِيعًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ
فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا آخَرَ ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ سَرِيعًا ، ثُمَّ جَاءَ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا أَيْضًا ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا

= اسبهدوست ، والكمال ١٠٦/١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٨١ ،
والنجوم الزاهرة ١٠٤/٥ وفيه : «إسفيدوست» .

(١) الأبيات في المنتظم ١٦/١٨٥ ، والبيتان الأولان في الكامل ١٠٦/١٠ .

(٢) في النسخ : «البصري» . وانظر ترجمته في : معجم الأدباء ١٢/١٧ ، وإنباه الرواة ٢/٩٥ ، ووفيات
الأعيان ٢/٥١٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/٤٣٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ)
ص ٢٨٩ .

(٣) وفيات الأعيان ٢/٥١٥ .

(٤) المصدر السابق ٢/٥١٦ .

يَأْكُلُ هَذَا كُلَّهُ ، فَتَتَّبِعُوهُ فَإِذَا هُوَ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى قِطْ آخَرَ أَعْمَى فِي سَطْحٍ هُنَاكَ ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! هَذَا حَيَوَانٌ بِهِمْ قَدْ سَأَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ رِزْقَهُ عَلَى يَدٍ غَيْرِهِ ، أَفَلَا يَزُوقُنِي وَأَنَا عَبْدُهُ . ثُمَّ تَرَكَ مَا كَانَ لَهُ مِنَ الرَّاتِبِ وَجَمَعَ حَوَاشِيَهُ وَأَقْبَلَ عَلَى الْإِسْتِغَالِ وَالْمُلَازِمَةِ فِي غُرْفَةٍ فِي جَامِعِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، إِلَى أَنْ مَاتَ وَقَدْ جَمَعَ تَغْلِيْقَةً فِي النَّحْوِ قَرِيبًا مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ مُجَلَّدًا ، فَأَصْحَابُهُ كَاتِبٌ بَرِيٌّ وَغَيْرِهِ يَنْقُلُونَ مِنْهَا وَيَتَفَعَّلُونَ بِهَا ، وَيُسَمُّونَهَا « تَغْلِيْقَ الْغُرْفَةِ » .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُجْمَعِ ^(١) « بِنِ مُجِيبِ »
ابنِ مُحَمَّدٍ بْنِ بَحْرِ ^(٢) « بِنِ مَعْبُدِ بْنِ هَزَازْمَرْدَ ، أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّرِيْفِيْنِي ، وَيُعرفُ
بَابِنِ الْمُعَلِّمِ ، أَحَدُ مَشَايِخِ الْحَدِيثِ الْمُشْنِدِيْنَ الْمُشْهُوْرِيْنَ ، تَفَرَّدَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ
الْمَشَايِخِ لَطُولِ عُمرِهِ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ بِالْجَعْدِيَّاتِ ، عَنْ ابْنِ حَبَابَةَ ^(٣) ، عَنْ أَبِي
الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ ، وَهُوَ سَمَاعُنَا ، وَرَحَّلَ إِلَيْهِ النَّاسُ بِسَبَبِهِ ،
وَسَمِعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ الْحَفَاطِ ؛ مِنْهُمْ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ، وَكَانَ ثِقَةً
مَحْمُودَ الطَّرِيقَةِ ، صَافِي الطَّوَيَّةِ ، تُوفِّي بِصَرِيْفِيْنِ ^(٤) فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ
السَّنَةِ عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً .

(١ - ١) سقط من: النسخ. وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٠/١٤٦، والمنظوم ١٦/١٨٦. وله
ترجمة أيضًا في: سير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ)
ص ٢٩٢، وفيهما: مجيب بن المجمع، والوافي بالوفيات ١٧/٥٠٢.

(٢) في خ، م: « يحيى ».

(٣) في م: « حبانة ».

(٤) صريفين: قرية كبيرة غناء شجراء قرب عكبراء وأوانا على ضفة نهر دجيل، وتسمى صريفون.
معجم البلدان ٣/٣٨٤.

حَيَّانُ بْنُ خَلْفِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَيَّانَ بْنِ وَهْبِ بْنِ حَيَّانَ، أَبُو مَرْوَانَ الْقُرْطُبِيُّ^(١)، مَوْلَى بَنَى أُمِّيَّةَ، صَاحِبُ «تَارِيخِ الْمَغْرِبِ» فِي سِتِّينَ مُجَلَّدًا، أَتَنَى عَلَيْهِ الْحَافِظُ أَبُو عَلِيٍّ الْعَسَّائِيُّ فِي فَصَاحَتِهِ وَصِدْقِهِ وَبَلَغَتِهِ. وَقَالَ^(٢): وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: التَّهْنِئَةُ بَعْدَ ثَلَاثِ اسْتِخْفَافٍ [١٩٦/٩ ظ] بِالْمَوَدَّةِ، وَالتَّغْزِيَةُ بَعْدَ ثَلَاثِ إِغْرَاءٍ بِالْمُصِيبَةِ. قَالَ ابْنُ خُلَّكَانَ^(٣): تُوفِّيَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا، وَرَأَاهُ بَعْضُهُمْ فِي النَّوْمِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ. فَقَالَ: غَفَرَ لِي، وَأَمَّا «التَّارِيخُ» فَتَدِمْتُ عَلَيْهِ، لَكِنَّ اللَّهَ بَلَطَفَهُ أَقَالَئِي وَعَفَا عَنِّي.

^(٣)عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَاتِمٍ، أَبُو نَضْرٍ السَّجَزِيُّ الْوَائِلِيُّ^(٤)؛ نِسْبَةً إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: وَائِلٌ، مِنْ قُرَى سِجِسْتَانَ. سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَجَمَعَ وَصَنَّفَ وَخَرَّجَ، وَأَقَامَ بِالْحَرَمِ، وَلَهُ كِتَابُ «الْإِبَانَةِ» فِي الْأُصُولِ، وَلَهُ يَدٌ فِي الْقُرُوعِ أَيْضًا. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ كَانَ يُفَضِّلُهُ فِي الْحِفْظِ عَلَى الصُّورِيِّ

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْمَاطِيُّ^(٥)، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ سَكِينَةَ، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَكَانَ كَثِيرَ السَّمَاعِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنِ تِسْعِ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

(١) جذوة المقتبس ص ٢٠٠، والصلة لابن بشكوال ١٥٣/١، ووفيات الأعيان ٢/٢١٨، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٢٨٦.
(٢) وفيات الأعيان ٢/٢١٩.

(٣ - ٣) في النسخ، والمنتظم ١٨٧/١٦: «عبد الله». وانظر ترجمته في الإكمال ٣٩٧/٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/٦٥٤، وتذكرة الحفاظ ٣/١١١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١ - ٤٥٠ هـ) ص ٩٥، ضمن وفيات سنة أربع وأربعين وأربعمائة، والجواهر المضية ٢/٤٩٥.

(٤) في خ، م: «الوالبلي».

(٥) تاريخ بغداد ١١/٤٠١، والإكمال ٤/٣٢٠، والمنتظم ١٦/١٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٣٠٣.

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمئة من الهجرة النبوية^(١)

قال ابن الجوزي^(٢) : في ربيع الأول وقعت صاعقة بمحلة الثوتية^(٣) من الجانب الغربي ، على نخلتين في مسجد فأحرقت أعاليهما ، وصعد الناس فأطفئوا النار ، ونزلوا بالسعف وهو يشتعل نارا . قال : وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه في شأن الحنابلة ، ثم سرده ابن الجوزي^(٤) ، ومضمونه أنه لا يمكن تغيير المذهب ولا نقل أهلها عنها ، والغالب على أهل تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد ، ومحلّه معروف عند الأئمة ، وقدره معلوم في السنة . في كلام طويل .

قال^(٥) : وفي سّوالٍ منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين بعض فقهاء النظامية ، وحمى لكل من الفريقين طائفة من العوام ، وقُتل بينهم نحو من عشرين قتيلا^(٦) ، ثم سكنت الفتنة .

(١) المتظم ١٦ / ١٩٠ ، والكامل ١٠ / ١٠٧ .

(٢) المتظم ١٦ / ١٩٠ .

(٣) في خ : « التوتة » ، وفي م : « النوبة » ، وفي ص : « التوتية » . والتوتة : محلة في غربي بغداد متصلة بالشونيزية مقابلة لقنطرة الشوك عامرة إلى الآن . معجم البلدان ١ / ٨٨٩ .

(٤) المتظم ١٦ / ١٩٠ ، ١٩١ .

(٥) المتظم ١٦ / ١٩١ .

(٦) بعده في خ ، م : « وجرح آخرون » .

قال^(١): « وفي تاسع عشر شوال وُلِدَ للخليفة المُقْتَدِي وَلَدُهُ المستظهر بالله أبو العباس أحمد، وزَيْن البلد، وجلس الوزير للهنا، ثم في^(٢) يوم الأحد السادس والعشرين من شوال^(٣) وُلِدَ للخليفة وَلَدٌ آخَرُ، أبو محمد هارون. قال ابن الجوزي^(٤): وفيها وَلِي تاج الدولة^(٥) تَشُّشُ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ الشَّامَ وحاصر حلب. »

وحجَّ بالناس في هذه السنة مُقَطَّعَ الكوفة خُتْلُغَ، وذكر ابن الجوزي^(٦) أنَّ الوزير ابن جَهِير كان قد عمل مِنبَرًا هائلًا لثِقَامَ عليه الخطبة بمكة، فحين وصل إليها إذ الخطبة قد أُعيدت للمصريين، فكسر ذلك المنبر وأُحرق. واللَّهُ أعلم. ومَنْ تُوْفِيَ فيها مِنَ الأعيان:

أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب، ابن حمْدُوهِ^(٧)، أبو بكر الرزاز^(٨) المقرئ، آخر مَنْ حَدَّثَ عن أبي الحسين بن سَمْعُون، وقد كان ثقةً مُتَعَبِّدًا حسنَ الطريقة، كَتَبَ عنه الخطيب، وقال^(٩): كان صَدُوقًا. تُوْفِيَ في هذه السنة عن

(١) المنتظم ١٦/١٩١.

(٢ - ٢) في الأصل: « هذا الشهر »، وفي المنتظم ١٦/١٩١: « يوم الأحد السادس والعشرين من ذي القعدة ».

(٣) المنتظم ١٦/١٩٢.

(٤ - ٤) سقط من: النسخ. والمثبت من المنتظم ١٦/١٩٢. وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/٨٤.

(٥) المنتظم ١٦/١٩٠.

(٦) في خ، م: « أحمد »، وفي ص، والمنتظم ١٦/١٩٢: « حمد ». وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤/٣٨١، وطبقات الخنابلة ٢/٢٤٢، وفيه: « أحمد بن محمد بن أحمد الرزاز »، والإكمال ٢/٥٥٧، والمنتظم ١٦/١٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٣١٥. ويقال فيه أيضا: « ابن حمدويه ».

(٧) في خ، ص: « البزار »، وفي م: « اليربوعي ».

(٨) تاريخ بغداد ٤/٣٨١.

تِسْعَ وَثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو الْحُسَيْنِ ^(١) بْنُ النَّفَّارِ الْبَزَّازِ،
أَحَدُ الْمُشَنِّدِينَ الْمُعَمَّرِينَ، تَفَرَّدَ بِنُسْخِ كَثِيرَةٍ عَنِ ابْنِ حَبَّابَةَ ^(٢)، عَنِ الْبَغَوِيِّ، عَنِ
أَشْيَاحِهِ؛ كُنُشْخَةً ^(٣)هُذْبَةً، وَكَامِلِ بْنِ طَلْحَةَ، ^(٤)وَعَمَرَ بْنِ زُرَّارَةَ ^(٥)، وَأَبَى
السَّكِينِ ^(٦)الْبَلَدِيِّ ^(٧)، وَكَانَ مُكْثِرًا مَتَحَرِّيًا ^(٨)، وَكَانَ يَأْخُذُ عَلَى إِسْمَاعِيلِ حَدِيثِ
طَالُوتَ ^(٩)بْنِ عَبَّادٍ ^(٩)دِينَارًا، وَقَدْ أَفْتَاهُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيُّ [١٩٧/٩ و]
بِجَوَازٍ أَخَذَ الْأَجْرَةَ عَلَى إِسْمَاعِيلِ الْحَدِيثِ؛ لَاشْتِغَالِهِ بِهِ عَنِ الْكَسْبِ. تُوُفِّيَ عَنِ
تِسْعَ وَثَمَانِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو صَالِحٍ الْمُؤَدِّنُ النَّيْسَابُورِيُّ ^(١٠)
الْحَافِظُ، كَتَبَ الْكَثِيرَ وَجَمَعَ وَصَنَّفَ، وَكَتَبَ عَنِ أَلْفِ شَيْخٍ ^(١١)أَلْفَ
حَدِيثٍ ^(١١)، وَكَانَ يَعْطُ وَيُؤَدِّنُ، مَاتَ وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ .

-
- (١) فِي م: «الْحَسَن». وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ٣٨١/٤، وَالْمُنْتَظَمِ ١٩٣/١٦، وَسِيرِ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ
٣٧٢/١٨، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٣١٢، وَالْوَفَايَاتُ بِالْوَفَايَاتِ ٣٥/٨.
(٢) فِي م: «حَبَابَةَ». وَانْظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٧٢/١٨.
(٣) فِي الْأَصْلِ: «كُنُشْخَةً».
(٤ - ٥) فِي الْأَصْلِ: «عَمَرُ زُرَّارَةَ»، وَفِي خ، م، ص: «عَمَرُ بْنُ زُرَّارَةَ». وَالثَّبُوتُ مِنَ الْمُنْتَظَمِ ١٩٣/١٦.
وَانْظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٧٢/١٨.
(٥) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «زُرَّارَةَ وَ».
(٦) فِي الْأَصْلِ: «السَّكِينِ»، وَفِي خ: «السَّكِينِ». وَانْظُرْ الْمُنْتَظَمِ ١٩٣/١٦.
(٧) فِي خ، م: «الْبَكْرِيُّ».
(٨) فِي خ، م: «مَتَبَحَّرًا».
(٩ - ٩) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ، وَفِي خ، م: «بْنِ عَبَّادَةَ». وَانْظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٧٣/١٨.
(١٠) تَارِيخِ بَغْدَادِ ٢٦٧/٤، وَالْمُنْتَظَمِ ١٩٣/١٦، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٢٢٤/٣، وَسِيرِ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٤١٩/١٨،
وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٣٠٨، وَالْوَفَايَاتُ بِالْوَفَايَاتِ ١٥٦/٧.
(١١ - ١١) سَقَطَ مِنْ: م، ص، وَفِي خ: «حَدِيثًا».

عبدُ اللَّهِ بنُ الحَسَنِ^(١) بنِ عَلِيٍّ^(٢) بنِ مُحَمَّدٍ بنِ الحَسَنِ^(٣)، أبو القاسمِ بنُ أبي
 مُحَمَّدٍ الخَلَّالُ^(٤)، أَخْرَجَ مِنْ حَدِّثٍ عَنْ أَبِي حَفْصٍ الْكَتَّانِيِّ^(٥)، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ،
 وَرَوَى عَنْهُ الْخَطِيبُ^(٦) وَوَثَّقَهُ، تُوفِّيَ عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِيَابِ
 حَرْبٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

عبدُ الرحمنِ - ابنُ مَنَدَه - بنُ مُحَمَّدٍ بنِ إِسْحَاقَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ يَحْيَى بنِ
 إِبْرَاهِيمَ، أَبُو الْقَاسِمِ بنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، الْإِمَامُ^(٧) ابنُ الْإِمَامِ، سَمِعَ أَبَاهُ، وَابْنَ
 مَرْذَوَيْهِ، وَخَلَقَا فِي أَقَالِيمَ شَتَّى، سَافَرَا إِلَيْهَا، وَجَمَعَ شَيْئًا كَثِيرًا، وَكَانَ ذَا وَقَارٍ
 وَسَمِيحًا حَسَنًا، وَاتَّبَاعٌ لِلسَّنَةِ وَفَهْمٌ جَيِّدٌ، كَثِيرُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
 الْمُنْكَرِ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَكَانَ سَعْدُ^(٨) بنُ مُحَمَّدٍ الرَّجَّائِيِّ يَقُولُ:
 حَفِظَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِهِ، وَبَعْدَ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ الْهَرَوِيُّ. تُوفِّيَ ابنُ مَنَدَه هَذَا
 بِأَصْبَهَانَ عَنْ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَحَضَرَ جِنَازَتَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) فِي الْأَصْلِ، خ، ص: «الحسين». وَاُنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ٤٣٩/٩، وَالْمُنْتَظَمَ ١٩٤/١٦،
 وَسِيرَ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٦٨/١٨، وَالْعَبْرَ ٢٧٣/٣، وَتَارِيخَ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٦١ - ٤٧٠ هـ)
 ص ٣٢١.

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: النُّسخ. وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَصَادِرِ تَرْجَمَتِهِ السَّابِقَةِ.

(٣) فِي خ: «الجلالي»، وَفِي م: «الخلالي».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «الكتاني»، وَفِي خ، م: «الكتاني».

(٥) تَارِيخِ بَغْدَادَ ٤٣٩/٩.

(٦) طَبَقَاتُ الْخَنَابِلَةِ ٢/٢٤٢، وَالْمُنْتَظَمَ ١٩٤/١٦، وَسِيرَ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٤٩/١٨، وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ
 ١١٦٥/٣، وَتَارِيخَ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٣٢٧، وَوَفَايَاتُ ٢/٢٨٨.

(٧) فِي خ، م: «مسعد»، وَفِي ص: «سعيد».

(٨) فِي الْأَصْلِ، خ، م: «الريحاني». وَالْخَبَرُ أَوْرَدَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَظَمِ ١٩٤/١٦، وَالذَّهَبِيُّ فِي سِيرِ
 أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٣٥٢/١٨، ٣٥٣.

عبدُ الملك بنُ «عبد الغفار بن» محمد^(٢) بن المظفر بن عليّ، أبو القاسم الهمداني^(٣)، أحدُ الحفاظ الفقهاء الأولياء، وكان يُلقَّب بُنْجِير^(٤)، وقد سَمِعَ الكثير، وكان يَكْتُبُ^(٥) للطلبة ويقرأ لهم، توفّي بالرّوى في الحَرَمِ من هذه السّنة، ودُفِنَ إلى جانب إبراهيم الخوَّاص.

الشَّريفُ أبو جَعْفَرِ الحَنْبَلِيُّ، عبدُ الخالق بنُ عيسى بن أحمد بن محمد «ابن عيسى بن أحمد» بن إبراهيم بن عبد الله بن مَعْدٍ بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابنُ أبي موسى الحنبليّ العبَّاسيِّ، كان أحدَ الفقهاء العلماء العبَّادِ الزَّهادِ المشهورين بالديانة والفضل والعبادة والقيام في الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، وُلِدَ سنةَ إحدى عشرة وأربع مائة، واشتغل على القاضي أبي يَعْلَى بنِ الفَرَّاءِ، وزكاه شيخه عند ابن الدَّامَغَانِيِّ فقبله، ثم ترك الشَّهادة بعد ذلك، وكان مشهورًا بالصَّلاح والديانة، وحين احتضِرَ الخليفة القائم بأمر الله أوصى أن يغسَّله الشريفُ أبو جعفر، وأوصى له بشيءٍ جزيل، فلم يقبل من ذلك شيئًا^(٦).

(١ - ١) سقط من: خ، م. وانظر ترجمته في الإكمال ١٣/٢، والمنتظم ١٦/١٩٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٣٣٤.

(٢) بعده في خ، م، ص: «بن عبد العزيز بن محمد».

(٣) في النسخ: «الهمداني». والمثبت من مصادر ترجمته السابقة.

(٤) في الأصل: «بحير»، وفي خ: «بيحتر»، وفي م: «بيجير» وفي ص: «يختر». وفي المنتظم: «سحير»، وفي تاريخ الإسلام: «ينجير». والمثبت من الإكمال ١٣/٢. وانظر تبصير المنتبه ١/٢٤٢، ونزهة الألباب ١/١٣٣، ٢٥١.

(٥) في خ، م: «يكثر».

(٦ - ٦) سقط من: خ، م، وفي الأصل، ص: «عيسى بن محمد». وانظر ترجمته في: طبقات الحنابلة ٢/٢٣٧، والمنتظم ١٦/١٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/٥٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٦١ - ٤٧٠ هـ) ص ٣٢٢، والعبر ٣/٢٧٣.

(٧) طبقات الحنابلة ٢/٢٤٠، والمنتظم ١٦/١٩٥، ١٩٦.

وَحِينَ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْحَنَابِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ بِسَبَبِ ابْنِ الْقُشَيْرِيِّ اعْتَقِلَ هُوَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ مُكْرَمًا مُعَظَّمًا ، يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ وَغَيْرُهُمْ ، وَيَقْبَلُونَ يَدَهُ وَرَأْسَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى اسْتَكَى ، فَأُذِنَ لَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَتَوَفَّى عَنْهُمْ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ النِّصْفِ مِنْ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، فَاتَّخَذَتِ الْعَامَّةُ قَبْرَهُ سُوقًا كُلَّ لَيْلَةٍ أَرْبَعَاءَ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ وَيَقْرَأُونَ الْحَتَمَاتِ عِنْدَهُ حَتَّى جَاءَ الشِّتَاءُ ، وَكَانَ جَمْلَةٌ مَا قُرِئَ عَنْهُ عَشْرَةُ آلَافٍ خُتْمَةٍ مِنْ كَثَرَةِ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(١) بْنِ مُحَمَّدٍ^(٢) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، «أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْضَاوِيُّ»^(٣) ، أَحَدُ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيِّينَ ، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِرَبْعِ الْكَرْخِ ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته في المنتظم ١٦/١٩٧ . ولعله الذى تقدم فى ص ٥٦ .

(٢ - ٢) فى المنتظم : «أبو عبد الله بن أبى الحسن» .

(٣) فى خ : «الحسين» .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ إِخْدَى وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ

فيها^(١) مَلَكَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ تَاجُ الْمُلُوكِ تُشُّ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيَّ دِمَشْقَ، وَقَتَلَ مَلِكَهَا أَقْسِيسَ، وَذَلِكَ أَنَّ أَقْسِيسَ بَعَثَ إِلَيْهِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى الْمَصْرِيِّينَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ لَمْ يَرْكَبْ لَتَلْقِيهِ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقَتِلَ لِسَاعَتِهِ^(٢).

وفيها غَزَلَ الْوَزِيرُ ابْنُ جَهْمٍ بِإِشَارَةِ نِظَامِ الْمَلِكِ، بِسَبَبِ ثُمَالَاتِهِ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ، ثُمَّ كَاتَبَ الْمُقْتَدِي نِظَامَ الْمَلِكِ فِي إِعَادَتِهِ، فَأُعِيدَ وَلَدُهُ وَأُطْلِقَ هُوَ.

وفيها قَدِمَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ كُوْهْرَائِينُ^(٣) أَمِيرًا إِلَى بَغْدَادَ، وَضُرِبَتِ الطَّبُولُ عَلَى بَابِهِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، وَأَسَاءَ الْأَدَبُ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَضُرِبَ طَوَالَاتِ الْخِيُولِ عَلَى بَابِ الْفِرْدَوْسِ، فَكُوتِبَ السُّلْطَانُ فِي أَمْرِهِ، فَجَاءَ الْكِتَابُ مِنَ السُّلْطَانِ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ.

(١) المنتظم ١٦/١٩٨، والكامل ١٠/١٠٩.

(٢) بعده في خ، م: «ووجد في خزانته حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالا وستين حبة لؤلؤ، كل حبة منها أزيد من مثقال، وعشرة آلاف دينار ومائتي سرج ذهب، وغير ذلك، وقد كان أقسيس هذا هو أُنَسَرُ بْنُ أَوْفِ الْخَوَارِزْمِيِّ، كَانَ يُلَقَّبُ بِالْمُعْظَمِ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَجْوَدَهُمْ سِيرَةً، وَأَصْحَبَهُمْ سَرِيرَةً، أَزَالَ الرِّفْضَ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَبْطَلَ الْأَذَانَ بِحَى عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، وَأَمَرَ بِالْتَّرَضَى عَنْ الصُّحَابَةِ أَجْمَعِينَ وَعَمَرَ بِدِمَشْقِ الْقَلْعَةَ الَّتِي هِيَ مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ بِالشَّامِ الْحَرُوسِ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَبَلَ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ».

(٣) سقط من الأصل، وفي خ: «كوهراميرا»، وفي م: «جوهر»، وفي ص: «كوهراهن». والمثبت من الكامل ١٠/١١٢.

وحجَّ بالناس في هذه السنة الأمير مُقَطَّع الكوفة خُثْلُغ التُّرْكِيُّ ، أثابه الله .
وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

سَعْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، أَبُو الْقَاسِمِ [١٩٧/٩ ط]
الرَّجْنَانِيُّ ^(١) ، رَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ إِمَامًا حَافِظًا مُتَعَبِّدًا وَرِعًا ،
ثُمَّ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ بِهِ ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ^(٢) :
وَيَقْبَلُونَ يَدَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَقْبَلُونَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ .

سَلِيمُ الْحَوْرِيُّ ^(٣) ؛ نَسَبُهُ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى دُجَيْلٍ ، كَانَ عَابِدًا زَاهِدًا يُقَالُ :
إِنَّهُ مَكَثَ مُدَّةً يَتَقَوَّى كُلَّ يَوْمٍ بِزَيْبَةِ . وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَقُرِئَ عَلَيْهِ ، رَحِمَهُ
اللَّهُ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبْعُونَ ^(٤) ، أَبُو أَحْمَدَ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ ، تُوفِّيَ بِبَغْدَادَ
وَدُفِنَ بِيَابِ حَرْبٍ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) تاريخ دمشق ٢٧٣/٢٠ ، والمنتظم ٢٠١/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣٨٥/١٨ ، وتذكرة الحفاظ ١١٧٤/٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٤٥ ، والوفاء بالوفيات ١٨٠/١٥ .
(٢) المنتظم ٢٠١/١٦ .

(٣) في الأصل ، خ ، ص : «الجوزي» ، وفي م : «بن الجوزي» ، والحواري نسبة إلى حوزي : قرية من
قري دجيل . معجم البلدان ٣٥٩/٢ ، وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٠١/١٦ ، وفيه : «الجوزي» ،
ومعجم البلدان ٣٥٩/٢ ، والكامل ١١٢/١٠ ، وفيه : «الجوزي» .

(٤) في م : «شمعون» وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٠٢/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٥١ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ

(١)

ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ

فيها مَلِكُ إِبراهيمَ^(٢) بَنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ - صَاحِبُ غَزَنَةَ^(٣) - قِلاعًا كَثِيرَةً حَصِينَةً مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ سَالِمًا غَانِمًا .
وفيها وُلِدَ الْأَمِيرُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ، وَزُيِّنَتْ لَهُ بَغْدَادُ .
وفيها مَلِكُ صَاحِبِ الْمُؤَصِّلِ الْأَمِيرُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ مُسْلِمُ بْنُ قُرَيْشِ بْنِ بَذْرَانَ الْعَقِيلِيُّ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ .

وفيها مَلِكُ مَنْصُورُ بْنُ مَرْوَانَ دِيَارَ بَكْرِ بَعْدَ أَبِيهِ .

وفيها أَمَرَ السُّلْطَانُ بَتَغْرِيْقِ ابْنِ عَلَّانَ الْيَهُودِيَّ ضَامِنِ الْبَصْرَةِ، وَأَخَذَ مِنْ ذَخَائِرِهِ أَرْبَعِمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، فَضَمَّنَ خُمَازِ تَكِينُ الْبَصْرَةِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَةَ فَرَسٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

وفيها فَتَحَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ نِظَامِ الْمُلْكِ تَكْرِيتَ . وَحَجَّ بِالنَّاسِ خُتْلُغَ التَّرْكِيِّ ،

(١) المنتظم ٢٠٥/١٦، الكامل ١١٣/١٠ .

(٢) فِي الْأَصْلِ: «إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ»، وَفِي م: «مُحَمَّدٌ». وَالْمُثَبَّتُ كَمَا فِي الْكَامِلِ ١١٣/١٠، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٩، وَالْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ١٩٤/٢، وَتَارِيخُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ ٣٨٠/١ .

(٣) غَزَنَةُ: مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ وَوَلَايَةٌ وَاسِعَةٌ فِي طَرَفِ خُرَاسَانَ، وَهِيَ الْخُدَيْنُ خُرَاسَانَ وَالْهِنْدُ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٧٩٨/٣ .

وَقُطِعَتْ خُطْبَةُ الْمَصْرِيِّينَ بِمَكَّةَ، وَخُطِبَ فِيهَا لِلْمُقْتَدِي وَالسُّلْطَانِ مَلِكُشَاهِ
السُّلْجُوقِيِّ.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَيَّزُونَ^(١)، أَبُو نَصْرِ، سَمِعَ الْكَثِيرَ،
وَكَانَ زَاهِدًا عَابِدًا، يَشْرُدُ الصَّوْمَ، وَيَخْتِمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ خَتْمَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ.

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مِهْرَانَ
الْعُكْبَرِيِّ^(٢)، سَمِعَ هِلَالَ الْحَقَّارَ، وَابْنَ رَزْقَوَيْهِ، وَالْحَمَّامِيَّ، وَغَيْرَهُمْ، وَكَانَ
فَاضِلًا جَيِّدَ الشَّعْرِ، فَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ^(٣) :

أُطِيلُ تَفَكَّرِي فِي أَيِّ نَاسٍ مَضَوْا قَدَمًا^(٤) وَفِي مَن خَلَفُونَا
هُمْ الْأَحْيَاءُ بَعْدَ الْمَوْتِ ذِكْرًا وَنَحْنُ مِنَ الْخَمُولِ الْمَيِّتُونَ
تُوفِّيَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَهُ تِسْعُونَ^(٥) سَنَةً.

هَيَّاجُ بْنُ عُبَيْدٍ^(٦) الْحِطِّيْنِيُّ^(٧) الشَّامِيُّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَكَانَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ

(١) المنتظم ٢٠٧/١٦، وفيه «خيرون»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٧١ وفيه: «عبد الملك بن الحسين بن خيران».

(٢) تاريخ بغداد ٢٣٩/٣، والمنتظم ٢٠٨/١٦، وسير أعلام النبلاء ٣٩٢/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٧٦، ومروءة الجنان ١٠٢/٣.

(٣) المنتظم ٢٠٩/١٦.

(٤) في المنتظم: «عنا».

(٥) في خ، م: «سبعون»، وانظر تاريخ بغداد ٢٣٩/٣.

(٦) في النسخ: «عبد الله». والمثبت من مصادر ترجمته: المنتظم ٢٠٩/١٦، وسير أعلام النبلاء ٣٩٣/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٨٠، وطبقات الشافعية للسبكي ٥٢٩/٤، ومروءة الجنان ١٠٢/٣.

(٧) في م: «الخطيب».

زُهْدًا، وَفَقْهًا، وَاجْتِهَادًا فِي الْعِبَادَةِ، أَقَامَ بِمَكَّةَ مُدَّةً يُفْتَى أَهْلُهَا وَيَعْتَمِرُ فِي كُلِّ
يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَلَمْ يَلْبَسْ نَعْلًا مُذْ أَقَامَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ يَزُورُ قَبْرَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ مَاشِيًا حَافِيًا، وَكَذَلِكَ كَانَ يَزُورُ قَبْرَ ابْنِ عَبَّاسٍ
بِالطَّائِفِ، وَكَانَ لَا يَدْخِرُ شَيْئًا، وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا قَمِيصًا وَاحِدًا، ضَرَبَهُ بَعْضُ أُمَرَاءِ
مَكَّةَ فِي بَعْضِ فِتَنِ الرِّوَاغِصِ، فَاسْتَكَى أَيَّامًا، وَمَاتَ وَقَدْ نَيْفَ عَلَى الثَّمَانِينَ،
رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم دخلت سنة

ثلاث وسبعين وأربعمائة

فيها^(١) استولى تكش أخو السلطان ملكشاه على بعض خراسان . وفيها أذن للوعاظ في الجلوس ، وكانوا قد منعوا من وقت فتنة ابن القشيري . وفيها قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيسا يقال له : عبد القادر الهاشمي ، وقد كاتبوه من الأقطار ، وكان الساعي له رجلا يقال له : ابن رسول^(٢) . وكانوا يجتمعون عند جامع براتا^(٣) ، فخيف من أمرهم أن يكونوا ممالئين للمصريين ، فأمر بالقبض عليهم . وحج بالناس ختلغ التركي . والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إسماعيل^(٤) ، أبو عبد الله بن الأخصر المحدث ، سمع علي بن شاذان ، وكان على مذهب الظاهرية [٩ / ١٩٨] ، وكان كثير التلاوة حسن السيرة ، متقللا من الدنيا فتوغا ، رحمه الله .
الصليحي المتغلب على اليمن ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي ، الملقب

(١) المنتظم ٢١١ / ١٦ ، والكامل ١١٨ / ١٠ .

(٢) في المنتظم : « الرسولي » .

(٣) براتا : محلة كانت في طرف بغداد . معجم البلدان ١ / ٥٣٢ .

(٤) المنتظم ٢١٢ / ١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٨٤ . وفيه : « أحمد ابن محمد بن أحمد الأخصر » .

بالصليحي^(١)، كان أبوه قاضيًا باليمن، وكان سُنيًا، ونشأ هذا فتعلّم العلم وبرع في أشياء كثيرة من العلوم، وكان شيعيًا على مذهب القرامطة، ثم كان يدل^(٢) بالحجيج مدة خمس عشرة سنة، وكان قد اشتهر أمره بين الناس أنه سيملك اليمن، فنجّم ببلاد اليمن بعد قتله نجاحًا صاحب تهامة، واستحوذ على بلاد اليمن بكاملها في أقصر مدة، واستوثق له الملك بها سنة خمس وخمسين، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر، فلمّا كان في هذا العام خرج إلى الحج في ألفي فارس، فاعترضه سعيد بن نجاح بالموسم، في نفر يسير، فقاتلهم فقتل هو وأخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله، ومن شعر الصليحي هذا قوله^(٣):

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم قرءوسهم عوض النثار نثار
وكذا الغلا لا يستباح نكاحها إلا بحيث تطلق الأعمار

محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبل^(٤)، أبو علي الشاعر البغدادي، أسند الحديث، وله الشعر الرائق، فمینه قوله^(٥):

لا تُظهرنّ لعاذلٍ أو عاذِر حالِك في السَّراءِ والضَّراءِ
فليرحمة المتوجِّعين مرارة في القلبِ مثلُ شماتة الأعداءِ

(١) وفيات الأعيان ٣/٤١١، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٥٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٩١، ومراة الجنان ٣/١٠٣، وشذرات الذهب ٣/٣٤٦.

(٢) أي يحج بهم ويدلهم على الطريق.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٤١٥.

(٤) خريدة القصر ٢/٢٤٧، والمحمدون من الشعراء ص ٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/٤٣٠، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٩٩، والوافي بالوفيات ٣/١١.

(٥) المحمدون من الشعراء ص ٣٧٧.

وله أيضًا^(١) :

يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مَدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ الْقَرْ مَا تَبْنِيهِ يَخْنُقُهَا وَغَيْرُهَا بِالذِّى تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ
يُوسُفُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ ، أَبُو الْقَاسِمِ التَّفَكُّرِيُّ^(٢) ، مِنْ أَهْلِ
زَنْجَانَ ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَدَرَسَ
الْفِقْهَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ تَلَامِذِهِ ، وَكَانَ عَابِدًا
وَرِعًا خَاشِعًا ، كَثِيرَ الْبُكَاءِ عِنْدَ الذِّكْرِ ، مُقْبِلًا عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ
السَّنَةِ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ .

(١) المحدثون من الشعراء ص ٣٩١ .

(٢) فى الأصل، ص: «السكرى»، وفى خ، م: «العسكرى». والمثبت من مصادر ترجمته: المنتظم
٢١٥/١٦، والكامل ١١٩/١٠، وسير أعلام النبلاء ٥٥١/١٨، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٦١/٥،
وطبقات الشافعية للإسنوى ٥/٢، وقال فيه: أبو القاسم يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن، الزنجاني
المعروف أيضًا بالتفكرى؛ لكثرة تفكره فى الآخرة.

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ

فيها^(١) وَلِيَ أَبُو كَامِلٍ ، مَنْصُورُ بْنُ نُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسٍ مَا كَانَ يَلِيهِ أَبُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ وَالْخَلِيفَةُ . وَفِيهَا مَلَكَ شَرْفُ الدَّوْلَةِ مُسْلِمُ بْنُ قُرَيْشٍ حَرَّانَ ، وَصَالِحُ صَاحِبِ الرُّهَا . وَفِيهَا فَتَحَ تَشُّ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ صَاحِبُ دِمَشْقَ مَدِينَةَ أَنْطَرُطُوسَ^(٢) . وَفِيهَا أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ ابْنَ جَهْيَرٍ إِلَى السُّلْطَانِ مَلِكُشَاهَ يَخْطُبُ لَهُ ابْنَتَهُ عَنْهُ ، فَأَجَابَتْ أُمُّهَا إِلَى ذَلِكَ ، بِشَرْطِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا سُرِّيَّةٌ سِوَاهَا ، وَأَنْ يَكُونَ مَبِيتُهُ عِنْدَهَا ، فَوَقَعَ الشَّرْطُ عَلَى ذَلِكَ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

دَاوُدُ بْنُ السُّلْطَانِ مَلِكُشَاهَ^(٣) ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ أَبُوهُ وَجَدًا عَظِيمًا ، بَحِثُ إِنَّهُ كَادَ - أَوْ هَمَّ - أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ ، فَمَنَعَهُ الْأَمْرَاءُ مِنْ ذَلِكَ ، وَانْتَقَلَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ الْبَلَدِ ، وَأَمَرَ النِّسَاءَ بِالنُّوحِ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا وَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى بَغْدَادَ جَلَسَ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ لِلْعَزَاءِ .
الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي ، سُلَيْمَانُ بْنُ خَلْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَيُّوبَ التُّجِيبِيِّ

(١) المنتظم ٢١٦/١٦ ، والكامل ١٢٠/١٠ .

(٢) فى خ ، ص : « أنطرسوس » . وأنطرسوس : بلد من سواحل بحر الشام ، وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية ، وأول أعمال حمص . معجم البلدان ٣٨٨/١ .

(٣) المنتظم ٢١٦/١٦ ، ٢١٧ ، والكامل ١٢٢/١٠ ، ونهاية الأرب ٣٢٣/٢٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ١٢ ، والنجوم الزاهرة ١١٣/٥ .

الْأَنْدَلُسِيُّ الْبَاجِيُّ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ^(١) ، أَحَدُ الْحَفَاطِ الْمُكْثَرِينَ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَحَلَ فِيهِ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَسَمِعَ هُنَاكَ الْكَثِيرَ ، وَاجْتَمَعَ بِأَثَمَةٍ ذَلِكَ [١٩٨/٩ ط] الْوَقْتِ ، كَالْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ ، وَالشَّيْخَ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيَّ ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ مَعَ الشَّيْخِ أَبِي ذَرِّ الْهَرَوِيِّ ، وَأَقَامَ بَبَغْدَادَ ثَلَاثَ سِنِينَ أَيْضًا ، وَبِالْمَوْصِلِ سَنَةً عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ السَّمْنَانِيِّ قَاضِيهَا ، فَأَخَذَ عَنْهُ الْفِقْهَ وَالْأَصُولَ ، وَسَمِعَ الْخَطِيبَ الْبَغْدَادِيَّ ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْخَطِيبَ أَيْضًا ، وَرَوَى عَنْهُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْحَسَنَيْنِ^(٢) :

إِذَا كُنْتُ أَغْلَمَ عِلْمًا يَقِينًا بَأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ

ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ بَعْدَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ هُنَاكَ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ تَوَلَّى قَضَاءَ حَلَبَ أَيْضًا . قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ^(٣) . قَالَ : وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ ، مِنْهَا « الْمُتَقَى فِي شَرْحِ الْمُوطَأِ » ، وَ« إِحْكَامُ الْفُصُولِ فِي أَحْكَامِ الْأَصُولِ » ، وَ« الْجَزْخُ وَالتَّعْدِيلُ »^(٤) ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتُوفِيَ بِالْمَرْيَةِ^(٥) لَيْلَةَ الْخَمِيسِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ ، الْتَاسِعَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ ٨٠٢/٤ ، وَتَارِيخُ دِمَشْقَ ٢٢٤/٢٢ ، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٢٤٦/١١ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤٠٨/٢ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٥٣٥/١٨ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ١١٣ .

(٢) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٢٥٠/١١ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤٠٨/٢ ، ٤٠٩ .

(٣) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤٠٩/٢ .

(٤) فِي الْوَفَيَاتِ ٤٠٩/٢ : « التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيعُ فِيمَنْ رَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ » . وَفِي تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ ١٢٤/٨ ، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٢٤٩/١١ : « التَّعْدِيلُ وَالتَّجْرِيعُ لِمَنْ خَرَجَ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ » .

(٥) سَقَطَ مِنْ : خ ، م . الْمَرْيَةُ : مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ كُورَةِ الْبِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْأَنْدَلُسِ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥١٧/٤ .

أبو الأغرّ، دُبَيْسُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَزِيدٍ^(١)، الملقَّبُ نورَ الدَّوْلَةِ، تُوفِّيَ في هذه
السَّنةِ عن ثمانين سنةً؛ مَكَثَ فيها أميرًا نَيِّفًا وَسِتِّينَ^(٢) وقامَ بالأمرِ مِنْ بَعْدِهِ ولَدُهُ
أبو كامل، ولُقِّبَ بهاءَ الدَّوْلَةِ.

عبدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رِضْوَانَ، أبو القاسمِ البَغْدَادِيُّ^(٣)، كان مِنْ
الرُّؤَسَاءِ، ومَرِضَ بالشَّقِيقَةِ^(٤) ثلاثَ سِنِينَ، فمَكَثَ في بَيْتٍ مُظْلِمٍ لا يَرَى
ضَوْءًا، ولا يَسْمَعُ صَوْتًا.

(١) دمية القصر ٥٢/١، والمنتظم ٢٢٠/١٦، ووفيات الأعيان ٤٩١/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٨،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ١١٢.
(٢) ورد في الكامل ١٢١/١٠ أنه ولى سبعا وخمسين.
(٣) المنتظم ٢٢٠/١٦، والكامل ١٢٢/١٠.
(٤) الشقيقة: وَجَعَ يأخذ نصف الرأس والوجه. تاج العروس (ش ق ق).

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمئة

فيها^(١) قديم مؤيد الملك بن نظام الملك فنزل في مدرسة أبيه ، وضربت الطبول على بابيه في أوقات الصلوات الثلاث .

وفيهما نفذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك ، وكان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج إليه أهلها يتلقونه بأولادهم ونسائهم ؛ يتبركون به ويتمسحون بركابه ، ورُبما أخذوا من تراب حافير بغلته ، ولما وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها ، وما مر بشوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم ، حتى اجتاز بشوق الأساكفة ، فلم يكن عندهم إلا مداسات الصغار فنثروها عليه ، فجعل الشيخ يتعجب من ذلك .

وفيهما جددت الخطبة من جهة الخليفة لبنت السلطان ملكشاه ، فطلبت أمها أربعمائة ألف دينار ، ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار للرضاع ، وأن يكون الصداق مائة ألف دينار .

وفيهما حارب السلطان أخاه تئش فأسره ثم أطلقه ، واستقرت يده على دمشق وأعمالها . وحج بالناس في هذه السنة ختلغ .

ومن توفي فيها من الأعيان :

(١) المنتظم ٤٧٥/١٦ ، والكمال ١٢٧/١٠ .

عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق^(١) بن محمد بن يحيى بن مَنده ، أبو عمرو الحافظ من بيت الحديث ، رحل إلى الآفاق وسمع الكثير ، وثوفى بأصبهان في هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

ابن مأكولا^(٢) ، الأمير أبو نصر ، علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان^(٣) بن محمد بن دلف بن أبي دلف التميمي ، الأمير سعد الملك ، أبو نصر بن مأكولا ، أحد أئمة الحديث وسادات الأمراء ، رحل وطاف وسمع [١٩٩/٩] الكثير ، وصنف «الإكمال» في المشتبه من أسماء الرجال ، وهو كتاب جليل لم يسبق إليه ، ولا يلحق فيه ، إلا ما استدركه عليه ابن نقطة في كتاب سماء «الاستدراك» .

قتله مماليكه في كَرْمَانَ في هذه السنة ، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة ، وعاش خمسا وخمسين سنة . قال ابن خلكان^(٤) : وقيل : إنه قُتل في سنة^(٥) تسع وسبعين^(٦) . وقيل : في سنة سبع وثمانين^(٧) . قال : وقد كان أبوه

(١) في الأصل : «الحسين» . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٢٥/١٦ ، والتقييد لابن نقطة ص ٣٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤٤٠/١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ١٣٩ ، والمبر ٢٨٢/٣ .

(٢) تاريخ دمشق ٥٥٨/١٢ (مخطوط) ، والمنتظم ٢٢٦/١٦ ، ومعجم الأدباء ١٠٢/١٥ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٠٥ ، وسير أعلام النبلاء ٥٦٩/١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ١٤١ ، و(حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢١٥ .

(٣) في سير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام : «علي» .

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٠٦ .

(٥ - ٥) في خ : «ست وثمانين» .

(٦ - ٦) سقط من : خ . وفي الأصل ، ص : «وقيل : سنة خمس وثمانين ، وقيل : سنة ست وثمانين» .

(٧) وفيات الأعيان ٣/٣٠٥ .

«وزير القائم بأمر الله»^(١)، وعمه «أبو عبد الله الحسين بن علي»^(٢) ولي قضاء بغداد. قال^(٣): «ولا أدري لِمَ سُمِّي الأمير، إلا أن يكون منسوباً إلى جدّه الأمير أبي ذُلف، وأصله من جرباذقان»^(٤)، ووُلِدَ في عُكْبَرَا في شعبان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. قال^(٥): «وقد كان الخطيب البغدادي صَنَّفَ كتاب «المُؤْتَلَفِ» جمع فيه بين كِتَابِي الدَارْقُطَنِي، وعبد الغني بن سعيد في «المُؤْتَلَفِ والمُخْتَلَفِ»، فجاء ابن مأكولا، وزاد على كتاب الخطيب وسمّاه «الإكمال»، وهو في غاية الإفادة ورفيع الالتياس والضبط، ولم يُوضَع مثله، ولا يحتاج هذا الأمير بعده إلى ذكر فضيلة أخرى، ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وتحريره وإتقانه. ومن شعره المنسوب إليه قوله^(٦):

قَوْضٌ^(٧) خِيَامَكَ عَنْ أَرْضِ تُهَانُ بِهَا وَجَانِبِ الذَّلِّ إِنَّ الذَّلَّ يُجْتَنَّبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنَقَصَةٌ فَالْمَنْدَلُ^(٨) الرَّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ

(١ - ١) في الأصل، ص: «وزيرا للقادر بالله».

(٢ - ٢) في النسخ: «عبد الله بن الحسين»، وفي معجم الأدياء ١٥/١٠٣: «الحسن بن جعفر».

والمثبت من وفيات الأعيان ٣/٣٠٥. وانظر تذكرة الحفاظ ٤/١٢٠٣.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٠٦.

(٤) جرباذقان؛ بالفتح والعجم يقولون: كرباذكان: بلدة قرية من همدان بينها وبين الكرج وأصبهان. معجم البلدان ٢/٤٦.

(٥) وفيات الأعيان ٣/٣٠٥.

(٦) معجم الأدياء ١٥/١٠٦، ووفيات الأعيان ٣/٣٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٨/٥٧٧.

(٧) في خ: «فرض». وقَوْضُ البناء: هدمه.

(٨) في خ: «المنزل». والمندل: العود الطيب الرائحة.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائه

فيها^(١) غَزَلَ عميدُ الدولة ابنُ جَهِيرٍ عن وزارةِ الخلافةِ، فسارَ بأهله وأولاده إلى السلطانِ، وقصدوا نظامَ الملكِ وزيرَ السلطانِ، فعقدَ لولده فخرِ الدولة على بلادِ بَكْرِ، فسارَ إليها بالخلعِ والكُوساتِ^(٢) والعساكرِ، وأمرَ أن يَنْتَزِعَها من ابنِ مَرْوَانَ، وأن يُخَطَّبَ لتفسيه، وأن يُكْتَبَ اسمه على السَّكَّةِ، فما زالَ حتى انتزَعَها من أيديهم، وبادَ مُلكُهم على يَدَيْهِ، كما سيأتى بيانه، وسدَّ وزارةَ الخلافةِ أبو الفتحِ مظفرُ، ابنُ رئيسِ الرُّوساءِ، ثم غَزَلَ فى شعبانَ واشتُوزِرَ أبو شُجاعٍ، محمدُ بنُ الحسينِ، ولُقِّبَ ظهيرَ الدينِ.

وفى جُمادى الآخرةِ^(٣) وَلَّى مؤيِّدُ الملكِ أبا سعيدٍ^(٤) عبدَ الرحمنِ بنَ المأمونِ المتولَّى تدريسِ النُّظاميَّةِ بعدَ وفاةِ الشيخِ أبى إسحاقَ الشَّيرازيِّ، رَحِمَهُ اللهُ.

وفىها عَصَى أَهْلُ حَرَّانَ^(٥) على شرفِ الدولةِ مُسلمِ بنِ قُرَيْشٍ، فجاءَ فحاصرها ففتَحَها وهدَمَ سُورَها وصلَّبَ قاضِيها ابنَ جَلَبَةَ^(٦) وابنتَه^(٧) على السَّورِ.

(١) المنتظم ٢٢٧/١٦، والكامل ١٢٩/١٠.

(٢) الكوس: الطبل.

(٣) سقط من: خ، وفى الأصل، ص: «الأولى». وانظر المنتظم ٢٢٧/١٦.

(٤) فى الأصل، خ، م: «سعيد». وانظر المنتظم ٢٢٧/١٦، والكامل ١٣٢/١٠.

(٥) فى الأصل، ص: «خراسان». وانظر الكامل ١٢٩/١٠.

(٦) فى الأصل: «حلبية»، وفى خ: «حيلة»، وفى م، والكامل ١٢٩/١٠: «حلية»، وفى ص: «حلية». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ١٦، ١٧. وانظر: المشتبه ١/١٦٧، وتبصير المتبته ١/٢٥٨، وزبدة الحلب ٢/٨٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/٥٦٠، والعبر ٢٨٣/٣، ٢٨٤.

(٧) فى الأصل: «أبنته»، وفى ص: «ابنته».

وفى شَوَالٍ منها قُتِلَ أَبُو الْحَاسَنِ بْنُ أَبِي الرِّضَا؛ وذلك لَأَنَّهُ وَشَى إِلَى السُّلْطَانِ فِي نِظَامِ الْمُلْكِ، وَقَالَ لَهُ: سَلَّمْتُهُمْ إِلَيَّ^(١) حَتَّى أَسْتَخْلِصَ لَكَ مِنْهُمْ أَلْفَ أَلْفٍ دِينَارٍ. فَعَمِلَ نِظَامُ الْمُلْكِ سِمَاطًا هَائِلًا، وَاسْتَحْضَرَ غِلْمَانَهُ وَكَانُوا أَلُوفًا، وَشَرَعَ يَقُولُ لِلْسُّلْطَانِ: هَذَا كُلُّهُ مِنْ أَمْوَالِكَ، وَمَا وَقَفْتَهُ مِنَ الْمَدَارِسِ وَالرُّبُطِ، فَكُلُّهُ شُكْرُهُ لَكَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْرُهُ لَكَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمْوَالِي وَجَمِيعُ مَا أَمْلِكُهُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَنَا أَفْتَعُ بُرْقَعَةً وَزَاوِيَةً. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ السُّلْطَانُ بِقَتْلِ أَبِي الْحَاسَنِ، وَقَدْ كَانَ حَظِيًّا عِنْدَهُ، وَخَصِيصًا بِهِ وَجِيهًا [١٩٩/٩هـ] لَدَيْهِ، وَعَزَلَ أَبَاهُ عَنْ كِتَابَةِ الطُّغَرَاءِ^(٢) وَوَلَّاهَا مُؤَيَّدَ الْمُلْكِ بْنِ نِظَامِ الْمُلْكِ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْأَمِيرُ خُتْلُغُ التَّرْكِيُّ مُقَطَّعُ الْكُوفَةِ.

وَمَنْ تُوَفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

الْشَيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيُّ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ، الشَّيرَازِيُّ الْفِيرُوزَابَادِيُّ^(٣) - وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى فَارِسَ، وَقِيلَ: هِيَ مَدِينَةُ جُورَ^(٤). شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، وَمَدْرَسُ النُّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَقِيلَ: خَمْسٍ، وَقِيلَ^(٥):

(١) أَى: نِظَامُ الْمُلْكِ وَأَصْحَابِهِ. وَانْظُرِ الْخَبَرَ فِي الْمُنْتَظَمِ ٢٢٧/١٦، ٢٢٨، وَالْكَامِلُ ١٠/١٣١، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ١٧.

(٢) الطُّغَرَاءُ: قَالَ الْذَهَبِيُّ: كِتَابَةُ السُّرِّ، وَقَالَ ابْنُ خُلِكَانَ فِي وَفَايَاتِ الْأَعْيَانِ ٢/١٩٠: الطُّغَرَى: هِيَ الطَّرَةُ الَّتِي تَكْتُبُ فِي أَعْلَى الْكُتُبِ فَوْقَ الْبِسْمَلَةِ بِالْقَلَمِ الْغَلِيظِ، مَضمُونُهَا نَعْوَتُ الْمُلْكِ الَّتِي صَدَرَ الْكِتَابُ عَنْهُ. وَانْظُرِ تَاجَ الْعُرُوسِ (ط غ ر).

(٣) الْمُنْتَظَمُ ٢٢٨/١٦، وَوَفَايَاتِ الْأَعْيَانِ ٢٩/١، وَسِيرُ أَعْلَامِ الْبُلَاءِ ١٨/٤٥٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ١٤٨، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّبْكِى ٤/٢١٥، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١١٧/٥.

(٤) فِي م: «خَوَارِزْمٍ». وَانْظُرِ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ ٣/٩٢٨.

(٥ - ٥) لَيْسَتْ فِي: الْأَصْلُ، خ، م. وَانْظُرِ وَفَايَاتِ الْأَعْيَانِ ١/٣١.

سِتِّ وتسعين وثلاثمائة . وتفقه بفارس على أبي عبد الله البضاوي ، ثم قديم بغداد
سنة خمس عشرة وأربعمائة ، فتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ، وسمع
الحديث من ابن شاذان والبرقاني ، وكان زاهداً عابداً ورعاً ، كبير القدر معظماً ،
محترماً ، إماماً في الفقه والأصول والحديث وفنون كثيرة ، وله المصنفات الكثيرة
النافعة ؛ كـ « المهذب » في المذهب ، و « التنبيه » ، و « الثكت » في الخلاف ،
و « اللمع » في أصول الفقه ، و « التبصرة » ، و « المعونة » ، و « طبقات الفقهاء »^(١)
وغير ذلك . قلت : وقد ذكرت ترجمته مستقصاةً ومطولةً في أول شرح « التنبيه » .
توفي ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة في دار^(٢) المظفر ابن^(٣) رئيس
الرؤساء ، وغسله أبو الوفا بن عقيل الحنبلي ، وصلى عليه بباب الفردوس من دار
الخلافة ، وشهد الصلاة عليه المقتدي بأمر الله ، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر
ابن رئيس الرؤساء ، وكان نائب الوزارة ، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر ،
ودفن بباب أبرز في تربة مجاورة للناحية ، رحمه الله تعالى .

وقد امتدحه الشعراء في حياته وبعد وفاته ، وكان هو نفسه له شعر رائق ،
فيمّا أنشده ابن خلّكان من شعره قوله^(٤) :

سألت الناس عن خِلٍّ وفِيٍّ فقالوا ما إلى هذا سبيلُ
تمسكُ إن ظفرتَ بذيل^(٤) حُرٍّ فإن الحرَّ في الدنيا قليلُ

(١) في خ ، م ، ص : « الشافعية » . وانظر معجم المؤلفين ١/ ٦٨ ، ٦٩ .
(٢ - ٢) في الأصل ، م ، ص : « أبي المظفر ابن » ، وفي خ : « أبي المظفر » . والمثبت كما في المنتظم
٢٣٠ / ١٦ .
(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٩ .
(٤) في المنتظم ١/ ٢٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٦٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ -
٤٨٠ هـ) ص ١٦١ : « يؤد » .

قال ابن خلكان^(١): ولما تُوفّي عَمِلَ الفقهاء عزاءه بالمدرسة النظامية، وعيّن مؤيّد الملك أبا سعيد المتولّي مكانه، فلمّا بلغ الخبر إلى نظام الملك كتب يقول: كان من الواجب أن تُغلق المدرسة سنة لأجله. وأمر أن يُدرّس الشيخ أبو نصر بن الصّبّاغ في مكانه.

طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القوّاس^(٢)، قرأ القرآن وسمع الحديث، وتفقه على القاضي أبي الطيّب الطبريّ، وأفتى ودرّس وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى، وكان ثقة ورعاً زاهداً مُلازماً لمسجده خمسين سنة. وكانت وفاته في هذه السنة عن ستّ وثمانين سنة، ودُفِنَ قريباً من الإمام أحمد، رحمه الله وإيانا.

محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو طاهر الأنباريّ الخطيب^(٣)، ويعرف بابن أبي الصّقر، طاف البلاد وسمع الكثير، وكان ثقة صالحاً فاضلاً عابداً، وقد سمع منه الخطيب البغداديّ، وروى عنه مُصنّفاته^(٤)، تُوفّي بالأنبار في جمادى الآخرة عن نحو من مائة سنة، رحمه الله.

محمد بن أحمد بن الحسين بن جرّدة^(٥)، أحد كبار الرؤساء [٢٠٠/٩]

(١) وفيات الأعيان ٣١/١.

(٢) طبقات الحنابلة ٢/٢٤٤، والمنظّم ١٦/٢٣١، وسير أعلام النبلاء ١٨/٤٥٢، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٦٤، والوفاء بالوفيات ١٦/٣٩٤.

(٣) المنظّم ١٦/٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/٥٧٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ -

٤٨٠هـ) ص ١٧٥، والوفاء بالوفيات ٢/٨٦، والنجوم الزاهرة ٥/١١٨.

(٤) في المنظّم: «روى عنه في مصنّفاته، فقال: حدثنا محمد بن أحمد...».

(٥) في الأصل: «جزرة»، وفي خ، م: «جرادة». وانظر ترجمته في: المنظّم ١٦/٢٣٢، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠هـ) ص ١٧٧.

ببغداد، وهو من ذوى الثروة والمروءة، كان يُحزَرُ ماله بثلاثمائة ألف دينار، وكان أصله من عُكَبَرَا، فسكَنَ بَغْدَادَ، وكانت له بها دارٌ عظيمةٌ تشتمِلُ على ثلاثين مسكَنًا مُستَقِلًّا، وفيها حَمَّامٌ وبُستَانٌ، ولها بابان، على كلِّ بابٍ مسجدٌ، إذا أُذِّنَ المؤذِّنُ فى أحدهما لا يسمَعُ الآخرُ من اتِّساعِها. وقد كانت زوجةُ الخليفةِ القائمِ - حينَ وَقَعَت فتنةُ البساسيرى فى سنةِ خمسَين وأربعَمائةٍ - نَزَلَتْ عنده فى جواره، فبعَثَ إلى الأميرِ قُرَيْشِ بنِ بدرانَ أميرِ العربِ بعشرةِ آلافِ دينارٍ، ليُحِمِّيَ له دارَه، وهو الذى بَنَى المسجدَ المعروفَ به ببغداد، وقد خَتَمَ فيه القرآنَ أَلُوفٌ مِنَ الناسِ، وكان لا يفارقُ زِيَّ الثَّجَارِ. وكانت وفاته فى عاشرِ ذى القَعْدَةِ مِن هذه السنة، وُدِفَ فى الثَّرىةِ المُجاوِرةِ لثَّرىةِ القَزوينى، رَحِمَهُ اللهُ وإِيَّانا، آمين.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

فيها^(١) كانت الحرب بين فخر الدولة ابن جهير وبين ابن مَرْوَانَ صاحب ديار بَكْرِ، فاستولى ابن جهير على مُلْك العرب، وسبى حريمهم، وأخذ البلاد ومعه سيف الدولة صَدَقَةُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ دُيَّسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَرْزُوقِ الْأَسَدِيِّ، فافتدى خلقًا من العرب، فشكره الناس على ذلك، ومدحه الشعراء عليه.

وفيها بعث السلطان عميد الدولة ابن جهير في جيش كثيف ومعه قسيم الدولة آق سُنْقُرُ جَدُّ بَنِي أَتَابِكِ مُلُوكِ الشَّامِ وَالْمُؤَصِّلِ، فسار إلى المؤصل فملكوها.

وفي شعبان ملك سليمان بن قُتْلُومُشْ أَنْطَاكِيَّةَ، فأراد شرف الدولة مسلم بن قُرَيْشٍ أن يستنقذها منه، فهزمه سليمان، وقتله، وقد كان مسلم هذا من خيار الملوك سيرةً، له في كل قرية وال وقاض وصاحب خبَرٍ، وكان يملك من السُّنْدِيَّةِ^(٢) إلى مَنبِج. وولى بعده أخوه إبراهيم بن قُرَيْشٍ، وكان مسجونًا من سنين فأطلق ومُلك.

وفيها وُلِدَ السلطان سَنَجَرُ بْنُ مَلِكْشَاهِ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ بِسَنَجَارِ^(٣).

(١) المنتظم ٢٣٤/١٦، والكمال ١٣٤/١٠.

(٢) السندية: قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد وبين الأنبار. معجم البلدان ١٦٨/٣.

(٣) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. معجم البلدان ١٥٨/٣.

وفيها عَصَى تَكْشُ أَخُو السُّلْطَانِ ، فَأَخَذَهُ السُّلْطَانُ ؛ فَسَمَلَهُ وَسَجَّنَهُ .
 وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْأَمِيرُ خُمَارُ تَكِينُ الْحَسَنَانِي ؛ وَذَلِكَ لَشَكْوَى
 النَّاسِ مِنْ شِدَّةِ سَيْرِ حُتْلُغَ بِهِمْ ، وَأَخَذَهُ الْمُكُوسَاتِ مِنْهُمْ ؛ سَارَ مَرَّةً مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى
 مَكَّةَ فِي تِسْعَةٍ ^(١) عَشَرَ يَوْمًا .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ دُؤْسَتْ ^(٢) ، أَبُو سَعِيدِ النَّيْسَابُورِيِّ ، شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ ، لَهُ
 رِبَاطٌ بِمَدِينَةِ نَيْسَابُورٍ يَدْخُلُ مِنْ بَابِهِ الْجَمْلُ بِرَاكِبِهِ ، وَحَجَّ مَرَاتٍ عَلَى التَّجْرِيدِ ^(٣)
 حِينَ انْقَطَعَتْ طَرِيقُ مَكَّةَ ، فَكَانَ يَأْخُذُ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَرَاءِ وَيَتَوَصَّلُ مِنْ قِبَائِلِ
 الْعَرَبِ حَتَّى يَصِلَ مَكَّةَ ، تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ جَاوَزَ التَّسْعِينَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى ، وَأَوْصَى أَنْ يَخْلُفَهُ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ ، فَأُجْلِسَ فِي مَشِيخَةِ الرِّبَاطِ وَلَهُ ثِنْتَا
 عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهُوَ الَّذِي وَقَفَ الْأَوْقَافَ عَلَى الرِّبَاطِ .

ابْنُ الصَّبَّاحِ ^(٤) «صاحبُ» الشَّامِلِ ، عَبْدُ السَّيِّدِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
 ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ ، الْإِمَامُ أَبُو نَضْرٍ بْنُ الصَّبَّاحِ ، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَتَفَقَّهَ بَيْغَدَادَ
 عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ حَتَّى فَاقَ الشَّافِعِيَّةَ بِالْعِرَاقِ ، وَصَنَّفَ الْمَصْنُفَاتِ الْمُفِيدَةَ ؛

(١) فِي خ ، م : « سبعة » . وَاَنْظُرْ لِتَحَاثُ الْوَرَى بِأَخْبَارِ أُمِّ الْقُرَى ٤٨٢/٢ .
 (٢) فِي م : « دُؤْسَتْ » . وَاَنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي : الْمُنْتَظَمِ ٢٣٥/١٦ ، وَالْكَامِلِ ١٥٩/١٠ ، وَسِيرِ أَعْلَامِ
 النُّبَلَاءِ ٤٩١/١٨ ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٥٨ ، وَالْعَبَرُ ٢٩٤/٣ .
 (٣) بَعْدَهُ فِي خ ، م : « عَلَى الْبَحْرَيْنِ » . وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ حَجَّ بِلا نَفَقَةٍ وَزَادَ بَلْ كَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ قَبِيلَةٍ إِلَى
 أُخْرَى وَيُضَيِّفُ عِنْدَهُمْ حَتَّى وَصَلَ مَكَّةَ . وَيُقَالُ : بَجَرَدَ الْقَوْمَ يَجْرِدُهُمْ جَرْدًا : سَأَلَهُمْ فَمَنَعُوهُ أَوْ أَعْطَوْهُ
 كَارِهِينَ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ج ر د) ، وَهُوَ كَانَ يَسْأَلُ الْقِبَائِلَ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَيَحْجُجُ بِهِمْ .
 (٤) الْمُنْتَظَمِ ٢٣٦/١٦ ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ٢١٧/٣ ، وَسِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٤٦٤/١٨ ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ
 (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٢٧١ - ٢٨٠ هـ) ص ١٩٧ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّبْكِ ١٢٢/٥ .

منها كتاب «الشامل» في المذهب، وهو أول من درّس بالنظاميّة، وكانت وفاته في هذه السنّة، ودُفِنَ بداره في الكرخ، ثم نُقِلَ إلى باب حرب، رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال القاضي ابنُ خَلِّكَانَ^(١): كان فقيهَ العراقيّين، وكان يضاهي بالشيخ أبي إسحاق، وكان ابنُ الصَّبَّاحِ أعلمَ منه بالمذهب، وإليه الرُّحْلَةُ، وقد صنّف «الشامل» في الفقه، و«العُمْدَةُ» في أصول الفقه، وتولّى تدريسَ النّظاميّةِ أولاً، ثم عُزِلَ بعدَ عشرينَ يوماً بالشيخ أبي إسحاق، فلمّا ماتَ الشيخُ [٢٠٠/٩ ط] أبو إسحاقَ تَوَلَّاهَا أبو سعيدَ المُتَوَلَّى، ثم عُزِلَ بابنُ الصَّبَّاحِ، ثم عُزِلَ ابنُ الصَّبَّاحِ بابنِ المُتَوَلَّى، وكان ثقةً حُجَّةً صالحاً، وُلِدَ سنةَ أَرْبَعِمِائَةٍ، وأُضِرَّ في آخرِ عُمرِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

مَسْعُودُ بْنُ نَاصِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، أَبُو سَعِيدٍ^(٢) السَّجَزِيُّ الحَافِظُ، رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَجَمَعَ الْكُتُبَ النَّفِيسَةَ، وَكَانَ حَسَنَ الْخَطِّ، صَحِيحَ الثَّقَلِ، حَافِظًا ضَابِطًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

(١) وفيات الأعيان ٢١٧/٣.

(٢) في النسخ: «سعد». والمثبت من مصادر ترجمته؛ المنتظم ٢٣٨/١٦، وفيه: السجزي بدلاً من «السجزي». وسير أعلام النبلاء ٥٣٣/١٨، وتذكرة الحفاظ ١٢١٦/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢١٣، ومروءة الجنان ١٢٢/٣. قال ابن ماكولا في الإكمال ٥٤٩/٤، ٥٥٠: أما السجزي، بسين مهملة وجيم وزاي، فجماعة ينسبون إلى سجستان على غير قياس.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعَمَائَةٍ

فِي الْمَحَرَّمِ مِنْهَا ^(١) زُلْزِلَتْ أَرْجَانُ ^(٢) ، فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ وَمَوَاشِيهِمْ .
وَفِيهَا كَثُرَتْ الْأَمْرَاضُ بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ بِالْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ ، وَأَعْقَبَ ذَلِكَ
مَوْتُ الْفَجَاءَةِ ، ثُمَّ مَاتَتِ الْوَحُوشُ فِي الْبَرِّيَّةِ ، ثُمَّ تَلَاهُ مَوْتُ الْبَهَائِمِ ، حَتَّى عَزَّتِ
الْأَلْبَانُ وَاللُّحُمَانُ ، وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الرُّوَافِضِ وَالشَّنَّةِ ، فَقُتِلَ
خَلْقٌ كَثِيرٌ .

وَفِي رَيْبِعِ الْأَوَّلِ هَاجَتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ ، وَسَفَتْ رَمَلًا ، وَتَسَاقَطَتْ أَشْجَارُ
كَثِيرَةٌ مِنَ التَّخِيلِ وَغَيْرِهَا ، وَوَقَعَتْ صَوَاعِقُ فِي الْبِلَادِ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّ الْقِيَامَةَ
قَدْ قَامَتْ ، ثُمَّ انْجَلَى ذَلِكَ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَفِيهَا وُلِدَ لِلْخَلِيفَةِ وَلَدُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ ، وَزُيِّنَتْ بَغْدَادُ وَضُرِبَتِ الطُّبُولُ
وَالْبُوقَاتُ ، وَكَثُرَتِ الصَّدَقَاتُ .

وَفِيهَا اسْتَوْلَى فَخْرُ الدَّوْلَةِ ابْنُ جَهْمٍ عَلَى بِلَادٍ كَثِيرَةٍ ؛ مِنْهَا أَمِدُّ ،
وَمِيفَارِقِينَ ^(٣) ، وَجَزِيرَةُ ابْنِ عَمَرَ ، وَانْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي مَرْوَانَ عَلَى يَدِهِ فِي هَذِهِ
السَّنَةِ . وَفِي ثَانِي عَشَرَ شَعْبَانَ ^(٤) مِنْهَا قُلِدَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُظَفَّرٍ الشَّامِيُّ قِضَاءَ

(١) المنتظم ٢٣٩/١٦ ، والكامل ١٤٥/١٠ .

(٢) أَرْجَانُ : مَدِينَةُ تَقَعُ بَيْنَ حَدِّ فَارَسِ وَالْأَهْوَازِ بِنَاهَا أَنْوَشِرَوَانُ ، وَسَمَاهَا أَبُزُّ قَبَادُ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ١/١٩٤ .

(٣) مِيفَارِقِينَ : أَشْهُرُ مَدِينَةٍ بِدِيَارِ بَكْرٍ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤/٧٠٣ .

(٤) فِي النَّسَخِ : « رَمَضَانَ » . وَالتَّحْتِ مِنْ الْمُنْتَظَمِ ٢٤١/١٦ . وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ١٠/١٤٦ ، =

القضاة ببغداد، بعد وفاة أبي عبد الله الدامغانى، وتخلع عليه فى الديوان. وحج بالناس الأمير ختلع التركى،^(١) وزار النبى ﷺ ذاهبا وآيئا. قال: أظن أنها آخر حججى^(٢). فكان كذلك.

وفىها خرج توقيع الخليفة المقتدى بأمر الله بتجديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى كل محلّة، والأمر بإلزام أهل الذمة بالغير^(٣)، وكسر الملاهى، وإراقه الخمر، وإخراج أهل الفساد^(٤).

ومن توفى فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن أبى أيوب، أبو بكر الفوركى^(٥)، سبط الأشتاذ أبى بكر بن فورك، استوطن بغداد وكان متكلمًا يعظ الناس فى النظميّة، فوَقَعَتْ بسببه فتنة بين المذاهب. قال ابن الجوزى^(٦): وكان مؤثرًا للدنيا، لا يتحاشى من لبس الحرير، وذكر أنه كان يأخذ مكس الفحم، وكانت وفاته فى هذه السنة، وله نيف وستون سنة، ودُفِنَ إلى جانب قبر الأشعرى بمشرفة الزوايا^(٧).

= أن وفاة قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى كانت فى رجب من هذه السنة، وأن أبى بكر بن المظفر ولى القضاء بعده، وهذا يجعل رواية المنتظم أقرب للصواب. والله أعلم.

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى م: «حجى». وانظر إتحاف الورى ٤٨٣/٢.

(٣) الغيار: علامة أهل الذمة: تاج العروس (غ ي ر).

(٤) المنتظم ٢٤٣/١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢١٨، ولسان الميزان

٣٠٤/١، والنجوم الزاهرة ١٢١/٥، وفيه: أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم.

(٥) المنتظم ٢٤٣/١٦.

(٦) فى الأصل، خ، م: «الزوايا».

الحسن بن علي ، أبو عبد الله المردوسي^(١) ، كان رئيس أهل زمانه ، وأكملهم مروة ، كان قد خدم في أيام بنى بويه ، وتأخر إلى هذا الحين ، وكانت الملوك تعظمه وتكاتبه بعبيده وخادمه ، وكان كثير الصدقة والصلاة والبر ، وبلغ من العمر خمسا وتسعين سنة ، وأعد لنفسه قبرا وكفنا قبل موته بخمس سنين .

أبو سعيد المتولي ، عبد الرحمن بن المأمون بن علي ، أبو سعيد المتولي^(٢) ، مصنف « التتمة » ، ومدرس النظامية بعد الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان فصيحاً بليغاً ، ماهراً بعُلوم كثيرة ، كانت وفاته في شوال من هذه السنة عن ثنتين وخمسين سنة ، رحمه الله ، وصلى عليه القاضي [٢٠١/٩] أبو بكر الشامي^(٣) ، ودُفن بباب أبرز .

إمام الحرميين^(٤) ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن محمد بن حيويه ، أبو المعالي الجويني - وجوين من قرى نيسابور - الملقب بإمام الحرميين ؛ لجأورته بمكة أربع سنين ، كان مولده في سنة تسع عشرة وأربع مائة ، سَمِعَ الحديث وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني ، ودرس

(١) المنتظم ٢٤٣/١٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٢٢ ، وفيهما : « الحسين » .

(٢) في المنتظم : « بخمسين » .

(٣) المنتظم ٢٤٤/١٦ ، ووفيات الأعيان ١٣٣/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥٨٥/١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٢٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠٦/٥ .

(٤) في النسخ : « الشاشي » . والمثبت من المنتظم .

(٥) المنتظم ٢٤٤/١٦ ، ووفيات الأعيان ١٦٧/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٢٩ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٦٥/٥ .

بعده في حلقاته ، وتفقه على القاضي حسين ، ودخل بغداد وتفقه بها ، وروى بها الحديث ، وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين ، ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ ، وصنف « نهاية المطلب في دراية المذهب » ، و « البرهان » في أصول الفقه ، وغير ذلك من علوم شتى ، واشتغل عليه الطلبة ورحلوا إليه من الأقطار ، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه ، وقد استقصيت ترجمته في « الطبقات » .

وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الآخر^(١) من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، ودفن بداره ، ثم نُقِلَ إلى جانب والده . رحمه الله .

قال ابن خلكان^(٢) : كانت أمه جارية اشتراها والده من كسب يده من النسخ ، وأمرها أن لا يرضعه غيرها ، فاتفق أن امرأة دخلت عليهم فأرضعته مرة ، فأخذه الشيخ أبو محمد فتكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه في حلقه ، ولم يزل به حتى استقاء كل ما كان في بطنه من لبن تلك المرأة . قال : فرجما حصل لإمام الحرمين في بعض مجالس المناظرة فتور ، فيقول : هذا من آثار تلك الرضعة . قال^(٣) : ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور سلم إليه المحارب والمبشر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة ، وبقي ثلاثين سنة غير مراحم ولا مدافع . وصنف في كل فن ، من ذلك « النهاية » الذي ما صنف في الإسلام مثله .

(١) في النسخ : « الأول » . والمثبت من المنتظم ٢٤٧/١٦ ، ووفيات الأعيان ١٦٩/٣ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٣٨ .

(٢) وفيات الأعيان ١٦٩/٣ .

(٣) أى ابن خلكان . وفيات الأعيان ١٦٨/٣ ، ١٦٩ .

قال الحافظ أبو جعفر^(١): سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيَّ يَقُولُ لِإِمَامِ
الْحَرَمَيْنِ: يَا مَفِيدَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، أَنْتَ الْيَوْمَ إِمَامُ الْأَثَمَةِ.

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ «الشَّامِلُ» فِي أَصُولِ الدِّينِ، وَ«الْبُزْهَانُ» فِي أَصُولِ الْفَقْهِ،
وَ«تَلْخِصُ التَّقْرِيبِ»، وَ«الْإِرْشَادُ»، وَ«الْعَقِيدَةُ النَّظَامِيَّةُ»، وَ«غِيَاثُ
الْأُمَمِ»، وَ«غِيَاثُ الْخَلْقِ»^(٢) وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا أَتَمَّهُ وَمِمَّا لَمْ يُتَمِّهِ قَالَ^(٣): وَلَمَّا مَاتَ
فِي ربيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ صَلَّى عَلَيْهِ وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ وَغُلَّقَتْ
الْأَشْوَاقُ وَكَسَرَ تَلَامِيذُهُ أَقْلَامَهُمْ وَمَحَابِرَهُمْ - وَكَانُوا أَرْبَعِمِائَةً - وَمَكَّنُوا كَذَلِكَ
سَنَةً، وَقَدْ رُئِيَ بِمَرَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ^(٤):

قُلُوبُ الْعَالَمِينَ عَلَى الْمَقَالِي وَأَيَّامُ الْوَرَى شِبْهُ^(٥) اللَّيَالِي

أَيْثُمِرُ غُصْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَوْمًا وَقَدْ مَاتَ الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ، أَبُو عَلِيٍّ^(٦)، شَيْخُ
الْمَعْتَزِلَةِ، كَانَ يُدْرَسُ لَهُمْ، فَأَنْكَرَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ، فَلَزِمَ بَيْتَهُ خَمْسِينَ سَنَةً
[٢٠١/٩ظ] إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ
الشُّونِيزِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَنَاطَرَ هُوَ وَالشَّيْخُ أَبُو يَوْسُفَ الْقَزْوِينِيُّ الْمَعْتَزِلِيُّ الْمَفْسُورُ

(١) الْمُتَنْظَم ٢٤٥/١٦، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٦٨/٣، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكِ ١٧٢/٥.

(٢) فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١٦٩/٣، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤٧٥/١٨، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ
٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٣٧: «مَغِيثُ الْخَلْقِ فِي اخْتِيَارِ الْأَحْقِّ».

(٣) وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٦٩/٣، ١٧٠.

(٤) الْبَيْتَانِ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١٧٠/٣، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكِ ١٨٢/٥.

(٥) فِي الْأَصْلِ، خ، ص: «مِثْلُ».

(٦) الْمُتَنْظَم ٢٤٧/١٦، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤٨٩/١٨، وَمِيزَانُ الْاِعْتِدَالِ ٤٦٤/٣، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ

(حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٤٤، وَالْوَفَا فِي الْوَفَيَاتِ ٨٤/٢.

فى إباحة الولدان فى الجنة ، كما حكى ذلك ابن عَقِيل^(١) عنهما ، وكان حاضرهما ، فمالَ هذا إلى إباحة ذلك ؛ لكونه مأمونَ المفسدة هُنالك ، وقال أبو يوسف : إنَّ هذا لا يكون ، ومن أين لك أنهم يكون لهم أذبار ؟ وهذا العضو إنما خُلِق فى الدنيا مخرجاً للأذى ، وليس فى الجنة شىء من ذلك ، فلا يحتاجون إليه ، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية .

وقد روى هذا الرجل حديثاً واحداً عن شيخه أبى الحسين البصري بسنده المتقدم^(٢) ، من طريق شُعْبَةَ ، عن منصور ، عن رُبَيْعِ بْنِ جَرَّاشٍ ، عن أبى مسعود البدرى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » . وقد رواه^(٣) القَعْنَبِيُّ عن شُعْبَةَ ، ولم يَزِرْ عنه سواه ، فقيل : لأنَّه لما رَحَلَ إليه دَخَلَ عليه وهو يَئُولُ على البألوعة ، فسأله أن يحدثه ، فروى له هذا الحديث كالواظ على له ، والتزَمَ أن لا يحدثه بغيره . وقيل : لأنَّ شُعْبَةَ مرَّ على القَعْنَبِيِّ قبل أن يشتغل بعلم الحديث - وكان إذ ذاك يُعانى الشراب - فسأله أن يحدثه فامتنع ، فسأل سيكناً وقال : إن لم تحدثنى وإلا قتلُك . فروى له هذا الحديث ، فتأب وأتاب ، ولزم مَالِكاً ، ثم فاتَه السماعُ من شُعْبَةَ ، فلم يتفق له غيرُ هذا . فالله أعلم .

أبو عبدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ^(٤) ، محمدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحسين^(٥) بن عبدِ الملك^(٦)

(١) المنتظم ٢٤٨/١٦ ، ٢٤٩ .

(٢) تقدم فى ٧٠٧/١٥ .

(٣) المنتظم ٢٤٧/١٦ ، ٢٤٨ .

(٤) تاريخ بغداد ١٠٩/٣ ، والمنتظم ٢٤٩/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤٨٥/١٨ . وتاريخ الإسلام

(جواهر المضىة ٢٦٩/٣ - ٤٧١ هـ) ص ٢٤٧ ، والجواهر المضىة ٢٦٩/٣ .

(٥) فى السير وتاريخ الإسلام : « حسن » .

(٦ - ٦) فى السير وتاريخ الإسلام : « عبد الوهاب » .

(١) ابن عبد الوهاب^(١) بن حثويبه^(٢) الدامغانى الحنفى، قاضى القضاة ببغداد، مولده فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وتفقه ببلده ثم قديم بغداد فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة، فتفقه بها على أبى عبد الله الصيمرى، وأبى الحسين القدورى، وسمع الحديث منهما ومن ابن الثقور^(٣) والخطيب وغيرهم، وبرع فى الفقه، وكان له عقل وافز، وتواضع زائد، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء، وكان فصيح العبارة، وكان فقيراً فى ابتدائه طلبه، عليه أطمار رثة، ثم صارت إليه الرئاسة والقضاء بعد ابن مأكولاً، فى سنة تسع وأربعين، وكان القائم بأمر الله يكرمه، والسلطان طغزلبك يعظمه، وباشر الحكم ثلاثين سنة فى غاية السيرة الحسنة، والأمانة والديانة والصيانة، مرض أياماً يسيرة، ثم توفى فى الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة، وقد ناهز الثمانين، ودُفن بداره بدرج القلائين، ثم نُقل إلى مشهد أبى حنيفة، رحمهما الله تعالى.

محمد بن على بن المطلب، أبو سعيد الأديب^(٤)، كان قد قرأ النحو، والأدب، واللغة، والسيرة، وأخبار الناس، ثم أقْلَع عن ذلك كله، وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم، إلى أن توفى فى هذه السنة عن سِتِّ وثمانين سنة، رحمه الله.

(١ - ١) فى السير وتاريخ الإسلام: «عبد الوهاب».

(٢) فى السير، وتاريخ الإسلام: «حسويه».

(٣) فى الأصل: «البقور»، وفى خ: «المنقور»، وفى ص: «البعور». وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٧٢.

(٤) المنتظم ١٦/ ٢٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٤٦، وفوات الوفيات ٣/ ٤٣٤، والوفاء بالوفيات ٤/ ١٥٠.

محمد بن أبي طاهر [٢٠٢/٩] العباسي، ويعرف بابن الرّجحي^(١)، تفقّه على ابن الصّبّاغ، وناب في الحُكم، وكان محمود الطريفة، وشهد عند ابن الدامغانى فقبله.

منصور بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزِيد، أبو كامل^(٢)، الأمير بعد سيف الدولة صدقة^(٣)، توفّي في رجب^(٤) من هذه السنّة. وقد كان له شعرٌ وأدبٌ، وفيه فضلٌ، فمن شعره قوله:

فإن^(٥) أنا لم أحمل عظيمًا ولم أقدِّ لهامًا ولم أصير على كلِّ^(٦) مُعْظِمٍ
ولم أُجِرْ^(٧) الجاني وأمنع حوزَه^(٨) غداة أنادى للفخارِ فأنتمى
فلا نهَضتْ بي همّةٌ عربيّةٌ إلى المجْدِ^(٩) تُدلي لي^(١٠) ذرى كلِّ مخزَمٍ^(١١)

(١) في الأصل: «أبي الرّجحي»، وفي خ، م: «الرجحي». وانظر ترجمته في المنتظم ٢٥٢/١٦.
(٢) المنتظم ٢٥٢/١٦، ووفيات الأعيان ٢/٤٩١، والكامل ١٠/١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٨٤، والنجوم الزاهرة ٥/١٢٢. وقد ذُكر في الوفيات والكامل وتاريخ الإسلام، أن وفاة منصور كانت في سنة تسع وسبعين.

(٣) في خ، م: «كان كثير الصلاة والصدقة». والمثبت ظاهره أن منصور بن ديبس تولى الإمارة بعد ابنه صدقة، وهذا غير صحيح، فالثابت أن صدقة هو الذي تولى بعد وفاة أبيه منصور، كما في مصادر ترجمته. وانظر ما سيأتى في ص ١٠٣.

(٤) المذكور في الوفيات والكامل أنه توفى في ربيع الأول.

(٥) في الأصل، خ، ص: «إذا». والمثبت موافق لما في الكامل.

(٦) في الكامل: «فعل».

(٧) في الأصل: «أقبل» وفي خ، م: «أحجز». والمثبت موافق لما في الكامل.

(٨) في النسخ: «جوره». والمثبت من الكامل.

(٩ - ٩) في م، خ: «ترقى بي»، وفي ص: «ترقى في».

(١٠) في الأصل: «مخدم». وهذا البيت ليس في الكامل.

هَبَةُ اللَّهِ^(١) بِنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٢) بْنِ أَحْمَدَ، السَّيِّئِ^(٣)، قَاضِي الْحَرِيمِ بَنَهْرٍ مُعَلَّى،
وَمُؤَدَّبُ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَتُوْفِي فِي مُحَرَّمِ هَذِهِ السَّنَةِ،
وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، وَلَهُ شَعْرٌ جَيِّدٌ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ^(٤) :

رَجَوْتُ الثَّمَانِينَ مِنْ خَالِقِي لَمَّا جَاءَ فِيهَا عَنِ الْمُصْطَفَى
فَبَلَّغَنِيهَا فَشُكِّرًا لَهُ وَزَادَ ثَلَاثًا بِهَا أَزْدَفَا
وَإِنِّي لَمُنْتَظِرٌ^(٥) وَعَدَهُ لِيُنْجِزَهُ فَهُوَ أَهْلُ الْوَفَا

(١ - ١) سقط من النسخ، والكامل ١٠/١٤٦، والمثبت من مصادر ترجمته، وانظر: الأنساب ٣/٣٥٥،
والمنتظم ١٦/٢٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٥٥، والنجوم الزاهرة
١٢٢/٥.

(٢) في الأصل: «السبي»، وفي خ: «السنى». وانظر الأنساب ٣/٣٥٤.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل، خ، ص.

(٤) الأبيات في المنتظم ١٦/٢٥٣، والنجوم الزاهرة ١٢٢/٥.

(٥ - ٥) في مصدرى التخريج: «وها أنا منتظر».

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

فيها ^(١) كانت الوقعة بين تُشّ صاحب دِمَشق وبين سليمان بن قُتْلُمِش صاحب حَلَب وأنطاكية وتلك الناحية، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه، فسار السلطان ملكشاه من أصفهان إلى حَلَب فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مرّ بها؛ وهي حرّان والرّها وقلعة جعبر ^(٢)، وكان جعبر شيخاً كبيراً أعمى، وله ولدان، وكان قُطاع الطريق يلجئون إليها فيتحصنون بها، ^(٣) فراسل السلطان ^(٤) جعبر بن سابق في تسليمها فامتنع عليه، فنصب عليها المجانيق والعزادات، ففتحها وأمر بقتل صاحبها سابق، فقالت زوجته: لا تقتله حتى تقتلني معه. فألقاه من ورائها فتكسّر، ثم أمر بتوسيطه ^(٥) بعد ذلك ^(٦)، فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت، فلأمها بعض الناس في ذلك فقالت: كرهت أن يصل إلى التركي فيبقى ذلك عاراً عليّ. فاستحسن منها ذلك، واستتاب السلطان على حَلَب قسيم الدولة آق سُنقر التركي، وهو جدُّ نور الدين الشهيد، واستتاب على الرّحبة وحرّان

(١) المنتظم ٢٥٥/١٦، والكمال ١٤٧/١٠.

(٢) قلعة جعبر على الفرات مقابل صفين. معجم البلدان ١٦٤/٤.

(٣ - ٣) في الأصل: «قتله السلطان».

(٤ - ٤) في خ، م والمنتظم ٢٥٧/١٦: «سابق بن جعبر»، وفي ص: «سابور بن جعبر». والمثبت من

وفيات الأعيان ٣٦٣/١. وانظر ما سيأتي في ص ١٠٥.

(٥) وسطه توسطاً: قطعه نصفين. تاج العروس (و س ط).

وَالرَّقَّةَ وَسُرُوحَ وَالخَابُورِ مُحَمَّدَ بْنَ شَرْفِ الدَّوْلَةِ مُسْلِمًا، وَزَوْجَهُ بِأُخْتِهِ زُلَيْخَا خَاتُونًا. وَعَزَلَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ بْنَ جَهْمٍ عَنْ دِيَارِ بَكْرِ، وَسَلَّمَهَا إِلَى الْعَمِيدِ أَبِي عَلِيٍّ الْبُلْخِي، وَخَلَعَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ دُيَيْسِ الْأَسَدِيِّ، وَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِ أَبِيهِ. وَدَخَلَ بَغْدَادَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَهِيَ أَوَّلُ دَخَلَةٍ دَخَلَهَا، فَزَارَ الْمَشَاهِدَ وَالْقُبُورَ وَدَخَلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ فَقَبَّلَ يَدَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ خِلْعَةً سَنِيَّةً، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ أُمُورَ النَّاسِ، وَاسْتَعْرَضَ الْخَلِيفَةُ أُمَرَاءَهُ وَنِظَامُ الْمُلِكِ وَاقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ، يَعْرِفُهُ بِالْأُمَرَاءِ وَاحِدًا وَاحِدًا، بِاسْمِهِ وَكُنْ جَيْشُهُ وَأَقْطَاعُهُ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ خِلْعَةً سَنِيَّةً، وَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَتَزَلَّ بِمَدْرَسَتِهِ النَّظَامِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَاهَا قَبْلَ هَذِهِ السَّنَةِ، فَاسْتَحْسَنَهَا إِلَّا أَنَّهُ اسْتَضَعَّرَهَا، وَاسْتَحْسَنَ أَهْلُهَا وَمَنْ بَهَا مِنَ الْجَمَاعَةِ، رَجِمَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ خَالِصًا لَوُجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَنَزَلَ بِخَزَانَةِ كُتُبِهَا وَأَمْلَى جُزْءًا مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ، فَسَمِعَهُ الْمُحَدِّثُونَ مِنْهُ.

وَوَرَدَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي يَعْلَى^(١) الْحُسَيْنِيُّ^(٢) [٢٠٢/٩ ظ] الدَّبُوسِيُّ إِلَى بَغْدَادَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ، فَزَرَّبَهُ مَدْرَسًا بِالنَّظَامِيَّةِ بَعْدَ أَبِي سَعْدِ الْمُتَوَلَّى. وَفِي رَيِّعِ الْآخِرِ فُرِعَتْ الْمَنَارَةُ بِجَامِعِ الْقَصْرِ وَأُذِّنَ فِيهَا. وَفِيهَا كَانَتْ زَلَازِلُ هَائِلَةٌ بِالْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ وَالشَّامِ، فَهَدَمَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْعُمَرَانِ، وَخَرَجَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَى الصَّحَرَاءِ ثُمَّ عَادُوا.

(١ - ١) فِي النِّسْخِ: «الْحُسَيْنِ». وَالمُثَبَّتُ مِنَ الْكَامِلِ ١٠/١٥٨، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٣٢. وَانْظُرِ الْأَنْسَابَ ٢/٤٥٥، وَسِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩/٩١، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكِ ٥/٢٩٦.
(٢) فِي م وَالْكَامِلِ: «الْحُسَيْنِ».

وحجَّ بالناسِ الأميرُ خُمارَتِكِينُ الحَسَنَانِي ، وقُطِعَتْ خطبَةُ المَصرِيِّينَ مِن مَكَّةَ والمدِينَةِ ، وقُليعتِ الصَّفائِحُ التي على بابِ الكَعْبَةِ التي عليها ذِكرُ المَصرِيِّ ، ومُجَدِّدُ غَيرِها عليها اسمُ المُقْتَدِي .

قال ابنُ الجُوزِيِّ^(١) : وظَهَرَ رَجُلٌ بَينَ السُّنَدِيَّةِ^(٢) وَوَاسِطِ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَهُوَ مَقْطُوعُ اليَدِ اليُسْرَى ،^(٣) يَفْتَحُ القُفْلَ فِي أَسرِعِ مَدَّةٍ^(٤) ، وَيَغُوصُ دِجْلَةَ فِي غَوْصَتَيْنِ ، وَيَقْفِرُ القَفْزَةَ^(٥) خَمْسَةً وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا ، وَيَتَسَلَّقُ الحِيطَانَ المُلَسَّ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَخَرَجَ مِنَ العِرَاقِ سَالِمًا . قال : وفيها ثَوْفِي فَقِيرٌ يَسْأَلُ النَّاسَ بِجَامِعِ المَنصُورِ ، فَوُجِدَ فِي مُرَقَّعَتِهِ سِتُّمِائَةِ دِينَارٍ مَغْرِبِيَّةٍ . قال : وفيها عَمَلُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةُ سِمَاطًا لِلسُّلْطَانِ جَلالِ الدَّوْلَةِ أَبِي الفَتْحِ مَلِكِشَاه ؛ اشْتَمَلَ عَلَى أَلْفِ رَأْسٍ مِنَ الغَنَمِ ، وَمِائَةٍ مِنَ الجَمالِ وَالخَيْلِ وَغَيرِها ، ودَخَلَهُ عَشْرُونَ أَلْفًا مَتًّا مِنَ السَّكْرِ ، وَقَدْ عَلِقَ عَلَيْهِ مِنَ أَصْنَافِ الطُّيُورِ وَالوُحُوشِ المَنْفُوحَةِ مِنَ السَّكْرِ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، فَتناوَلَ السُّلْطَانُ مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا ، ثُمَّ أَشارَ فَانْتَهَبَ عَنْ آخِرِهِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنَ ذَلِكَ المَكانِ إِلَى سُرَادِقِ عَظِيمٍ لَمْ يُرْ مِثْلُهُ مِنَ الحَرِيرِ ، وفيهِ خَمْسُمِائَةِ قِطْعَةٍ مِنَ الفِضَّةِ ، وَأَلوانٌ مِنَ تَمائِيلِ النَّدِّ والمِسْكِ والعَنْبَرِ وَغَيرِ ذَلِكَ ، فَمَدَّ فِيهِ سِمَاطًا خَاصًّا ، فَأَكَلَ السُّلْطَانُ حِينَئِذٍ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَقَدَّمَ لَهُ ذَلِكَ السُّرَادِقَ بِكَمالِهِ ، وَأَنصَرَفَ .

(١) المنتظم ٢٦٠ / ١٦ ، ٢٦١ .

(٢) في المنتظم : « ديار بنى أسد » .

(٣ - ٣) كَذَا فِي النسخ . وفي المنتظم : « كان يقع على القفل بنفسه فيقتل ويُثْبِلُ ويأخذ المال » . في اللسان (ق ف ل) : « رجل قافل من قوم قُفَّال والقفل اسم للجمع . وهم القفل بمنزلة القعد اسم يلزمهم .

(٤ - ٤) كَذَا فِي النسخ ، وفي المنتظم : « خمسة عشر » .

وَمَنْ تُوْفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الأمير جَعْبَرُ بْنُ سَابِقِ الْقَشِيرِيِّ^(١)، الملقَّب سابقَ الدين، كان قد تَمَلَّكَ قلعة جَعْبَرٍ مدةً طويلةً فَنُسِبَتْ إليه، وأما كان يقال لها قبل ذلك : الدَّوسَرِيَّةُ . نِسْبَةً إلى غلامِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، ثم إنَّ هذا الأميرَ كَبِيرَ وَعَمِيٍّ، وكان له وَلَدَانِ يَقْطَعَانِ الطريقَ، فاجْتَاَزَ به السلطانُ مَلِكُشَاهُ بْنُ أَلْبِ أَرْسَلَانَ السَّلْجُوقِيَّ وهو ذاهبٌ إلى حَلَبَ ؛ لِيَأْخُذَهَا فاستنزله مِنْهَا وقتله، وأَخَذَهَا مِنْهُمْ في هذه السنة .

الأميرُ خُتْلُغُ^(٢) أميرُ الحَاجِّ ؛ كان مُقْطَعًا الكوفةَ، وله وَقَعَاتٌ مع العربِ أَعْرَبَتْ عن شجاعته، وَأَرْعَبَتْ قُلُوبَهُمْ، وشرَّدَتْهم في البلادِ شَدَرَ مَذَرَ، وقد كان حَسَنَ السيرةِ مُحَافِظًا على الصلواتِ، كثيرَ التلاوةِ، وله آثارٌ حَسَنَةٌ بطريقِ مَكَّةَ في إصلاحِ المصانعِ والأماكنِ التي يُحْتَاجُ إليها، وله مدرسةٌ على الحَنَفِيَّةِ بِمَشْهَدِ يُوسُفَ بالكوفةِ، وبَنَى مسجدًا بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ على دِجْلَةٍ، بِمَشْرِعَةِ الْكَرْخِ . وكانت وفاته في جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هذه السنةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَمَّا بَلَغَ نِظَامَ الْمُلْكِ وفاته قال : ماتَ أَلْفُ رَجُلٍ .

عَلِيُّ بْنُ فَضَالٍ الْمَجَاشَعِيُّ^(٣)، أَبُو الْحَسَنِ^(٤) النَحْوِيُّ الْمَغْرِبِيُّ^(٥)، له المصنَّفاتُ

(١) وفيات الأعيان ٣٦٣/١، وسير أعلام النبلاء ٥٥٢/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٦٣، والوفاء بالوفيات ٨٤/١١.

(٢) المنتظم ٢٦٢/١٦، والكامل ١٦٣/١٠ (وفيات سنة ثمانين)، والنجوم الزاهرة ١٢٣/٥.

(٣) في م : « المشاجعي ». وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٦٣/١٦، ومعجم الأدباء ٩٠/١٤، وإنباه الرواة ٢٩٩/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٢٨/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٧٠.

(٤) في النسخ : « على ». والمثبت من مصادر ترجمته، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٢٤.

(٥) في الأصل، ص : « المعري »، في خ : « اللغوي ». وانظر معجم الأدباء ٩٨/٤.

الدَّالَّةُ عَلَى عِلْمِهِ وَغَزَارَةِ فَهْمِهِ ، وَأَسْنَدِ الْحَدِيثِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ بِبَابِ أُبْرَزَ .

عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ التُّشْتَرِيُّ^(١) ، كَانَ مُقَدَّمُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الْمَالِ وَالْجِدَّةِ ، وَلَهُ مَرَائِبُ تَعْمَلُ فِي الْبَحْرِ . [٢٠٣/٩] قَرَأَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَتَفَرَّدَ بِرَوَايَةِ « سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ » . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

يَعْقُبُ بْنُ^(٢) الْحُسَيْنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْحُسَيْنِيِّ ، كَانَ فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ زَيْدِ ابْنِ عَلِيٍّ ، وَعِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأُصُولِ وَالْحَدِيثِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْقَشِيرِيُّ » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : الْمُنْتَظَم ٢٦٤/١٦ ، وَفِيهِ : مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَالْكَامِل ١٥٩/١٠ ، وَفِيهِ : أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّيْرِيُّ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤٨١/١٨ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٦٩ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣/٣٦٣ .
(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : م . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : الْمُنْتَظَم ٢٦٦/١٦ .

ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

فى المحرم منها^(١) نُقل جهازُ ابنة السلطان ملكشاه إلى دارِ الخلافةِ المكرّمة على مائة وثلاثين جَمَلًا مُجَلَّلَةً بالديباجِ الرُّومى ، غاليها أوانى الذهبِ والفضّة ، وعلى أربع وسبعين بَغْلًا مُجَلَّلَةً بأنواعِ الديباجِ الملكى ، على ستّة منها اثنا عشر صُنْدُوقًا من فضة ، فيها جواهرٌ وحلى ، وبين يدي البغالِ ثلاثٌ وثلاثون فرسًا عليها مراكبُ الذهبِ مُرَصَّعةٌ بأنواعِ الجواهرِ ، ومَهْدٌ عظيمٌ مُجَلَّلٌ بالديباجِ الملكى عليه صفائحُ الذهبِ مرصّعةٌ بالجواهرِ ، وبعث الخليفةُ لتلقّيهم الوزيرُ أبا شجاع ، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبيّةٍ غيرِ المشاعلِ لخدمة الست خاتون امرأة السلطان تركان خاتون ، حماة الخليفة ، وسألها أن تحملَ الوديعَةَ الشريفةَ إلى دارِ الخلافةِ ، فأجابَتْ إلى ذلك ، فحضرَ الوزيرُ نظامُ الملِكِ وأعيانُ الأمراءِ ، وبين أيديهم من الشموعِ والمشاعلِ مالا يُحصى ، وجاءت نساءُ الأمراءِ ، كلُّ واحدةٍ منهنّ فى جماعتِها وجوارِها ، وبين أيديهنّ الشموعُ والمشاعلُ ، ثم جاءتِ الخاتونُ ابنةُ السلطانِ زوجةُ الخليفةِ - بعدَ الجميعِ - فى محفّةٍ مُجَلَّلَةٍ ، وعليها من الذهبِ والجواهرِ مالا تُحصى قيمته ، وقد أحاطَ بالمحفّةِ مائتا جاريةٍ تُزَكِّيَةُ بالمراكبِ المُزَيَّنَةِ يَتَهَرَّونَ الأبصارَ ، فدخلت دارَ الخلافةِ على هذه الصّفةِ ، وقد زَيَّنَ الحرِيمُ الطاهرُ وأشعلت فيه الشموعُ ، وكانت ليلةً مشهودةً هائلةً جدًّا . فلمّا كان من الغدِ ، أحضرَ الخليفةُ أمراءَ السلطانِ ومدَّ سِمَاطًا لم يُرَ مثله ، عمّ الحاضرين

(١) المنتظم ٢٦٨/١٦ ، والكامل ١٦٠/١٠ .

والغائبين، وخلع على الخاتون زوجة السلطان، وكان يوماً مشهوداً، وكان السلطان مُتَغَيِّباً في الصيد، ثم قَدِمَ بعدَ أيام. وكان الدخولُ بها في أوَّلِ السَّنةِ، فولدت من الخليفة في ذى القعدة ولداً ذكراً زُيِّنَتْ له بغدادُ. وفي هذه السَّنةِ وُلِدَ للسلطانِ مَلِكُشاهٌ ولَدَ سَمَاهُ محموداً، وهو الذى مَلَكَ بعده. وفيها جعل السلطانُ ولده أبا شجاعٍ أحمدَ ولِىَّ العهدِ من بعده، ولَقَّبَهُ مَلِكُ الملوكِ عَضْدَ الدولة وتاجِ المِلَّةِ عُدةَ أميرِ المؤمنين، وخطبَ له بذلك على منابرِ بغدادَ وغيرها، ونثر الذهبُ على الخطباءِ عندَ ذكرِ اسمِهِ.

وفيها شَرِعَ فى بناءِ التاجِيَّةِ بِيابِ أُنْزَرَ، وعُمِلَتِ مُسَنَّةٌ^(١)، وعُرسَتِ النخيلُ والفواكهُ هُنَالِكَ، وعُمِلَ سورٌ بأمرِ السلطانِ مَلِكُشاه.

وحجَّ بالناسِ نجمُ الدولة خُمارَتِكِيْنُ.

ومَن تُوِّفَى فيها مِنَ الأَغْيَانِ :

إسماعيلُ بنُ^(٢) عبدِ الله^(٢) بنِ موسى بنِ سعيد^(٣)، أبو القاسمِ السَّائِي^(٤)، رَحَلَ فى الحديثِ إلى الآفاقِ حتى جَاوَزَ ما وراءَ النهرِ، وكان له حظٌّ وافٍ فى الأدبِ، ومعرفةِ العريَّةِ، تُوِّفَى بَنِيْسَابُورَ فى جُمادى الأولى من هذه السَّنةِ.

(١) فى خ، م: «بستان»، وكانت هذه المسناة على نهر الزاهر، انظر المنتظم ٢٧١/١٦. والمسناة: سد يبنى لحجز ماء السيل أو النهر، به مفاخ للماء تفتح على قدر الحاجة. تاج العروس (س ن ي).
(٢ - ٢) فى النسخ: «إبراهيم». والمثبت من مصادر ترجمته: المنتظم ٢٧١/١٦، والكامل ١٠/١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٨٩، والمختب من السياق لتاريخ نيسابور ص ١٤٢.

(٣) فى الأصل، ص، والكامل: «سعد». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٤) فى م: «النيسابورى».

طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبُتْدَنِيحِيُّ^(١)، أَبُو الْوَفَا الشَّاعِرُ الْمُبَرِّزُ، لَهُ قَصِيدَتَانِ فِي
مَدْحِ نِظَامِ الْمَلِكِ؛ إِحْدَاهُمَا مُعْجَمَةٌ، وَالْأُخْرَى غَيْرُ مَثْقُوطَةٍ، أَوَّلُهَا:

لَا مُوَاوِلُو عِلْمُوا مَا لِلزُّمِّ مَا لَأُمُوَا وَرَدَّ لَوَمَهُمْ هَمٌّ وَأَلَامُ
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَبْلُدُهُ فِي رَمَضَانَ عَنْ تَيْفٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

مُحَمَّدُ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِي^(٢) «بِأَمْرِ اللَّهِ»^(٣)، عَرَضَ لَهُ جُدَرِيٌّ فَمَاتَ مِنْ
هَذِهِ السَّنَةِ وَلَهُ تِسْعُ سِنِينَ، [٢٠٣/٩ ظ] فَحَزَنَ عَلَيْهِ وَالِدُهُ وَالنَّاسُ، وَجَلَسُوا
لِلْعَزَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَقُولُ: إِنَّ لَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً، حِينَ تُوفِّيَ ابْنُهُ
إِبْرَاهِيمُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ثُمَّ عَزَمَ عَلَى النَّاسِ فَانْتَصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ.

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ
ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَبُو الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيُّ^(٤)، الْمَلَقَّبُ بِالْمُرْتَضَى
ذِي الشَّرَفَيْنِ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِبَغْدَادَ وَنَشَأَ بِهَا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ
الكَثِيرَ، وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ عَلَى الشُّيُوخِ، وَصَحِبَ الْحَافِظَ أَبَا بَكْرٍ الْخَطِيبَ، فَصَارَتْ لَهُ
مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْحَدِيثِ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ الْخَطِيبُ شَيْئًا مِنْ مَرْوِيَّاتِهِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى
سَمَرْقَنْدَ، وَأَمْلَى الْحَدِيثَ بِأَصْبَهَانَ وَغَيْرِهَا. وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى عَقْلِ كَامِلٍ، وَقُضِّلَ
وَمُرُوءَةً، وَكَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ، وَأَمْلاكٌ مَتَّسِعَةٌ، وَنِعْمَةٌ وَافِرَةٌ، يُقَالُ: إِنَّهُ مَلِكٌ

(١) المنتظم ٢٧١/١٦، والكامل ١٠/١٦٣.

(٢ - ٢) سقط من: خ، م. وانظر ترجمته في: المنتظم ٢٧٣/١٦.

(٣) المنتظم ٢٧٣/١٦، وتذكرة الحفاظ ٣/١٢١٢، والمنتخب من السياق ص ٥٨، وسير أعلام
النبلأ ١٨/٥٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٣١١، والوافي بالوفيات
١٤٣/١.

أَرْبَعِينَ قَرْيَةً . وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْبِرِّ وَالصَّلَةِ لِلْعُلَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ ، وَبَلَغَتْ زَكَاةُ مَالِهِ الصَّامِتِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ غَيْرَ زَكَاةِ الْعُشُورِ ، وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ لَيْسَ لِمَلِكٍ مِثْلُهُ ، فَطَلَبَتْهُ مِنْهُ مَلِكُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ - وَاسْمُهُ الْخَضِرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - عَارِيَّةً لِيَتَنَزَّهُ فِيهِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ وَقَالَ : أُعِيرُهُ إِثَّاهُ لِيَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرَ بَعْدَمَا كَانَ مَأْوَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ وَالِدِّينِ ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَحَقَّدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ إِلَيْهِ لِيَسْتَشِيرَهُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ عَلَى الْعَادَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدَهُ قَبِضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي قَلْعَتِهِ ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى جَمِيعِ أَمْلاكِهِ وَحَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِهِ ، فَكَانَ يَقُولُ : مَا تَحَقَّقْتُ صِحَّةَ نَسَبِي إِلَّا بِهَذِهِ الْمُصَادَرَةِ ، فَإِنِّي رُئِيتُ فِي النَّعِيمِ ، فَكُنْتُ أَقُولُ : إِنَّ مِثْلِي لَا يُدُّ أَنْ يُتَكَلَّى . ثُمَّ مَنَعُوهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ حَتَّى مَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الْقَلْعَةِ ، فَأَخْرَجُوهُ فَدَفَنُوهُ هُنَاكَ ، فَقَبْرُهُ يُرَآءُ ، أَكْرَمَ اللَّهُ مَثْوَاهُ .

مُحَمَّدُ بْنُ هَلَالِ بْنِ «الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ»^(١) ، أَبُو الْحَسَنِ «بْنُ الصَّائِي»^(٢) ، الْمُلَقَّبُ بِغُرْسِ النُّعْمَةِ ، سَمِعَ أَبَاهُ وَأَبَا عَلِيٍّ بْنَ شاذَانَ ، وَكَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَعْرُوفٌ ، وَقَدْ ذَيَّلَ عَلَى تَارِيخِ أَبِيهِ الَّذِي ذَيَّلَهُ عَلَى تَارِيخِ ثَابِتِ بْنِ سَنَانٍ ، الَّذِي ذَيَّلَهُ عَلَى تَارِيخِ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ ، وَقَدْ أَنْشَأَ دَارًا بِبَغْدَادَ ، وَوَقَفَ فِيهَا^(٣) أَرْبَعَةَ آلَافٍ^(٤) مُجَلَّدٍ ، فِي فُنُونٍ مِنَ الْعُلُومِ ، وَتَرَكَ حِينَ مَاتَ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَدُفِنَ بِمَشْهَدِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ .

(١ - ١) فِي خ ، م : «الْحَسَنِ» ، وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : الْمُنْتَظَمِ ٢٧٥ / ١٦ ، وَوَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ١٠١ / ٦ (فِي تَرْجُمَةِ أَبِيهِ هَلَالٍ) ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٩٨ ، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرُ ١٢٦ / ٥ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٧٩ / ٣ .

(٢ - ٢) فِي النِّسْخِ ، وَالْمُنْتَظَمِ : «الصَّائِي» . وَالمُثَبَّتُ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَانْظُرْ تَارِيخَ بَغْدَادَ ٧٦ / ١٤ ، وَوَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ١٠١ / ٦ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٧٨ / ٣ .

(٣ - ٣) فِي الْمُنْتَظَمِ : «أَرْبَعَمِائَةٍ» .

هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَلِيِّ^(١)، أَبُو نَصْرِ، جَمَعَ خُطَبًا
وَوَعظًا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى مَشَايخٍ عَدِيدَةٍ، وَتُوِّفَى شَابًّا قَبْلَ أَوَانِ الرِّوَايَةِ.

أَبُو بَكْرِ بْنُ عَمَرَ، أَمِيرُ الْمُتَمِيمِينَ^(٢)، كَانَ فِي أَرْضِ فَرْعَانَةَ^(٣)، اتَّفَقَ لَهُ مِنَ
النَّامُوسِ مَا لَمْ يَتَّفَقْ لغيرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ، كَانَ يَرْكَبُ مَعَهُ إِذَا سَارَ لِقِتَالِ عَدُوِّ
خَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، كُلٌّ يَعْتَقِدُ [٢٠٤/٩] طَاعَتَهُ، وَكَانَ يَقِيمُ الْحُدُودَ وَيَحْفَظُ
مَحَارِمَ الْإِسْلَامِ، وَيَسِيرُ فِي النَّاسِ سِيرَةً شَرِيعَةً، مَعَ صَحَّةٍ مَعْتَقِدَةٍ، وَمُؤَالَاةٍ
الدَّوْلَةِ الْعَبَاسِيَّةِ. أَصَابَتْهُ نُشَابَةٌ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ، فَجَاءَتْهُ فِي حَلِقِهِ فَقَتَلَتْهُ فِي هَذِهِ
السَّنَةِ.

فَاطِمَةُ بِنْتُ عَلِيٍّ^(٤)، الْمُؤَدَّبَةُ^(٥) الْكَاتِبَةُ، وَتُعْرَفُ بِبِنْتِ الْأَفْرَعِ، سَمِعَتْ
الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي عَمَرَ بْنِ مَهْدِيٍّ وَغَيْرِهِ، وَكَانَتْ تَكْتُبُ الْمُنْسُوبَ^(٦) عَلَى طَرِيقَةِ
ابْنِ الْبَوَّابِ، وَيَكْتُبُ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَبَخْطُهَا كَانَتْ الْهُدْنَةُ مِنَ الدِّيَوَانِ إِلَى مَلِكِ
الرُّومِ، وَكُتِبَتْ مَرَّةً إِلَى عَمِيدِ الْمَلِكِ الْكُنْدَرِيِّ^(٧) رُقْعَةً فَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ. تُوِّفِيَتْ
فِي الْحَرَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِيَعْدَادَ، وَدُفِنَتْ بِبَابِ أَبْرَزَ.

-
- (١) فِي خ، ص، م: «الجلِّي». وَاَنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: الْمُنْتَظَمِ ٢٧٦/١٦.
(٢) فِي الْأَصْلِ: «الْمُسْلِمِينَ». وَاَنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: الْمُنْتَظَمِ ٢٧٦/١٦، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ ١٢٦/٥.
وَالْمُلْتَمُونَ: قَوْمٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ مَلَكَوْا الْأَنْدَلُسَ. تَاجُ الْعُرُوسِ (ل ث م).
(٣) مَدِينَةُ كَبِيرَةٌ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ مُتَاحِمَةٌ لِبِلَادِ تَرْكِسْتَانَ. مَعْجَمُ الْبِلَادِ ٨٧٩/٣.
(٤) الْمُنْتَظَمِ ٢٧٢/١٦، وَالْكَامِلُ ١٦٣/١٠، وَفِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤٨٠/١٨، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ
(حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٤٧١ - ٤٨٠ هـ) ص ٢٩٥، وَالْعَبْرُ ١٣٢/٣: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.
(٥) فِي الْمُنْتَظَمِ، وَالْكَامِلِ: «الْمُؤَدَّبَةُ».
(٦) الْمُنْسُوبُ: خَطٌّ مُنْسُوبٌ إِلَى ذُو قَاعِدَةٍ. التَّاجُ (ن س ب).
(٧) فِي خ، ص، م: «الْكَنْدِيُّ».

ثم دخلت سنة إحدَى وثمانين وأربعمائة

فيها^(١) كانت فِتْنٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الرِّوَاغِصِ وَالسُّنَّةِ بَيْغَدَادَ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ. وَفِي ربيعِ الآخِرِ^(٢) أُخْرِجَتِ الْأَثْرَاكُ مِنْ حَرِيمِ الْخِلَافَةِ، وَهَذَا فِيهِ قُوَّةٌ لِلْخِلَافَةِ. وَفِيهَا مَلِكٌ مَسْعُودُ بْنُ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ بِلَادَ غَزَنَةَ بَعْدَ أَبِيهِ. وَفِيهَا فَتَحَ مَلِكُشَاهُ مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدَ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ الْأَمِيرُ خُمَارَتِكِينَ، وَمَنْ حَجَّ فِيهَا الْوَزِيرُ أَبُو شُجَاعٍ، وَاسْتَنَابَ وَلَدَهُ أَبَا مَنْصُورٍ وَطِرَادَ بْنَ مُحَمَّدٍ الزُّيْنَبِيِّ.

وَمَنْ تُوُفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَحْمَدُ بْنُ السُّلْطَانِ مَلِكُشَاهُ^(٣)، كَانَ وَلِيَ عَهْدَ أَبِيهِ، تُوُفِيَ وَغُمَرُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً، فَمَكَثَ النَّاسُ فِي الْعَزَاءِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَرْكَبْ أَحَدٌ فَرَسًا، وَالنِّسَاءُ يَنْحَنُّنَ عَلَيْهِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَسَوَّدَ أَهْلُ الْبِلَادِ الَّتِي لِأَبِيهِ أَنْبَابَهُمْ.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرٍ، أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ الْهَرَوِيُّ^(٤)، رَوَى الْحَدِيثَ وَصَنَّفَ، وَكَانَ كَثِيرَ السَّهْرِ بِاللَّيْلِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَرَاةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ عَنْ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

(١) المنتظم ٢٧٧/١٦، والكامل ١٠/١٦٤.

(٢) فِي م: «الأول».

(٣) الكامل ١٠/١٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠) ص ٦.

(٤) المنتظم ٢٧٨/١٦، وطبقات الحنابلة ٢/٢٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/٥٠٣، وتذكرة الحفاظ ٣/١١٨٣،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٥٣، والوفاء بالوفيات ١٧/٥٩٧.

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

في المحرم^(١) درّس أبو بكر الشامي بالمدرسة التاجية بباب أبرز، وكان قد أنشأها صاحب تاج الملوك أبو الغنائم على الشافعية. وفيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة، ورفعوا المصاحف، وجرت حروب طويلة، وقُتل خلق كثير؛ نقل ابن الجوزي في «المنتظم»^(٢) من خط ابن عقيل، أنه قُتل في هذه السنة قريب من مائتي رجل، قال: وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج رسول الله ﷺ، وارتفعوا إلى سب رسول الله ﷺ، فلغنة الله على أهل الكرخ الذين فعلوا ذلك. وإنما حكيت هذا ليَعْلَمَ الواقف عليه ما في طوايا الروافض من الحبث والبغض لدين الإسلام وأهله، والعداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم لله ولرسوله وشريعته.

وفيها ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وطائفة كثيرة من تلك الناجية، بعد حروب عظيمة ووقعات هائلة. [٢٠٤/٩] وفيها استولى جيش المصريين على عدة من بلاد الشام. وفيها غمّرت منارة جامع حلب. وفيها أرسلت الخاتون بنت السلطان تشكو إلى أبيها إغراض الخليفة عنها، فبعث إليها أبوها الطواشي صواباً والأمير برّان^(٣) ليُرْجِعَهَا إليه، فأجاب الخليفة إلى ذلك، وبعث

(١) المنتظم ٢٨١/١٦، والكمال ١٨٠/١٠.

(٢) المنتظم ٢٨٣/١٦.

(٣) في خ، م: «مران».

معها بالنقيب وجماعة من أعيان الأمراء، وخرج ابنُ الخليفة أبو الفضل والوزير فشيعاها إلى التَّهْرَوَانِ وذلك في ربيع الأول، فلَمَّا وَصَلَتْ إلى عِنْدِ أَيْيَها تُوفِّيَتْ في شَوَّالٍ من هذه السَّنَةِ بِأَضْبَهَانَ، فَعُمِلَ عَزَاؤُها بِبَغْدَادَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَأُرْسِلَ الخليفةُ إلى السُّلْطَانِ أَمِيرَيْنِ لَتَغْرِيتِهِ فيها. وَحُجَّ بالناسِ في هذه السَّنَةِ حُمَا زَكَيْنُ.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ^(١)، المعروفُ بظاهر^(٢)، النِّيسَابُورِيُّ، الحافظُ، رَحَلَ وَسَمِعَ الكَثِيرَ، وَخَرَّجَ، وَعَاجَلَهُ المَوْتُ في هذه السَّنَةِ بِهَمْدَانَ وهو شابٌّ. عَلِيُّ بْنُ أَبِي يَغْلَى^(٣) بْنِ زَيْدٍ^(٤)، أَبُو القاسمِ الدُّبُوسِيُّ، مدرسُ النُّظَامِيَّةِ بَعْدَ المَتَوَلَّى، وَقَدْ سَمِعَ شَيْئًا مِنَ الحديثِ، وَكَانَ فَقِيهًا مَاهِرًا، وَجَدَلِيًّا بَاهِرًا.

عَاصِمُ بْنُ الحُسَيْنِ^(٥) بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَاصِمِ بْنِ مِهْرَانَ، أَبُو الحُسَيْنِ العَاصِمِيُّ، مِنْ أَهْلِ الكَرْخِ، سَكَنَ بَابَ الشَّعِيرِ، وُلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ، وَسَمِعَ الحديثَ مِنَ الخطيبِ وغيره، وَكَانَ ثَقَّةً حَافِظًا،

(١) المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٢٧١ وفيه: «ظاهر بن أحمد»، ص ٣٥٠ وفيه «عبد الصمد ابن أحمد»، والمنتظم ٢٨٥/١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٨٧.

(٢) في النسخ، والمنتظم «بطاهر». والمثبت من المنتخب ص ٣٥٠. وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٥٣.

(٣ - ٣) سقط من: خ، م. وانظر ترجمته في: الأنساب ٤٥٥/٢، والمنتظم ٢٨٥/١٦، والكمال ١٨١/١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٩١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٩٦/٥.

(٤) في الأصل، خ، ص: «الحسين». وانظر ترجمته في: المنتظم ٢٨٦/١٦، والكمال ١٨٠/١٠، وسير أعلام النبلاء ٥٩٨/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٠٧، وشذرات الذهب ٣/٣٦٨.

وَمِنْ شَعْرِهِ الْجَيِّدُ قَوْلُهُ^(١) :

لَهْفَى عَلَى قَوْمٍ بِكَاطِمَةٍ وَدَغَتْهُمْ وَالرَّكْبُ مُعْتَرِضُ
لَمْ تَتْرُكِ الْعَبْرَاتُ مَذْ بَعْدُوا لِي مُقْلَةً تَزُونُ وَتَغْتَمِضُ
رَحَلُوا^(٢) فَدَمَعِي وَاكِفٌ^(٣) هَطْلُ جَارٍ وَقَلْبِي حَشْوُهُ مَرَضُ
وَتَعَوَّضُوا لَا دَقْتُ فَقَدَهُمْ عَنِّي وَمَالِي عَنْهُمْ عَوَضُ
أَفَرَضْتُهِمْ قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْهُمْ^(٤) فَمَارَدُوا الَّذِي أَفْتَرَضُوا

محمد بن أحمد بن حامد بن عبيد^(٥) ، أبو جعفر البخاري المتكلم المعتزلي ،
أقام ببغداد ويعرف بقاضي حلب ، وكان حنفياً المذهب في الفروع ، معتزلياً في
الأصول ، مات ببغداد في هذه السنة ، ودُفِنَ ببابِ حَرْبٍ .

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأصبهاني^(٦) ،
المعروف بسنكويه^(٧) ، أحد الحفاظ الجوالين الرخاليين ، سَمِعَ الكثير ، وجمع
الكتب ، وأقام بهراً ، وكان صالحاً كثير العبادة ، تُوفِّيَ بَنِيْسَابُورَ فِي ذِي الْحِجَّةِ
مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

(١) المنتظم ٢٨٧/١٦ .

(٢ - ٣) المنتظم : « فطر في دمه » .

(٣) في المنتظم : « بهم » .

(٤) المنتظم ٢٨٨/١٦ ، سير أعلام النبلاء ٥٨٦/١٨ ، وميزان الاعتدال ٤٦٢/٣ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٩٥ ، والجواهر المضية ٢٣/٣ .

(٥) المنتظم ٢٨٨/١٠ ، والمنتخب من السياق ص ٦٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/١٩ ، وتذكرة الحفاظ

١٢١٢/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٩٦ ، والوفاء بالوفيات ٨٨/٢ .

(٦) في الأصل : « يسكويه » وفي خ ، م : « بمسلفة » وفي ص : « بمسلونه » ، والمثبت من مصادر ترجمته .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

فى المحرم^(١) وردَ الفقيه أبو عبد الله الطبري بمنشور نظام الملك بالتدريس بالنظامية ببغداد، فدرس بها، ثم فى ربيع الأول وردَ الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي بمنشور آخر منه بالتدريس بها، فاتفق الحال على أن يدرس هذا يومًا وهذا يومًا.

وفى جمادى الأولى ذهَمَ أهل البصرة رجل اسمه: تليًا^(٢)، كان ينظر فى النجوم، فاستغوى خلقًا من أهلها، وزعم أنه المهدي، وأحرق من البصرة شيئًا كثيرًا، من ذلك دارٌ كُتِبَ كانت أول دارٍ كُتِبَ وُقِفَتْ فى الإسلام، وأُثْلِفَ شيئًا كثيرًا من الدوابِّ والمصانع؛ وغير ذلك.

وفىها خلِعَ على أبى القاسم^(٣) على بن طراد الزينبي بِنقابة العباسيين بعد أبيه. وفىها استفتى على معلّمى الصّبيان أن يُمنَعوا من المساجد صيانة لها، ولم يُستثنَ منهم سوى رجلٍ كان فقيها شافعيًا يدرى كيف تُصان المساجد [٢٠٥/٩]، واستدلّ المفتى بقوله عليه الصلاة والسلام: «سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أبى بكرٍ»^(٤). وحجّ بالناس فيها حُمازَتَكين على العادة.

(١) المنتظم ٢٨٩/١٦.

(٢) فى النسخ: «بلياً» والمثبت من المنتظم الموضع السابق، والكامل ١٨٣/١٠.

(٣ - ٣) سقط من: م. وانظر المنتظم ٢٨٩/١٦.

(٤) تقدم فى ٤٢/٨، ٤٣.

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الوزيرُ أَبُو نَصْرِ بْنِ جَهْيَرٍ ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَهْيَرٍ^(١) ، فخرُ الدولة ،
أحدُ مشاهيرِ الوزراءِ ، وَزَرَ للقائمِ ، ثم لولدهِ الْمُقْتَدِي ، ثم عزَّله مَلِكُشَاهُ السُّلْطَانُ
وولَّاهُ^(٢) دِيَارَ بَكْرِ وَغَيْرَهَا ، فماتَ بِالمُوصِلِ فِي هذهِ السَّنَةِ ، وَهِيَ الْبِلْدُ الَّتِي وُلِدَ
بِهَا .

(١) بعده في خ ، م : « بن » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٩٠ / ١٦ ، ووفيات الأعيان ١٢٧ / ٥ ، وسير
أعلام النبلاء ٦٠٨ / ١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١١٨ ، وشذرات
الذهب ٣٦٩ / ٣ .

(٢) بعده في النسخ : « ولده فخر الدولة » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة^(١)

فى المحرم منها كتب المنجم الذى أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعّوهم إلى طاعته ، ويذكر فى كتابه أنه المهديّ صاحب الزمان الذى يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويهدي الخلق إلى الحق ، فإن أطعتم أمّتم من العذاب ، وإن عدلتم عن الحق خُسف بكم ، فأمنوا بالله وبالإمام المهديّ .

وفىها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وشدّ الزنار ، وكذلك نساؤهم فى الحفامات وغيرها . وفى جمادى الأولى قديم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزاليّ الطوسيّ من أصفهان إلى بغداد على تدريس النظاميّة بها ، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة . قال ابن الجوزيّ^(٢) : وكان كلامه معسولاً ، وذكاؤه شديداً . وفى رمضان منها عُزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة ، فأنشد عند عزله^(٣) :

تولّأها وليس له عدوّ وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد ، فخرج منها إلى عدة أمّاكن ، فلم تطب له ، فعزم على الحجّ ، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه ؛

(١) المنتظم ٢٩٢/١٦ ، والكامل ١٨٦/١٠ .

(٢) المنتظم ٢٩٢/١٦ .

(٣) المنتظم ٢٩٣/١٦ ، والكامل ١٨٧/١٠ .

يسأله أن يكون عديله في ذلك ، وناب ابن الموصلايا في الوزارة ، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أوّل هذه السنة . وفي رمضان دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك ، وقد خرج لتلقّيه قاضى القضاة أبو بكر الشامي^(١) ، وابن الموصلايا المسلماني^(٢) ، وجاءت ملوك الأطراف إليه ؛ للسلام عليه ، منهم أخوه تاج الدولة تئش صاحب دمشق ، وأتابكه قسيم الدولة آق شنقر صاحب حلب .

وفي ذى القعدة خرج ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير إلى الكوفة . وفيها استوزر أبو منصور بن جهير - وهى التوبة الثانية لوزارته للمقتدى - وخلع عليه ، وركب إليه نظام الملك فهتأ في داره بباب العامة . وفي ذى الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة ، وأشعلت نيراناً عظيمة ، وأوقدت شموع كثيرة ، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جداً ، وقد نظّم فيها الشعراء الشعر ، فلما أصبح النهار من هذه الليلة طيف بالخيّث الداعية المدعى أنّه المهديّ - تلياً المنجم - على جميل ببغداد وهو يشب الناس ، والناس يلعنونه ، وعلى رأسه [٢٠٥/٩ ظ] طرطور بودع ، والدرة تأخذه من كل جانب ، ثم صلب بعد ذلك .

وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بعمارة جامع المنسوب إليه بظاهر الشور . وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب كثيراً من بلاد الأندلس ، وأسر صاحبها المعتمد بن عبّاد ، وسجنه وأهله بأغما^(٣) ، وقد كان المعتمد هذا موصوفاً بالكرم والأدب والحلم ، وحسن

(١) فى الأصل : « الساجى » ، وفى خ ، م : « الشامى » المنتظم ٢٩٣/١٦ .

(٢) فى الأصل : « السلماى » .

(٣) سقط من : خ ، م . وأغما : ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراکش . معجم البلدان

السيرة والعشرة ، والإحسان إلى الرعية ، والرّفق بهم ، فحزّن الناس عليه ، وقال في مُصابيه الشعراء فأكثرُوا .

وفيهما ملكتِ الفرنجُ مدينةَ صِقْلِيَّةَ مِن بلادِ المغربِ ، وماتَ مَلِكُهُم ، فقامَ مِن بعده ولَدُهُ ، فسارَ في الناسِ سيرةَ ملوكِ المسلمين ، وأحسنَ إليهم كأنَّهُ منهم . وفيها كانت زلازلٌ كثيرةٌ بالشامِ وغيرها ، فهَدَمَتْ بُنيانًا كثيرًا ، وكان مِن جملةِ ذلك تَشْعُونُ بُرْجًا مِن سُورِ أَنْطَاكِيَّةَ ، وهَلَكَ تَحْتَ الْهَدْمِ خَلْقٌ كثيرٌ . وحجَّ بالناسِ فيها خُمَارَتَكَيْنِ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ ^(١) «بْنِ عَلَّكَ» ، أبو طاهرٍ ، وُلِدَ بِأَصْبَهَانَ ، وَتَفَقَّهَ بِسَمَرْقَنْدَ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ سَبَبَ فَتْحِهَا عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ مَلِكُشَاهُ ، وَكَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ . قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُنْذَه ^(٢) : لَمْ نَرِ فَقِيهًا فِي وَقْتِنَا أَنْصَفَ مِنْهُ ، وَلَا أَعْلَمَ ، وَكَانَ فَصِيحَ اللَّهْجَةِ كَثِيرَ الْمُرُوءَةِ غَزِيرَ النِّعْمَةِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِبَغْدَادَ ، وَمَشَى الْوُزَرَاءُ وَالْكَبَرَاءُ فِي جِنَازَتِهِ ، غَيْرَ أَنْ نِظَامَ الْمُلْكِ رَكِبَ ، وَاعْتَذَرَ بِكَبَرِ السِّنِّ ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيِّ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ مَلِكُشَاهُ إِلَى الثَّرْبَةِ . قَالَ ابْنُ عَقِيلَ : جَلَسْتُ بِكَرَةِ الْعِزَاءِ إِلَى جَانِبِ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَالْمُلُوكُ قِيَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،

(١ - ١) سقط من : خ ، م ، وفي الأصل ، ص : «علل» . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٩٥ / ١٦ ،
والكامل ٢٠٠ / ١٠ ، (وفيه عبد الرحمن بن محمد) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ -
٤٩٠ هـ) ص ١٢٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٠١ / ٥ ، وشذرات الذهب ٣ / ٣٧٢ .
(٢) المنتظم ٢٩٦ / ١٦ .

اجْتَرَأْتُ عَلَى ذَلِكَ بِالْعِلْمِ . حَكَاهُ ابْنُ الْجَوَزِيِّ ^(١) .

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ ^(٢) «بَنِي حَامِدٍ» ، أَبُو نَصْرِيرِ الْمَرْوَزِيِّ ، كَانَ إِمَامًا فِي الْقِرَاءَاتِ ، وَلَهُ فِيهَا الْمَصْنُفَاتُ ، وَسَافَرَ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ غَرِقَ فِي الْبَحْرِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَبَيْنَمَا الْمَوْجُ يَرْفَعُهُ وَيَضَعُهُ إِذْ نَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ قَدْ زَالَتْ ، فَتَوَى الْوُضُوءَ وَانْغَمَسَ فِي الْمَاءِ ثُمَّ صَعِدَ ، فَإِذَا خَشَبَةٌ فَرَكِبَهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا ، وَرَزَقَهُ اللَّهُ السَّلَامَةَ بِرُكَّةِ الصَّلَاةِ ^(٣) ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ دَهْرًا ، وَتُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَهُ نَيْفٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً .

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ ^(٤) ، أَبُو بَكْرِ النَّاصِحُ ، الْفَقِيهُ الْحَنْفِيُّ الْمُنَاطِرُ الْمُتَكَلِّمُ الْمُعْتَرِلِيُّ ، وَقَدْ وَلَّى الْقَضَاءَ بَنِيْسَابُورَ ، ثُمَّ عُزِّلَ مِنْهَا بِخِيَانَةٍ وَكُلَّاهِ وَأَخَذَهُمُ الرُّشَا ، وَوَلَّى قَضَاءَ الرَّيِّ ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ . تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ مِنْهَا .

أَرْثَقُ بْنُ أَكْسَبٍ ^(٥) التُّرْكُمَانِيُّ ، جَدُّ الْمُلُوكِ الْأَرْزُقِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ الْيَوْمَ مُلُوكُ مَارْدِينَ ، كَانَ شَهْمًا شَجَاعًا عَالِي الْهِمَّةِ ، تَغَلَّبَ عَلَى بِلَادٍ كَثِيرَةٍ ، وَقَدْ تَرَجَّمَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ ، وَأَرَّخَ وَفَاتَهُ [٢٠٦/٩هـ] بِهَذِهِ السَّنَةِ .

(١) المنتظم ٢٩٦/١٦ .

(٢-٣) سقط من : م ، وفي خ : « حماد » وفي ص : « مجاهد » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٩٧/١٦ ، ومعجم الأدباء ٢٣٠/١٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٣٣ ، والوفاء بالوفيات ٨٨/٢ ، وغاية النهاية ٧٢/٢ .

(٣) في خ ، م : « امتثاله للأمر واجتهاده على العمل » .

(٤) في م : « الحسن » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٩٧/١٦ ، والمختار من السياق ص ١٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٣٦ ، والجواهر المضية ١٨٤/٣ .

(٥) في خ ، م : « ألب » . وانظر ترجمته في : زبدة الحلب ٨٤/٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ووفيات الأعيان ١٩١/١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٢٣ ، والوفاء بالوفيات ٣٣٦/٨ .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة^(١)

فيها أمر السلطان مَلِكُشَاهُ ببناء سوقِ المدينة المعروفة بِطُغْرُبُك ، إلى جانب دارِ المَلِكِ ، وجَدَّدَ خاناتِها وأسواقَها ودُورَها ، وأمر بتجديد الجامع الذي تَمَّ على يد هارونَ الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ووقف على نَصَبِ قِبْلَتِهِ بنفسِهِ ، ومُنَجَّمَهُ إِبْرَاهِيمَ حَاضِرٌ ، ونُقِلَتْ إِلَيْهِ أَحْشَابُ جَامِعِ سَامَرَّا ، وشرعَ نِظَامُ المَلِكِ في بناءِ دارٍ هائلةٍ له ، وكذلك تاجُ الملوكِ أبو الغنائم ، شرعَ في بناءِ دارٍ هائلةٍ أيضًا ، واستوطنوا البلدَ ، فطابَتْ لَهُمُ بَغْدَادُ .

وفي جمادى الأولى وقعَ حريقٌ عظيمٌ ببغدادَ في أَمَاكِنَ شَتَّى ، فما أُطْفِئَ حتى هَلَكَ لِلنَّاسِ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، فما عَمَّرُوا بِقَدْرِ مَا حُرِقَ وما غَرِمُوا .

وفي ربيعِ الأوَّلِ خرجَ السلطانُ إلى أَصْهَافَانَ^(٢) ، وفي صحبَتِهِ وَلَدُ الخليفةِ أَبُو الفَضْلِ جَعْفَرٌ ، ثم عادَ إلى بغدادَ في رمضانَ ، فبينما هو في الطريقِ يومَ عَاشِرِهِ^(٣) عَدَا صَبِيٌّ مِنَ الدَّيْلَمِ عَلَى الوَظِيرِ نِظَامِ المَلِكِ ، بَعْدَ أَنْ أَفْطَرَ ، فَضَرَبَهُ بِسُكَّيْنٍ فَقَضَى عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ الصَّبِيَّ الدَّيْلَمِيَّ فَقَتَلَ . وقد كان من كبارِ الوزراءِ ، وخيارِ الأمراءِ ، وسنذكرُ شَيْئًا مِنْ سِيرَتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ تَرْجَمَتِهِ .

وقدِمَ السلطانُ بِغَدَادَ في رمضانَ بِنَيْتَةٍ غَيْرِ صَالِحَةٍ ، فَلَقَاهُ اللَّهُ في نَفْسِهِ ما

(١) المنتظم ٢٩٨/١٦ ، والكامل ٢٠٢/١٠ .

(٢) في المنتظم ٢٩٩/١٦ : « أَصْهَافَانَ » . وانظر الكامل ٢١٧/١٠ .

(٣) سقط من الأصل ، وفي خ : عاشور ، وفي م : « عاشوراء » .

يَتَمَنَّاهُ لِأَعْدَائِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ رِكَابُهُ بِبَغْدَادَ ، وَجَاءَ النَّاسُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ ، وَالتَّهْنِئَةِ بِقُدُومِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يُهَيِّئُهُ ، بَعَثَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَقُولُ لَهُ : لَا بَدَأُ أَنْ تَتْرَكَ لِي بَغْدَادَ ، وَتَتَحَوَّلَ إِلَى أَىِّ الْبِلَادِ شِئْتَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَسْتَنْظِرُهُ شَهْرًا ، فَقَالَ : وَلَا سَاعَةً وَاحِدَةً . فَأَرْسَلَ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ فِي إِنْظَارِهِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ تَمَتُّعٍ شَدِيدٍ ، فَمَا اسْتَمَّ الْأَجَلَ حَتَّى خَرَجَ السُّلْطَانُ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ إِلَى الصَّيْدِ ، فَأَصَابَتْهُ حُمَّى شَدِيدَةٌ ، فَانْقَصَدَ ، فَمَا قَامَ مِنْهَا حَتَّى مَاتَ قَبْلَ الْعَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ .

فَاسْتَحْوَذَتْ زَوْجَتُهُ زُبَيْدَةُ خَاتُونُ عَلَى الْجَيْشِ ، وَضَبَطَتْ الْأَحْوَالَ جَيِّدًا ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى الْخَلِيفَةِ تَسْأَلُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ وَلَدُهَا مُحَمَّدٌ مَلِكًا بَعْدَ أَبِيهِ ، وَأَنْ يُخْطَبَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ ، فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْخِلْعِ ، وَبَعَثَ يُعَزِّيْهَا وَيُهَيِّئُهَا مَعَ وَزِيرِهِ عَمِيدِ الدَّوْلَةِ ابْنِ جَهْمِيرٍ ، وَكَانَ عُمرُ الْمَلِكِ مُحَمَّدٍ هَذَا يَوْمَئِذٍ خَمْسَ سِنِينَ ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ وَالِدَتُهُ فِي الْجِيوشِ ، وَسَارَتْ بِهِ نَحْوَ أَصْبَهَانَ لَتَوَطَّدَ لَهُ الْمَلِكُ ، فَدَخَلُوهَا وَتَمَّ لَهُمْ مَرَادُهُمْ ، وَخُطِبَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ حَتَّى فِي الْحَرَمَيْنِ ، وَاسْتُؤْزِرَ لَهُ تَاجُ الْمَلِكِ أَبُو الْغَنَائِمِ الْمَرْزُبَانُ بْنُ خِشْرَوِ ، وَأَرْسَلَتْ أُمُّ الْمَلِكِ مُحَمَّدٍ تَسْأَلُ لَهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُولِّيَهُ الْمَلِكُ ، وَأَنْ يَجْعَلَ وَلَايَاتِ الْعَمَالِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : هَذَا لَا يُسَيِّغُهُ الشَّرْعُ . وَوَافَقَهُ الْغَزَالِيُّ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَفْتَى الْمُشْطَبُ ^(١) بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَنْفِيُّ بِجَوَازِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُعْمَلْ إِلَّا بِقَوْلِ الْغَزَالِيِّ ، وَانْحَازَ أَكْثَرُ جَيْشِ السُّلْطَانِ إِلَى ابْنِهِ الْآخِرِ بَزْكَيَا رَوْقَ ، فَبَايَعُوهُ وَخَطَبُوا لَهُ بِالرَّيِّ ، وَانْفَرَدَتِ الْخَاتُونُ وَوَلَدُهَا وَمَعَهُمْ شِوْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْجَيْشِ وَالْخَاصِّكِيَّةِ ، فَأَنْفَقَتْ فِيهِمْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ

(١) فِي خ ، م : « الْمُشْطَبِ » . وَانْظُرِ الْكَامِلَ ٢٢٧/١٠ ، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضْيَا فِي طَبَقَاتِ الْخَنْفِيَّةِ ٤٨٣/٣ .

ألف دينار لقتال بَزْكَيَارُوقَ بْنِ مَلِكُشَاه ، فَالتَقُوا فِي ذِي الْحِجَّةِ ، فَكَانَتْ خَاتُونُ هِيَ الْمُنْهَزِمَةُ وَمَعَهَا وَلَدُهَا . وَقَدْ ثَبَتَ فِي « صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ » ^(١) : « لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ » .

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتَرَضَتْ بُنُوحَفَاجَةُ لِلْحَجِيجِ ، فَقَاتَلَهُمْ مَنْ فِي الْحَجِيجِ مِنَ الْجُنْدِ مَعَ الْأَمِيرِ حُمَاوَزَكِينَ ، فَهَزَمُوهُمْ ، وَنَهَبَتْ أَمْوَالُ الْأَغْرَابِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

وَفِيهَا جَاءَ بَرْدٌ شَدِيدٌ عَظِيمٌ بِالْبَصْرَةِ ، وَزُنُ الْبَرْدَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهُ [٢٠٦/٩ ط ٢] خَمْسَةُ أَرْطَالٍ ، إِلَى ثَلَاثَةِ عَشْرِ رَطْلًا ، فَاتَلَفَتْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَشْجَارِ ، وَجَاءَ رِيحٌ عَاصِفٌ قَاصِفٌ فَالْقَى عَشْرَاتِ الْأُلُوفِ مِنَ النَّخِيلِ أَيْضًا ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَ تَاجُ الدَّوْلَةِ تُتَشُّ صَاحِبُ دِمَشْقَ مَدِينَةَ حِمَصَ ، وَقَلْعَةَ عِرْقَةَ ^(٢) ، وَقَلْعَةَ أَفَامِيَّةَ ^(٣) ، وَمَعَهُ قَسِيمُ الدَّوْلَةِ آقَ سُنْقَرُ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ جَهَّزَ سَرِيَّةً إِلَى الْيَمَنِ صُحْبَةً سَعِدِ الدَّوْلَةِ كُوْهْرَائِينَ ، وَأَمِيرٍ آخَرَ مِنَ الثُّرَكَمَانِ ، فَدَخَلَهَا وَأَسَاءَ فِيهَا السَّيْرَةَ ، فَتَوَفَّى كُوْهْرَائِينَ يَوْمَ دَخُولِهِ إِلَيْهَا فِي مَدِينَةِ عَدَنَ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

(١) تقدم في ٢/ ٣٣١ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، خ : « غَزَنَة » . وَعِرْقَة : بَلَدَةٌ فِي شَرْقِي طَرَابُلُسَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ ، وَعَلَى جَبَلِهَا قَلْعَةٌ لَهَا . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٣/ ٦٥٣ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « أَفَامِيَّة » ، وَفِي ص : « أَقَامِيَّة » . وَانْظُرِ الْكَامِلَ ١٠/ ٢٠٣ . وَأَفَامِيَّة : مَدِينَةُ حَصِينَةٍ مِنْ سَوَاحِلِ الشَّامِ ، وَكُورَةٌ مِنْ كُورِ حِمَصَ ، وَيُسَمِّيهَا بَعْضُهُمْ فَامِيَّةَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١/ ٣٢٢ .

وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

جعفر بن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ، أبو الفضل التميمي^(١) ، المعروف بابن الحكاك المكي ، رحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان ، وغير ذلك من البلاد ، وسمع الكثير ،^(٢) وخرج الأجزاء^(٣) ، وكان حافظاً مثقفاً ، ثقة ضابطاً أدبياً ، صدوقاً خيراً ، وكان يتراسل عن صاحب مكة ، وكان من ذوى الهيئات والمروءات ، قارب الثمانين ، رحمه الله .

نظام الملك الوزير^(٤) هو الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس ، أبو علي الوزير ، نظام الملك ، وزر للملك ألب أرسلان ، وولده ملكشاه^(٥) تسعاً وعشرين سنة ، كان من خيار الوزراء ، وُلد بطوس^(٦) في سنة ثمان وأربعمائة ، وكان أبوه ممن يخدم أصحاب محمود بن سبكتكين ، وكان من الدهاقين ، فأشغل ولده هذا ، بقراءة القرآن وله إحدى عشرة سنة ، وأشغله بعلم القراءات والتفقه على مذهب الشافعي ، وسمع الحديث واللغة والنحو ، وكان عالي الهمة فحصل من ذلك طرفاً صالحاً ، ثم ترقى في المراتب حتى وزر للسلطان ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق ، ثم من بعده لولده ملكشاه لم يُنكب في شيء منها .

(١) في م : « التميمي » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٣٠٢/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٣١/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٤١ ، والوفاء بالوفيات ١١/١٦٧ ، ومراة الجنان ١٣٨/٣ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، وخرج الأجزاء : أي هي فوائد خرجها ابن الحكاك لأبي الحسين بن الثقور في أربعة أجزاء من مسموعاته . انظر الوافي بالوفيات ١١/١٦٧ .

(٣) المنتظم ٣٠٢/١٦ ، ووفيات الأعيان ١٢٨/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٩٤/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٤٢ ، وطبقات الشافعية ٣٠٩/٤ .

(٤ - ٤) في الأصل : « ثلاثين » .

(٥) في الأصل ، ص : « بطرسوس » . وانظر المنتظم ٣٠٢/١٦ .

وبنى المدارس النظاميات ببغداد ونيسابور وغيرهما، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والعلماء، بحيث يقضى معهم عامة أوقاته، ف قيل له ^(١) : إن هؤلاء قد شغلوك عن كثير من المصالح . فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلستهم على رأسي ما استكثرث ذلك . وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري، وأبو المعالي الجويني قام لهما، وأجلسهما في المسند، فإذا دخل أبو علي الفارمذي قام وأجلسه مكانه، وجلس بين يديه، فعوتب في ذلك، فقال ^(٢) : إنهما إذا دخلا عليّ قالا : أنت وأنت، فأزادوا تيهها، وأما الفارمذي يذكر لي عيوي وظلمي، فأنكسر وأرجع عن كثير من الذي أنا فيه .

وكان محافظاً على الصلوات في أوقاتها لا يشغله بعد الأذان شغل عنها، وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس، وله الأوقاف الدارة، والصدقات البارة .

وكان يعظم الصوفية تعظيماً زائداً، فعوتب في ذلك، فقال ^(٣) : إنني كنت أخذم بعض الأمراء فجاءني يوماً إنسان، فقال لي : اخذم من تنفعك خدمته، ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً . فلم أفهم ما يقول، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة، فخرج في أثناء الليل وهو ثمل، وكانت له كلاب تفترس الغرباء بالليل، فلم تعرفه ومزقته، فأصبح وقد أكلته الكلاب، قال : فأنا أطلب مثل ذلك الشيخ .

(١) المنتظم ٣٠٣/١٦، ووفيات الأعيان ١٢٨/٢ .

(٢) المنتظم ٣٠٣/١٦، والكامل ٢٠٩/١٠، ووفيات الأعيان ١٢٩/٢ .

(٣) المنتظم ٣٠٣/١٦، ٣٠٤، ووفيات الأعيان ١٢٨/٢ .

وقد أسمع الحديث في أماكن شتى ببغداد وغيرها، وكان يقول^(١) : إنني لأعلم بأنني لست أهلاً للرواية، ولكني أحب أن أربط في قطارِ نقلة حديث رسول الله [٢٠٧/٩] ﷺ. وقال أيضاً^(٢) : رأيت في المنام إبليس فقلت له : ويحك ، خلقتك الله وأمرتك بالسجود له مُشافهةً فأبيت ، وأنا لم يأمرني بالسجود وأنا أسجدُ له في كل يوم مرّاتٍ ، فأنشأ يقول^(٣) :

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوَصَالِ أَهْلًا فَكُلُّ إِحْسَانِهِ ذُنُوبٌ

وقد أجلسه المقتدي مرةً بين يديه ، وقال له^(٤) : يا حسنُ ، رضى الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك . وقد ملك ألوفاً من الترك .

وكان له بنون كثيرة ، وزر منهم خمسة ؛ وزر ابنه أحمدُ للسلطان محمد بن ملکشاه ، ولأمير المؤمنين المسترشد بالله .

خرج نظام الملوك مع السلطان من أصبهان قاصداً بغدادَ في مُشتهل رمضان من هذه السنة ، فلما كان اليوم العاشر اجتاز في بعض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند وهو يسايره في محفة ، فقال^(٥) : قد قُتل ههنا خلقٌ من الصحابة زمن عمر ، رضى الله عنه ، فطوبى لمن يكون عندهم . فاتفق أنه لما أفطر جاءه صبي في هيئة مُستغيث به ومعه قصّة ، فلما انتهى إليه ضرب به بسكين في فؤاده وهرب . فعثر بطُنب الخيمة ، فأخذ فقتل ، ومكث الوزير ساعة ، وجاءه السلطان يعودُه فمات

(١) المنتظم ٣٠٤/١٦ ، ووفيات الأعيان ١٢٩/٢ .

(٢) المنتظم ٣٠٥/٦ .

(٣) المنتظم ٣٠٥/١٦ .

(٤) وفيات الأعيان ١٢٨/٢ .

(٥) المنتظم ٣٠٥/١٦ ، ووفيات الأعيان ١٣٠/٢ .

وهو عنده، رجمه الله، وقد اتهم السلطان في أمره أنه هو الذى مالأ عليه، فلم تطل مدته بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً، فكان فى ذلك عبرة لأولى الألباب .
ولما بلغ أهل بغداد موت النظام حزنوا عليه، وجلس الوزير والرؤساء للعزاء ثلاثة أيام، ورثاه الشعراء، منهم مقاتل بن عطية، فقال^(١) :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يئمة صاعها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردّها غيرّة منه إلى الصدف
وأنتى عليه ابن عقيّل وابن الجوزي^(٢) وغيرهما، رجمه الله .

عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقياً^(٣)، أبو القاسم الشاعر، من أهل الحرّيم الطاهري^(٤)، وُلِدَ سنة عَشْرٍ وأربعمائة، وسمع الحديث، وكان أدبياً شاعراً ماهراً، غير أنه رماه بعضهم برأى الأوائل،^(٥) وأنه قال^(٦) : فى السماء نهز من ماءٍ ونهز من لبنٍ، ونهز من خمير، ونهز من عسلٍ، وما يسقط من ذلك قطرة إلى الأرض إلا هذا الذى هو يُخربُ البيوت ويهدمُ الشقوق . وهذا الكلام كُفِّرَ من قائله، لعنه الله، نقله عنه ابن الجوزي فى « المنتظم »^(٦) .

(١) المنتظم ٣٠٧/١٦، ووفيات الأعيان ١٣٠/٢ .

(٢) المنتظم ٣٠٦/١٦، ٣٠٧ .

(٣) فى الأصل، خ، ص : « باقيا »، وفى م : « ياقيا » . والمثبت من مصادر ترجمته : المنتظم ٣٠٧/١٦، والكمال ٢١٨/١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٥٠، ولسان الميزان ٣٨٤/٣، وميزان الاعتدال ٥٣٣/٢ .

(٤) فى الأصل، خ، م : « الظاهري » . والحرّيم الطاهري : بأعلى مدينة السلام بغداد فى الجانب الغربى منسوب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق . معجم البلدان ٢/٢٥٥ .

(٥ - ٥) فى خ، م : « وأنكر أن يكون »، وفى ص : « وأنه كان » .

(٦) المنتظم ٣٠٧/١٦ .

وَحَكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ وَجَدَ فِي كَفِّهِ^(١) مَكْتُوبًا حِينَ مَاتَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ^(٢) :

نَزَلْتُ بِجَارٍ لَا يُحَيِّبُ ضَيْفَهُ أَرْجَى نَجَاتِي مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ
وَلَمَّا نِيَّ عَلَى خَوْفِي مِنَ اللَّهِ وَاثِقٌ بِإِنْعَامِهِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ

مَالِكُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَانِيَّاسِيُّ الشَّامِيُّ^(٣) ،
وَقَدْ كَانَ لَهُ اسْمٌ آخَرُ سَمَّاهُ بِهِ أُمُّهُ ؛ عَلِيٌّ أَبُو الْحَسَنِ ، فَغَلَبَ عَلَيْهِ مَا سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ ،
وَمَا كُنَّاهُ بِهِ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى مَشَايِخَ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْ أَبِي
الْحَسَنِ بْنِ الصَّلْتِ ، هَلَكَ فِي حَرِيقِ سَوَاقِ الرَّيْحَانِيِّينَ ، وَلَهُ ثَمَانِ وَثَمَانُونَ سَنَةً ،
وَكَانَ ثَقَّةً عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ .

السُّلْطَانُ مَلِكُشَاهُ^(٤)

السُّلْطَانُ الْكَبِيرُ جَلَالُ الدَّوْلَةِ ، أَبُو الْفَتْحِ مَلِكُشَاهُ بْنُ أَبِي شُجَاعٍ أَلْبِ أَرْسَلَانَ
ابْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ بْنِ تُقَاقَ^(٥) التُّرْكِيُّ ، مَلِكُ بَغْدَادَ - كَمَا
ذَكَرْنَا^(٦) - وَامْتَدَّتْ مَمْلَكَتُهُ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَرَاسَلَهُ

(١) فِي خ ، م : « كَفِّهِ » .

(٢) الْمُنْتَظَمُ ٣٠٨/١٦ ، وَالْكَامِلُ ٢١٨/١٠ .

(٣) الْمُنْتَظَمُ ٣٠٨/١٦ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٥٢٦/١٨ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٦١ ، وَالْعَبْرُ ٣٠٨/٣ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٧٦/٣ .

(٤) الْإِنْبَاءُ فِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ ص ٢٠٥ ، وَالْمُنْتَظَمُ ٣٠٨/١٦ ، وَالْكَامِلُ ٢١٠/١٠ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢٨٣/٥ . وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٥٤/١٩ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٦٢ .

(٥) فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٢٨٣/٥ : « دَقَاقٌ » ، وَفِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ١٣٤/٥ : « دَقْمَانٌ » ، وَانْظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ
النِّبَلَاءِ ٤١٤/١٨ .

(٦) تَقْدِمُ فِي ص ٣٧ .

الملوك من سائر الأقاليم والأقطار، حتى ملك الروم والخزر^(١) واللان^(٢)، وكانت دولته صارمة، والطرق آمنة، ومع عظمته يقف للمسكين والمرأة [٢٠٧/٩ ط] والضعيف، فيقضى حوائجهم.

وقد عمّر العمارات الهائلة، وبني القناطر، وأسقط المكوس والضرائب، وحفر الأنهار الكبار الخراب، وبني مدرسة أبي حنيفة والشوق، وبني الجامع الذي يقال له: جامع السلطان. ببغداد، وبني منارة القرون من صيوه بالكوفة، ومثلها فيما وراء النهر، وضبط ما صاده بنفسه في صيوه، فكان نحوًا من عشرة آلاف صيّد، فتصدّق بعشرة آلاف درهم، وقال^(٣): «إني خائف من الله تعالى أن أكون أرهقت»^(٤) نفس حيوان لغير مأكلة.

وقد كانت له أفعال حسنة، وسيرة صالحة؛ من ذلك^(٥) أن فلانًا أنهى إليه أن غلمانًا له أخذوا له حمل بطيخ هو رأس ماله. فقال: اليوم أُرّد عليك حملك. ثم قال لقيمه: أريد أن تأتوني اليوم ببطيخ. ففتشوا، فإذا في خيمة الحاجب بطيخ، فحملوه إليه، فاستدعى الحاجب فقال: من أين لك هذا البطيخ؟ قال: جاء به الغلمان. فقال: أحضرهم. فذهب فهرّبهم، فأرسل إليه، فأخضره وسلمه إلى الفلاح، وقال: خذ بيده؛ فإنه مملوكي ومملوك أبي، فإياك أن تفارقه. فردّ عليه حملَه، فخرج الفلاح يحمله وفي يده الحاجب، فاستفدى نفسه منه

(١) الخزر: بلاد الترك، خلف باب الأبواب المعروف بالذرنند، قريب من سد ذى القرنين. معجم البلدان ٤٣٦/٢.

(٢) اللان: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب. معجم البلدان ٣٤٣/٤.

(٣) المنتظم ٣٠٩/١٦، والكمال ٢١٣/١٠، ووفيات الأعيان ٢٨٥/٥.

(٤) في الأصل: «أهرقت»، وفي خ: «أرهقت»، وفي المنتظم ٣٠٩/١٦: «إرهاق».

(٥) المنتظم ٣٠٩/١٦، ووفيات الأعيان ٢٨٦/٥.

بثلاثمائة دينار .

ولما توجه لقتال أخيه تكش^(١) ، اجتاز بطوس ، فدخل لزيارة قبر علي بن موسى الرضا ، ومعه نظام الملك ، فلما خرجا قال للنظام^(٢) : بم دعوت ؟ قال : دعوت الله أن يظفرك على أخيك . فقال : لكنني قلت : اللهم إن كان أخي أصلح للمسلمين فظفره بي ، وإن كنت أصلح لهم فظفروني به .

وقد سار ملكشاه هذا بعسكره من أصفهان إلى أنطاكية فما عرف أن أحدا من جيشه ظلم أحدا من رعيته .

واستعذى إليه تركمانني أن رجلا اقتض بكاره ابنته ، وهو يريد أن يكتنه من قتله ، فقال له^(٣) : يا هذا إن ابنتك لو شاءت ما مكنته من نفسها ، فإن كنت لا بد فاعلا فاقتلها معه . فسكت الرجل ، ثم قال الملك : أو خير من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فإن بكارتها قد ذهبت ، فزوجها من ذلك الرجل وأمهزها من بيت المال كفايتها . ففعل .

وحكى له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يوما في بعض أسفاره بقرية منفردا من جيشه ، فوقف على باب دار فاستسقى ، فأخرجت إليه جارية إناء فيه ماء قصب السكر بالثلج ، فشرب منه فأعجبه ، فقال^(٣) : كيف تصنعين هذا ؟ فقالت : إنه سهل علينا اعتصاره على أيدينا . فطلب منها شربة أخرى ، فذهبت لتأتيه بها فوقع في نفسه أن يأخذ هذا المكان منهم ويعوضهم عنه ، فأبطأت عليه ،

(١) في خ ، م : « تكش » . وانظر المنتظم ١٦ / ٣١٠ ، ووفيات الأعيان ٥ / ٢٨٥ .

(٢) المنتظم ١٦ / ٣١٠ .

(٣) المنتظم ١٦ / ٣١٠ ، ٣١١ .

ثم خرجت وليس معها شيء، فقال: مالك؟ فقالت: كأن نية سلطاننا تغيرت علينا، فتعسر على اغتصاره - وهي لا تعرف أنه السلطان - فقال: اذهبي فإنك الآن تقدرين. وغير نيته إلى غيرها، فذهبت وجاءته بشربة أخرى سريعاً، فشربها وأنصرف. فقال له [٢٠٨/٩] السلطان ملكشاه: هذه تصلح لي، ولكن قص على الرعية حكاية كسرى الأخرى حين اجتاز بيستان، فطلب من ناطوره عنقوداً من حصرم؛ فإنه قد أصابته صفراء، وعطش. فقال له الناطور: إن السلطان لم يأخذ حقه منه، فلا أقدر أن أعطيك منه شيئاً. قال: فعجب الناس من ذكاء الملك، وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك.

واستعداه رجلان من الفلاحين على الأمير خمارتيكين أنه أخذ منهما مالا جزيلاً وكسر ثيبيتهما، وقالاً^(١): سمعنا بعدلك في العالم، فإن أقدتنا منه كما أمرك الله وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة. وأخذاً بركابه، فنزل عن فرسه وقال لهما: خذا بكمي فاسحباني إلى دار نظام الملك. فهابا ذلك، فعزم عليهما، ففعلما ما أمرهما به، فلمّا بلغ النظام مجيء السلطان إليه خرج مُسرِعاً من خيمته؛ فقال له الملك: إني قلدتك الأمر لئنصف المظلوم ممن ظلمه. فكتب من فوره بعزل خمارتيكين وحل أقطاعه، وأن يؤد إليهما أموالهما، وأن يقلعا ثيبيته إن قامت عليه البيّنة، وأمر لهما الملك من عنده بمائة دينار.

وأسقط مرّة بعض المكوس، فقال رجل من المشتوفين^(١): يا سلطان العالم، إن هذا يغدل ستمائة ألف دينار وأكثر. فقال: ويحك، إن المال مال الله، والعباد عبيده، والبلاد بلادُه، وإنما يبقى هذا لي، ومن نازعني في هذا ضربت عنقه.

(١) المتظم ٣١١/١٦.

وَعَنَّتْهُ امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ فَطَرِبَ وَتَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَيْهَا ، فَهَمَّ بِهَا ، فَقَالَتْ ^(١) : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنِّي أَغَارُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ مِنَ النَّارِ ، وَبَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ . فَاسْتَدْعَى بِالْقَاضِي فَرَّوْجَهُ بِهَا .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ^(٢) ، عَنْ ابْنِ عَقِيلٍ ؛ أَنَّ السُّلْطَانَ مَلِكُشَاه كَانَ قَدْ فَسَدَتْ عَقِيدَتُهُ بِسَبَبِ مَعَاشَرَتِهِ بَعْضَ الْبَاطِنِيَّةِ ، ثُمَّ تَنَصَّلَ مِنْ ذَلِكَ وَرَاجَعَ الْحَقَّ . وَذَكَرَ أَنَّ ابْنَ عَقِيلٍ كَتَبَ لَهُ شَيْئًا فِي الدَّلِيلِ عَلَى إِثْبَاتِ الصَّانِعِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا ^(٣) أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ آخِرَ مَرَّةٍ إِلَى بَغْدَادَ عَزَمَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا ، فَاسْتَنْظَرَهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، فَمَرِضَ السُّلْطَانُ ، وَمَاتَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعَشْرَةِ أَيَّامٍ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ النِّصْفِ مِنْ شَوَالٍ عَنْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مَلِكِهِ مِنْ ذَلِكَ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةً وَأَشْهُرًا ، وَدُفِنَ بِالشُّونِزِيَّةِ ، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ لَشِدَّةِ كَيْثَمَانِ الْأَمْرِ ، وَكَانَ مَرَضُهُ بِالْحُمَّى ، وَقِيلَ : إِنَّهُ سَمَّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

بَانِي التَّاجِيَّةِ بِبَغْدَادَ

الْمَرْزُبَانُ بْنُ خُسْرُو ^(١) ، تَاجُ الْمَلِكِ ، الْوَزِيرُ أَبُو الْغَنَائِمِ بَانِي التَّاجِيَّةِ ، الَّتِي دَرَسَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ الشَّاشِي ، وَبَنَى تَرْبَةَ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ مَلِكُشَاه أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْزِرَهُ بَعْدَ نِظَامِ الْمَلِكِ فَمَاتَ سَرِيعًا ، فَاسْتَوْزَرَ لَوْلَدِهِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا قَهَرَهُ

(١) المنتظم ٣١٢/١٦ .

(٢) تقدم في ص ١٢٣ .

(٣) المنتظم ٣١٣/١٦ ، والكامل ٢١٦/١٠ ، ووفيات الأعيان ١٣١/٢ ، ونهاية الأرب ٣٣٣/٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٠٠/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٩٠ هـ) ص ١٨٩ .

أخوه بَزْكَيَارُوقُ قَتَلَهُ غُلَمَانُ النُّظَامِ وَقَطَّعُوهُ إِزْبًا إِزْبًا فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .
هَبَةُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُورِيٍّ ^(١) ، أَبُو الْقَاسِمِ [٩ /
٢٠٨ ظ] الشَّيْرَازِيُّ ، أَحَدُ الرَّحَّالِينَ الْجَوَالِينَ فِي الْآفَاقِ ، وَكَانَ حَافِظًا ثَقَّةً دَيِّتًا
وَرِعًا ، حَسَنَ الْإِعْتِقَادِ وَالسَّيْرِ ، لَهُ تَارِيخٌ حَسَنٌ ، وَرَحَلَ إِلَيْهِ الطَّلَبَةُ مِنْ بَعْدَادَ
وغيرها ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) المنتظم ٣١٤/١٦ ، ومختصر تاريخ دمشق ٦٧/٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٧/١٩ ، وتذكرة الحفاظ ١٢١٥/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٦٥ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةً سِتًّا وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةً^(١)

فيها قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : أَرْدَشِيرُ بْنُ مَنْصُورٍ ، أَبُو الْحُسَيْنِ الْعَبَّادِيُّ ،
مَرْجِعُهُ مِنَ الْحَجِّ ، فَنَزَلَ النُّظَامِيَّةَ ، فَوَعَّظَ النَّاسَ وَحَضَرَ مَجْلِسَهُ الْغَزَالِيُّ مُدْرِسُ
الْمَكَانِ ، وَازْدَحَمَ النَّاسُ فِي مَجْلِسِ وَعْظِهِ وَكَثُرُوا فِي الْمَجَالِسِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتَرَكَ
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَعَالِشَهُمْ ، فَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ قَرِيبٌ مِنْ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَتَابَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَلَزِمُوا الْمَسَاجِدَ وَأُرِيقَتِ
الْخُمُورُ وَكُسِرَتِ الْمَلَاهِي ، وَكَانَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ صَالِحًا لَهُ عِبَادَاتٌ وَفِيهِ زُهْدٌ
وَافِرٌ ، وَلَهُ أَحْوَالٌ صَالِحَةٌ ، وَكَانَ النَّاسُ يَزْدَحِمُونَ عَلَى فَضْلِ وَضُوئِهِ ، وَرُبَّمَا أَخَذُوا
مِنَ الْبِرْكَةِ الَّتِي يَتَوَضَّأُ مِنْهَا لِلْبِرْكَةِ .

وَنَقَلَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٢) ، أَنَّهُ اشْتَهَى مَرَّةً عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ثُوتًا شَامِيًّا وَثَلْجًا ،
فَطَافَ الْبَلَدَ بِكَمَالِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَرَجَعَ فَوَجَدَ الشَّيْخَ فِي خَلْوَتِهِ ، فَسَأَلَ : هَلْ جَاءَ
الْيَوْمَ إِلَى الشَّيْخِ أَحَدٌ ؟ فَقِيلَ لَهُ : جَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ غَزَلْتُ بِيَدَيَّ غَزْلًا
وَبِعْتُهُ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أُشْتَرِيَ لِلشَّيْخِ طُرْفَةً . فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَبَكَتْ ، فَرَحِمَهَا
وَقَالَ : اذْهَبِي فَاشْتَرِي . فَقَالَتْ : مَاذَا تَشْتَهِي ؟ فَقَالَ : مَا شِئْتِ . فَذَهَبَتْ فَأَتَتْهُ
بِتُوتٍ شَامِيٍّ وَثَلْجٍ ، فَأَكَلَهُ .

(١) المنتظم ٣/١٧ ، والكامل ١٠/٢٢٥ .

(٢) المنتظم ٤/١٧ .

وقال بعضهم : دخلت عليه وهو يشرب مرقاً ، فقلتُ في نفسي : لئنه أعطاني فضله لأشربه لحفظ القرآن ، فناولني فضله فقال : اسرّبها على تلك النية . قال : فرزقني الله حفظ القرآن . وكانت له عبادات ومجاهدات ، ثم اتفق أنه تكلم في بيع القراض^(١) بالصحيح ، فمنع من الجلوس وأخرج من البلد .

وفي هذه السنة خطب تئش بن ألب أرسلان صاحب دمشق لنفسه بالسلطنة ، وطلب من الخليفة أن يخطب له بالعراق ، فحصل التوقف عن ذلك بسبب ابن^(٢) أخيه بزكياروق بن ملكشاه ، فسار إلى الرحبة وفي صحبته وطاعته آق سنقر قسيم الدولة صاحب حلب ، وبوزان صاحب الرها ، ففتح الرحبة ، ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران ، وهزم جيوشه من بني عقيل ، وقتل خلقاً من الأمراء صبراً ، وكذلك أخذ ديار بكر ، واستوزر الكافي بن فخر الدولة بن جهير ، وكذلك أخذ همدان وخلاط^(٣) ، وفتح أذربيجان ، واستفحل أمره ، ثم فارقه الأميران آق سنقر وبوزان ، فسار إلى الملك بزكياروق وبقي تئش وحده ، فطمع فيه^(٤) ابن أخيه بزكياروق ، فرجع تئش فلحق قسيم الدولة آق سنقر وبوزان بباب حلب فكسرها وأسر بوزان وآق سنقر ، فصلبهما وبعث برأس بوزان فطيف به حران والرها ، وملكها من بعده .

وفيها وقعت الفتنة بين الروافض والسنة ، وانتشرت بينهم شرور كثيرة .

(١) القراض : قطع الذهب أو الفضة . انظر في بيع القراض بالصحيح (المقنع والشرح الكبير ومعهما الإنصاف) ٨٢/١٢ - ٨٤ ، والإقناع لطالب الانتفاع ٢/٢٥٣ .

(٢) سقط من : خ ، م .

(٣) خلاط : هي قصبة أرمينية الوسطى . معجم البلدان ٢/٤٥٧ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص ، وفي خ ، م : «أخوه» . والمثبت من الكامل ١٠/٢٢٢ .

وفى ثانی شعبان وُلِدَ الخليفة^(١) المُستَرشِدُ بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد المُستَظهِر، ففرِحَ الخليفة وولّى عهده بالوليد السعيد .

وفى ذى القعدة دخل السلطان بُوْكْيَارُوقُ بغدادَ، وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جَهِير، وهنَّاهُ عن الخليفة بالقدوم .

وفيهما أخذ المُستَظهِر العُبَيْدِيُّ مدينةَ صُورَ من أرض الشام . ولم يحجَّ فيها أحدٌ من أهل العراق .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

جعفر بن المقتدى بأمر الله^(٢) من الخاتون بنت السلطان مَلِكْشَاه [٢٠٩/٩ و] ،
فى جُمادى الأولى ، وجلس الوزير للعزاء ثلاثة أيام .

سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان ، أبو مسعود الأصبهاني^(٣) ،
سمع الكثير ، وصنّف وخرّج على الصحيحين ، وكانت له معرفة جيّدة
بالحديث ، سمع ابن مَزْدَوِيّه وأبا نُعَيْمٍ والبَزْجَانِيّ ، وكتب عنه الخطيب وغيره ،
وكانت وفاته فى ذى القعدة عن تسع وثمانين سنة .

عبد الواحد بن أحمد^(٤) بن الحُصَيْن^(٥) الدَّشْكِرِيُّ^(٥) ، أبو سعيد الفقيه

(١) فى الأصل، خ، م: « للخليفة ولده »، وانظر المنتظم ٥/١٧، والكامل ١٠/٢٢٦.

(٢) المنتظم ٥/١٧، والكامل ١٠/٢٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٢.

(٣) المنتظم ٦/١٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/١٩، المعين فى طبقات المحدثين ٢٠٥، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠) ص ١٧٣، وتذكرة الحفاظ ٣/١١٩٧ وشذرات الذهب ٣/٣٧٧.

(٤ - ٥) فى الأصل: « ابن أحمد بن الحصين »، وفى م: « ابن المحسن ». وانظر ترجمته فى: المنتظم

٧/١٧، والكامل ١٠/٢٢٧، وفيه « ابن المحسن »، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/٢٢٤، وطبقات

الشافعية للإسنوى ١/٥٢٧، وفيهما « ابن الحسين ».

(٥) فى الأصل، خ، م: « الدشكرى ». والدشكرى: نسبة إلى الدسكرة، اسم لعدة قرى. انظر معجم

البلدان ٢/٥٧٥.

الشافعي، صاحب الشيخ أبا إسحاق الشيرازي. وروى الحديث، وكان يقول: ما عصي بدني هذا في لذة قط. توفي في رجب من هذه السنة، ودُفن بباب حرب.

علي بن أحمد بن يوسف^(١)، أبو الحسن الهكاري، قدم بغداد ونزل في رباط الزوزني^(٢)، وكانت له أربطة قد ابتناها، سمع الحديث وروى عنه غير واحد من الحفاظ، وكان يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام في الرؤضة فقلت: يا رسول الله، أوصني. فقال: عليك باعتماد أحمد بن حنبل، ومذهب الشافعي، وإيّاك ومجالسة أهل البدع. وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة.

علي بن محمد بن محمد، أبو الحسن الخطيب الأنباري^(٣)، ويُعرف بابن الأخضر، سمع أبا محمد الفرضي^(٤)، وهو آخر من حدث عنه، وكانت وفاته في شوال منها عن خمس وتسعين سنة.

أبو نصر، ابن ماكولا علي بن هبة الله بن جعفر بن علكان^(٥) بن محمد ابن دلف بن أبي دلف، الأمير أبو نصر ولد سنة ثنتين وأربعمائة، وسمع الكثير، وكان من الحفاظ، وله كتاب «الإكمال في المؤلفات والمختلفات»، جمع

(١ - ١) سقط من: خ، م. وانظر ترجمته في: المنتظم ٧/١٧، ووفيات الأعيان ٣/٣٤٥، وسير أعلام النبلاء ٦٧/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٨٢، والمعين في طبقات المحدثين ص ٢٠٦.

(٢) في خ، م: «الدوري».

(٣) المنتظم ١٧/١٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/٦٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ١٨٥، والمعين في طبقات المحدثين ٢٠٦، والوفاء بالوفيات ٢٢/١٣٠.

(٤) في خ، م: «الرضي».

(٥) سقط من: خ، م، ص، وفي الأصل: «علي». والمثبت كما تقدم في ترجمته ص ٨٣، ضمن وفيات سنة خمس وسبعين وأربعمائة.

بين كتاب عبد الغنى بن سعيد وكتاب الدارقطني وغيرهما ، وزاد عليهما أشياء كثيرة مهمة حسنة مفيدة نافعة ، وكان نحوياً مبرزاً ، فصيح العبارة ، حسن الشعر . قال ابن الجوزي^(١) : سمعتُ شيخنا عبد الوهاب يطعنُ في دينه ويقولُ : العلمُ يحتاجُ إلى دين . وقُتل في خوزستان في هذه السنة أو التي بعدها ، وقد جاوز الثمانين . كذا ذكره ابن الجوزي .

(١) المتظم ٨/١٧ .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة^(١)

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدي، وخلافته ولده المستظهر بالله.

صفة موته

لما قدم السلطان بركياروق بغداد، سأل من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتاباً فيه العهد إليه، فكتب ذلك، وهبَّت الخلع وعرضت على الخليفة، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم، ثم قدم إليه الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعد ما وقع عليه، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار، قالت: فنظر إلى وقال: من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن؟ قالت: فالتفت فلم أر أحداً، ورأيت أنه قد تغيرت حالته واشترخت يده ورجلاه، وانحلت قواه، وسقط إلى الأرض، قالت: فظننت أنه غشي عليه، فحللت أزرار ثيابه فإذا هو لا يجيب داعياً، فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلمت ولي العهد بذلك، وجاء الأمراء ورؤوس الدولة يعزونه بأبيه، ويهتئونه بالخلافة، فبايعوه، والله تعالى أعلم.

(١) المنتظم ١٧/١٠، والكامل ٢٢٩/١٠.

شَيْءٌ مِنْ تَرْجَمَةِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ^(١)

هو أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله ، أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة^(٢) بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله بن القادر بالله العباسي ، أمه أم ولد اسمها أَرْجَوَانُ ، أَرْمِينِيَّةٌ ، أَدْرَكَتْ خِلَافَةً وَلَدَهَا وَخِلَافَةً وَلَدَهُ الْمُسْتَظْهَرُ وَلَدَهُ الْمُشْتَرِشِدُ أَيْضًا . كان الْمُقْتَدِي أَيْضَ ، تَامَّ الْقَامَةِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ ، عَمَرَتْ فِي أَيَّامِهِ مُحَالٌ كَثِيرَةٌ مِنْ بَغْدَادَ ، وَنَفَى عَنْهَا الْمَغْنِيَّاتِ وَأَزْبَابَ الْمَلَاهِي وَالْمَعَاصِي ، وَكَانَ غَيُورًا عَلَى حَرِيمِ النَّاسِ ، آمِرًا بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَسَنَ السَّيْرِ وَالسَّرِيرَةِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ . كَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشَرَ الْحَرَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَلَهُ مِنْ الْعُمَرِ ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَّةً شُهُورٍ وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ ، خِلَافَتُهُ مِنْ ذَلِكَ [٢٠٩/٩ ظ] تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَّةً شُهُورٍ إِلَّا يَوْمَيْنِ ، وَأُخْفِيَ مَوْتُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى تَوَطَّدَتِ الْبَيْعَةُ لِابْنِهِ الْمُسْتَظْهَرِ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، وَدُفِنَ فِي تَرْبِيَّتِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

خِلَافَةُ الْمُسْتَظْهَرِ بِاللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ

لَمَّا تُوُفِيَ أَبُوهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَخْضَرُوهُ وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَانِ ، فَبُيِّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ الْوَزِيرُ أَبُو مَنْصُورِ ابْنُ جَهْمِيرٍ ، ثُمَّ أُخِذَتْ

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٥ ، وسير أعلام النبلاء ٣١٨/١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢١٠ ، والوفاء بالوفيات ٤٦٧/١٧ ، والنجوم الزاهرة ١٣٩/٥ .
(٢) بعده في م ، خ ، ص : «الأمير ولي العهد أبي العباس أحمد» .

البيعة له من الملك ركن الدولة بَزْكَياروق بن السلطان مَلِكْشاه ثم من بقيّة الأمراء
والرؤساء وصلّى على الخليفة الأمراء والوزراء، ومن العلماء حضّر الغزالي
والشاشي وابن عَقِيل، وبايَعوه يومَ ذلك، وقد كان المستظهر بالله كريم الأخلاق
حافظًا للقرآن فصيحًا بليغًا شاعرًا مطبّقًا، ومن لطيف شعره قوله^(١) :

أَذَابَ حَرُّ الْجَوَى فِي الْقَلْبِ مَا حَمَدَا يَوْمًا مَدَدْتُ عَلَى رَسْمِ الْوَدَاعِ يَدَا
فَكَيْفَ أَشْلُكَ نَهَجَ الْإِصْطِبَارِ وَقَدْ أَرَى طَرَائِقَ فِي مَهْوَى الْهَوَى قَدَدَا
قَدْ أَخْلَفَ الْوَعْدَ بَدْرٌ قَدْ شَغِفْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ وَفَى دَهْرًا بِمَا وَعَدَا
إِنْ كُنْتُ أَنْقُضُ عَهْدَ الْحَبِّ فِي خَلْدِي مِنْ بَعْدِ هَذَا فَلَا عَائِنْتُهُ أَبَدَا

وفوّض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره أبي منصور عميد الدولة ابن جَهِير،
فدبّر لها له أحسن تدبير، ومهّد الأمور أتم تمهيد، وساس الرعايا، وكان من خيار
الوزراء.

وفي ثالث عشر شعبان عزل الخليفة أبا بكر الشاشي عن القضاء، وفوّضه إلى
أبي الحسين بن الدامغانّي.

وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة، وقُتِل ناس
كثيرون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ولم يحج أحد في هذه السنة؛ لاختلاف السلاطين. وكانت الخطبة
للسلطان بَزْكَياروق ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم، هو اليوم الذي
توفّي فيه الخليفة المقتدى بأمر الله بعد ما علّم على توقيعه.

(١) المنتظم ١٧/١٢.

وَمَنْ تُوِّفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

آق سُتْقَرُ الْأَتَابِكُ ؛ الْمَلَقُّبُ قَسِيمُ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّ^(١) ، وَيُعْرَفُ بِالْحَاجِبِ ،
صَاحِبِ حَلَبَ وَدِيَارِ بَكْرٍ وَالْجَزِيرَةِ . وَهُوَ جَدُّ الْمَلِكِ نَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِي
ابْنِ آق سُتْقَرُ ، وَكَانَ أَوَّلًا مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاهِ بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ
السَّلْجُوقِيَّ ، ثُمَّ تَرَقَّتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ حَتَّى أَعْطَاهُ حَلَبَ وَأَعْمَالَهَا بِإِشَارَةِ الْوَزِيرِ نِظَامِ
الْمَلِكِ وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُلُوكِ سِيرَةً وَأَجْوَدَهُمْ سَرِيرَةً ، وَكَانَتِ الرَّعِيَّةُ مَعَهُ فِي أَمْنٍ
وَرُخْصٍ وَعَدْلٍ ، ثُمَّ كَانَ مَوْتُهُ عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ تَاجِ الدَّوْلَةِ تُتُشُّ صَاحِبِ دِمَشْقَ ؛
وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِهِ وَبِصَاحِبِ حَرَّانَ وَالرُّهَا عَلَى قِتَالِ ابْنِ أَخِيهِ بَزْكَيَارُوقَ بْنِ
مَلِكْشَاهِ ، فَفَرَّ عَنْهُ وَتَرَكَاهُ ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ قَاتَلَهُمَا بِيَابَ حَلَبَ فَقَتَلَهُمَا وَأَخَذَ
بِلَادَهُمَا ، إِلَّا حَلَبَ فَإِنَّهَا اسْتَقَرَّتْ لَوْلَدِ آق سُتْقَرُ زَنْكِي فِيمَا بَعْدَ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ
ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ . وَذَكَرَ ابْنُ خَلْكَانَ^(٢) أَنَّهُ كَانَ مَمْلُوكًا
لِلسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهِ ، هُوَ وَبُورْزَانُ صَاحِبِ الرُّهَا ، فَلَمَّا مَلَكَ تُتُشُّ حَلَبَ اسْتَنْابَهُ بِهَا
فَعَصَى عَلَيْهِ فَقَصَّدهُ وَكَانَ قَدْ مَلَكَ دِمَشْقَ أَيْضًا فَقَاتَلَهُ فَقَتَلَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي
جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا . فَلَمَّا قُتِلَ دَفَنَهُ وَلَدُهُ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي بِحَلَبَ ؛ أَدْخَلَهُ إِلَيْهَا
مِنْ فَوْقِ السُّورِ بِالْمَدْرَسَةِ الرُّجَاجِيَّةِ .

أَمِيرُ الْجِيُوشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ^(٣) صَاحِبُ جِيُوشِ مِصْرَ ، وَمُدَبِّرُ الْمَمَالِكِ

(١) المنتظم ٢٣٠/١٧ ، ضمن وفيات سنة تسع عشرة وخمسمائة ، والكمال ٢٣٢/١٠ ، ووفيات
الأعيان ٢٤١/١ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٩/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث وفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ)
ص ٢٠١ .

(٢) وفيات الأعيان ٢٤١/١ .

(٣) الكامل ٢٣٥/١٠ ، ونهاية الأرب ٢٣٩/٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ٨١/١٩ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث وفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٣٦ ، والوفاء بالوفيات ٩٥/١٠ ، وقد ذكره الذهبي =

الفاطميّة، كان عاقلًا كريمًا محبًا للعلماء، - ولهم عليه رسومٌ دائرةٌ - تمكّن في أيام المستنصر تمكّنًا عظيمًا، ودارت أزمّة الأمور على آرائه، وفتح بلادًا كثيرةً، وامتدّت أيامه وحياته، وبعُد صيته وامتدّحت الشعراء. ثم كانت وفاته في ذى القعدة منها، وقام بالأمر من بعده ولده الأفضل.

الخليفة المقتدى^(١) وقد تقدّم شيء من ترجمته.

الخليفة المستنصر الفاطمي أبو تميم، معدّ بن أبي الحسن علي بن الحاكم^(٢)، استمرت أيامه ستين سنة، ولم يتفق هذا الخليفة قبله ولا بعده، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار، فخلعه الأفضل بن بدر الجمالي بعد موت أبيه. وبايع أبا القاسم أحمد بن المستنصر [٢١٠/٩هـ] أخاه - ولقبه بالمستغلي - فهرب نزار إلى الإسكندرية، فجمع الناس عليه فبايعوه، وتولّى أمره قاضي الإسكندرية؛ جلال الدولة بن عمّار، فقصدّه الأفضل فقاتله مِرارًا فهزّمهم، وأسر القاضي ونزارًا، فقتل القاضي وحبس نزارًا حتى مات، واستقرّ المستغلي في الخلافة، وعمره إحدى وعشرون سنة.

محمد بن أبي هاشم^(٣) أمير مَكّة، كانت وفاته فيها عن نيف وتسعين سنة.

= ضمن وفيات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

(١) تقدمت ترجمته في ص ١٤١.

(٢) وفيات الأعيان ٢٢٩/٥، ونهاية الأرب ٢٤٠/٣٨، والمختصر في تاريخ البشر ٢٠٥/٢، وسير أعلام النبلاء ١٨٦/١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٢٧، والنجوم الزاهرة ١٤٠/٥.

(٣) الكامل ٢٣٩/١٠، والمختصر في تاريخ البشر ٢٠٥/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠هـ) ص ٢٢٥، ودول الإسلام ١٥/٢، وتاريخ ابن الوردي ٧/٢.

محمودُ بنُ السلطانِ مَلِكُشاه^(١) ، كانت أمُّه قد عقدت له الملكَ ، وأنفقَتْ
بسببِهِ الأموالَ ، فنازعه أخوه بَرْكِيَارُوقُ فقهره ، ولزِمَ بَلَدَهُ أَصْبَهَانَ ، فماتَ بها في
هذه السنة ، وحُمِلَ إلى بغدادَ فُدِفَ بها بالثَّريةِ النَّظامِيَّةِ ، كان مِن أحسنِ الناسِ
وَجْهًا ، وأظرفهم شكلاً ، تُوفِّي في شَوَّالٍ منها ، وقد تُوفِّيت أمُّه الخاتونُ تُرْكانُ^(٢)
شَاه في رمضانَ هذه السنة .

(١) الكامل ٢٣٤/١٠ ، ومختصر تاريخ دولة سلجوق ص ٧٦ .
(٢) في خ ، م : « تركيان » ، وانظر المنتظم ١٤/١٧ ، والكامل ٢٤٠/١٠ .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائه^(١)

فيها ورد يوسف بن أبي التُّرْكَمانِي من جهة تاج الدولة أبي سعيد تُشش بن ألب أرسلان صاحب دمشق إلى بغداد ؛ لأجل إقامة الدعوة له ببغداد ، وكان تُشش قد توجه لقتال^(٢) ابن أخيه^(٣) بناحية الرِّي ، فلما دخل رسوله إلى بغداد هابوه وخافوه واستدعاه الخليفة فقربه ، وقبّل الأرض بين يدي الخليفة ، وتأهّب أهل بغداد له ، وخافوا أن ينهبهم ، فبينما هو كذلك ، إذ قديم عليه أخوه فأخبره أن تُشش قُتل في أوّل من قُتل في الوقعة . وكانت وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة ، فاستفحل أمر بَزْكَياروق ، واستقلّ بالأمور . وكان دُقاق بن تُشش مع أبيه حين قُتل ، فسار إلى دمشق فتسلّمها من الأمير ساوتكين الذي استنابه أبوه ، واستوزر أبا القاسم الخوارزمي^(٤) ، وملك عبد الله بن تُشش مدينة حلب ، ودبّر أمر مملكته جناح الدولة ، الحسين بن أيتكين ، ورضوان بن تُشش صاحب مدينة حلب^(٥) ، وإليه تُنسب بنو رضوان بها . وفي يوم الجمعة التاسع عشر من

(١) المنتظم ١٥/١٧ ، والكامل ١٠/٢٤٤ .

(٢ - ٣) في الأصل ، خ ، ص : « أخيه » .

(٣ - ٣) كذا في : الأصل ، م ، ص ، وفي خ : « وملك عبد الله بن تشش صاحب حماة » . والسياق مضطرب ؛ فالمذكور في الكامل ١٠/٢٤٦ - ٢٤٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث وفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٩ ، ٤٠ : أن الذي ملك حلب هو رضوان بن تشش ، والذي دبر له أمر مملكته جناح الدولة الحسين بن أيتكين ، دونما ذكر لعبد الله بن تشش ، ولم أجد من ولد تشش غير دقاق ورضوان ، كما ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ١/٢٩٦ .

(٤) في الأصل ، ص : « ايضا » ، وفي م ، خ : « حماة » . والمثبت من الكامل ١٠/٢٤٦ .

ربيع الأول منها خُطب لوليّ العهد أبى المنصور ، الفضل بن المستظهر ، ولُقّب
بذخيرة الدين .

وفى ربيع الآخر خرج الوزير ابن جَهير فاختطَّ سورًا على الحريم ؛ وأذن للعوام
فى العمل والتفرّج فأظهروا منكرات كثيرة ، وسخافات عقول ضعيفة ، وعملوا
أشياء مُنكرة ، فبعث إليه ابن عَقِيل رقعةً فيها كلامٌ غليظ ، وإنكارٌ بغض .

وفى رمضان خرج السلطان بَزْكَياروق فعدا عليه فِداوى^(١) ، فلم يتمكّن
منه ، فمُسِكَ فَعُوقَبَ فأقرَّ على آخرين فلم يُقرَّ فقتل الثلاثة . وجاء الطواشي من
جهة الخليفة مهتًا له بالسلامة .

وفى ذى القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجّهاً إلى بيت
المقدس تاركًا لتدريس النظامية ، زاهدًا فى الدنيا ، لايسأ خشن الثياب بعد
ناعمها ، وناب عنه أخوه فى التدريس ، وعاد فى السنة الثالثة^(٢) من خروجه ثم
حجّ ، ثم رجع إلى بلده ، وقد صنّف كتاب « الإحياء » فى هذه المدّة ، وكان
يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم فى الرباط فيسمعونّه .

وفى يوم عرفة خُلع على القاضى أبى الفرج^(٣) عبد الرحمن^(٤) بن هبة الله^(٥) بن
البُستيّ ، ولُقّب بشرف القضاة ، ورُدَّ إلى ولاية القضاء بالحريم وغيره .

وفى هذه السنة [٢١٠/٩ ط] اصطلح أهل الكرخ من السُنّة والرافضة مع بقيّة

(١) فى المنتظم ١٧/١٧ ، والكامل ١٠/٢٥١ : « سترى » .

(٢) فى م ، الكامل ١٠/٢٥٢ : « التالية » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ)
ص ٤٢ .

(٣ - ٣) فى المنتظم ١٧/١٨ : « عبد الوهاب » .

(٤ - ٤) فى المنتظم ١٧/١٨ : « السبى » .

الحال ، وتزاوَرُوا وتواكَلُوا وتشارَبُوا ، وكان هذا من العجائب . وفيها قُتِلَ أحمدُ خان^(١) صاحبُ سَمَرْقَنْدَ ؛ وسبَّه أنه شَهِد عليه بالزُّنْدَقَةِ فُخِّنِقَ وَلِيَ مكانَه ابنُ عمِّه مسعودٌ .

وفيها دَخَلَ الأتراكُ إفريقيةَ وغدَرُوا يحيى بنَ تميمِ بنِ المُعِزِّ بنِ باديسَ ، وقبَضُوا عليه ، وملكُوا بلادَه وقَتَلُوا خلقًا ، بعد ما جرَتْ بينهم وبينه حروبٌ شديدةٌ ، وكان مُقَدِّمُهُم رجلٌ يُقالُ له : شاهَ مَلِكُ ، وكان من أولادِ بعضِ أمراءِ المشرقِ ، فَقَدِمَ مصرَ وخَدَمَ بها ثم هَرَبَ إلى المغربِ ، ففَعَلَ ما ذَكَرنا . ولم يَحْجِجْ أحدٌ من أهلِ العراقِ في هذه السنة .

وَمَنْ تُوْفِيَ فيها مِنَ الأَغْيَانِ :

أحمدُ بنُ^(٢) الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ خَيْرُونِ ، أبو الفضلِ المعروفُ بابنِ الباقِلَانِيِّ ، سَمِعَ الكثيرَ ، وَكَتَبَ عنه الخطيبُ ، وكانت له معرفةٌ جيدةٌ ، وهو من الثَّقَاتِ ، وشَهِدَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدامغانِيِّ ، ثم صارَ أَمِينًا له ، ثم وَلِيَ إشرافَ خِزَانَةِ الغَلَّاتِ . تُوْفِيَ في رَجَبٍ عن ثِنْتَيْنِ وثمانين سنةً .

تُشُّ أَبُو الْمُظَفَّرِ ، تاجُ الدولةِ بنُ أَلْبِ أَرْسَلانِ بنِ داوَدَ بنِ ميكائيلَ بنِ سَلْجُوقٍ^(٣) ، صاحبُ دَمَشَقَ وغيرها من البلادِ ، وقد كان تَرْوِجُ أمرُه على ابنِ

(١) في الأصل ، خ ، ص : « ابن خان » ، وفي م : « ابن خاقان » . والمثبت من : الكامل ١٠ / ٢٤٣ ، والمختصر في أخبار الشر ٣ / ٢٠٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٨ ، ومرآة الجنان ٣ / ١٤٥ ، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ٧ .

(٢ - ٢) زيادة من مصادر ترجمته ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٩ / ١٠٥ ، وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٠٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٣١ ، ومرآة الجنان ٣ / ١٤٧ ، والوافي بالوفيات ٦ / ٣٢٠ .

(٣) وفيات الأعيان ١ / ٢٩٥ ، والمختصر في تاريخ البشر ٢ / ٢٠٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ / ٨٣ ، =

أخيه بَزْكَياروقَ بنِ مَلِكْشاهِ بنِ أَلْبِ أَرْسلانَ ، وَلَكِنْ قَدَّرَ اللَّهُ وما شاءَ فَعَلَ ، وقد قالَ المتنبيُّ ^(١) :

وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي غُلَاكَ وَلِئِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ

قال ابنُ خَلِّكانَ ^(٢) : كانَ صاحِبُ البلادِ الشَّرْقيَّةِ فَاسْتَنْجَدَهُ أَتْسِزُ ^(٣) فِي مُحارَبَةِ أَمِيرِ الجيوشِ مِنْ جِهَةِ صاحِبِ مِصرَ ، فَلَمَّا قَدِمَ دِمَشقَ لِنَجْدَتِهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَتْسِزُ ، أَمَرَ بِمَسْكِهِ وَقَتْلِهِ ، وَاسْتَحْوَذَ هُوَ عَلَى دِمَشقَ وَأَعْمَالِهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، ثُمَّ تَحَارَبَ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ بَزْكَياروقَ بِلادِ الرِّمِّ ، فَكَسَرَهُ ابْنُ أَخِيهِ وَقُتِلَ هُوَ فِي المَعْرَكَةِ ، وَتَمَلَّكَ ابْنُهُ رِضْوَانُ حَلَبَ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ ^(٤) وَخَمْسِمِائَةٍ ، سَمَّيْتُهُ أُمَّهُ فِي عُثْقُودِ عَنِيبَ . فَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ تاجُ المُلْكِ بُورِي أَرْبَعِ سِنِينَ ، ثُمَّ ابْنُهُ الآخرُ شَمْسُ المُلوكِ إِسماعيلُ ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ قَتَلْتُهُ أُمُّهُ أَيضًا ، وَهِيَ زُمُرْدُ خاتونُ بِنْتُ جاوليَ ، وَأَجَلَسْتُ أَخاهُ شِهَابَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ بُورِيَ ، فَمَكَثَ أَرْبَعِ سِنِينَ ، ثُمَّ مَلَكَ أَخُوهُ سَنَةً ، ثُمَّ مَلَكَ محبِي الدِّينِ أَبُوقُ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ إِلَى أَنْ انْتَرَعَ المُلْكُ مِنْهُ نُوْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِي كَمَا سَيَأْتِي . وَكَانَ أَتَابِكُ العَساكِرِ بِدِمَشقَ أَيَّامَ أَبُوقُ مَعِينِ الدِّينِ ، الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ المَعِينِيَّةُ بِالغَوْرِ ، وَالمَدْرَسَةُ المَعِينِيَّةُ بِدِمَشقَ .

رَزَقَ اللَّهُ بْنَ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ التَّيْمِيَّ ^(٥) ، أَحَدُ

= وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٣٨ ، ومراة الجنان ٣/ ١٤٥ .

(١) الديوان : ص ٤٧٢ .

(٢) وفیات الأعيان ١/ ٢٩٥ .

(٣) في الأصل ، ص : « أقسنقر » ، وفي خ : « أقسر » .

(٤) بعده في م : « وخمسين » .

(٥) طبقات الخنابلة ٢/ ٢٥٠ ، ومعجم الأدباء ١١/ ١٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٠٩ ، وتذكرة =

أئمة القُرَّاء والفقهاء - على مذهب أحمد - والحديث، وكان له مجلس للوعظ [٢١١/٩]، وحلقة للفتوى بجامع المنصور، ثم بجامع القصر، وكان حسن الشكل محبباً إلى العامة، له شعر حسن، وكان كثير العبادة، فصيح العبارة، حسن المناظرة. وقد روى عن آبائه حديثاً مُسلسلاً إلى علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، أنه قال^(١): هتف العلم العمل فإن أجابه وإلا رحل. وقد كان ذا وجاهة عند الخليفة، بعثه في مهام الرسل إلى السلطان. وكانت وفاته يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولى من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة، ودُفن بداره بباب المراتب بإذن الخليفة، وصلى عليه ابنه أبو الفضل.

أبو يوسف^(٢) القزويني، عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بُندار، شيخ المعتزلة، قرأ على عبد الجبار بن أحمد الهمداني، ورحل إلى مصر، وأقام بها أربعين سنة، وحصل كتباً كثيرة، وصنّف تفسيراً في سبعمائة مجلد. قال ابن الجوزي^(٣): جمع فيه العجب، وتكلم فيه على قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مِثْلِكِ سُلَيْمَنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] في مجلد كامل. وقال ابن عقيل: كان طويل اللسان بالعلم تازة، وبالشعر أخرى، وقد سَمِعَ الحديث من أبي عمر ابن مهدي وغيره، ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة. وما تزوج إلا في آخر عمره.

= الحفاظ ١٢٠٨/٤، ومعرفة القراء الكبار ٣٥٦/١. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٤٢، والوفاء بالوفيات ١١٢/١٤.

- (١) أخرجه الخطيب البغدادي من طريقه بهذا الإسناد في: «اقتضاء العلم العمل». ح (٤٠).
 (٢) تاريخ دمشق (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٥٢/٤٢، وسير أعلام النبلاء ٦١٦/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٥٠، ومراة الجنان ١٤٧/٣، والنجوم الزاهرة ١٥٦/٥.
 (٣) المنتظم ٢١/١٧.

أبو شجاع الوزير، محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم، أبو شجاع^(١)، الملقَّبَ ظهير الدين، الرُّوذَرَاوَرِيُّ الأصلِ الأهُوَازِيُّ المُولَدُ، كان من خيار الوزراء، كثير الصدقة والإحسان إلى العلماء والفقهاء، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشَّيرازي وغيره، وصنَّفَ كتبًا، منها كتابه الذي ذُيِّلَهُ على «تجارب الأمم». ووزر للخليفة المقتدي، وكان يملك ستمائة ألف دينار، فأنفقها في سبيل الخيرات والصدقات، ووقف الوقوف الحسنة، وبنى المشاهد، وأكثر الإنعام على الأراميل والأيتام. قال له رجل^(٢): إلى جانبنا أرملة لها أربعة أيتام وهم غُرَّةٌ وجياح. فبعث إليهم مع رجلٍ من خاصَّته نفقةً وكسوةً وطعامًا، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد، وقال: والله لا ألبسها حتى ترجع إليَّ بخبرهم، فذهب الرجلُ مُسرِّعًا فقضى حاجتهم، وأوصلهم ذلك الإحسان، ثم عاد والوزير يرْكُضُ من البرد، فلما أخبره عنهم بما سرَّه ليس ثيابه. وجرى إليه مرَّةً بقطائفٍ سكرٍ، فلما وُضِعَتْ بين يديه تنعَّصَ عليه بمن لا يقدرُ عليها، فأرسلها كلها إلى المساجد، وكانت كثيرةً جدًّا، فأطعمها الفقراء والعُمَيَّان.

وكان لا يجلس في الديوان إلاَّ وعنده الفقهاء، فإذا وقع له أمرٌ مُشْكِلٌ سألهم عنه فحكم بما يُفْتُونُهُ، وكان كثير التواضع مع الناس؛ خاصَّتهم وعامَّتهم، ثم عُزِلَ عن الوزارة، فسار إلى الحجِّ وجاور بالمدينة ثم مَرِضَ، فلما ثقل في المرض جاء إلى الحجرة النبويَّة، فقال: يا رسول الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا [٢١١/٩] أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ

(١) المنتظم ٢٢/١٧، وخريدة القصر ٧٧/١، ووفيات الأعيان ١٣٤/٥، وسير أعلام النبلاء ٢٧/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٦٢.
(٢) المنتظم ٢٣/١٧، ووفيات الأعيان ١٣٧/٥.

لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ [النساء: ٦٤] وها أنا قد جئتُك أستغفرُ
اللهَ من ذنوبي، وأزجو شفاعتك يومَ القيامةِ، ثم ماتَ من يومه ذلك، رَحِمَهُ
اللهُ، ودُفِنَ بالبيقِيع.

القاضي أبو بكرٍ الشامي^(١)، محمدُ بنُ المظفرِ بنِ بكران الحموي، أبو بكرٍ
الشامي، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ، وَتَفَقَّهَ بِيْلِدِهِ، ثُمَّ حَجَّ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ فَتَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الطَّيِّبِ الطُّبْرِيِّ، وَسَمِعَ بِهَا
الْحَدِيثَ، وَشَهِدَ عِنْدَ ابْنِ الدَّامَغَانِيِّ فَقَبِلَهُ، وَلَازَمَ مَسْجِدَهُ خَمْسًا وَخَمْسِينَ
سَنَةً، يُقَرِّئُ النَّاسَ وَيُفَقِّهُهُمْ، وَلَمَّا مَاتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ أَشَارَ بِهِ أَبُو شَجَاعٍ
الْوَزِيرُ، فَوَلَّاهُ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِي الْقَضَاءِ، وَكَانَ مِنْ أَنْزَلِ النَّاسِ وَأَعَفَّهِمْ، لَمْ يَقْبَلْ مِنْ
سُلْطَانٍ عَطِيَّةً، وَلَا مِنْ صَاحِبٍ هَدِيَّةً، وَلَمْ يُعَيِّرْ مَلْبَسَهُ وَلَا مَأْكَلَهُ، وَلَمْ يَأْخُذْ
عَلَى الْقَضَاءِ أَجْرًا، وَلَمْ يَشْتَبِ أَحَدًا بَلْ كَانَ يَبَاشِرُ الْقَضَاءَ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُحَاطَبْ
مَخْلُوقًا، وَقَدْ كَانَ يَضْرِبُ بَعْضَ الْمُنْكَرِينَ؛ حَيْثُ لَا يَبِينُ، إِذَا قَامَتْ عِنْدَهُ قَرَائِنُ
لِلثَّهْمَةِ حَتَّى يَقْرَؤُوا، وَيَذْكُرُ أَنَّ فِي كَلَامِ الشَّافِعِيِّ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا. وَقَدْ صَنَّفَ
^(٢) «أَبُو بَكْرِ الشَّاشِيُّ» كِتَابًا^(٣) «فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ» فِي ذَلِكَ، وَنَصَرَهُ ابْنُ عَقِيلٍ فِيمَا كَانَ
يَتَعَاطَاهُ مِنَ الْحُكْمِ بِالْقَرَائِنِ، وَاسْتَشْهَدَ لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَانَتْ فَمِصْرُ قُدَّ
مِنْ قُبُلٍ﴾ الْآيَةُ [يوسف: ٢٦]. وَشَهِدَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُنَاطِرِينَ
يَقَالُ لَهُ^(٤): الْمُشْطَبُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(٤) بْنِ أُسَامَةَ الْفَرُوعَانِيِّ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ؛ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ مِنْ

(١) فِي خ، م: «الشاشي». وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: الْمُنْتَظَم ٢٧/١٧، وَسِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٨٥/١٩، وَتَارِيخِ
الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٧٦، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى لِلْسَّبْكِى ٢٠٢/٤،
وَالْوَفَاىِ بِالْوَفَاىِ ٣٤/٥.

(٢) ٢ - ٢٨) سَقَطَ مِنْ: خ، م. وَانْظُرِ الْمُنْتَظَم ٢٨/١٧.

(٣) الْمُنْتَظَم ٢٩/١٧.

(٤) فِي م: «أحمد»، وَانْظُرِ الْجَوَاهِرُ الْمُضْيئةُ ٤٨٣/٣.

الحرير وخاتم الذهب ، فقال له المدعى : إِنَّ السلطانَ ووزيره نظامَ الملكِ يلبسانِ
الحريرَ والذهبَ ، فقال القاضي الشامي : والله لو شهدا عندى على باقة بقل ما
قبلتُ شهادتهما^(١) .

تُوفى يومَ الثلاثاءِ عاشرَ شعبانَ من هذه السنة عن ثمانِ وثمانينَ سنةً ، ودُفِنَ
بالقُربِ من ابنِ سُريج^(٢) .

أبو عبدِ الله الحُمَيْدِيُّ ، محمدُ بنُ أبي نصرٍ فَتُوح بنِ عبدِ الله بنِ حُمَيْدٍ ،
أبو عبدِ الله الحُمَيْدِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ^(٣) ، من جزيرة - يقالُ لها مَيُوزَقَةُ^(٤) - قرية من
الأَنْدَلُسِ . قَدِمَ بَغْدَادَ فسمِعَ بها الحديثَ ، وكان حافظًا مُكثِرًا دَيِّنًا باهرًا ، عَفِيفًا
نَزْهًا ، وهو صاحبُ « الجمعِ بينَ الصحيحينِ » ، وله غيرُ ذلك من المصنُفاتِ ،
وقد كَتَبَ من مصنُفاتِ ابنِ حزمٍ والخطيبِ . وكانت وفاته ليلةَ الثلاثاءِ السابعِ
عشرَ من ذى الحِجَّةِ ، وقد جاوزَ السبعينَ^(٥) ، وقَبْرُهُ قَرِيبٌ من قَبْرِ بِشْرِ الحافِي
ببَغْدَادَ .

(١) بعده فى خ ، م : « وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله ، فقال : لأى شىء ترد
شهادتى وهى جائزة عند كل حاكم إلا أنت ؟ فقال له : لا أقبل لك شهادة ؛ فإنى رأيتك تغتسل فى
الحمام عريانا غير مستور العورة فلا أقبلك » .

(٢) فى م ، ص : « شريح » ، وكذا فى المواضع التالية . وانظر المنتظم ٢٩ / ١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٨٨ / ١٩ .
(٣) المنتظم ٢٩ / ١٧ ، ومعجم الأدباء ٢٨٢ / ١٨ ، ووفيات الأعيان ٢٨٢ / ٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٠ / ١٩ ،
وتذكرة الحفاظ ١٢١٨ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٨٠ .
(٤) فى الأصل : « ميرة » ، وفى خ ، م : « برقة » ، وفى ص : « مرقد » . والمثبت من مصادر ترجمته
السابقة .

(٥) فى خ ، م : « التسعين » . والصواب كما أثبتنا ، فقد قال هو عن نفسه : ولدت قبل العشرين
وأربعمئة » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٨١ ، وسير أعلام النبلاء
١٢٠ / ١٩ .

هَبَةُ اللَّهِ ابْنُ الشَّيْخِ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ^(١) ، كَانَ قَدْ حَفِظَ الْقُرْآنَ وَتَفَقَّهُ ،
وظَهَرَ مِنْهُ نَجَابَةٌ ، ثُمَّ مَرِضَ ، فَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَبُوهُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً ، فَلَمْ يُفِذْ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ
ابْنُهُ ذَاتَ يَوْمٍ : يَا أَبَتِ إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ الْأَدْوِيَةَ وَالْأُدْعِيَةَ ، وَلِلَّهِ فِيَّ اخْتِيَارٌ ، فَدَعْنِي
وَاخْتِيَارَ اللَّهِ . قَالَ أَبُوهُ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يُوفِّقْ لِهَذَا الْكَلَامِ إِلَّا وَقَدْ اخْتِيرَ لِلْحُطُورَةِ .
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) المنتظم ٣٠ / ١٧ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١ / ١٦٥ . وشذرات الذهب ٤ / ٤٠ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ^(١)

قال [٢١٢/٩] ابنُ الجَوْزِيِّ في «الْمُنْتَظَمِ»^(٢) : في هذه السَّنَةِ حَكَمَ جَهْلَةٌ الْمُتَجَمِّينَ ؛ بَأَن سَيَكُونُ فِيهَا طُوفَانٌ قَرِيبٌ مِنْ طُوفَانِ نُوحٍ ، وَشَاعَ الْكَلَامُ بِذَلِكَ بَيْنَ الْعَوَامِّ ، فَاسْتَدْعَى الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَظْهَرُ ابْنَ عَيْشُونَ^(٣) الْمُنَجِّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ ، فَقَالَ : إِنَّ طُوفَانَ نُوحٍ كَانَ فِي زَمَنِ اجْتِمَاعٍ فِي بُرْجِ^(٤) الْحَوِثِ الطَّوَالِغِ السَّبْعَةِ^(٥) ، وَالْآنَ فَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ سِتَّةٌ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مَعَهَا زُحْلٌ ، فَلَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِ طُوفَانٍ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهَا بَغْدَادُ ، فَتَقَدَّمَ الْخَلِيفَةُ إِلَى وَزِيرِهِ بِإِصْلَاحِ الْمُسْنِيَّاتِ^(٦) وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي يُخْشَى أَنْفِجَارُ الْمَاءِ مِنْهَا . وَجَعَلَ النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ ، فَجَاءَ الْخَبِيرُ بِأَنَّ الْحَاجَّ حَصَلُوا بِوَادِي الْمِيَاقَتِ^(٧) بَعْدَ نَخْلَةٍ^(٨) فَأَتَاهُمْ سَيْلٌ عَظِيمٌ ، فَمَا نَجَا

(١) المنتظم ٣١/١٧ ، والكامل ٢٥٥/١٠ .

(٢) المنتظم ٣١/١٧ .

(٣) سقط من الأصل ، وفي خ : «عشيون» ، وفي م : «عشبون» ، وفي الكامل ٢٦٠/١٠ ، «عيسون» .

(٤) في خ ، م : «بحر» .

(٥) الطوالع السبعة هي : الشمس والقمر والزهرة والمريخ وعطارد والمشتري وزحل . نهاية الأرب ٢٣/٢٥٤ . وانظر المخصص لابن سيده ٢/السفر التاسع / ٣٦ .

(٦) سقط من الأصل ، وفي خ ، م : «المسيلات» . والمسنيات واحدها ، المُسْنَاة : سد بيني لحجر ماء السيل أو النهر ، به مفاتيح للماء تفتح على قدر الحاجة . تاج العروس (س ن ي) .

(٧) في النسخ ، والمنتظم ، وتاريخ الخميس ٢/٣٦٠ . «المناقب» . والمثبت من الكامل ٢٦٠/١٠ . وانظر اتحاد الوري ٢/٤٨٨ . والمقصود بوادي المياقت : مكان يجتمع فيه الحاج من بلاد مختلفة . والإحرام يكون من ميقات ذات عرق - ميقات العراق . وانظر مسالك الأبصار ٢/٣٣٩ .

(٨) النخلة : وادٍ من الحجاز هي النخلة الشامية التي تسمى ذات عرق . انظر معجم البلدان ٤/٧٧٠ =

منهم إِلَّا مَنْ تَعَلَّقَ بِرُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَأَخَذَ الْمَاءَ الرَّجَالَ وَالرَّحَالَ ، فَخَلَعَ الْخَلِيفَةُ عَلَى ذَلِكَ الْمُنْجِمِ ، وَأَجْزَى لَهُ جِرَايَةً .

وفيهَا مَلِكُ الْأَمِيرِ قِوَامُ الدَّوْلَةِ أَبُو سَعِيدٍ كَرْبُوقَا مَدِينَةُ الْمَوْصِلِ ، وَقَتْلُ ^(١) مُحَمَّدِ بْنِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ^(٢) مُسْلِمِ بْنِ قُرَيْشٍ ، وَغَرْقُهُ بَعْدَ حِصَارٍ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ .

وفيهَا مَلِكُ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ الْمَغْرِبِيِّ مَدِينَةُ قَابِسَ ^(٣) ، وَأُخْرِجَ مِنْهَا أَخَاهُ عَمْرًا ^(٤) ، فَقَالَ خَطِيبُ سُوسَةَ فِي ذَلِكَ أَيْيَاتًا ^(٥) .

صَحَّحَكَ الزَّمَانُ وَكَانَ يُلْقَى ^(٥) عَابِسَا لَمَّا فَتَحْتَ بِحَدِّ سَيْفِكَ قَابِسَا
وَأَتَيْتَهَا بِكَرٍّ وَمَا أَمَهَرَتْهَا إِلَّا قَنَّا وَصَوَارِمًا وَفَوَارِسَا
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا جَنَيْتَ ^(٦) ثَمَارَهَا إِلَّا وَكَانَ أَبُوكَ قَبْلُ الْغَارِسَا
مَنْ كَانَ فِي زُرْقِ الْأَسِنَّةِ خَاطِبًا كَانَتْ لَهُ قُلُلُ الْبِلَادِ عَرَائِسَا
وفى صَفَرٍ مِنْهَا دَرَسَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّبْرِيُّ بِالنُّظَامِيَّةِ ، وَلَاهُ إِيَّاهَا فَخَرُ
الْمَلِكِ بْنِ نِظَامِ الْمَلِكِ وَزَيْرُ بَزْكَيَارُوقَ .

= وتاج العروس (ن خ ل) .

(١ - ١) فى النسخ: « شرف الدولة محمد بن » . والمثبت من الكامل ١٠ / ٢٥٨ ، وانظر الكامل ١٠ /

١٤٨ ، ١٥٨ ، ٢٢١ . وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٨٢ .

(٢) قابس: مدينة بين طرابلس وصفاقس ، على ساحل البحر معجم البلدان ٤ / ٣ .

(٣) فى خ ، م : « عمر » .

(٤) الأبيات فى الكامل ١٠ / ٢٥٧ ، دون البيت الثانى .

(٥) فى الأصل: « قدما » ، وفى الكامل: « يلقى » .

(٦) فى الكامل: « حويت » .

وفيهَا أَغَارَتْ خَفَاجَةُ^(١) عَلَى بِلَادِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةً^(٢) بِنِ مَنْصُورِ بْنِ دُئَيْسٍ، وَقَصَدُوا مَشْهَدَ الْحُسَيْنِ بِالْحَائِرِ^(٣)، فَتَظَاهَرُوا فِيهِ بِالْمُنْكَرَاتِ وَالْفَسَادِ، فَكَتَبَ لَهُمُ الْإِمَامُ صَدَقَةً الْمَذْكُورُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا حَتَّى عِنْدَ الضَّرِيحِ، وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَلْقَى نَفْسَهُ وَفَرَسَهُ مِنْ فَوْقِ السَّوْرِ فَسَلِمَ وَسَلِمَتْ فَرَسُهُ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْإِمَامُ خُمَارْتَكِينُ الْحَسَنَانِي^(٤).

وَمَنْ تُوَفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٥)، أَبُو حَكِيمٍ الْخَبَرِيُّ^(٦)، وَخَبْرٌ^(٧) :
إِخْدَى بِلَادِ فَارِسَ، سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَتَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْفَرَائِضِ وَالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ، وَلَهُ مَصْنُفَاتٌ، وَكَانَ مَرْضِيَّ الطَّرِيقَةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْمَصَاحِفَ بِالْأَجْرَةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَكْتُبُ، وَضَعَ

(١) خفاجة : خفاجة بن عمرو، بطن من بنى عقيل بن كعب، كانوا يقطنون قبل الإسلام الجنوب الشرقي من المدينة، ثم انتشروا فيما بين الجزيرة والشام وكان لهم بياضة العراق دولة. معجم قبائل العرب ٣٥١/١. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٦٩.

(٢) بعده في م : « بن مزيد ». وانظر وفيات الأعيان ٤٩٠/٢.

(٣) الحائر : اسم لموضع قبر الحسين بن علي. معجم البلدان ١٨٩/٢.

(٤) في خ : « الحسيني »، وفي ص : « الحستاني »، وفي تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٢٩٧ : « الحستاني ». وانظر إتحاف الوري ٤٨٨/٢.

(٥) المنتظم ٣٤١/١٧، ومعجم الأدباء ٤٦/١٢، وإنباه الرواة ٩٨/٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٢/٥، وبقية الوعاة ٢٩/٢.

(٦) في النسخ : « أخو أبي »، والمثبت من مصادر الترجمة السابقة.

(٧) في الأصل : « الحريري »، وفي م : « الخيري »، وفي ص : « الحرى ». وانظر مصادر الترجمة، والأنساب ١٤/٢، ومعجم البلدان ٣٩٨/٢، ٣٩٩.

(٨) في م : « خير »، وفي ص : « حيري ».

الْقَلَمَ مِنْ يَدِهِ ، وَاسْتَنْدَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ هَذَا مَوْتًا إِنَّهُ لَطَيِّبٌ ، ثُمَّ مَاتَ .
عَبْدُ الْمُحْسَنِ بْنِ^(١) مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ^(٢) أَحْمَدَ الشَّيْخِيِّ^(٣) التَّاجِرُ ، وَيُعرفُ
بِابْنِ شُهَدَائِكَ^(٤) ، بَغْدَادِيٌّ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ ، وَرَحَلَ وَأَكْثَرَ عَنِ الْخَطِيبِ
وَهُوَ بِصُورَ ، وَهُوَ الَّذِي حَمَلَهُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلِهَذَا أَهْدَى إِلَيْهِ الْخَطِيبُ «تَارِيخَ
بَغْدَادَ» بِخَطِّهِ ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ فِي مُصَنَّفَاتِهِ ، وَكَانَ يُسَمِّيهِ عَبْدَ اللَّهِ ، وَكَانَ ثَقَّةً .
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ ، أَبُو الْفَضْلِ^(٥) ، الْمَعْرُوفُ بِالْهَمْدَانِيِّ ، تَفَقَّهَ
عَلَى الْمَاوَرِدِيِّ ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْحِسَابِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ،
وَكَانَ يَحْفَظُ «غَرِيبَ الْحَدِيثِ» [٢١٢/٩ ظ] لِأَبِي عُثَيْبٍ «وَالْمُجَمَّلَ» لِابْنِ فَارِسٍ ،
وَكَانَ عَفِيفًا زَاهِدًا . طَلَبَهُ الْمُقْتَدِي لِتَوَلِّيَةِ قَاضِي الْقَضَاةِ ، فَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ ، وَاعْتَذَرَ
لَهُ بِالْعَجْزِ وَعِلْوِ السِّنِّ . وَكَانَ ظَرِيفًا لَطِيفًا ، كَانَ يَقُولُ : كَانَ أَبِي إِذَا أَرَادَ أَنْ
يُؤَدِّبَنِي أَخَذَ الْعَصَا بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ^(٦) : نَوَيْتُ أَنْ أَضْرِبَ وَلَدِي تَأْدِيبًا كَمَا أَمَرَ اللَّهُ ،
ثُمَّ يَضْرِبُنِي . قَالَ : وَإِلَى أَنْ يَنْوِيَ وَيُتِمِّمَ النَّيَّةَ كُنْتُ أَهْرُبُ . تُوفِّيَ فِي رَجَبٍ
مِنْهَا ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ ابْنِ سُرَيْجٍ .

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ مَنْصُورٍ ، أَبُو بَكْرٍ الدَّقَّاقُ^(٧) ، وَيُعرفُ

(١ - ١) سقط من : م . وفي الأصل ، خ ، ص : «علي بن» . والمثبت من المنتظم ٣٤/١٧ ، وتاريخ دمشق ١٣٤/٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٢/١٩ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٢٧/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٠١ .

(٢) في الأصل ، م : «الشنجي» ، وفي خ : «الشيخى» . وانظر الأنساب ٤٨٧/٣ .

(٣) في م : «شهداء مكة» .

(٤) المنتظم ٣٤/١٧ ، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٨/١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣١/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٠٣ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٦٢/٥ .

(٥) المنتظم ٣٥/١٧ .

(٦) المنتظم ٣٥/١٧ ، وتاريخ دمشق ٦٩٧/١٤ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ١٠٩/١٩ ، =

بابن الخاضبة^(١) ، كان معروفاً بالإفادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة النقل ، جمع بين علم القراءات والحديث ، وأكثر عن الخطيب وأصحاب المخلص^(٢) . قال^(٣) : لما غرقت بغداد غرقت دارى وكثبي ، فلم يبق لى شىء ، فاحتجث إلى النسخ ، فكتبث « صحيح مسلم » فى تلك السنة سبع مرات ، فمئت فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت ، وقائل يقول : أين ابن الخاضبة^(٤) ؟ فمئت فأذخلت الجنة ، فلما دخلتها استلقيت على قفاى ووضعث إحدى رجلي على الأخرى ، وقلت : استرحث من النسخ ، ثم استيقظت والقلم فى يدي ، والنسخ بين يدي .

أبو المظفر السمعاني ، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعاني^(٥) ، الحافظ ، من أهل مرو ، تفقه أولاً على أبيه فى مذهب أبى حنيفة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعى حين أخذ عن أبى إسحاق الشيرازي ، وابن الصبّاغ ، وكانت له يدٌ طولى فى فنون كثيرة ، وصنف « التفسير » ، وكتاب « الانصار » فى الحديث ، و « البرهان » و « القواطع » فى أصول الفقه ، و « الاضطلام » وغير ذلك ، ووعظ فى مدينة نيسابور ، وكان يقول : ما حفظت شيئاً فسيئته . وسئل عن أخبار الصفات ، فقال : عليكم بدين العجائز^(٦) . وسئل عن الاستواء فقال^(٧) :

= وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣١٠ ، والوفى بالوفيات ٨٩ / ٢ .

(١) فى خ ، م : « الخاضنة » .

(٢) انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٤٧٨ / ١٦ .

(٣) المنتظم ٣٥ / ١٧ ، ٣٦ . وسير أعلام النبلاء ١١٢ / ١٩ .

(٤) المنتظم ٣٧ / ١٧ ، ووفيات الأعيان ٢١١ / ٣ ، وسير أعلام النبلاء ١١٤ / ١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٢١ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٣٥ / ٥ ، وطبقات المفسرين ٣٣٩ / ٢ .

(٥) بعده فى خ ، م : « وصبيان الكتائب » . والأثر فى المنتظم ٣٨ / ١٧ .

(٦) الخبر والآيات فى المنتظم ٣٨ / ١٧ .

جِئْتُمَانِي لِتَعْلَمَا سِرَّ سُغْدَى تَجِدَانِي بِسِرِّ سُغْدَى شَحِيحَا
إِنَّ سُغْدَى لَمُنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى جَمَعَتْ عِفَّةً وَوَجْهًا صَبِيحَا
تُوفِّي فِي ربيعِ الأوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ مَرْو^(١)، رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى وَإِيَّانَا، آمِينَ .

(١) فِي الْأَصْلِ: «حَرْب» .

ثم دخلت سنة تسعين وأربع مائة^(١)

فيها كان ابتداء مُلك الخُوَارِزْمِيَّةِ ، وذلك أَنَّ السُّلْطَانَ بَرْكِيَارُوقَ مَلَكَ فيها بلادَ خُرَاسَانَ بعدَ مَقْتَلِ عمِّه أَرْسَلَانَ أَرْغُونَ بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ، وسَلَّمَهَا إلى أخيه أحمدَ المعروفِ بِالْمَلِكِ سَنَجَرِ ، وجعلَ أتابكَه الأَمِيرَ قُمَاجَ ، ووَزِيرَه عَلِيَّ بْنَ الحُسَيْنِ الطُّغْرَائِيَّ ، واشتَعَمَلَ على خُرَاسَانَ الأَمِيرَ حَبَشِيَّ بْنَ التُّونْتاقِ^(٢) ، فوَلَّى مَدِينَةَ خُوَارِزَمَ شَابًّا يُقَالُ لَهُ : مُحَمَّدُ بْنُ أَنُوشْتِكِينِ . وكان أبوه من أُمراءِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، ونشأ هو في أدبٍ وفُضِيلَةٍ وحُسْنِ سِيرَةٍ ، ولما وَلِيَ مَدِينَةَ خُوَارِزَمَ ، لُقِّبَ خُوَارِزَمَ شَاهَ ، وكان أوَّلَ مَلُوكِهِمْ ، فأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وعامَلَ النَّاسَ بِالْجَمِيلِ ، وحين مات [٢١٣/٩و] قام من بعده على خُوَارِزَمَ ولده أَتَشِيزُ ، فجزى على سَنَنِ أبيه وأظهر العَدْلَ ، فحظِيَ عِنْدَ السُّلْطَانِ سَنَجَرِ وأَحَبَّهُ النَّاسُ ، وارتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُ .

وفيها خطبَ المَلِكُ رِضْوَانُ بْنُ تَاجِ الدَّوْلَةِ تُشَشَ لِلْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ الْمُسْتَعْلَى . وفي رَمَضَانَ منها قُتِلَ بُرْسُوقُ أَحَدِ أَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ ، وكان أوَّلَ مَنْ تَوَلَّى شِخْنِكِيَّةَ بَغْدَادَ . وفي شَوَّالٍ قُتِلَ رَجُلٌ بَاطِنِيٌّ عِنْدَ بَابِ التَّوْبِيِّ كان قد شَهِدَ عَلَيْهِ عَدْلَانِ ؛ أَحَدُهُمَا ابْنُ عَقِيلٍ أَنَّهُ دَعَاهُمَا إِلَى مَذْهَبِهِ ، فجعلَ يَقُولُ : أَتَقْتُلُونَنِي وَأَنَا أَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ فَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ^(٣) : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا

(١) المنتظم ٣٩/١٧ ، الكامل ٢٦٢/١٠ .

(٢) في الأصل ، ص : « البوساق » وفي خ : « البرساق » ، وفي م : « البرشاف » . والمثبت من الكامل ٢٦٦/١٠ .

(٣) المنتظم ٣٩/١٧ .

بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا ﴿٨٥﴾ الآية [غافر: ٨٤، ٨٥].

وحجَّ بالناس فيها حُماز تكيُن الحُسنانِي . وفي يوم عاشوراء كُيَسْتُ دارُ بهاءِ الدولة أبي نُصيرِ بنِ جلالِ الدولة أبي طاهرِ بنِ بُويهِ ؛ لأُمورٍ ثَبَّتَ عليه عندَ القاضي ، فأَرِيقَ دُمُه ، ونُقِضَتْ دارُه ، وعُمِلَ مكانُها مَسْجِدانِ للحنَفيَّةِ والشافِعيَّةِ ، وقد كان السلطانُ مَلِكُشاه قد أَقْطَعَه المدائِنَ ، وذَيَّرَ عاقولَ^(١) ، وغيرَهما .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ زَكَرِيَّا بنِ دينارٍ ، أبو يَغْلَى العَبْدِيُّ البَصْرِيُّ^(٢) ، ويُعرَفُ بابنِ الصَّوَّافِ ، وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الحديثَ ، وكان زاهدًا متصوِّفًا ، وُفِّقَها مُدَرِّسًا ، ذا سَمَتٍ ووقارٍ وسكينةٍ ودينٍ ، وكان عَلَّامةً في عَشْرَةِ عُلُومٍ ، تُوفِّيَ في رَمَضانَ منها عن تَسعِينَ سَنَةً ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

المُعَمَّرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ المعَمَّرِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ ، أَبُو الْغَنَائِمِ الحُسَيْنِيُّ^(٣) ، النَّقِيبُ لِلطَّالِبِينَ . سَمِعَ الحديثَ ، وكان حَسَنَ الصُّورَةِ ، كَرِيمَ الأخلاقِ ، كَثِيرَ التَّعَبُّدِ ، لا يُعرَفُ أَنَّهُ آذَى مُسَلِّمًا ، ولا شَتَمَ صَاحِبًا . تُوفِّيَ عن نَيِّفٍ وَسِتِّينَ

(١) دير عاقول : بين مدائن كسرى والنعمانية ، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخًا ، على شاطئ دجلة . معجم البلدان ٦٧٦/٢ .

(٢) ترتيب المدارك ٧٩١/٤ ، والمنتظم ٤٠/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٦/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٢٩ ، ومرة الجنان ١٥٢/٣ .

(٣) المنتظم ٤١/١٧ ، والكامل ٢٧١/١٠ ، وفيه : « الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد الله » ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٤٤ ، والجواهر المضية ٤٩٣/٣ ، وفيه : « المعمر بن محمد بن عبيد الله » .

سنة^(١) ؛ كان منها نقيباً ثنتين وثلاثين سنة ، وكان من سادات قريش ، وتولى بعده ولده أبو الفتوح حيدر ، ولقب بالرضي ذي الفخرين ، وقد رثاه الشعراء بأبيات ذكرها ابن الجوزي^(٢) .

يحيى بن أحمد بن محمد^(٣) بن علي^(٤) السبيعي سميع الحديث ، ورحل إليه الطلبة ، وكان ثقة صالحاً صدوقاً ديناً ، غمر مائة سنة وثنتي عشرة سنة^(٥) وثلاثة أشهر^(٥) ، وهو في ذلك صحيح الحواس ، يُقرأ عليه القرآن والحديث ، رحمه الله تعالى .

(١) في المنتظم أنه توفي عن اثنتين وسبعين سنة .

(٢) المنتظم ٤١ / ١٧ .

(٣ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته في : المنتظم ٤٢ / ١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٩٨ / ١٩ ، ومعرفة القراء الكبار ٣٥٧ / ١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٤٩ ، وغاية النهاية ٣٦٥ / ٢ .

(٤) في خ : « السبيعي » . وفي م : « البستي » .

(٥ - ٥) في الأصل : « ونصف » . وجاء في المنتظم : أنه توفي عن مائة وثلاث وخمسين سنة وثلاثة أشهر وأياماً . وعند الذهبي في تاريخه : أنه غمر مائة وستين فقط . وقد ذكر كل من ابن الجوزي والذهبي أنه ولد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ؛ فعلى هذا يكون ما ذكره الذهبي هو الصحيح ، لا ما ذكره ابن الجوزي ، ولا ما ذكره المصنف .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربع مائة^(١)

في جمادى الأولى منها ملك الفرنج مدينة أنطاكية بعد حصار شديد، بمواطاة من بعض المستحقين على بعض الأبراج، وهرب صاحبها^(٢) ياغي سيان^(٣) في نفر يسير، وترك بها أهله وماله، ثم أخذه في أثناء الطريق ندماً شديداً على ما فعل، بحيث إنه غشي عليه وسقط عن فرسه، فذهب أصحابه وتركوه، فجاء راعي غنم فقطع رأسه، وذهب به إلى ملك الفرنج، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة، واجتمع عليه دقاق بن تثن صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، وغيرهما، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرض أنطاكية، فهزمهم [٢١٣/٩ ظ] الفرنج، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم أموالاً جزيلة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم سارت الفرنج إلى معرة النعمان^(٣)، فأخذوها بعد حصار فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولما بلغ هذا الحال إلى الملك بركياروق شق عليه ذلك، وكتب إلى الأمراء ببغداد أن يتجهزوا هم والوزير ابن جهير لقتال الفرنج، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب

(١) المنتظم ٤٣/١٧، والكامل ٢٧٤/١٠.

(٢ - ٢) في الأصل، خ: «ماعى سنان». وفي م، والكامل ٢٧٥/١٠: «ياغيسيان»، وفي زبدة الحلب ١٣٠/٢: «يغى سيان»، وفي تاريخ ابن الوردي ١٠/٢: «ياغى سنان». وانظر نهاية الأرب ٢٨/٢٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠) ص ٩.

(٣) معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. معجم البلدان ٥٧٤/٤.

الغريب ، ثم انفسخت هذه العزيمة ؛ لأنهم بلغهم أن الفرَج في ألف ألف مُقاتِل ،
فلا حول ولا قوَّة إلا بالله . وحجَّ بالناس في هذه السنة خُمارَ تَكِين .

ومَن تُوفِّي فيها مِنَ الأَغْيَانِ :

طَرَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ ^(١) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبَّاسٍ ، أَبُو الْقَوَارِسِ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي تَمَّامٍ ، مِنْ وَلَدِ زَيْنَبَ ^(٢)
بِنْتِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَهِيَ أُمُّ وَلَدِ ^(٣) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ ،
وَالكُتُبَ الْكِبَارَ ، وَتَفَرَّدَ بِالرَّوَايَةِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايخِ ، وَرُحِّلَ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ،
وَأُمِّلَى الْحَدِيثَ فِي بُلْدَانِ شَتَّى ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَةَ الْعُلَمَاءِ وَالسَّادَةِ ، وَحَضَرَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ مَجْلِسَهُ ، وَبَاشَرَ نَقَابَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ ^(٤) مَدَّةً طَوِيلَةً ، وَتُوفِّيَ عَنْ
نَيْفٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الشُّهَدَاءِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

المُظَفَّرُ أَبُو الْفَتْحِ ابْنُ رَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الْمُسْلِمَةِ ^(٥) ، كَانَتْ دَارُهُ
مَجْمَعًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالْأَدَبِ ، وَبِهَا تُوفِّيَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيُّ ، وَلَمَّا
تُوفِّيَ أَبُو الْفَتْحِ دُفِنَ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ فِي تَرْبَتِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر ترجمته في : المنتظم ٤٣/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٣٧/١٩ ، وتذكرة
الحفاظ ١٢٢٨/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٩٥ ، والجواهر المضية
٢٨١/٢ .

(٢) في خ ، م : « زيد بن » .

(٣) في خ ، م : « ولده » . وانظر المنتظم ٤٤/١٧ .

(٤) في خ ، م : « الطالبين » .

(٥) المنتظم ٤٦/١٧ ، والكامل ٢٨٠/١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ١٠٧ .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة

وفيها^(١) أخذت الفرنج - خذلهم الله تعالى - بيت المقدس؛ لما كان ضحى يوم الجمعة^(٢) لسبع بقين من شعبان^(٣) سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، استحوذ الفرنج - لعنهم الله - على بيت المقدس - شرفه الله - وهم فى نحو ألف ألف مقاتل، فقتلوا فى وسطه أزيد من سبعين^(٤) ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار^(٥) وكان وعدًا مفعولًا.

قال ابن الجوزي^(٦): وأخذوا من حول الصخرة اثنتين وأربعين قنديلًا من فضة، زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنورًا من فضة زنته أربعون رطلًا بالشامي، وثلاثة وعشرين قنديلًا من ذهب. وذهب الناس على وجوههم هازعين^(٧) من الشام إلى العراق، مشتغيين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان، منهم القاضي بدمشق أبو سعيد الهروي، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا، وقد نظم أبو سعيد الهروي كلامًا قرئ فى الديوان وعلى المنابر، فجهش الناس بالبكاء، ونذب الخليفة الفقهاء إلى الخروج

(١) المنتظم ٤٧/١٧، والكامل ٢٨٢/١٠.

(٢ - ٣) فى الأصل: «من آخر شعبان». وفى المنتظم: «ثالث عشر شعبان». وانظر تاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ١٦.

(٣) فى خ، م: «ستين». وانظر المنتظم ٤٧/١٧.

(٤ - ٥) فى خ، م: «وتبروا ما علوا تنبيرا».

(٥) المنتظم ٤٧/١٧، بنحوه.

(٦) هازعين: مسرعين. الوسيط (ه ز ع).

[٢١٤/٩] إلى البلاد؛ ليَحْرُضُوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عَقِيل، وغير واحد من أعيان الفقهاء، فساروا في الناس، فلم يُفِذْ ذلك شيئاً، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال في ذلك أبو المظفر الأبيوردى^(١) :

مَزَجْنَا دِمَاءَ بِالدَّمُوعِ السَّوَاجِمِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا عُرْضَةٌ لِلْمَرَا حِمِ
وَشَرُّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِيضُهُ إِذَا الْحَرْبُ شُبَّتْ نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
فَإِيَّهَا بَنَى الْإِسْلَامَ إِنَّ وَرَاءَكُمْ وَقَائِعَ يُلْحِقَنَّ الذَّرَى بِالْمَنَاسِمِ
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مِلءَ جَفُونِهَا عَلَى هَفَوَاتٍ أُتِقِظَتْ كُلَّ نَائِمِ
وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يُضْجِي مَقِيلُهُمْ ظَهَرَ الْمَذَاكِي أَوْ بَطُونَ الْقَشَاعِمِ^(٢)
تَسْوِمُهُمُ الرُّومُ الْهَوَانَ وَأَنْتُمْ تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَفْضِ فَعَلَ الْمُسَالِمِ
وَيَسَّرَ اخْتِلَاسَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَقَفَّةً تَظَلُّ لَهَا الْوِلْدَانُ شَيْبَ الْقَوَادِمِ
وَتِلْكَ حُرُوبٌ مَنْ يَغِيبُ عَنْ غِمَارِهَا لَيْسَلَمْ يَقَرَّعْ بَعْدَهَا سِنَّ نَادِمِ
سَلَّلْنَ بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ قَوَاضِيَا سَتُعْمَدُ مِنْهُمْ فِي الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ
يَكَادُ لَهُنَّ الْمُسْتَجِرُّ^(٣) بِطَبِيبَةٍ يُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا آلَ هَاشِمِ
أَرَى أُمْتِي لَا يَشْرَعُونَ إِلَى الْعِدَا رَمَاحَهُمْ وَالذِّينُ وَاهِي الدَّعَائِمِ
وَيَجْتَنِبُونَ الثَّأَرَ^(٤) خَوْفًا مِنَ الرَّذَى وَلَا يَحْسَبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةً لَزِمِ
أَتْرَضَى صَنَادِيدُ الْأَعَارِبِ بِالْأَذَى وَتُغْضِي عَلَى ذُلِّ كُمَاةِ الْأَعَاجِمِ

(١) الكامل ٢٨٤/١٠، ٢٨٥. وانظر المنتظم ٤٧/١٧.

(٢ - ٢) هذا كناية عن الموت والاستشهاد، والقشاعم: جمع قشعم، وهي المهالك والنايا، قال في اللسان: وأم قشعم: الحرب. وقيل: المنية. اللسان (ق ش ع م).

(٣) في م: «المستجير». وفي ص: «المستجز».

(٤) في خ: «العار»، وفي م، والكامل ٢٨٥/١٠: «النار». وانظر المنتظم ٤٨/١٧.

فَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَذُودُوا حَمِيَّةً عَنْ الدِّينِ صَنُتُوا غَيْرَةً بِالْمَحَارِمِ
وإن زَهْدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَمِيَ الْوَعْيُ فَهَلَّا أَتَوْهُ رَغْبَةً فِي الْعَنَائِمِ
وفيهَا كَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهٍ ؛ وَهُوَ أَخُو السُّلْطَانِ سَنَجَرِ
لَأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ صَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ خُطِبَ لَهُ بِيغْدَادَ فِي ذِي
الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

وفيهَا سَارَ إِلَى الرَّيِّ فَوَجَدَ زُبَيْدَةَ خَاتُونَ أُمِّ أَخِيهِ بَزْكَيَارُوقَ فَأَمَرَ بِخَنْقِهَا -
وَكَانَ عَمْرُهَا إِذْ ذَاكَ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً - فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَتْ
لَهُ مَعَ بَزْكَيَارُوقَ خَمْسُ وَقَعَاتٍ هَائِلَةٍ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَلَّتِ الْأَسْعَاظُ جَدًّا بِبِيغْدَادَ ، حَتَّى مَاتَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
جُوعًا ، وَأَصَابَهُمْ وَبَاءٌ شَدِيدٌ حَتَّى عَجَزُوا عَنْ دَفْنِ الْمَوْتَى مِنْ كَثَرَتِهِمْ ^(١) .
وَمَنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

السُّلْطَانُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْعُودِ بْنِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ
ابْنِ سُبُكْتِكِينَ ^(٢) ، صَاحِبُ غَزَنَةَ وَأَطْرَافِ الْهِنْدِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كَانَتْ لَهُ حُرْمَةٌ
وَأُبْهَةٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا ، حَكَمَ إِلْكِيَا الْهَرَّاسِيَّ - حِينَ بَعَثَهُ السُّلْطَانُ بَزْكَيَارُوقَ إِلَيْهِ -
فِي رِسَالَةٍ عَمَّا شَاهَدَهُ عِنْدَهُ مِنْ أُمُورِ السُّلْطَنَةِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَجْلِسِهِ ، وَمَا عِنْدَهُ مِنْ

(١) بعده في خ : « جزءا وفاقا ولو خرجوا إلى قتال الفرنج ، وكسروا ما قتل منهم ثلث هؤلاء الموتى
ولحصلت لهم الشهادة وكتبت لهم غزوة ، ولكن قدر الله وما شاء فعل لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ، والموت بالسيف أهون الموتات ، ولكن الجبن وحب الحياة وكراهية
الموت يوقعان العبد فيما يحول بينه وبين أطيب الحياة في الدار الآخرة ، وقد مات في هذه السنة بالسيف
والطاعون والجوع خلق كثير » .

(٢) المنتظم ٤٩١/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٦/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ -
٥٥٠ هـ) ص ١١٧ ، والعبر ٢٢٥/٣ ، والنجوم الزاهرة ١٦٤/٥ .

السعادة الدنيوية، قال ^(١): رأيت شيئاً عجيباً. وقد وعظه بحديث: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا» ^(٢). فبَكَى. قال: وكان لا يبتنى لنفسه منزلاً حتى يبتنى قبله مسجداً أو مدرسةً أو رباطاً. تُوفِّي، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، [٢١٤/٩ ظ] في رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَدْ جَاوَزَ التَّسْعِينَ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مُلْكِهِ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

عَبْدُ الْبَاقِي بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ صَالِحٍ، أَبُو ثُرَابٍ الْمَرَاغِي ^(٣)، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتَفَقَّهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَشَايخِ بِلَدَانِ شَتَّى، ثُمَّ أَقَامَ بَنِيْسَابُورَ، وَكَانَ يَحْفَظُ شَيْئاً كَثِيراً مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ؛ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ مَسْأَلَةً بِأَدْلَتِهَا وَالْمُنَازَرَةِ عَلَيْهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَالْمُلُحِّ وَالْآدَابِ، وَكَانَ صَبُورًا مَتَقَلِّلاً عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، جَاءَهُ مَنُشَوْرٌ بِقَضَاءِ هَمْدَانَ فَقَالَ: أَنَا مُتَنَتِّظٌ مَنُشَوْرًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى يَدَيِّ مُلْكِ الْمَوْتِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ لَجُلُوسُ سَاعَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عَلَى رَاحَةِ الْقَلْبِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقَيْنِ، وَتَعْلِيمُ مَسْأَلَةٍ لَطَالِبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ ^(٤) مِنْ مُلْكِ ^(٥) الثَّقَلَيْنِ. حَكَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ» ^(٦). تُوفِّي، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي

(١) المنتظم ٤٩/١٧.

(٢) تقدم في ١٠٦/٦، ١٠٧.

(٣) في الأصل: «الداعي». وفي خ، ص: «الراعي». وفي م: «البراعي». وانظر ترجمته في: المنتظم ٥٠/١٧، وسير أعلام النبلاء ١٧٠/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٩٦/٥، والجواهر المضية ٣٥٦/٢.

(٤ - ٥) في خ، م: «مما على الأرض من شيء والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها، وإنما العلم دليل، فمن لم يذله علمه على الزهد في الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم، ولو علم ما علم، فإنما ذلك ظاهر من العلم، والعلم النافع وراء ذلك، والله لو قطعت يدي ورجلي وقلعت عيني أحب إلي من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة وما هو سبب فوز المتقين وسعادة المؤمنين».

(٥) في المنتظم ٥١/١٧: «علم»، وفي سير أعلام النبلاء ١٧١/١٩: «عمل».

(٦) المنتظم ٥١/١٧.

ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ سَنَةً .

أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ ^(١) ، قَتَلَهُ بَعْضُ الْبَاطِنِيَّةِ بَنِي سَائُورَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ،
وَرَحِمَ أَبَاهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

(١) الكامل ٢٩١ / ١٠ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣٠ / ٥ .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة^(١)

فى صفرٍ منها دخل السلطان بركتاروق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة ببغداد، وقُطعت خطبة أخيه محمد بن ملكشاه، وبعث إليه الخليفة هديّة هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه فى ضيقٍ من أمر أخيه السلطان محمد؛ لإقبال الدولة عليه واجتماعهم إليه، وقلة ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فعزم على مُصادرة الوزير ابن جهير، فالتجأ إلى الخليفة، فمنعه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة وستين ألف دينار، ثم التقى هو وأخوه محمد بمكان قريبٍ من همدان، فهزمه أخوه محمد، ونجا هو بنفسه فى خمسين فارساً، وقُتل فى هذه الوقعة سعد الدولة كوهرائين^(٢) الخادم، وكان قديم الهجرة فى الدولة، وقد ولى شحنكية بغداد، وكان حليماً حسن السيرة، لم يتعمد ظمناً ولم ير خادماً ما رأى من الحشمة والحزمة وكثرة الخدمة، وقد كان يُكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، ولم يمرض مدة حياته، ولم يُصدغ قط، ولما جرى ما جرى فى هذه الوقعة ضُغف أمر السلطان بركتاروق، ثم تراجع إليه جيشه،

(١) المنتظم ٥٢/١٧، والكامل ٢٩٣/١٠.

(٢) فى خ: «جهر»، وفى م: «جهر آين». وانظر المنتظم ٥٦/١٧، والكامل ٢٩٥/١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٣.

وَانْضَافَ إِلَيْهِ ^(١) «الأمير داود حبشني» في عشرين ألفاً، فالتقى مع أخيه الآخر سنجر، فهزّمه سنجر أيضاً ^(٢) وأسر داود المذكور في هذه الوقعة، فقتله الأمير بُزْغَش ^(٣) أحد أمراء سنجر، فَضَعَفَ جانبُ بَرْكِيَارُوقَ، وتقهقر حاله، وتفرقت عنه رجاله، وقُطِعَتْ خُطْبَتُهُ مِنْ بَغْدَادَ فِي رَابِعِ عَشَرَ رَجَبٍ، وَأُعِيدَتْ خُطْبَةُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ.

وفي رمضان قُبِضَ عَلَى الْوَزِيرِ عَمِيدِ الدَّوْلَةِ ابْنِ جَهْمِيرٍ، وَعَلَى أَخَوَيْهِ؛ زَعِيمِ الرُّؤَسَاءِ أَبِي الْقَاسِمِ، وَأَبِي الْبَرَكَاتِ الْمُلقَّبِ بِالْكَافِي، وَأُخِذَتْ مِنْهُمْ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ، وَحُبِسَ بَدَارِ الْخِلَافَةِ حَتَّى مَاتَ فِي سُؤَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَفِي اللَّيْلَةِ [٢١٥/٩] السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ قُتِلَ ^(٤) شَخْنَةُ أَصْبَهَانَ، ضَرَبَهُ بَاطِنِيٌّ بِسِكِّينٍ فِي خَاصِرَتِهِ، وَقَدْ كَانَ يَتَحَرَّزُ مِنْهُمْ طَوْلَ مَبَاشَرَتِهِ، وَيَدْرِيخُ تَحْتَ ثِيَابِهِ سِوَى هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَمَاتَ مِنْ أَوْلَادِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ جَمَاعَةٌ، فَخَرَجَ مِنْ دَارِهِ خَمْسُ جَنَائِزَ مِنْ صَبِيحَتِهَا.

وفي هذه السَّنة أَقْبَلَ مَلِكُ الْفَرَنْجِ فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، فَالتقى معه ^(٥) «كُمُشْتِكِينُ ابْنُ الدَانِشْمَنْدِ» طَايِلُو ^(٦)، أَتَابِكُ الْجِيُوشِ بِدَمَشَقَ، الَّذِي يَقَالُ لَهُ: أَمِينُ الدَّوْلَةِ، وَاقِفُ الْأَمِينِيَّةِ بِدَمَشَقَ وَيُضْرَى - لَا الَّتِي يَبْغَلَبُكَ - فَهَزَمَ الْفَرَنْجَ،

(١ - ١) فِي الْمَخْتَصَرِ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ ٢/٢١٢ «دَاذَا»، وَفِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ ٢٦، ٣٤٦: «ذَاد»، وَفِي إِحْدَى نَسَخِهِ: «دَاد»، وَالْمُثَبِّتُ مُوَافِقٌ لِإِحْدَى نَسَخِ الْكَامِلِ. انْظُرِ الْكَامِلَ ١٠/٢٦٦، ٢٦٧.
(٢) بَعْدَهُ فِي خ، م: «وَهَرَبَ فِي شَرْدَمَةِ قَلِيلَةٍ».
(٣) فِي الْأَصْلِ، خ، م: «بَرْغَش». وَانْظُرِ الْكَامِلَ ١٠/٢٩٧.
(٤) بَعْدَهُ فِي م: «الْأَمِيرُ بَلْكَابُكُ سَرْمَزُ رَئِيسٍ».
(٥ - ٥) فِي م: «سَتَكِينُ بْنُ اَنْشَمَنْدٍ». وَانْظُرِ الْكَامِلَ ١٠/٣٠٠، وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ ٢٨/٢٥٩.
(٦) فِي الْأَصْلِ، خ، ص: «وَأَظْنَهُ». وَانْظُرِ مَصَادِرَ الْحَاشِيَةِ السَّابِقَةَ.

وقتل منهم خلقًا كثيرًا، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جَزَحِي - يعنى الثلاثة آلاف - وذلك فى ذى القعدة من هذه السنة، ولحقهم إلى ملطية فملكها، وأسر ملكها، ولله الحمد. وحج بالناس الأمير التوتناش^(١) التركى، وكان شافعى المذهب.

ومن توفي فيها من الأعيان :

عبد الرزاق الغزنوى الصوفى^(٢) شيخ رباط عتاب، حج مرات على التجريد، مات وله نحو مائة سنة، ولم يترك كفنًا، وقد قالت له امرأته وهو فى الاحتضار: إنك ستفتضح اليوم؛ لا يوجد لك كفن. فقال لها: لو تركت كفنًا لا فتضح.

وعكسه أبو الحسن البسطامى^(٣)، شيخ رباط ابن الحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف شتاءً وصيفًا، ويظهر الزهد، وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة، فتعجب الناس من تفاوت حالتهما، واتفاق مؤتهما فى هذه السنة، فرحم الله الأول وسامح الثانى.

الوزير عميد الدولة ابن جهير، محمد بن أبى نصر بن محمد بن جهير الوزير الكبير^(٤). أبو منصور الملقب عميد الدولة، أحد رؤساء الوزراء وسادات الكبراء، خدم ثلاثة من الخلفاء، ووزر لاثنتين منهم، وكان حليمًا قليل العجلة،

(١) فى الأصل: «البوساس». وفى خ: «البوياس». وفى إتحاف الورى ٢/ ٤٩٠: «بوساس».

(٢) المنتظم ٥٧/ ١٧، والكامل ٣٠٢/ ١٠.

(٣) المنتظم ٥٧/ ١٧، والكامل ٣٠١/ ١٠.

(٤) المنتظم ٥٩/ ١٧، والإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢، ووفيات الأعيان ١٣١/ ٥، وسير أعلام النبلاء ١٧٥/ ١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ١٦٥، والنجوم الزاهرة ١٦٥/ ٥.

إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُتَكَلَّمُ فِيهِ بِسَبَبِ الْكِبَرِ ، وَقَدْ وَلِيَ الْوِزَارَةَ مَرَاتٍ ؛ يُغْزَلُ ثُمَّ يُعَادُ ، ثُمَّ كَانَ آخِرَهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ ، حُسِبَ بَدَارِ الْخِلَافَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ السَّجَنِ إِلَّا مَيِّتًا ، فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

ابْنُ جَزَلَةَ الطَّبِيبُ ، يَحْيَى بْنُ عِيسَى بْنِ جَزَلَةَ^(١) ، صَاحِبُ « الْمُنْهَاجِ » فِي الطَّبِّ ، كَانَ نَضْرَانِيًّا ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ الْوَلِيدِ الْمُقْتَزِلِيِّ^(٢) يَشْتَغِلُ عَلَيْهِ فِي الْمَنْطِقِ ، فَكَانَ^(٣) أَبُو عَلِيٍّ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيُوضِّحُ لَهُ الدَّلَالَاتِ حَتَّى أَسْلَمَ وَحَسَّنَ إِسْلَامَهُ ، وَاسْتَخْلَفَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ قَاضِي الْقَضَاةِ فِي كُتُبِ السَّجَلَاتِ ، ثُمَّ كَانَ يُطَبِّبُ النَّاسَ بَعْدَ ذَلِكَ بِلَا أُجْرَةٍ ، وَرُبَّمَا رَكَّبَ لَهُمُ الْأَدْوِيَةَ مِنْ مَالِهِ تَبَرُّعًا ، وَقَدْ أَوْصَى بِكُتْبِهِ أَنْ تَكُونَ وَقْفًا فِي مَشْهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) المنتظم ٦١/١٧ ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٣٤٣ ، ووفيات الأعيان ٢٦٧/٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٨/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٧٤ .

(٢) في خ ، م : « المغربي » .

(٣ - ٣) زيادة من : خ ، م . وعند ابن الجوزي وابن خلكان : أن أبا علي هذا كان سبب إسلامه ، وخالف الذهبي في السير فقضى بأن إسلامه كان على يد قاضي القضاة الدامغاني . هذا ، وظاهر كلام الذهبي في تاريخ الإسلام يوافق قول ابن خلكان وما نقله ابن كثير ههنا .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربع مائة^(١)

فيها عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية، فقتل السلطان منهم خلقاً كثيراً، وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة، كل من يقدر على قتله وماله، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعة ملكوها في سنة [٢١٥/٩ ظ] ثلاث وثمانين، وكان الذي ملكها الحسن بن الصباح، أحد دعاتهم، وكان قد دخل مضر وتعلم من الرنادقة الذين كانوا بها، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان، فكان لا يدعو إلا غيباً لا يعرف ميمنه من شماله، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز^(٢)، حتى يحترق مزاجه، ويفسد دماغه، ثم يذكر له شيئاً من أخبار أهل البيت، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم، ثم يقول له: فإذا كانت الخوارج تقاتل مع بنى أمية لعلى، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك على بن أبى طالب، ولا يزال يشقيه من هذا وأمثاله حتى يستجيب له، ويصير أطوع له من أبيه وأمه، ويظهر له أشياء كثيرة من المخرفة والثيرنجات والحيل التي لا تروج إلا على الجهال، حتى التف عليه بشر كثير، وجم غفير، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتهدده ويتوعده وينهاه عن بعثه الفداوية إلى العلماء، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول، قال لمن حضره من الشباب: إني أريد أن أرسل منكم رسولاً إلى مولاه، فاشرأبت وجوه الحاضرين

(١) المنتظم ٦٢/١٧، والكمال ٣١٣/١٠.

(٢) الشونيز: الحبة السوداء. تاج العروس (ش ن ز).

مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِشَابٍّ مِنْهُمْ : اقْتُلْ نَفْسَكَ . فَأَخْرَجَ سَكِينًا فَضَرَبَ بِهَا غَلَصَمَتَهُ ^(١) ، فَسَقَطَ مَيِّتًا ، وَقَالَ لِآخَرٍ مِنْهُمْ : أَلْتِ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَرَمَى نَفْسَهُ مِنْ رَأْسِ الْقَلْعَةِ إِلَى أَسْفَلٍ خَنَدِهَا فَتَقَطَّعَ . فَقَالَ لِلرُّسُولِ : هَذَا الْجَوَابُ . فَمِنْهَا امْتَنَعَ السُّلْطَانُ مِنْ مُرَاسَلَتِهِ . هَكَذَا أَوْرَدَهُ ابْنُ الْجَوَازِيِّ ^(٢) . وَسَيَأْتِي أَنَّ الْمَلِكَ صَلَاحَ الدِّينِ فَاتِحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ جَرَى لَهُ مَعَ سِنَانِ صَاحِبِ الْإِيوَانِ مِثْلُ هَذَا . وَفِي ^(٣) شَهْرِ رَمَضَانَ أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَظْهَرُ بِاللَّهِ بِفَتْحِ جَامِعِ الْقَصْرِ ، وَأَنْ يُيَئِضَ وَأَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ التَّرَاوِيحَ وَأَنْ يُجْهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ ، وَأَنْ يُنَمَّعَ النِّسَاءُ مِنَ الْخُرُوجِ لَيْلًا لِلْفُرْجَةِ .

وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ السُّلْطَانُ بَزْكَيَارُوقُ إِلَى بَغْدَادَ فَخُطِبَ لَهُ بِهَا ، ثُمَّ لَحِقَهُ أَخُوَاهُ مُحَمَّدٌ وَسَنْجَرُ ، فَدَخَلَاهَا وَهُوَ مَرِيضٌ فَعَبَّرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَقَطَّعَتْ خُطْبَتُهُ وَخُطِبَ لَهَا بِهَا ، وَهَرَبَ بَزْكَيَارُوقُ إِلَى وَاسِطٍ ، وَنَهَبَ جَيْشُهُ مَا اجْتَاوَزُوا بِهِ مِنَ الْبِلَادِ وَالْأَرَاضِي ، فَتَهَاةَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ ذَلِكَ وَوَعِظَهُ فَلَمْ يُفِذْ شَيْئًا .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلَكَتِ الْفَرَنْجُ قِلَاعًا كَثِيرَةً ؛ مِنْهَا قَيْسَارِيَّةٌ وَسَرُوجُ ، وَسَارَ مَلِكُ الْفَرَنْجِ كُنْدُفَرِي ^(٤) ، وَهُوَ الَّذِي أَخَذَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، إِلَى عَكَّا فَحَاصَرَهَا ، فَجَاءَهُ سَهْمٌ فِي عُنُقِهِ ، فَمَاتَ مِنْ فُورِهِ ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَجْنَادِهِ .

(١) الغلصمة : رأس الحلقوم بشواربه وخزقَدَتِهِ . اللسان (غ ل ص م) .

(٢) المنتظم ١٧/٦٣ ، ٦٤ .

(٣) من هنا وحتى نهاية ترجمة نصر بن أحمد الخطابي البزار القارئ سقط من : خ .

(٤) في م : « كندر » . وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٣٦ .

وَمَنْ تُوِّفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

أحمدُ بنُ محمدٍ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ الصَّبَّاحِ^(١) ، أبو منصورٍ ، سَمِعَ الحديثَ وَتَفَقَّهَ على أبي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ ، ثم على عمِّه^(٢) أبي نَصْرِ بنِ الصَّبَّاحِ ، وكان فقيهاً فاضلاً ، كثيرَ الصلاةِ ، يصومُ الدهرَ ، وقد وَلِيَ القضاءَ برُبْعِ الكَرْخِ ، والحِشْبَةِ بالجانبِ الغربيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

عبدُ اللَّهِ بنُ الحسنِ [٢١٦/٩] بنِ أبي مَنْصُورٍ ، أبو محمدٍ الطَّبَّسِيِّ^(٣) ، رَحَلَ وَجَمَعَ وَصَنَّفَ ، وكان أَحَدَ الحَفَاطِ الْمُكْثِرِينَ ، ثَقَّةً ، صدوقاً ، عارفاً بالحديثِ ، وَرِعاً ، حَسَنَ الخُلُقِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

عبدُ الرحمنِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ^(٤) أبو الفَرَجِ الرَّازِ السَّرْخَسِيُّ ، نَزَلَ مَرْوَ ، وَسَمِعَ الحديثَ وَأَمْلَى ، وَرَحَلَ إليه العلماءُ ، وكان حافظاً لمذهبِ الشافعيِّ متديِّناً وَرِعاً ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

عزِيزي بنُ عبدِ الملكِ بنِ منصورٍ ، أبو المعالي الجيليُّ القاضِي ، الملقَّبُ شَيْدَلَهَ^(٥) ، كان شافعيّاً في الفروعِ ، أشعريّاً في الأصولِ ، وكان حاكماً ببابِ

(١) في م : « الصباح » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٦٨/١٧ ، والكامل ٣٢٦/١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٧٨ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٨٥/٤ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ١٣٢/٢ .

(٢) في النسخ ، والمنتظم ، والكامل : « ابن عمه » . والمثبت من تاريخ الإسلام ، وطبقات السبكي ، وطبقات الإسنوي .

(٣) المنتظم ٦٩/١٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٥٤ ، وفيه : عبد الله ابن الحسين بن أبي منصور . وقد ذكره الذهبي ضمن وفيات سنة ثلاث وتسعين .

(٤ - ٤) في الأصل : « أبو محمد البزار » ، وفي م ، ص : « أبو محمد الرزاز » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر المنتظم ٦٩/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٤/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٨٦ ، ومرة الجنان ١٥٦/٣ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٠١/٥ .

(٥) في الأصل : « شيدله » ، وفي م ، ص : « سيدله » . والمثبت من مصادر ترجمته ، انظر المنتظم =

الأزج، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شتاتٌ كبيرٌ، سمِعَ رجلاً يُنادي على حمارٍ له ضائع، فقال^(١): يدخلُ بابَ الأزج ويأخذُ بيدَ مَنْ شاء. وقال^(٢) يوماً للتَّقِيبِ طِرَادِ الرَّيْنِيِّ: لو حَلَفَ إنسانٌ أَنَّهُ لا يرى إنساناً، فرأى أهلَ بابِ الأزج، لم يَحْنَثْ. فقال له الشريف: مَنْ عاشَر قوماً أربعينَ يوماً فهو منهم. ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيراً.

محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق، أبو الفضائل الرَّبَعِيُّ المَوْصِلِيُّ^(٣)، تَفَقَّهَ على الشيخ أبي إسحاق الشَّيرَازِيِّ، وسمِعَ الحديثَ من القاضي أبي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ، وكان ثقةً صالحاً، كَتَبَ الكثير، رَحِمَهُ اللَّهُ.

محمد بن الحسن^(٤)، أبو عبدِ اللَّهِ الرَّادَانِيُّ^(٥)، نَزَلَ أَوَاناً^(٦)، وكان مُقَرَّباً فقيهاً صالحاً، له أحوالٌ وكراماتٌ ومُكَاشَفَاتٌ، أَخَذَ عن القاضي أبي يَغْلَى بن الفَرَّاءِ الحديثَ، وغيره.

= ٦٩/١٧، ووفيات الأعيان ٢٥٩/٣، وسير أعلام النبلاء ١٧٤/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠هـ) ص ١٩٠، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٣٥/٥.

قال ابن خلكان: وشيدله: بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة واللام بعدها هاء ساكنة، وهو لقب عليه - يعني أبا المعالي - ولا أعرف معناه مع كثرة كشفه عنه. وفيات الأعيان ٢٦٠/٣.

(١) المنتظم ٧٠/١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المنتظم ٧٠/١٧، والكمال ٣٢٦/١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠هـ) ص ١٩٦، والوفاء بالوفيات ١٠٥/٢، وطبقات الشافعية للسبكي ١٠٢/٤.

(٤) المنتظم ٧١/١٧، وطبقات الحنابلة ٢٥٣/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠هـ) ص ١٩٧، والذيل على طبقات الحنابلة ٩١/١.

(٥) في النسخ: «المرادى». والثبت من مصادر ترجمته. وانظر الأنساب ٢١/٣.

(٦) في م، ص: «أوان». وأوانا: بليدة من نواحي دُجَيل بغداد، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت. معجم البلدان ٣٩٥/١.

قال ابنُ الجَوْزِيِّ^(١): بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَاهُ صَغِيرًا طَلَبَ مِنْهُ غَزَالَ وَأَلَحَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ ، غَدًا يَأْتِيكَ غَزَالٌ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَتَى غَزَالٌ ، فَجَعَلَ يَنْطَحُ الْبَابَ بِقَوْنِيهِ حَتَّى يَفْتَحَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ ، أَتَاكَ الْغَزَالُ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَدْعَانَ ، أَبُو نَضْرِ الْمُؤَصِّلِي الْقَاضِي^(٢) ، قَدِيمُ بَغْدَادَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ ، وَحَدَّثَ عَنْ عَمِّهِ بـ « الْأَرْبَعِينَ الْوَدْعَانِيَّةَ » ، وَقَدْ سَرَقَهَا عَنْهُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ وَدْعَانَ مِنْ زَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الْهَاشِمِيِّ ، فَزَكَّبَ لَهَا أَسَانِيدَ إِلَى مَنْ بَعْدَ زَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ ، وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ كُلُّهَا ، وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِهَا مَعَانٍ صَحِيحَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، أَبُو سَعِيدٍ الْمُسْتَوْفِي ، شَرَفُ الْمَلِكِ الْخَوَارِزْمِيِّ^(٣) ، جَلِيلُ الْقَدْرِ ، وَكَانَ مَتَعَصِّبًا لِأَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَوَقَفَ لَهُمْ مَدْرَسَةً بِمَرْوٍ ، وَوَقَفَ فِيهَا كُتُبًا كَثِيرَةً ، وَبَنَى مَدْرَسَةً بِبَغْدَادَ عِنْدَ بَابِ الطَّاقِ ، وَبَنَى الْقُبَّةَ عَلَى قَبْرِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَبَنَى أَرْبَطَةً فِي الْمَفَاوِزِ ، وَعَمِلَ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَكَانَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ مَأْكَلًا وَمَشْرَبًا ، وَأَحْسَنِهِمْ مَلْبَسًا ، وَأَكْثَرَهُمْ مَالًا ، ثُمَّ تَرَكَ الْعِمَالَةَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِاشْتِغَالِ بِنَفْسِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْقُشَيْرِيُّ^(٤) ، [٢١٦/٩ ظ] الْمَعْرُوفُ بِعَمِيدِ خُرَاسَانَ ، قَدِيمُ بَغْدَادَ أَيَّامَ طُغْرُلْبُكٍ ، وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي حَفْصِ عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَسْرُورٍ ، وَكَانَ

(١) المنتظم ٧١/١٧ .

(٢) المنتظم ٧١/١٧ ، والكامل ٣٢٧/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٦٤/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ١٩٩ ، والوفاء بالوفيات ١٤١/٤ .

(٣) المنتظم ٧٢/١٧ ، والكامل ٣٢٦/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٨٨/١٩ ، والنجوم الزاهرة ١٦٧/٥ .

(٤) في م ، ص : « القسري » . وفي المنتظم ٧٢/١٧ : « بن النسوي » ، وفي إحدى نسخه : « بن الصوفي » .

كثيرَ الرغبةِ في الخيرِ ، وَقَفَ بِمَزَوَ مدرسةً على أَبِي بَكْرٍ بنِ أَبِي الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيِّ
وَذُرِّيَّتِهِ . قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ^(١) : فَهُمْ يَتَوَلَّوْنَهَا إِلَى الْآنَ ، وَبَنَى بَنِيْسَابُورَ مدرسةً ،
وَفِيهَا تَرْبَتُهُ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سُؤَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

نَصْرُ بْنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْبَطْرِ^(٢) ، أَبُو الْخَطَّابِ الْبَرَّازُ الْقَارِيُّ . وُلِدَ سَنَةَ
ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَتَفَرَّدَ عَنْ ابْنِ رِزْقَوَيْهِ وَغَيْرِهِ ، وَطَالَ
عَمْرُهُ ، وَرُجِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَكَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، صَحِيحَ السَّمَاعِ^(٣) .

(١) المنتظم ٧٢ / ١٧ .

(٢) في م : « البطران » ، وفي المنتظم ٧٣ / ١٧ : « النظر » . وانظر ترجمته في : الأنساب ٢٨٦ / ٤ ،
والكامل ٣٢٧ / ١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤٦ / ١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ)
ص ٢٠٤ ، والعبر ٣ / ٣٤٠ .

(٣) هنا نهاية السقط الذي في « خ » ، والمشار إليه آنفاً .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربع مائة^(١)

فى ثالث المحرم قبض على أبى الحسن على بن محمد ، المعروف بالكنيا الهراسي ، وعزل عن تدريس النظامية ، وذلك أنه رماه بعضهم عند السلطان بأنه باطني ، فشهد له جماعة من العلماء - منهم ابن عقيل - ببراءته من ذلك ، وجاءت الرسالة من دار الخلافة بخلاصه .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشر من المحرم جلس الخليفة المستظهر بدار الخلافة وعلى كتفه البردة ويده القضيب ، وجاء الملكان الأخوان محمد وسنجر ابنا السلطان ملكشاه ، فقبلا الأرض ، فخلع عليهما الخلع السلطانية ؛ على محمد سيفاً وطوقاً وسواراً ولواءً وأفراساً من مراكبه ، وعلى سنجر دون ذلك . وولى الخليفة السلطان محمداً الملك ، واستنابه فيما يتعلق بأمر الخلافة ، دون ما أغلق عليه الخليفة بابه ، ثم خرج السلطان محمد فى تاسع عشر الشهر ، فأرجف الناس ، بقُدوم بركيأروق ، ثم اصطَلَحوا على أمور ، فركب السلطان محمد ، فالتقوا وجرث حروب كثيرة ، وانهزم محمد وجرى عليه مكروه شديد ، كما سيأتى بيانه .

وفى رجب قبل القاضى أبو الحسن الدامغانى شهادة أبى الحسين وأبى حازم^(٢) ابنى القاضى أبى يعلى بن الفراء . وفىها قدم عيسى بن عبد الله الغزنوى ،

(١) المنتظم ٧٤/١٧ ، والكامل ٣٢٨/١٠ .

(٢) فى النسخ : « حازم » . والمثبت من المنتظم ٧٦/١٧ . وانظر سير أعلام النبلاء ٦٠٤/١٩ .

فوعظَ الناسَ وكان شافعياً أشعرياً ، فوَقَعَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الحَنَابِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ بِبَغْدَادَ .
وفيها وَقَعَ حريقٌ عظيمٌ ببغدادَ ، وحجَّ بالناسِ حميدُ العُمَريُّ ، صاحبُ سيفِ
الدولةِ صَدَقَةَ بنِ منصورِ بنِ دُيَّسِ بنِ عليٍّ بنِ مَزِيدِ الأَسَدِيِّ ، صاحبِ الحِلَّةِ .
وَمَنْ توفَّى فيها مِنَ الأعيانِ :

أبو القاسمِ ، صاحبُ مصرَ الملقَّبُ بِالْمُسْتَعْلَى ^(١) ، كانت وفاته في ذى الحِجَّةِ
من هذه السَّنَةِ ، وقامَ بالأمرِ من بعده ابنُه أبو عليٍّ وله تسعُ سنينَ ، ولُقِّبَ الأَميرُ
بأحكامِ الله .

محمدُ بنُ هَبَةِ الله ، أبو نصرِ القاضي البَنْدِينَجِيُّ ^(٢) ، الضريُّ الشافعيُّ ،
أخذَ عن الشيخِ أبي إسحاقَ الشَّيرازيَّ ثم جاور بمكةَ أربعينَ سنةً ، يُفْتَى ويُدرِّسُ ،
ويروى الحديثُ ، وكان من نوادرِ الزمانِ ، ومن شعره قوله ^(٣) :

عَدِمْتُكَ نَفْسِي مَا تَمَلَّى بَطَالَتِي ^(٤) وقد مرَّ إخواني وأهلُ مَوَدَّتِي
أَعَاهِدُ رَبِّي ثُمَّ أَنْقَضُ عَهْدَهُ وأتركُ عِزِّي حينَ تَعْرِضُ شَهْوَتِي
وَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مُبْلَغِي [٢١٧/٩و] ^(٥) أَلِلْزَادُ أُبْكِي أَمْ لَطُولِ مَسَافَتِي ؟

(١) المنتظم ٧٨/١٧ ، ووفيات الأعيان ١٧٨/١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ)
ص ٢٠٩ ، والوفاء بالوفيات ١٨٣/٨ ، والنجوم الزاهرة ١٥٣/٥ .

(٢) المنتظم ٧٨/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٩٦/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ -
٥٠٠ هـ) ص ٢٢٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٠٧/٤ ، والوفاء بالوفيات ١٥٦/٥ .

(٣) المنتظم ٧٨/١٧ .

(٤) في الأصل : « تطلبي » .

(٥ - ٥) في الأصل ، ص : « من الزاد » .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة^(١)

فيها حاصر السلطان بركياروق أخاه محمدًا بأصبهان ، فضاقت على أهلها الأرزاق ، واشتدَّ الغلاء عندهم جدًّا ، وأخذ السلطان محمدًا أهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج البلد ، فاجتمع عليهم الخوف والجوع والنقص من الأموال والأنفس والثمرات ، ثم خرج السلطان محمدًا من أصبهان هاربًا ، فأرسل أخوه في أثره مملوكه إياز ، فلم يتمكَّن من قبضه ، ونجا بنفسه سالمًا .

قال ابن الجوزي^(٢) : وفي صفر منها زيد في ألقاب قاضي القضاة ، أبي الحسن ، الدامغانى : تاج الإسلام . وفي ربيع الأول قطعت الخطبة للسلطين ببغداد ، واقتصر على ذكر الخليفة فيها ، والدعاء له .

ثم التقى الأخوان بركياروق ومحمد ، فانهزم محمد أيضًا ثم اضطلحا . وفيها ملك الملك دقاق بن تئش بن ملكشاه ، صاحب دمشق مدينة الرحبة . وفيها قتل أبو المظفر الحنبدى الواعظ بالرئى ، وكان فقيها شافعيًا مدرّسًا ، قتله رافضى علوى فى الفتنة ، وكان عالمًا فاضلًا ، وكان نظام الملك يزوره ويعظمه^(٣) . وحج بالناس حمار تكيين .

(١) المنتظم ٧٩/١٧ ، والكامل ٣٣٣/١٠ .

(٢) المنتظم ٨٠/١٧ .

(٣) المذكور فى الكامل ٣٦٦/١٠ ، ٣٦٧ ، أن نظام الملك كان يزور ويعظم أبا بكر محمد بن ثابت الحنبدى لا أبا المظفر .

وَمَنْ تُوِّفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ^(١) بنِ عمرٍ ^(٢) بنِ سِوَارٍ، أبو طاهرٍ المقرئ، صاحبُ المصنّفاتِ في علمِ القراءاتِ، كان ثقةً، ثبّتًا، مأمونًا، عالمًا بهذا الشأن، قد جاوزَ الثمانين، رحمه الله تعالى.

أبو المعالي ^(٣) أحدُ الصُّلَحَاءِ الرُّهَادِ، ذَوِي الكراماتِ والمكاشفاتِ، وكان كثيرَ العبادة، مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، لَا يَلْبَسُ صَيْفًا وَلَا شَتَاءً إِلَّا قَمِيصًا وَاحِدًا، فإذا اشتدَّ البردُ وَضَعَ على كَتِفِهِ مِقْرَزًا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ شَدِيدَةٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَعَزَمَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ لِيَسْتَقْرِضَ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَ : فَبَيْنَمَا أَنَا أُرِيدُهُ إِذَا بِطَائِرٍ قَدْ سَقَطَ عَلَى كَتْفِي، وَقَالَ : يَا أَبَا الْمَعَالِي، أَنَا الْمَلِكُ الْفُلَانِيُّ، لَا تَمْضُ إِلَيْهِ، نَحْنُ نَأْتِيكَ بِهِ، قَالَ : فَبَكَرَ إِلَى الرَّجُلِ. رَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مُنْتَظِمِهِ» ^(٤) مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْهُ، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ قَرِيبًا مِنْ قَبْرِ أَحْمَدَ.

السَّيِّدَةُ بِنْتُ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٥)، الَّتِي تَزَوَّجَهَا الْمَلِكُ طُغْرُلْبُك، تَوَفَّيَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَدُفِنَتْ بِالرُّصَافَةِ، وَكَانَتْ كَثِيرَةً الصَّدَقَةِ وَالْإِثَارِ، وَجَلَسَ لِعَزَائِهَا فِي بَيْتِ الثُّوبَةِ الْوَزِيرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر ترجمته، التالية : معجم الأدياء ٤/ ٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٢٩، والوفاء بالوفيات ٧/ ٢٠٤، وغاية النهاية ١/ ٨٦.

(٢) المنتظم ١٧/ ٨٢، والكامل ١٠/ ٣٦٧، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٤١، وفيه : «معالي العابد».

(٣) المنتظم ١٧/ ٨٢.

(٤) المنتظم ١٧/ ٨٣، والكامل ١٠/ ٣٦٦، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ٨.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة^(١)

فيها قصد الفرنج - لعنهم الله - الشام ، فقاتلهم المسلمون فقتلوا منهم اثني عشر ألفا ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وقد أسير في هذه الوقعة بزديل صاحب الرها .

وفي هذه السنة سقطت منارة واسط وقد كانت من أحسن المنائر ، كان أهل البلد يفتخرون بها وبقبة الحجاج ، فلما سقطت سُمع لأهل البلد بكاء وعويل شديد لم يُسمع بمثله ، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد ، وكان بناؤها في سنة أربع وثلاثمائة في زمن المقتدر .

وفي هذه السنة تأكد الصلح بين السلطانين الأخوين بزكياروق ومحمّد ، واقتسما البلاد فقطعت الخطبة ببغداد لمحمّد واستمرت للملك بزكياروق ، وبعث إليه بالخيل وإلى الأمير إياز . وفيها أخذت الفرنج مدينة عكا وغيرها من السواحل .

وفيها استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط . وفيها توفي الملك دقاق بن تئش صاحب دمشق ، فأقام مملوكه طغتكين ولدا له صغيرا مكانه ، وأخذ [٢١٧/٩ ط] البيعة له ، وصار هو أتابكّه ، فدبر الملك بدمشق مدة . وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغرئي ، ونفاه إلى عرنة .

(١) المنتظم ١٧/ ٨٤ ، والكامل ١٠/ ٣٦٨ .

وفيهما ولَّى أبو نصرٍ نظامَ الحضرتين ديوانَ الإنشاءِ بعدَ وفاةِ خاله أبي سعيدٍ ،
العلاءِ بنِ الموصَلّايَا . وفيها قُتِلَ الطيّبُ الماهرُ الحاذقُ أبو نُعَيمٍ ، وكانت له
إصاباتٌ عجيبةٌ جدًّا . وحجَّ بالناسِ في هذه السّنة الأميرُ خُمارزَكِينُ .

وَمَنْ تُوْفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَرْدَشِيرُ بْنُ «أبي منصور»^(١) ، أبو الحسنِ «العَبَّادِيُّ الواعظُ» ، قَدِمَ بَغْدَادَ -
فَأَحْبَبَتْهُ الْعَامَّةُ - فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ أَحْوَالٌ جَيِّدَةٌ فِيمَا يَظْهَرُ ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ ، أَبُو الْفَرَجِ الْقَوْمَسَانِيُّ^(٢) ، مِنْ
أَهْلِ هَمْدَانَ ، سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَّهُ وَجَمَاعَةٍ ، وَكَانَ حَافِظًا ، حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ
بِالرِّجَالِ وَالْمَتُونِ ، ثِقَةً مَأْمُونًا ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الْعَلَاءُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبِ بْنِ الْمُوصَلَّيَا^(٣) ، سَعَدُ الدَّوْلَةِ^(٤) ، كَاتِبُ الْإِنشَاءِ
بِبَغْدَادَ ، كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأُسْلِمَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ . وَمَكَثَ فِي الرِّيَاسَةِ مَدَّةً
طَوِيلَةً ، نَحْوًا مِنْ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَكَانَ فِي الْوِزَارَةِ مَرَاتٍ ، وَكَتَبَ الْإِنشَاءَ

(١ - ١) فِي النسخ، والمتنظم ٨٧/١٧: «منصور». والمثبت من مصادر ترجمته، وانظر المنتخب من
السياق ص ١٦٧، والأنساب ١٢٣/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ)
ص ٢٥١.

(٢) فِي الْأَنْسَابِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ: «الحسين».

(٣) الْمُنْتَظَمُ ٨٧/١٧، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٥٥/١٩، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حوادث ووفيات ٤٩١ -
٥٠٠ هـ) ص ٢٥٠.

(٤) الْمُنْتَظَمُ ٨٩/١٧، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٩٦/١٢، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤٨٠/٣، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٩٨/١٩،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٢٦٠.

(٥) الْمَذْكُورُ فِي مَصَادِرِ تَرْجَمَتِهِ أَنَّ لِقَبَهُ أَمِينَ الدَّوْلَةِ لَا سَعْدَ الدَّوْلَةِ، وَأَنَّ كُنْيَتَهُ أَبُو سَعْدٍ .

مدّة، وكان فصيحَ العبارة، كثيرَ الصّدقة، توفّى في هذه السّنة عن عمرٍ طويلٍ،
رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

محمّد بنُ أحمدَ بنِ عمرَ، أبو عمرَ الثّهالوندي^(١)، قاضى البصرة مدّة
طويلةً، وكان فقيهاً عالماً، سمع الحديث من أبى الحسن الماوردي وغيره . كان
من تلامذة الماورديّ، مولده في سنة^(٢) «عشر، وقيل : سبع^(٣)»، وأربعمائة، والله
أعلم .

(١) المنتظم ٨٩/١٧، والجواهر المضية ٥٤/٣.

(٢ - ٣) فى الأصل : «عشر»، وفى م : «سبع وقيل تسع» وفى خ : «سبع وقيل»، وفى ص : «سبع
وقيل عشر» . والمثبت من المنتظم والجواهر المضية .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة^(١)

فيها توفى السلطان بركياروق، وعُهِدَ إلى ولده الصغير ملكشاه وعمره أربع سنين وشهور، فخطب له ببغداد، ونُثِرَ عند ذكره الدنانير والدراهم، ولُقِّبَ جلال الدولة، وجُعِلَ أتابكهُ الأمير إياز، ثم جاء السلطان محمد بن ملكشاه إلى بغداد، فخرج إليه الدولة فتلَّقَّوه وصالحوه. وكان الذي أخذ البيعة بالصلح إلكيا الهراسي مدرس النظامية، وخطب له بالجانب الغربي، ولابن أخيه بالجانب الشرقي، ثم قتل الأمير إياز^(٢) ودخل بغداد وحملت إليه الخلع والدواة والدست. وحضر الوزير سعد الدولة عند إلكيا الهراسي في درس النظامية؛ ليرغب الناس في العلم.

وفي^(٣) ثاني عشر^(٤) رجب منها أزيل الغياض عن أهل الذمة الذي كانوا ألزموه في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ولا يُعرف ما سبب ذلك^(٥). وفيها كانت حروب كثيرة بين المصريين والفرنج، فقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا، ثم أُدِيلَ عليهم الفرنج، فقتلوا منهم خلقا أيضا.

ومن توفى فيها من الأعيان:

(١) المنتظم ٩٠/١٧، والكمال ٣٨٠/١٠.

(٢ - ٣) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) في م، خ: «ثامن»، وفي ص: «ثالث». والمثبت من المنتظم ٩٢/١٧.

السلطان بَرْكِيَارُوقُ بْنُ مَلِكْشَاهِ^(١) ركن الدولة السَلْجُوقِيّ، جرّث له خطوبٌ كثيرةٌ، وحروبٌ هائلةٌ، وأحوالٌ متباينةٌ، تُحِطُّبُ له ببَعْدَادَ سِتّ مَرَّاتٍ، وعُزِّلَ عنها سِتّ مَرَّاتٍ، وكان عمره يومَ مات أربعًا وعشرين سنةً وشهورًا، وقام من بعده ولده مَلِكْشَاهُ، فلم يَتَمَّ أمره بسببِ مُنازعةٍ عمّه محمدٍ له.

عيسى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، أَبُو الْمُؤَيَّدِ^(٢) الْغَزْنَويُّ الْأَشْعَرِيُّ، كان واعظًا كاتبًا شاعرًا، وردَّ بغدادَ فوعظَ بها فَتَفَقَّ على أهلها، وكان أشعريّ المذهبٍ متعصّبًا له، فخرج من بَغْدَادَ قاصدًا بِلَدَه فتوفى بِإِسْفَرَايِينَ.

محمدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَفَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ^(٣)، أَبُو أَحْمَدَ، كان شيخًا عفيفًا ثقةً، سَمِعَ الكثيرَ، وهو والدُ الحافظِ أَبِي طَاهِرِ السَّلْفِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

الحافظُ أَبُو عَلِيٍّ الْجَيَّانِيُّ^(٤)، الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْغَسَّانِيِّ [٩/ ٢١٨] الْأَنْدَلُسِيُّ، مُصَنِّفُ «تَقْيِيدِ الْمُهْمَلِ» على أَلْفَاظِ الصَّحِيحِينَ، وهو كتابٌ مفيدٌ كثيرُ النفع، وكان حَسَنَ الْخَطِّ، عالِمًا بِاللُّغَةِ وَالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ، وكان يُسَمَّعُ فِي جَامِعِ قُرْطُبَةَ، تُوْفِيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ هَذِهِ السَّنَةِ، عَنْ

(١) المنتظم ٩٣/١٧، والكامل ٣٨٠/١٠، ومروءة الزمان ١٣/١/٨، ووفيات الأعيان ٢٦٨/١، وسير أعلام النبلاء ١٩٥/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٧٣.

(٢) في النسخ: «الوليد». والمثبت من مصادر ترجمته التالية: المنتظم ٩٣/١٧، والكامل ٣٩٧/١٠، ومروءة الزمان ١٣/١/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٨٣.

(٣) المنتظم ٩٤/١٧.

(٤) في الأصل: «الحباني»، وفي خ: «الحباني»، وفي م: «الخيالي». وانظر ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ١/٤٢٢، ووفيات الأعيان ١٨٠/٢، وسير أعلام النبلاء ١٤٨/١٩، وتذكرة الحفاظ ٤/١٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٧٧.

إِخْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الصَّقْرِ ، أَبُو الْحَسَنِ الْوَاسِطِيُّ ^(١) ، سَمِعَ
الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ بِالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيِّ ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ ، وَقَالَ الشَّعْرُ وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ ^(٢) :

مَنْ قَالَ لِي جَاءَ وَلِي حِشْمَةٌ وَلِي قَبُولٌ عِنْدَ مَوْلَانَا
وَلَمْ يَعُدْ ذَاكَ بِنَفْعٍ عَلَيَّ صَدِيقِهِ لَا كَانَ مَنْ ^(٣) كَانَا

(١) المنتظم ٩٤/١٧ ، ومعجم الأدباء ٢٥٧/٨ ، ووفيات الأعيان ٤٥٠/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٢٨٦ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٩١/٤ .

(٢) البيتان في المنتظم ٩٤/١٧ ، والكمال ٣٩٧/١٠ ، ومعجم الأدباء ٢٥٨/١٨ .

(٣) في م ، ص : « ما » .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

في المحرم منها^(١) ادّعى رجل النبوة بنواحي نهاوند، وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًا، فاتبه على ضلاله هذا خلق من الجهلة الرعاع، وباعوا أملاكهم ودفعوا أثمانها إليه، وكان كريمًا يعطي من قصده ما عنده، ثم إنه قُتل بتلك الناحية، لعنه الله.

ورام رجل من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم أمره، فقبض عليه في أقل من شهرين. فكانوا يقولون: ادّعى رجل النبوة وآخر الملك، فما كان بأسرع من زوالهما.

وفي رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة، فأتلفت شيئًا كثيرًا من الغلات، وغرقت دوز كثيرة ببغداد. وفيها كسر طغتكين أتابك العساكر بدمشق الفرنج، وعاد منصورًا إلى دمشق، وزينت البلد سبعة أيام، سرورًا بكسرة الفرنج. وفي رمضان حاصر الملك رضوان بن توش صاحب حلب مدينة نصيبين.

وفيها ورد بغداد ملك من ملوك المثلثين وصحبته رجل يقال له: الفقيه. فوعظ الناس في جامع القصر وهو ملثم، ثم عاد إلى مصر، وله حروب كثيرة مع الفرنج استشهد في بعضها. وحج بالناس في هذه السنة من العراق رجل من قرائب الأمير سيف الدولة صدقة.

(١) المنتظم ٩٥/١٧، والكامل ٣٩٩/١٠.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

سهل بن أحمد بن علي الأزغاني ، أبو الفتح الحاكم^(١) ، سَمِعَ الحديثَ من البيهقي وغيره ، وعلّق عن القاضي حسين طريقه^(٢) ، وشكّره في ذلك ، وكان قد تفقّه أولاً على الشيخ أبي علي السنّجيّ ، وعلّق عن إمام الحرمين في الأصول ، وناظر بحضرتّه فاستجاده ، وولّى قضاءً ببلّده مدّة ، ثم ترك ذلك كلّهُ ، وأقبل على التّعبد وتلاوة القرآن . قال القاضي ابنُ خلّكان^(٣) : وبني للصوفيّة رباطاً من ماله ، ولزِمَ التّعبدُ إلى أن مات في مُستَهَلِّ المحرم من هذه السّنة ، رحمه الله تعالى .

محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق ، أبو منصور الحنّاط^(٤) ، أحدُ القُرّاء والصّالحاء ، ختم ألوفاً من الختمات ، وختم عليه ألوفاً من الناس ، وأسمع الحديث الكثير ، وحين تُوفّي اجتمع العالم في جنازته اجتماعاً لم يُعهّد مثله ، في جنازة بتلك الأزمان . وكان عمره يوم تُوفّي سبعمائة وتسعين سنة ، رحمه الله ، وقد رآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي بتعليمي الصّبيان الفاتحة^(٥) .

محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين ، أبو الفرج البصري^(٦) قاضيها ،

(١) الأنساب ١١٢/١ ، والمنتظم ٩٦/١٧ ، ووفيات الأعيان ٤٣٣/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٢٩٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٩١/٤ .

(٢) في طبقات الشافعية : « طريقته » .

(٣) وفيات الأعيان ٤٣٤/٢ .

(٤) في م : « الحنّاط » . وانظر ترجمته في : الكامل ٤١٥/١٠ ، وطبقات الحنابلة ٢٥٤/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢٢/١٩ ، ومعرفة القراء الكبار ٣٧٠/١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٣٠٣ .

(٥) المنتظم ٩٧/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢٤/١٩ .

(٦) المنتظم ٩٧/١٧ ، والكامل ٤١٥/١٠ ، وفيه : عبيد الله بن الحسن ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٣٠٦ ، ومعجم الأدباء ٢٣٤/١٨ ، والوافي بالوفيات ٩/٤ .

سَمِعَ أبا الطَّيِّبِ الطَّبْرِيَّ وَالْمَاوَرِدِيَّ وَغَيْرَهُمَا [٢١٨/٩ ظ] ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِ
الْحَدِيثِ ، وَكَانَ عَابِدًا خَاشِعًا عِنْدَ الذُّكْرِ .

مُهَارِشُ بْنُ مُجَلَّى^(١) ، أَمِيرُ الْعَرَبِ بِحَدِيثِهِ^(٢) وَعَانَهُ^(٣) ، وَهُوَ الَّذِي أُودِعَ عِنْدَهُ
الْخَلِيفَةُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، حِينَ كَانَتْ فَتْنَةُ الْبَسَاسِيَرِيِّ بِبَغْدَادَ ، فَأَكْرَمَ الْخَلِيفَةُ حِينَ
وَرَدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَازَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ، وَقَدْ كَانَ الْأَمِيرُ مُهَارِشُ هَذَا كَثِيرَ الصَّلَاةِ
وَالصَّدَقَةِ ، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً .

(١) المنتظم ٩٨/١٧ ، والكامل ٤١٦/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢٤/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
وفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٣٠٩ ، والنجوم الزاهرة ١٩٣/٥ .

(٢) الحديث : هي حديث الفرات ، وتعرف بحديث النور ، وهي على فراسخ من الأنبار . معجم البلدان
٣٣٣/٢ .

(٣) عانة : بلد مشرف على الفرات قرب حديث النور . معجم البلدان ٥٩٣/٣ .

ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة النبوية

قال أبو داود في «سننه»: «حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ»^(١).

حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة، حدثني صفوان، عن شريح بن عبيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يُعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخَّرَهَا نِصْفَ يَوْمٍ». قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة^(٢). وهذا من دلائل النبوة، وذكر هذه المدة لا ينفي زيادة عليها، كما هو الواقع؛ لأنه ﷺ ذكر شيئاً من أشراف الساعة لا بُدَّ من وقوعها، كما أخبر سواء بسواء. وسيأتى ذكرها فيما بعد زماننا، وبالله المستعان.

ومما وقع في^(٣) هذه السنة من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاعاً كثيرة من حصون الباطنية، وافتتح منها أماكن كثيرة، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وجمعاً كبيراً، وجمعاً غفيراً، وكان من جملة ما افتتح من ذلك قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أضبهان في رأس جبل منيع، وكان سبب

(١) أبو داود (٤٣٤٩). صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٦٥٥).

(٢) أبو داود (٤٣٥٠). صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٦٥٦).

(٣) المنتظم ١٧/١٠١، والكمال ١٠/٤١٧.

بنائه لها أنه كان مرةً في بعض ضيوده، فهرب منه كلبٌ، فاتَّبعه إلى رأسِ الجبل فوجده، وكان معه رجلٌ من رُسلِ الروم، فقال الرومى: لو كان هذا الجبلُ يبلدنا لاتَّخذنا عليه قلعةً، فحدا هذا الكلامُ السلطانَ على أنْ ائْتنى فى رأسه قلعةً أنفق عليها ألف ألف دينار، ومائتى ألف دينار، فاستحوذَ عليها بعد ذلك رجلٌ من الباطنية يقال له: أحمد بنُ "عبد الملك بن عطاش". فتعب المسلمون بسببها، فحاصرها السلطانُ محمدٌ سنةً حتى فتحها، وسلخَ هذا الرجلُ، وحشى جلده تبتاً، وقطعَ رأسه، فطيف به فى الأقاليم، ثم نقضَ هذه القلعةَ حجراً حجراً، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت، وهلك ما كان معها من الجواهر الثمينة، وكان الناس يشاءون بهذه القلعة، يقولون: كان ذليلها كلباً، والمشيير بها كافراً، والمتحصن بها زنديقاً.

وفىها كانت حروبٌ كثيرةٌ بينَ خفاجةَ وبينَ عبادةَ، فقهرت عبادةُ خفاجةَ وأخذت بئارها. وفىها استحوذَ سيفُ الدولةَ صدقةُ بنُ منصورِ الأسدئى على مدينةَ تكريتَ بعد قتالٍ كثير. وفىها أرسلَ السلطانُ محمدُ الأميرَ جاولى سقاولى إلى الموصلِ وأقطعهُ إيَّاهَا، فذهب فانتزعها من الأميرِ جكرمَشَ بعدما قاتله وهزم أصحابه وأسره، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمَشُ من خيارِ الأمراءِ سيرةً وعدلاً وإحساناً، ثم أقبلَ قلجُ أرسلانَ بنُ قُتلمِشَ، فحاصر الموصلَ فانتزعها من جاولى، فصارَ جاولى إلى الرخبةِ، فأخذها ثم أقبلَ إلى قتالِ قلجَ فكسره، وألقى قلجُ نفسه فى النهرِ الذى للخابورِ فهلك.

وفىها نشأت حروبٌ كثيرةٌ بينَ الرومِ والفِرَنجِ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، وقُتل

(١ - ١) فى الأصل، خ: «عبد الله بن عطاش». وفى م، ص: «عبد الله بن عطاء». والمثبت من المنتظم ١٠١/١٧. وانظر الكامل ٤٣٠/١٠، وشذرات الذهب ٤١٠/٣.

من الفريقين طائفة كبيرة، ثم كانت الهزيمة بعد كل حساب على الفرنج .
 وفي يوم عاشوراء قُتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك ، وكان أكبر أولاده ،
 وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور ، وكان صائماً ، قتله باطنى ، وكان قد رأى فى
 تلك الليلة الحسين بن على ، رضى الله عنه ، وهو يقول له : عَجَلْ إلينا ، وأفطر
 عندنا الليلة . فأصبح متعجباً ، فنوى الصوم ذلك اليوم ، وأشار عليه [٢١٩/٩] و
 بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل ، فما خرج إلا فى آخر النهار ، فرأى
 شاباً يتظلم ويديه رقعة فقال : ما شئت ؟ فناوله الرقعة ، فبينما هو يقرأها إذ ضربته
 بخنجر فى يده فقتله ، فأخذ الباطنى فرفع إلى السلطان ، فقرره فأقر على جماعة من
 أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك ، وكان كاذباً ، فقتل وقتلوا أيضاً .

وفى صفري عزل الخليفة الوزير أبا القاسم على بن جهير ، وخرّب داره التى
 كان قد بناها أبوه من خراب ثبوت الناس ، فكان فى ذلك عبرة وموعظة لذوى
 البصائر والنهى ، واستنصب فى الوزارة القاضى أبو الحسن ابن الدامغانى ^(١) . وحج
 بالناس فى هذه السنة تركمانى ^(٢) من جهة السلطان محمد بن ملكشاه .

ومن توفى فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن المظفر . أبو المظفر الحوافى الفقيه الشافعى ^(٣) . قال ابن
 خلكان ^(٤) : كان أنظر أهل زمانه ، تفقه على إمام الحرمين ، وصار أوجه تلامذته ،

(١) بعده فى خ ، م ، ص : « ومعه آخر » .

(٢) بعده فى خ : « واسمه الترن » ، وبعده فى م : « واسمه اليرن » ، وبعده فى ص : « اسمه اليزن » .
 وانظر إتحاف الورى ٤٩٢/٢ .

(٣) الأنساب ٤١١/٢ ، وفيات الأعيان ٩٦/١ ، والمتخب من السياق ص ٢٦٣ ، وتاريخ الإسلام
 حوادث وفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ ص ٣١٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٣/٦ .

(٤) وفيات الأعيان ٩٦/١ ، ٩٧ .

وَلِي الْقَضَاءِ بَطْوَسَ وَنَوَاجِيهَا ، وَكَانَ مَشْهُورًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِحُسْنِ الْمُنَاطَرَةِ وَإِفْحَامِ
الْخُصُومِ . قَالَ : وَالْخَوَافِي ، بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْوَاوِ نَشَبَةً إِلَى خَوَافٍ ، وَهِيَ نَاحِيَةٌ مِنْ
نَوَاجِي نَيْسَابُورَ . وَتَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ^(١) بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ السَّرَّاجِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ
الْقَارِيُّ الْبَغْدَادِيُّ ، وُلِدَ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرُّوَايَاتِ ،
وَسَمِعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّاتِ ، مِنْ الْمَشَايخِ وَالشَّيْخَاتِ فِي بُلْدَانِ
مُتَبَايِنَاتٍ ، وَقَدْ خَرَجَ لَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْخَطِيبُ أَجْزَاءٌ مِنْ مَسْمُوعَاتِهِ ، وَكَانَ
صَحِيحَ الثَّبَتِ ، جَيِّدَ الدَّهْنِ ، أَدِيبًا شَاعِرًا ، حَسَنَ النِّظْمِ ؛ نَظَّمَ كِتَابَ « الْمَبْتَدَأِ » ،
وَكِتَابَ « التَّنْبِيهِ » وَ « الْحَرْقِيُّ » ، وَغَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَهُ كِتَابُ « مَصَارِعِ الْعُشَاقِ » ،
وغير ذلك ، ومن شعره^(٢) :

قُلْ لِلَّذِينَ بَجَّهْلِهِمْ	أَضْحَكُوا يَعْيَبُونَ الْحَايِرَ
وَالْحَامِلِينَ لَهَا مِنْ أَلْ	أَيْدِي بِمَجْتَمَعِ الْأَسَاوِرِ
لَوْلَا الْحَايِرُ وَالْمَقَا	لِمُ وَالصَّحَائِفُ وَالْدَفَائِرِ
وَالْحَافِظُونَ شَرِيعَةَ أَلْ	مَجْعُوثٍ مِنْ خَيْرِ الْعَشَائِرِ
وَالنَّاقِلُونَ حَدِيثَهُ عَنْ	كَابِرٍ ثَبَتٍ وَكَابِرِ
لِرَأَيْتَ مِنْ شَيْعِ الضُّلَا	لِ عَسَاكِرًا تَثْلُو عَسَاكِرِ
كُلُّ يَقُولُ بَجَّهْلِهِ	وَاللَّهُ لِلْمَظْلُومِ نَاصِرِ

(١) فِي م : « مُحَمَّد » . وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي : الْمُنْتَظَم ١٧ / ١٠٢ ، وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ٧ / ١٥٣ ، وَوَفَيَاتِ
الْأَعْيَانِ ١ / ٣٥٧ ، وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩ / ٢٢٨ ، وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٤٩١ - ٥٠٠ هـ)
ص ٣١٥ ، وَذِيلِ طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ١ / ١٠٠ .

(٢) الْأَبْيَاتُ فِي : الْمُنْتَظَم ١٧ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، وَذِيلِ طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ١ / ١٠٠ ، ١٠١ .

سَمَّيْتُهُمْ أَهْلَ الْحَدِيدِ سِ أُولَى التَّهَى وَأُولَى الْبَصَائِرِ
(١) «حَشَوِيَّةٌ أَفُّ لَكُمْ وَلَمْ يَنْقُصِهُمْ يُجَاهِرُ»

هَمْ حَشَوُ جَنَاتِ النَّعِيمِ عَلَى الْأَسِيرَةِ وَالْمَنَابِرِ
رُفَقَاءُ أَحْمَدَ، كُلُّهُمْ عَنْ حَوْضِهِ رَيَّانٌ صَادِرُ
(٢) وَذَكَرَ لَهُ ابْنُ خَلْكَانَ أَشْعَارًا رَائِقَةً مِنْهَا قَوْلُهُ (٢) :

وَمُدَّعٍ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَقَدْ عَمَّمَهُ الشَّيْبُ عَلَى وَفَرْتِهِ
يَخْضِبُ بِالْوَشْمَةِ عُثْنُونَهُ يَكْفِيهِ أَنْ يَكْذِبَ فِي الْحَيْتَةِ (٣)

[٢١٩/٩ ط] عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، أَبُو
مُحَمَّدٍ الشَّيْرَازِيُّ الْفَارِسِيُّ (٤) ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ وَتَفَقَّهَ ، وَوَلَّاهُ نِظَامُ الْمُلْكِ
تَدْرِيسَ النِّظَامِيَّةِ بِنِجْدَادَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ، فَدَرَّسَ بِهَا مَدَّةً ، وَكَانَ يُعْلِي
الْأَحَادِيثَ ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّضَحُّيفِ ، رَوَى (٥) مَرَّةً حَدِيثَ : « صَلَاةٌ فِي أَثَرِ صَلَاةِ

(١ - ١) سقط من : خ ، م ، ص . والبيت في المنتظم ، ذيل طبقات الخبابة هكذا :

« حَشَوِيَّةٌ فَعَلِيكُمْ لَعَنُ يُزِيرُكُمْ الْمَقَابِرُ »

(٢ - ٢) في الأصل ، ص : « جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر أبو محمد السراج العشاري
صاحب « مصارع العشاق » وغيره من التصانيف العجبية . وكان حافظًا مبررًا على أقرانه من أبناء زمانه ،
سمع الحديث منه الحافظ السلفي ، وكان يفتخر بروايته ومن شعره » .

(٣) بعده في الأصل ، ص : « وذكر له القاضي ابن خلكان قطعة من أشعاره المستحسنة ، وأرخ وفاته في
هذه السنة وقد جاوز الثمانين رحمه الله » .

(٤) المنتظم ١٧/١٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/٢٤٨ ، وميزان الاعتدال ٥/٦٨٣ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٣٢٠ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/٢٠٥ .

(٥) الخبر في : المنتظم ١٧/١٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/٢٤٩ ، ٢٥٠ . والحديث أخرجه أبو داود في
سننه (٥٥٨ ، ١٢٨٨) ، وأحمد في مسنده ٥/٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٥/٢٦٨ . حسن (صحيح سنن أبي داود
٥٢٢ ، ١١٤٥) .

كِتَابُ فِي عَلِيَيْنَ». فقال: «كنار في غلس»^(١). ثم فسّر ذلك بأنه أكثر لإضاءتها.

محمد بن إبراهيم^(٢) أبو عبد الله^(٣) الأسديّ الشاعر، لقى^(٤) أبا الحسن^(٥) التّهامي، وكان مغرماً بما يعارض شعره، وقد أقام باليمن وبالعراق، ثم بالحجاز ثم بخراسان، ومن شعره^(٦):

قلتُ ثَقُلْتُ إذ أتيتُ مراراً قال ثَقُلْتُ كاهلي بالأيدى
قلتُ طَوَلْتُ قال لا بل تطوّر لَتٌ^(٧) وأُبرِمتُ^(٨) قال حبل الوداد
يوسف بن علي، أبو القاسم الرّجائيّ الفقيه^(٩)، كان من أهل الديانة،
حكى عن الشيخ أبي إسحاق، عن القاضي أبي الطّيب، قال: كنا يوماً بجامع
المنصور في حلقة، فجاء شابّ خراسانيّ، فذكر حديث أبي هريرة في المصّرة^(١٠)
فقال الشابّ: هذا الحديث غير مقبول. فما استتمّ كلامه حتى سقطت من
سقف المسجد حيّة، فنهض الناس هاريين فتبعَت الحيّة ذلك الشابّ من بينهم،

-
- (١ - ١) في خ، م: «كتاب في غلس»، وفي ص: «كمار في عليين».
- (٢ - ٢) في الأصل، ص: «بن عبد الله»، وفي خ، م: «بن عبيد». والمثبت من مصادر ترجمته، وانظر المنتظم ١٧/١٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/١٩٥، ومعاهد التنصيص ٣/٢٠١.
- (٣ - ٣) في خ، م: «الحنيسي».
- (٤) البيتان: في المنتظم ١٧/١٠٥، والنجوم الزاهرة ٥/١٩٥.
- (٥ - ٥) في النسخ: «قلت مزقت». والمثبت من المنتظم، والنجوم الزاهرة.
- (٦) المنتظم ١٧/١٠٦، ومرة الزمان ٨/٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٣٤٠، وطبقات الشافعية للإسنوي ٦/٢.
- (٧) في م: «المطر». والمصرة: الناقة أو البقرة أو الشاة يُصرّى اللين في ضرعها أى: يُجمع ويحبس.
- والحديث رواه مسلم في صحيحه (٢٣/١٥٢٤). ونصه: «من اشترى شاة مصرة فليقلب بها، فليحلبها، فإن رضى جلابها أمسكها، وإلا ردّها ومعها صاع من تمر».

فَقِيلَ لَهُ : تُبُّ تُبُّ . فَقَالَ : تُبُّتُ ، فَذَهَبْتُ تِلْكَ الْحَيَّةُ فَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَتْ .
رَوَاهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(١) عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْمُعَمَّرِ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ هَذَا . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

(١) المنتظم ١٧/١٠٦ . وانظر مرآة الزمان ٨/١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة

فيها^(١) جدّد الخليفة الخلع على وزيره أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطّلب، وأكرمه وعظّمه.

وفي ربيع الآخر دخل السلطان محمد إلى بغداد، فتلّقاه الوزير والأعيان، وأحسن إلى أهلها، ولم يتعرّض أحد من جيشه إلى شيء. وتغصّب السلطان غياث الدين محمد على صدقة بن منصور الأسديّ صاحب الحلة وتكرّيت، بسبب أنّه آوى رجلاً من أعدائه يقال له: أبو دلف سُرخاب^(٢) الدّيلمّي. صاحب ساوة، وبعث إليه ليرسله إليه، فلم يفعل، فأرسل إليه جيشاً فهزّموا جيشه. وقد كان جيشه عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل، وقُتل صدقة في المعركة، وأسير جماعة من رُعوس أصحابه، وأخذوا من زوجته خمسمائة^(٣) ألف دينار^(٤)، وجواهر نفيسة.

قال ابن الجوزي^(٤): وظهر في هذه السنة صبيّة عمياء تتكلّم على أسرار الناس، وبألف الناس في الحيل؛ ليعلّموا حالها فلم يعلّموا. قال ابن عقيل: وأشكّل أمرها على العلماء والخواص والعوام، حتى إنها كانت تُسأل عن نقوش

(١) المتظم ١٧/١٠٧، والكمال ١٠/٤٤١.

(٢) في الأصل، خ، م: «سرحان».

(٣ - ٣) في المتظم ١٧/١٠٩: «دينار».

(٤) المتظم ١٧/١٠٩.

الخواتيم المقلوبة الصعبة، وعن أنواع الفصوص، وصفات الأشخاص، وما في داخل البنادق من الشمع والطين والحب المختلف والحز، وبألف أحدهم حتى ترك يده على ذكره فليل لها: ما الذي في يده. فقالت: يحمله إلى أهله وعياله.

وفيها قديم القاضي [٢٢٠/٩] فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس إلى بغداد يستنفر المسلمين على الفرنج، فأكرمه السلطان غياث الدين محمد إكرامًا زائدًا، وخلع عليه وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج.

ومن توفي فيها من الأعيان:

تيم بن المعز بن باديس^(١)، صاحب إفريقية، كان من خيار الملوك خلقًا وكرما، وإحسانا، ملك سبعا وأربعين سنة، وعمر تسعا وسبعين سنة، وترك من البنين أكثر من مائة، ومن البنات ستين بنتا، وملك من بعده ولده يحيى^(٢)، ومن أحسن ما مدح به الأمير تيم قول الشاعر:

أصح وأعلى ما سمعناه في الندى من الخبر المزوي منذ قدم
أحاديث تزويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تيم^(٣)

صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي^(٤)، الأمير سيف الدولة، صاحب الحلة وتكريت وواسط وغيرها، كان كريما، غفيا، ذا ذمام، ملجأ لكل خائف، يأمن في بلاده، وتحت جناحه، وكان يحسن يقرأ الكتب،

(١) الحلة السيرة ٢/٢١، ووفيات الأعيان ١/٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/٢٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٤٣، والوفاء بالوفيات ١٠/٤١٤.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص. والبيتان لابن رشيق القيرواني، وانظر وفيات الأعيان ١/٣٠٤.

(٣) المنتظم ١٧/١١١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٤/١٦٣، ووفيات الأعيان ٢/٤٩٠،

وسير أعلام النبلاء ١٩/٢٦٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٤٦.

ولا يحسن الكتابة ، وقد افتنى كُتُبًا كثيرة جدًا نفيسة ، وكان لا يتزوج على امرأة قط ، ولا يتسرى على سُرِّيَّة^(١) ؛ حَفَظًا لِلذِّمَامِ ، وَلِتَلَّا يَكْسِرَ قَلْبَ أَحَدٍ ، وقد مُدِح بأوصافٍ جميلة كثيرة جدًا . قُتِلَ في بعضِ المعرَكةِ ، قتله غلامٌ اسمه بُزْعَشُ^(٢) ، وكان له مِنَ العُمَرِ تسعٌ وخمسون سنةً ، ولِىَ منها الإمارةَ إحدى وعشرين سنةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) المذكور في المنتظم ١١١/١٧ ، والكامل ٤٤٩/١٠ ، أن صدقة لم يتزوج على امرأته ، ولا تسرى عليها .

(٢) في النسخ : « برغش » . والمثبت من المنتظم ١٠٨/١٧ ، والكامل ٤٤٨/١٠ .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة

فى يوم الجمعة^(١) الثانى والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله بالخاتون بنت ملكشاه، أخت السلطان محمد، على صداق مائة ألف دينار، ونثر الذهب، وكتب العقد بأصبهان. وفيها كانت حروب كثيرة بين الأتابك طغتكين صاحب دمشق وبين الفرنج. وفيها ملك سعيد بن حميد العمرى الحلة السيفية. وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة فغرقت الغلات، فغلت الأسعار بسبب ذلك غلاء شديدا. وحج بالناس الأمير قايماز.

ومن توفى فيها من الأعيان :

الحسن العلوى^(٢) أبو هاشم رئيس^(٣) همدان، وكان ذا مال جزيل، صادره السلطان بتسعمائة ألف دينار، فلم يبع فيها عقارا ولا غيره.

الحسين^(٤) بن على، أبو الفوارس، ابن الخازن، الكاتب المشهور بالخط المنسوب. توفى فى ذى الحجة منها. قال ابن خلكان^(٥): كتب بيده خمسمائة

(١) المنتظم ١١٢/١٧، والكامل ٤٥٧/١٠.

(٢) المنتظم ١١٢/١٧، والكامل ٤٧٣/١٠، وفيه: أبو هاشم زيد الحسنى العلوى، ومراة الزمان ٢٩/١/٨، وفيه: الحسين أبو على هشيم.

(٣) فى النسخ: «ابن رئيس». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٤) فى م، والكامل ٤٨٣/١٠، وتاريخ ابن الوردى ٢٠/٢: «الحسن». وانظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ١٩١/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٥٧، والمختصر فى أخبار البشر ٢٢٤/٢.

(٥) وفيات الأعيان ١٩١/٢.

خَتْمَةً ، مات فجأةً ، رحمه الله تعالى .

عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد ، أبو المحاسن الروياني^(١) ،
من أهل طبرستان ، أحد أئمة الشافعية ، وُلد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ورُحل
إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر ، وحصلَ علوًما جَمَّةً ، وسمع الحديثَ الكثيرَ ،
وصنَّفَ كتبًا في المذهب ، من ذلك « البحرُ » في الفروع ، وهو حافلٌ كاملٌ
شاملٌ للغرائب وغيرِها ، وفي المثل : حَدَّثَ عَنِ « البحرِ » ولا حَرَجَ . وكان
يقولُ : لو احترقت كتبُ الشافعي أُمليتها مِن حَفْظِي^(٢) . قُتِلَ ظُلْمًا يومَ الجمعة ،
وهو يومُ عاشوراء في الجامع بطبرستان .

قال ابنُ خَلِّكان^(٣) : أَخَذَ الفقهَ عن ناصرِ المَرْوَزِيِّ وعلَّقَ عنه ، وكان للرويانِي
الجاهُ العظيمُ ، والحُرْمَةُ الوافرةُ في تلك [٢٢٠/٩ ظ] الديارِ ، وكان نظامُ الملوك كثيرَ
التعظيمِ له ، وقد صنَّفَ كتبًا في الأصولِ والفروع ؛ منها « بحرُ المذهب » ،
وكتابُ « مناصيصِ الإمامِ الشافعي » ، وكتابُ « الكافي » ، و« حِلْيَةُ الْمُؤْمِنِ » ،
وله كتبٌ في الخلافِ أيضًا ، رحمه الله تعالى .

يحيى بنُ عليّ بن محمد بن الحسن بن بسْطام ، الشَّيبَانِيُّ التَّبْرِيْزِيُّ^(٤) ، أبو
زكريّا ، أحدُ أئمة اللغة والنحو ، قرأ على أبي العلاء وغيره . وتخرَّجَ به جماعةٌ ؛

(١) المنتظم ١١٣/١٧ ، ووفيات الأعيان ١٩٨/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٠/١٩ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٦٣ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٩٣/٧ .

(٢) المنتظم ١١٣/١٧ ، ووفيات الأعيان ١٩٨/٣ .

(٣) وفيات الأعيان ١٩٨/٣ .

(٤) المنتظم ١١٤/١٧ ، ومعجم الأدباء ٢٥/٢٠ ، ووفيات الأعيان ١٩١/٦ ، وإنباه الرواة ٢٢/٤ ، وسير
أعلام النبلاء ٢٦٩/١٩ . ولم يذكر ابن كثير لقبه الشهير : الخطيب .

منهم أبو منصور ابن الجوالقي . قال ابن ناصر^(١) : وكان ثقةً في الثَّقَلِ ، وله
المصنّفاتُ الكثيرةُ . وقال ابنُ خَيْرُونَ^(٢) : لم يكن مَرَضِيَّ الطريقة . تُوَفِّي في
جُمَادَى الآخِرَةِ ، ودُفِنَ إلى جانبِ الشيخِ أبي إِسْحاقَ الشَّيرَازِيَّ ببابِ أَبرَزَ .

(١) المنتظم ١٧ / ١١٤ .

(٢) المصدر السابق .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

فيها^(١) أخذت الفرنج، لعنهم الله، مدينة طرابلس، وقتلوا من فيها من الرجال، وسبوا الحریم والأطفال، وغنموا الأمتعة والأموال، ثم أخذوا مدينة جبلة^(٢) بعدها بعشر ليالٍ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الكبير المتعال، وقد هرب منهم فخر الملك بن عمار، فقصد صاحب دمشق طغتكين، فأكرمه وأقطعه بلادًا كثيرة.

وفيها وثب بعض الباطنية على الوزير أبي نصر أحمد بن نظام الملك فجرحه، ثم أخذ الباطني فسقى الخمر، فأقر على جماعة من الباطنية، فأخذوا فقتلوا. وحج بالناس الأمير قايماز.

ومن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن علي بن أحمد، أبو بكر الغلثي^(٣)، كان يعمل في تجصيص الحيطان، ولا ينقش صورة، ولا يأخذ من أحد شيئًا، وكانت له أملاك يبيع منها

(١) المنتظم ١١٧/١٧، والكامل ٤٧٥/١٠.

(٢) في الأصل، ص، والكامل ٤٧٦/١٠: «جبيل». وهو تحريف، والصحيح ما أثبتناه، فجبل سقطت قبل طرابلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة، وبقيت جبلة وفيها ابن عمار. وانظر الكامل ١٠/٣٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ١٧.

(٣) في النسخ: «العلوي»، والمثبت من مصادر ترجمته، انظر طبقات الحنابلة ٢/٢٥٥، والمنتظم ١١٧/١٧، ومرة الزمان ٣٢/١/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٧٧، وذيل طبقات الحنابلة ١/١٠٤.

وَيَتَقَوَّتْ ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى ، وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْفِقْهِ ، وَكَانَ إِذَا حَجَّ يَزُورُ الْقُبُورَ بِمَكَّةَ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى قَبْرِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ يَخْطُ إِلَى جَانِبِهِ خَطًّا بَعْصَاهُ وَيَقُولُ ^(١) : يَا رَبِّ ، هَلُّهُنَا ، فَقَدَّرَ أَنَّهُ حَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَوَقَفَ بِعِرْفَاتٍ مُحَرِّمًا ، فَتَوَفَّى بِهَا مِنْ آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَعُسِّلَ وَكُفِّنَ وَطِيفَ بِهِ حَوْلَ الْبَيْتِ ، ثُمَّ دُفِنَ إِلَى جَانِبِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَخْطُهُ ، وَلَمَّا بَلَغَ النَّاسَ وَفَاتَهُ بِيَعْدَادَ اجْتَمَعُوا لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ سَعْدَوَيْهِ ، أَبُو الْفَيْثَانِ الدَّهْشْتَانِيُّ ^(٢) ، رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَارَ الدُّنْيَا ، وَخَرَجَ وَانْتَخَبَ ، وَكَانَ لَهُ فَهْمٌ بِهَذَا الشَّأْنِ ، وَكَانَ ثَقَّةً ، وَقَدْ صَحَّحَ عَلَيْهِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ كِتَابَ « الصَّحِيحَيْنِ » . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَرْنَخَسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

مُحَمَّدٌ ، وَيَعْرِفُ بِأَخِي حَمَادِي ^(٣) ، كَانَ أَحَدَ الصُّلَحَاءِ الْكِبَارِ ، كَانَ بِهِ مَرَضٌ مَزْمُنٌ ، فَرَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ فَعُوفَى ، فَلَزِمَ مَسْجِدًا لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، لَا يَخْرُجُ إِلَّا إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَانْقَطَعَ عَنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ فِي زَاوِيَةٍ بِالقَرْبِ مِنْ قَبْرِ أَبِي حَنِيفَةَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) المنتظم ١١٨/١٧ .

(٢) فِي خ ، م : « الدَّهْقَانِي » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : تَارِيخُ دِمَشْقَ ٣٣١/١٣ (مخطوط) ، وَالْمُنْتَظَمُ ١٧/١١٨ ، سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٣١٧/١٩ ، وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَاظِ ١٢٣٧/٤ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٨٢ .

(٣) المنتظم ١١٨/١٧ .

ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

فى أول هذه السنة^(١) تجهَّز جماعة من الفقهاء البغاددة وغيرهم ، وفيهم [٢٢١/٩] ابن الرَّاغونى ، للخروج إلى الشام ليقاتلوا الفرنج ، لعنهم الله ، وذلك حين بلغهم أنَّهم قد فتحوا مدائن عدَّة ، من ذلك مدينة صيدا فى ربيع الأول ، وكذا غيرها من المدائن ، ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج .

وفىها قديمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد ، فنزلت فى دار أخيها السلطان محمد ، ثم حمل جهازها على مائة وأثنين وستين جملاً ، وسبعة وعشرين بغلاً ، وزينت بغداد لقُدومها ، وكان دخولها على الخليفة فى الليلة العاشرة من رمضان ، وكانت ليلة مشهودة .

وفى شعبان درس أبو بكر الشاشى بالنظامية مع التاجية ، وحضر عنده الوزير والأعيان من الدولة وغيرهم . وحجَّ بالناس الأمير قايماز ، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج ؛ من كثرة العطش وقلة الماء .

وممن توفى فيها من الأعيان :

إدريس بن حمزة ، أبو الحسن الشامى^(٢) الرَّملى العثمانى ، أحد فحول

(١) المنتظم ١٢٠ / ١٧ .

(٢) فى م : « الشاشى » . وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٢١ / ١٧ ، والكامل ٤٨٤ / ١٠ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤٠ / ٧ ، وطبقات الشافعية للإسنوى ٥٨٤ / ١ .

المنظرين عن مذهب الشافعي، تفقه على نصر بن إبراهيم، ثم ببغداد على أبي إسحاق الشيرازي، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء النهر، وأقام بسمرقند، ودرس بمدرستها إلى أن توفي بها في هذه السنة.

علي بن محمد بن علي، عماد الدين، أبو الحسن الطبري^(١)، ويعرف بالكنية الهراسي، أحد الفقهاء الكبار، من رءوس الشافعية، ولد سنة خمسين وأربعمائة، واشتغل على إمام الحرمين، وكان هو والغزالي أكبر التلامذة، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد، وكان فصيحاً جهوري الصوت جميلاً. وكان يكرز الدرس على كل مرقاة من مراقي درج النظامية بنيسابور سبع مرات، وكانت المراقى سبعين مرقاة. وقد سمع الحديث الكثير، وناظر وأفتى ودرس، وكان من أكابر العلماء وسادات الفقهاء، وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الإمام أحمد بن حنبل، في مجلد، وله غيره من المصنفات. وقد أتهم في وقت بأنه يمالئ الباطنية، فنزع منه التدريس، ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك، منهم ابن عقيل، فأعيد إليه. وكانت وفاته يوم الخميس مستهل المحرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة، ودُفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، رحمهما الله. وذكر القاضي ابن خلكان^(٢) أنه كان يحفظ الحديث ويناظر به، وهو القائل: إذا جالت فُرسان الأحاديث في ميادين الكفاح، طارت رءوس المقاييس في مهابت الرياح. وحكى السلفي عنه أنه استفتى في كتبة الحديث، هل يدخلون في الوصية للفقهاء؟ فأجاب: نعم؛ لقوله ﷺ: «مَنْ

(١) المنتظم ١٧/١٢٢، ووفيات الأعيان ٣/٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/٣٥٠، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ٩٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/٢٣١.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٢٨٧.

حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا بَعَثَهُ اللَّهُ فَقِيهًا عَالِمًا^(١) . وَأَنَّهُ اسْتَفْتَى فِي يَزِيدَ بْنِ
مَعَاوِيَةَ ، فَذَكَرَ عَنْهُ ثَلَاثًا وَفَسَقًا ، وَسَوَّغَ شَتْمَهُ ، وَأَمَّا الْغَزَالِيُّ فَإِنَّهُ خَالَفَ فِي ذَلِكَ ،
وَمَنَعَ مِنْ لَعْنِهِ ؛ لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ رَضِيَ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ ، وَلَوْ ثَبَتَ لَمْ يَكُنْ
ذَلِكَ مُسَوِّغًا لِلْغَنَةِ ، لِأَنَّ الْقَاتِلَ لَا يُلْعَنُ ، لَا سَيِّمًا وَبَابُ التَّوْبَةِ مُفْتَوِّحٌ ، وَهُوَ الَّذِي
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ . قَالَ : وَأَمَّا التَّرْحُمُ عَلَيْهِ فَجَائِزٌ ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ ، بَلْ نَحْنُ
نَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ فِي جَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، عُمُومًا فِي الصَّلَوَاتِ . ذَكَرَهُ ابْنُ
خَلَّكَانَ^(٢) مُبَسَّوْطًا بِلَفْظِهِ فِي تَرْجَمَةِ الْكِيَا هَذَا ، قَالَ : وَالْكِيَا مَعْنَاهُ : كَبِيرُ الْقَدْرِ ،
الْمُقَدَّمُ الْمُعَظَّمُ .

(١) الحديث أخرجه طرقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» ١١١/١ - ١١٨ ، ثم
قال في ص ١١٩ : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، ونقل عن الدارقطني في ص ١٢١ قوله :
« كل طرق هذا الحديث ضعاف ولا يثبت منها شيء » . وقال النووي رحمه الله في الأربعين النووية
ص ٧ : « واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه » .
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

فيها^(١) بعث السلطان غياث الدين محمد جيشا [٢٢١/٩ ظ] كثيفا، صُحْبَةً الأمير مودود^(٢) بن التوتكين^(٣) صاحب الموصل، وشُكْمَانَ القُطَيْبِيَّ، صاحب تيريز، وأحمديل^(٤) صاحب مراغة،^(٥) والأمير^(٦) إيلغازي^(٧) صاحب ماردین، والمقدم على الجميع الأمير مودود صاحب الموصل، لقتال الفرنج بالشام، فانتزعوا من أيدي الفرنج حصونا كثيرة، وقتلوا منهم خلقا كثيرا.

ولما دخلوا دمشق، دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه، فجاءه باطني في زي سائل يطلب منه شيئا، فلما اقترب منه ضربته في فؤاده فمات من ساعته، فلعنهُ الله على هذا الباطني، ووُجِدَ رجلٌ أعمى في سطح الجامع ببغداد ومعه سكينٌ مسمومٌ، فقيل: إنه كان يريد قتل الخليفة.

وفي هذه السنة وُلِدَ للخليفة من بنت السلطان ولدٌ ذكرٌ، فضربت الدبادب والبوقات، وجلس الوزير بباب الفردوس للهناء.

وفيها توفي أخو الخليفة، فقُطِعَ الطُّبْلُ أَيْامًا، وجلس الوزير بباب الفردوس

(١) المنتظم ١٢٣/١٧، والكمال ٤٨٥/١٠.

(٢ - ٣) سقط من خ، وفي الأصل: «بن ابوركس»، وفي م: «بن زكي»، وفي ص: «أتموريكير»، وفي الكامل ٤٥٧/١٠: «بن التوتكين»، وفي تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ١٩٤: «بن التوتكين»، والمثبت من وفيات الأعيان ٢٠٠/٥.

(٣) في الأصل: «واجهز» وفي خ: «أحمد بيك»، وفي ص: «أحمد بل».

(٤ - ٥) في الأصل، خ، ص: «وولد». وانظر الكامل ٤٨٥/١٠.

(٥) في الأصل: «ابلعاري»، وفي ص: «البلغاري»، وفي خ: «الغازي»، وانظر: الكامل ٤٨٥/١٠.

للعزاء ، وهكذا الدنيا قَرَضَ ؛ هذا يُعَزَّى وهذا يُهْنَى .

وفى رمضان غُزِلَ الوزيرُ أحمدُ بنُ النُّظَامِ ، وكانت مدَّةُ وِزارَتِهِ أربعَ سنينَ وأحدَ عشرَ شهرًا .

وفيهما حاصرتِ الفِرْجُ مدينةَ صُورَ ، وكانتُ بأيدي المصريين ، عليها عِزُّ المُلِكِ الأَعَزُّ مِنْ جِهَتِهِمْ ، فقاتلهم قتالًا عظيمًا ، ومنَعَهَا منعًا جيِّدًا ، حتى فَنِيَ ما عنده مِنَ النُّشَابِ والعُدَدِ ، فأمدَّه طُغْتِكِينُ صَاحِبِ دِمَشْقَ ، وأرسل إليه العُدَدَ والآلاتِ ، فقوى جانبُه وترحلت عنه الفِرْجُ فى شَوَالٍ منها . وحجَّ بالناسِ أميرُ الجيوشِ نظَرَ^(١) الخادِمُ ، وكانت سنةً مُخْصِبَةً .

وَمَنْ تُوفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

محمدُ بنُ محمدٍ بنِ محمدٍ ، أبو حامدٍ الغَزَالِيَّ^(٢) ، وُلِدَ سنةً خمسَينَ وأربعِمائةً ، وتَفَقَّهَ على إمامِ الحَرَمَيْنِ ، وبرَعَ فى علومٍ كثيرةٍ ، وله مصَنَّفَاتٌ مُتَشِيرَةٌ فى فُنُونٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، فكان مِنْ أَذْكَيَاءِ الْعَالَمِ فى كُلِّ ما يَتَكَلَّمُ فيه ، وسادَ فى شَبَابِهِ حتى إِنَّهُ دَرَسَ بِالنُّظَامِيَّةِ ببغدادَ ، فى سنةٍ أربعٍ وثمانينَ ، وله أربعٌ وثلاثونَ سنةً ، فحَضَرَ عنده رُعُوسُ الْعُلَمَاءِ فى ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وكان مِمَّنْ حَضَرَ عنده ابنُ عَقِيلٍ وأبو الْخَطَّابِ ، مِنْ رُعُوسِ الْحَنَابِلَةِ ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ فَصَاحَتِهِ وإِطْلَاعِهِ . قال ابنُ الْجَوَازِيَّ^(٣) : وَكَتَبُوا كَلَامَهُ فى مَصَنَّفَاتِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ عَنِ الدُّنْيَا بِالْكُلَيْيَةِ ، وَأَقْبَلَ

(١) فى خ ، م ، و : تحاف الورى ٣/٢ : « قطز » ، وفى ص : « مطر » . وانظر الكامل ٥٤٥/١٠ ، وتاج العروس (ن ظ ر) . وكذا فيما يأتى من مواضع .
(٢) المنتظم ١٢٤/١٧ ، ووفيات الأعيان ٢١٦/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ١١٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٩١/٦ .
(٣) المنتظم ١٢٥/١٧ .

على أعمال الآخرة، فكان يزترق من الشيخ، ورحل إلى الشام فأقام بدمشق
ويبيت المقدس مدة، ثم إنه صنف في هذه المدة كتابه «إحياء علوم الدين»، وهو
كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، ومزيج بأشياء لطيفة
من التصوف وأعمال القلوب، ولكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومكرات،
ومنها ما هو موضوع، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يشتدل بها على
الحلال والحرام، فالكتاب الموضوع للرفائق والتزغيب والتزهيب أسهل أمراً من
غيره، وقد شنع عليه أبو الفرج بن الجوزي^(١)، ثم ابن الصلاح، في ذلك تشنيعاً
كبيراً، وأراد المازري أن يحرق كتابه «إحياء علوم الدين»، وكذلك غيره من
المغاربة^(٢)، وقالوا: هذا كتاب إحياء علوم دينه، وأما ديننا فإحياء علومه كتاب
الله وسنة رسوله. كما قد حكيت كلامه في ترجمته من طبقات الشافعية، وقد
زيّف ابن سكر^(٣) مواضع إحياء علوم الدين، وبين زيفها في مصنف مفيد، وقد
كان الغزالي يقول^(٤): أنا مزرّجى البضاغة في الحديث. ويقال^(٥): إنه مال في آخر
عمره إلى سماع الحديث والتحفظ «للصحيحين». وقد صنف ابن الجوزي^(٦)
كتاباً على «الإحياء» وسماه «إعلام الأحياء بأغاليط الإحياء»، قال ابن
الجوزي^(٧): ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور، فدرّس بنظاميتها، ثم

(١) المنتظم ١٢٥/١٧، ١٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٤٠/١٩، ولم يصرح فيه المازري بحرق كتبه، بل ذكر قائلاً: «وطائفة لكتبه
أحرق».

(٣) في خ، م: «شكر». والمثبت من سير أعلام النبلاء ٣٤٢/١٩.

(٤) المنتظم ١٢٦/١٧، وطبقات الشافعية ٢٤٩/٦، بنحوه.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٢٥/١٩، ٣٢٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٢١٠/٦.

(٦) المنتظم ١٢٥/١٧.

(٧) المنتظم ١٢٦/١٧.

عاد إلى بليده طُوسَ ، وابْتَنَى [٢٢٢/٩] بها رِبَاطًا ، واتَّخَذَ دارًا حَسَنَةً ، وغَرَسَ فيها بُسْتَانًا أَنِيقًا ، وأَقْبَلَ على تلاوة القرآنِ وحِفْظِ الأحاديثِ الصَّحاحِ ، وكانت وفاته يومَ الاثنينِ الرابعِ عَشَرَ مِن جُمادى الآخرةِ مِن هذه السَّنةِ ، ودُفِنَ بِطُوسَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وقد سَأَلَهُ بعضُ أَصحابِهِ وهو فى السَّيِّاقِ فقال ^(١) : أَوْصِنِى ، فقال له : عَلَيْكَ بِالْإِخْلَاصِ ، فلم يَزَلْ يُكْرِّرُها حتى ماتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) المنتظم ١٢٧/١٧ .

ثم دخلت سنة ست وخمسمائة^(١)

في جمادى الآخرة منها جلس ابن الطبري مدرّساً بالنظامية، وعزل عنها الشاشي. وفيها دخل الشيخ الصالح أحد العبّاد يوسف بن أيوب^(٢) إلى بغداد، فوعظ الناس، وكان له القبول التام، وكان فقيهاً شافعيّاً، تفقّه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ثم اشتغل بالعبادة والزّهادية، فكانت له أحوالٌ صالحة، جازاه مرّة رجلٌ يقال له: ابن السّقاء في مسألة، فقال له: اسكُت؛ فإنّي أجد من كلامك رائحة الكُفر، ولعلّك أن تموت على غير دين الإسلام، فاتفق بعد مدّة أنّه خرج^(٣) إلى بلاد الروم في حاجة فتتصرّ هناك، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا. وقام إليه مرّة، وهو يعظ الناس، ابنا أبي بكر الشاشي، فقالا له^(٤): إن كنت تتكلّم، على مذهب الأشعري، وإلا فاسكُت. فقال: لا مُتعتما بشبابكما. فماتاً ولم يبلُغا سنّ الكهولة. وحجّ بالناس في هذه السنة أمير الجيوش نظراً الخادم، ونالهم عطش شديد.

ومن توفّي فيها من الأعيان:

صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد، أبو القلاء، الخطيب

(١) المنتظم ١٢٨/١٧، والكمال ٤٩٢/١٠.

(٢) في م: «داود».

(٣) بعده في خ، م: «ابن السقا».

(٤) المنتظم ١٢٨/١٧.

النَّيْسَابُورِيُّ^(١)، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَوَلَّى الْخُطَابَةَ بَعْدَ أَبِيهِ وَالتَّدْرِيسَ
وَالتَّذْكِيرَ، وَكَانَ أَبُو الْمَعَالَى الْجَوْنِيُّ يُشْنِي عَلَيْهِ، وَقَدْ وَلَّى قَضَاءَ خُوارِزْمَ.

مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَّاسَاغُونِيُّ^(٢) التُّرْكِيُّ
الْحَنْفِيُّ، وَيَعْرَفُ بِاللَّامِشِيِّ، أُوْرِدَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ حَدِيثًا^(٣)، وَذَكَرَ أَنَّهُ
وَلَّى قَضَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَشَكَّوْا مِنْهُ فَعُزِّلَ عَنْهَا، ثُمَّ وَلَّى قَضَاءَ دِمَشْقَ، وَكَانَ
غَالِيًا فِي مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَهُوَ الَّذِي رَتَّبَ الْإِقَامَةَ مَثْنَى مَثْنَى، قَالَ: إِلَى أَنْ
أَزَالَ اللَّهُ ذَلِكَ بِدَوْلَةِ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ.

قال: وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى نَصْبِ إِمَامٍ حَنْفِيٍّ بِالْجَامِعِ، فَامْتَنَعَ أَهْلُ دِمَشْقَ مِنْ
ذَلِكَ، وَامْتَنَعُوا مِنَ الصَّلَاةِ خَلْفَهُ، وَصَلُّوا بِأَجْمَعِهِمْ فِي دَارِ الْحَيْلِ، وَهِيَ الَّتِي
قَبْلَى الْجَامِعِ مَكَانَ الْمَدْرَسَةِ الْأَمِينِيَّةِ وَمَا يَجَاوِزُهَا، وَحَدُّهَا الطَّرْقَاتُ الْأَرْبَعَةُ،
وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ كَانَتْ لِي الْوِلَايَةُ لَأَخَذْتُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ الْجَزِيَّةَ، وَكَانَ
مُبْغِضًا لِأَصْحَابِ مَالِكٍ أَيْضًا. قَالَ: وَلَمْ تَكُنْ سِيرَتُهُ فِي الْقَضَاءِ مَحْمُودَةً،
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْهَا. قَالَ^(٤): وَقَدْ
شَهِدْتُ جِنَازَتَهُ وَأَنَا صَغِيرٌ فِي الْجَامِعِ.

(١) المنتخب من السياق ص ٢٦٠، والمنظوم ١٢٩/١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ -

٥١٠ هـ) ص ١٤٠، والوفاء بالوفيات ٢٤١/١٦، والجواهر المضية ٢٦٨/٢.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦/١٦ (مخطوط)، وميزان الاعتدال ٥١/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ١٤٧، والوفاء بالوفيات ٨٧/٥، وعيون التواريخ ١٣/١٢.

(٣) تاريخ دمشق ٣٦/١٦ (مخطوط).

(٤) تاريخ دمشق ٣٧/١٦ (مخطوط).

المعمر بن علي بن المعمر، أبو سعد بن أبي عِمَامَةَ^(١) الواعظ، كان فصيحًا بليغًا ماجنًا ظريفًا ذكيًا، له كلمات في الوعظ حسنة ورسائل مسموعة مُسْتَحْسَنَةٌ، تُوفِّي في ربيع الأول من هذه السنة، ودُفِنَ بباب حرب.

أبو علي المغربي^(٢)، كان عابدًا زاهدًا ورعًا، يتقوّت بأذني شيء، ثم عَنَ له أن يشتغل بعلم الكيمياء. فأخذ إلى دار الخلافة، فلم يظهر له خبر بعد ذلك. نُزْهَةٌ^(٣) أم ولد للخليفة المستظهر بالله المفتي لأمر الله، كانت سوداء مُحْتَشِمَةً كريمة النفس، تُوفِّيَتْ يوم الجمعة ثاني عشر شَوَّالٍ من هذه السنة.

أبو سعيد السَّمْعَانِي^(٤)، مصنف «الأنساب» وغيره، وهو تاج الإسلام عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر المنصور بن عبد الجبار، السَّمْعَانِي، المروزي، الفقيه الشافعي، الحافظ المحدث، قوام الدين، أحد الأئمة المصنّفين المُنْصِفِينَ، رحل وسمع الكثير حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ، وصنّف «التفسير» و «التاريخ» و «الأنساب» و «الذَّيْل» على تاريخ الخطيب

(١ - ١) سقط من النسخ، وانظر ترجمته في: المنتظم ١٧/١٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٥١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ١٥٠، وعيون التواريخ ١٢/٢٠، والذيل على طبقات الحنابلة ١/١٠٧.

(٢) في الأصل: «عماية». وفي خ، م: «عمار» وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٣) في خ، م: «المعري»، وانظر ترجمته في: المنتظم ١٧/١٢٨، والكمال ١٠/٤٩٢.

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٤٣٧.

(٥) تاريخ دمشق ١٠/٤٣٣ (مخطوط)، والمنتظم ١٨/١٧٨، ووفيات الأعيان ٣/٢٠٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٥٦، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣١٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ١١٨، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/١٨٠، وقد أجمعت المصادر المذكورة على أنه توفي سنة ثنتين وستين وخمسائة، إلا المنتظم ففيه أنه توفي سنة ثلاث وستين وخمسائة. والتاريخ الذي ذكره المصنف هنا هو تاريخ مولده.

البغدادى ، وذكر له ابنُ خَلِّكانَ مصنَّفاتٍ عديدةً جدًّا^(١) ؛ منها كتابُه الذى جَمَعَ فيه أَلَفَ حَدِيثٍ عن مائةِ شيخٍ ، وتكلَّم عليها إسنَادًا ومَثْنًا ، وهو مفيدٌ جدًّا ، رَحِمَهُ اللهُ .

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٢١٠ .

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فيها^(١) كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في أرض طبرية، كان فيها ملك دمشق الأتابك طغتكين، وفي خدمته صاحب سنجار، وصاحب ماردين، وصاحب الموصل، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وغنموا منهم أموالا جزيلة، وملكوا تلك النواحي كلها، ولله الحمد والمثية، ثم رجعوا إلى دمشق، [٢٢٢/٩ ظ] فذكر ابن الساعي في «تاريخه» مقتل الملك مؤدود صاحب الموصل في هذه السنة، قال^(٢): «صلى هو والأتابك طغتكين يوم الجمعة بالجامع، ثم خرجا إلى الصحن ويد كل واحد منهما في يد الآخر، فطفر باطنى على مؤدود فقتله، رحمه الله، ويقال: إن طغتكين هو الذى مالا عليه. فالله أعلم. وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين وفيه^(٣): إن أمة قتلت عميدها، فى يوم عيدها، فى بيت مَعْبُودِها لحقيق على الله أن يُبيدها. وفيها ملك حلب ألب أرسلان بن رضوان بن تُشش بعد أبيه، وقام بأمر السلطنة بين يديه لؤلؤ الخادم، فلم يثق معه سوى الرّسم.

وفيها فتّح المارستان الذى أنشأه كُشْتِكِينُ الخادم ببغداد. وحجّ بالناس زَنْكِي بن بُرْشَق^(٤).

(١) المنتظم ١٣٣/١٧، والكامل ٤٩٥/١٠.

(٢) عيون التواريخ ٢١/١٢، والكامل ٤٩٦/١٠، ٤٩٧.

(٣) الكامل ٤٩٧/١٠، وعيون التواريخ ٢١/١٢.

(٤) فى الأصل: «يوسف»، وفى خ، م: «برشق». وانظر المنتظم ١٣٣/١٧.

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

إسماعيلُ بنُ الحافظِ أبي بكرٍ أحمدَ بنِ الحُسَيْنِ البَيْهَقِيِّ^(١)، سَمِعَ الكثيرَ وتنقَّلَ في البلادِ، ودرَّسَ بمدينة خوارزمَ، وكان فاضلاً من أهل الحديث، مَرَضِيَّ الطريقة، وكانت وفاته ببلده بَيْهَقَ^(٢) في هذه السنة.

شُجاعُ بنُ أبي شُجاعٍ فارِسِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ فارِس، أبو غالبِ الذُّهْلِيِّ^(٣)، الحافظُ سَمِعَ الحديثَ الكثيرَ، وكان فاضلاً في هذا الشأن، وشرَعَ في تشييم «تاريخ الخطيب»، ثم غسله، وكان يُكثِرُ مِنَ الاستِغْفارِ والتوبة؛ لأنَّه كتبَ شعرَ ابنِ الحجاجِ سبعَ مراتٍ. تُوفى في هذا العامِ عن سبعٍ وسبعينَ سنةً.

محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ الحسنِ^(٤) بنِ منصورِ ابنِ مُعاويةَ بنِ محمدِ بنِ عثمانَ^(٥) بنِ عنبسةَ بنِ عُتبةَ بنِ عثمانَ بنِ عنبسةَ^(٦) بنِ أبي سفيانَ صَخْرِ^(٦) بنِ حَرْبِ الأمويِّ، أبو المظفرِ بنُ أبي العبَّاسِ الأيُّورُدِيُّ، الشاعرُ. كان عالماً باللغةِ والأنسابِ، سَمِعَ الكثيرَ، وصنَّفَ «تاريخَ أيُّورُدَ»، و«أنسابَ العربِ»، وله كتابٌ في المؤتلفِ والمختلفِ، وغير ذلك، وكان يُنسبُ

(١) المنتظم ١٣٤/١٧، وسير أعلام النبلاء ٣١٣/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٥٦، والوافي بالوفيات ٨٤/٩، وطبقات الشافعية ٤٤/٧.

(٢) ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور. معجم البلدان ٨٠٤/١.

(٣) المنتظم ١٣٤/١٧، وسير أعلام النبلاء ٣٥٥/١٩، وتذكرة الحفاظ ١٢٤٠/٤. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٦٠، وعيون التواريخ ٤١/١٢.

(٤) في النسخ: «الحسين». والمثبت من مصادر الترجمة التالية: المنتظم ١٣٥/١٧، ومعجم الأدباء ٢٣٤/١٧، ووفيات الأعيان ٤٤٤/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٨٣/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠هـ) ص ١٨٢، وعيون التواريخ ٢٧/١٢، وطبقات الشافعية ٨١/٦.

(٥ - ٥) في النسخ: «عتبة بن عنبسة بن معاوية». والمثبت من مصادر ترجمته.

(٦) في م: «بن صخر».

إلى الكبير والتهيه الزائد ، حتى إنه كان يدعو في صلاته فيقول : اللهم ملكنى
مشارك الأرض ومغاربها . وكتب مرة إلى الخليفة : الخادم المعاوي . فكشط
الخليفة الميم فبيعت المعاوي . ومن شعره قوله ^(١) :

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَذِرْ أُنْيَى أَعِزُّ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَهْوُنُ
وِظْلُ يُرِينِي الْخُطْبُ ^(٢) كَيْفَ اعْتَدَاوَهُ ^(٣) وَبِتُّ أُرِيهِ الصَّبْرُ كَيْفَ يَكُونُ

محمد بن طاهر بن علي بن أحمد ، أبو الفضل المقدسي ^(٤) ، الحافظ ، وُلِدَ سنة
ثمان وأربعين وأربعمائة ، وأوّل سماعه سنة ستين ، وسافر في طلب الحديث إلى
بلاد كثيرة ، وسمع كثيرا ، وكانت له معرفة جيّدة بهذه الصناعة ، وصنّف كُتُبًا
مفيدة ، غير أنّه صنّف كتابًا في إباحة السماع وفي التصوّف ، واستعمل فيه
أحاديث منكّرة جدًّا ، وأورد أحاديث صحيحة في غير كُتُبها ، وقد أثنى على حفظه
غير واحد من الأئمة . وذكر ابن الجوزي كتابه هذا الذي سمّاه « صِفَةُ التَّصَوُّفِ » ،
وقال ^(٥) : يضحك منه من رآه ، قال : وكان ذاوُدِيّ المذهب ، فمن أثنى عليه أثنى
لأجل حفظه للحديث ، وإلاّ فما يُجرح به أوّلَى . قال : وذكره أبو سعيد
السَّمْعَانِي ، وانتصر له بغير حُجّة ، بعد أن قال : سألت عنه شيخنا إسماعيل بن
أحمد الطَّلْحِيّ فأساء الشّاء عليه ، وكان سَيِّئُ الرَّأْيِ فيه . قال : وسمِعنا

(١) البيتان في : المنتظم ١٧ / ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ١٧ / ٢٤٦ ، والكمال ١٠ / ٥٠٠ .

(٢) في خ ، م : « الدهر » .

(٣) في النسخ : « اغتراره » .

(٤) في الأصل ، ص : « القرشي » . وانظر ترجمته في : المنتظم ١٧ / ١٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٦١ ،
وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٤٢ . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ١٦٨ ، والوافي
بالوفيات ٣ / ١٦٦ .

(٥) المنتظم ١٧ / ١١٦ .

أبا الفضل بن ناصر يقول : محمد بن طاهر لا يُحتج به ، صنف في جواز النظر إلى المرد ، وكان يذهب مذهب الإباحية . ثم أورد له من شعره قوله في هذه الأبيات ^(١) :

دع التصوف والرَّهْدَ الذي اشتغلت به جوارح أقوام من الناس
وعُج على دَيْرٍ داريًا فإن به الرُّهبان ما بين قسيس وشماس

واشرب مُعْتَقَةً من كف كافرة تسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع رنة الأوتار من رשא مهفَّه طرفه أمضى من الماس
[٢٢٣/٩] غنى بشعر امرئ في الناس مُشتهر مدون عندهم في صدر قوطاس
لولا نسيم بذكر اكرم ^(٢) يروحنى لكنت مُحترقا من حر أنفاسي

ثم قال السَّمْعَانِيُّ ^(٣) : لعله قد تاب من هذا كله . قال ابن الجوزي ^(٤) : وهذا غير مَرَضِيٍّ أن يذكر جرح الأئمة له ، ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته . وذكر ابن الجوزي أنه لما اختضر جعل يُردد هذا البيت ^(٥) :

وما كنتم تعرفون الجفا فممن ترى قد تعلمتم

ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد في ربيع الأول منها .

أبو بكر الشاشي ، صاحب « المستظهر » ، محمد بن أحمد بن الحسين ابن عمر الشاشي ^(٥) ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، ولد في المحرم سنة سبع

(١) المنتظم ١٣٧/١٧ .

(٢) في خ ، م : « بدا منكم » .

(٣) المنتظم ١٣٧/١٧ ، نحوه .

(٤) المنتظم ١٣٨/١٧ .

(٥) المنتظم ١٣٨/١٧ ، ووفيات الأعيان ٢١٩/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣٩٣/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث

ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ١٦٥ ، وعيون التواريخ ٢٤/١٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧٠/٦ .

وعشرين وأربعمئة، وسمع الحديث على أبي يعلى بن القراء، وأبي بكر الخطيب، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وتفقه عليه وعلى غيره، وقرأ «الشامل» على مُصنِّفه ابن الصَّبَّاح، واختصره. في كتابه الذي جمعه للمُسْتَظْهِر بالله، وسمَّاه «حِلْيَةَ الْعُلَمَاءِ بِمَعْرِفَةِ مَذَاهِبِ الْفُقَهَاءِ»، ويُعْرَفُ بِالْمُسْتَظْهِرِي، وقد دَرَسَ بِالنُّظَامِيَّةِ، ببغداد ثم غَزَلَ عنها، وكان يُنْشِدُ^(١):

تَعَلَّمْ يَا فَتَى وَالْعُودُ غَضٌّ وَطِينُكَ لَيِّنٌ وَالطَّبْعُ قَابِلٌ
فحسبك يا فتى شرفاً وفخراً سكوت الحاضرين وأنت قائل

تُوفِّي سَحَرِ يَوْمِ السَّبْتِ السَّادِسِ^(٢) عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، ودُفِنَ إِلَى جَانِبِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِي بِبَابِ أُبْرَزَ.

المُؤْتَمَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣)، أَبُو نَصْرِ السَّاجِيّ المقدسيّ، سمع الحديث الكثير، وخرَّج، وكان ثقةً صحيح النُّقْلِ، حسن الخط، مشكور السيرة، لطيف النفس، اشتغل في الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مُدَّةً، ورحل إلى أَصْبَهَانَ وغيرها، وهو معدودٌ مِنْ جَمَلَةِ الْحَفَاطِ، لَا سِيَّامَا لِلْمُتُونِ، وقد تكلَّم فيه مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ. قال ابنُ الجوزي^(٤): وهو أَحَقُّ مِنْهُ بِذَلِكَ، وَأَيْنَ الثَّرَيَّا مِنَ الثَّرَى؟ تُوفِّي المُؤْتَمَنُ يَوْمَ السَّبْتِ ثَامِنِ^(٥) عَشَرَ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، ودُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) البيتان في المنتظم ١٣٨/١٧، وعيون التواريخ ٢٥/١٢.

(٢) في الأصل، ص: «الحادي». وانظر المنتظم ١٣٨/١٧.

(٣) تاريخ دمشق ٢٥٣/١٧ (مخطوط)، والمنتظم ١٣٨/١٧، وسير أعلام النبلاء ٣٠٨/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ١٩١، وعيون التواريخ ٤٣/١٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٠٨/٧.

(٤) المنتظم ١٣٩/١٧.

(٥) في خ، م، ص: «ثاني». وانظر المنتظم ١٣٩/١٧.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

فيها^(١) وقع حريق عظيم ببغداد . وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة ، هدمت منها ثلاثة عشر بُرجًا ، ومن الرُّها يَبُوتًا كثيرةً ، وبعض^(٢) سورِ حِرَّانَ^(٣) ، ودورًا كثيرةً في بلادِ شَتَّى ، فهلك^(٤) أكثرُها ، وفي بالسِ^(٥) نحوًا من مائة دارٍ^(٦) ، وقُلبَ بنصفِ قلعةِ حِرَّانَ ، وسَلِمَ نصفُها ، وخُسِفَ بمدينةِ سُمَيْساطَ ، وهلكَ تحت الرُّدَمِ خلقٌ كثيرٌ ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها قُتِلَ صاحبُ حلب تاجُ الدولة ألبُ أرسَلانُ بنُ رضوانَ بنِ تُوْشَ ، قتله غلمانُه ، وقامَ مِنْ بعده أخوه سلطانُشاهُ بنُ رضوانَ .

وفيها ملكَ السلطانُ سَنجَرُ بنُ مَلِكُشاهِ بلادَ غَزَنَةَ ، وخُطِبَ له بها بعدَ مُقاتلةِ عظيمةٍ ، وأخذَ منها أموالًا كثيرةً ، مِنْ ذلكَ خمسةُ تيجانٍ ، قِيَمَةُ كُلِّ تاجٍ منها ألفُ ألفِ دينارٍ ، وسَبْعَةُ عَشَرَ سَرِيرًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وألفٌ وثلاثُمائةِ قطعةِ مَصاغٍ مُرَصَّعةٍ ، وأقامَ بها أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَقَرَّرَ فِي مُلْكِهَا بَهْرَامَ شاهَ ، مِنْ بَيْتِ بَنِي سُبُكْتِكِيْنَ ، وَلَمْ يُخَطِّبْ بِغَزَنَةَ قَبْلَ السُّلْطَانِ سَنجَرِ مِنَ السُّلْجُوقِيَّةِ لِأَحَدٍ^(٧) .

(١) المنتظم ١٧ / ١٤٠ ، والكامل ١٠ / ٥٠١ .

(٢ - ٢) في م : « ودور خراسان » .

(٣ - ٣) في خ ، م : « من أهلها » .

(٤) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقه . معجم البلدان ١ / ٤٧٧ .

(٥) في خ ، م : « ألف » .

(٦) بعده في خ ، م : « وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة لا يجسر أحد من الملوك عليهم ، =

وفيها ولى السلطان محمدٌ للأمير آق سُنْقَرُ البَرْسَقِيُّ المَوْصِلَ وأعمالها، وأمره بمقاتلة الفِرَنْجِ، فقاتلهم فى أواخرِ هذه السَنَةِ، فأخذ منهم الرُّهًا وخرَّبها^(١) وسُروِجَ وشمِيساطَ، ونَهَبَ مارِدِينَ، وأسرَ ابنَ مَلِكها [٢٢٣/٩ ظ] إِيَّازَ بنَ إِيْلغازى، فأرسلَ السلطانُ محمدٌ إليه مَنْ يَتَهَدَّدُهُ، ففرَّ منه إلى طُغْتِكِينَ صاحبِ دِمَشقَ، واتَّفَقا على عِصيانِ السلطانِ محمدٍ، فجرتَ بينهما وبينَ نائبِ حِمصَ قُرْجانَ ابنِ قُرَاجَةَ حروبٌ كثيرةٌ، ثم اضطلَّحوا.

وفيها ملكَتْ زوجةُ مَرْعَشَ الإفرنجيَّةُ بعدَ وفاةِ زوجها، لَعَنهما اللّهُ. وحجَّ بالناسِ فيها أميرُ الجيوشِ أبو الخيرِ، يَمَنُّ الخادِمَ، وشكَّرَ الناسُ حجَّهم معه.

= ولا يطيق أحد مقاومتهم وهم بنو سيكتكين.

(١) فى الأصل: «مر بها»، وفى خ، م: «حريمها».

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَخَمْسِمِائَةٍ

فيها^(١) جهَّزَ السلطانُ غِيَاثُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مَلِكْشَاهِ صَاحِبُ الْعِرَاقِ جَيْشًا كَثِيفًا مَعَ الْأَمِيرِ بُزْشَقِ بْنِ بُزْشَقٍ إِلَى إِيْلَغَازَى صَاحِبِ مَارْدِينٍ، وَإِلَى طُغْتِكِينَ صَاحِبِ دِمَشْقٍ^(٢)؛ لِقَاتِيَهُمَا عَلَى تَمَائِلِهِمَا عَلَى عَصِيانِ السُّلْطَانِ، وَقَطْعِ خُطْبَتَيْهِ، وَإِذَا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ عَمَدَ لِقَاتِ الْفَرَنْجِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ الْجَيْشُ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ هَرَبَ صَاحِبُ مَارْدِينٍ وَصَاحِبُ دِمَشْقٍ، وَتَحَيَّرَا إِلَى الْفَرَنْجِ، وَجَاءَ الْأَمِيرُ بُزْشَقُ إِلَى كَفَرِ طَابٍ^(٣) فَفَتَحَهَا عَنُوءَةً، وَأَخَذَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ النِّسَاءِ وَالذَّرِّيَّةِ، وَجَاءَ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةِ زُوجِيْلُ فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ وَأَلْفَى رَاجِلٍ، فَكَبَسَ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَأَخَذَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً، وَهَرَبَ بُزْشَقُ فِي طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَمَزَّقَ الْجَيْشُ الَّذِي كَانَ مَعَهُ شَذَرَمَذَرَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا قَدِمَ الْمَلِكُ غِيَاثُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ إِلَى بَغْدَادَ، وَجَاءَ إِلَيْهِ طُغْتِكِينُ صَاحِبُ دِمَشْقٍ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَرَضِيَ عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ.

وَمَنْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَغْيَانِ :

إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَلَّةٍ^(٤) أَبُو عُثْمَانَ الْأَصْبَهَانِيُّ، أَحَدُ

(١) الكامل ٥٠٩/١٠.

(٢) بعده في خ، م: «وإلى آق سنقر البرشقي».

(٣) كفر طاب: بلدة بين المعرة ومدينة حلب. معجم البلدان ٤/٢٨٩.

(٤) في م: «على». وانظر ترجمته في: المنتظم ١٧/١٤٣، والكامل ١٠/٥١٥، وسير أعلام النبلاء

١٩/٣٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٢١٦، وشذرات الذهب ٤/٢٣.

الرَّحَّالِينَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ وَعَظَ فِي جَامِعِ الْمَنْصُورِ ثَلَاثِينَ مَجْلِسًا ،
وَاسْتَمَلَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ ، وَتَوَفَّى بِأَصْبَهَانَ .

مُنْتَجَبٌ^(١) بِنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُسْتَظْهِرِيِّ . أَبُو الْحَسَنِ الْخَادِمُ ، كَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ ،
وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ ، وَقَالَ : وَقَفَ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ .

هَبَّةٌ^(٢) اللَّهُ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنِ مُوسَى ، أَبُو الْبَرَكَاتِ السَّقَطِيُّ ، سَمِعَ الْكَثِيرَ
وَرَحَلَ فِيهِ ، وَكَانَ فَاضِلًا عَارِفًا بِاللُّغَةِ ، وَدُفِنَ بِيَابِ حَرْبٍ .

يَحْيَى بْنُ تَمِيمٍ بْنِ الْمُعِزِّ بْنِ بَادِيَسٍ^(٣) ، صَاحِبُ إِفْرِيقِيَّةَ ، كَانَ مِنْ خِيَارِ
الْمُلُوكِ ، عَارِفًا ، حَسَنَ السِّيَرَةِ مُحِبًّا لِلْفُقَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَلَهُمْ عَلَيْهِ أَرْزَاقٌ ، مَاتَ وَلَهُ
ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، وَتَرَكَ ثَلَاثِينَ وَلَدًا ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدَهُ عَلِيُّ .

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « مِنْجَب » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْمُنْتَظَمِ ١٧/١٤٤ ، وَفِيهِ : « مِنْتَجَب » .
(٢) فِي م : « عَبْد » وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْمُنْتَظَمِ ١٧/١٤٤ ، (وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ) ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩/٢٨٢ ،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٢٣٥ ، وَذِيلُ طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ١/١١٤ ،
وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٤/٢٦ .
(٣) الْكَامِلُ ١٠/٥١٢ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٦/٢١١ ، وَالْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ١/٣٠٤ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٩/٤١٢ ،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٢٣٨ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٤/٢٦ .

ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة^(١)

فيها وقع حريق عظيم ببغداد ؛ احترقت فيه دور كثيرة ، منها دار نور الهدى الزينبي ، ورباط يهروز^(٢) ، ودار كتب النظامية ، وسلمت الكتب لأن الفقهاء نقلوها .

وفيها قُتل صاحب مراغة في مجلس السلطان محمد ، قتله الباطنية . وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد علي بن موسى الرضا بمدينة طوس ، فقتل فيها خلق كثير . وفيها سار السلطان إلى فارس بعد موت نائبيها خوفاً عليها من صاحب كرمان . وحج بالناس أمير الجيوش أبو الحسن ، نظر الخادم ، وكانت سنة مخصبة آمنة ، ولله الحمد .

ومن توفي فيها من الأعيان :

البغوي المفسر المحدث الفقيه^(٣) ، وقيل : في سنة ست عشرة ، كما سيأتي والله أعلم .

عقيل بن الإمام أبي الوفا^(٤) علي بن عقيل الحنبلّي ، كان شاعراً قد برع وحفظ القرآن وكتب مليحاً وفهم المعاني جيّداً ، ولما توفيّ تصبّر عليه أبوه وتشكّر

(١) المنتظم ١٧/١٤٥ ، والكامل ١٠/٥١٦ .

(٢) في الأصل : «ممدود» ، وفي خ : «نهروز» ، وفي م : «نهروز» وفي ص : «نهروز» ، والمثبت من

المنتظم ١٧/١٤٥ ، وانظر عيون التواريخ ١٢/٦٤ .

(٣) ستأتي ترجمته في وفيات سنة ست عشرة وخمسمائة .

(٤) المنتظم ١٧/١٤٨ .

وأظهر التجلّد، فقرأ [٢٢٤/٩] قارىء في العزاء: ﴿يَتَأَبَّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا
شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ الآية [يوسف: ٧٨]، فبكى ابن عقيل بكاءً
شديداً.

على بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز^(١)، آخر من حدّث عن ابن مخلد
بجزء الحسن بن عرفة، وتفرّد بأشياء غيره أيضاً. تُوفّي فيها عن سبع وتسعين
سنة.

محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو بكر السمعاني^(٢)، سَمِعَ
الكثيرَ وحدث، ووعظ بالنظاميّة ببغداد، وأملّى بمزوّ مائة وأربعين مجلساً،
وكانت له معرفة تامّة بالحديث، وكان أديباً شاعراً فاضلاً، له قبولٌ عظيم، تُوفّي
بمزوّ عن ثلاث وأربعين سنة.

محمد بن أحمد بن طاهر بن حميد^(٣) أبو منصور، الخازن، فقيه الإماميّة
ومُفتيهم بالكرك، وقد سمع الحديث من التّونجيّ وابن غيّلان، وكانت وفاته في
رمضان^(٤).

(١) المنتظم ١٤٧/١٧، وفيه «الوزان»، وسير أعلام النبلاء ٢٥٧/١٩، وتذكرة الحفاظ ١٢٦١/٤،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٢٤٧، وشذرات الذهب ٢٧/٤.

(٢) إنباه الرواة ٢١٦/٣، ووفيات الأعيان ٢١٠/٣، وسير أعلام النبلاء ٣٧١/١٩، وتذكرة الحفاظ ١٢٦٦/٤،

١٢٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٢٥٩، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/٧.

(٣) في م: «أحمد». وانظر ترجمته في: المنتظم ١٥١/١٧، ومعجم الأدباء ٢٦٧/١٧، وإنباه الرواة

٤٨/٣، وفيه «محمد بن أحمد بن محمد»، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص

٢٥٤، ولسان الميزان ٣٨/٥.

(٤) الذي عليه المصادر أنه توفي في شعبان.

محمد بن علي بن محمد، أبو بكر النسوي^(١)، الفقيه الشافعي، سميع الحديث، وكانت إليه تزيكة الشهود بنسأ^(٢)، وكان فاضلاً دينا ورعاً.

مخفوط بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب الكلوزاني^(٣)، أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم، سميع الكثير، وتفقه بالقاضي أبي يغلى، وقرأ الفرائض على الوثني، ودرس وأفنى وناظر، وصنف في الأصول والفروع، وله شعر حسن، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه، يقول فيها^(٤):

دَع عَنْكَ تَذْكَارَ الْخَلِيطِ الْمُنْجِدِ وَالشُّوقَ نَحْوَ الْآنِسَاتِ الْخُرْدِ
وَالْتَّوَحُّ فِي تَذْكَارِ سُعْدَى إِنَّمَا تَذْكَارُ سُعْدَى شُغْلٌ مَن لَمْ يَسْعِدِ
وَاسْمَعْ مَقَالِي إِنْ أَرَدْتَ تَخْلُصًا يَوْمَ الْحِسَابِ وَخُذْ بِهَدْيِي تَهْتَدِ
وَذَكَرَ تَمَامَهَا وَهِيَ طَوِيلَةٌ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ
عَنْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ الْقَصْرِ، وَجَامِعِ الْمَنْصُورِ، وَدُفِنَ
بِالْقَرَبِ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

(١) المنتظم ١٧/١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ - ٥١٠ هـ) ص ٢٥٩.

(٢) في النسخ: «بيغداد». والمثبت من المنتظم.

(٣) المنتظم ١٧/١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/٣٤٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٠١ -

٥١٠ هـ) ص ٢٥١، والذيل على طبقات الحنابلة ١/١١٦، وشذرات الذهب ٤/٢٧.

(٤) الأبيات من قصيدة طويلة ذكرها بتمامها ابن الجوزي في المنتظم ١٧/١٥٣.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةً^(١)

فِي رَابِعِ عَشَرَ صَفَرٍ مِنْهَا انْكَسَفَ الْقَمَرُ كُسُوفًا كَلْبًا^(٢). وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ هَجَمَ الْفَرَنْجُ عَلَى رَيْصِ^(٣) حِمَاةَ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا، وَرَجَعُوا - لَعْنَهُمُ اللَّهُ - إِلَى بِلَادِهِمْ.

وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِيَعْدَادَ سَقَطَتْ مِنْهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، وَغَلَبَتِ الْعَلَّاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِيَعْدَادَ جَدًّا. وَفِيهَا قُتِلَ لَوْلُؤُ الْخَادِمِ الَّذِي كَانَ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَى مَمْلَكَةِ حَلَبَ بَعْدَ مَوْتِ أَسْتَاذِهِ رِضْوَانَ بْنِ تَشَشَ، قَتَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ الْأَثَرَاكِ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ حَلَبَ مُتَوَجِّهًا إِلَى جَعْفَرٍ، فَتَنَادَى جَمَاعَةٌ مِنْ مَمَالِيكِهِ وَغَيْرِهِمْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ: أَرْزَبْ أَرْزَبْ. فَرَمَوْهُ بِالسَّهَامِ مُوْهِمِينَ أَنَّهُمْ يَصِيدُونُ صَيْدًا فَقَتَلُوهُ.

وَفِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ السُّلْطَانِ غِيَاثِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهِ بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ابْنِ دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ^(٤)، مَلِكِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ، وَالْأَقَالِيمِ الْوَاسِعَةِ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ سِيرَةً، عَادِلًا رَحِيمًا الْقَلْبِ سَهْلَ الْأَخْلَاقِ مَحْمُودَ الْعِشْرَةِ، رَجَمَهُ اللَّهُ، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ

(١) المنتظم ١٧/١٥٦، والكامل ١٠/٥٢٥.

(٢) عيون التواريخ ١٢/٧٢.

(٣) الرُبُص: سور المدينة وما حولها. تاج العروس (ر ب ض).

(٤) المنتظم ١٧/١٥٩، مرآة الزمان ٨/١/٦٩، ونهاية الأرب ٢٦/٣٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث

ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٢٧٠، وشذرات الذهب ٤/٣٠.

استدعى وَلَدَه محمودًا وضمَّه إليه وبكى كُلُّ منهما، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة، وعمره إذ ذاك أَرْبَعُ عَشْرَةَ سَنَةً، فجلس وعليه التَّاجُ والسَّوارِ وَحَكَمَ، ولمَّا تُوفِّي أبوه صرف الخزائن إلى العساكر؛ وكان فيها أَحَدُ عَشَرَ أَلْفَ ألف دينار، واستقرَّ الملِكُ له، وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد، وكان عمرُ أبيه السلطان محمدٍ تسعًا وثلاثين سنةً وأربعةَ أشهرٍ وأيامًا، وقد كان خطب له ببغداد عدَّةَ مرَّاتٍ، ونازعه أخوه بزكياروق، ثم استقرَّ له الملِكُ إلى هذه السنة، رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

وفيهما وُلِدَ الملِكُ العادلُ نورُ الدين محمودُ بنُ زُنكي بنِ آق سُنقر، صاحبُ حلب ودمشق.

ومَن توفِّي فيها مِنَ الأعيان:

القاضي المُرْتَضَى أبو محمد، عبدُ الله بنُ القاسم [٢٢٤/٩ ظ] بنِ المظفر بن علي بنِ القاسم الشَّهْرُزُورِيِّ^(١)، والدُ القاضي جمال الدين محمد بنِ عبدِ الله الشَّهْرُزُورِيِّ، قاضي دِمَشقَ في أيامِ نور الدين، اشتغل ببغداد وتفقه بها، وكان شافعي المذهب، بارعًا دنيًّا، حسنَ النِّظَمِ، ثم عاد إلى بلده، فكان يعظُ ويتكلَّم على القلوب، وله قصيدةٌ بارعةٌ في علمِ التَّصَوُّفِ أوردَها القاضي ابنُ خَلِّكان^(٢) بتمامها؛ لحسنها وفصاحتها:

لَمَعَتْ نازُهُم وقد عَشَّسَ اللَّيْلُ لُ وِملَّ الحادِي وَحَارَ الدَّلِيلُ

(١) خريدة القصر ٣٠٨/٢، ووفيات الأعيان ٤٩/٣، وطبقات الشافعية للسبكي ١٢٦/٧، وطبقات

الشافعية للإسنوي ٩٧/٢، والنجوم الزاهرة ٢٣١/٥ (أحداث سنة عشرين وخمسائة).

(٢) وفيات الأعيان ٤٩/٣ - ٥١. وانظر القصيدة أيضًا في عيون التواريخ ٧٤/١٢ - ٧٦.

فتأملتُها وفكرى من البَيءِ من عليلٍ ولحظَ عيني كليلُ
وفؤادى ذاك الفؤادُ المعنى وغرامى ذاك الغرامُ الدخيلُ
ومن شعره^(١) :

ياليلُ ما جئتُكم زائراً إلاَّ وجذتُ الأرضَ تُطوى لى
ولا تنيثُ العزمَ عن بابكم إلاَّ تَعَثَّرْتُ بأذيالى
ومن شعره دُوبَيْتُ^(٢) :

يا قَلْبُ إلامَ لا يُفيدُ التَّضخُّعُ دَعْ مَرْحَكَ كَمْ جَنَى عَلَيْكَ المَرْخُ
ما جارحةُ منك عداها جُرْخُ ما تَشْعُرُ بالخمارِ حتى تَصْحُو
كانت وفاته فى هذه السنة . قال ابنُ خَلِّكانَ^(٣) : وزعمَ العمادُ فى
« الخريدة »^(٤) أنَّه تُوْفِيَ بعدَ العشرين . فاللهُ أَعْلَمُ .

محمدُ بنُ سعيد ، ابنُ نَبهان ، أبو عليّ الكاتب^(٥) ، سَمِعَ الحديثَ وروى ،
وعُمِّرَ مائةَ سنةٍ ، وتغيَّرَ قبلَ موته ، وله شِعْرٌ حسنٌ ، فَمِنَ ذلك قولُه فى قصيدته له^(٦) :
لى أَجَلٌ قَدَرَهُ اللهُ^(٧) نَعَمْ وَرِزْقٌ أَتَوْفَاهُ

(١) وفيات الأعيان ٥٢/٣ . وانظر عيون التواريخ ٧٧/١٢ .

(٢) وفيات الأعيان ٥١/٣ . وانظر عيون التواريخ ٧٦/١٢ والدوبيت : وزن فارسي غير داخل فى أوزان العروض العربية ، استحدثه أدباء الفرس ، وسمى كذلك لأنه لا يكون إلا بيتين . تاريخ آداب العرب للرافعى ٧٢/٣ .

(٣) وفيات الأعيان ٥٣/٣ .

(٤) خريدة القصر ٣٢١/٢ .

(٥) المنتظم ١٥٨/١٧ ، والمحمدون من الشعراء للقيطى ص ٤٨٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٥٥/١٩ ،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٢١ ، وعيون التواريخ ٧٣/١٢ .

(٦) الأبيات فى المنتظم ١٥٨/١٧ ، والمحمدون من الشعراء ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، وعيون التواريخ ٧٣/١٢ .

(٧) فى مصادر التخرىج : « خالقى » .

حتى إذا استوفيت منه الذي قُدر لي لا أتعداه
قال كرام كُنْتُ أَعْشَاهُمْ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ أَعْشَاهُ
صار ابنُ نَبْهَانَ إِلَى رَبِّهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ

أَمِيرُ الْحَاجِّ يُمْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو الْخَيْرِ الْمُسْتَظْهَرِيُّ^(١)، كَانَ جَوَادًا، كَرِيمًا،
مُتَدَحًّا، ذَا رَأْيٍ وَفِطْنَةٍ ثَابِتَةٍ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ^(٢) بْنِ
أَحْمَدَ^(٣) بْنِ طَلْحَةَ النَّعَالِيِّ بِإِفَادَةِ أَبِي نَضْرٍ الْأَصْبَهَانِيِّ، وَكَانَ يُؤْمُّ بِهِ فِي
الصلواتِ، وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولًا إِلَى أَصْبَهَانَ حَدَّثَ بِهَا. وَاتَّفَقَ وَفَاتُهُ فِي ربيعِ الْآخِرِ
مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَدُفِنَ هُنَاكَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) المنتظم ١٦٠/١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٢٥، وعيون
التواريخ ٧٣/١٢، والنجوم الزاهرة ٢١٤/٥.
(٢ - ٣) سقط من النسخ والمثبت من المنتظم، وانظر سير أعلام النبلاء ١٩/١٠١، والوفاء بالوفيات
٣٣٩/١٢.

ثم دخلت سنة ثنتى عشرة وخمسمائة

فيها^(١) خُطِبَ للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بأمر الخليفة المُستظهر بالله . وفيها سأل دُيُيُسُ بْنُ صَدَقَةَ بْنِ مَنْصُورِ الْأَسَدِيِّ مِنَ السُّلْطَانِ محمودٍ أَنْ يَزِدَّهُ إِلَى الْحِلَّةِ وَغَيْرِهَا ، مِمَّا كَانَ أَبُوهُ يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَوَلَّاهُ مَا كَانَ أَبُوهُ يَتَوَلَّاهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَعَظُمَ وَارْتَفَعَ شَأْنُهُ .

وفاة الخليفة المُستظهر بالله^(٢)

وهو أبو العباس أحمدُ بْنُ أميرِ المؤمنين المُقتدَى بأمرِ الله ، كان حَيِّراً فَاضِلاً ذَكِيّاً بَارِعاً ، كَتَبَ الْخَطَّ الْمَشُوبَ ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ يَتَغَدَّادُ كَأَنَّهَا الْأَغْيَادُ ، وَكَانَ رَاغِباً فِي الْبِرِّ وَالْخَيْرَاتِ مُسَارِعاً إِلَى ذَلِكَ ، لَا يَزِدُّ سَائِلاً ، وَكَانَ جَمِيلَ الْمَعَاشِرَةِ لَا يُضْغِي إِلَى أَقْوَالِ الْوُشَاةِ فِي النَّاسِ ، وَلَا يَتَّقُ بِالْمُبَاشِرِينَ ، قَدْ ضَبَطَ أُمُورَ الْخِلَافَةِ جَيِّدًا ، وَأَحْكَمَهَا وَعَرَفَهَا وَعَلِمَهَا ، وَلَدَيْهِ عِلْمٌ كَثِيرٌ وَفَضْلٌ كَبِيرٌ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ قَدْ ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا عِنْدَ ذِكْرِ خِلَافَتِهِ بَعْدَ وَالِدِهِ ، وَقَدْ وَلَّى عَسَلَهُ الْإِمَامُ ابْنُ عَقِيلٍ وَابْنُ الشُّنِّيِّ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ وَلَدُهُ أَبُو مَنْصُورِ الْفَضْلُ ، وَكَبُرَ أَرْبَعًا ، وَدُفِنَ فِي حُجْرَةٍ كَانَ يَسْكُنُهَا .

(١) المنتظم ١٧/١٦١ ، والكامل ١٠/٥٣٣ .

(٢) المنتظم ١٧/١٦٥ ، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١٢/٢٦ ، والإنباء في تاريخ الخلفاء ص ٢٠٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/٣٩٦ ، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٢٦ .

والعجب أنه لما مات السلطان ألب أرسلان مات بعده الخليفة القائم بأمر الله، ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده الخليفة المقتدى بأمر الله، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده الخليفة المستظهر بالله، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وكانت وفاة المستظهر بالله، في سادسَ عشرَ ربيعِ الآخرِ من هذه السنة، وله من العمر إحدى وأربعون سنة، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً.

[٢٢٥/٩] خِلافةُ المُستَرشِدِ باللهِ أميرِ المؤمنينِ أبي منصورِ الفضلِ بنِ المُستَظهِرِ

لما توفى أبوه - كما ذكرنا - بُويعَ له بالخلافة، وخطبَ له على المنابر وقد كان ولي العهد من مدة ثلاثة وعشرين سنة، وكان الذي أخذ البيعة له قاضي القضاة أبو الحسن الدامغانى، ولما استقرت البيعة له هرب أخوه أبو الحسن في سفينة ومعه ثلاثة نفر، وقصد دئيس بن صدقة بن منصور بن دئيس بن علي بن مزيد الأسدي بالحلة، فأكرمه وأحسن إليه، فقلق المسترشد بالله من ذلك،^(١) فراسل دئيساً في ذلك مع نقيب الثقباء الزينبي، فهرب أخو الخليفة من دئيس^(٢)، فأرسل إليه جيشاً فألجئوه إلى البرية، فلحقه عطش شديد، فلقية بدويان فسقياه ماءً، وحملاه إلى بغداد^(٣)، فأخضره أخوه إليه فاعتنقا وتباكيا، وأنزله الخليفة داراً كان يسكنها قبل الخلافة، وأحسن إليه، وطيب نفسه، وكان مدة غيبيه عن بغداد أحد عشر شهراً، واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد.

وفي هذه السنة كان غلاء شديد ببغداد، وانقطع الغيث وعدمت الأقوات، وتفاقم أمر العيارين، ونهبوا الديارات نهاراً جهاراً، ولم تستطع الشرطة لذلك

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) المذكور في الكامل ٥٣٨/١٠ أن البدويين حملا الأمير أبا الحسن إلى ديبس، فسيره إلى بغداد.

تغييراً ولا إنكاراً .

وحجَّ بالناس في هذه السنة نَظَرُ الخَادِمِ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الحليفةُ المُستَظْهَرُ بِاللَّهِ ، كما تقدَّم ذِكرُ ذلك آنفاً في هذا العام .

تُوْفِيَتْ بعدهُ جدُّته أُمُّ أَبِيهِ الْمُقْتَدِي ، أَرْجَوَانُ الْأَرْمِينِيَّةِ^(١) ، وتُدْعَى قُرَّةَ الْعَيْنِ ، وكان لها بَرٌّ كَثِيرٌ ، ومَعْرُوفٌ وَصَدَقَاتٌ ، وقد حَجَّتْ ثَلَاثَ حَجَّاتٍ ، وَأَذْرَكَتْ خلافةَ ابنِها الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ ، وخلافةَ ابنِهِ المُستَظْهَرِ ، وخلافةَ ابنِهِ المُستَترِشِدِ ، ورَأَتْ للمستَرشِدِ وَلَدًا ، وكانت وفاتها في هذه السنة ، رَحِمَهَا اللَّهُ تعالى .

بَكَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْفَضْلِ ، أَبُو الْفَضْلِ الْأَنْصَارِيُّ^(٢) ، رَوَى الحديثَ ، وكان يُضْرَبُ به المثلُ في حِفْظِ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَتَفَقُّهُ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَلَوَاتِيِّ^(٣) ، وكان يَذْكُرُ الدُّرُوسَ مِنْ أَيْ مَوْضِعٍ سُئِلَ مِنْ غَيْرِ مُطَالَعَةٍ وَلَا مُرَاجَعَةٍ ، وَرُبَّمَا كَانَ فِي ابْتِدَاءِ طَلَبِهِ يُكَرِّرُ الْمَسْأَلَةَ أَرْبَعَمِائَةٍ مَرَّةً . وكانت وفاته في شعبانَ مِنْ هذه السنة .

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الزَّيْنَبِيِّ^(٤) ، قرأ القرآنَ ، وسمع الحديثَ ، وَتَفَقُّهُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيِّ ،

(١) المنتظم ١٦٥/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٢/١٩ (ترجمة المستظهر بالله) ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٢٩ .

(٢) المنتظم ٢٠٠/٩ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٥/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٢٩ ، وعيون التواريخ ٨٦/١ ، والجواهر المضية ٤٦٥/١ .

(٣) نسبة إلى عمل الحلوى وبيعها . انظر سير أعلام النبلاء ١٧٧/١٨ .

(٤) المنتظم ١٦٦/١٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٣٢ ، والمعين في طبقات المحدثين ص ١٥٠ ، وعيون التواريخ ٨٧/١٢ ، والجواهر المضية ١٣٣/٢ ، وفيه : الحسين بن نظام ابن الخضر بن محمد بن أبي الحسن علي الزينبي ، أبو طالب المعروف بنور الهدى . والوافي بالوفيات ٤١/١٣ ، وشذرات الذهب ٣٤/٤ .

فبرع وأُتِيَ ودرّس بمشهد أبي حنيفة، ونظر في أوقافها، وانتهت إليه رئاسة مذهب أبي حنيفة، ولُقّب نُورُ الْهُدَى، وسار في الرّسالية إلى الملوك، وولّى نقابة الطالبين والعباسيين، ثم استغفى بعد شهر، فولّى أخوه طراد نقابة العباسيين، وكانت وفاته يوم الاثنين الحادى عشر من صفر، وله من العمر ثنتان وتسعون سنة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم على، وحضره الأعيان والعلماء، ودُفِنَ عند قبر أبي حنيفة داخل القبّة، رحمه الله.

يُوسُفُ بْنُ أَحْمَدَ، أَبُو طَاهِرٍ^(١) وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْخَزَزِيِّ، صَاحِبُ الْخَزَنِ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَظْهِرِ، وَكَانَ لَا يُؤْفَى الْمُسْتَرَشِدَ حَقَّهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَهُوَ وَلِيٌّ عَهْدٍ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ صَادَرَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ غُلَامًا لَهُ فَأَوْمَأَ إِلَى بَيْتٍ، فَوُجِدَ فِيهِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، فَأَخَذَهَا الْخَلِيفَةُ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتِهِ بَعْدَ هَذَا بِقَلِيلٍ فِي هَذَا الْعَامِ.

أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْخَازَنِ^(٢)، كَانَ أَدِيبًا لَطِيفًا شَاعِرًا فَاضِلًا، فَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ^(٣):

وَافَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرْ صَاحِبًا إِلَّا تَلَقَّانِي بِوَجْهِ ضَاحِكٍ
[٢٢٥/٩ ظ] وَالْبُشْرُ فِي وَجْهِ الْغُلَامِ نَتِيجَةٌ لِمُقَدِّمَاتِ ضِيَاءِ وَجْهِ الْمَالِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَحِيمَهُ فَشَكَرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةً مَالِكِ

(١) المنتظم ١٧/١٦٨.

(٢) المنتظم ١٧/١٧٠، والكامل ١٠/٥٤٦، والنجوم الزاهرة ٥/٢١٨.

(٣) الأبيات في المنتظم ١٧/١٧٠، والكامل ١٠/٥٤٦.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ^(١)

ففيها كانت الحروبُ الشديدةُ بينَ السلطانِ محمودٍ بنِ محمدٍ بنِ مَلِكْشاهٍ وبينَ عمِّه السلطانِ سَنَجَرِ بنِ مَلِكْشاهٍ . فكان النصرُ فيها لِسَنَجَرٍ ، فخطبَ له ببغدادَ في سادِسَ عَشَرَ جُمادى الأولى من هذه السَنَةِ ، وقُطِعَت خُطْبَةُ^(٢) السلطانِ محمودٍ ثم وَقَعَ الصلحُ بينهما ورسمَ السلطانُ سَنَجَرُ أن يُخطَبَ^(٣) لابنِ أخيه محمودٍ في سائرِ أَعْمَالِهِ بَعْدَهُ .

وفيهما سارَتِ الفِرْجُ إلى مدينةِ حَلَبَ ففَتَحَها عَنَوَةً وملكوها ، فسارَ إليهم صاحبُ مَارِدِينَ إِيْلَغَازِي بنُ أُرْتُقَ في جيشٍ كثيفٍ ، فهزَمَهم عنها ولحقَهم إلى جبلٍ قد تحصَّنوا فيه ، فقتلَ منهم هُنالك مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، ولِلَّهِ الحمدُ ، ولم يُقْلَتْ منهم إلا اليسيرُ ، وأَسَرَ مِنْ مُقَدِّمِهِمْ نَيْفًا وسبعين^(٤) رجُلًا ، وقُتِلَ فِيمَنْ قُتِلَ سرخالُ^(٥) صاحبُ أنطاكيَّةَ ، وحُمِلَ رأسُه إلى بغدادَ ، فقالَ بعضُ الشعراءِ في ذلك - وقد بالغَ مُبالغةً فاجِشَّةً^(٥) - :

قُلْ ما تشاءُ فقولُك المقبولُ وعليكَ بعدَ الخالقِ التَّعْويلُ

(١) المنتظم ١٧/١٧١ ، والكامل ١٠/٥٤٧ .

(٢) ٢ - ٢ سقط من : خ ، م .

(٣) في م : « تسعين » .

(٤) في م ، والكامل ١٠/٥٥٥ : « سيرجان » . وانظر عيون التواريخ ١٢/٨٩ .

(٥) الكامل ١٠/٥٥٥ ، وعيون التواريخ ١٢/٨٩ .

وَاسْتَبَشَرَ الْقُرْآنَ حِينَ نَصَرَتْهُ وَبَكَى لِفَقْدِ رِجَالِهِ الْإِنْجِيلُ
وَفِيهَا قُتِلَ الْأَمِيرُ مَنكُورُسُ^(١) الَّذِي كَانَ شِخْنَةً بَغْدَادَ^(٢)، وَكَانَ ظَالِمًا غَاشِمًا
سَيِّئَ السَّيْرِ، قَتَلَهُ الْمَلِكُ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَلِكْشَاهٍ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَمْرِ؛
مِنْهَا أَنَّهُ تَزَوَّجَ سُرِّيَّةً أَبِيهِ قَبْلَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا، وَنِعَمَ مَا فَعَلَ، وَقَدْ أَرَاخَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ
مِنْهُ، قَبَّحَهُ اللَّهُ مَا كَانَ أَظْلَمَهُ وَأَغْشَمَهُ.

وَفِيهَا تَوَلَّى قَضَاءَ قُضَاةِ بَغْدَادَ الْأَكْمَلُ أَبُو الْقَاسِمِ، ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ، الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّزِينِيِّ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ
الدَّامَغَانِيِّ. وَفِيهَا ظَهَرَ قَبْرُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَقَبْرُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ. وَشَاهَدَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَلَمْ تَبَلْ أَجْسَادُهُمْ، وَعِنْدَهُمْ قَنَادِيلُ مِنْ ذَهَبٍ
وَفُضِيَّةٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْخَازِنِ فِي «تَارِيخِهِ»، وَأَظْنَهُ^(٣) نَقَلَهُ مِنْ «الْمُنْتَظَمِ»
لِابْنِ الْجَوَازِيِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

ابْنُ عَقِيلٍ، عَلِيُّ بْنُ عَقِيلٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ، أَبُو الْوَفَاءِ^(٤)، شَيْخُ الْخَنَابِلَةِ
بِغْدَادَ، صَاحِبُ «الْفُنُونِ» وَغَيْرِهَا مِنَ التَّصَانِيفِ الْمَفِيدَةِ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى

(١) فِي الْأَصْلِ: «مَنكُورُ بْنُ»، وَفِي خ: «شَكَر»، وَفِي م، وَالْكَامِلُ: «مَنكُورُسُ»، وَفِي ص:
«مَنكُورُسُ». وَالتَّحْقِيقُ مِنْ عَيُونِ التَّوَارِيخِ ٨٩/١٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥١١ - ٥٢٠ هـ)
ص ٢٧٩.

(٢) الشَّخْصَةُ: مَنْ فِيهِمُ الْكَفَايَةُ لِمُضَبَّطِهَا مِنْ أَوْلِيَاءِ السُّلْطَانِ، وَصَارَ يُطْلَقُ عَلَى رَئِيسِ الشَّرْطَةِ. لِسَانُ
الْعَرَبِ (ش ح ن) وَمَعْجَمُ الْمَصْطَلَحَاتِ وَالْأَلْقَابِ التَّارِيخِيَّةِ: ٢٦٩.

(٣) فِي م: «أَطَالَ».

(٤) طَبَقَاتُ الْخَنَابِلَةِ ٢٥٩/٢، وَالْمُنْتَظَمُ ١٧٩/١٧، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٤٤٣/١٩، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ
(حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٤٩، وَطَبَقَاتُ الْمَفْسَرِينَ ٤١٧/١، وَالْوَفَايَاتُ بِالْوَفَايَاتِ
٣٢٦/٢١.

وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ القرآن على ابن شيطاً^(١) ، وسمع الحديث الكثير ، وتفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء ، وقرأ الأدب على ابن بوهان ، والفرائض على عبد الملك الهمداني^(٢) ، والوعظ على أبي طاهر بن العلاف ، صاحب ابن سَمْعُون^(٣) ، والأصول على أبي الوليد المعتزلي ، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، فربما لامه بعض أصحابه فلا يلوى عليهم ، فلهذا برز على أقرانه وبدا أهل زمانه في فنون كثيرة ، مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال ، وقد وعظ في بعض الأحيان ، فوقعت فتنة فترك ذلك ، وقد متعه الله بجميع حواسه إلى حين موته ، وكانت وفاته بكرة الجمعة ثاني جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وقد كانت جنازته حافلة جداً ، ودُفن قريباً من قبر الإمام أحمد ، إلى جانب الخادم مخلص ، رحمه الله .

علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن [٢٢٦/٩] عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه ، أبو الحسن الدامغانى^(٤) قاضى القضاة ابن قاضى القضاة ، وُلد في رجب سنة تسع^(٥) وأربعين^(٦) وأربعمائة ،

(١) فى خ : « سبط » ، وفى م : « سبطا » .

(٢) فى النسخ ، وعيون التواريخ ٩٠ / ١٢ : « الهمدانى » . والمثبت من المنتظم ١٧ / ١٨٠ . وسير أعلام النبلاء ٣١ / ١٩ ، وذيل طبقات الحنابلة ١ / ١٤٢ .

(٣) فى عيون التواريخ : « شمعون » .

(٤) المنتظم ١٧ / ١٧٥ ، والعبر ٤ / ٣٠ ، وعيون التواريخ ٩١ / ١٢ ، ومرآة الجنان ٣ / ٢٠٤ ، وفيه : « أبو الحسين الدامغانى » ، وشذرات الذهب ٤ / ٤٠ ، والنجوم الزاهرة ٥ / ٢١٩ .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « ست » . والمثبت من المنتظم ١٧ / ١٧٥ ، وانظر النجوم الزاهرة ٥ / ٢١٩ .

(٦) سقط من : الأصل ، ص .

(١) واشتغل وبرع وتولّى قضاء القضاة بعد أبيه ، ثم عُزل بأبي بكر الشاشي ، ثم أُعيد إلى الحكم . قال ابن الجوزي (٢) : ولا يُعرف حاكم ولى الحكم أصغر سنًا منه - يعنى ببغداد - من قضاة القضاة . وقال (٣) : ولا يُعرف حاكم ولى الحكم لأربعة من الخلفاء غيره ، إلا شريح ، ثم ذكر من أمانته وديانته ما يدل على تحرّيه ، وتوقيه وقوّته ، رحمه الله ، وقد ولى الحكم أربعاً (٤) وعشرين سنة ، (٥) كذلك كانت وفاته فى المحرم من هذه السنة عن ثلاث وستين (٦) وستة أشهر ، وقبره عند مشهد أبي حنيفة .

المبارك بن علي بن الحسين ، أبو سعيد المخرمي (٧) ، سميع الحديث ، وتفقه على مذهب أحمد ، وناظر وأفتى ودرس ، وجمع كتباً كثيرة لم يسبق إلى مثلها ، وناب فى القضاء ، وكان حسن السيرة جميل الطريقة ، سديد الأقضية ، وقد بنى مدرسة بباب الأزج ، وهى المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي ، ثم عُزل عن القضاء وضودر بأموال جزيلة ، وذلك فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وكانت وفاته فى المحرم من هذه السنة ، ودُفن إلى جانب أبي بكر الخلال عند قبر أحمد .

(١ - ١) فى م : « وولى القضاء بباب الطاقة من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة » .

(٢) المنتظم ١٧ / ١٧٥ .

(٣) فى النجوم الزاهرة ٥ / ٢١٩ : « تسعا » .

(٤ - ٤) سقط من : خ ، م .

(٥) المنتظم ١٧ / ١٨٣ ، والعبر ٤ / ٣١ ، وعيون التواريخ ١٢ / ١٠٢ ، وفيه : « المخزمى » ، ومراة الجنان ٣ /

٢٠٥ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١ / ١٦٦ .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة^(١)

في النصف من ربيع الأول كانت وقعة عظيمة بين الأخوين السلطانيين محمود ومسعود، ابني محمد بن ملكشاه عند عقبة أسداباذ^(٢)، فانهزم عسكر مسعود، وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبي إسماعيل، فقتل وله نيف وستون سنة، وله تصانيف في صناعة الكيمياء. ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان، واستقدمه عليه، فلما اجتماعا اعتنقا وبكيا واصطلحا.

وفيها نهب دئيس بن صدقة صاحب الحلة البلاد، وركب بنفسه إلى بغداد، فنصب خيمة بإزاء دار الخلافة، وأظهر ما في نفسه من الضغائن، وذكر كيف طيف برأس أبيه في البلاد، وتهدد المسترشد، فأرسل إليه الخليفة يسكن جأشه ويعده أنه سيصلح بينه وبين السلطان محمود، فلما قدم السلطان بغداد أرسل دئيس يستأمن، فأمنه وأجراه على عادته، ثم إنه نهب جيش السلطان، فركب السلطان محمود بنفسه لقتاله واستصحب معه ألف سفينة ليعبر بها إلى الحلة، فهرب دئيس من بين يديه والتجأ إلى إيلغازي فأقام عنده سنة، ثم عاد إلى الحلة وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر إليهما، فلم يقبلا منه، وجهز السلطان إليه جيشا فحاصروه وضيّقوا عليه قريبا من سنة، وهو في منيع بلاده لا يتمكن الجيش من الوصول إليه في تلك الأماكن.

(١) المنتظم ١٧/١٨٥، والكامل ١٠/٥٦٢.

(٢) أسداباذ: مدينة بين العراق وهمدان. معجم البلدان ١/٢٤٥.

وفيهما كانت الوقعة العظيمة بين الكُرج والمسلمين بالقرب من تَفْلَيْسَ ، ومع الكُرج كُفَّارُ الْقُفْجَاقِ ^(١) فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً ، وغَنِمُوا أموالاً جزيلاً ، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير ، فإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون . ونَهَبَتِ الكُرجُ تلكَ النواحيَ وفعلوا أشياءً مُنْكَرَةً ، وحاصروا تَفْلَيْسَ مدةً ثم ملكوها عَنوةً ، بعد ما أَحْرَقُوا القاضى والخطيبَ حينَ خرجوا إليهم يطلبون الأمانَ ، وقتلوا عامَّةً [٢٢٦/٩ ظ] أهلها ، وسَبَوْا الذريةَ واستَحَوذُوا على الأموالِ ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . وفيها أغَارَ جوسليش ^(٢) الفَرَنْجِيُّ صاحبُ الرُّها على خلقي من العربِ والتُّركمانِ فقتلهم وغنم أموالهم .

وفيهما تَمَرَّدَتِ العَيَّارُونَ ببغدادَ وأخذوا الدُّورَ جَهَارًا ، ليلاً ونَهَارًا ، فحشَبْنَا اللَّهَ ونعمَ الوَكِيلُ .

وفى هذه السنة كان ابتداءُ مُلْكِ محمد بنِ ثُوَمَرَتَ ببلادِ المَغْرِبِ ، كان ابتداءُ أمرِ هذا الرجلِ أَنَّهُ قديمٌ فى حَدَاثَةِ سَنَتِهِ مِنْ بلادِ المَغْرِبِ إِلَى بغدادَ فسكنَ النُّظَامِيَّةَ ، واشتغلَ بالعلمِ فَحَصَّلَ جانبًا جَيِّدًا مِنَ الفُروعِ والأصولِ عَلَى العَزَّالِيِّ وغيرِهِ ، وكان يُظهِرُ التَّعَبُّدَ والزَّهْدَ والوَرَعَ ، ورُبَّمَا أَنْكَرَ عَلَى العَزَّالِيِّ حُسْنَ مَلَابِسِهِ ، ولا سِيَّما حينَ لَيْسَ خِلْعَةَ التدريسِ بالنُّظَامِيَّةِ ، ثم حجَّ وعادَ إِلَى بلادِهِ ، فكان يَأْمُرُ بالمعروفِ وَيَنْهَى عَنِ المنكرِ ، ويُقَرِّئُ الناسَ القرآنَ ويشغَلُهُم فى الفِقْهِ ، فطارَ ذِكْرُهُ فى الناسِ ، واجتَمَعَ به يَحْيَى بنُ تَمِيمِ بنِ المَعِزِّ بنِ باديسَ صاحبُ بلادِ إِفْرِيقِيَّةَ ،

(١) فى الأصل : « الفجاق » ، وفى م : « الفججاق » ، وفى ص : « التنجاق » . وانظر الكامل ٥٦٧/١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٢٨٣ ، وعيون التواريخ ١٠٤/١٢ .
(٢) فى الأصل ، ص : « جوسكير » ، وفى م : « جوسكين » . وانظر الكامل ٥٨٧/١٠ ، وعيون التواريخ ١٢٠ ، ١٠٤/١٢ .

فَعِظَّمَهُ وَأَكْرَمَهُ وَسَأَلَهُ الدَّعَاءَ، فَاشْتَهَرَ أَيْضًا بِذَلِكَ وَبَعْدَ صَيْئِهِ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا رِكْوَةٌ وَعَصَا، وَلَا يَشْكُنُ إِلَّا الْمَسَاجِدَ، ثُمَّ كَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى دَخَلَ مَرَاكُشَ وَمَعَهُ تَلْمِيزُهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ، وَكَانَ قَدْ تَوَسَّعَ فِيهِ النَّجَابَةُ وَالشَّهَامَةُ، فَرَأَى فِيهَا مِنَ الْمُتَنَكَّرَاتِ أَضْعَافَ مَا رَأَى فِي غَيْرِهَا؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الرِّجَالَ يَتَلَثَّمُونَ وَالنِّسَاءَ يَمِشِينَ حَاسِرَاتٍ عَنْ وُجُوهِهِنَّ، فَأَخَذَ فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُ اجْتَازَ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أُخْتُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ «عَلِيَّ بْنِ «يُوشَفَ» «بْنِ تَاشُفِينَ» مَلِكِ مَرَاكُشَ وَمَا حَوْلَهَا، وَمَعَهَا نِسَاءٌ رَاكِبَاتٌ حَاسِرَاتٍ عَنْ وُجُوهِهِنَّ، فَشَرَعَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِنَّ، وَيَضْرِبُونَ الدُّوَابَّ، فَسَقَطَتْ أُخْتُ الْمَلِكِ عَنْ دَابَّتِهَا، فَأَحْضَرَهُ الْمَلِكُ وَأَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ فَظَهَرَ عَلَيْهِمُ بِالْحُجَّةِ، وَأَخَذَ يَعِظُ الْمَلِكَ فِي نَفْسِهِ^(٢)، وَمَعَ هَذَا نَفَاهُ عَنْ بَلَدِهِ، فَشَرَعَ يُشْنَعُ عَلَيْهِ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى قِتَالِهِ، فَاتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ ابْنُ تَاشُفِينَ جَيْشًا كَثِيفًا فَهَزَمَهُمْ ابْنُ ثُومَرْتٍ، فَعَظُمَ شَأْنُهُ وَارْتَفَعَ أَمْرُهُ، وَقَوِيَتْ شُوكَتُهُ، وَتَسَمَّى بِالْمَهْدِيِّ، وَسَمَّى جَيْشَهُ جَيْشَ الْمُوَحِّدِينَ وَأَلَّفَ كِتَابًا فِي التَّوْحِيدِ، وَعَقِيدَةً تُسَمَّى الْمُزْشِدَّةَ، ثُمَّ كَانَتْ لَهُ وَقَعَاتٌ مَعَ جِيوشِ ابْنِ تَاشُفِينَ، فَقَتَلَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَذَلِكَ بِإِشَارَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْوَنْشَرِيْسِيِّ^(٣)، وَكَانَ ذَكَرَ أَنَّهُ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلِكٌ، وَعَلَّمَهُ الْقُرْآنَ وَ«الْمَوْطَأَ»، وَلَهُ بِذَلِكَ مَلَائِكَةٌ يَشْهَدُونَ بِهِ فِي بَيْتِ سَمَاهُ، فَلَمَّا اجْتَازَ بِهِ وَقَدْ أَرْصَدَ فِيهِ رِجَالًا، فَلَمَّا سَأَلَهُمُ وَالنَّاسُ يَسْمَعُونَ شَهِدُوا لَهُ

(١ - ١) سقط من: خ، م.

(٢) بعده في خ، م: «حتى أبكاه».

(٣) في الأصل، ص: «التوبشري»، وفي خ، م: «التومرتي»، وكذا في المواضع التالية. والمثبت من عيون التواريخ ١٠٥/١٢. وانظر وفيات الأعيان ٤٨/٥، ومراة الجنان ٣/٢٤٠.

والونشريسي: نسبة إلى ونشريس وهي بليدة بإفريقية من أعمال بجاية بين باجة وقسطنطينة المغرب. وفيات الأعيان ٥٥/٥.

بذلك ، فأمر جيتنذ بطم البئر عليهم فهلكوا عن آخرهم ، ولهذا يقال : مَنْ أَعَانَ ظالماً سُلِّطَ عليه .

ثم جهَّز ابنُ تومرتَ الذى لَقَّبَ نفسه بالمَهْدِيّ جيشاً عليهم أبو عبدِ اللهِ الوُشْرَيْسِيّ وعبدُ المؤمنِ مُحاصِرةً مَرَّاكُشَ ، فخرج إليهم أهلُها فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، فكان فى جملةٍ من قُتِلَ أبو عبدِ اللهِ الوُشْرَيْسِيّ هذا الذى زعم أنَّ الملائكةَ تُخاطِبُه ، ثم افتقدوه فى القَتْلِ فلم يجدوه ، فقالوا : رَفَعَتْهُ الملائكةُ ، وقد كان عبدُ المؤمنِ دَفَنَه والناسُ فى المِغْرَكَةِ ، وقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ المَهْدِيّ [٢٢٧/٩] خلقٌ كثيرٌ ، وقد كان حينَ جهَّزَ الجيشَ مريضاً مُدْنِفاً ، فلَمَّا جاءه الخبرُ ازدادَ مَرَضاً إلى مرضه ، وساءَ قتلُ أبى عبدِ اللهِ الوُشْرَيْسِيّ ، وجعل الأمرُ مِنْ بَعْدِهِ لعبِدِ المؤمنِ بنِ عَلى ، ولَقَّبَه أميرُ المؤمنينَ ، وقد كان شابّاً حَسَنًا حازِماً عَاقِلاً . ثم مات ابنُ تومرتَ ، وقد أَتَتْ عليه إحدى وخمسون سنةً ، ومدةُ مُلْكِهِ عَشْرُ سِنِينَ . وَحينَ صارَ الأمرُ إلى عبدِ المؤمنِ بنِ عَلى أَحْسَنَ إلى الرِّعَايَا ، وَظَهَرَ مِنْهُ سيرةٌ جَيِّدةٌ فَأَحْبَبَهُ الناسُ ، وَاتَّسَعَتْ مَمَالِكُهُ ، وَكَثُرَتْ جُيُوشُهُ وَرَعِيَّتُهُ ، وَنَصَبَ العداوةَ لابنِ تاشُفِينِ صاحبِ مَرَّاكُشَ ، وَلَمْ يَزَلِ الحربُ بَيْنَهُمَا إلى سنةِ خمسٍ وَثَلَاثِينَ ، فَمَاتَ ابنُ تاشُفِينِ فَقَامَ وَلَدُهُ تاشُفِينُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَمَاتَ فى سنةِ تِسْعِ وَثَلَاثِينَ لَيْلَةً سَبْعِ وَعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَوَلَّى أَخُوهُ إِسْحَاقُ بْنُ عَلى بْنِ يُوْسُفَ ابنِ تاشُفِينِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ عبدُ المؤمنِ فَمَلَكَ تِلْكَ النَوَاجِي ، وَفَتَحَ مَدِينَةَ مَرَّاكُشَ ، وَقَتَلَ هُنَالِكَ أُمَّماً لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَقَتَلَ مَلِكَهَا إِسْحَاقَ وَكَانَ صَغِيرَ السِّنِّ فى سنةِ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، فَكَانَ إِسْحَاقُ هَذَا آخِرَ مُلُوكِ المُرَابِطِيِّينَ ، وَكَانَ مَدَّةُ مُلْكِهِمْ سَبْعِينَ سَنَةً .

والذين ملكوا منهم أربعة؛ عليّ ووالده يوسف، وولده^(١) تاشفين^(٢)
واسحاق ابنا عليّ المذكور.

فاستوطن عبد المؤمن مدينة مراكش، واستقرّ ملكه بتلك النواحي، وظفر في
سنة ثلاث وأربعين بدكالة^(٣) وهي قبيلة عظيمة نحو مائتي ألف رجل وعشرين
ألف فارس مقاتل من الشجعان الأبطال، فقتل منهم خلقا كثيرا، وجنما غفيرا،
وسبى ذراريهم وغنم أموالهم حتى إنه ائتمعت الجارية الحسناء بدراهم معدودة،
وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلدا في أحكامه وأيامه، وكيف
تملك ببلاد المغرب، وما كان يتعاطاه من الأشياء التي توهّم أنها أحوال برّة، وهي
محال لا تصدُر إلا عن فجرة، وما قتل من الناس وأزحق من الأنفس.

ومن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن عبد الوهاب بن السبيي^(٤) أبو البركات، أسند الحديث وكان
يعلم أولاد الخليفة المستظهر، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولأه المخزن،
وكان كثير الأموال والصدقات، يتعاهد أهل العلم، وخلف مالا كثيرا خزر بمائة
ألف دينار، أوصى منه بثلاثين ألف دينار لمكة والمدينة، وكانت وفاته في هذه
السنة عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر، وصلى عليه الوزير أبو علي بن
صدقة، ودفن بباب حرب.

(١) في عيون التواريخ ١٠٦/١٢: «والده». وانظر وفيات الأعيان ١٢٦/٧.

(٢) في خ: «أباشقين»، وفي م: «أبو سفيان».

(٣) دكالة: بلد بالمغرب يسكنه البربر. معجم البلدان ٥٨١/٢.

(٤) في خ، م: «السنى» وانظر ترجمته في: نزهة الألباء ص ٣٨٥، والمنظم ١٧/١٨٨، والكمال

٥٨٧/١٠، ومرة الزمان ٩١/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٦٢.

عبد الرحيم بن عبد الكريم^(١) بن هوازن، أبو نصر القشيري، قرأ على أبيه وإمام الحرمين، وروى الحديث عن جماعة، وكان ذا ذكاء وفطنة، وله خاطر حاضر جرىء، ولسان ماهر فصيح، وقد دخل بغداد فوعظ بها، فوقع بسببه فتنة بين الخنابلة والشافعية، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى، وأمر ابن القشيري بالخروج من بغداد لإطفاء الفتنة، فعاد إلى بلده، كانت وفاته في هذه السنة.

عبد العزيز بن علي بن عمر^(٢)، أبو حامد الدينوري، كان كثير المال والصدقات، ذا حشمة ومروءة ووجهة عند الخليفة، وقد روى [٢٢٧/٩] الحديث ووعظ، وكان مليح الإيراد لحلو المنطق، وكانت وفاته بالرقي في هذه السنة.

(١) في خ، م: «الكبير». وانظر ترجمته في: المنتظم ١٧/١٩٠، ووفيات الأعيان ٣/٢٠٧ مع ترجمة أبيه، وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٢٤، وفوات الوفيات ٢/٣١٠، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/١٥٩.
(٢) في الأصل، ص، خ: «محمد»، وفي م: «حامد». والمثبت من مصادر ترجمته؛ المنتظم ١٧/١٩٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٧١، ومراة الزمان ٨/١/٩٥.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة^(١)

فيها أقطع السلطان محمود الأمير إيلغازي مدينة ميافارقين^(٢)، فبقيت في يد أولاده إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب، في سنة ثمانين. وفيها أقطع أيضا آق شنقر البرسقي^(٣) مدينة الموصل، وأمره بقتال الفرنج. وفيها حاصر بلك^(٤) بن بهرام - وهو ابن أخي إيلغازي - مدينة الرها، فأسر ملكها جوسلين^(٥) الفرنجي وجماعة من رُعوس أصحابه وسجنهم بقلعة خزيرت^(٦).

وفيها هبت ريح سوداء بمصر، فاستمرت ثلاثة أيام، فأهلك خلقا كثيرا من الناس والدواب والأنعام.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز، فتضعع بسببها الركن اليماني، زاده الله شرفا، وتهدم بعضه، وتهدم شئ من حرم رسول الله ﷺ بالمدينة النبوية.

(١) المنتظم ١٧/١٩٢، والكامل ١٠/٥٨٨.

(٢) في الأصل: «الرسقي»، وفي خ، م: «البرسقي»، وفي ص: «الرسقي». والمثبت من الكامل ١٠/٥٨٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٢٨٩.

(٣) في خ، م: «ملك»، وفي ص: «تلك». وانظر عيون التواريخ ١٢/١٢٠.

(٤) في الأصل: «حوسكير»، وفي خ، م، ص: «جوسكين». والمثبت من الكامل ١٠/٥٩٣، وعيون التواريخ ١٢/١٢٠.

(٥) في الأصل: «حرموت»، وفي ص: «خرهوت». وخرتبرت: هو حصن بأقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين. معجم البلدان ٢/٤١٧.

وفيهما ظهر رجلٌ علويٌّ بمكةَ ، كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فاتبعه ناسٌ كثيرٌ ، فنقاه صاحبها ابنُ أبي هاشم إلى البحرين .

وفيهما احترقت دارُ السلطان بأصبهانَ ، فلم يبقَ فيها شيءٌ من الأثاث والفرش والجواهر والذهب والفضة سوى الياقوت الأحمر ، فإنَّ الله وإنَّا إليه راجعون .

وقبلَ ذلك بأسبوعٍ^(١) احترق جامعُ أصفهانَ أيضًا ، وكان جامعًا عظيمًا ؛ فيه أخشابٌ تساوى ألفَ ألفِ دينارٍ ، وفي جملة ما احترق فيه خمسمائة مصحفٍ ، من جملتها مصحفٌ بخط أبي بن كعبٍ ، رضى الله عنه ، فإنَّ الله وإنَّا إليه راجعون .

وفي شعبانَ جلسَ الخليفةُ المسترشدُ بالله في دارِ الخلافة في أُبَهة الخلافة ؛ البرودة على كَتِفَيْهِ والقَضِيبُ بينَ يَدَيْهِ ، وجاءَ الأخوان المملكان محمودٌ ومسعودٌ فوقفا بينَ يَدَيْهِ ، وقبلا الأرضَ ، فخلعَ على محمودٍ سبعَ خِلاعاتٍ وطوقًا وسوارينَ وتاجًا ، وأجلسَ على كُرْسِيِّ وَوَعَظَهُ الخليفةُ ، وتلا عليه قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ [الزلزلة : ٧ ، ٨] . وأمره بالإحسان إلى الرعايا ، وعقد له الخليفةُ لواءين بيده ، وقلده المُلْكَ ، وخرجًا من بين يَدَيْهِ مُطَاعَيْنِ معظَمَيْنِ ، والجيشُ بينَ أيديهما إلى دارهما في أُبَهة عظيمة جدًا .

وحجَّ بالناسِ نظرَ الخادمِ .

وقد تُوفِّي فيها : ابنُ القَطَّاعِ اللُّعَوِيُّ ، أبو القاسمِ عليُّ بنُ جَعْفَرِ بنِ عليٍّ بنِ محمدٍ بنِ عبدِ الله بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ بنِ زيادةِ الله بنِ محمدٍ بنِ

(١) في الأصل ، خ ، ص : « بليّة » . وانظر الكامل ٥٩٥ / ١٠ .

الأغلب السَّعْدِيُّ^(١) الصَّقْلِيُّ ، ثم المِصرِيُّ اللُّغَوِيُّ ، مصنَّفُ كتابِ «الأفعالِ» ،
الذى برَّز فيه على ابن القوطيَّةِ ، وله مصنَّفاتٌ كثيرةٌ ، وقد قديم مِصرَ في حدودِ
سنةِ خمسمائةٍ لما أشرَفَتِ الفرنجُ على أخذِ صِقْلِيَّةٍ ، فأكرمه المصريون وبألغوا في
إكرامه ، وكان يُنسَبُ إلى التساهلِ في الروايةِ^(٢) ، وله شعرٌ جيّدٌ قويٌّ ،^(٣) أوْرَدَ له
القاضي ابنُ خَلْكَانَ منه قطعةً جيدةً^(٤) ، وقد جاوز الثمانين .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أبو القاسمِ شَاهِنْشَاهُ ، الأفضَلُ بنُ أميرِ الجيوشِ بدرِ الجَمَالِيِّ^(٥) ، مُدَبِّرُ دولةِ
الفاطِمِيِّينَ بِمِصرَ ، و^(٦) «إلى أبيه» تُنسَبُ قَيْسَارِيَّةُ أميرِ الجيوشِ ، والعامَّةُ تقولُ :
مَرْجُوشُ^(٧) . وأبوه باني الجامعِ الذي بَغَرَ الإسكَنْدَرِيَّةَ بِشوقِ العَطَّارِينَ ، ومَشْهَدِ
الرَّاسِ بِعَشَقْلَانَ أَيْضًا ، وكان أبوه نائبَ المُسْتَنْصِرِ [٢٢٨/٩و] على مدينةِ صُورَ ،
وقيلَ^(٨) : على عَكَّا . ثم استَدَعَاهُ إليه في فضلِ الشتاءِ ، فركبَ البحرَ ، فاستنَّاهُ على
ديارِ مِصرَ ، فسَدَّدَ الأمورَ بعدَ فسادِها ، وماتَ في سنةِ ثمانٍ وثمانينَ وأربعمائةٍ ، وقامَ
في الوزارةِ بعدهُ وَلَدُهُ الأفضَلُ هذا ، فكان كأبيه في الشَّهَامَةِ والصَّرَامَةِ .

(١) في الأصل : «الصفدي» ، وفي ص : «الأسعدي» . وانظر ترجمته في : معجم الأدياء ٢٧٩/١٢ ،
وإنباه الرواة ٢٣٦/٢ ، ووفيات الأعيان ٣٢٢/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣٣/١٩ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٩٠ ، والعبر ٣٥/٤ .

(٢) سقط من : الأصل ، ص ، وفي خ ، م : «الدين» . والمثبت من وفيات الأعيان ٣٢٣/٣ .

(٣ - ٣) سقط من : خ ، م ، وانظر المصدر السابق ٣٢٣/٣ ، ٣٢٤ .

(٤) الكامل ٥٨٩/١٠ ، ووفيات الأعيان ٤٤٨/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٧/١٩ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٨٥ ، ومراة الزمان ١٠٤/١/٨ ، والنجوم الزاهرة ٥/٢٢٢ .

(٥ - ٥) في خ ، م : «إليه» .

(٦) في الأصل ، م : «مرجوش» .

(٧) سير أعلام النبلاء ٥٠٨/١٩ .

ولما مات المستنصر أقام المستغلي واستمرت الأمور على يديه ، وكان عادلاً ،
حسن السيرة ، موصوفاً بجودة السيرة . فالله أعلم .

ضربه فداوى وهو راكب فقتله في رمضان من هذه السنة ، عن سبع
وخمسين سنة ، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان^(١) وعشرين سنة .

وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر ، وقد وجدت له أموال عظيمة جداً ،
تفوق العد والإحصاء من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيول المسومة
والأنعام والحزب ، والنفائس ، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي فجعل في
خزائنه ، وذهب جامعه إلى سواء الحساب على القليل من ذلك والنقير والقطمير .
واعتاض عنه الخليفة بأبي عبد الله البطائحي ، ولقب المأمون .

قال القاضي ابن خلكان^(٢) : ترك الأفضل من الذهب الغين ستمائة ألف
ألف دينار ، ومن الدراهم مائتين وخمسين إزدباً ، وسبعين ألف ثوب ديباج
أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ، ودواة ذهب فيها جوهرة باثني عشر
ألف دينار ، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال ، في عشرة مجالس ،
على كل مسمار منديل مشدود بذهب ، كل منديل على لون من الألوان من
ملايسه ، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه . قال : وخلف من الرقيق والخيول
والبغال والمراكب والمشك والطيب والحلي ما لا يعلم قدره إلا الله ، عز وجل ،
وخلف من البقر والجواميس والغنم ما يستحي من ذكر عدده ، وبلغ ضمان ألبانها
في السنة ثلاثين ألف دينار ، وترك صندوقين كبيرين فيهما إبر ذهب يرسم النساء .

(١) في الأصل ، ص : « ثمان » .

(٢) وفيات الأعيان ٤٥١ / ٢ .

عبد الرَّزَّاقِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عليّ بنِ إسحاق، الطُّوسِيُّ^(١)، ابنُ أخى نظامِ الملك، تَفَقَّهَ بِإِمَامِ الحَرَمَيْنِ، وَأَفْتَى وَدَرَّسَ وَنَظَرَ، وَوَزَرَ لِلْمَلِكِ سَنَجَرَ، وَتُوفِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

خَاتُونُ السَّفَرِيَّةِ^(٢) حَظِيَّةُ السُّلْطَانِ مَلِكْشَاه، وَهِيَ أُمُّ السُّلْطَانَيْنِ مُحَمَّدٍ وَسَنَجَرَ، كَانَتْ كَثِيرَةَ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ، لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ سَبِيلٌ يَخْرُجُ مَعَ الْحُجَّاجِ، وَفِيهَا دِينَ وَخَيْرٌ، وَلَمْ تَزَلْ تَبْحَثُ حَتَّى عَرَفَتْ مَكَانَ أُمِّهَا وَأَهْلِهَا، فَبَعَثَتْ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ حَتَّى اسْتَحْضَرْتَهُمْ. وَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَيْهَا أُمُّهَا كَانَ لَهَا عَنْهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً لَمْ تَرَهَا، فَأَحْبَبَتْ أَنْ تَسْتَعْلِمَ فَهَمَّهَا، فَجَلَسَتْ بَيْنَ جَوَارِيهَا، فَلَمَّا سَمِعَتْ أُمُّهَا كَلَامَهَا عَرَفَتْهَا، فَقَامَتْ إِلَيْهَا فَاعْتَنَقَا وَبَكَيَا، ثُمَّ أَسْلَمَتْ أُمُّهَا عَلَى يَدَيْهَا، جَزَاهَا اللَّهُ خَيْرًا، وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا. وَقَدْ تَفَرَّدَتْ بِوَلَادَةِ مَلِكَيْنِ فِي دَوْلَةِ الْأَثَرَاكِ وَالْعَجِمِ، وَلَا يُعْرَفُ لِهَذَا نَظِيرٌ إِلَّا الْيَسِيرُ؛ مِنْ ذَلِكَ: وَلَادَةُ بَنَتِ الْعَبَّاسِ وَلَدَتْ لَعَبْدِ الْمَلِكِ الْوَلِيدِ وَسَلِيمَانَ، وَشَاهْفَرَنْدُ^(٣) وَلَدَتْ لِلْوَلِيدِ يَزِيدَ وَإِبْرَاهِيمَ وَلَيَا الْخِلَافَةَ أَيْضًا، وَالْحَيْثُرَانُ وَلَدَتْ لِلْمَهْدِيِّ الْهَادِيَّ وَالرَّشِيدَ.

الطُّغْرَائِيُّ^(٤) نَازِمٌ «لَا مِثْلَ الْعَجِمِ»، الْحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ بنِ عَبْدِ الصَّمَدِ،

(١) المنتظم ١٩٩/١٧، والكمال ٥٩٤/١٠، والنجوم الزاهرة ٢٢٢/٥، والأعلام ١٢٥/٤.

(٢) مرآة الزمان ٩٨/١/٨، والمنتظم ١٩٩/١٧، والكمال ٥٩٣/١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٢٨٦.

(٣) فى الأصل: «ماهر»، وفى خ، م: «شاهوند»، وفى ص: «شاهرند». والمثبت من المنتظم ١٧/١٩٩. والثابت أن شاهفرند هذه هى أم يزيد الناقص، وهى ابنة فيروز بن كسرى. وأن أم إبراهيم امرأة بربرية، فهما ابنا الوليد وليسا لأم واحدة، وانظر ما تقدم فى ١٣/١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٥/٣٧٥، ٣٧٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠ هـ) ص ٣١١، ووفيات الأعيان ٣/٢٦٧، وفيه «شاه مزيد».

(٤) خريدة القصر ١٥١/٢، ومعجم الأدباء ٥٦/١٠، ووفيات الأعيان ١٨٥/٢، وسير أعلام النبلاء =

مُؤَيَّدُ الدِّينِ الْأَصْبَهَانِي، الْعَمِيدُ فَخْرُ الْكُتَّابِ الْمُثَنِّي^(١) الشَّاعِرُ، الْمَعْرُوفُ
بِالطُّغْرَائِي، وَقَدْ وَلِيَ الْوِزَارَةَ بِإِزِيلَ مَدَّةً، أُوْرِدَ لَهُ الْقَاضِي ابْنُ خَلْكَانَ^(٢) [٩/٢٢٨ ظ]
قَصِيدَتَهُ اللَّامِيَّةَ الَّتِي أَلْفَهَا فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِمِائَةٍ بِيَعْدَادَ، يَشْرُحُ فِيهَا
أَحْوَالَهُ وَأُمُورَهُ، وَتُعْرَفُ بِلَامِيَّةِ الْعَجَمِ، أَوَّلُهَا:

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ وَجِلِيَّةُ^(٣) الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعُ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ
فِيمَ الْإِقَامَةُ بِالزُّورَاءِ لَا سَكْنِي بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
وَقَدْ سَرَدَهَا الْقَاضِي ابْنُ خَلْكَانَ بِكَمَالِهَا، وَأُوْرِدَ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الشُّعْرِ
أَيْضًا.

= ٤٥٤/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٦٤.
(١) في خ، م: «الليثي». وانظر وفيات الأعيان ١٨٥/٢، وسير أعلام النبلاء ٤٥٤/١٩.
(٢) وفيات الأعيان ١٨٥/٢، وانظر ديوانه ص ٣٠١.
(٣) في الأصل: «حيلة».

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة^(١)

فى المحرم منها رجع السلطان طغرل^(٢) إلى طاعة أخيه محمود، بعد ما كان قد خرج عنها، وأخذ بلاد أذربيجان.

وفىها أقطع السلطان محمود مدينة واسط وأعمالها لآق شنقر مضافاً إلى المؤصل، فسير إليها عماد الدين زنكى بن آق شنقر، فوليها وأحسن السيرة بها، وأبان عن حزم وكفاية.

وفى صفر منها قتل وزير السلطان محمود أبو طالب الشميرمى^(٣)، قتله باطنى، وكان قد برز للمسير إلى همدان، وكانت قد خرجت زوجته فى مائة جارية بمراكب الذهب، فلما بلغهن قتله رجعن حافيات حاسرات، قد هن بعد العز. واستوزر السلطان بعده شمس الملك عثمان بن نظام الملك.

وفىها اتفق^(٤) آق شنقر البرسقى ودويس بن صدقة، فهزمه دويس، وقتل خلقاً من جيشه، فاستوثق السلطان منصور بن صدقة أخا دويس وولده، ورفعهما إلى قلعة، فعند ذلك أذى دويس تلك الناحية ونهب البلاد، وجز شغره وليس السواد، ونهب أموال الخليفة أيضاً من البلاد، فتودى فى بغداد للخروج لقتاله،

(١) المنتظم ٢٠٣/١٧، والكمال ٥٩٧/١٠.

(٢) فى الأصل: «طغرل»، وفى م: «طغريك». وانظر الكامل ٥٩٧/١٠.

(٣) سقط من: الأصل، وفى خ: «السمري»، وفى ص: «السميرامى». وانظر المنتظم ٢١٢/١٧،

الكامل ٦٠١/١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠هـ) ص ٢٩٥.

(٤) فى خ، م: «التقى». والمعنى أنه دارت بينهما وقعة.

وبرز الخليفة في الجيش وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وطوخة، وعلى كتفيه البرودة ويده القضيبة، وفي وسطه منطقة حرير^(١) صيني، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك، ونقيب النقباء علي بن طراد الريني^(٢) وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل، وتلقاه آق سُنْقَرُ البرسقي ومعه الجيش^(٣)، فقبّلوا الأرض، ورَتَبَ البرسقي الجيش، ووقف القراء بين يدي الخليفة، وأقبل دُيُوس، وبين يديه الإمام يَصْرِبَن بالدفوف، والمخانيث بالملاهي، والتقى الفريقان، وقد شهر الخليفة سيفه وكبر واقترب من المعركة، فحمل عَنَبَرُ^(٤) بن أبي العسكر على ميمنة الخليفة، فكسرها وقتل أميراً، ثم حمل ثانية فكشفهم كأولى، فحمل عليه عماد الدين زَنَكِي بن آق سُنْقَرُ، فأسر عَنَبَرُ وأسر معه بُدِيل بن زائدة، فأنهزم عسكر دُيُوس وألقوا أنفسهم في الماء، ففرق كثير منهم، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأسارى صبرا بين يديه، وحصلت نساء دُيُوس وسرايته في السبي، وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء من السنة الآتية وكان يوماً مشهوداً، وكانت غيبته ستة عشر يوماً، وأما دُيُوس فإنه نجا بنفسه وقصد غزوة^(٥) فصحبهم إلى البصرة فدخلها ونهبها وقتل أميرها، ثم خاف من البرسقي فخرج عنها وسار إلى البرية والتحق بالفرنج، وحضر معهم حصار حلب، ثم فازقهم والتحق بالملك طغرل أخى السلطان محمود.

وفيها ملك السلطان «حسام الدين تَمَرْتاش»^(٥) بن إيلغازي بن أرتق قلعة

(١) في الأصل، ص: «حديد».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص. وانظر عيون التواريخ ١٢/١٣٠، ١٣١.

(٣) في خ: «عتير»، وفي م: «عتر». وانظر عيون التواريخ ١٢/١٣٢.

(٤) بعده في م: «ثم إلى المنتفق»، وغزوة: موضع بالقرب من فيد. معجم البلدان ٣/٨٠١.

(٥ - ٥) في الأصل: «حسام الدين بن تمرشاه»، وفي خ، م: «سهم الدين بن تمرش»، وفي =

مَارِدِينَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ ، وَمَلَكَ أَخُوهُ سُلَيْمَانُ مَيَّافَارِقِينَ . وَفِيهَا ظَهَرَ مَعْدِنُ نَحَاسٍ
بِدْيَارٍ بَكْرٍ قَرِيبًا [٢٢٩/٩] مِنْ قَلْعَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ . وَفِيهَا دَخَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْوَعَّازِ
إِلَى بَغْدَادَ فَوَعَّظُوا بِهَا ، وَحَصَلَ لَهُمْ قَبُولٌ تَامٌّ مِنَ الْعَوَامِّ .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ نَظَرَ الْخَادِمِ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْأَشْعَثِ ^(١) ، أَبُو مُحَمَّدٍ السَّمَرَقَنْدِيُّ ،
أَخُو أَبِي الْقَاسِمِ ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ هَذَا أَحَدَ حُقَاقِ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ زُعِمَ أَنَّ عِنْدَهُ
مَا لَيْسَ عِنْدَ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ ، صَحِبَ الْخُطِيبَ مُدَّةً ، وَجَمَعَ وَأَلَّفَ وَصَنَّفَ
وَرَحَلَ إِلَى الْآفَاقِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ
السَّنَةِ عَنْ ثَمَانِينَ سَنَةً .

عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ ، أَبُو طَالِبٍ السَّمَيْرِيُّ ^(٢) ؛ نَسَبُهُ إِلَى قَرْيَةٍ بِأَصْبَهَانَ ، كَانَ
وَزِيرَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ مُجَاهِدًا بِالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ النَّاسُ
مُكُوسًا ، وَجَدَّدَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ قَدْ أُزِيلَتْ مِنْ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ ، وَكَانَ يَقُولُ ^(٣) : قَدْ
اسْتَحْيَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ الظُّلْمِ لِمَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ ، وَكَثْرَةَ مَا أَخَذْتُ مِنَ الشَّنَنِ السَّيِّئَةِ .
وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى هَمْدَانَ أَحْضَرَ الْمُنْجِمِينَ فَضَرَبُوا لَهُ تَحْتَ ^(٤) رَمْلٍ لِسَاعَةِ

= ص : « سهام الدين تمرتاش » . والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص
٣٠ ، وعيون التواريخ ١٢ / ١٣١ .

(١) المنتظم ١٧ / ٢١١ ، والكامل ١٠ / ٦٠٥ ، وتذكرة الحفاظ ٣ / ١٢٦ ، وشذرات الذهب ٤ / ٤٩ .

(٢) المنتظم ١٧ / ٢١٢ ، ومرة الزمان ٨ / ١٠٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٣٢ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٤٠٢ ، وشذرات الذهب ٤ / ٥٠ .

(٣) المنتظم ١٧ / ٢١٢ .

(٤) في خ ، م : « تخت » .

خُرُوجِهِ لِيَكُونَ أَسْرَعَ لَعُودِهِ، فَخَرَجَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ السَّيْفُ الْمَسْلُوكُ، وَالْمَمَالِكُ بِالْغَدَدِ الْبَاهِرَةِ، وَمَعَ هَذَا جَاءَ بَاطِنِي فَضْرَبَهُ فَقَتَلَهُ^(١) فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ بَعْدَمَا ضَرَبَهُ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ فِي مَقَاتِلِهِ ثُمَّ ذَبَحَهُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، وَالْمَمَالِكُ يَضْرِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالتَّبَالِ فِي ظَهْرِهِ وَلَا يِيَالِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهُ^(٢)، وَرَجَعَ نِسَاؤُهُ^(٣)، حَاسِرَاتٍ عَنْ وُجُوهِهِنَّ، قَدْ أَبْدَلَهُنَّ اللَّهُ الذَّلَّةَ بَعْدَ الْعِزَّةِ، وَالْخَوْفَ بَعْدَ الْأَمْنِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ سَلَخَ صَفَرٍ، وَمَا أَشْبَهَ حَالَهُنَّ بِقَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي الْخَيْزُرَانِ وَجَوَارِيهَا حِينَ مَاتَ الْمَهْدِيُّ^(٤):

رُحْنٌ فِي الْوَشْيِ وَأَصْبَحْنَ عَلَيْهِنَّ الْمُسُوخُ كُلُّ نَطَاحٍ مِنَ الدَّهْرِ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وَلَوْ عُمِّرَتْ مَا عُمِّرَ نُوحُ فَعَلَى نَفْسِكَ نَحْ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ تَنُوحُ

الْحَرِيرِيُّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ، الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَثْمَانَ، فَخْرُ الدَّوْلَةِ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ الْبَصْرِيُّ^(٥)، مُؤَلِّفُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي سَارَتْ بِفَصَاحَتِهَا الرُّكْبَانُ، وَكَأَذْ يُرَبَّى فِيهَا عَلَى سَحْبَانٍ^(٦)، وَوُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَاشْتَغَلَ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَفَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ، وَبَرَزَ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَأَقَامَ بَيْتْغَدَاذَ وَعَمِلَ صِنَاعَةَ الْإِنْشَاءِ مَعَ الْكِتَابِ فِي بَابِ الْخَلِيفَةِ،

(١ - ١) فِي خ، م: «ثُمَّ مَاتَ الْبَاطِنِي بَعْدَهُ».

(٢) بَعْدَهُ فِي خ، م: «بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى مَرَكَبِ الذَّهَبِ».

(٣) الْمُنْتَظَمُ ٢١٣/١٧، وَانْظُرْ: أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَشْعَارُهُ وَأَخْبَارُهُ ص ٩٨، ٩٩.

(٤) الْمُنْتَظَمُ ٢١٤/١٧، وَإِنْبَاءُ الرِّوَاةِ ٢٣/٣، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ٦٣/٤، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ١٩/٤٦٠،

وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ ١٢٥٧/٤، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ لِلْسَّبْكِ ٢٦٦/٧.

(٥) سَحْبَانٌ: هُوَ اسْمُ رَجُلٍ مِنْ وَائِلٍ بَلِيغٍ لَيْسَ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ فَيَقَالُ: أَفْصَحَ مِنْ

سَحْبَانٍ وَائِلٍ. التَّاجُ (س ح ب).

ولم يكن ممن تُنكرُ بديهته ولا تتعكّر فكرته وقريحته . قال ابنُ الجوزي^(١) : سَمِعَ الحديثَ وحَدَّثَ وقرأَ الأدبَ واللغةَ ، وفاقَ أهلَ زمانه بالذكاءِ والفطنةِ والفصاحةِ وحُسْنِ العبارةِ ، وصنَّفَ المقاماتِ المعروفةَ ، مَنْ تأملها عَرَفَ قدرَ مُنشئها ، توفى في هذه السَّنةِ بالبصرةَ . وقد قيل : إِنَّ أبا زَيْدٍ والحارثَ بْنَ هَمَّامٍ لا وجودَ لهما ، وإنما جعلَ هذه المقاماتِ مِنْ بابِ الأمثالِ ، ومنهم مَنْ يقولُ : أبو زَيْدٍ المطهرُ بْنُ سَلَّارٍ^(٢) السَّروجِيُّ كانَ له وجودٌ ، وكانَ فاضلاً ، وله عِلْمٌ ومعِفَةٌ باللغةِ . فاللهُ أعلمُ . وذكرَ القاضي ابنُ خَلِّكانَ^(٣) أَنَّ أبا زَيْدٍ كانَ اسمُهُ المطهرُ بْنُ سَلَّارٍ^(٤) ، وكانَ بَصْرِيّاً فاضلاً في النحوِ واللغةِ ، وكانَ يشتغلُ على الحَرِيرِيِّ بالبصرةَ ، وأما الحارثُ بْنُ هَمَّامٍ فإِنما عَنى به نفسهُ ، لما جاءَ في الحديثِ [٢٢٩/٩ ط] « كُلُّكُمْ حارِثٌ ، وَكُلُّكُمْ هَمَّامٌ » - كذا قالَ القاضي . وإِنما اللفظُ المحفوظُ : « أَصْدَقُ الأَسْمَاءِ حارِثٌ وَهَمَّامٌ »^(٥) - لأنَّ كُلَّ أَحَدٍ إمَّا حارِثٌ وهو الفاعلُ ، أو هَمَّامٌ مِنَ الهَمِّ وهو العزمُ والخِطَرَةُ ، وذكرَ أَنَّ أَوَّلَ مَقامَةٍ عَمِلَها الثَّامِنَةُ والأربعونَ وهى الحَرامِيَّةُ ، وكانَ سَببُها أَنَّهُ دَخَلَ عليهم في مَسْجِدِ البَصْرَةِ رَجُلٌ ذُو طَمَرَيْنِ فصيحُ اللسانِ ، فاستَسمَوْهُ فقالَ : أبو زَيْدٍ السَّروجِيُّ ، فَعَمِلَ فيهِ هذه المَقامَةُ ، فأشارَ عليه وزيرُ الخليفةِ المسترشدِ ، وهو جلالُ الدينِ عميدُ الدولةِ أبو عليٍّ الحَسَنُ بْنُ أَبِي العِزِّ عليٍّ^(٦) بِنِ صَدَقَةٍ ، قالَ ابنُ خَلِّكانَ : كذا رأيتهُ في نُسخَةٍ بخطِ المصنِّفِ ،

(١) المنتظم ١٧/٢١٤ .

(٢) في النسخ : « سلام » . والمثبت من وفيات الأعيان ٤/٦٤ ، وانظر إنباه الرواة ٣/٢٧٦ .

(٣) وفيات الأعيان ٤/٦٤ .

(٤) في الأصل ، خ ، م : « سلام » .

(٥) أخرجه ابن وهب في جامعه ص ٧ ، وطره : « خير الأسماء عبد الله » وبمعناه عند أبي داود

(٤٩٥٠) والمسند ٤/٣٤٥ ، وانظر الصحيحة (١٠٤٠) ، وإرواء الغليل ٤/٤٠٨ .

(٦ - ٦) في خ : « العز » وفي م : « المعز » . والمثبت موافق لما في وفيات الأعيان ٤/٦٤ .

على حاشيتها ، وهذا أصحُّ ممَّن قال : هو الوزيرُ شرفُ الدين أبو نصرٍ أنوشروان^(١)
 بنُ خالد بن محمد القاشاني ، وهو وزيرُ المسترشدِ أيضًا ، ويقالُ^(٢) : إنَّ الحريريَّ
 كان قد عملها أُرْبَعَيْنِ مقامَةً ، فلمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ ولم يُصدَّقْ في ذلك ، وافتتحه
 بعضُ الوزراءِ فجلسَ ناحيةً وأخذ دواةً وقِوطاسًا فلم يَتَيَسَّرْ له حتى عادَ إلى بلده
 فعَمِلَ عَشْرَةَ أُخْرَى فَأَتَمَّهَا بها ، وقد قال فيه أبو القاسمِ عليُّ بنُ أَفْلَحَ الشاعِرُ ،
 وكان مِن جملةِ المُكذِّبينَ له فيها^(٣) :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رَبِيعَةِ الْفَرَسِ يَنْتِفِ عُنْتُونُهُ^(٤) مِنَ الْهَوَسِ
 أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيوانِ^(٥) بِالْخَرَسِ

ومعنى قوله : بالمشانِ هو مكانٌ بالبصرة^(٦) ، ويُذكرُ أنَّه كان صدرَ ديوانِ
 المشانِ ، ويقالُ^(٧) : إنَّه كان دَمِيمَ الخَلْقِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ رَجُلًا رَحَلَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رآه
 ازْدَرَاهُ ، فَفَهِمَ الْحَرِيرِيُّ ذَلِكَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَا أَنْتَ أَوَّلُ سَارٍ غَزَاهُ قَمَرُ وَرائِدٍ أَعْجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدَّمَنِ^(٨)
 فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ غَيْرِي إِنَّنِي رَجُلٌ مِثْلُ الْمُعِيدِيِّ فَاسْمَعْ بِي وَلَا تَرْنِي
 ويقالُ^(٩) : إنَّ الْمُعِيدِيَّ اسْمُ حِصَانٍ جَوَادٍ كان في العرب ، دَمِيمُ الخَلِيقَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) بعده في خ ، م : « بن محمد » . وانظر وفيات الأعيان ٦٤/٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٦٥/٤ .

(٣) العثون : ما نبت على الذقن وتحتة .

(٤) في الأصل ، ص : « العراق » . والمثبت موافق لما في وفيات الأعيان .

(٥) انظر معجم البلدان ٥٣٦/٤ .

(٦) وفيات الأعيان ٦٦/٤ .

(٧) الدمن : جمع دمنة وهي ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها : أى تلبده في مرابضها ، فرمما نبت

فيها النبات الحسن النضير . النهاية ١٣٤/٢ .

(٨) لم نجد هذا القول ، والمشهور أن المعيدى تصغير رجل منسوب إلى مَعَدٍّ ، وانظر الأمثال لأبي عبيد =

البَغَوِيُّ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ ^(١) ، صاحبُ
«التفسير» و «شرح السنّة» ، و «التّهذيب» في الفقه ، و «الجمع بين
الصحيحين» و «المصابيح» في الصحاح والحسان ، وغير ذلك ، اشتغل على
القاضي حسين ، وبرّع في هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان دينا ورعا
زاهدا عابدا صالحا . توفّي في شوال من هذه السنّة وقيل : في سنّة عشر . فالله
أعلم . ودُفن مع شيخه القاضي حسين بالطالقان . والله أعلم .

= ص ٩٧ ، وجمهرة الأنساب للعسكري ٢٦٦/١ .
(١) وفيات الأعيان ١٣٦/٢ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٥٧/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩ ، والوفاء
بالوفيات ٦٣/١٣ ، والنجوم الزاهرة ٢٢٤/٥ .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

فى يوم عاشوراء^(١) عاد الخليفة من الحيلة بعد أن كسر جيش دؤيس ومزق شمله وقطع وصله فى أول هذا الشهر، ثم عاد إلى بلده بغداد مؤيداً منصوراً، ورجع إلى أهله مسروراً.

وفىها عزّم الخليفة على طهور أولاده وأولاد أخيه، وكانوا اثني عشر، فزيّنت بغداد سبعة أيام بزيّنة لم يُر مثلاً، وأظهر الناس من الحلّى والمصاغ والثياب ما لم يُر مثله.

وفى شعبان قدّم أسعد الميهنى مدرّس النظامية ببغداد ناظراً عليها، وصُرف الباقرحى عنها، فوقع بينه وبين بعض الفقهاء بسبب أنه قطع منهم جماعة، واكتفى بثمانين طالباً منهم، فلم يهن ذلك على كثير منهم.

وفىها سار السلطان محمود إلى بلاد [٢٣٠/٩] الكرج، وقد وقع بينهم وبين القفجاق خلّف، فقاتلهم فهزّمهم، ولله الحمد، ثم عاد إلى همدان مؤيداً منصوراً.

وفىها ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماة بعد وفاة صاحبها محمود ابن قراجا، وقد كان ظالماً غاشماً.

وفىها غزل نقيب العلويين، وهديمت دار على بن أفلح؛ لأنهما كانا عينا لدؤيس، وأضيف إلى على بن طراد الرّينى نقابة العلويين مع نقابة العباسيين.

(١) المنتظم ٢١٦/١٧، والكمال ٦٠٩/١٠.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التُّغَلَيْيُّ^(١) ، المعروف بابن الخياط ، الشاعر الدمشقي ، الكاتب الماهر ، له ديوان شعر مشهور . قال الحافظ ابن عساكر^(٢) : خُتِمَ به ديوان الشعراء بدمشق وكان شاعرا ، ماهرا ، محسنا ، مجيدا ، مكثرا ، حفظة لأشعار المتقدمين وأخبارهم . وأورد له القاضي ابن خلكان^(٣) من شعره الرائع قطعا ، من ذلك قصيدته التي لو لم يكن له سواها لكفته ، وهي التي يقول في أولها :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ	فَقَدْ كَادَ رَيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ
وَأَيَّاكُمَا ذَاكَ النَّسِيمَ فَإِنَّهُ	مَتَى هَبَّ كَانَ الْوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
خَلِيلِي لَوْ أَحْبَبْتُمَا لَعَلِمْتُمَا	مَحَلَّ الْهَوَى مِنْ مُغْرَمِ الْقَلْبِ صَبِّهِ
يَذْكُرُ وَالذِّكْرَى تَشْوِقُ وَذُو الْهَوَى	يُتَوَقُّ وَمَنْ يَعْلُقُ بِهِ الْحُبُّ يُضْبِيهِ
غَرَامٌ عَلَى يَأْسِ الْهَوَى وَرَجَائِهِ	وَشَوْقٌ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَقُرْبِهِ
وَفِي الرُّكْبِ مَطْوِيٌّ الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى	مَتَى يَدْعُهُ دَاعِي الْغَرَامِ يُلْبِيهِ
إِذَا خَطَرَتْ مِنْ جَانِبِ الرَّمْلِ نَفْحَةٌ	تَضْمَنَ مِنْهَا دَاوُدُ دُونَ صَحْبِهِ
وَمُخْتَجِبٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مُغْرَضٍ	وَفِي الْقَلْبِ مِنْ إِغْرَاضِهِ مَثَلُ حُجْبِهِ
أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِي الْحَيِّ أَنَّهُ	حَذَارًا وَخَوْفًا أَنْ تَكُونَ لِحُبِّهِ

وقد كانت وفاته في رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة عن سبع وستين سنة بدمشق .

(١) تاريخ دمشق ٤١٩/٥ ، ووفيات الأعيان ١٤٥/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٧٦/١٩ ، وعيون التواريخ ١٤٢/١٢ ، والوافي بالوفيات ٦٧/٨ .

(٢) تاريخ دمشق ٤١٩/٥ .

(٣) وفيات الأعيان ١٤٦/١ . وانظر الأبيات أيضا في عيون التواريخ ١٤٣/١٢ ، والوافي بالوفيات ٦٨/٨ .

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة وخمسمائة

فيها^(١) ظهرت الباطنية بآيد فقاتلهم أهلها، فقتلوا منهم سبعمائة، ولله الحمد. وفيها ردت الشحنة ببغداد إلى سعد الدولة يرئس الزكوى، وسلم إليه منصور بن صدقة أخو دويس ليسلمه إلى دار الخلافة. وورد الخبر بأن دويسا قد التجأ إلى طغرل وقد اتفقا على أخذ بغداد، فأخذ الناس فى التأهب لقتالهما، وأمر آق سنقر البرسقى بالعود إلى الموصل، فاستتاب على البصرة عماد الدين زنكى بن آق سنقر.

وفى ربيع الأول دخل الملك حسام الدين تمتاز بن إيلغازى بن أرتق مدينة حلب، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن بهرام بن أرتق، وكان قد حاصر قلعة منبج، فجاءه سهم فى حلقه فمات، فاستتاب تمتاز بحلب، ثم عاد إلى ماردين فأخذت منه بعد ذلك، أخذها آق سنقر البرسقى مضافة إلى الموصل.

وفىها أرسل الخليفة القاضى أبا سعاد الهروى؛ ليخطب له ابنة السلطان سنجر، وشرع الخليفة فى بناء دار على حافة دجلة لأجل العروس. وكمل بناء المئمنة فى هذه السنة. وحج بالناس فى هذه السنة جمال الدولة، إقبال المسترشد.

ومن توفى فيها من الأعيان :

(١) المنتظم ٢٢٤/١٧، والكامل ٦٢٥/١٠.

أحمد بن علي بن بزهان [٢٣٠/٩] أبو الفتح^(١)، ويُعرف بابن الحمّاميّ،
تفقه على أبي الوفاء بن عقيل، وبرع في مذهب الإمام أحمد، ثم نَقَمَ عليه
أصحابه أشياء، فحمله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافعيّ، فاشتغل على
الغزاليّ والشاشيّ، وبرع وسادَ وشهدَ عند القاضي الرّينبيّ، ودرّس في النّظاميّة
شهرًا. وتوفّي في جمادى الأولى، ودُفِنَ بباب أبرّز.

عبد الله بن محمد بن^(٢) عليّ بن محمد، أبو جعفر الدّامغانيّ، سمِعَ
الحديث، وشهدَ عند أبيه، ونابَ في ربيع الكرخ عن أخيه، ثم تركَ ذلك كلّهُ،
وولّى حِجَابَةَ باب النّوبيّ، ثم غزِلَ، ثم أعيدَ، وكان دِمِثَ الأخلاق، وكانت
وفاته في جمادى الأولى من هذه السّنة.

أحمد بن محمد^(٣) بن أحمد^(٣) بن إبراهيم، أبو الفضل الميّدانيّ، صاحبُ
كتاب «الأمثال»، وليس مثله في بابهِ، وله شعرٌ جيّد. قال ابنُ خَلْكان^(٤): توفّي
يومَ الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان من هذه السّنة.

(١) المنتظم ٢٢٥/١٧ وفيه: أحمد بن علي بن تركان، ووفيات الأعيان ٩٩/١، وفيه أنه توفّي سنة
عشرين وخمسائة، وسير أعلام النبلاء ٤٥٦/١٩، والوفاء بالوفيات ٢٠٧/٧، وطبقات الشافعية
للسبكي ٣٠/٦.

(٢ - ٢) سقط من: خ، م. وانظر ترجمته في: المنتظم ٢٢٦/١٧، والنجوم الزاهرة ٢٢٨/٥.
(٣ - ٣) سقط من: م. وانظر ترجمته في: معجم الأدباء ٤٥/٥، وإنباه الرواة ٢١/١، ووفيات الأعيان
١٤٨/١، وسير أعلام النبلاء ٤٨٩/١٩، والوفاء بالوفيات ٣٢٦/٧.
(٤) وفيات الأعيان ١٤٨/١.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

فيها^(١) قصد دُيَّس والسلطان طُغْرُل بَغْدَادَ ؛ لِيَأْخُذَهَا مِنْ يَدِ الْخَلِيفَةِ ، فَلَمَّا اقْتَرَبَا مِنْهَا بَرَزَ إِلَيْهِمَا الْخَلِيفَةُ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ وَالنَّاسُ مُشَاةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَلَيْهِ السَّوَادُ وَالْبُرْدُ ، وَبِيَدِهِ الْقَضِيبُ ، إِلَى أَوَّلِ مَنْزِلَةٍ ، ثُمَّ رَكِبَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَمَسَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي يَقْتَتِلُونَ فِي صَبِيحَتِهَا ، وَمِنْ عَزِيمِهِمْ أَنْ يَنْهَبُوا بَغْدَادَ ، أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَطَرًا عَظِيمًا ، وَمَرَضَ السُّلْطَانُ طُغْرُلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَتَفَرَّقَتْ تِلْكَ الْجُمُوعُ ، وَرَجَعُوا عَلَى أَغْقَابِهِمْ خَائِبِينَ خَائِفِينَ ، وَالتَّجَأَ دُيَّسُ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ ، وَطُغْرُلُ إِلَى الْمَلِكِ سَنْجَرٍ ، وَسَأَلَاهُ الْأَمَانَ مِنَ الْخَلِيفَةِ وَالسُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ ، فَحَبَسَ دُيَّسًا فِي قَلْعَتِهِ ، وَوَشَّى وَاشٍ إِلَى الْمَلِكِ سَنْجَرٍ أَنَّ الْخَلِيفَةَ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِالْمَلِكِ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ الْآنَ لِقِتَالِ الْأَعْدَاءِ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ السُّلْطَانِ سَنْجَرٍ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَأَضْمَرَ سُوءًا ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ زَوَّجَ ابْنَتَهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ .

وفيهما قُتِلَ الْقَاضِي أَبُو سَعِيدٍ ، مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورِ الْهَرَوِيِّ بِهَمْدَانَ ، قَتَلَتْهُ الْبَاطِنِيَّةُ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ سَنْجَرٍ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ . وَحَجَّ بِالنَّاسِ نَظَرُ الْخَادِمِ .

وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

(١) المنتظم ٢٢٨/١٧ ، والكامل ٦٢٦/١٠ .

آق سُنْقُرُ الْبَرْسُقِيُّ^(١) ، صاحبُ المؤصلِ ، قَتَلْتُهُ الْبَاطِنِيَّةُ فِي مَقْصُورَةٍ جَامِعِهَا فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، وَقَدْ كَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، تُزَكِّيًّا ، جَيِّدَ السَّيْرِ ، صَحِيحَ السَّرِيرَةِ ، مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا ، كَثِيرَ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرِّعَايَا ، وَلَمَّا تُوفِّي قَامَ فِي الْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ السُّلْطَانُ عِزُّ الدِّينِ مَسْعُودٌ ، وَأَقْرَبُهُ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ عَلَى عَمَلِهِ .

هَلَالُ^(٢) بَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُرَيْحٍ^(٣) بَنِ عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ بْنِ رَبَاحٍ ، مُؤَدِّنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، رَحَلَ وَجَالَ فِي الْبِلَادِ ، وَكَانَ شَيْخًا جَهْوَرِيًّا الصَّوْتِ ، حَسَنَ الْقِرَاءَةِ ، طَيِّبَ النَّعْمَةِ ، تُوفِّي فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِسَمَرْقَنْدَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الْقَاضِي [٢٣١/٩] أَبُو سَعْدٍ الْهَرَوِيُّ ، مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورٍ ، أَبُو سَعْدٍ الْهَرَوِيُّ^(٤) أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْفُقَهَاءِ ، وَالسَّادَةِ الْكُبَرَاءِ ، قَتَلْتُهُ الْبَاطِنِيَّةُ بِهَمْدَانَ حِينَ ذَهَبَ فِي الرُّسُلِيَّةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ إِلَى السُّلْطَانِ سَنَجَرٍ فِي خِطْبَةِ ابْنَتِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) المنتظم ٢٣٠/١٧ ، والكامل ٦٣٣/١٠ ، ووفيات الأعيان ٢٤٢/١ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٩/١٩ ، وعيون التواريخ ١٧٠/١٢ .

وقد تابع المصنفُ ابنَ الجوزي والكتبي ، فذكره في وفيات هذه السنة ، والمذكور في مصادر ترجمته الأخرى أنه قتل سنة عشرين وخمسمائة ، وقد صحح ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٣٠٦ ، ٣١١ .

(٢) في النسخ : « بلال » . والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : المنتظم ٢٣٠/١٧ ، والكامل ٦٣٠/١٠ ، ومراة الزمان ١١٧/١/٨ .

(٣) في المنتظم : « سريح » .

(٤) الكامل ٦٣٠/١٠ ، وعيون التواريخ ١٧٠/١٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٢٨/٥ ، ضمن وفيات سنة ٥١٨ .

سَنَةُ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

فيها^(١) ترأسَلَ السلطانُ محمودٌ والخليفةُ على السلطانِ سَنَجَرُ، وأنَّ يكونا عليه، فلمَّا عَلِمَ بذلك السلطانُ سَنَجَرُ كَتَبَ إلى ابنِ أخيه محمودٍ يَنهاه عن ذلك، وَيَشْتَمِيلُهُ إِلَيْهِ، ويَحذِّرُهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ، وأنَّهُ متى ما فَرَّغَا مِنْهُ تَفَرَّغَ لَهُ وَرَتَّبَ عليه، فَأَصْغَى إلى قولِ عَمِّهِ، وَرَجَعَ عَنْ عَزْمِهِ، وَأَقْبَلَ يَقْصِدُ بَغْدَادَ لِيَدْخُلَهَا عَامَهُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَنهاه عن ذلك لِقَلَّةِ الْأَقْوَاتِ بِهَا، فلم يَقْبَلْ مِنْهُ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فلمَّا أَزِفَ قَدُومُهُ خَرَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ دَارِهِ وَتَحَيَّرَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّاسِ، وَدَخَلَ عِيدُ الْأَضْحَى فَخَطَبَ الْخَلِيفَةُ النَّاسَ بِنَفْسِهِ خُطْبَةً عَظِيمَةً بَلِغَةً فَصِيحَةً جَدًّا، وَكَبَّرَ وَرَاءَهُ خُطْبَاءُ الْجَوَامِعِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا. وَقَدْ سَرَدَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَظَمِ^(٢) بِطُولِهَا، وَرَوَاهَا عَنْ مَنْ حَضَرَهَا مِنَ الْخَلِيفَةِ مَعَ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ الزَّيْتَنِيِّ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْعُدُولِ^(٣) وَلَمَّا أَرَادَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يَنْزِلَ عَنِ الْمُنْبَرِ ابْتَدَرَهُ أَبُو الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيُّ، فَأَنشَدَهُ^(٤) :

(١) المنتظم ٢٣١/١٧، والكامل ٦٣١/١٠.

(٢) المنتظم ٢٣٣/١٧ - ٢٣٥.

(٣ - ٣) سقط من : خ، م.

(٤) الأبيات في المنتظم ٢٣٥/١٧، وعيون التواريخ ١٧٣/١٢، ١٧٤.

^(١) عليك سلامُ الله يا خيرَ مَنْ علا
وأفضلَ مَنْ أُمَّ الأنَامَ وعَمَّهُم
لقد شَتَّتْ أَسْمَاعُنَا مِنْكَ خُطْبَةً
ملأتَ بها كُلَّ القُلُوبِ مَهَابَةً
سما لفظُها فضلاً على كُلِّ قَائِلٍ
أشدَّتْ بها سامِي المنايرِ رَفْعَةً
وزدَتْ بها عَدَنَانِ مَجْدًا مُؤَثَّلًا
فللهِ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ إِمَامُهُ
بَقِيَتْ عَلَى الْأَيَّامِ ^(٢) وَالْمُلْكُ كُلَّمَا
وَأَصْبَحْتَ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ مُهَيَّأً
على منبرٍ قد حَفَّ أَعْلَامُهُ النُّصْرُ
بسيرتهِ الحُسْنَى وَكَانَ لَهُ الْأُمْرُ
وموعِظَةً فَضْلٌ يَلِينُ لَهَا الصَّخْرُ
فقد رَجَفَتْ مِنْ خَوْفٍ تَخْوِيفُهَا مَضْرُ
وجَلَّ عُلاها أَنْ يُلَمَّ بِهَا حَضْرُ
تَقَاصَرَ عَنْ إدْرَاكِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
فَأَضْحَى لَهَا ^(٣) بَيْنَ ^(٤) الْأَنَامِ بِكَ الْفَخْرُ
وللَّهِ دِينٌ أَنْتَ فِيهِ لَنَا الصَّدْرُ
تَقَادَمَ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ أَتَى عَصْرُ
يُشْرَفُنَا فِيهِ صَلَاتُكَ وَالنَّحْرُ ^(١)

ولما نَزَلَ الخليفةُ عَنِ الْمَنْبَرِ ذَبَحَ الْبَدَنَةَ بِيَدِهِ، وَدَخَلَ الشَّرَادِقَ وَتَبَاكَى النَّاسُ
وَدَعَا لِلْخَلِيفَةِ بِالتَّوْفِيقِ وَالنُّصْرِ، ثُمَّ دَخَلَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ إِلَى بَغْدَادَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ
الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَنَزَلُوا فِي بُيُوتِ النَّاسِ وَحَصَلَ لِلنَّاسِ، أَذَى كَثِيرٌ فِي
حَرَمِهِمْ، فَرَأَسَلَ الْخَلِيفَةَ فِي الصُّلْحِ، فَأَتَى ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ، وَرَكِبَ فِي جَيْشِهِ وَقَاتَلَ
الْأَثْرَاكَ وَمَعَهُ شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَلَكِنَّ الْعَامَّةَ كُلَّهُمْ مَعَهُ، فَقُتِلَ مِنَ الْأَثْرَاكِ
خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ جَاءَ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ مِنْ وَاسِطٍ فِي الشُّفَنِ إِلَى
السُّلْطَانِ نُجْدَةَ، فَلَمَّا اسْتَشْعَرَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ دَعَا إِلَى الصُّلْحِ، فَوَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَ

(١ - ١) سقط من: خ، م.

(٢) فِي الْأَصْل، ص: «بها». والمثبت من المنتظم.

(٣) فِي الْأَصْل، ص: «من». والمثبت كما فِي المنتظم.

(٤) فِي المنتظم: «الإسلام».

السلطان والخليفة، وأخذ الملك يستبشر بذلك جدًا، ويعتذر إلى الخليفة مما وقع، ثم خرج في أول السنة الآتية [٢٣١/٩ ط] إلى همدان لمرض حصل له.

وفي هذه السنة كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس، و عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، وحضره الشيخ أبو القاسم علي بن يغلي العلوي البلخي، وكان شفيًا، علمه كلمات، ثم أضعده المنبر فقالها، وكان يومًا مشهودًا. قال ابن الجوزي^(١): وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفًا.

وفيها اقتتل طغتكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج، فقتل منهم خلقًا كثيرًا، وغنم منهم أموالًا جزيلة، ولله الحمد والمِنَّة.

ومن توفى فيها من الأعيان:

أحمد بن محمد بن محمد، أبو الفتح الطوسي الغزالي الواعظ، أخو أبي حامد الغزالي^(٢)، كان واعظًا مفرها، ذا حظ من الكلام والزهد وحسن الثأني، وله نُكتٌ جيدة؛ وعظ مرة في دار الملك محمود، فأطلق له ألف دينار، وخرج فإذا على الباب فرس الوزير بسترجه الذهب، وسلاسلها وما عليها من الحلى، فركبها، فبلغ ذلك الوزير فقال: دَعُوهُ، ولا يُرَدُّ على الفرس. وسمع مرة ناعورة^(٣) تن، فألقى عليها رداءه فتَمَزَّقَ قِطْعًا. قال ابن الجوزي^(٤): وقد كانت له نُكتٌ، إلا أنَّ الغالب على كلامه التخليطُ ورواية الأحاديث الموضوعة

(١) المنتظم ٢٣٦/١٧.

(٢) المنتظم ٢٣٧/١٧، والكامل ٦٤٠/١٠، ووفيات الأعيان ٩٧/١، وعيون التواريخ ١٧٥/١٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٠/٦.

(٣) الناعورة: واحدة النواير التي يُستقى بها يديرها الماء ولها صوت. انظر التاج (ن ع ر).

(٤) المنتظم ٢٣٨/١٧ - ٢٤٠.

المصنوعة، والحكايات الفارغة، والمعاني الفاسدة، ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكرة من كلامه، فالله أعلم، من ذلك أنه كان كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله ﷺ في اليقظة، فسأله عن ذلك فدلّه على الصواب، قال: وكان يتعصبُ لإبليس ويعذّر له، وتكلّم فيه ابن الجوزي بكلام طويل كثير. قال: ونُسب إلى محبّة المزدان، والقول بالمُشاهدة. فالله أعلم بصحّة ذلك.

قال ابن خلكان^(١): كان واعظًا مليح الوعظ، حسن المنظر، صاحب كرامات وإشارات، وكان من الفقهاء، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه، ودرّس بالنظاميّة نيابة عن أخيه لما ترهّد وتركها، واختصر «إحياء علوم الدين» في مجلّد سمّاه: «لباب الإحياء»، وله «الذخيرة في علم البصيرة»، وطاف البلاد، وخدم الصوفيّة بنفسه، وكان مائلًا إلى الانقطاع والعزلة.

أحمد بن علي بن محمد الوكيل، المعروف بابن بزّهان، أبو الفتح الفقيه الشافعي^(٢)، تفقّه على الغزالي والكنيا، وأبى بكر الشاشي، وكان بارعًا في الأصول؛ له فيه كتاب «الوجيز في أصول الفقه»، وكانت له فنون جيدة يتقنها جيّدًا. وولى تدريس النظاميّة ببغداد دون شهر. وكانت وفاته في هذه السنة، كما ذكره ابن خلكان^(٣)، رحمه الله.

بهرام بن بهرام، أبو شجاع البيّغ^(٤)، سمع الحديث، وبنى مدرسة لأصحاب الإمام أحمد بكلواذى، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء.

(١) وفيات الأعيان ٩٧/١.

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٢٦٦.

(٣) وفيات الأعيان ٩٩/١.

(٤) المنتظم ٢٤٠/١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٤٣٩.

صَاعِدُ بْنُ سَيَّارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، أَبُو الْعَلَاءِ الْإِسْحَاقِيُّ
الْهَرَوِيُّ الْحَافِظُ^(١) ، أَحَدُ الْمُتَّقِينَ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَتُوفِيَ بِغُورَجَ ؛ قَرْيَةً عَلَى
بَابِ هَرَاةَ ، فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

(١) المنتخب من السياق ص ٢٥٩ ، والمنظّم ١٧/٢٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٩/١٨٢ ، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٤٩١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢١٤ ، وعيون التواريخ ١٢/١٨٦ .
وقد تابع المصنف ، رحمه الله ، ابن الجوزي والكتبي ، فذكره في وفيات هذه السنة ، والمذكور في
مصادر ترجمته الأخرى أنه توفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ^(١) وَالْخَلِيفَةُ وَالسُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ يَتَحَارِبَانِ ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الشَّرَادِقِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ الْحَرَمِ ، تَوَصَّلَ جَمَاعَةٌ مِنْ لُجَنْدٍ [٢٣٢/٩] السُّلْطَانِ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَحَصَلَ فِيهَا أَلْفُ مُقَاتِلٍ عَلَيْهِمُ السَّلَاحُ ، فَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، وَخَرَجَ الْجَوَارِي وَهُنَّ حَاسِرَاتٌ يَسْتَعِشْنَ حَتَّى دَخَلْنَ دَارَ الْخَاتُونِ .

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٢) : وَأَنَا رَأَيْتُهُنَّ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ ، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ فِي جَيْشِهِ ، وَجِئَءَ بِالسُّفُنِ فَرَكِبَ فِيهَا الْجَيْشُ ، وَانْقَلَبَتْ بَغْدَادُ بِالصُّرَاخِ حَتَّى كَانَتْ الدُّنْيَا قَدْ زُلْزِلَتْ ، وَثَارَتْ الْعَامَّةُ مَعَ جَيْشِ الْخَلِيفَةِ ، فَكَسَرُوا جَيْشَ السُّلْطَانِ وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْأَمْرَاءِ ، وَأَسَرُوا آخَرِينَ وَنَهَبُوا دَارَ السُّلْطَانِ ، وَدَارَ وَزِيرِهِ ، وَدَارَ طَبِيبِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، وَأَخَذُوا مَا كَانَ فِي دَارِهِ مِنَ الْوَدَائِعِ ، وَمَرَّتْ خَبْطَةٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا ، حَتَّى إِنَّهُمْ نَهَبُوا الصُّوفِيَّةَ ، بِرِبَاطٍ بِهَرُورَ .

وَجَرَتْ أُمُورٌ طَوِيلَةٌ وَخُطُوبٌ جَلِيلَةٌ ، وَنَالَتِ الْعَامَّةُ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ : يَا بَاطِنِي تَتْرُكُ قِتَالَ الْفِرْنَجِ وَالرُّومِ وَتُقَاتِلُ الْخَلِيفَةَ ؟ ! ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ انْتَقَلَ إِلَى دَارِهِ فِي سَابِعِ الْحَرَمِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَمَائَلَ الْحَالُ ، وَطَلَبَ السُّلْطَانُ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْأَمَانَ وَالصَّلَاحَ ، فَلَانَ الْخَلِيفَةُ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَبَاشَرَ النَّاسُ بِالصَّلَاحِ ،

(١) المنتظم ٢٤١/١٧ ، والكامل ٦٤١/١٠ .

(٢) المنتظم ٢٤١/١٧ .

فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ نَقِيبَ الثَّقَبَاءِ وَقَاضِيَ الْقَضَاةِ ، وَشَيْخَ الشُّيُوخِ وَبُضْعَةً وَثَلَاثِينَ شَاهِدًا ، فَاخْتَبَسَهُمُ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ سِتَّةَ أَيَّامٍ ، فَسَاءَ ذَلِكَ النَّاسَ ، وَخَافُوا مِنْ فِتْنَةٍ أُخْرَى أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى ، وَكَانَ يَرْتُقِشُ الزُّكُوِيَّ شِخْنَةً بَغْدَادَ يُغْرِى السُّلْطَانُ بِأَهْلِ بَغْدَادَ لِيَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، ثُمَّ أَذِنَ لِأَوَّلِكَ الْجَمَاعَةِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَقَتَ الْمَغْرِبِ فَصَلَّى بِهِ الْقَاضِي ، وَقَرَأُوا عَلَيْهِ كِتَابَ الْخَلِيفَةِ ، فَقَامَ قَائِمًا ، فَأَجَابَ الْخَلِيفَةَ إِلَى جَمِيعِ مَا اقْتَرَحَ عَلَيْهِ ، وَوَقَعَ الصُّلْحُ وَالتَّخْلِيفُ ، وَدَخَلَ جَيْشُ السُّلْطَانِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَهُمْ فِي غَايَةِ الْجَهْدِ مِنْ قَلَّةِ الطَّعَامِ عِنْدَهُمْ فِي الْعَشِكْرِ ، وَقَالُوا : لَوْ لَمْ يُصَالِحْ لِمَتْنَا جُوعًا . وَظَهَرَ مِنَ السُّلْطَانِ حِلْمٌ كَثِيرٌ عَنِ الْعَوَامِّ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بَرْدًا مَا نُهَبَ مِنْ دُورِ الْجُنْدِ ، وَأَنَّ مَنْ كَتَمَ شَيْئًا أُبَيِّحَ دَمُهُ . وَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ عَلِيَّ بْنَ طَرَادِ الزَّيْنَبِيِّ النَّقِيبَ إِلَى السُّلْطَانِ سَنَجَرَ لِيُعِيدَ عَنْ بَابِهِ دُيُوسًا ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْخِلْعَ وَالْأَلْوِيَةَ ، فَأَكْرَمَ السُّلْطَانُ الرَّسُولَ ، وَأَذِنَ بِضَرْبِ الطَّبُولِ عَلَى بَابِهِ فِي ثَلَاثَةِ أَزْوَاقٍ ، وَظَهَرَ مِنْهُ طَاعَةٌ كَبِيرَةٌ .

ثُمَّ مَرِضَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ بَغْدَادَ ، فَأَمَرَهُ الطَّبِيبُ بِالِانْتِقَالِ عَنْهَا إِلَى هَمْدَانَ ، فَسَارَ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَفُوضَ شِخْنَكِيَّةَ بَغْدَادَ إِلَى عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي ، فَلَمَّا وَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى هَمْدَانَ ، بَعَثَ إِلَى شِخْنَكِيَّةِ بَغْدَادَ مُجَاهِدَ الدِّينِ بِهَرُورَ ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ الْحِلَّةَ ، وَبَعَثَ عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِي إِلَى الْمَوْصِلِ وَأَعْمَالِهَا .

وَفِيهَا دَرَسَ الْحَسَنُ بْنُ سَلْمَانَ^(١) بِالنِّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ .

وَفِيهَا وَرَدَ أَبُو الْفَتْوحِ الْإِسْفَرَايْنِيُّ فَوْعَظَ بِبَغْدَادَ ، فَأُورِدَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً مِنْكَرَةً

(١) فِي م ، وَالْكَامِلُ : « سَلْمَان » . وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ فِي هَذَا الْأَسْمِ ، وَانْظُرْ تَبْيِينَ كَذِبِ الْمُفْتَرِي ص ٣١٨ ، وَسِيرَ أَعْلَامِ الْبُلَاءِ ١ / ٦١١ ، وَطَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ لِلْسَّبْكِ ٧ / ٦٢ .

جداً، فاستُشِيبَ منها، وأُمر بالانتقالِ منها إلى غيرها، فشَدَّ معه جماعةٌ مِنَ الأكابر، وردُّوه إلى ما كان عليه، فوَقَعَ بسببِهِ فتنٌ كثيرةٌ بينَ الناسِ، ورجَمه بعضُ العامَّةِ فى الأسواقِ؛ وذلكَ لأنَّهُ كان يُطَلِّقُ عباراتٍ لا يُحتَاجُ إلى إيرادِها، فنَفَرَتْ عنه قلوبُ العامَّةِ وأبغَضُوهُ، وجلسَ الشيخُ عبدُ القادرِ الجِيلِيُّ، فتكلَّم على الناسِ فأعجبهم، وأحبُّوه وتزوَّكوا [٢٣٢/٩ ظ] ذاكَ.

وفىها قتلُ السلطانِ سَنَجَرُ مِنَ الباطنيَّةِ اثْنى عَشَرَ ألفاً. وحجَّ بالناسِ نَظَرُ الخادِمِ.

وَمَنْ توفَّى فيها مِنَ الأعيانِ :

محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ إبراهيمِ بنِ أحمدَ، أبو الحسنِ بنُ أبى الفضلِ الهَمْدَانِيُّ القَرَضِيُّ^(١)، صاحبُ «التاريخ» من بيتِ الحديثِ والأئمَّةِ. وذكر ابنُ الجوزيُّ^(٢) عن شيخه عبد الوهابِ أَنَّهُ طَعَنَ فيه. توفَّى فجأةً فى شَوَّالٍ من هذه السنة، ودُفِنَ إلى جانبِ ابنِ سُرَيْجٍ.

فاطمةُ بنتُ الحُسَيْنِ بنِ الحسنِ بنِ فضالُوَيْهِ^(٣)، سَمِعَتِ الخطيبَ وابنَ المُسلمِ وغيرهما، وكانت واعِظَةً، لها رِباطٌ تجتمعُ فيه الزاهِداتُ، وقد سَمِعَ عليها ابنُ الجوزيُّ «مُسْنَدَ الشافِعِيِّ» وغيره.

أبو محمدِ عبدُ اللّهِ بنُ محمدِ بنِ السَّيِّدِ البَطْلَيْوَسِيِّ، ثم البَلَنْسِيِّ^(٤)،

(١) المنتظم ٢٤٨/١٧، والكامل ٦٤٨/١٠، وعيون التواريخ ١٩٣/١٢.

(٢) المنتظم ٢٤٨/١٧.

(٣) المنتظم ٢٤٧/١٧، ومرة الزمان ١٢٦/١/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ٦٩.

(٤) الصلة ٢٢/١، وإنباه الرواة ١٤١/٢، ووفيات الأعيان ٩٦/٣، وعيون التواريخ ١٩١/١٢، وغاية النهاية ٤٤٩/١.

صاحبُ المصنَّفاتِ فى اللغةِ وغيرها ، جَمَعَ « المثلَّث » فى مجلَّدَيْنِ ، وزاد فيه على قُطْرُبٍ شَيْعًا كثيرًا جدًّا ، وله « شرحُ سَقَطِ الزُّنْدِ » لأبى العلاء ، أحسنُ من شرحِ المصنِّفِ ، وله « شرحُ أدبِ الكاتبِ » لابنِ قُتَيْبَةَ ، ومن شعره الذى أوردَه القاضى ابنُ خَلِّكَانَ قوله ^(١) :

أخو العلمِ حَتَّى خالَدَ بعدَ موْتِهِ وأوصالُهُ تحتَ التُّرابِ رَمِيمٌ
وذو الجهْلِ مَيِّتٌ وهو ماشٍ على الثَّرَى يُظَنُّ مِنَ الأحياءِ وهو عَدِيمٌ

(١) وفيات الأعيان . وانظر البيتين أيضا فى : الصلة ٢٣/١ ، وإنباه الرواة ١٤٢/٢ ، وعيون التواريخ ١٩٢/١٢ .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة^(١)

فى أولها قديم رسول سنجر إلى الخليفة يسأل منه أن يخطب له على منابر بغداد، فكان يخطب له فى كل جمعة فى جامع.

وفىها مات ابن صدقة وزير الخليفة، واستناب فى الوزارة نقيب الثقباء. وفىها اجتمع السلطان محمود بعمة سنجر واضطلحا بعد حشونة، وسلم سنجر دئيسا إلى محمود، على أن يسترضى عنه الخليفة ويعزل زكى عن المؤصل وبلادها، ويسلم ذلك إلى دئيس. واشتهر فى ربيع الأول ببغداد أن دئيسا أقبل إلى بغداد فى جيش كثيف، فكتب الخليفة إلى الملك محمود: لئن لم يكفه عن قدوم بغداد، وإلا خرجنا إليه ونقضنا ما بيننا وبينك من العهد والصلح.

وفىها ملك الأتابك زكى بن آق سنقر مدينة حلب وما حولها من البلاد. وفىها ملك تاج الملوك بورى بن طغتكين مدينة دمشق بعد وفاة أبيه، وقد كان أبوه من ممالك تاج الدولة تثنش بن ألب أرسلان، وكان عاقلاً حازماً عادلاً خيراً، كثير الجهاد للفرنج، رحمه الله.

وفىها عمل ببغداد مصلّى للعيد ظاهر باب الحلبّة، وحوّط عليه، وجعل فيه قبلة. وحج بالناس فى هذه السنة نظر الخادم.

(١) المنتظم ٢٤٩/١٧، والكامل ٦٤٩/١٠.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ صَدَقَةَ^(١) ، أَبُو عَلِيٍّ وَزِيرُ الْمُسْتَرْشِدِ ، تُوفِّيَ فِي رَجَبِ
مِنْهَا . وَمِنْ شَعْرِهِ الَّذِي أَوْرَدَهُ ابْنُ الْجَوَازِيِّ^(٢) مِمَّا بَالَعَ فِيهِ قَوْلُهُ :

وَجَدْتُ الْوَرَى كَالْمَاءِ طَعْمًا وَرِقَّةً وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زُلَّالُهُ
وَصَوَّرْتُ مَعْنَى الْعَقْلِ شَخْصًا مَصُورًا وَأَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِثَالُهُ
فَلَوْلَا مَكَانُ^(٣) الدِّينِ وَالشَّرْعِ وَالثَّقَى لَقُلْتُ مِنَ الْإِعْظَامِ جَلَّ جَلَالُهُ

الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ اللَّامِشِيِّ^(٤) [٢٣٣/٩] مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ ،
رَوَى الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْمُنَاطَرَةِ ، وَكَانَ خَيْرًا ، دَيَّنَا عَلَى
طَرِيقَةِ السَّلَفِ ، مُطَّرِحًا لِلتَّكْلُفِ ، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ ، قَدِمَ مِنْ عِنْدِ الْخَاقَانِ مَلِكِ مَا
وَرَاءَ النَّهْرِ فِي رِسَالَةٍ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَحُجُّ عَامَكَ هَذَا ؟ فَقَالَ : لَا
أَجْعَلُ الْحُجَّ تَبَعًا لِرِسَالَتِهِمْ . فَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ ، فَمَاتَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ
إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

طُغْتِكَيْنِ الْأَتَابِكُ^(٥) ، صَاحِبُ دِمَشْقَ التُّرْكِيِّ ، أَحَدُ غِلْمَانِ تَاجِ الدَّوْلَةِ تُشْتُشَ

(١) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٩٤/١ ، والمنتظم ٢٥٠/١٧ ، والكامل ٦٥٢/١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ٧١ : وفيه « الحسين » وعيون التاريخ ٢٠٠/١٢ .
(٢) المنتظم ٢٥٠/١٧ . وانظر الأبيات أيضًا في : الكامل ٦٥٢/١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ٧١ .

(٣) في المنتظم ، والكامل : « طريق » .

(٤) في م : « اللامتنى » ، وانظر ترجمته في : الأنساب ٦٧١/٥ ، والمنتظم ٢٥١/١٧ ، ومروءة الزمان ٨/١٢٧/١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ٧٢ ، وتذكرة الحفاظ ٤/١٢٧٢ .
(٥) وفیات الأعيان ٤٢٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٥١٩/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ٧٤ ، وعيون التواريخ ١٩٨/١٢ .

ابن ألب أرسلان السلجوقي ، كان من خيار الملوك وأعدليهم وأكثرهم جهاداً
للأعداء ، وكانت وفاته في هذا العام ، وقام في الملك من بعده ولده تاج الملوك
بوري .

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وعشرين وخمسمائة^(١)

فى المحرم منها دخل السلطان محمود إلى بغداد، واجتهد فى إرضاء الخليفة عن دُيَّيس، وأن يُسلم إليه بلاد الموصل، فامتنع الخليفة من ذلك، وأبى أشدَّ الإباء، هذا وقد تأخر دُيَّيس عن الدخول إلى بغداد، ثم دخلها وركب بين الناس فلعنوه وشتموه فى وجهه، وقدم عماد الدين زنكى بن أقر سنقر، فبذل للسلطان فى كل سنة مائة ألف دينار، وهدايا وتحفا، والتزم الخليفة للسلطان بمثلها على أن لا يؤلَّى دُيَّيسا شيئا، وعلى أن يستمر زنكى على عمله بالموصل، فأقره على ذلك وخلع عليه، ورجع إلى عمله، وملك فى هذه السنة مدينة حلب وحماه. وأسر ملكها شونج بن تاج الملوك، فافتدى منه بخمسين ألف دينار.

وفى يوم الاثنين سلخ ربيع الآخر خلع السلطان على نقيب الثقباء بالوزارة استقلالا، ولا يُعرف أحد من العباسيين بأمر الوزارة غيره.

وفى رمضان جاء دُيَّيس فى جيش إلى الحلة فملكها، ودخل إليها فى أصحابه، وكانوا ثلاثمائة فارس، ثم إنه شرع فى جمع الأموال، وأخذ الغلاب من القرى حتى حصل نحوًا من خمسمائة ألف دينار، واستخدم قريبًا من عشرة آلاف مقاتل، وتفاقم الحال بأمره وسببه، وبعث إلى الخليفة يسترضيه، فلم يرُض عنه، وعرض عليه أموالا كثيرة جدًا فلم يقبلها الخليفة، وكتب الخليفة إلى

(١) المنتظم ٢٥٢/١٧، والكامل ٦٥٤/١٠.

السلطان فَبَعَثَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ جَيْشًا فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ وَذَهَبَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، لَا جَمْعَ لِلَّهِ بِهِ شَمْلًا ، وَأَغَارَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخَذَ مِنْهَا حَوَاصِلَ السُّلْطَانِ وَالْخَلِيفَةِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَرِّيَّةَ فَأَنْقَطَعَ خَبْرُهُ .

وفى هذه السنة قَتَلَ صَاحِبُ دِمَشْقَ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ سِتَّةَ آلَافٍ ، وَعَلَّقَ رَأْسَ كَبِيرِهِمْ عَلَى بَابِ الْقَلْعَةِ ، وَأَرَاخَ اللَّهُ أَهْلَ الشَّامِ مِنْهُمْ .

وفِيهَا حَاصِرَتِ الْفِرْنَجُ مَدِينَةَ دِمَشْقَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَهْلُهَا ، فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَبَعَثَ أَهْلُ دِمَشْقَ ^(١) «عَبْدَ الْوَهَّابِ» الْوَاعِظَ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّجَارِ إِلَى بَغْدَادَ يَسْتَعِينُونَ بِالْخَلِيفَةِ ، وَهَمُّوا بِكَثْرِ مَنَبْرِ الْجَامِعِ ، حَتَّى وَعَدُوا بِأَنَّهُمْ سَيَكْتُبُونَ إِلَى السُّلْطَانِ ؛ لِيَبْعَثَ جَيْشًا كَثِيفًا نُصْرَةً لِأَهْلِ الشَّامِ ، فَلَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ حَتَّى نَصَرَهُمُ اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَلَمْ يُقْلِتْ مِنْهُمْ سِوَى أَرْبَعِينَ نَفْسًا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ . وَقَتِلَ يَمِينُ الْفِرْنَجِيِّ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةَ .

وفى هذه السنة تَخَبَّطَ [٢٣٣/٩ ط] النَّاسُ فِي الْحَجِّ حَتَّى ضَاقَ الْوَقْتُ بِسَبَبِ فِتْنَةِ دُنَيْسَ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ ، حَتَّى حَجَّ بِهِمْ أَحَدُ مَمَالِكِ يَرْفُشَ الزَّكَوِيِّ ، وَكَانَ اسْمُهُ بَغَاجِقُ ^(٢) .

وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَسْعَدُ بْنُ أَبِي نَصْرِ الْمِيهَنِيِّ ^(٣) أَبُو الْفَتْحِ ، أَحَدُ أُمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ ،

(١ - ١) فى م : « عبد الله » .

(٢) فى عيون التواريخ ٢٠٤/١٢ : « تعاجق » . وانظر إتحاف الورى ٥٠١/٢ .

(٣) المنتظم ٢٥٥/١٧ ، ووفيات الأعيان ٢٠٧/١ ، وسير أعلام النبلاء ٦٣٣/١٩ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٨/٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٤٢/٧ وفيه : « أسعد من محمد بن أبي نصر » .

تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيِّ ، وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ ، وَتَفَرَّدَ مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِهِ ، وَوَلَّى
تَدْرِيسَ النُّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ ، وَحَصَلَ لَهُ وَجَاهَةٌ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَغُلِقَ عَنْهُ
« تَعْلِيقَةُ الْخِلَافِ » ، ثُمَّ عُزِّلَ عَنِ النُّظَامِيَّةِ ، فَسَارَ إِلَى هَمْدَانَ ، فَمَاتَ بِهَا فِي هَذِهِ
السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة^(١)

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق تهدمت بسببها دور كثيرة ببغداد، ووقع بأرض الموصل مطر عظيم فسقط بعضه نارًا تأجج، فاحترقت دور كثيرة من ذلك، وتهارب الناس.

وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان، فخاف الناس منها خوفًا شديدًا. وفيها ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند، وكان بها محمد خان^(٢). وفيها ملك عماد الدين زنكي بلادًا كثيرة من الجزيرة، ومن بلاد الفرنج، وجرث له معهم حروب طويلة وخطوب جليلة، ونصر عليهم في تلك المواقف كلها، ولله الحمد والمثنة، وقتل خلقًا من جيش الروم حين قدّموا إلى الشام، ومدحه الشعراء على ذلك.

قتل خليفة مضر الفاطمي

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الأمير بأحكام الله ابن المشتغلي صاحب مضر، قتلته الباطنية، وله من العمر أربع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسعًا وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفًا، وكان هذا الرجل هو العاشر

(١) المنتظم ٢٥٦/١٧، والكامل ٦٦٦/١٠.

(٢) في خ، م: «بن خاقان».

من الفاطميين، والعاشر من ولد عُبيد الله المهدي، ولما قُتل الأمر، تغلب على الديار المصرية غلام من غلمان الخليفة أرمني، فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي، أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، فأقام الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله؛ وله من العمر ثمان وخمسون سنة، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه وحصره في مجلس، لا يدخل إليه أحد إلا من يريده، ونقل الأموال من القصر إلى داره، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط.

ومن توفي فيها من الأعيان:

إبراهيم^(١) بن عثمان بن محمد، أبو إسحاق الكلبى^(٢) من أهل غزة، جاوز الثمانين، وله شعر جيد، ومن شعره في الأثرأ قوله^(٣):

في فتنة من جيوش الترك ما تركت للرعيد كرائتهم صوتاً ولا صيتاً
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتاً
وله^(٤):

ليت الذى بالعشق دونك خصنى يا ظالمى قسم المحبة بيننا
ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه ويروغنى نظر الغزال إذا رنا

(١) بعده فى م: « بن يحيى ». وانظر ترجمته فى: تاريخ دمشق ٥١/٧، والمنتظم ٢٥٧/١٧، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٤/١، ووفيات الأعيان ٥٧/١، وسير أعلام النبلاء ٥٥٤/١٩، وفيه: « إبراهيم بن يحيى بن عثمان »، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ٩٠.

(٢) فى الأصل، ص: « المغربى »، وفى خ: « المصرى ». وهذا الشعر يعرف بالغزى.

(٣) المنتظم ٢٥٧/١٧.

(٤) المنتظم ٢٥٨/١٧.

وله^(١) :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ وَالسَّفِيهُ الْعَوِيُّ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتٌ وَالْمُؤْمَلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
وله أيضًا :

قَالُوا هَجَزْتَ الشَّعَرَ قُلْتَ ضُرُورَةً بَابُ الْبَوَاعِثِ وَالِدُّوَاعِي مُغْلَقُ
خَلَّتِ الْبِلَادُ فَلَا كَرِيمٌ يُزْنَجِي مِنْهُ النَّوَالُ وَلَا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ [٢٣٤/٩] أَنَّهُ لَا يُشْتَرَى وَيُخَانُ فِيهِ مِنَ الْكَسَادِ وَيُسْرَقُ

وَمَا أَنشده ابنُ خَلِّكَانَ فِي الْوَفِيَّاتِ مِنْ شَعْرِهِ الرَّائِقِ قَوْلُهُ^(٢) :

إِشَارَةٌ مِنْكَ تَكْفِينَا وَأَحْسَنُ مَا رُذِّ السَّلَامُ غَدَاةَ الْبَيْتِ بِالْعَنَمِ^(٣)
حَتَّى إِذَا طَاحَ عَنْهَا الْمِرْطُ مِنْ دَهْشٍ وَانْحَلَّ بِالصَّمِّ سِنْلُكَ الْعِقْدِ فِي الظَّلَمِ
تَبَسَّمْتَ فَأَضَاءَ اللَّيْلُ فَالْتَقَطْتُ حَبَاتٍ مُنْتَشِرٍ فِي ضَوْءٍ مُنْتَظِمِ

كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِلَادِ بَلَخَ ، وَدُفِنَ بِهَا .

الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
عُبَيْدِ اللَّهِ^(٤) بْنِ الْقَاسِمِ^(٥) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٥) بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبِ الدَّبَّاسِ ، أَبُو

(١) المنتظم ٢٥٨/١٧ .

(٢) وفيات الأعيان ٥٩/١ .

(٣) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يُشَبَّه بها البنُّانُ المخضوبُ . تاج العروس (ع ن م) .

(٤ - ٥) في الأصل ، خ : « عبد الله » وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٥٩/١٧ ، ومعجم الأدباء ١٠٤٧/١٠ ، وإنباه الرواة ٣٢٨/١ ، ووفيات الأعيان ١٨١/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٥٣٣/١٩ ، ومعرفة القراء الكبار ٣٨٦/١ .

(٥ - ٥) سقط من الأصل ، خ ، ص ، والمنتظم ، وفي سير أعلام النبلاء ٥٣٤/١٩ ، ووفيات الأعيان ، وإنباه الرواة : « عبيد الله » .

عبد الله الشاعر المعروف بالبارع، قرأ القراءات وسمع الحديث، وكان عارفاً
بالنحو واللغة والأدب، وله شعر رائق، وكانت وفاته في هذه السنة، وقد جاوز
الثمانين، رحمه الله.

محمد بن سَعْدُون بن مُرَجَّى، أبو عامر العبدري القرشي^(١) الحافظ، أصله
من ميوزقة^(٢) من بلاد المغرب، ودخل بغداد فسمع بها على طراد الزينبي،
والحميدي، وغير واحد، وكانت له معرفة بالحديث جيدة، وكان يذهب في
الفروع مذهب الظاهرية. توفى في بغداد في ربيع الآخر.

(١) تاريخ دمشق ٣٤٨/١٥، المنتظم ٢٦١/١٧، وسير أعلام النبلاء ٥٧٩/١٩، وتذكرة الحفاظ ٤/
١٢٧٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ١٠٣، والوفاء بالوفيات ٩٣/٣.
(٢) في خ، م: «بيروقه»، وفي المنتظم: «برقة».

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٌ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةً

فيها^(١) ضَلَّ دُيَيْسٌ عَنِ الطَّرِيقِ فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَأَسْرَهُ بَعْضُ أَمْرَاءِ الْأَعْرَابِ بِأَرْضِ الشَّامِ ، وَحَمَلَهُ إِلَى مَلِكِ دِمَشْقَ بُورِي بْنِ طُغْتِكَيْنَ ، فَبَاغَهُ مِنْ زَنْكِي بْنِ آقٍ سُنْقَرُ صَاحِبِ الْمُؤَصِّلِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا حَصَلَ فِي يَدِهِ لَمْ يَشْكُ دُيَيْسٌ أَنَّهُ سَيُهْلِكُهُ ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَدَاوَةِ ، فَأَكْرَمَهُ زَنْكِي ، وَأَعْطَاهُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً ، وَقَدَّمَهُ وَاحْتَرَمَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ رِسْلُ الْخَلِيفَةِ فِي طَلَبِهِ فَبَعَثَهُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمُؤَصِّلِ حُبِسَ فِي قَلْعَتِهَا .

وفيها وَقَعَ بَيْنَ الْأَخْوَيْنِ مُحَمَّدٍ ، وَمَسْعُودٍ ، فَتَوَاجَهَا لِلْقِتَالِ ثُمَّ اصْطَلَحَا .
وفيها كَانَتْ وَفَاةُ الْمَلِكِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَلِكُشَاهِ بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ ، فَأُقِيمَ فِي الْمَلِكِ مَكَانَهُ ابْنُهُ دَاوُدُ ، وَجُعِلَ لَهُ أَتَابِكٌ وَوَزِيرٌ ، وَخُطِبَ لَهُ بِأَكْثَرِ الْبِلَادِ .

وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ ، ^(٢) أَبُو نَضْرِ الطُّوسِيُّ سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَتَفَقَّهَ بِالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشُّيرَازِيِّ ، وَكَانَ شَيْخًا لَطِيفًا ، عَلَيْهِ نَوْرٌ .

قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ : أَنْشَدَنِي ^(٣) :

(١) المنتظم ٢٦٣/١٧ ، والكامل ٦٦٨/١٠ .

(٢ - ٢) فِي خ ، م : « الصوفى » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٦٥/١٧ ، والكامل ٦٧١/١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥٨٤/١٩ ، وعيون التواريخ ٢٢٢/١٢ ، وشذرات الذهب ٧٣/٤ .

(٣) المنتظم ٢٦٥/١٧ ، وعيون التواريخ ٢٢٢/١٢ .

على كلِّ حالٍ فاجعلِ الحَزَمَ عُدَّةً تقدِّمُهُ بين التَّوَائِبِ والدَّهْرِ
فإنَّ نِلْتَ خَيْرًا نِلْتَهُ بِعَزِيمَةٍ وإنَّ قَصَّرْتَ عَنْكَ الخُطُوبَ^(١) فَعَنْ عُذْرِ
قال : وأنشدني أيضًا^(٢) :

لَيْسَتْ ثَوْبُ الرَّجَا والنَّاسُ قد رَقَدُوا وقمْتُ أشكو إلى مَوْلَايَ ما أَجِدُ
وقلْتُ يا عُدَّتِي في كلِّ نَائِبَةٍ ومَنْ عليه لَكَشْفِ الضَّرِّ أَعْتَمِدُ
وقد مَدَدْتُ يَدِي^(٣) والضَّرُّ مُشْتَمِلٌ^(٤) إِلَيْكَ يا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ
فلا تَرُدُّنَهَا يَارَبَّ خَائِبَةٍ فَبَخَّرْ جُودَكَ يَزُودِي كُلَّ مَنْ يَرُدُّ

الحسنُ بنُ سلمان^(٥) بن عبد الله بن عبد الله^(٦)، ابنُ الفتى، أبو عليّ
الفقيه مدرِّسُ النِّظامِيَّةِ، وقد وعظَ بجامعِ القصرِ، وكان يقولُ^(٧) : أنا في الفقه
مُنْتَهَى، وفي الوُعْظِ مُبْتَدَى. وقد توفَّى في هذه السنة، وغسَّله القاضي أبو
العباس [٢٣٤/٩ ظ] ابنُ الرُّطْبِيّ، ودُفِنَ عندَ أبي إسحاق.

حمَّادُ بنُ مسلم الرُّحْبِيُّ الدِّبَّاسُ^(٨)، كان يُذَكَّرُ له أحوالٌ ومُكَاشَفَاتٌ
وأطْلَاعٌ على مُعْجِيَّاتٍ، وغيرُ ذلك من المَقَامَاتِ، ورأيتُ ابنَ الجَوْزِيِّ يتكلَّمُ فيه،

(١) في خ، م : « الأمور ».

(٢) المنتظم ١٧/٢٦٥، وعين التواريخ ١٢/٢٢٣.

(٣ - ٣) في المنتظم : « بالذل صاغرة ». وانظر عيون التواريخ ١٢/٢٢٣.

(٤) في خ، م : « سليمان ». وانظر ترجمته في : تبين كذب المفتري ص ٣١٨ وفيه : « الحسن بن
سليمان »، والمنتظم ١٧/٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/٦١١، وعيون التواريخ ١٢/٢٣٤، وطبقات
الشافعية للسبكي ٧/٦٢.

(٥ - ٥) في م : « عبد الغنى ».

(٦) المنتظم ١٧/٢٦٦.

(٧) المنتظم ١٧/٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/٥٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ -
٥٣٠ هـ) ص ١٢٨، وعيون التواريخ ١٢/٢٢٣، ومراة الجنان ٣/٢٤٢.

ويقول^(١) : كان عُزَيَّا مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَنْفُقُ عَلَى الْجُهَّالِ .

وَذَكَرَ عَنْ ابْنِ عَقِيلٍ أَنَّهُ كَانَ يُتَفَرُّ النَّاسَ عَنْهُ ، وَكَانَ حَمَّادُ الدَّبَّاسِ يَقُولُ^(٢) :
ابْنُ عَقِيلٍ عَدُوٌّ . قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٣) : وَكَانَ النَّاسُ يَنْذِرُونَ لَهُ ، فَيَقْبَلُ ذَلِكَ ، ثُمَّ
تَرَكَ ذَلِكَ ، وَصَارَ يَأْخُذُ مِنَ الْمَنَامَاتِ ، وَيُنْفِقُ عَلَى أَصْحَابِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي
رَمَضَانَ ، وَدُفِنَ بِالشُّونِيزِيَّةِ .

عَلِيُّ ابْنِ الْمُسْتَظْهِرِ بِاللَّهِ^(٤) أَخُو الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَرْشِدِ ، تُوُفِّيَ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ
السَّنَةِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً ، فَتَرَكَ ضَرْبَ الطَّبُولِ ، وَجَلَسَ النَّاسُ
لِلْعَزَاءِ أَيَّامًا .

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ الْمَاهِيَانِيِّ^(٥) ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ ، تَفَقَّهَ
بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ ، وَغَيْرِهِ ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ إِلَى بِلَادِ شَتَّى ، وَدَرَسَ
وَأَفْتَى وَنَظَرَ . تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ قَارَبَ التَّسْعِينَ ، وَدُفِنَ بِقَرْيَةِ مَاهِيَانَ مِنْ
بِلَادِ مَرْوَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

مُحَمَّدُ السُّلْطَانُ ابْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاه^(٦) بْنِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ بْنِ
دَاوُدَ بْنِ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ^(٧) ، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ فِيهِ حِلْمٌ وَأَنَاةٌ وَبِرٌّ

(١) المنتظم ١٧/٢٦٦ .

(٢) المصدر السابق ١٧/٢٦٧ ، والكامل ١٠/٦٧٠ .

(٣) فى النسخ : « الماهاني » . وانظر ترجمته فى : الأنساب ١٨٣/٥ وفيه : « محمد بن أحمد بن محمد
ابن حفص الماهيانى » ، والمنتظم ١٧/٢٦٧ وفيه : « محمد بن أحمد بن الفضل » ، واللباب فى تهذيب
الأنساب ٩١/٣ وفيه مثل ما فى الأنساب ، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٩/٦ وفيه مثل ما فى المنتظم ،
وطبقات الشافعية للإسنوى ٢/٤٢٤ .

(٤ - ٤) سقط من : خ ، م وانظر ترجمته فى : المنتظم ١٧/٢٦٨ ، والكامل ١٠/٦٦٩ ، ووفيات =

وصلايةً، وجلسوا لغزائه ثلاثة أيام، سامحه الله.

هبة الله بن محمد بن عبد الواحد^(١) بن أحمد^(٢) بن العباس بن الحسين،
أبو القاسم الشيباني، راوى المسند عن أبي علي بن المذهب^(٣)، عن أبي بكر بن
مالك، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، وقد سمع قديمًا؛ لأنه وُلِدَ في سنة
ثنتين وثلاثين وأربع مائة، وباكر به أبوه فأسمعه، ومعه أخوه عبد الواحد، على
جماعة من عليّة المشايخ، وقد روى عنه ابن الجوزي، وغير واحد، وكان ثقةً ثبّتًا
صحيح السماع. تُوفّي بين الظهر والعصر يوم الأربعاء رابع شوال من هذه
السنة، وله ثلاث وتسعون سنة، رحمه الله تعالى.

= الأعيان ٥/ ١٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٢٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٤٩.
(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: المنتظم ١٧/ ٢٦٨، والكامل ١٠/ ٦٧١، وسير أعلام النبلاء
١٩/ ٥٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ١٣٧، وعيون التواريخ ١٢/
٢٢٣.
(٢) في م: «الندب».

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

فيها^(١) قديم مشعوذ بن محمد^(٢) بغداد، وقدمها قراجا الساقى، ومعه
سلاجوق شاه بن محمد، وكل منهما يطلب الملك لنفسه، وقدم عماد الدين
زنكى بن آق شنقر لينضم إليهما، فتلقاه قراجا الساقى فهزمه فهرب منه إلى
تكرت، فخدمه نائب قلعتها نجم الدين أيوب - والد الملك صلاح الدين، الذى
فتح القدس فيما بعد حتى عاد إلى بلاده - فكان هذا هو السبب فى مصير نجم
الدين أيوب إليه، وهو بحلب، فخدم عنده، ثم كان من الأمور ما سيأتى بيانه مما
قدّره الله تعالى. ثم إن المليك مسعودا وسلاجوق شاه اجتمعا فاضطلحا، وركبا
إلى الملك سنجر فاقتتلا معه، فكان جيشه مائة وستين ألفا، وكان الذين معهما
قريبا من ثلاثين ألفا، وكان جملة من قتل بينهم أربعين ألفا، وأسر جيش سنجر
[٢٣٥/٩] قراجا الساقى فقتله صبرا بين يديه، ثم أجلس طغرل بن محمد على
سرير الملك، وخطب له على المنابر، ورجع سنجر إلى بلاده، وكتب طغرل إلى
دئيس وزنكى ليذهبا إلى بغداد فيأخذاها، فأقبلا فى جيش كثيف فبرز إليهما
الخليفة فهزمهما، وقتل خلقا من أصحابهما، وأزاح الله شرهما عنه، ولله
الحمد. وفيها قتل أبو على بن الأفضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ الفاطمى^(٣)،
فنقل الحافظ الأموال التى كان أخذها إلى داره، واشتوزر بعده أبا الفتح يانس

(١) المنتظم ٢٦٩/١٧، والكامل ٦٧٢/١٠.

(٢) فى المنتظم ٢٧٠/١٧، وعبون التواريخ ٢٥٠/١٢: «محمود». وانظر وفيات الأعيان ٢٠٠/٥.

(٣) فى الأصل: «الهاشمى»، وفى الكامل ٦٧٢/١٠: «العلوى».

الحافظي، ولقبه أمير الجيوش، ثم اختال له فقتله، واستوزر الحافظ ولده حسنا وخطب له بولاية العهد. وفيها عزل المسترشد وزيره علي بن طراد، واستوزر أنوشروان بن خالد بعد تمتع. وفيها ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن ثوري بن طغتكين بعد وفاة أبيه، واستوزر يوسف بن فيروز، وكان خيرا، فملك بلادا كثيرة، وأطاعه أخوه.

وممن توفى فيها من الأعيان:

أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان ابن عمر بن عيسى بن إبراهيم^(١) بن سعيد^(٢) بن عتبة بن فرقد^(٣) السلمي، ويعرف بابن كادش، العكبري، أبو العزّ البغدادى، سمع الحديث الكثير، وكان يفهمه ويرويه^(٤) وهو آخر من روى عن الماوردي، وقد أثنى عليه غير واحد؛ منهم أبو محمد بن الخشاب، وكان محمد بن ناصر يتهمة ويؤميه بأنه اعترف بوضع حديث، فالله أعلم. وقال عبد الوهاب الأنماطي^(٥): كان مخطئا^(٦)، توفى في جمادى الأولى من هذه السنة.

محمد بن محمد بن الحسين بن^(٧) محمد، أبو الحسين ابن^(٨) القاضي أبي

(١ - ١) سقط من خ، م. وفي المنتظم ٢٧٣/١٧: «بن سعد». وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ١٤١، وعيون التواريخ ١٢/٢٥١، وشذرات الذهب ٧٨/٤.

(٢) في النسخ: «يزيد». والمثبت من المنتظم ٢٧٣/١٧. وانظر سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٩.

(٣) في الأصل، ص: «يدرسه».

(٤) المنتظم ٢٧٣/١٧، وسير أعلام النبلاء ٥٥٩/١٩.

(٥) في الأصل، والمنتظم: «مخلصا». وانظر: سير أعلام النبلاء ٥٥٩/١٩.

(٦ - ٦) سقط من: خ، م. وانظر ترجمته في: المنتظم ٢٧٤/١٧، وسير أعلام النبلاء ٦٠١/١٩، والعبير ٦٩/٤، والوافي بالوفيات ١٠٩/١، ومراة الجنان ٢٥٢/٣، وذيل طبقات الحنابلة ١٧٦/١.

يَعْلَى بْنِ الْفَرَاءِ الْحَنْبَلِيِّ ، وُلِدَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، سَمِعَ
أَبَاهُ وَغَيْرَهُ ، وَتَفَقَّهَ وَنَازَلَ وَأَفْتَى وَدَرَّسَ ، وَكَانَ لَهُ بَيْتٌ فِيهِ مَالٌ ، فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنَ
الْإِيلِ فَقُتِلَ وَأُخِذَ مَالُهُ ، ثُمَّ أَظْهَرَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَى قَاتِلِهِ فَقَتَلُوهُ .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة^(١)

فى صفرٍ منها دخل السلطان مسعودٌ إلى بغدادَ، فخطب له على منابرِها، وخلع عليه الخليفةُ وولاهُ السلطنةَ، ولما ذُكر على المنابرِ نُثرتِ الدنانيرُ والذهبُ على الناسِ، وخلع أيضًا على الملكِ داودَ بنِ محمودٍ. وفيها جمع دُبَيْسُ جَمْعًا كثيرًا بواسطِ، وانضمَّ إليه جماعةٌ فأرسل إليه السلطانُ جيشًا فكسروه وفزقوا شملَه، ثم إنَّ الخليفةَ عَزَمَ على الخروجِ إلى الموصلِ ليأخذَها من يدِ زَنْكِي، فخرج فى جيشٍ كثيفٍ، وخلَقَ من الأمراءِ والأكابرِ والوزراءِ، فلما اقترب منها بعث إليه عمادُ الدينِ زَنْكِي يعرضُ عليه من الأموالِ الجزيلةِ والتَّخفِ شيئًا كثيرًا ليرجعَ عنه فلم يقبلْ، ثم بلغه أنَّ السلطانَ مسعودًا قد اضطلحَ مع دُبَيْسٍ وخلعَ عليه، فكَرَّ راجعًا سريعًا إلى بغدادَ سالمًا مُعْظَمًا.

وفىها مات ابنُ الزَّاغُونِي أحدُ أئمَّةِ الحنابلةِ، فطلبَ حلقتَه ابنُ الجوزِي - وكان شابًّا - فحصلتَ لغيره، ولكنَّ أذنَ له الوزيرُ أنوشروانُ فى الوعظِ، فتكلَّم فى هذه السنةِ على الناسِ [٢٣٥/٩ ظ] بأماكنَ مُتَعَدِّدَةٍ مِن بغدادَ، وكثُرَتْ مجالِسُه وازْدَحَمَ عليه الناسُ.

وفىها ملكَ شمسُ الملوكِ إسماعيلُ صاحبُ دِمَشقَ مدينةَ حماةَ، وكانت بيدِ زَنْكِي. وفى ذى الحِجَّةِ نهبَ التُّركُمانُ مدينةَ طرابُلُسَ فخرجَ إليهم القومُصُّ -

(١) المنتظم ١٧/٢٧٥، والكامل ١٠/٦٨٦.

لعنه الله - فهزموه وقتلوا خلقاً من أصحابه، وحاصروه بها مدة طويلة، حتى طال عليهم الحصار، فأنصرفوا.

وفيهما وُلِّيَ مَكَّةَ قَاسِمُ بْنُ أَبِي فَلَيْتَةَ بَعْدَ أَبِيهِ. وفيها قَتَلَ شَمْسُ الْمُلُوكِ أَخَاهُ سُوَيْجَ، وفيها اشْتَرَى الْبَاطِنِيُّ بِالشَّامِ حِصْنَ الْقُدُمُوسِ فَسَكَنُوهُ، وَحَارَبُوا مَنْ جَاوَزَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَرَجِ. وفيها اقْتَتَلَتِ الْفَرَجُ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِتَالاً شَدِيداً فَمَحَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ خَلْقاً كَثِيراً، وَغَزَاهُمْ فِيهَا أَيْضاً عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَلْفَ قَتِيلٍ، وَغَنِمَ أَمْوَالاً جَزِيلَةً، وَيُقَالُ لَهَا: غَزَاةُ أَسْوَارٍ.

وحجَّ بالناسِ في هذه السَّنة نَظَرُ الْخَادِمِ، وَكَذَا فِي الَّتِي قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا.

وَمَنْ تُوُفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ:

أَحْمَدُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ عُبَيْدٍ^(١) اللَّهُ بْنُ مَخْلَدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو الْعَبَّاسِ، ابْنُ الرُّطْبِيِّ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ، وَابْنِ الصَّبَّاحِ بَيْغَدَادَ، وَبَأَصْبَهَانَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتِ الْحُجَنْدِيِّ، ثُمَّ وُلِّيَ الْحُكْمَ بَيْغَدَادَ بِالْحَرَمِ، وَالْحِسْبَةَ بَيْغَدَادَ، وَكَانَ يُؤَدِّبُ أَوْلَادَ الْخَلِيفَةِ، تُوُفِيَ فِي رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنةِ، وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ. أَسْعَدُ بْنُ أَبِي نَصْرِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ، أَبُو الْفَتْحِ^(٢) الْمِيهَنِيُّ مَجْدُ الدِّينِ، أَحَدُ أَيْمَةِ الشَّافِعِيَّةِ، وَصَاحِبُ «الطَّرِيقَةِ فِي الْخِلَافِ» الْمَطْرُوقَةِ، وَقَدْ دَرَسَ بِالنُّظَامِيَّةِ بَيْغَدَادَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ^(٣) وَخَمْسِمِائَةٍ إِلَى سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ^(٤) فَعُزِّلَ عَنْهَا، وَاشْتَهَرَ

(١) فِي خ، م: «عبد». وانظر ترجمته في: تبين كذب المفترى ص ٣٢١، والمنظم ٢٧٧/١٧، وسير أعلام النبلاء ٦١٠/١٩، والوافي بالوفيات ٣٩٦/٦، وطبقات الشافعية للسبكي ١٨/٦.

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٢٨٢.

(٣) بعده فِي خ، م: «عشرة». وانظر سير أعلام النبلاء ٦٣٣/١٩.

(٤) فِي خ، م: «وعشرين». وانظر المصدر السابق.

أصحابه هُنالك وبعد صيته^(١) وقد تقدّم في سنة سبع عشرة^(٢) أنه وليها، وأنه تُوفّي في سنة ثلاث وعشرين. وقال ابن خلكان^(٣): تُوفّي سنة سبع وعشرين^(٤).

الحسن بن محمد بن إبراهيم^(٥) بن أحمد بن عليّ، أبو نصر اليونانيّ^(٦)، من قُرَى أَصْبَهَانَ، سَمِعَ الحديثَ، ورُحِلَ وخرَجَ، وله تاريخٌ، وكان يَكْتُبُ حسنًا ويقرأُ فصيحًا، تُوفّي بأصْبَهَانَ في هذه السنة، واللّهُ تعالى أعلم.

ابن الزّاغونيّ الحنْبلِيّ، عليّ بن عُبيد اللّهِ^(٧) بن نصر بن السّريّ الزّاغونيّ، الإمامُ الشّهيرُ، قرأ القراءاتِ وسمع الحديثَ، واشتغل بالفقه والنحو واللغة، وله المصنّفاتُ الكثيرةُ في الأصول والفروع، وله يدٌ في الوعظ، واجتمع الناسُ في جنازته، وكانت حافلةً جدًّا.

عليّ بن يعلَى بن عوض، أبو القاسم العلويّ الهرويّ^(٨)، سَمِعَ «مُسْنَدَ أحمد» من ابن^(٩) الحُصَيْن، و«التّرمذيّ» من أبي عامر الأزديّ، وكان يعظُ

(١ - ١) في الأصل، ص: «ثم كانت وفاته فيما ذكره ابن خلكان في هذه السنة، رحمه الله».

(٢) تقدم في ص ٢٦٣.

(٣) وفيات الأعيان ٢٠٧/١.

(٤ - ٤) سقط من: خ، م. وانظر ترجمته في: الأنساب ٧١٠/٥ - ٧١١، والمنظوم ٢٧٨/١٧، وسير

أعلام النبلاء ٦٢١/١٩، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٦/٤، والوافي ٢١٥/١٢، وشذرات الذهب ٨٠/٤.

(٥) في م: «البورباري».

(٦ - ٦) في خ، م: «عبد الله». وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٦٠٥/١٩، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص ١٥٤، وعيون التواريخ ٢٥٤/١٢، والوافي بالوفيات ٢١/

٢٩٤، وذيل طبقات الحنابلة ١٨٠/١.

(٧) المنظوم ٢٧٩/١٧، والكمال ٩/١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠هـ) ص

١٥٧، والوافي بالوفيات ٣٣٣/٢٢، والمختصر في أخبار البشر ٨/٣.

(٨) في خ، م: «أبي».

الناس بَنَيْسَابُورَ ، ثم قَدِمَ بَغْدَادَ فَوَعِظَ بِهَا ، فَحَصَلَ لَهُ الْقَبُولُ التَّامُّ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ ، وَجَمَعَ أَمْوَالًا وَكُتُبًا . قَالَ ابْنُ الْجَوَزِيِّ ^(١) : وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَلَكَنِي فِي الْوَعِظِ ، وَتَكَلَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَا صَغِيرٌ ، وَتَكَلَّمْتُ عَلَى النَّاسِ عِنْدَ انْصِرَافِهِ .

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعُثْمَانِيُّ الدِّيَّاجِيُّ ^(٢) ، وَكَانَ يَبْغِدَادَ يُعْرِفُ بِالْمَقْدِسِيِّ ^(٣) ، تَفَقَّهَ ، وَكَانَ أَشْعَرِيَّ الْإِعْتِقَادِ ، وَوَعِظَ النَّاسَ بِبَغْدَادَ ، قَالَ ابْنُ الْجَوَزِيِّ ^(٤) : سَمِعْتُهُ يُنْشِدُ فِي مَجْلِسِهِ قَوْلَهُ :

دَعُ جُفُونِي ^(٥) يَحِقُّ لِي أَنْ أَنْوَحَا لَمْ تَدْعُ لِي الذُّنُوبُ قَلْبًا صَحِيحَا
أَخْلَقْتُ بِهَجَّتِي أَكْفُ الْمَعَاصِي وَنَعَانِي الْمَثِيبُ نَعِيًا فَصِيحَا
كَلَّمَا قُلْتُ قَدِيرًا [٢٣٦/٩] جُرْحُ قَلْبِي عَادَ قَلْبِي مِنَ الذُّنُوبِ جَرِيحَا
إِنَّمَا الْفَوْرُ وَالنَّعِيمُ لَعَبِيد جَاءَ فِي الْحَشْرِ آمِنًا مُسْتَرِيحَا

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَلْفٍ ، «أَبُو حَازِمٍ»^(٦)
ابْنُ أَبِي يَغْلَى بْنِ الْفَرَاءِ ، الْفَقِيهُ ابْنُ الْفَقِيهِ ، وَلِدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ،
سَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الزَّاهِدِينَ الْأَخْيَارِ ، تُوفِّيَ فِي صَفَرٍ مِنْهَا .
أَبُو مُحَمَّدٍ ، عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَمْدِيسٍ الْأَزْدِيُّ

(١) المنتظم ٢٧٩/١٧.

(٢) تبين كذب المفترى ص ٣٢١ ، والمنتظم ٢٧٩/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤٤/٢٠ ، والوفاء بالوفيات ١٥٩/٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٨٨/٦ .

(٣) في المنتظم : «القدسي» .

(٤) المنتظم ٢٧٩/١٧ ، ٢٨٠ .

(٥) في خ ، م : «دموعي» .

(٦ - ٦) في خ ، م : «ابن حازم» . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٨١/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٦٠٤/١٩ ، والوفاء بالوفيات ١٦٠/١ ، وذيل طبقات الحنابلة ١٨٤/١ ، وشذرات الذهب ٨٢/٤ .

الصِّقْلِيُّ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ^(١)، أورد له ابنُ خَلِّكَانَ أشعارًا رائقَةً، فمنها قوله^(٢) :

فَمُ هَاتِيهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ الْوِشَاحِ فَقَدْ نَعَى اللَّيْلَ بِشَيْرِ الصَّبَاحِ
بَاكِزٍ إِلَى اللَّذَّاتِ وَازْكَبٍ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهْرِ ذَوَاتِ الْمِرَاحِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرُشِفَ شَمْسُ الضُّحَا رِيْقَ الْغَوَادِي مِنْ تُغُورِ الْأَقَاخِ^(٣)
ومن جملة معانيه النادرة^(٤) .

زَادَتْ عَلَى كَحْلِ الْجَفُونِ تَكْحُلًا وَيُسَمُّ نَضْلَ السَّهْمِ وَهُوَ قَتْلُ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ٧/ ٣٢٠، وخريدة القصر (قسم شعراء المغرب) ١٩٤/٢،
والمطرب من أشعار أهل المغرب ص ٥٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥٥، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ١٥٣.
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٣. وانظر ديوانه ص ٨٩.
(٣) الأقاحي : جمع مفردة الأقحوان : نبت زهره أصفر أو أبيض . الوسيط (أقحوان) .
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٢١٤. وانظر ديوانه ص ٥٥٨.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

فيها^(١) اضطلح الخليفة وزنكي . وفيها فتح زنكي قلاعاً كثيرة ، وقتل خلقاً من الفرنج . وفيها فتح شمس الملوك^(٢) شقيف تيرون^(٣) ، ونهب بلاد الفرنج .

وفيها قدم سلجوق شاه بغداد ، فنزل بدار المملكة ، وأكرمه الخليفة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار ، ثم قدم السلطان مسعود ، وأكثر أصحابه ركاب على جمال لقلة الخيل .

وفيها تولّى إمرة بنى عقيل أولاد سليمان بن مهارش العقيلي ؛ إكراماً لجدهم . وفيها أعيد ابن طراد إلى الوزارة ، وفيها خلع على إقبال المسترشدي خلع الملوك ، ولقب ملك العرب سيف الدولة ، وركب في الخلع وحضر الديوان كذلك . وفيها قوى أمر الملك طغرل ، وضعف أمر الملك مسعود .

وممن توفى فيها من الأعيان :

أحمد بن علي بن إبراهيم ، أبو الوفاء الفيروزآبادي^(٤) ، أحد مشايخ الصوفية ، سكن رباط الزوزني ، وكان كلامه يُستَحلى ، وكان يحفظ من سير

(١) المنتظم ٢٨٢/١٧ ، والكامل ١١/١١ .

(٢ - ٢) في الأصل ، ص : « السعيف وبيروت » . وفي خ : « الشقيف وبيروت » ، وفي م : « الشقيف تيروت » . والمثبت من الكامل ١١/١١ ، ومرة الزمان ١٤٧/١/٨ . والشقيف كالكهف . وشقيف تيرون : حصن وثيق بالقرب من صور . معجم البلدان ٣/٣٠٩ .

(٣) المنتظم ٢٨٤/١٧ ، ضمن وفيات سنة سبع وعشرين ، ومرة الزمان ١٤٨/١/٨ ، والوافي بالوفيات ١٨٥/٧ ، ومرة الجنان ٢٥٣/٣ ، وشذرات الذهب ٨٢/٤ .

الصوفيّة أخبارهم وأشعارهم شيئًا كثيرًا .

أبو عليّ الفارقيّ ، الحسن بن إبراهيم بن بزّهون^(١) ، أبو عليّ الفارقيّ ، وُلِدَ سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وتفقّه بها على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازرونيّ صاحب المحامليّ ، ثم على الشيخ أبي إسحاق ، وابن الصّبّاغ ، وسمع الحديث ، وكان يُكرّرُ على « المَهْدَب » ، و « الشامل » ، ثم ولى القضاء بوَاسِط ، وكان حسن السيرة ، جيد السريّة ، مُتَمَتِّعًا بحواسّه وعقله ، إلى أن تُوفّي في محرّم هذه السنّة عن ستّ وتسعين سنة .

عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين^(٢) ، أبو محمد بن أبي بكر الشاشيّ ، سَمِعَ الحديثَ وتفقّه على أبيه ، وناظر وأفتى ، وكان فاضلاً ، وإعظاً ، فصيحاً مُفَوِّهاً ، شكر ابنُ الجوزيّ من وعظه وحُسن نظمه ونثره ولفظه .
تُوفّي في المحرّم وقد قارب الخمسين ، رَحِمَهُ اللهُ ، ودُفِنَ عند أبيه .

محمد بن^(٣) أحمد بن عليّ ، « أبو بكر » القَطَّانُ ، ويعرف بابن الحلاج البغداديّ ، سَمِعَ الحديثَ ، وقَرَأَ [٢٣٦/٩] القرآنَ ، وكان خيِّراً زاهداً عابداً ، يُتَبَرَّكُ بِدُعَائِهِ ، ويُزَارُ ، رَحِمَهُ اللهُ .

-
- (١) في م : « مرهون » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٨٥ / ١٧ ، والكمال ١٧ / ١١ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٧٧ ، وسير أعلام النبلاء ٦٠٨ / ١٩ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٥٧ / ٧ .
(٢) في م ، والكمال ١٨ / ١١ : « الحسن » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٧٦ / ١٧ ، ومرة الزمان ١ / ٨ / ١٤٩ ، والوفاء بالوفيات ٤٢٨ / ١٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٢٧ / ٧ .
(٣) بعده في الأصل ، ص : « علي بن » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٨٨ / ١٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ١٦٩ .
(٤ - ٤) في النسخ : « بن أبي بكر » . والمثبت من تاريخ الإسلام .

محمد بن علي بن عبد الواحد الشافعي، أبو رشيد^(١)، من أهل آمل طبرستان، وُلِدَ سنة سبع وثلاثين وأربعمئة، وحج وأقام بمكة، وسمع الحديث، وروى شيئاً يسيراً، وكان زاهداً منقطعاً عن الناس، مُشْتَغلاً بنفسه، ركب مرة^(٢) مع تجار في البحر، فأوفوا على جزيرة، فقال: دَعُونِي فِي هَذِهِ أَعْبُدُ اللَّهَ فِيهَا، فَمَانَعُوهُ، فَأَتَى إِلَّا الْمَقَامَ بِهَا، فَتَرَكُوهُ وَسَارُوا، فَزَدَتْهُمُ الرِّيحُ إِلَيْهِ، فَرَاوَدُوهُ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَهُمْ، فَاِمْتَنَعَ، فَسَارُوا، فَزَدَتْهُمُ الرِّيحُ إِلَيْهِ، فَرَاوَدُوهُ فَاِمْتَنَعَ، فَسَارُوا، فَزَدَتْهُمُ الرِّيحُ إِلَيْهِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَسِيرَ إِلَّا بِكَ، وَإِذَا أَرَدْتَ الْمَقَامَ بِهَا فَارْجِعْ إِلَيْهَا. فَسَارَ مَعَهُمْ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً، ثُمَّ تَرَحَّلَ عَنْهَا - وَيُقَالُ^(٣): إِنَّهُ كَانَ بِهَا تُعْبَانٌ يَتَلَعُّ الْإِنْسَانُ، وَبِهَا عَيْنُ مَاءٍ يَشْرَبُ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأُ - ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ آمَلْ، فَمَاتَ بِهَا فِي هَذَا الْعَامِ، وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ يُزَارُ.

أُمُّ الْخَلِيفَةِ الْمُشْتَرِشِدِ^(٤)، تُوَفِّيَتْ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ تَاسِعَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

-
- (١) المنتظم ٢٨٩/١٧، والكمال ١٨/١١، ومراة الزمان ١٥١/١/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ١٧١، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٤/٦.
- (٢) المنتظم ٢٨٩/١٧.
- (٣) المنتظم ٢٨٩/١٧.
- (٤) المنتظم ٢٩٠/١٧، والكمال ١٧/١١، ومراة الزمان ١٥٢/١/٨.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فيها^(١) كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد، وكان سبب ذلك أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة وقائع كثيرة، فاقتضى الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد، فاتفق موت أخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه، فسار إلى البلاد فملكها، وقوى جانبه، ثم شرع يجمع العساكر؛ ليأخذ بغداد من يد الخليفة، فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك، وقفز جماعة من رُعوس الأمراء إلى الخليفة؛ خوفاً على أنفسهم من سطوة الملك مسعود، وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة، فيهمم القضاء ورُعوس الدولة من جميع الأصناف، فمشوا بين يديه أول منزله حتى وصل إلى الشراذق، وبعث بين يديه مقدمة، وأرسل الملك مسعود على مقدمته ديس بن صدقة بن منصور، الذي كان صاحب الحيلة، فجرت خطوب كبيرة، وحروب كثيرة. وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الاثنين فاقتتلوا قتالاً كثيراً، ولم يقتل بين الصفين سوى خمسة أنفس، ثم حمل الخليفة على جيش الملك مسعود فهزمهم. ثم تراجعوا، فحملوا على جيش الخليفة، فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً، وأسروا الخليفة، ونهبوا أمواله وحواسله، من جملة ذلك أربعة آلاف ألف دينار، وغير ذلك من الثياب والخيل والأثاث والقماش والماعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وطار الخبر في الأقاليم، وحين بلغ الخبر إلى بغداد انزعج الناس

(١) المنتظم ١٧/٣٠٠، والكامل ١١/٢٧، وعيون التواريخ ١٢/٢٩٢.

لذلك، وزلزلوا زلزلاً شديداً، صورةً ومعنى، وجاءت العامة إلى المناير، فكسروها واقتنعوا من حضور الجماعات، وخرج النساء في البلد حاسرات ينحن على الخليفة، وما جرى عليه من الأسر، وتأسى بأهل بغداد في ذلك خلق كثير من أهل البلاد، وتمت فتنة كبيرة، وانتشرت في الأقاليم، واستمر الحال على ذلك إلى مستهل شهر ذي القعدة [٢٣٧/٩هـ] والشناعة في الأقاليم منتشرة، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يحذره غب ذلك، ويصّره بما وقع من الأمر العظيم والخطب الجسيم، ويأمره أن يعيد الخليفة إلى مستقرّ عزه ودار خلافته، فامتل الملك مسعود ذلك، وضرب للخليفة شراذق عظيم، ونصب له فيه قبة عظيمة تحتها سرير هائل، وألبس الخليفة السواد على عادته، وأركب بعض ما كان يركبه من مراكبه. وجاء الملك مسعود، فقبل الأرض بين يديه، وأمسك لجام الفرس، وتمشى في خدمته والجيش كلهم مشاة حتى أجلس الخليفة على سريره، ووقف الملك مسعود بين يديه، وخلع الخليفة عليه، وجيء بدّيس مكثوفاً وعن يمينه أميران، وعن يساره أميران، وسيف مشلول وشقة بيضاء، فطرح بين يدي الخليفة؛ ماذا يرسم فيه تطييباً لقلبه، فأقبل السلطان يشفع في دّيس وهو ملقى يقول: العفو يا أمير المؤمنين، أنا أخطأت والعفو عند المقدرة. فأمر الخليفة بإطلاقه وهو يقول: لا تثريب عليكم اليوم. فنهض قائماً والتمس أن يقبل يد الخليفة فأذن له فقبلها، وأمرها على صدره، وسأل العفو عنه وعمّا كان منه، واستقرّ الأمر على ما ذكرنا، وطار هذا الخبر في الآفاق، وفرح الناس بذلك، وطابت قلوبهم. فلما كان مستهل ذي القعدة^(١) جاءت الرسل من جهة

(١) في النسخ، وعيون التواريخ ٢٩٣/١٢: «ذى الحجة». والثبت من المنتظم ٢٩٨/١٧.

الملك سَنَجَرَ إلى ابن أخيه يَسْتَحِثُّهُ على الإحسانِ إلى الخليفة ، وأن يبادِرَ إلى شُرْعَةِ رَدِّهِ إلى وطنه ، وأرسل مع الرُّسُلِ جيشًا ؛ ليَكُونُوا في خِدْمَةِ الخليفةِ إلى بَغْدَادَ ، فَصَجِبَ الجيشُ عَشْرَةَ مِنَ الباطِنِيَّةِ ، فَقِيلَ : من حيث لا يَشْعُرُونَ . وقيل : بل كانوا مُجَهَّزِينَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ ، إِلَّا أَنَّهُمْ حَالَةً وَصُولِهِمْ إلى هنَالِكَ حَمَلُوا على الخليفةِ في خَيْمَتِهِ ، فَقَتَلُوهُ فيها وَقَطَّعُوهُ قِطْعًا ، فلم يَلْحَقِ النَّاسُ منه إِلَّا الرُّسُومَ ، وَقَتَلُوا معه جماعةً من أَصْحَابِهِ ؛ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سُكَيْنَةَ ، فَأُخِذَ أُولَئِكَ الرَهْطُ فَأُخْرِقُوا ، قَبَّحَهُمُ اللَّهُ ، وسارت بذلك الرُّكبانُ في البلدانِ ، فما من أهلِ بلدةٍ إِلَّا وهم أَشَدُّ حَزَنًا على الخليفةِ المسترشدِ مِنَ الأخرى ، لا سِيَّما أَهْلُ بَغْدَادَ ، وَخَرَجَتِ النِّسَاءُ في الطَّرِقاتِ يَنْحَنُّ عَلَيْهِ وَيَنْدُبُونَهُ ، وقد ذَكَرَ أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ ^(١) ما كُنَّ يَقْلُنُهُ مِنَ النِّيَاحَةِ على الخليفةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَانَ مَقْتَلُهُ على بابِ مَرَاغَةَ في يومِ الخَمِيسِ سَابِعِ عَشَرَ ذِي القَعْدَةِ ، فَحُمِلَ إلى بَغْدَادَ ، ولما اسْتَقَرَّ خَبِرَ موْتَهُ ببَغْدَادَ عُمِلَ لَهُ العزاءُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بعدَمَا بُويعَ لولِيهِه الراشِدِ .

ذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ تَرْجَمَةِ الْمُسْتَرَشِدِ ^(٢) ، رَحِمَهُ اللَّهُ

كَانَ الْمُسْتَرَشِدُ ، شَجَاعًا مِقْدَامًا بَعِيدَ الْهِمَّةِ ، فَصِيحًا بَلِيغًا ، عَذِبَ الْكَلَامِ حَسَنَ الْإِيرَادِ ، مَلِيحَ الْخَطِّ ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ ، مُحِبًّا إِلَى الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَهُوَ آخِرُ خَلِيفَةٍ رُئِيَ خَطِيبًا ، قُتِلَ وَعَمْرُهُ ثَلَاثَ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ

(١) المنتظم ٢٩٩/١٧ .

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ص ٢٢١ ، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٢٩/١ ، والكمال ١١/٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ٥٦١/١٩ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٥٧٧/٧ .

خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً ، وكانت أمه أم ولد من الأتراك .

خِلاَفَةُ [٢٣٧/٩ ظ] الرَّاشِدِ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، مَنْصُورِ بْنِ الْمُسْتَرَشِدِ .

كان أبوه قد أخذ له العهد ، ثم أراد أن يخلعه فلم يقدر على ذلك ؛ لأنه لم يُقدَّر . فلما قُتِلَ أبوه ببابِ مِراغَةَ في يومِ الخميسِ السابعِ عشرَ من ذِي القَعْدَةِ من سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، كما ذكرنا ، كان هو ببغداد ، فلما جاء خبره إليها بايعه الأمراء والأعيان ، وخطب له على المنابر ببغداد وسائر البلاد ، وكان إذ ذاك كبيراً له أولاد ، وكان أبيض ، جسيماً حسن اللون ، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جىء بالمسترشد - قد نُقِلَ من هناك إلى بغداد - فصلَّى عليه بيَّت الثوبة ، وكثر الزحام ، وخرج الناس لصلاة العيد من الغد وهم في حزن شديد على المسترشد ، رحمه الله ، وقد ظهر الرفض قليلاً في أوَّل أيام الراشد .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أحمدُ بنُ محمدٍ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ عمرَ ، أبو المظفرِ بنُ أبي بكرٍ الشَّاشِي^(١) ، تفقَّه بأبيه ، واختزمت منه المنيَّة بعد أخيه ، ولم يبلغ سنَّ الرواية .

إسماعيلُ بنُ^(٢) عبدِ الملِكِ^(٢) بنِ عليٍّ ، أبو القاسمِ الحاكِمِي ، تفقَّه بإمامِ الحرَمينِ ، وكان رفيقَ الغزاليِّ في الاشتغال ، وأسنَّ منه ، فلهذا كان الغزاليُّ يحترمه ويكرمه ، وكان فقيهاً بارِعاً ، وعابداً ورِعاً . كانت وفاته في هذه السنة

(١) المنتظم ٣٠٢/١٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٤٥/٦ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٨٧/٢ .
(٢ - ٢) في م : « عبد الله » . وانظر ترجمته في : تاريخ دمشق ١٨/٩ ، والمنتظم ٣٠٢/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٦/٢٠ ، والوافي بالوفيات ١٥٤/٩ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٤٧/٧ .

بَطُوسَ ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ الْعَزَالِيِّ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ .

دُبَيْسُ بْنُ صَدَقَةَ بْنِ مَنصُورِ بْنِ دُبَيْسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَرْزُوقِ بْنِ الْأَعْرَجِ الْأَسَدِيِّ الْأَمِيرِ^(١) ، مِنْ بَيْتِ الْإِمْرَةِ وَسَادَةِ الْأَعْرَابِ ، كَانَ شُجَاعًا بَطَلًا ، فَعَلَ الْأَفَاعِيلَ وَتَمَزَّقَ فِي الْبِلَادِ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الْخَلِيفَةِ ، ثُمَّ اسْتَرْضَى عَنْهُ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَرَشِدُ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، فَلَمَّا قُتِلَ الْخَلِيفَةُ عَاشَ بَعْدَهُ أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا . ثُمَّ أَتَاهُمْ عِنْدَ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ بِأَنَّهُ قَدْ كَاتَبَ رَزْكَى يَنْهَاهُ عَنِ الْقُدُومِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَنْجُو بِنَفْسِهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ غُلَامًا أَرْمَنِيًّا ، فَوَجَدَهُ مُنْكَسًا رَأْسَهُ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِهِ ، فَمَا كَلَّمَهُ حَتَّى شَهَرَ سَيْفَهُ ، وَضَرَبَهُ بِهِ فَأَبَانَ رَأْسَهُ عَنْ جَنْبِهِ ، وَيُقَالُ : بَلِ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ ، فَقَتَلَهُ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

طُغْرُلُ السُّلْطَانِ ابْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهِ^(٢) ، تُوفِّيَ بِهِمَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ثَالِثَ الْحَرَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ .

عَلِيٌّ^(٣) بْنُ الْحَسَنِ الدَّرْزِيْجَانِيِّ^(٤) كَانَ عَابِدًا زَاهِدًا ، حَكَى ابْنُ الْجَوَزِيِّ^(٥) عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بَأَنَّ الْقُدْرَةَ تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَحِيلِ ، ثُمَّ أَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَغَدَرَ بِجَهْلِهِ وَعَدِمَ تَعْقِلَهُ لِمَا يَقُولُ .

(١) المنتظم ٣٠٢/١٧ ، ووفيات الأعيان ٢٦٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٦١٢/١٩ ، والعبر ٧٨/٤ ، والنجوم الزاهرة ٢٥٦/٥ .

(٢) المنتظم ٣٠٣/١٧ ، والكمال ١٩/١١ ، والمختصر في تاريخ البشر ٨/٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٣٠ هـ) ص ١٧٤ ، وتاريخ ابن الوردي ٣٩/٢ .

(٣ - ٣) في الأصل ، ص : «أبو الحسن الروريجاني» ، وفي خ : «بن محمد الزورجاني» . وفي م : «بن محمد النورجاني» . والمثبت من المنتظم ٣٠٣/١٧ .

(٤) المنتظم ٣٠٣/١٧ .

الفَضْلُ أبو منصور أمير المؤمنين المسترشد بالله^(١)، كان من خيار الخلفاء
العباسيين، شهماً شجاعاً، يباشر الحروب بنفسه، وقد أسلفنا ذلك فيما تقدّم.
قتلته الباطنية بباب مراغة يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من هذه السنة،
ثم نُقل إلى بغداد فدفن بها، رحمه الله وبَلَّ بالرحمة ثراه، وجعل الجنة منزلته
ومأواه.

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ص ٢٢١، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٢٩/١، والكمال ١١/٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/٥٦١، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٥٧/٧.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ

فيها^(١) وَقَعَ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ ، بِسَبَبِ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَا كَانَ كَتَبَ لَهُ وَالِدُهُ الْمُسْتَرِشِدُ حِينَ أَسْرَهُ ؛ التَّزَمَ لَهُ بِأَرْبَعِمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، [٢٣٨/٩] فَاِمْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ ذَلِكَ وَقَالَ : لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا السَّيْفُ . فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا الْخُلْفُ ، فَاسْتَجَاشَ السُّلْطَانُ الْعَسَاكِرَ ، وَاسْتَنْهَضَ الْخَلِيفَةُ الْأُمَرَاءَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَمَادِ الدِّينِ زَنْكِيِّ فَجَاءَ ، وَالتَّفَّ عَلَيْهِ خَلَاتِقُ ، وَجَاءَ فِي غُبُونِ ذَلِكَ السُّلْطَانُ دَاوُدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَلِكُشَاهٍ ، فَخَطَبَ لَهُ الْخَلِيفَةُ بَبْغَدَادَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَبَايَعَهُ عَلَى الْمُلْكِ ، فَتَأَكَّدَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالْخَلِيفَةِ جَدًّا ، وَبَرَزَ الْخَلِيفَةُ إِلَى ظَاهِرِ بَبْغَدَادَ ، وَمَشَى الْجَيْشُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، كَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ أَبَاهُ قَبْلَهُ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَلَخَ شَعْبَانَ ، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ دَاوُدُ مِنْ جَانِبِ آخَرَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ كَثْرَةُ جِيوشِ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ حَسَّنَ عَمَادُ الدِّينِ زَنْكِيُّ لِلْخَلِيفَةِ أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ إِلَى بِلَادِ الْمُؤَصِّلِ . وَاتَّفَقَ دُخُولُ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ إِلَى بَبْغَدَادَ فِي غَيْبَتِهِمْ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ رَابِعَ شَوَّالٍ ، فَاسْتَحْوَذَ عَلَى دَارِ الْخِلَافَةِ بِمَا فِيهَا جَمِيعِهِ ، ثُمَّ اسْتَخْلَصَ مِنْ نِسَاءِ الْخَلِيفَةِ وَحَظَايَاهِ الْحُلِيِّ وَالْمَصَاعِغِ وَالثِّيَابِ الَّتِي لِلزَّيْنَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَجَمَعَ الْقَضَاءَ وَالْفَقَهَاءَ ، وَأَبْرَزَ لَهُمْ خَطَّ الرَّاشِدِ أَنَّهُ مَتَى خَرَجَ مِنْ بَبْغَدَادَ لِقِتَالِ السُّلْطَانِ فَقَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، فَأُفْتِيَ مَنْ أُفْتِيَ مِنَ الْفُقَهَاءِ بِخُلْعِهِ ، فَخُلِعَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ سَادِسَ عَشَرَ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ بِحُكْمِ الْحَاكِمِ ، وَفُتِنَا أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ ،

(١) المنتظم ٣٠٥/١٧ ، والكامل ٣٥/١١ .

وكانت خلافته أحد عشر شهرا، وأحد عشر يوما، واستدعى السلطان بعنه
 المقتفى بن المستظهر فبوع بالخلافة؛ عوضا عن ابن أخيه الراشد بالله .
 خلافة المقتفى لأمر الله أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله .

وأمه صفراء تسمى نسيم، ويقال لها: ست السادة، وله من العمر يومئذ
 أربعون سنة، بوع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين، وخطب له على المنابر يوم
 الجمعة العشرين من ذى القعدة، ولقب بالمقتفى؛ لأنه يقال^(١): إنه رأى النبى
 ﷺ، وهو فى المنام وهو يقول له: سيصل هذا الأمر إليك فاقتف بي . فصار إليه
 بعد ستة أيام، فلقب بذلك لذلك .

فائدة حسنة ينبغى التنبيه عليها

ولى المقتفى والمسترشد الخلافة وكانا أخوين، وكذلك السفاح والمنصور،
 وكذلك الهادى والرشيد، ابنا المهدي، وكذلك الواثق والمتوكل ابنا المعتصم
 أخوان، وأما ثلاثة إخوة فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد، والمُنْتَصِرُ والمُعْتَرِ
 والمعتمد بنو المتوكل، والمُكْتَفَى والمُقْتَدِرُ والقاهر بنو المعتضد، والراضى والمقتفى
 والمطيع بنو المقتدر، وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا فى بنى أمية، وهم الوليد
 وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان . ولما استقر المقتفى فى الخلافة
 استمر الراشد ذاهبا إلى الموصل ضحبة صاحبها عماد الدين زكى، فدخلها فى
 ذى الحجة من هذه السنة .

(١) المنتظم ٣١٤/١٧

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

محمد بن حمّوية بن محمد بن حمّوية ، أبو عبد الله الجويني^(١) ، روى الحديث وكان صدوقاً ، مشهوراً بالعلم والزهد ، وله كرامات ، دخل إلى بلد فلماً ودّعهم أنشداهم^(٢) :

لَيْنَ كَانَ لِي مِنْ بَعْدُ عَوْدٌ إِلَيْكُمْ قَصَيْتُ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ لَدَيْكُمْ
وَأَنْ تَكُنِ الْأُخْرَى [٢٣٨/٩] فِي الْغَيْبِ عِبْرَةً وَحَالَ قَضَاءِ فَالسَّلَامِ عَلَيْكُمْ

محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب ، أبو بكر العامري^(٣) ، المعروف بابن الخبازة ، سَمِعَ الحديثَ ورَحَلَ فِي طَلَبِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ ، وَقَدْ شَرَحَ كِتَابَ « الشَّهَابِ » . وَكَانَ يَعْظُ النَّاسَ عَلَى طَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ ، وَكَانَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ فِيمَنْ تَأَذَّبَ بِهِ ، وَقَدْ أَتَتْهُ عَلَيْهِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ^(٤) :

كَيْفَ احْتِيَالِي وَهَذَا فِي الْهَوَى حَالِي وَالشَّوْقُ أَمْلَكَ لِي مِنْ عَذْلِ عُذَالِي
وَكَيْفَ أَسْلُو فِي حُبِّي لَهُ شُغْلٌ يَحُولُ بَيْنَ مُهِمَّاتِي وَأَشْغَالِي
وَقَدْ ابْتَنَيْتُ^(٥) رِبَاطًا ، فَكَانَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالزُّهَّادِ ، وَلَمَّا احْتَضَرَ أَوْصَاهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْإِحْلَاصِ ، ثُمَّ شَرَعَ فِي التَّنَزُّعِ ، وَعَرَقَ جَبِينَهُ فَمَدَّ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ :

(١) المنتظم ٣١٧/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٥٩٧/١٩ ، والعبر ٨٣/٤ ، والوفاء بالوفيات ٢٨/٣ ، وشذرات الذهب ٩٥/٤ .

(٢) المنتظم ٣١٧/١٧ .

(٣) المنتظم ٣١٧/١٧ ، والكمال ٤٦/١١ ، ومرآة الزمان ١٦٠/١/٨ ، والوفاء بالوفيات ٣٤٩/٣ .

(٤) الأبيات في : المنتظم ٣١٨/١٧ ، ومرآة الزمان ١٦٠/١/٨ ، والوفاء بالوفيات ٣٤٩/٣ .

(٥) المنتظم ٣١٨/١٧ .

ها قَدْ بَسَطْتُ يَدِي إِلَيْكَ فَرُدَّهَا بِالْفَضْلِ لَا بِشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ^(١)

ثم قال : أَرَى المشايخَ بينَ أيديهم الأطباقُ وهم ينتظرونني . ثم مات ، وذلك ليلة الأربعاء نصفَ رمضانَ ، ودُفِنَ بِرِباطِهِ ، ثم غرقَ رباطُهُ وقبرُهُ في سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

محمدُ بنُ الفضلِ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ بنِ أبي العباسِ ، أبو عبدِ اللَّهِ الصاعديُّ القُرَائيُّ^(٢) ، كان أبوه من ثَغْرِ فُراوة^(٣) ، وسَكَنَ نَيْسَابُورَ ، فوُلِدَ له بها محمدٌ هذا ، وقد سَمِعَ الحديثَ الكثيرَ على جماعةٍ من المشايخِ بالآفاقِ ، وتفَقَّهَ وأفْتَى وناظَرَ ووعَظَ ، وكان ظريفاً ، حسنَ الوجهِ ، جميلَ المعاشرةِ ، كثيرَ التَّبَسُّمِ ، وأُمْلِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ مَجْلِسٍ ، ورَحَلَ إليه الطلبةُ مِنَ الآفاقِ حتى كان يقالُ^(٤) : القُرَائيُّ أَلْفُ رَاوِيٍ . وقِيلَ^(٤) : إِنَّ ذلكَ كانَ مَكْتُوبًا في خَاتِمِهِ . وقد أَسْمَعَ « صحيحَ مسلمٍ » قَريبًا مِنْ عَشْرِينَ مَرَّةً .

تُوفِّيَ في سَؤالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ تِسْعِينَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) قال ابن الجوزي في المنتظم : وهذا البيت لأبي نصر القشيري تمثل به شيخنا هذا .

(٢) وفيات الأعيان ٢٩٠/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٦١٥/١٩ ، ومرة الزمان ١٦٠/٨ ، والوافي بالوفيات ٣٢٣/٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٦٦/٦ .

(٣) فراوة : بلدة من أعمال نسا ، بينها وبين دهستان وخوارزم . معجم البلدان ٨٦٦/٣ .

(٤) المنتظم ٣١٩/١٧ .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

فيها^(١) كثر موتُ الفجأة بأصْبَهانَ، فمات ألوْفٌ مِنَ النَّاسِ، وأُغْلِقَتْ دُوْرٌ كثيرةٌ.

وفيها تزوَّج الخليفةُ بالخائونِ فاطمةَ بنتِ محمدٍ بنِ مَلِكْشاهَ، على صداقٍ مائةِ ألفِ دينارٍ، فحَضَرَ أخوها السلطانُ مسعودُ العقدَ وجماعةٌ مِنَ أعيانِ الدولةِ، والوزراءُ والأمراءُ، ونُثِرَ على الناسِ أنواعُ النَّثارِ.

وفيها صام أهلُ بغدادَ رمضانَ ثلاثينَ يوماً ولم يَرَوْا الهِلالَ ليلةَ إحدى وثلاثينَ، مع كَوْنِ السماءِ كانت مُضْجِيَةً.

قال ابنُ الجوزي^(٢): وهذا شيءٌ لم يَقَعْ مثلهُ.

وفيها هرب وزيرُ صاحبِ مصرَ، وهو تاجُ الدولةِ بَهْرَامُ النَّصْرانيُّ، وقد كان تَمَكَّنَ في البلادِ وأساءَ السيرةَ، فتَطَلَّبَهُ الخليفةُ الحافظُ حتى أَخَذَهُ فسَجَنَهُ، ثم أَطْلَقَهُ فترَهَّبَ وتركَ العملَ، فاستَوَزَرَ بعده رِضْوَانُ بْنُ الزَّنْجِيِّ^(٣) - ولَقَّبَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلَ، ولم يُلقَّبْ وزيرٌ بذلك قَبْلَهُ، ثم وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحافظِ، فلم يَزَلْ به

(١) المنتظم ٣٢١/١٧، والكامل ٤٧/١١.

(٢) المنتظم ٣٢٤/١٧.

(٣) في خ: «الوكي»، وفي م، والكامل: «الريحيني»، وفي تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١هـ - ٥٤٠هـ) ص ٢٠١: «الوبخشي»، وفي نهاية الأرب ٣٠٢/٢٨: «لوحشي»، وفي المختصر في أخبار البشر: «الوكحشي». وفي إحدى نسخ الكامل: «الوحشي»، وكتب في الهامش: «الزنجي»، وعليه علامة الصحة.

الخليفة حتى قتله ، واشتغل بتدبير أموره وحده .

وفيها ملك عماد الدين زنكي عدة بلاد . وفيها ظهر بالشام سحاب أسود
أظلمت له الدنيا ، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاءت له الدنيا ، ثم جاءت
ريح عاصف فآلقت أشجارا كثيرة ، ثم وقع مطر شديد ، وسقط برد كبار .

وفيها قصد ملك الروم بلاد الشام فأخذ بلادا كثيرة من أيدي الفرنج ، وأطاعه
أليون^(١) بن ملك الأرمن .

ومن [٢٣٩/٩] توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن ثابت بن الحسن ، أبو سعيد الحنبدى^(٢) ، تفقه على
والده الإمام أبى بكر الحنبدى الأصبهاني ، وولى التدريس بالمدرسة النظامية
بيغداد مرارا ، ويُعزّل عنها ، وقد سَمِعَ الحديث ووعظ ، وتوفي في غرة شعبان من
هذه السنة وقد قارب التسعين .

هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري ، يُعرف بابن الطبر^(٣) ، سَمِعَ الكثير ،
وهو آخر من روى عن أبى الحسن ابن زوج الحرّة ، وقد حدث عنه^(٤) أبو بكر
الخطيب ، وكان ثبّتا صحيح السماع ، كثير الذكر والتلاوة ، مُتمّعا بحواسّه وقوّاه
إلى أن تُوفّي في جمادى الأولى من هذه السنة عن ست وتسعين سنة ، رحمه الله .

(١) فى الكامل ٥٣/١١ : «ليون» .

(٢) المنتظم ٣٢٤/١٧ ، والكامل ٥٤/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص
٢٣٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٥١/٦ ، وطبقات الشافعية للإسنوى ٤٧٨/١ .

(٣) المنتظم ٣٢٦/١٧ ، والكامل ٥٤/١١ ، وسير أعلام النبلاء ٥٩٣/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٢٥٨ ، ومعرفة القراء الكبار ٣٩٢/١ .

(٤) أى : عن أبى الحسن . وانظر المنتظم ٣٢٦/١٧ ، والكامل ٥٤/١١ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

فيها^(١) قُتِلَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ الْمَخْلُوعُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَهُ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ الْأُمَرَاءِ، فَقَصَّدُوا قِتَالَ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ بِأَرْضِ مَرَاغَةَ فَهَزَمَهُمْ وَبَدَّدَ شَعْلَهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْهُمْ صَدَقَةُ بْنُ دُبَيْسٍ، وَوَلَّى أَخَاهُ مُحَمَّدًا مَكَانَهُ عَلَى الْحِلَّةِ^(٢)، وَهَرَبَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ الْمَخْلُوعُ، فَدَخَلَ أَصْبَهَانَ فَقَتَلَهُ مَنْ كَانَ يَخْدُمُهُ مِنَ الْخُرَّاسَانِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ بَرَأَ مِنْ وَجَعِ أَصَابِهِ، فَقَتَلُوهُ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَدُفِنَ بِشَهْرِشْتَانَ ظَاهِرَ أَصْبَهَانَ. وَقَدْ كَانَ حَسَنَ اللَّوْنِ مَلِيحَ الْوَجْهِ شَدِيدَ الْقُوَّةِ مَهِيئًا. أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وفيهما كَسَا الْكَعْبَةَ رَجُلٌ مِنَ الثُّجَّارِ يُقَالُ لَهُ: رَاسْتُ^(٣) الْفَارِسِيُّ، بِشِمَانِيَّةٍ عَشْرَ أَلْفِ دِينَارٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِهَا كِسْفَةٌ فِي هَذَا الْعَامِ لِاخْتِلَافِ الْمُلُوكِ.

وفيهما^(٤) كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ بِلَادِ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْعِرَاقِ، فَانْهَدَمَ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَمَاتَ تَحْتَ الْهَدْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ. وَفِيهَا كَانَ بِخُرَّاسَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ

(١) المنتظم ٣٢٧/١٧، والكامل ٥٥/١١.

(٢) ظاهر كلام ابن كثير أن السلطان مسعود هزم الراشد وأتباعه، وقتل منهم خلقًا؛ منهم صدقة بن دبيس، وقد ذكر ابن الأثير في الكامل ٦٠/١١، ٦١: أن مسعودًا انتصر في أول الواقعة، ثم انهزم في آخرها، وأن بوزابة - وهو من أتباع الراشد - هو الذي قتل صدقة، فلما قتل أقر السلطان مسعود الحلة على أخيه محمد بن دبيس.

(٣) في الكامل ٦٥/١١: «رامشت».

(٤) عيون التواريخ ٣٣٤/١٢.

حتى أكلوا الكلاب .

وفيها أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص في المحرم ، وتزوج في رمضان بالسّ زمرّد خاتون ، أمّ صاحب دمشق ، وهي التي تُنسب إليها الخاتونية البرانيّة .

وفيها ملك صاحب الروم مدينة بُزاعة ، وهي على سِتّة فراسخ من حلب ، فجاء أهلها الذين نجّوا من القتل والسّبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد ، فُمِنعت الخطبة ببغداد ، وجرت فتن طويلة .

وفيها تزوّج السلطان مسعود سقرى بنت دُيُوس بن صدقة ، وزُيِنَتْ ببغداد لذلك سبعة أيام . قال ابن الجوزيّ^(١) : فحصل بسبب ذلك فساد عريض طويل منتشر . ثم تزوّج ابنة عمّه ، فزُيِنَتْ ببغداد ثلاثة أيام أيضًا .

وفيها وُلد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب بن شاذي ، بقلعة تكريت . وفيها حجّ بالناس الأمير نظر الخادم ، وكذا في السنوات التي قبلها ، أثابه الله تعالى .

ومن ثوفى فيها من الأغنيان :

أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري^(٢) الحنبلي ، سَمِعَ الحديث ، وتفقّه على أبي الخطّاب الكلّوذاني . وأفتى [٢٣٩/٩ ط] ودرّس وناظر ، كان أشعدّ الميهنّي يقول^(٣) : ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد

(١) المنتظم ٣٢٨/١٧ .

(٢) المنتظم ٣٢٨/١٧ ، والكمال ٦٦/١١ ، وذيل طبقات الحنابلة ١/١٩٠ ، وعيون التواريخ ٣٣٤/١٢ .

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٢٦٨ .

(٣) المنتظم ٣٢٨/١٧ ، وذيل طبقات الحنابلة ١/١٩٠ .

إِلَّا ثَلَمَهُ ، وقد تَخَرَّجَ به الشيخُ أبو الفرجُ بْنُ الجَوْزِيِّ ، وأَنشَدَ عنه قوله ^(١) :
 تَمَنَّيْتُ أَنْ تُمَسِّيَ ^(٢) فَقِيهَا مُنَاطِرًا بغيرِ عَنَاءٍ فَالْجُنُونُ فَنُونُ
 وَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْمَالِ دُونَ مَشَقَّةٍ تَلَقَّيْتُهَا فَالْعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ
 عَبْدُ الْمُتَعَمِّمِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ هَوَازِنَ ، أَبُو الْمُظَفَّرِ الْقُشَيْرِيُّ ^(٣) ، آخِرُ مَنْ بَقِيَ
 مِنْهُمْ ، سَمِعَ أَبَاهُ ، وَأَبَا بَكْرَ الْبَيْهَقِيَّ ، وَغَيْرَهُمَا ، وَسَمِعَ مِنْهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ
 الْأَمَّاطِيُّ ، وَأَجَازَ ابْنَ الْجَوْزِيِّ ، وَقَارِبَ التَّشْعِينِ .

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ ، أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْجِيُّ ^(٤) ، سَمِعَ
 الْكَثِيرَ فِي بِلَادِ شَمَّى ، وَكَانَ فَقِيهَا شَافِعِيًّا ، تَفَقَّهَ بِأَيِّ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ مِنْ أُئِمَّةِ
 الشَّافِعِيَّةِ ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا فَصِيحًا ، وَلَهُ مَصْنُوعَاتٌ كَثِيرَةٌ ؛ مِنْهَا « الْفُصُولُ فِي
 اغْتِقَادِ الْأُئِمَّةِ الْفُحُولِ » ، يَذْكُرُ فِيهِ مَذَاهِبَ السَّلَفِ فِي بَابِ الْإِعْتِقَادِ ، وَيُخَوِّكِي
 فِيهِ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً حَسَنَةً ، وَلَهُ تَفْسِيرٌ ، وَكِتَابٌ فِي الْفِقْهِ ، وَكَانَ لَا يَقْنُتُ فِي
 الْفَجْرِ ، وَيَقُولُ ^(٥) : لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ ، وَقَدْ كَانَ إِمَامُنَا الشَّافِعِيُّ يَقُولُ :
 إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ ، فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي هَذَا الْحَائِطَ . وَقَدْ كَانَ حَسَنَ الصُّورَةِ ، جَمِيلَ
 الْمُعَاشَرَةِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ ^(٦) :

-
- (١) المنتظم ٣٢٩/١٧ ، وانظر البيهقي أيضا في الكامل ٦٦/١١ ، وذيل طبقات الحنابلة ١٩٠/١ .
 (٢) في المنتظم ٣٢٩/١٧ : « تسمى » .
 (٣) المنتظم ٣٣٠/١٧ ، وسير أعلام النبلاء ٦٢٣/١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٢٨٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٩٢/٧ ، وعيون التواريخ ٣٣٩/١٢ .
 (٤) المنتظم ٣٣١/١٧ ، ومروءة الزمان ١٦٧/١/٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٢٩٤ ، وعيون التواريخ ٣٣٥/١٢ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٣٤٨/٢ .
 (٥) المنتظم ٣٣١/١٧ ، ٣٣٢ .
 (٦) المنتظم ٣٣٢/١٧ ، ومروءة الزمان ١٦٧/١/٨ ، وعيون التواريخ ٣٣٥/١٢ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٣٤٩/٢ .

تَنَاءَتْ دَارُهُ عَنِّي وَلَكِنْ خَيَالُ جَمَالِهِ فِي الْقَلْبِ سَاكِنٌ
إِذَا امْتَلَأَ الْفُؤَادُ بِهِ فَمَاذَا يَضُرُّ إِذَا خَلَّتْ مِنْهُ الْأَمَاكِنُ
تُوَفِّي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ .

الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ ، مَنْصُورُ بْنُ الْمُسْتَرْشِدِ^(١) وَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَبِيهِ ، ثُمَّ خُلِعَ ،
فَذَهَبَ مَعَ الْعَمَادِ زَنْكِي إِلَى أَرْضِ الْمُؤَصِّلِ ، ثُمَّ جَمَعَ جَمُوعًا ، فَاقْتَتَلَ مَعَ الْمَلِكِ
مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَهَزَمَهُمْ ، فَذَهَبَ إِلَى أَصْبَهَانَ فَقُتِلَ بَعْدَ مَرَضٍ أَصَابَهُ ،
فَقِيلَ : إِنَّهُ سُمِّ ، وَقِيلَ : قَتَلَتْهُ الْبَاطِنِيَّةُ . وَقِيلَ : بَلْ قَتَلَهُ الْفَرَّاشُونَ الَّذِينَ كَانُوا يَلُونُ
أَمْرَهُ^(٢) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ حَكَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرِ الصُّوْلِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ^(٣) : النَّاسُ يَقُولُونَ :
كُلُّ سَادِسٍ يَقُومُ بِأَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ لَا بُدَّ أَنْ يُخْلَعَ . قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ :
فَتَأَمَّلْتُ ذَلِكَ فَرَأَيْتُهُ عَجَبًا ؛ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ
عُثْمَانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ ، ثُمَّ الْحَسَنُ فَخُلِعَ ، ثُمَّ معاويةُ وَيَزِيدُ ، وَمعاويةُ بْنُ يَزِيدَ ،
وَمَرْوَانُ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَخُلِعَ وَقُتِلَ ، ثُمَّ الْوَلِيدُ ، وَسُلَيْمَانُ ،
وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَيَزِيدُ ، وَهَشَامٌ ، ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَخُلِعَ وَقُتِلَ ، وَلَمْ
يَنْتَظِمِ لِبَنِي أُمَيَّةَ بَعْدَهُ أَمْرٌ حَتَّى قَامَ السَّفَّاحُ الْعَبَّاسِيُّ ، ثُمَّ أَخُوهُ الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ
الْمُهْدِيُّ ، وَالْهَادِي ، وَالرَّشِيدُ ، ثُمَّ الْأَمِينُ ، فَخُلِعَ وَقُتِلَ ، ثُمَّ الْمَأْمُونُ ، وَالْمُعْتَصِمُ ،

(١) المنتظم ١٧ / ٣٣٢ ، والإنباء في تاريخ الخلفاء ص ٢٢٢ ، ومرة الزمان ١٧ / ١ / ٨ ، وسير أعلام النبلاء

٥٦٨ / ١٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٣٠٠ .

(٢) المنتظم ١٧ / ٣٣٢ .

(٣) المنتظم ١٧ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وانظر الكامل ١١ / ٦٢ ، ٦٣ . هذا وسيأتي الخبر يوضح أن الذي تأمل

في قول الناس فرأى عجباً ، هو أبو بكر الصولي لا ابن الجوزي .

والواثق، والمتوكل، والمتنصر ثم المستعين فخلع وقتل، ثم المعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي، ثم المقتدر فخلع، ثم أعيد فقتل، ثم القاهر، والراضي، والمتقي، والمستكفي، والمطيع، ثم الطائع فخلع، ثم القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد، ثم الراشد، فخلع وقتل.

أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني الفيني^(١)، من قرية فين من قاشان، الوزير أبو نصر، وزر للسلطان محمود وللخليفة المسترشد، وكان عاقلاً، مهيئاً، عظيم الخلق، وهو الذي ألزم أبا محمد الحريري بتكميل المقامات، وكان^(٢) سبب [٢٤٠/٩] ذلك أن أبا محمد الحريري كان جالساً ذات يوم في مسجد بني حرام، من محال البصرة، فدخل عليهم شيخ ذو طمرين، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا رجل من سروج، يقال لي: أبو زيد. فعمل الحريري المقامة الحرامية، واشتهرت في الناس، فلما طالعها الوزير أنوشروان أعجب بها، وكلف أبا محمد أن يزيد عليها غيرها فعمل معها تمام خمسين مقامة، فهي هذه المشهورة المتداولة بين الناس، وقد كان الوزير كريماً محمداً غير أنه كان ينسب إلى التشيع. وقد مدحه الحريري فقال^(٣):

ألا ليت شِعري والتمني تعلقة وإن كان فيه راحة لأخي الكروب
أتدرون أنني منذ تناءت دياركم وشط اقترابي من جنابكم الرحب
أكابد شوقاً ما يزال أواره يُقلبني بالليل جنباً على جنب

(١) المنتظم ٣٣٣/١٧، والكمال ٧٠/١١، ضمن وفيات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ووفيات الأعيان ٦٧/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٠٤ وفيه: نوشروان، وعيون التواريخ ٣٤٠/١٢.

(٢) المنتظم ٣٣٣/١٧.

(٣) الأبيات في المنتظم ٣٣٣/١٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ) ص ٣٠٥.

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ التَّلَاقِي فَأُنْثِي
وَلِي حَنَّةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَيْكُمْ
فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّي كَتَمْتُ هَوَاكُمُ
وَمِمَّا شَجَا قَلْبِي الْمُعْنَى وَشَفُّهُ
وَقَدْ كُنْتُ لَا أَخْشَى مَعَ الذَّنْبِ جَفْوَةً
وَلَمَّا سَرَى الْوَفْدُ الْعِرَاقِي نَحْوَكُمْ
جَعَلْتُ كِتَابِي نَائِبِي عَنْ ضَرُورَةٍ
وَنَفَذْتُ أَيْضًا بَضْعَةً مِنْ جَوَارِحِي
وَلَسْتُ أَرَى إِذْ كَارَكُمْ بَعْدَ خَيْرِكُمْ

لَتَذْكَارِهَا بِأَدَى الْأَسَى طَائِرَ اللَّبِّ
وَلَا حَنَّةُ الصَّادِي إِلَى الْبَارِدِ الْعَذْبِ
لَمَّا كَانَ مَكْتُومًا بِشَرْقٍ وَلَا غَرْبِ
رِضَاكُمْ بِإِهْمَالِ الْإِجَابَةِ عَنْ كُثْبِي
فَقَدْ صِرْتُ أَخْشَاهَا وَمَالِي مِنْ ذَنْبِ
وَأَعُوزَنِي الْمَسْرَى إِلَيْكُمْ مَعَ الرُّكْبِ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً تَيْمَّمُ بِالتُّرْبِ
لَتُنْبِئَكُمْ عَنْ شَرْحِ حَالِي وَتَسْتَنْبِي
بِمَكْرُمَةٍ حَسْبِي اهْتِزَّازُكُمْ حَسْبِي

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة^(١)

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة جنزة^(٢)، مات بسببها مائتا ألفٍ وثلاثون ألفًا، وصار مكانها ماء أسود، عشرة فراسخ في مثلها، وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة.

وفيها وضع السلطان مسعود^(٣) مكوسًا كثيرة عن الناس، وكثرت الأذعية له.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه، فهزمه سنجر، وقيل في المعركة ولده، فحزن عليه والده حزنًا شديدًا.

وفيها قُتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بُورى بن طغتكين، قتله ثلاثة من خواصه ليلاً، وهربوا من القلعة، فأدرك اثنان فضلبا وأفلت واحد. وملك بعده أخوه كمال الدين محمد بن تاج الملوك، وكان يبعثك قبل ذلك، فملك بعده بعلبك عماد الدين زنكي، واستتاب عليها الأمير نجم الدين أيوب والد الملك صلاح الدين والملك العادل أبي بكر وذريتهما.

(١) المنتظم ٣٣٥/١٧، والكمال ٧١/١١.

(٢) في الأصل: «جرة»، وفي خ: «خيرة»، وفي م: «جبرت»، وفي ص: «حبرة»، وفي الكامل ٧٧/١١: «كنجة». والمثبت من المنتظم ٣٣٥/١٧. وجنزة: اسم أعظم مدينة بأرض همدان وهي بين شروان وأذربيجان، وهي التي تسميها العامة كنجة بينها وبين بزدغة ستة عشر فرسخاً. معجم البلدان ١٣٢/٢.

(٣) في النسخ: «محمود». والمثبت من الكامل ٧١/١١. وانظر عيون التواريخ ٣٤٣/١٢.

وفيهما صُرف اليهود والنصارى عن المباشرات ثم أعيّدوا قبل شهرٍ . وحجّ
بالناس فيها نظّر الخادِم ، أثابه الله تعالى .

ومَن تُوفى فيها مِن الأعيان :

زاهر بن طاهر بن محمد ، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر
الشَّحامي^(١) المحدث الكثير ، الرَّحَالُ الجَوَالُ ، سَمِعَ الكثير ، وأَمَلَى بِجامعِ نَيْسَابُورِ
ألفَ مجلسٍ ، ويقالُ^(٢) : إِنَّهُ كانَ [٢٤٠/٩ ط] به مرضٌ يُكثِرُ بسببه الجمعَ بينَ
الصلوات . فتكلَّم فيه أبو سعيد السَّمْعاني ، وقال^(٣) : إِنَّهُ كانَ يُخِلُّ بالصلوات .
وقد ردَّ ابنُ الجوزي^(٤) على السمعاني بَعْدَ المرضِ ، فالله أعلم .

بَلَغَ خمسًا وثمانين سنةً ، وكانت وفاته بَنَيْسَابُورَ في ربيع الآخرِ ، ودُفِنَ
بمَقْبَرَةِ يحيى بن يحيى .

علي بن أَفْلَحَ^(٥) ، أبو القاسم الكاتبُ ، وقد خَلَعَ عليه المسترشدُ ، ولَقَّبَهُ
جمالَ الملِكِ ، وأعطاه أربعةَ دورٍ ، وكانت له دارٌ إلى جانبيهنَّ فهدَمَهُنَّ كُلَّهُنَّ ،
واتَّخَذَ مكانَهُنَّ دارًا هائلةً ، طولُها ستون ذراعًا في عرضِ أربعين ، وأطلقَ له

(١) في الأصل : « الشحامي » ، وفي م : « السحامي » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٣٣٦/١٧ ، وسير
أعلام النبلاء ٩/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٤٠ هـ) ص ٣١٦ ، والوفاء بالوفيات
١٦٧/١٤ ، وغاية النهاية ٢٨٨/١ .

(٢) المنتظم ٣٣٧/١٧ .

(٣) المنتظم ٣٣٧/١٧ .

(٤) المنتظم ٣٣٧/١٧ .

(٥) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٥٢/٢ ، والمنتظم ٣٣٨/١٧ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٨٩ ،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٣٢٦ ، وعيون التواريخ ٣٥٥/١٢ وأورده
الكتبي فيمن توفي في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .

الخليفة أخشابًا وأجزًا وذهبًا، فبناها، وغرم عليها ابن أفلح مالا جزيلا، وكتب على أبوابها وطرزاتها أشعارا حسنة من نظمه، ونظم غيره، فمن ذلك ما هو على باب الدار^(١) :

إن عجب الرائون^(٢) من ظاهري فباطني لو علموا أعجب
شيدني^(٣) من كفه مزنة يحيل منها العارض الصيب
ودبجت روضة أخلاقه في رياض^(٤) نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره شمسًا على الأيام لا تغرب
وعلى الطرز مكتوب :

ومن المروعة للفتى ما عاش دار فاحرة
فاقتع من الدنيا بها واعمل لدار الآخرة
هاتيك وافية بما وعدت وهدى ساجرة^(٥)
وفي موضع آخر مكتوب^(٦) :

وناد كائن جنان الخلود^(٧) أعارته من حُسْنِها رُونًا
وأعطته من حادثات الزما ن أن لا تُلَمَّ به مؤثقا

(١) المنتظم ٣٣٨/١٧.

(٢) في المنتظم : « الزوار ».

(٣) في م : « شد باني ».

(٤) في خ ، م : « ديار ».

(٥ - ٥) في خ : « هاتي بايرة »، وفي م : « هاتي باترة » . وانظر المنتظم ٣٣٩/١٧.

(٦) المنتظم ٣٣٩/١٧.

(٧) في الأصل ، خ ، م : « الخلد ».

«فَأُضْحَى يَتِيَهُ»^(١) على كلِّ ما بُنِيَ مَغْرِبًا كَانَ أَوْ مَشْرِقًا
تَظَلُّ الْوَفُودُ بِهِ عُكَّفًا وَتُمْسِي الضِّيُوفُ بِهِ طُرْقًا
بَقِيَتْ لَهُ يَا جَمَالَ الْمُلُو لِكَ وَالْفَضْلُ مَهْمَا أَرَذَتْ الْبَقَا
وَسَالَّمَهُ فَيْكَ رَيْبُ الزَّمَانِ وَوُقِيَتْ مِنْهُ الذِّى يُتَّقَى

فَمَا صَدَقَتْ هَذِهِ الْأَمَانِي ، بَلْ عَمَّا قَرِيبٍ - بَعْدَ نَيْلِهَا - أَتَاهُمُ الْخَلِيفَةُ ابْنُ أَفْلَحَ
بِأَنَّهُ يَكَاتِبُ دُيُوسًا ، فَأَمَرَ بِتَخْرِيبِ هَذِهِ الدَّارِ ، فَلَمْ يَتَّقَ فِيهَا جِدَارًا ، وَصَارَتْ خَرَابَةً
بَعْدَ مَا كَانَ قَدْ حَسُنَ مِنْهَا الْمَقَامُ وَالْقَرَارُ ، وَهَذِهِ حِكْمَةٌ مَنْ يَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ،
وَتَجْرَى بِمَشِيئَتِهِ الْأَقْدَارُ^(٢) .

وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَشْيَاءَ حَسَنَةً مِنْ نَظْمِهِ ، وَنَثَرَهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ^(٣) :

دَعِ الْهَوَى لِأَنَاسٍ يُعْرِفُونَ بِهِ قَدْ مَارَسُوا الْحُبَّ حَتَّى لَانَ^(٤) أَصْعَبُهُ
بَلَوْتُ^(٥) نَفْسِكَ فِيمَا لَسْتَ تَخْبِرُهُ^(٦) وَالشَّيْءُ صَعِبٌ عَلَى مَنْ لَا يَجْرِبُهُ
أَفِنِ^(٧) اضْطِبَارًا وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعْ جَلْدًا فَرُبَّ مُذْرِكٍ أَمِيرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ
أُخْنِي^(٨) الضَّلُوعَ عَلَى قَلْبٍ يُخَيِّرُنِي^(٩) فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعِينُنِي تَقْلُبُهُ

-
- (١ - ١) فِي الْأَصْلِ : « فَلَا نَحْيَ قَبِيهِ » ، وَفِي م : « فَأُضْحَى يَنْبَهُ » . وَانْظُرِ الْمُنْتَظَمَ ٣٣٩ / ١٧ .
(٢) بَعْدَهُ فِي خ ، م : « وَهِيَ حَكْمَتُهُ فِي كُلِّ دَارٍ بَنِيَتْ بِالْأَشْرِ وَالْبَطْرِ وَفِي كُلِّ لِبَاسٍ لَبِسَ عَلَى التَّيِّهِ وَالْكَبِيرِ وَالْأَشْرِ » .
(٣) الْمُنْتَظَمَ ٣٣٩ / ١٧ .
(٤) سَقَطَ مِنْ : م .
(٥) فِي خ ، م : « أَدَخَلْتُ » .
(٦) فِي م : « تَجْرِبُهُ » .
(٧) فِي خ ، وَالْمُنْتَظَمَ : « أَفِنِ » ، وَفِي م : « أَمِنَ » ، وَقَفَى قِتَا : رَضَى .
(٨) فِي الْأَصْلِ : « أَضْوَا » ، وَفِي م : « أَحْسَنَ » ، وَفِي ص : « أُخْنُو » . وَانْظُرِ الْمُنْتَظَمَ ٣٣٩ / ١٧ .
(٩) فِي خ : « يَخْبِرُنِي » ، وَفِي م : « يَخْيِرُنِي » ، وَفِي ص : « نَخْبِرُنِي » .

تَنَاطُحُ الرِّيحُ مِنْ نَجْدٍ يَهْيِجُهُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ^(١) :

هَذِهِ الْخَيْفُ ^(٢) وَهَاتِيكَ مِنْى
وَاحْبِسِ الرُّكْبَ عَلَيْنَا سَاعَةً
فَلِذَا الْمَوْقِفِ أَعْدَدْنَا الْبُكَأَ ^(٣)
زَمْنًا ^(٤) كَانُوا وَكُنَّا جِيرَةً
بَيْنُنَا يَوْمَ أَثِيلَاتِ النَّقَا ^(٥)
وَلَا مِعَ الْبَرْقِ مِنْ نَعْمَانٍ يُطْرِبُهُ
فَتَرَفَّقُوا أَيُّهَا الْحَادِي بِنَا
نَنْدُبُ الرَّبْعَ ^(٦) وَنَبْكِي الدُّمْنَا ^(٧)
وَلِذَا ^(٨) الدُّمْنِ دُمُوعِي ^(٩) تُقْتَنِي
يَا أَعَادَ اللَّهُ ذَاكَ الزَّمْنَا
كَانَ عَنْ غَيْرِ تَرَاضٍ بَيْنُنَا

(١) المنتظم ١٧ / ٣٤٠.

(٢) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمي مسجد الخيف من منى . معجم البلدان ٢ / ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

(٣) فى خ ، م : « الدار » .

(٤) فى م : « الدنا » .

(٥) فى المنتظم ١٧ / ٣٤٠ : « الأسى » .

(٦ - ٦) فى النسخ : « اليوم الدموع » . والمثبت من المصدر السابق .

(٧) فى م ، ص : « زماننا » .

(٨ - ٨) فى خ ، م ، ص : « ائتلاف نلتقى » .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة^(١)

[٢٤١/٩] فيها حاصر زنكي دمشق، فحصنها الأتابك معين الدين أنز^(٢)
مملوك طغتكين، فاتفق موث ملكها جمال الدين محمد^(٣) بن بوري بن
طغتكين، فأرسل معين الدين إلى أخيه مجير الدين أبق^(٤)، وهو ببغلبك فملكه
دمشق، فذهب زنكي إلى بغلبك، فأخذها واستتاب عليها نجم الدين أيوب.
وفيهما دخل الخليفة المقتفي لأمر الله على الخاتون فاطمة أخت^(٥) السلطان
مسعود، وأغلقت بغداد أيامًا، وكان وقتًا مشهودًا.

وفيهما تزوج السلطان بينت أمير المؤمنين، وكان يومًا مشهودًا.

وفيهما تودى للصلاة على رجل صالح، فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد
القادر، ثم اتفق أن الرجل عطس فأفاق، وحضرت جنازة آخر، فصلّى عليه.
وفيهما نقصت المياه من سائر الدنيا. وفيها ولد صاحب حماة، تقي الدين

(١) المنتظم ٣/١٨، والكامل ٧٣/١١.

(٢) في خ، م: «بن». وفي الكامل ٧٤/١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠هـ)
ص ٢١٣. وانظر وفيات ١٨٤/٥، ونهاية الأرب ٨٧/٢٧، والوافي بالوفيات ٤١٠/٩.

(٣) في م: «محمود». وانظر نهاية الأرب ٨٨/٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ -
٥٤٠هـ) ص ٢١٣.

(٤) في خ: «ارتق»، وانظر الكامل ٧٤/١١.

(٥) في م، ص، والكامل ٧٧/١١: «بنت». وانظر المنتظم ٣/١٨.

عمرُ بنُ شَاهِنْشَاهِ بنِ أَيُّوبَ بنِ شاذى^(١) .

وَمَنْ توفى فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ الفَرَجِ ، أبو العباسِ الحَزْبِيُّ^(٢) ، أحدُ العبَادِ الزُّهَادِ ، سَمِعَ الحديثَ ، وكانتْ لَهُ أحوالٌ ، حتى كانَ يُقالُ^(٣) : إِنَّهُ كانَ يُرى فى بعضِ السَّنِينَ بعَرَقاتٍ ، ولم يَكُنْ حجٌّ فى تلكِ السَّنَةِ .

عبدُ السلامِ بنُ الفضلِ^(٤) ، أبو القاسمِ الجَلِيلِيُّ ، سَمِعَ الحديثَ وَتَفَقَّهَ على إِلْكِيَا الهَرَّاسِيِّ ، وبرعَ فى الأصولِ والفروعِ ، وغيرِ ذلكَ ، وولى قضاءَ البصرةَ ، وكانَ مِنْ خيارِ القضاةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) فى م : « شارى » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢١/٢٠٢ .

(٢) المنتظم ١٨/٥ ، ومرة الزمان ١٨/١٧٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٥٤٠ هـ) ص ٣٤٢ .

(٣) المنتظم ١٨/٥ .

(٤) المنتظم ١٨/٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٥٤٠ هـ) ص ٣٥٢ ، والوفاء بالوفيات ١٨/٤٣٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/١٦٩ .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

فيها^(١) وصلت البزدة والقضيبي إلى بغداد، وكانا قد أبحدا مع المسترشد سنة تسع وعشرين، فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما في هذه السنة. وفيها كملت المدرسة الكمالية ببغداد المنسوبة إلى كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن طلحة، صاحب المخزن، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن بن الخل^(٢)، وحضر عنده الأعيان والرؤساء، رحمه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان:

إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد، أبو القاسم الطلحي الأصبهاني^(٣)، سميع الكثير، ورخل وكتب وأملأ بأصبهان قريتا من ثلاثة آلاف مجلس، وكان إماما في الحديث والفقه والتفسير واللغة، حافظا متقنا، توفي ليلة عيد الأضحى وقد قارب الثمانين، ولما أراد الغاسل تنحية الخزقة عن فرجه ردها بيده^(٤).

(١) المنتظم ٨/١٨، والكامل ٧٨/١١.

(٢) في خ، م: «الحلي». وانظر المنتظم ١٠/١٨، والكامل ٨٠/١١.

(٣) المنتظم ١٠/١٨، وسير أعلام النبلاء ٨٠/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٣٦٧، وتذكرة الحفاظ ١٢٧٧/٤، والوفى بالوفيات ٢١١/٩، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٣٧.

(٤) بعده في خ، م: «وقيل إنه وضع يده على فرجه».

محمد بن عبد الباقي^(١) بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
ابن الربيع بن ثابت^(٢) بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب
ابن مالك الأنصاري، سَمِعَ الحديثَ ، وتفرَّد عن جماعة من المشايخ ، وأُمِّلَى
الحديثَ في جامعِ القَصْرِ ، وكان مشارِكًا في علومٍ كثيرةٍ^(٣) ، وقد أُسِرَ في صِغَرِهِ
في أيدي الروم ، فأرَادُوهُ على أن يتكلَّم بكلمة الكُفْرِ فلم يفعلْ ، وتعلَّم منهم خطَّ
الروم ، وكان يقولُ : مَنْ خَدَمَ المحابرَ خَدَمَتَهُ المنايرُ . ومن شعره الذي أُوْرَدَ ابنُ
الجوزي عنه وسمِعَه عنه قوله^(٤) :

احفظ لسانك لا تبُخ بثلاثة سنٍّ ومالٍ^(٥) ما استطعتْ ومذهبٍ
فعلى الثلاثة تُبتلى بثلاثة^(٦) بمُكفرٍ وبحاسِدٍ^(٧) ومُكذِّبٍ
ومن ذلك قوله^(٨) :

لى مُدَّة لا بُدَّ أبلُغها [٢٤١/٩ ظ] فإذا انقَضَتْ وتصرَّمتْ مِثْ
لو عاندتني الأسدُ ضاريةً ما ضرَّني ما لم يَجى الوقتُ
ومن ذلك قوله^(٩) :

-
- (١) في الأصل : « الربيع » وانظر ترجمته في : تاريخ دمشق ٥٨٢/١٥ (مخطوط) ، والمنتظم ١٣/١٨ ،
وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٥٤٠ هـ) ص ٣٩٠ ، وتذكرة
الحفاظ ١٢٨١/٤ ، وذيل طبقات الحنابلة ١٩٢/١ .
(٢) بعده في الأصل : « وقد ألف أمر الاحضاري » .
(٣) المنتظم ١٣/١٨ ، ١٤ .
(٤ - ٤) في خ ، م : « إن سئلت » . وانظر المنتظم ١٣/١٨ .
(٥ - ٥) في المنتظم : « بمموه ومكفر » .
(٦) المنتظم ١٥/١٨ .
(٧ - ٧) سقط من : خ ، م . وانظر المنتظم ١٥/١٨ .

١١) بغداد دار لأهل العلم طيبة وللمفالس دار الضنك والضيق
ظللْتُ حيران أمشي في أزقتها كأنني مُصحفٌ في بيتِ زنديق^(١)

قال ابنُ الجوزي^(٢) : بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنةً ، لم تتغيَّر حواسُّه ولا عقله . وكانت وفاته ثانيَ رجبٍ من هذه السنة ، وحضر جنازته الأعيانُ والناسُ ، ودُفن قريباً من قبرِ بشرٍ .

يوسفُ بنُ أيوبَ بنِ يوسفَ بنِ الحسنِ^(٣) بنِ وهرة^(٤) ، أبو يعقوبَ الهَمْدَانِي ، تَفَقَّهَ بالشيخِ أبي إِسْحاقَ ، وبرعَ في الفقهِ والمناظرةِ ، ثم اشتغل بالتَّعبُدِ ، وصحبَ الصالحينَ ، وأقام بالجبالِ ، ثم عادَ إلى بغدادَ فوعظَ بها ، وحصلَ له قَبُولٌ . توفى في ربيعِ الأوَّلِ بيَّضِ قُوى هَراةَ ، رحمه الله تعالى .

(١ - ١) سقط من : خ ، م . وانظر المنتظم ١٥/١٨ .

(٢) المنتظم ١٥/١٨ .

(٣) كذا بالنسخ والمنتظم ١٥/١٨ ، وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ١٨٠/١/٨ ، ووفيات الأعيان ٧/٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ٦٦/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٣٩٦ : الحسين .

(٤) في خ ، م : « زهرة » .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها^(١) كانت حروب كثيرة بين السلطان سنجر وبين السلطان خوارزم شاه، فاستحوذ خوارزم شاه على مَرَوْ بعد هزيمة سنجر، فقتل بها، وأساء التدبير بالنسبة إلى الفقهاء الحنيفة الذين بها، وكان جيش خوارزم شاه ثلاثمائة ألف مقاتل.

وفيها^(٢) كَمَلَ عمل شقّ النهرين^(٣)، وخلع بهروز^(٤) الشحنة ببغداد على الصناعِ جِباب الحرير الرومي، وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر، وفرح السلطان بذلك، وكان قد صرف السلطان على ذلك النهر سبعين ألف دينار.

وفيها حجّ كمال الدين بن طلحة، صاحب الخزن، وعاد فترهد، وترك العمل ولزم داره.

وفيها عُقدت الجمعة بمسجد العباسيين بإذن الخليفة. وحجّ بالناس نظراً الخادم.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

(١) المنتظم ١٧/١٨، والكامل ٨١/١١.

(٢ - ٢) في خ: «تعمل عمل بيق النهرين»، وفي م: «تعمل عمل دمشق النهرين».

(٣) في خ، م: «نهرين». وانظر المنتظم ١٧/١٨، ووفيات الأعيان ١٤٢/٧.

إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث^(١)، أبو القاسم ابن أبي بكر السمرقندي، الدمشقي، ثم البغدادي، سمع الكثير، وتفرد بمشايع، وكان سماعه صحيحًا، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة نحو ثلاثمائة مجلس، وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز الثمانين، رحمه الله.

يحيى بن علي بن محمد بن علي، أبو محمد بن الطراح المديري^(٢)، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وسمع الكثير وأسمع، وكان شيخًا مهيبًا كثير العبادة والخير، وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة عن مائة وسبع سنين، رحمه الله تعالى، ورضى عنه آمين.

(١) تاريخ دمشق ٣٥٧/٨، والمتنظم ٢٠/١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٨/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٢١ - ٥٤٠ هـ) ص ٤٠٦، والوافي بالوفيات ٨٨/٩، وطبقات الشافعية للسبكي ٤٦/٧.
(٢) في الأصل، م: «المدير». وكذا في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٤٣٤، والعبر ١٠١/٤. وانظر ترجمته في: المتنظم ٢٤/١٨، وسير أعلام النبلاء ٧٧/٢٠، وعيون التواريخ ٣٧٢/١٢، والنجوم الزاهرة ٢٧٠/٥، وشذرات الذهب ١١٤/٤.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيها^(١) ملك عماد الدين زنكي الحديثة، ونقل آل مُهَارِشٍ مِنْهَا إِلَى الْمُؤَصِّلِ،
ورثب فيها نُوَّابًا مِنْ جِهَتِهِ .

(١) المنتظم ٢٦/١٨، والكامل ٨٨/١١ (حوادث ٥٣٦هـ).

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فيها^(١) تجهّز السلطان مسعود؛ ليأخذ المؤصل والشام من عماد الدين زنكي، فصالحه على مائة ألف دينار، فدفع إليه منها عشرين^(٢) ألف دينار، وأطلق له الباقي، وسبب ذلك أن ابنته سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان. وفيها ملك عماد الدين زنكي بعض بلاد بكر. وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه، ثم أخذ منه مالا وأطلقه.

وفيها وجد رجل يفسق بصبي، فألقى من رأس منارة. [٢٤٢/٩] وفي ليلة الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي القعدة زلزلت الأرض. وحج بالناس نظر الخادم، أثابه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان:

عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد، أبو البركات الأنماطي^(٣)، الحافظ سميع الكثير وحدث، كان ثقة دينا ورعا، طليق الوجه، سهل الأخلاق، توفي في المحرم عن ست وتسعين سنة.

(١) المنتظم ٣٠/١٨، والكامل ٩٣/١١.

(٢) المنتظم ٣٣/١٨، وسير أعلام النبلاء ١٣٤/٢٠، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٢/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٤٦٦، وعيون التواريخ ٣٨٣/١٢، وذيل طبقات الحنابلة ٢٠١/١.

(٣) المنتظم ٣٤/١٨، والكامل ٩٧/١١، وسير أعلام النبلاء ١٤٩/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٤٦٩، وعيون التواريخ ٣٧٨/١٢.

علي بن طراد بن محمد بن علي الزينبي^(١)، الوزير العباسي، أبو القاسم
نقيب الثقباء على الطائفتين^(٢)، في أيام المستظهر، ووزر للمسترشد المقتفي، ثم
عزل وأعيد، ولم يل الوزارة من العباسيين غيره، وقد سمع الكثير وأسمع،
وتوفي في رمضان عن ست وسبعين سنة، رحمه الله.

الزَمْخَشَرِيُّ، محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم
الزَمْخَشَرِيُّ^(٣)، صاحب «الكشاف» في التفسير، و«المفصل» في النحو،
وغير ذلك من المصنفات المفيدة، وقد سمع الحديث، وطاف البلاد في طلب
العلم، وجاور بمكة مدة، وكان يُظهر مذهب الاعتزال، ويصرّح بذلك في
تفسيره، ويُناظر عليه، ثم كانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة من هذه السنة، عن
ست وسبعين سنة^(٤).

(١) المنتظم ٣٤/١٨، والكامل ٩٧/١١، وسير أعلام النبلاء ١٤٩/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث
وفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٤٦٩، وعيون التواريخ ٣٧٨/١٢.

(٢) يعني العلوية والعباسية.

(٣) نزهة الألباء ص ٣٩١، والمنتظم ٣٧/١٨، ومعجم الأدباء ١٢٦/١٩، والكامل ٩٧/١١، وإنباه
الرواة ٢/٢٦٥، ووفيات الأعيان ١٦٨/٥، وسير أعلام النبلاء ١٥١/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث
وفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٤٨٦، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ١٢٠.

(٤) في الأصل: «تسعين». وفي مصادر ترجمته السابقة أنه ولد سنة ٤٦٧ هـ، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فيها^(١) أخذ العمادُ زَنْكِي الرُّهَّا، وغيرها من حصُون الجزيرة من أيدي
الفرنج، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وغنم أموالًا جزيلةً، وأزاح عن المسلمين كُربًا
شديدةً كثيرةً، جزاه الله خيرًا. وحجَّ بالناس أميرُ الجيوش نظرُ الخادمِ وتنافس هو
وأميرُ مكة، فنهَب الحَجِيجَ وهم يطوفون.

ومَن توفى فيها من الأعيان:

إبراهيمُ بنُ محمد بن منصور بن عمر، أبو البدر^(٢) الكرخي، تفقَّه بالشيخ
أبي إسحاق، وأبى سعيد المتولّي، حتى صارَ أُوحدَ زمانه فِقْهًا وصلاحًا، ومات
في هذه السنة.

سعيد^(٣) بن محمد بن عمر، أبو منصور الرِّزَّاز^(٤)، سَمِعَ الحديثَ، وتفقَّه
بالغزاليّ والشَّاشيّ، والمتولّي، وإلْكينا الهَرَّاسيّ، وأسعدَ المِهْنِيّ، وولى تدريسَ
النُّظَامِيَّةِ، وكان له سَمْتُ حَسَنٌ، ووقارٌ وسكونٌ، وكان يومَ جنازته مشهُودًا،

(١) المنتظم ٣٩/١٨، والكامل ٩٨/١١.

(٢) في م: «الوليد». وانظر ترجمته في: المنتظم ٣٩/١٨، التقييد لابن نقطة ص ١٩٢، وسير أعلام النبلاء
٧٩/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٤٩٣، وعيون التواريخ ٣٩٦/١٢.

(٣) في م: «سعد». وانظر ترجمته في: المنتظم ٤٠/١٨، وسير أعلام النبلاء ١٦٩/٢٠، والمعين في
طبقات المحدثين ص ٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٤٩٩، وشذرات
الذهب ١٢٢/٤.

(٤) في الأصل: «الرمزار»، وفي م: «البرار». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

وَدُفِنَ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ .

عَمْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ^(١) بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْقُرَشِيُّ الْعَلَوِيُّ، أَبُو الْبَرَكَاتِ الْكُوفِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، سَمِعَ كَثِيرًا، وَكُتِبَ كَثِيرًا، وَأَقَامَ بِدَمَشَقَ مَدَّةً، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي النَحْوِ، وَكَانَ خَاشِعًا الْعِيشِ، صَابِرًا مُخْتَسِبًا، تُوُفِيَ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١ - ١) سقط من: النسخ والمنتظم ٤١/١٨. وانظر ترجمته في: تاريخ دمشق ٦٩٤/١٢ (مخطوط)، ونزهة الألباء ص ٣٩٩، ومعجم الأدباء ٢٥٧/١٥، وإنباه الرواة ٣٢٤/٢، وسير أعلام النبلاء ١٤٥/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٥٤٠ هـ) ص ٥١٣، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٨٧.

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

فيها^(١) حَصَرَ عَلِيُّ بْنُ دُيَّسٍ أَخَاهُ مُحَمَّدًا، وَلَمْ يَزَلْ يَحَاصِرُهُ حَتَّى افْتَلَعَ مِنْ يَدِهِ الْحِلَّةَ وَمَلَكَهَا، وَفِي رَجَبٍ دَخَلَ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ إِلَى بَغْدَادَ؛ خَوْفًا مِنْ اجْتِمَاعِ عَبَّاسٍ صَاحِبِ الرَّيِّ، وَمُحَمَّدِ شَاهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فِي رَمَضَانَ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ قَائِمًا زُ الْأَرْجَوَانِي مَمْلُوكُ أَمِيرِ الْجِيوشِ [٢٤٢/٩ ظ] نَظِيرٍ بِسَبَبِ مَا كَانَ وَقَعَ بَيْنَ نَظِيرٍ وَأَمِيرٍ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ، أَبُو سَعْدٍ الْأَصْبَهَانِي، ثُمَّ الْبَغْدَادِي^(٢)، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَكَانَ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، حُلُوَ الشَّمَالِ، مُطَرِّحًا الْكُلْفَةَ، رُبَّمَا خَرَجَ إِلَى السُّوقِ بِقَمِيصٍ وَقَلَنْشُوءَةٍ. وَحَجَّ إِحْدَى عَشْرَةَ حَجَّةً، وَكَانَ يُمِلُّ الْحَدِيثَ، وَيَكْثُرُ الصَّوْمَ، تُوفِّيَ بَنَاهَا وَنَدَّ فِي رِيْعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ.

عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو الْحَسَنِ الْيَزْدِيُّ^(٣)، تَفَقَّهَ بِأَبِي

(١) المنتظم ٤٤/١٨، والكمال ١٠٥/١١.

(٢) المنتظم ٤٥/١٨، والكمال ١٠٧/١١، وفيه: أَبُو سَعِيدٍ، وَتَذَكُّرَةُ الْخَفَاطِ ١٢٨٤/٤، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١١٩/٢٠ وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٥٢٩.

(٣) المنتظم ٤٦/١٨، وَمَعْرِفَةُ الْقُرَاءِ الْكِبَارِ ٤٢٥/٢، وَالْعَبْرُ ١٤٣/٤، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٣٤/٢٠، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ لِلْسَّبْكِ ٢١١/٧.

بكر الشاشي، وسمع الحديث وأسمعه، وكان له ولأخيه قميص وعمامة؛ إذا خرج هذا جلس الآخر في البيت، وكذا الآخر.

مَوْهُوبُ بْنُ أَحْمَدَ^(١) بن محمد بن الخضر، أبو منصور الجواليقي، شيخ اللغة في زمانه، باشر مشيخة اللغة بالنظامية بعد شيخه أبي زكريا التبريزي مدة، وكان يؤم بالمقتفي، ورُبَّمَا قرأ عليه الخليفة شيئاً من الكتب، وكان عاقلاً، متواضعاً في ملبسه، طويل الصمت، كثير التفكير، وكانت له حلقة بجامع القصر أيام الجمع، وكانت فيه لُكنة، وكان يجلس إلى جانبه المغربي معبر المنامات وكان فاضلاً لُكنته كان كثير الثعاس في مجلسه، فقال فيهما بغض الأدباء^(٢) :

بُعْدَادُ عِنْدِي ذَنْبُهَا لَنْ يُعْفَرَ	وَعُيُوبُهَا مَكْشُوفَةٌ لَنْ تُسْتَرَا
كُونُ الْجَوَالِيقِيِّ فِيهَا مُمْلِيًا	لُغَةً وَكُونُ الْمَغْرِبِيِّ مُعْبَرًا
مَأْسُورٌ لُكْنَتِهِ يَقُولُ فَصَاحَةً	وَنَثُومٌ يَقْطُطِهِ يَعْبُرُ فِي الْكَرَى

(١) المنتظم ٤٦/١٨، ومعجم الأدباء ٢٠٥/١٩، وإنباه الرواة ٣٣٥/٣، ووفيات الأعيان ٣٤٢/٥، وتذكرة الحفاظ ١٢٨٦/٤، وسير أعلام النبلاء ٨٩/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٣١ - ٥٤٠ هـ) ص ٥٤٩.

(٢) الأبيات في وفيات الأعيان ٣٤٤/٥، مع اختلاف في الألفاظ.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ^(١)

فِي مُسْتَهْلَ لَيْلَةِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ^(٢) اخْتَرَقَ الْقَصْرُ الَّذِي كَانَ بَنَاهُ الْمُسْتَرْشِدُ ، وَكَانَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَفَى قَدْ انْتَقَلَ بِجَوَارِيهِ وَحِظَايَاهُ إِلَيْهِ لِيَقِيمَ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ نَامُوا حَتَّى اخْتَرَقَ عَلَيْهِمُ الْقَصْرُ ، بِسَبَبِ أَنَّ جَارِيَةً أَخَذَتْ فِي يَدِهَا شَمْعَةً فَعَلِقَ لَهْبُهَا بَعْضَ الْأَخْشَابِ فَاخْتَرَقَ الْقَصْرُ ، وَسَلَّمُ اللَّهِ الْخَلِيفَةَ وَأَهْلَهُ ، فَأَصْبَحَ فَتَصَدَّقَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، وَأُطْلِقَ خَلْقًا مِنَ الْمُحْبَسِينَ .

وَفِي رَجَبٍ وَقَعَ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ وَاقِعٌ ، فَبَعَثَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ فَأُغْلِقَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى اضْطَلَحَا .

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْمُنْتَصِفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ جَلَسَ ابْنُ الْعَبَّادِيِّ الْوَاعِظُ ، فَتَكَلَّمَ وَالسُّلْطَانُ مَسْعُودٌ حَاضِرٌ ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَ عَلَى النَّاسِ مَكْسًا فِي الْبَيْعِ فَاجِشًا ، فَقَالَ فِي جُمْلَةٍ وَعَظِهِ : يَا سُلْطَانُ الْعَالَمِ ، أَنْتَ تَطْلُقُ فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ لِلْمُعْنَى إِذَا طَرِبْتَ قَرِيبًا مِمَّا وَضَعْتَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَا الْمَكْسِ ، فَهَبْنِي مُعْنِيًا وَقَدْ طَرِبْتُ ، فَهَبْ لِي هَذَا الْمَكْسَ شُكْرًا لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَأَسْقِطْهُ عَنِ النَّاسِ . فَأَشَارَ السُّلْطَانُ بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُ ، فَضَجَّ النَّاسُ بِالْدُّعَاءِ لَهُ ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ سَجَلَاتٌ ، وَنُودِيَ فِي الْبَلَدِ بِإِسْقَاطِ ذَلِكَ الْمَكْسِ ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ^(٣) ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ .

(١) المنتظم ١٨ / ٤٨ ، والكامل ١١ / ١٠٨ .

(٢) فِي الْمُنْتَظَمِ : « الْآخِر » .

(٣) الْمُنْتَظَمِ ١٨ / ٤٩ .

وفى هذه السنة قَلَّ المطرُ جدًّا، وقلَّتْ مياهُ الأنهارِ، وانتشرَ جرادٌ عظيمٌ، وأصابَ الناسَ داءٌ فى حلوقِهِم، فماتَ بذلكَ خلائقٌ كثيرةٌ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

[٢٤٣/٣] وفيها قُتِلَ الملكُ عمادُ الدين زَنْكى بنُ قَسِيمِ الدولة آق سُنْقَرُ التركى، صاحبُ المؤصِّلِ وحَلَبَ وغيرهما من بلادِ الشامِ والجزيرة، وكان محاصرًا قلعةَ جعبرٍ، وفيها سالمُ بنُ مالكِ العقيلي^(١)، فبَرِطَلُ بعضِ ممالكِ زَنْكى حتى قَتَلوه فى الليلةِ الخامسةِ من ربيعِ الأوَّلِ من هذه السنة^(٢). قالَ العِمادُ الكاتبُ^(٣): وكان سَكْرانَ . فاللهُ أعلمُ .

وقد كان من خيارِ الملوكِ وأحسنِهِم سيرةً وشكلاً، وكان شجاعاً مقداماً حازماً، خَضَعَتْ له ملوكُ الأطرافِ، وكان من أشدِّ الناسِ غيرةً على نساءِ الرعيَّةِ، وأجودَ الملوكِ مُعاملةً، وأزفَقَهُم بالعامَّةِ، ومَلَكَ من بعده بالمؤصِّلِ ولَدُه سيفُ الدين غازى، وبَحَلَبَ ولَدُه نُورُ الدين محمودُ، فاستعادَ نُورُ الدين هذا مَدِينَةَ الرُّها، وكان أبوه قد فَتَحَها . ثم عَصَوْا فَقَهَرَهُم .

وفى هذه السنة مَلَكَ عبدُ المؤمنِ صاحبُ المغربِ جزيرةَ الأندلسِ، بعدَ حروبٍ طويلةٍ .

(١) كذا فى النسخ، والكامل ١٠٩/١١، وعيون التواريخ ٤٠٧/١٢، ٤٠٨. هذا وقد ذكر أبو شامة فى الروضتين ١٠٧/١ نقلاً عن كتاب الأتابكة لابن الأثير، أن قلعة جعبر قد سلمها السلطان ملكشاه إلى الأمير سالم بن مالك العقيلي لما ملك قسيم الدولة مدينة حلب، فلم تزل بيده ويد أولاده من بعده إلى سنة إحدى وأربعين. وذكر أبو الفداء فى المختصر فى أخبار البشر ١٨/٣، أن القلعة كانت بيد على بن مالك بن سالم بن مالك العقيلي، وهو الصواب، والله أعلم .

(٢) ظاهر كلام المصنف أن سالم بن مالك العقيلي قد برطل - أى رشا - بعض ممالك زكى قتلته، والمذكور فى الروضتين ١٠٨/١، أن زكى لما نام ركبته كبير خدمه، فذبحه خوفاً من سطوته .

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٩ .

وفيهما ملكة الفرنج، لعنهم الله، مدينة طرابلس الغرب. وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك وفيها الأمير نجم الدين أيوب من جهة زنكي، فسلمه القلعة، وأعطاه أمرته^(١) عنده بدمشق.

وفيهما قتل السلطان مسعود حاجبه عبد الرحمن طغايك^(٢) وقتل عباسا صاحب الرمي، وألقى رأسه إلى أصحابه، فانزعج الناس ونهبوا خيام عباس، وقد كان عباس هذا من الشجعان المشهورين، قتلت الباطنية مخدمه جوهرًا، فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مؤذنة من رءوسهم بمدينة الرمي.

وفيهما مات نقيب النقباء ببغداد محمد بن طراد الزينبي، فولى بعده علي بن طلحة الزينبي. وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة، وكانت قد بلغت مبالغ النساء، فماتت، فحضر جنازتها الأعيان. وحج بالناس نظراً الخادم. وحج في هذه السنة نظام الدين بن جهير الوزير.

ومن توفي فيها من الأعيان:

زنكي بن آق سنقر^(٣) تقدم ذكر شيء من ترجمته في الحوادث، وقد أطنب الشيخ شهاب الدين، أبو شامة في «الروضتين»^(٤) في ترجمته، وما قيل فيه من نظم ونثر، رحمه الله.

(١) في خ: «امديه»، وفي م: «أمزيه». وذكر في الكامل ١١٨/١١ أن صاحب دمشق ملك نجم الدين أيوب عدة قرى من دمشق.

(٢) في النسخ: «طغرليك». والمثبت من الكامل ١١٦/١١.

(٣) المنتظم ٥١/١٨، ووفيات الأعيان ٣٢٧/٢، وسير أعلام النبلاء ١٨٩/٢٠، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٦١، والوافي بالوفيات ٢٢١/١٤.

(٤) الروضتين ١٠٩/١ - ١١٨.

سعدُ الخيرِ بنُ محمدٍ بنِ سهلٍ بنِ سعيدٍ ، أبو الحسنِ المغربيِّ الأندلسيِّ
الأنصاري^(١) ، رحل من الأندلس إلى الصين ، وسمع الحديث وتفقه بالغزالي ،
وحصل كتباً نفيسة ، وروى عنه ابنُ الجوزي وغيره ، وقد أوصى عند وفاته ببغداد
أن يصلّى عليه الغزنوي ، وأن يُدفن إلى جانب قبر عبد الله بن الإمام أحمد ،
وحضر جنازته خلائق من الناس .

شافع بن عبد الرشيد بن القاسم ، أبو عبد الله الجليلي الشافعي^(٢) ، تفقه
على إلكيا الهراسي وعلى الغزالي ، وكان يسكن الكرخ ، وله حلقة بجامع
المنصور في الرّواق . قال ابنُ الجوزي^(٣) : كنتُ أحضرُ حلّفته .

عبدُ الله بنُ عليّ بنِ أحمد بنِ عبدِ الله ، أبو محمدٍ سبطُ أبي منصورٍ
الزاهد^(٤) ، قرأ القراءات وصنّف فيها ، وسمع الحديث الكثير ، واقتنى الكتب
الحسنة ، وأمّ في مسجده ثيفاً وخمسين سنة ، [٢٤٣/٩ ط٢] وعلم^(٥) خلقاً القرآن .
قال ابنُ الجوزي^(٦) : ما سمعتُ أحداً أجسّن قراءةً منه ، وحضر جنازته خلق كثير .
عباسُ شحنة الرّي^(٧) ، توصّل إلى أن ملكها ، ثم قتله السلطان مسعود ،

(١) المنتظم ٥١/١٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٥٨/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ -

٥٥٠ هـ) ص ٦٥ ، والوفاء بالوفيات ١٨٩/١٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٩٠/٧ .

(٢) المنتظم ٥١/١٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٦١/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ -

٥٥٠ هـ) ص ٦٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٠١/٧ ، والوفاء بالوفيات ٧٦/١٦ .

(٣) المنتظم ٥١/١٨ .

(٤) المنتظم ٥١/١٨ ، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٨٣/١ ، وإنباه الرواة ١٢٢/٢ ، وسير أعلام النبلاء

١٣٠/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٦٩ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢٠٩/١ .

(٥) من هنا يبدأ سقط في مخطوطة «الأصل» .

(٦) المنتظم ٥٢/١٨ .

(٧) المنتظم ٥٢/١٨ ، ومروءة الزمان ١٩٣/١/٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٥٤١ -

٥٥٠ هـ) ص ٦٩ ، والوفاء بالوفيات ٦٥٩/١٦ ، والنجوم الزاهرة ٢٧٩/٥ .

كما ذكرنا، وقد كان كثير الصدقات والإحسان إلى الرعية، وقتل من الباطنية خلقاً، وابتنى من رؤوسهم منارة بالرأي، وتأسف الناس عليه، رحمه الله.

محمد بن طراد بن محمد الزينبي^(١)، أبو الحسن نقيب الهاشميين، وهو أخو علي بن طراد الوزير، سمع الكثير من أبيه وعمه أبي نصر وغيرهما، وقارب السبعين.

وجيه بن طاهر بن محمد، أبو بكر الشحامى^(٢)، أخو زاهر، وقد سمع الكثير من الحديث، وكانت له معرفة به، وكان شيخاً حسن الوجه، سريع الدمعة، كثير الذكر، صحيح السماع، صدوق اللهجة. توفي ببغداد في هذه السنة.

(١) المنتظم ٥٣/١٨، والكامل ١١٨/١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٨٠، والوفى بالوفيات ١٦٩/٣.

(٢) المتخب من السياق ص ٤٧٢، والمنتظم ٥٣/١٨، وسير أعلام النبلاء ١٠٩/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٩٢، والنجوم الزاهرة ٢٨٠/٥.

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها^(١) ملكَ الفِرْنَجُ عدةَ حصونٍ من جزيرة الأندلس . وفيها ملكَ نُورُ الدين محمودُ بنُ زَنْكِي عدةَ حصونٍ من أيدي الفِرْنَجِ بالسواحلِ وغيرها . وفيها خُطِبَ للمُسْتَنجِدِ باللهِ بولاية العهدِ من بعد أبيه المُقْتَفَى . وفيها وليَ عونُ الدين يَحْيَى بنُ هُبَيْرَةَ كتابةَ ديوانِ الزمامِ ، ووليَ زعيمُ الدين يَحْيَى بنُ جعفرٍ صَدْرِيَّةَ المخزنِ المعمورِ . وفيها اشتدَّ الغلاءُ بِإفريقيةَ ، فهلكَ بسببه أكثرُ الناسِ حتى خَلَّتِ المنازلُ ، وأقْفَرَتِ المعاقِلُ . وفيها تزوّجَ سيفُ الدين غازي بنتَ صاحبِ مازِدينَ حسامِ الدين تَمُزْشَاشَ بنِ أُرْتَقَ ، بعدَ أن حاصره فصالحه على ذلك ، فحُمِلَتْ إليه إلى المَوْصِلِ بعدَ سنتين ، وهو مريضٌ قد أشرفَ على الموتِ ، فلم يدخلُ بها حتى مات ، فولّى بعده أخوه قطبُ الدين مودودٌ فتزوّجها .

قال ابنُ الجوزي^(٢) : وفي صفَرٍ رأى رجلٌ في المنامِ قائلاً يقولُ : مَنْ زارَ قبرَ أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ غُفِرَ له . قال : فلم يَبْقَ خاصٌّ ولا عامٌّ إِلَّا زارَه . قال ابنُ الجوزي^(٣) : وعقدتُ يومئذٍ مجلسًا فاجتمع فيه أُلوفٌ من الناسِ .

ومَنْ تُوفِّي فيها من الأعيان :

أسعدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الصَّمَدِ بنِ

(١) الكامل ١١ / ١٢١ .

(٢) المنتظم ١٨ / ٥٥ .

المُهْتَدَى بِاللَّهِ، أَبُو مَنْصُور^(١)، سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ خَيْرًا دَيِّنًا صَالِحًا مُمْتَعًا بِحَوَاسِهِ وَقُوَاهُ إِلَى حِينِ الْوَفَاةِ. وَقَدْ جَاوَزَ الْمِائَةَ بَنَحْوِ مِنْ سِتِّعِ سِنِينَ.

أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ^(٢) بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) بْنِ خَلْفِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو اللَّحْمِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، الرُّشَاطِيُّ^(٤) الْحَافِظُ، مُصَنِّفُ كِتَابِ «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار»، فِي أَنْسَابِ الصَّحَابَةِ وَرِوَاةِ الْآثَارِ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْمُصَنِّفَاتِ الْكِبَارِ، قُتِلَ شَهِيدًا صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى بِالْمَرْيَةِ^(٥).

نَضْرُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ، أَبُو الْفَتْحِ اللَّادِقِيُّ الْمِصْبِيُّ الشَّافِعِيُّ^(٦)، تَفَقَّهَ بِالشَّيْخِ نَضْرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيِّ، بِضُورَ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْهُ وَمِنْ أَبِي بَكْرِ الْخَطِيبِ، وَسَمِعَ بِيَعْدَادَ وَالْأَنْبَارِ، وَكَانَ أَحَدَ مَشَايِخِ الشَّامِ، فَقِيهًا فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ جَاوَزَ التَّسْعِينَ بِأَرْبَعِ سِنِينَ.

هَبَةُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَمْزَةَ، أَبُو السَّعَادَاتِ، ابْنُ الشَّجَرِيِّ التَّخَوُّيِّ^(٧)، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ

(١) المنتظم ٥٨/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٠٥، وفيه: «أسعد ابن عبد الله بن حميد».

(٢ - ٣) سقط من: ص، وفي خ، م: «بن محمد» والمثبت من مصادر ترجمته وانظر الصلة ٢٩٧/١، وبغية الملتبس ص ٣٤٩، ووفيات الأعيان ١٠٦/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٥٨/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ١١٠.

(٣) في خ: «الرباطي»، وفي م: «الرباطي». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٤) في خ: «بالسرية»، وفي م: «بالبرية». وانظر مصادر ترجمته السابقة. والمرية: مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس. معجم البلدان ٥١٧/٤.

(٥) المنتظم ٦١/١٨، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٢٣/٢٦، وسير أعلام النبلاء ١١٨/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٢٠/٧.

(٦) المنتظم ٦١/١٨، إنباه الرواة ٣٥٦/٣، ووفيات الأعيان ٤٥/٦، وسير أعلام النبلاء ١٩٤/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٢٨.

النحاة. قال^(١): ما سمعتُ يَتَّأ في الذَّمِّ أبلغَ من قولِ مَسْكَوِيهِ :
وما أنا إِلَّا المِشْكُ قد ضَاعَ عِنْدَكُمْ يَضِيعُ وَعِنْدَ الْأَكْثَرِينَ يَضُوعُ

(١) المنتظم ٦٢/١٨.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

فيها^(١) استغاث مجير الدين بن أتابك دمشق بالملك نور الدين صاحب حلب على الفرنج، فركب سريعاً فالتقى معهم بأرض بصرى فهزمهم، ورجع فنزل على الكسوة، وخرج ملك دمشق مجير الدين أبى فخره واحترمه، وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين. وفيها ملك الفرنج المهديّة وهرب منها صاحبها الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بلكين بن زيرى بأهله وما خف من أمواله، فتمزق في البلاد، وأكلتهم الأقطار، وكان آخر ملوك بنى باديس، وقد كان ابتداء ملوكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، فدخل الفرنج إليها، وخزائنها مشحونة بالحواصل والأموال والعديد وغير ذلك، فإننا لله وإنا إليه راجعون. وفيها حاصرت الفرنج - وهم في سبعين ألف مقاتل، ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل - دمشق وعليها مجير الدين أبى أتابكه معين الدين، وهو مدبر المملكة، وذلك يوم السبت سادس ربيع الأول، فخرج إليهم أهلها في مائة وثلاثين ألفاً، فاقتتلوا معهم قتالاً عظيماً، وقُتل من المسلمين في أول يوم نحو من المائتين، ومن الفرنج خلق كثير لا يُحصون، واستمرت الحرب مدة، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع، واجتمع الناس حوله يدعون الله عز وجل، والنساء والأطفال مكشفي العروس يدعون ويتباكون، والرماد مفروش في البلد، فاستغاث أبى الملك نور

(١) الكامل ١١/١٢٩.

الدين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل،
فَقَصَدَاهُ سَرِيعًا فِي نَحْوِ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا بَيْنَ انْضَافِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ،
فَلَمَّا سَمِعَتِ الْفِرْنَجُ، قَبَحَهُمُ اللَّهُ، بِقُدُومِ الْجِيُوشِ نَحْوَهُمْ أَجْلَوْا عَنِ الْبَلَدِ،
فَلَحِقَهُمُ الْجَيْشُ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَجَمًّا غَفِيرًا، وَقَتَلُوا فِيمَنْ قَتَلُوا مَعَهُمْ
قِسْيَسًا اسْمُهُ إِيْنَاسُ، وَهُوَ الَّذِي أَعْرَاهُمْ بِدِمَشْقَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ افْتَرَى مَنَامًا عَنْ
الْمَسِيحِ أَنَّهُ وَعَدَهُ فَتَحَ دِمَشْقَ، فَقُتِلَ، لَعَنَهُ اللَّهُ، وَقَدْ كَادُوا يَأْخُذُونَ الْبَلَدَ، وَلَكِنَّ
اللَّهَ سَلَّمَ، وَحَمَاهَا بِحُزْلِهِ وَقُوَّتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
[البقرة: ٢٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
وَيَعِصُّ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿[الحج: ٤٠] وَمَدِينَةُ
دِمَشْقَ لَا سَبِيلَ لِلْأَعْدَاءِ مِنَ الْكُفْرَةِ عَلَيْهَا، لِأَنَّهَا الْحَلَّةُ الَّتِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
أَنَّهَا مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ عِنْدَ الْمَلَاحِمِ وَالْفِتَنِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ^(١). وَقَدْ كَانَ
الْفِرْنَجُ قَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ، وَمَنْ قَتَلُوا الْفَقِيهَ الْكَبِيرَ الْمُلَقَّبَ حُجَّةَ
الدين. شَيْخُ الْمَالِكِيَّةِ بِهَا، أَبُو الْحَجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ دُونَاسَ ^(٢) الْفَنْدَلَاوِيُّ، بِأَرْضِ
النَّبِيرِ ^(٣)، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ، وَقَدْ صَالَحَ مَعِيْنُ الدِّينِ الْفِرْنَجُ عَنْ دِمَشْقَ
بِيَانِيَّاسَ، فَرَحَلُوا عَنْهَا وَتَسَلَّمُوا بِأَنْيَاسَ.

وَفِيهَا وَقَعَ بَيْنَ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ وَأَمْرَائِهِ فَفَارَقُوهُ، وَقَصَدُوا بَغْدَادَ فَاقْتَتَلُوا مَعَ
الْعَامَّةِ، فَقَتَلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ، مِنَ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا قُبَالَةَ التَّاجِ

(١) إِلَى هُنَا انْتَهَى السَّقَطُ مِنَ الْمَخْطُوطَةِ الْأَصْلِ، وَانْظُرْ مَا تَقْدُمُ فِي ٥٢٦/٢.

(٢) فِي خ، م: «دُنَاس». وَانْظُرِ اللَّبَابَ ٢٢٤/٢، وَتَارِيخَ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٤١ - ٥٥٥ هـ) ص ١٧٠.

(٣) النَّبِيرُ: قَرْيَةٌ مَشْهُورَةٌ بِدِمَشْقَ عَلَى نِصْفِ فَرْسَخٍ فِي وَسْطِ الْبَسَاتِينِ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٨٥٥/٤.

فَقَبِلُوا الْأَرْضَ وَاعْتَدَرُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ مِمَّا وَقَعَ، وَسَارُوا نَحْوَ النَّهْرَوَانِ فَتَفَرَّقُوا فِي
الْبِلَادِ، وَنَهَبُوا أَهْلَهَا، فَعَلَّتِ الْأَسْعَارُ بِالْعِرَاقِ بِسَبَبِ ذَلِكَ. وَفِيهَا وَلِيَ قِضَاءَ
الْقِضَاةِ بَيْغَدَادَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الدَّامَغَانِيِّ، بَعْدَ وَفَاةِ الرَّيِّنِيِّ.
وَفِيهَا مَلَكَ سُورِيُّ^(١) بْنُ الْحُسَيْنِ - مَلِكُ الْغُورِ - مَدِينَةَ غَزَنَةَ، فَذَهَبَ صَاحِبُهَا
بَهْرَامُ شَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَوْلَادِ سُبُكْتِكِينَ إِلَى الْهِنْدِ فَاسْتَجَاشَ مَلِكَهَا،
فَجَاءَ بِجِيوشٍ عَظِيمَةٍ فَاقْتَلَعَ غَزَنَةَ مِنْ يَدِ سُورِيِّ^(٢)، وَأَخَذَهُ أَسِيرًا فَصَلَبَهُ، وَقَدْ
كَانَ كَرِيمًا جَوَادًا، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ.

وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَبْهَانَ^(٣) بْنِ مُعْخَرِزِ الْغَنَوِيِّ الرَّقِّيِّ، سَمِعَ الْحَدِيثَ
وَتَفَقَّهَ بِالشَّاشِيِّ وَالْعَزَالِيِّ، وَكَتَبَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ مَصْنُفَاتِهِ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، وَصَحِّبَهُ
كَثِيرًا، وَكَانَ حَسَنًا مَهِيْبًا كَثِيرَ الصَّمْتِ بِهِئِ السَّمْتِ، تَوَفَّى فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ
هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ.

شَاهِنْشَاهُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي^(٤)، اسْتُشْهِدَ مَعَ نُورِ الدِّينِ، وَهُوَ وَالِدُ السَّيِّدِ
عَذْرَاءَ، وَاقِفَةُ الْعَذْرَاوِيَّةِ، وَتَقِيُّ الدِّينِ عَمْرَ وَاقِفِ التَّقْوِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(١) فِي الْأَصْلِ، ص: «سُورِي»، فِي خ، م: «سُولِي». وَالمُتَّبِعُ مِنْ: الْكَامِلِ ١١/١٣٥.

(٢) فِي الْأَصْلِ، ص، خ: «سُورِي» وَفِي م: «سُولِي».

(٣) فِي خ، م: «نَهَار». وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: الْمُنْتَظَمِ ١٨/٦٦، وَسِيرِ أَعْلَامِ النِّبْلَاءِ ٢٠/١٧٥، وَتَارِيخِ
الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٤١ - ٥٥٥ هـ) ص ١٣٦، وَالْوَفَايَاتُ بِالْوَفَايَاتِ ٦/١١٨، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ
لِلسَّيِّدِي ٣٦/٧.

(٤) وَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ٢/٤٥٢، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٤١ - ٥٥٥ هـ) ص ١٤٥، وَرَمَاةُ
الْجَنَانِ ٣/٢٨٠، وَالدَّارِسُ فِي تَارِيخِ الْمَدَارِسِ ٢/٢٩٩.

علي بن الحسين^(١) بن محمد بن علي الزينبي، أبو القاسم، الأكمل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن نظام الحضرتين، ابن نقيب النقباء^(٢) أبي القاسم ابن القاضي^(٣) أبي تمام العباسي، قاضي القضاة ببغداد والعراق وغير ذلك، سميع الحديث، وكان فقيها رئيسا، وقورا حسن الهيئة والسمت، قليل الكلام، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل، وجرث له فصول، ثم عاد إلى بغداد، فمات بها في هذه السنة، وقد جاوز الستين، وكانت جنازته حافلة، رحمه الله رحمة واسعة.

أبو الحجاج يوسف بن دوناس^(٣) الفندلاوي^(٤)، شيخ المالكية بدمشق، قُتل يوم السبت سادس ربيع الأول - قريبا من الرنوة من أرض النيرب - هو والشيخ عبد الرحمن الحلجولي^(٥)، أحد الزهاد، قُتلا معا، رحمهما الله تعالى.

(١) في الأصل، ص: «الحسن». وانظر ترجمته في: المنتظم ٦٨/١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢٠٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٥٣، وتذكرة الحفاظ ٤/١٢٩٧، والوفاء بالوفيات ٢١/٥١، والجواهر المضية ٢/٥٦٨.

(٢ - ٢) في الأصل، ص: «ابن القاسم»، والمثبت كما في المنتظم.

(٣) في خ، م: «درباس»، وفي معجم البلدان ٣/٩١٩، والنجوم الزاهرة ٥/٢٨٢، «درباس»، وفي شذرات الذهب ٥/١٣٦: «دوباس». وانظر ترجمته في: «مرآة الزمان ٨/١/٢٠٠، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/٨٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٠، و«مرآة الجنان ٣/٢٨٠».

(٤) في الأصل: «العقد لاوي»، وفي ص: «العندلاني».

(٥) في الأصل: «الجلول»، وفي خ، م: «الجلجولي»، وفي ص: «الجلجول». وانظر معجم البلدان ٢/٣١٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/١٨٠، ٢١٠.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة^(١)

فيها كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض^(٢) اليخضبي السبتي، قاضيها، أحد مشايخ العلماء المالكية، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة، الشهيرة؛ منها «الشفا»، و«شرح مسلم»، و«مشارق الأنوار»، وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان إماماً في علوم كثيرة، كالفقه واللغة والحديث والأدب وأيام الناس، ولد سنة ست وسبعين^(٣) وأربعمائة، وتوفي يوم الجمعة في جمادى الآخرة، وقيل: في رمضان من هذه السنة، بمدينة [٢٤٤/٩] سبتة. رحمه الله تعالى.

وفيها غزا الملك نور الدين محمود بن زنكي - صاحب حلب - بلاد الفرنج، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وكان في جملة من قتل البرنس صاحب أنطاكية، وفتح شيئاً كثيراً من قلاعهم، ولله الحمد والمثنة. وكان قد استنجد بمعين الدين بن أتاك دمشق، فأرسل إليه بفريق من جيشه ضحبة الأمير مجاهد الدين بن^(٤) بُزَّان بن مامين^(٥)، نائب صرخد، فأبلوا بلاءً حسناً، وقد قال الشعراء في هذه الغزوة أشعاراً

(١) المنتظم ٧١/١٨، والكامل ١٣٨/١١.

(٢) الصلة لابن بشكوال ٤٥٣/٢، ووفيات الأعيان ٤٨٣/٣، والمعين في طبقات المحدثين ص ٢٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٩٨، الديباج المذهب ٤٦/٢.

(٣) في الأصل، ص: «ستين»، وفي خ، م: «أربعين». والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤ - ٤) في الأصل: «مزان بن ماس»، وفي خ: «مران بن ماس»، وفي م: «مروان بن ماس»، وفي ص: «يزاد بن ماهن». والمثبت من مرآة الزمان ٢٠١/١/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٢، والروضتين ١٥١/١.

كثيرة؛ منهم ابنُ القَيْسَرَانِيّ وغيره، وقد سرّدها أبو شامة في «الرّوَضَتَيْنِ»^(١).

وفي يومِ الأربعاءِ ثالثِ ربيعِ الآخرِ استُوزِرَ للخلافةِ أبو المظفّرِ يحيى بنُ محمدِ ابنِ هُبَيْرَةَ، ولُقّبَ عونَ الدين، وخُلِعَ عليه.

وفي رجبٍ قصّدَ ملكُشاه بنُ محمودٍ بغدادَ ومعه خلقٌ من الأمراءِ؛ منهم عليّ بنُ دُيَّسٍ وجماعةٌ من التُّركُمانيين وغيرهم، وطلبوا من الخليفة أن يُخطبَ له، فامتنع من ذلك، وتكرّرت المكاتباتُ، وأرسل الخليفةُ إلى السلطانِ مسعودٍ يستحثُّه في القدومِ، فتمادى عليه وضاق النّطاقُ، واتّسع الخرقُ على الرّاقعِ، وكتبَ الملكُ سنجَرُ إلى ابنِ أخيه مسعودٍ يستحثُّه إن لم يسرَّعْ المشى إلى الخليفة، فما جاء إلّا في أواخرِ السنة، فانقشعت تلك الشرورُ كلّها، وتبدّلتُ شرورًا أجمَعُها.

وفي هذه السنة زلزلت الأرضُ زلزالًا شديدًا، وتموّجت الأرضُ عشرَ مراتٍ، وتقطّعَ جبلٌ بخلوانَ، وانهدمَ الرّباطُ البهزوزيّ^(٢)، وهلك خلقٌ كثيرٌ بالبرسامِ، لا يتكلّمُ المرضى حتى يموتوا.

وفيها مات سيفُ الدين غازي بنُ زَنْكِي صاحبُ المؤصّلِ، وملك بعده أخوه قُطْبُ الدين مودودُ بنُ زَنْكِي، وتزوَّجَ بامرأةٍ أخيه التي لم يدخل بها الخاتونُ بنتُ تَمُوتاش بنِ إيلغازي بنِ أُرْتُقَ صاحبِ ماردينَ، فولدت له أولادًا، كلّهم ملوكوا المؤصّلِ، وكانت هذه الخاتونُ تَضَعُ خمارها بحضرةِ خمسةِ عشرَ ملكًا^(٣).

(١) الروضتين ١/١٥٢.

(٢) في م: «النهر جوري».

(٣) أى: من آبائها وأخواتها وأبنائها، والمقصود أنها سليلة ملوك وأم ملوك. وانظر عيون التواريخ ١٢/٤٣٦.

وفيه سار الملك نور الدين محمود إلى سنجار ففتحها ، فجَهَّزَ إليه أخوه قطب الدين مودود جيشًا ليرُدَّه عنها ، ثم اضطلحها ، فعَوَّضَه منها الرَّحْبَةَ وِحْمَصَ ، واستمرَّت سنجارُ لقطب الدين ، وعادَ نورُ الدين إلى بلده . وغزا في هذه السنة الفِرْنَجَ فقتل منهم خلقًا وأسرَ البرنسَ صاحبَ أنطاكية ، فمدَّحه الشعراءُ منهم الفتحُ القيسرانيُّ بقصيدة طَّائِنَةٍ يقولُ في أولها^(١) :

هَذِي الْعِزَائِمُ لَا مَا تَدْعَى^(٢) الْقُضْبُ وَذِي الْمَكَارِمُ لَا مَا قَالَتِ الْكُتُبُ
وَهَذِهِ الْهِمَمُ اللَّاتِي مَتَى خُطِبَتْ تَعَثَّرَتْ خَلْفَهَا الْأَشْعَارُ وَالْخُطْبُ
صَافَحَتْ يَا ابْنَ عِمَادِ الدِّينِ ذُرُوتَهَا بَرَاةً لِلْمَسَاعِي دُونَهَا^(٣) تَعَبُ
مَا زَالَ جَدُّكَ يَبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ حَتَّى بَنَى قُبَّةً أَوْتَاذَهَا الشُّهُبُ
وفيهما فَتَحَ نورُ الدين حِصْنَ أَقَامِيَّةَ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ حِمَاةَ .

وفيهما مَاتَ صَاحِبُ مَصْرَ الْحَافِظُ لِدِينِ اللَّهِ عَبْدُ الْمُجِيدِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْمُسْتَنْصِرِ^(٤) ، فقامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ الظَّافِرُ^(٥) إِسْمَاعِيلُ ، وَقَدْ كَانَ أَحْمَدُ ابْنُ الْأَفْضَلِ ابْنِ أَمِيرِ الْجِيوشِ قَدْ اسْتَحْوِذَ عَلَى الْحَافِظِ وَخَطَبَ بِمَصْرَ لِلْقَائِمِ آخِرِ الزَّمَانِ ، وَأَذَنَ بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ . وَلِلْحَافِظِ وَضِعَ طَبْلُ الْقَوْلُجِ الَّذِي^(٦) إِذَا ضَرَبَهُ مِنْ بِهِ الْقَوْلُجُ يَخْرُجُ مِنْهُ الْقَوْلُجُ وَالرِّيحُ الَّذِي بِهِ^(٦) .

(١) انظر الكامل ١١/١٤٥ . والروضتين ١/١٥٢ .

(٢) في خ ، م : « تنعق » .

(٣) في الأصل ، ص : « تعبها » .

(٤) الكامل ١١/١٤١ ، ووفيات الأعيان ١/٢٣٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ -

٥٥٥ هـ) ص ١٩٣ ، والوافي بالوفيات ٩/١٥١ ، والنجوم الزاهرة ٥/٢٣٧ .

(٥) في الأصل : « الظاهر » .

(٦ - ٦) في الأصل ، ص : « كان من جرحه يخرج الجروح » .

وخرج بالحجيج [٢٤٤/٩ظ] الأمير نظَرَ الخادِمَ فمرِضَ بالكوفة، فرجع واستخلف عليهم مؤلاه قائماز، وحينَ وصوله إلى بغدادَ تُوفِّي - رحمه الله - بعد أيام، وطمعت العربُ في الحجيج، فوقفوا لهم في الطريق وهم راجعون، فضعُفَ قائماز عن مقاومتهم، فأخذ لنفسه أماناً وهرب وأسلم إليهم الحجيج، فقتلوا أكثرهم وأخذوا أموال الناس، وقلَّ من سليم مَن نجا، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها مات مُعينُ الدين أنز^(١) أتاكُ العساكرِ بدمشق، وكان أحدَ ممالك طُغتكين، ثم كان بعد ذلك أتاكُ الملوك بدمشق، وهو والدُ الستِ عِصمةَ الدين خاتونَ زوجةَ الملك نور الدين، وهو واقفُ المدرسةِ المِيعينية، داخلَ بابِ الفرج، وقبره في قُبَّةِ قِبْلَى الشاميَّةِ البرانيَّةِ، بمحلةِ العوينة، عند دارِ البطح، رحمه الله.

ولما مات مُعينُ الدين قويتْ شوكةُ الوزير الرئيس^(٢) مؤيد الدولة علي بن الصوفي وأخيه زين الدولة حيدرَة، ووقعتَ بينهما وبين الملك مجير الدين أبق^(٣) وحشة، اقتضتْ أنهما حشدا من العامة والغوغاء ما يقاومه، فاقتتلوا وقُتل خلق من الفريقين، ثم وقع الصلح بعد ذلك، وامتدحه الشعراء.

ومَن تُوفِّي فيها من الأعيان :

أحمدُ بن نظام الملك الحسن بن علي، أبو نصر^(٤) الوزير للمسترشِد،

(١) في خ، م، ص: «ابن». وانظر ترجمته في: الكامل ١١/١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٨٥، وعيون التواريخ ١٢/٤٣٠، والوفاء بالوفيات ٩/٤١٠.

(٢) في الأصل: «الديس»، وفي ص: «الرسيدي».

(٣) في الأصل، خ، ص: «أتق»، وفي م: «أرتق». والمثبت من عيون التواريخ ١٢/٤٣٠.

(٤) المنتظم ١٨/٧٢، والكامل ١١/١٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢٣٦، والوفاء بالوفيات ٦/٣٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ١٧٣.

والسلطان محمود، وقد سَمِعَ الحديث، وكان من خيار الوزراء، رَجَمَهُ اللَّهُ.
أحمد بن محمد بن الحسين الأَرَجَانِيُّ^(١)، قاضى تُسْتَرَّ، روى الحديث،
وكان له شعرٌ حسنٌ يَتَكَبَّرُ معاني حسنة، فَمِنْ ذَلِكَ قولُه^(٢) :

ولمَّا بَلَوْتُ النَّاسَ أَطْلُبُ مِنْهُمْ أَمَّا ثِقَّةٌ عِنْدَ اغْتِرَاضِ الشَّدَائِدِ
تَطْمَعْتُ فِي حَالِي رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدِ
فَلَمْ أَرَ فِيمَا سَاءَنِي غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرَ فِيمَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدٍ^(٣)
تَمَتَّعْتُمَا يَا نَاطِرِي بِنَظَرَةٍ وَأُورِدْتُمَا قَلْبِي أَمْرَ الْمَوَارِدِ
أَعْيَنِي كُفًّا عَنْ فَوَادِي فَإِنَّهُ مِنَ الْبَغْيِ سَعْيُ اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ
عِيسَى بْنُ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ عِيسَى، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّقَّاشُ^(٤)، سَمِعَ الْحَدِيثَ،
ومولده سنة سبع وخمسين وأربع مائة.

قال ابنُ الجَوْزِيِّ : وكان ظريفاً خفيفَ الرُّوحِ، له نوادرٌ حسنةٌ، قد رأى
النَّاسَ، وعاشَرَ الْأَكْيَاسَ، وكان يحضُرُ مَجْلِسِي وَيَكَاتِبُنِي وَأَكَاتِيهِ، كَتَبْتُ إِلَيْهِ

(١) المنتظم ٧٢/١٨، وخريده القصر (قسم العراق) ١٤١/١، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠/٢، ووفيات
الأعيان ١٥١/١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٠، وطبقات الشافعية للسبكي ٤/٥١، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٧٦، والوفاء بالوفيات ٧/٣٧٣.

(٢) المنتظم ٧٣/١٨، والكامل ١١/١٤٧.

(٣) بعده في خ :

فطلقت ود العالمين جميعهم ورحت فلا أُلوى على غير واحد
وخلصت قلبي ثم أخلصت للذي له الملك في الدنيا وما بك في غد

وبعده في م :

فطلقت ود العالمين جميعهم ورحت فلا أُلوى على غير واحد

(٤) المنتظم ٧٥/١٨، ووفيات الأعيان ٣/٤٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٦، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٠١، والديباج المذهب ٢/٥٠، والنجوم الزاهرة ٥/٢٨٦.

مرة، فعظمته في الكتابة، فكتب إلى :

قد زدتنى فى الخطاب حتى خشيْتُ نقصاً من الزيادة
فاجعلْ خطابى خطابَ مثلى ولا تُغيِّرْ علىَّ عادة
وله^(١) :

إذا وجد الشيخ فى نفسه نشاطاً فذلك مؤثّ خفى
ألسنت ترى أنّ ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفئ
غازى بن آق سُنقر^(٢) الملك سيف الدين صاحب المؤصل، وهو أخو نور
الدين محمود صاحب حلب، ثم دمشق فيما بعد، وقد كان سيف الدين هذا
من خيار الملوك وأحسنهم سيرة، وأجودهم سريرة، وأصبحهم صورة، شجاعاً
كريماً، يذبّح كل يوم لجيشه مائة من الغنم، ولماليكه ثلاثين رأساً، وفى يوم
العيد ألف رأس سوى البقر والدجاج، وهو أول من حمل على رأسه سنجق^(٣) من
ملوك الأطراف، وأمر الجند أن لا يركبوا إلا بسيف ودبوس^(٤)، وبنى مدرسة
بالموصل، ورباطاً للصوفيّة، وامتنحه الحيص ييخص فأعطاه [٢٤٥/٩] ألف دينار
عشنا، وخلعة.

(١) المنتظم ٧٥/١٨.

(٢) الكامل ١٣٨/١١، ووفيات الأعيان ٣/٤، وسير أعلام النبلاء ١٩٢/٢٠، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠هـ) ص ٢٠٣، وشذرات الذهب ١٣٩/٤.

(٣) السنجق: هو الراية التى تحمل خلف السلطان عند ركوبه وهى من شعار الملك القديمة. والسنجق
بالفارسية: اللواء. والسنجق باللغة التركية معناه الطعن، سميت الراية بذلك لأنها تكون فى أعلى الرمح.

وحامله يسمى «سنجقدار». وانظر الوسيط (س ن ج ق).

(٤) الدبوس، ويسمى العامور: وهو آلة من حديد ذات أضلاع ينتفع بها فى قتال لابس البيضة ومن فى
معناه. ويقال إن خالد بن الوليد، رضى الله عنه، كان به يقاتل. انظر صبح الأعشى ١٣٥/٢.

ولما تُوفِّي بالحمَّى في جمادى الآخرة من هذه السنة دُفِنَ في مدرسته المذكورة، وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة مُلكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوماً، رحمه الله.

نَظَرَ^(١) الحادِم، أمير الحاج مدة عشرين^(٢) سنة وأكثر، وسمع الحديث وقرأ على ابن الزاغوني، وكان يحب العلم والصدقة والبر، وكان الحاج معه في غاية الدعة والأمن، وذلك لشجاعته ووجهته عند الخلفاء والملوك والأمراء. تُوفِّي ليلة الثلاثاء الحادى عشر من ذى القعدة، ودُفِن بالترصافة.

(١) فى خ، م: «قطر». وانظر ترجمته فى: المنتظم ٧٦/١٨، والكمال ١١/١٤٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢١٣، ومراة الزمان ١/٨/٢٠٥، وعيون التواريخ ١٢/٤٣٧.
(٢) فى الأصل، ص: «عشر».

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ خَمْسٌ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةً

فِيهَا ^(١) فَتَحَ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ حِصْنَ أَفَامِيَّةَ ، وَهُوَ مِنْ أَحْصَنِ الْقِلَاعِ وَأَوْسَعِ الْبِقَاعِ ، وَقِيلَ : فِي السَّنَةِ الَّتِي قَبْلَهَا .

وَفِيهَا قَصَدَ دِمَشْقَ فَلَمْ يَتَسَنَّ لَهُ أَخْذُهَا ، فَخَلَعَ عَلَى مَلِكِهَا مَجِيرِ الدِّينِ أَبَتَى ^(٢) ، وَعَلَى وَزِيرِهِ الرَّئِيسِ ابْنِ الصُّوفِيِّ ، وَتَقَرَّرَ الْحَالُ عَلَى الْخَطْبَةِ لَهُ بِهَا بَعْدَ الْخَلِيفَةِ وَالسُّلْطَانِ ، وَكَذَلِكَ السُّكَّةُ .

وَفِيهَا فَتَحَ نُورُ الدِّينِ حِصْنَ عَزَّازَ ، وَأَسَرَ مَلِكَهَا ابْنَ جُوسَلِينَ ، فَفَرَحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ كَافَّةً ، ثُمَّ أَسَرَ بَعْدَهُ وَالِدَهُ جُوسَلِينَ الْمَلِكَ الْإِفْرَنْجِيَّ ، ^(٣) فَكَانَتْ الْفَرَحَةُ أَعْظَمَ ، وَفَتَحَ بَعْدَ أُسْرِهِ مِنْ بِلَادِهِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْحَصُونِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ ^(٤) .

وَفِي الْمَحَرَّمِ حَضَرَ يَوْسُفُ الدَّمَشْقِيُّ تَدْرِيسَ النُّظَامِيَّةِ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَعْيَانُ ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِإِذْنِ الْخَلِيفَةِ ، بَلْ بِمُرْسُومِ السُّلْطَانِ ، وَابْنِ نِظَامِ الْمَلِكِ مُنِعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَزِمَ بَيْتَهُ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْمَدْرَسَةِ بِالْكُلَيْيَّةِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ الشَّيْخُ

(١) الْمُتَنَزَّم ٧٧/١٨ ، وَالْكَامِل ١٤٨/١١ .

(٢) فِي الْأَصْل ، ص : « ابْنِ أَبَتَى » ، وَفِي م : « أَرْتَقَى » . وَانْظُرْ مِرَاةَ الزَّمَانِ ٢٠٦/١/٨ ، وَالْعَبَر ١٢٣/٤ .

(٣ - ٣) فِي خ ، م : « فَتَزَايَدَتِ الْفَرَحَةُ بِذَلِكَ وَفَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِهِ » .

أبو النجيب بإذن الخليفة ومرسوم السلطان .

قال ابن الجوزي^(١) : وفي هذه السنة وقع باليمن مطرٌ كله دمٌ ، حتى صبغ ثياب الناس .

ومن تُوفّي فيها من الأغنياء :

الحسن بن ذى الثؤين بن أبي القاسم بن أبي الحسن^(٢) ، أبو المفاخر النيسابوري ، قديم بغداد فوعظ ، وجعل ينال من الأشعرية فأحبه الحنابلة ، ثم اختبروه ، فإذا هو مُعتزلي ، ففتر شوقه ، وجرت بسببه فتنة ببغداد ، وقد سَمِعَ منه ابن الجوزي شيئاً من شعره ، من ذلك^(٣) :

مات الكرام ومروا وانقضوا ومضوا ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي سفيه لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماثوا
عبد الملك بن عبد الوهاب الحنبلي^(٤) ، القاضي بهاء الدين ، كان يعرف مذهبي أبي حنيفة وأحمد ، ويُناظرُ عنهما ، ودُفِنَ مع أبيه وجدّه بقبور الشهداء .

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر ، أبو المعالي الجيلي^(٥) ، كان فقيهاً صالحاً

(١) المنتظم ٧٨/١٨ .

(٢) المنتظم ٧٨/١٨ ، والكامل ١٥٣/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢١٧ . وعيون التواريخ ٤٣٩/١٢ ، والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٥ .

(٣) المنتظم ٧٩/١٨ .

(٤) مرآة الزمان ٢٠٧/١/٨ وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٢٤ ، وعيون التواريخ ٤٣٩/١٢ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢١٩/١ ، وشذرات الذهب ١٤٣/٤ .

(٥) في الأصل ، ص : « الحنبلي » . وانظر ترجمته في : المنتظم ٨٠/١٨ ، وفيه (عبد الملك بن أبي نصر) ، ومرآة الزمان ٢٠٧/١/٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٢٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٨٩/٧ .

ديّنا متعبداً فقيراً، ليس له بيت يسكنه، وإنما يبيت بالمساجد المهجورة، وقد خرج مع الحجيج، فأقام بفَيْد^(١)، فكان أهلها يثنون عليه خيراً.

الفقيه أبو بكر بن العربي^(٢) المالكي، شارح «التزمذي»، كان فقيهاً عالماً، وزاهداً عابداً، وسمع الحديث بعد اشتغاله في الفقه، وصحب الغزالي، وأخذ عنه، وكان يتهمة برأي الفلاسفة، ويقول: دخل في أجوافهم فلم يخرج منها. والله سبحانه أعلم.

(١) في خ، م: «بمكة يعبد ربه ويفيد العلم». وفيد: منزل بطريق مكة. معجم البلدان ٩٢٧/٣.
(٢) بغية الملتبس ص ٩٢، ووفيات الأعيان ٢٩٦/٤، وسير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠، وتذكرة الحفاظ ١٢٩٤/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ١٥٩، والديباج المذهب ٢/٢٥٢، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ١٠٥.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

فِيهَا ^(١) أَغَارَ جَيْشُ السُّلْطَانِ عَلَى بِلَادِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ ، فَقَتَلُوا خَلْقًا وَرَجَعُوا سَالِمِينَ .

وَفِيهَا حَاصَرَ نَوْرُ الدِّينِ دِمَشْقَ شَهْرًا ، ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا إِلَى دَارِيَا ^(٢) ، وَكَانَ الصَّلْحُ عَلَى يَدَيِ الْبُزْهَانِ [٢٤٥/٩ ظ] الْبَلْخِي ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

وَفِيهَا اقْتَتَلَ الْفَرَنْجُ وَجَيْشُ نَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدَ فَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلَمَّا وَقَعَ هَذَا الْأَمْرُ شَقَّ عَلَى الْمَلِكِ نَوْرِ الدِّينِ وَهَجَرَ اللَّذَّةَ وَالتَّرَفَّهُ حَتَّى يَأْخُذَ بِالتَّأَرِّ ، وَأَغْرَى بِهِمْ جَمَاعَةً مِنَ التُّرْكَمَانِ ، فَرَضَدُوا لِمَلِكِهِمْ جُوسَلِينَ الْإِفْرَنْجِيَّ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَسْرَوْهُ فِي بَعْضِ مُتَصِيدَاتِهِ ، فَأَرْسَلَ نَوْرُ الدِّينِ ، فَكَبَسَ التُّرْكَمَانَ وَأَخَذَ مِنْهُمْ جُوسَلِينَ أَسِيرًا ، وَكَانَ مِنْ أَعْتَى الْكَفَرَةِ ، وَأَعْظَمِ الْفَجْرَةِ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، فَأَوْقَفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَدْلٍ حَالٍ ، ثُمَّ سَجَنَهُ ، وَسَارَ نَوْرُ الدِّينِ إِلَى بِلَادِهِ فَأَخَذَهَا كُلَّهَا بِمَا فِيهَا .

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ جَلَسَ ابْنُ الْعَبَّادِيِّ فِي جَامِعِ الْمَنْصُورِ وَتَكَلَّمَ ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، فَكَادَتْ الْحَنَابِلَةُ يُثِيرُونَ فِتْنَةً ذَلِكَ الْيَوْمَ ؛ ^(٣) لَكُونَهُ غَيْرَ حَنْبَلِيٍّ ^(٣) .

(١) المنتظم ٨١/١٨ ، والكامل ١٥٤/١١ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، ص : « مَدِينَةُ بَسْرَى » ، وَفِي خ ، م : « حَلَب » . وَالثَّبْتُ مِنْ مَرَّةِ الزَّمَانِ ٢٠٩/١/٨ ، وَانْظُرْ عَيُونَ التَّوَارِيخِ ٤٤٢/١٢ .

(٣ - ٣) فِي خ ، م : « وَلَكِنْ اللَّهُ لَطَفٌ وَسَلَمٌ » .

وحجَّ بالناس فيها قائماً الأُرجوانى .

ومَن توفى فيها من الأعيان :

الشيخ بُرهانُ الدين أبو الحسنِ عليّ البلُخى^(١) ، شيخُ الحنفية بِدِمَشقَ ،
درّس بالبلُخية ، ثم بالخاثونية البرانية ، وكان عالماً عاملاً ، ورعاً زاهداً ، ودُفِنَ
بمقابر باب الصغير .

(١) الروضتين ١/٢٢٧ ، سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٧٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ -
٣١٧ هـ) ص ٣١٧ .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

فيها^(١) توفى السلطان مسعود، وقام بالأمر من بعده^(٢) ابن أخيه^(٣) ملكشاه بن محمود، ثم جاء السلطان محمد فأخذ الملك، واستقر له، وقتل الأمير خاص بك، وأخذ أمواله، وألقاه للكلاب فاخبطت بغداد، واضطربت الأمور، وتغيرت القواعد، وبلغ الخليفة أن واسطاً قد تخبطت أيضاً، فركب إليها في الجيش في أبهة عظيمة، وأصلح شأنها، وكر على الكوفة والحلة، ثم عاد إلى بغداد مؤيداً منصوراً؛ فزُيّنت له البلد، ولله الحمد.

وفيها ملك عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب بجاية، وهى بلاد بنى حماد، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد، ثم بعث جيشاً إلى صنهاجة فحاصرها، وأخذ أموالها.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين نور الدين محمود وبين الفرنج، فكسروهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، ولله الحمد والمنة.

وفيها اقتتل سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسين^(٣) أول

(١) المنتظم ٨٣/١٨، والكامل ١٥٨/١١.

(٢-٢) فى النسخ: «أخوه». والمثبت من الكامل ١٦١/١١. وانظر مختصر تاريخ دولة سلجوق ص ٢٠٨، والمختصر فى أخبار البشر ٢٣/٣.

(٣) فى الأصل، خ، ص: «الحسن»، وانظر لكامل ١٦٤/١١، والمختصر فى أخبار البشر ٢٤/٣.

ملوكهم، فكسره سنجر وأسره، فلما أخضره بين يديه قال له ^(١) : ماذا كنت تصنع بي لو أسرته؟ فأخرج قيئاً من فضة وقال : كنت أقيئك بهذا. فعفا عنه وأطلقه إلى بلاده، فسار ^(٢) إلى غزنة فانتزعها من يد صاحبها بهرام شاه الشبكتيكي، واشتخلف عليها أخاه سيف الدين فغدر به أهل البلد، وسلموه إلى بهرام شاه فصلبه، ومات بهرام شاه قريباً، فسار إليها علاء الدين فهرب خسرته ابن بهرام شاه عنها، فدخلها علاء الدين فنهبها ثلاثة أيام، وقتل من أهلها بشراً كثيراً، وسخر أهلها، فحملوا ثراباً في مخال إلى محلة هناك بعيدة عن البلد، فعمر من ذلك التراب قلعة معروفة إلى الآن، وبذلك انقضت دولة بني شبكتيكي عن بلاد غزنة وغيرها. وقد كان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين وثلاثمائة ^(٣)، وكانوا من خيار الملوك، وأكثرهم جهاداً في الكفرة، وأكثرهم أموالاً ونساءً وعدداً وعدداً، قد كسروا الأصنام، وأبادوا الكفار، وجمعوا من الأموال ما لم يجمع غيرهم من الملوك، مع أن بلادهم من أطيب البلاد وأكثرها ريفاً ومياهها ففنى جميعه، وزال عنهم؛ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. ثم ملك الغور والهند وخراسان، واتسعت ممالكهم وعظم سلطانهم.

وحكى ابن الجوزي في «المنتظم» ^(٤) أن في هذه السنة باض ديك بيضة

(١) الكامل ١١/١٦٤.

(٢) المقصود علاء الدين الحسين بن الحسين. انظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٣٦، ٣٧.

(٣) بعده في م : «إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة».

(٤) المنتظم ١٨/٨٣.

واحدة، ثم باض [٢٤٦/٩] بازٍ يبيضتين، وباضت نعمة ليس لها ذكر، وهذا شيء عجيب.

ومَن توفى فيها من الأعيان :

المظفر بن أزدشير، أبو منصور العبادي^(١)، الواعظ، سمع الحديث، ودخل بغداد فأملئ بها ووعظ، وكان يكتب ما يعظ الناس به، فاجتمع له من ذلك مجلدات. قال ابن الجوزي^(٢) : لا تكاد تجد في المجلد خمس كلمات جيدة. وتكلم فيه، وأطال الخط^(٣) عليه، واستحسن من كلامه قوله^(٤) : وقد سقط مطر وهو يعظ الناس، ففر الناس إلى ما تحت الجدران، فقال، لا تفرؤا من رشاش ماء رحمة، قطر من سحب نعمة، ولكن فرؤا من شرار نار اقتدح من زناد الغضب. توفى وقد جاوز الخمسين بقليل.

مسعود السلطان^(٥) بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق التركي السلجوقي^(٦)، صاحب العراق وغيرها، حصل له من التمكن والسعادة شيء كثير لم يحصل لغيره، وجرث له خطوب كثيرة،

(١) في الأصل، ص : « بن العبادي »، وانظر ترجمته في : المنتظم ٨٧/١٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٥) ص ٢٨٨، وعيون التواريخ ١٢/٤٦٣، وطبقات الشافعية ٧/٢٩٩.

(٢) المنتظم ٨٨/١٨.

(٣) في الأصل : « فيه الحث ».

(٤) المنتظم ٨٧/١٨.

(٥ - ٥) سقط من خ، م، وانظر ترجمته في : المنتظم ٨٨/١٨، ووفيات الأعيان ٥/٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٣٨٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٥) ص ٢٨٦، وعيون التواريخ ١٢/٤٦٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٣٩.

(٦ - ٦) سقط من النسخ والمثبت من مصادر ترجمته السابقة.

وحروبٌ طويلةٌ^(١) ، وقد أسَرَ في بعضِ تلك الحروبِ الخليفةُ المُستَرسِدُ ، كما تقدَّم^(٢) ، تُوفِّي يومَ الأربعاءِ سلَخُ جُمادى الآخرةِ مِن هذه السنةِ .

يَعْقُوبُ الخَطَّاطُ الكاتبُ^(٣) ، تُوفِّي بالنَّظامِيَّةِ ، فجاءَ ديوانُ الحشْرِيةِ ؛ ليأخذوا ميراثه لبيتِ المالِ ، فمنعَهُمُ الفقهاءُ ، فجَرَتْ فتنةٌ عظيمةٌ ، آل الحالُ إلى عَزْلِ مدرِّسها الشيخِ أبي النَّجيبِ ، وضَرْبه بالديوانِ تَغْزِيرًا .

(١) بعده في خ ، م : « كما تقدم بعض ذلك » .

(٢) تقدم في ص ٣٠٣ .

(٣) المنتظم ٨٩/١٨ ، والكامل ١٧٥/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٩١ .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

فيها^(١) وقعت الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك ببلاد بلخ، فقتلوا من جيشه خلقاً كثيراً جداً بحيث بقيت القتلى مثل التلال العظيمة، وأسروا السلطان سنجر، وقتلوا من كان معه من الأمراء صبراً، ولما استحضروه قتلوا الأرض بين يديه، وقالوا: نحن عبيدك، وكانوا عدّة من الأمراء الكبار، فأقام عندهم شهرين ثم جاءوا معه، فدخلوا مروز، وهي كزسي مملكة خراسان، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعاً، فقال: هذا لا يمكن؛ هذه كزسي المملكة. فضحكوا منه وأضرط به بعضهم، فنزل عن سرير المملكة، ودخل خانقاه، وصار فقيراً من جملة أهلها، وتاب عن الملك، واشتحوذ أولئك الأتراك على البلاد فتهبوا، وتركوها قاعاً صفصفاً، وأقاموا سليمان شاه ملكاً، فلم تطل مدته حتى عزّله، وولّوا ابن أخت سنجر الخاقان محمود بن محمد بن كوخان^(٢)، وتفرقت الأمور واشتحوذ كل إنسان على ناحية من تلك الممالك، وصارت الدولة دُولاً.

وفيها كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن وبين العرب ببلاد المغرب. وفيها أخذت الفرنج مدينة عسقلان من السواحل. وفيها خرج الخليفة إلى واسط في جحفل فأصلح شأنها وعاد إلى بغداد. وحج بالناس فيها قايماز الأرجواني^(٣).

(١) المنتظم ٩٠/١٨، والكامل ١٧٦/١١.

(٢) في الكامل ١٨٣/١١: «بغراخان».

(٣) بعده في الأصل، ص: «ومن توفي فيها أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح، أبو الحسين الأترابلسي الشاعر الرفاء، قال الحافظ ابن عساكر: كان أبوه يُنشد بأسواق أطرابلس. أشعار ابن القوّني ويُعنى، ونشأ أبو الحسين هذا، فقرأ القرآن وتعلّم العربية والأدب، وصار إلى مذهب الإمامية؛ فكان رافضياً خبيثاً يكثر الهجو =

وفيهما كانت وفاة الشاعرَيْنِ القرينَيْنِ المُشَبَّهَيْنِ فى الزمانِ الأخيرِ بالفَرَزْدَقِ
وجَرِيرِ، وهما أبو الحسينِ أحمدُ بنُ مُنِيرِ الجُونِيِّ^(١) بِحَلَبَ، وأبو عبدِ اللَّهِ محمدُ
ابنُ نَصْرِ بنِ صَغِيرِ القَيْسَرَانِيِّ الحَلَبِيِّ^(٢) بدمشقَ، رَجِمَهما اللَّهُ .

وعلى بنُ السَّلَّارِ الملقَّبُ بالعادلِ، وزيرُ الظافرِ صاحبِ مِصْرَ^(٣)، وهو باني
المدرسةِ بالإسكندريَّةِ للشافعيَّةِ؛ للحافظِ أبي طاهرِ السَّلَفِيِّ، رَجِمَهُ اللَّهُ، وقد كان
العادلُ هذا ضِدًّا اسمِهِ؛ كان ظُلُومًا غَشُومًا حَطُومًا، وقد ترجمه ابنُ خُلِّكانَ^(٤).

= والفَحْشُ، وقد سجَّنه بورى بنُ [٢٤٦/٩ ظ] طُغْتِكِيْنَ بدمشقَ على سوءِ طريقتهِ وأراد قطعَ لسانِهِ،
فاستوهبتهِ منه الحاجبُ يوسفُ بنُ فَيْزُورَ فوهبهَ له ونفاه. وذكر ابنُ عساکرَ من أشعارِهِ طَرْفًا؛ فحين
ذلكَ قولُهُ:

وَإِذَا الْكَرِيمُ رَأَى الْخُمُولَ تَزِيلُهُ فِى مَنْزِلٍ فَالْخُرْمُ أَنْ يَتَرَحَّلَا
كَالْبَدْرِ لَمَّا أَنَّ تَضَاءَلَ نُورُهُ طَلَبَ الْكِمَالُ فَحَازَهُ مَتَقَلَّا
وَصَلَّى الْهَجِيرَ بِهَجْرِ قَوْمٍ كُلَّمَا أَمْطَرَتْهُمْ عَسَلًا جَنَوَالِكَ حَنْظَلَا
لِلَّهِ عِلْمِي بِالزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ ذَنْبُ الْفَضِيلَةِ عِنْدَهُمْ أَنْ تُكْمَلَا
طَبِعُوا عَلَى لَوْمِ الطَّبَاعِ فَخَيَّرَهُمْ إِنْ قُلْتَ قَالَ وَإِنْ سَكَتَ تَقُولَا

ثم روى ابنُ عساکرَ بسنِّدِهِ أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَاهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِى النَّامِ فِى شَرِّ خَيِّفَةٍ وَرَائِحَةٍ قَبِيحَةٍ فَقَالَ:
أَتَدْرِي مَا جَزَى عَلَيَّ مِنْ هَذِهِ الْقَصَائِدِ الَّتِي كُنْتُ أَقُولُهَا؟ إِنَّ لِسَانِي قَدْ طَالَ وَثُخُنَ وَصَارَ مَدًّا الْبَصَرِ،
كَلِمَا أُنْشِدْتُ قَصِيدَةً مِنْهَا صَارَتْ كَلَامًا يَتَعَلَّقُ فِى لِسَانِي. قَالَ الرَّائِي: وَسَمِعْتُ قَارِنًا يَقْرَأُ مِنْ فَوْقِ
رَأْسِهِ: ﴿هُم مِّن قَوِّهِمْ ظُلُلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ﴾ [الزمر: ١٦]. فَانْتَبَهَتْ مَوْعُوبًا.

(١) تاريخ دمشق ٣٢/٦، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٧٦/١، وبغية الطلب ١٤٤/٣
(مخطوط)، ووفيات الأعيان ١٥٦/١، وسير أعلام النبلاء ٢٢٣/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٢٩٦. وهو المذكور فى الحاشية السابقة.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٩٦/١، ومعجم الأدباء ٦٤/١٩، ووفيات الأعيان ٤٥٨/٤،
وسير أعلام النبلاء ٢٢٤/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٣٣٣.

(٣) الكامل ١٨٤/١١، ووفيات الأعيان ٤١٦/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٨١/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٣١٨، والوفاء بالوفيات ١٣٨/٢١، والنجوم الزاهرة ٢٩٩/٥.

(٤) وفيات الأعيان ٤١٦/٣.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

فيها^(١) ركب الخليفة المقتدى فى جيش كثيف إلى تكريت فحاصر قلعتها ،
والتقى جمعا هنالك من الأتراك والتتر كمان ، فأظفره الله بهم ، وهزمهم له ،
وأعلى كلمته عليهم ، ثم عاد إلى بغداد مؤيدا منصورا .

وجاءت الأخبار بأن مضر قد قتل خليفته الطاهر ، ولم يتق منهم إلا صبي
صغير ابن خمس سنين ، قد ولوه عليهم ولقبوه الفائز ، فكتب الخليفة عهدا
للملك نور الدين محمود بن زنكى على البلاد الشامية والديار المصرية ، وأرسله
إليها .

وفيها هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار ، فخاف الناس أن تكون
الساعة ، وزلزلت الأرض ، وتغير ماء دجلة إلى الحمرة . وظهر بأرض واسط من
الأرض دم لا يعرف سببه . وجاءت الأخبار بأن الملك سنجر فى أسر الترك ، فى
غاية الدل والإهانة ، وأنه يئس على نفسه فى كل وقت .

وفيها انتزع الملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق من يد ملكها مجير
الدين أبق بن محمد بن بورى بن طغتكين ، وذلك لسوء سيرته وضعف دولته ،
ومحاصرة العامة له فى القلعة غير مرة ، مع وزيره الرئيس مؤيد الدولة المستيب^(٢)

(١) المنتظم ٩٥٠/١٨ ، والكامل ١٩١/١١ .

(٢) هنا وفيما يأتى فى النسخ : « على » . والمثبت من تاريخ دمشق ٢٩٩/٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠) ص ٣٨٢ .

ابن الصوفي، وتغلب الخادم عطاء على المملكة مع ظلمه وعشمه، فكان الناس يدعون الله ليلاً ونهاراً أن يُبدلهم بالملك نور الدين، وأتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا عسقلان، فتحرق الملك نور الدين على ذلك، ولا يمكنه الوصول إليهم؛ لأن دمشق بينهم وبينه، ويخشى أن يحاصر دمشق بعسف؛ فينبعث ملكها إلى الفرنج فينجذونه كما جرى غير مرة؛ لأن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق؛ لأنه يقوى بها عليهم ولا يطبقونه، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه [٢٤٧/٩] في ألف فارس في صفة طلب الصلح، فلم يلتفت إليه مجير الدين، ولا خرج إليه أحد من أهل البلد، فكتب إلى نور الدين بذلك، فركب الملك نور الدين في جيشه، فنزل غيوان الفاسرياً من أرض دمشق، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقي، ففتحها قهراً ودخل البلد بعد حصار عشرة أيام، وكان دخوله يوم الأحد عاشر صفر من هذه السنة، وتحصن مجير الدين في القلعة فأنزله منها، وعوضه مدينة حمص، ودخل نور الدين القلعة، واستقرت يده على دمشق، ولله الحمد، فنادى في البلد بالأمان، وأنه يُشتر الناس بالخير، فرفع عنهم المكوس، وقرئت التواقيع بذلك على المنبر، ففرح المسلمون وأكثروا الدعاء له، وكتب ملوك الفرنج إليه يهنئونه ويتقربون إليه، ويخضعون له.

وممن توفى فيها من الأعيان:

الرئيس مؤيد الدولة المسيب بن الصوفي، وزير دمشق لمجير الدين^(١)، وقد ثار على الملك غير مرة، ويستفحل أمره، ثم يقع الصلح بينهما، كما تقدم.

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٣٨٢، و امرأة الجنان ٣/٢٩٦، وشذرات الذهب ٤/١٥٤.

عَطَاءُ الْخَادِمِ^(١) أَحَدُ أَمْرَاءِ دِمَشْقَ ، وَقَدْ تَغَلَّبَ عَلَى الْأُمُورِ أَيَّامَ مُجِيرِ الدِّينِ ،
وَكَانَ يَنْوُبُ بِيَعْلَبَكَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَكَانَ ظَالِمًا ، غَاشِمًا وَهُوَ الَّذِي يُنْسَبُ
إِلَيْهِ مَسْجِدُ عَطَاءٍ خَارِجَ بَابِ شَرْقِيِّ .

(١) الكامل ١١/١٩٧ ، والروضتين ١/٢٣٨ ، وعيون التواريخ ١٢/٤٧٨ .

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة

فيها^(١) خرج الخليفة المقتضى لأمر الله في تجمل عظيم إلى دقوقا^(٢) فحاصرها ، فخرج إليه أهلها فسألوه أن يرخل عنهم ؛ فإن أهلها قد هلكوا بين الجيشين ، فأجابهم ، ورخل عنهم ، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف ، ثم خرج نحو الحلة والكوفة ، والجيش بين يديه ، وقال له سليمان شاه : أنا ولي عهد سنجر ، فإن قررت لى ذلك وإلا فأنا كأحد الأمراء . فوعده خيرا ، وكان يحمل الغاشية بين يدي الخليفة على كاهله ، فمهد الأمور ووطدها ، وسلم على مشهد على إشارة بأصبعيه وكان قد عزم على دخول المشهد ، فنهاه الوزير ابن هبيرة عن ذلك كانه خاف عليه من غائلة الروافض ، والله أعلم .

وفيها افتتح نور الدين بعلبك عودا على بدء ؛ وذلك أن نجم الدين كان نائبا على البلد والقلعة ، فسلمه إلى رجل يقال له : الضحاك البقاعي . فكتب نجم الدين لنور الدين ، ولم يزل نور الدين يتلطف حتى أخذ القلعة أيضا ، واستدعى بنجم الدين إليه إلى دمشق فأقطعه إقطاعا ، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين ؛ فإنه كانت له اليد الطولى فى فتح دمشق للملك العادل نور الدين ، وجعل الأمير شمس الدولة ثورانشاه بن نجم الدين شحنة دمشق ثم من بعده جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة ، وجعله من خواصه لا يفارقه حضرا ولا سفرا ؛ لأنه

(١) المنتظم ١٠١/١٨ ، والكامل ٢٠١/١١ .

(٢) فى م : « دموقا » . ودقوقا بألف ممدودة ومقصورة : مدينة بين إربل وبغداد معروفة لها ذكر فى الأخبار والفتوح . معجم البلدان ٥٨١ / ٢ .

كان حسن الشكّل، حسن اللَّعبِ [٢٤٧/٩ ظ] بالكرة، وكان نور الدين يحبُّ لعب الكرة؛ لتمرين الخيل وتعليمها الكرّ والفرّ، وفي شُحْنَكِيَّة صلاح الدين يُوسُفَ يقولُ عَزَقْلَةُ الشاعر^(١):

رُوَيْدَكُم يَالْصَوْصَ الشَّامِ فَإِنِّي لَكُمْ ناصِحٌ في مقالٍ
فإيَّاكُمْ وَسِمِيَّ النَّبِيَّ يُوسُفَ رَبَّ الْحِجَا وَالْجَمَالِ
فذاك مُقَطَّعُ أَيْدِي النِّسَاءِ وهذا مُقَطَّعُ أَيْدِي الرِّجَالِ
وقد ملك أخوه تورانشاه هذا بلادَ اليمنِ فيما بعدَ ذلك، وكان يلقَّبُ شمسَ
الدولة.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

محمدُ بنُ ناصرِ بنِ محمدِ بنِ عليّ بنِ عمرِ الحافظِ، أبو الفضلِ
البغدادِي^(٢). وُلِدَ ليلةَ النصفِ من شعبانَ سنةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وسمِعَ
الكثيرَ، وتفردَ بمشايخَ، وكان حافظًا، ضابطًا، مُكثِّرًا، من أهلِ السُّنَّةِ، كثيرَ
الذِّكْرِ، سريعَ الدِّمَعَةِ. وقد تخرَّجَ به جماعةٌ؛ منهم الشيخُ أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ،
سمِعَ بقراءته «مُسْنَدَ الإمامِ أحمدَ»، وغيره من الكُتُبِ الكبارِ، وكان يُثْنِي عليه
كثيرًا، وقد رُدَّ على أبي سَعْدٍ السَّمْعَانِيّ في قوله في محمدِ بنِ ناصرٍ: يحبُّ أنْ
يَقَعَ في الناسِ. قال ابنُ الجوزيِّ^(٣): والكلامُ في الجرحِ والتَّعْدِيلِ ليسَ من هذا
القَبِيلِ، وإِنَّمَا ابنُ السَّمْعَانِيّ يحبُّ أنْ يَتَعَصَّبَ على أصحابِ الإمامِ أحمدَ، نعوذُ

(١) الأبيات في كتاب الروضتين ٢٥١/١.

(٢) المنتظم ١٠٣/١٨، ووفيات الأعيان ٢٩٣/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٦٥/٢٠، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥٤١ - ٥٥٠ هـ) ص ٤٠٤، وذيل طبقات الحنابلة ٢٢٥/١.

(٣) المنتظم ١٠٣/١٨.

بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْقَصْدِ وَالتَّعَصُّبِ . وَكَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ الثَّامِنِ
عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، عَنْ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مَرَّاتٍ ،
وُدْفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

مُجَلِّي بْنُ جَمِيعِ بْنِ نَجَا ، أَبُو الْمَعَالِي الْخَزْزُومِيُّ الْأَرْسُوفِيُّ ، ثُمَّ الْمِصْرِيُّ
قَاضِيهَا ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ^(١) ، مُصَنِّفُ « الذَّخَائِرِ » فِي الْمَذْهَبِ ، وَفِيهَا غَرَائِبُ
كَثِيرَةٌ ، وَهِيَ مِنَ الْكُتُبِ الْمَفِيدَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) وفیات الأعيان ٤/ ١٥٤ ، وسیر أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٥ ، وتاریخ الإسلام (حوادث ووفیات ٥٤١ - ٥٥٥ هـ) ص ٤١٣ ، ومراة الجنان ٣/ ٢٩٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٢٧٧ .

ثم دخلت سنة إحدَى وخَمْسِينَ وخَمْسِمِائَةٍ^(١)

فى المحَرَّم منها دخل السلطان سُلَيْمان شاه بن محمد بن مَلِكشاه بن ألب أرسلان السَلْجُوقِيّ إلى بَغْدَادَ وعلى رأسِهِ الشَّمْسِيَّةُ، فتلَقَّاه الوزير ابن هُبَيْرَةَ، وأدخله على الخليفة، فقبل الأرض وحلَّفه على الطاعةِ وصفاي النِّيَّةِ والمناصحةِ والمودَّةِ، وخلع عليه خلع الملوك، وتقرَّر أنَّ للخليفة العراقَ وسُلَيْمان شاه ما يفتحه من خُرَاسَانَ، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سَنَجَر، ثم خرج منها فى ربيع الأول فاقْتَلَ هو والسلطان محمد بن محمود بن مَلِكشاه، فهزَمه محمد وهزَم عسكره، فذهب هاربًا فتلَقَّاه نائب قُطْبِ الدين مودود بن زَنْكى، صاحب الموصِل، فأسره وحَبَسه بقلعة الموصِل، وأكرمه مدَّة حبسه وخدمه، وهذا من أغرب الاتِّفاقاتِ.

وفىها ملكَت الفرنجُ المَهْدِيَّة من بلادِ المَغْرِب بعدَ حصارٍ شديدٍ. وفىها فتح نور الدين محمود بن زَنْكى قلعة تلِّ حارِم^(٢) واقتلَعها من أيدي الفرنج، وكانت من أحصَن القلاعِ وأمنع البقاعِ، وذلك بعدَ قتالٍ عظيمٍ ووقعةٍ هائلةٍ كانت من أكبر الفتوحاتِ، وقد امتدَّحه الشعراءُ عند ذلك. وفىها هرب الملك سَنَجَر من الأشرِ وعادَ إلى مُلْكِهِ بِمَرْو، وكان له فى أيديهم نحو من خَمْسِ سِنِينَ. وفىها استعمل عبدُ المؤمنِ أولادَه على بلادِهِ [٢٤٨/٩]؛ استناب كلُّ واحدٍ فى بلدٍ كبيرٍ.

(١) المنتظم ١٠٦/١٨، والكمال ٢٠٣/١١.

(٢) حارم: حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهى الآن من أعمال حلب. معجم البلدان ١٨٤/٢.

ذِكْرُ حِصَارِ بَغْدَادَ

وسبب ذلك أَنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بنِ مَلِكْشَاه أَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَفَى يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُخَطِّبَ لَهُ بِبَغْدَادَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ ، فَسَارَ مِنْ هَمْدَانَ إِلَى بَغْدَادَ لِيُحَاصِرَهَا ، فَانْجَفَلَ النَّاسُ ، وَحَصَّنَ الْخَلِيفَةُ الْبَلَدَ ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ فَحَصَرَ بَغْدَادَ ، وَوَقَفَ نُجَاةُ النَّاسِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ فِي جَحْفَلٍ عَظِيمٍ ، وَرَمَوْا نَحْوَهُ بِالْثُّشَابِ ، وَقَاتَلَتِ الْعَامَّةُ قِتَالًا عَظِيمًا بِالنُّفُطِ وَغَيْرِهِ ، وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ إِلَى مَدَّةٍ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ أَخَاهُ قَدْ خَلَفَهُ فِي هَمْدَانَ ، فَانْشَمَرَ عَنْ بَغْدَادَ رَاحِلًا إِلَى هَمْدَانَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَتَفَرَّقَتِ الْعَسَاكِرُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي الْبَلَدِ ، وَأَصَابَ النَّاسَ بَعْدَ هَذَا الْقِتَالِ مَرَضٌ شَدِيدٌ ، وَمُوتَ ذَرِيعٌ ، وَاخْتَرَقَتْ مَحَالُّ كَثِيرَةٌ مِنْ بَغْدَادَ ، وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ فِيهَا مَدَّةَ شَهْرَيْنِ .

وَفِيهَا أُطْلِقَ أَبُو^(١) الْبَذَرِ ابْنُ الْوَزِيرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ مِنْ قَلْعَةٍ تَكْرِيتَ ، وَكَانَ لَهُ فِيهَا ، مُعْتَقَلًا ، ثَلَاثُ سِنِينَ ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ إِلَى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ ، وَامْتَدَّحَهُ الشُّعْرَاءُ ، فَكَانَ فِي جَمَلَتِهِمُ الْأَبْلَةُ الشَّاعِرُ^(٢) ، أَنْشَدَ الْوَزِيرُ قَصِيدَةً يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا :

بَأَيِّ لِسَانٍ لِلْوُشَاةِ أَلَامٌ وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي سِهْرْتُ وَنَامُوا

(١) بعده في م : « الوليد » . وانظر الكامل ٢١٦/١١ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولود . انظر وفيات الأعيان ٤٦٣/٤ .

إلى أن قال :

وَيَسْتَكْثِرُونَ الْوَصْلَ لِي مِنْكَ لَيْلَةً وَقَدْ مَرَّ عَامٌ بِالصُّدُودِ وَعَامٌ
فَطَرَبَ الْخَلِيفَةُ عِنْدَ ذَلِكَ . وَخَلَعَ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَأَطْلَقَ لَهُ خَمْسِينَ دِينَارًا ، وَحَجَّ
بِالنَّاسِ قَائِمًا زُ .

وَمَنْ تُوْفِّي فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، أَبُو الْحَسَنِ الْغَزْنَويُّ^(١) الْوَاعِظُ ، كَانَ لَهُ قَبُولٌ كَثِيرٌ مِنَ
الْعَامَّةِ ، وَبَنَتْ لَهُ الْخَاتُونُ زَوْجَةُ الْمُسْتَظْهِرِ رِبَاطًا بَيْنَ الْأَرْجِ ، وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ أَوْقَافًا
كَثِيرَةً ، فَحَصَلَ لَهُ جَاءٌ عَرِيضٌ وَزَارَهُ السُّلْطَانُ . وَكَانَ حَسَنَ الْإِيرَادِ مَلِيحَ
الْوَعْظِ ، يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ . وَقَدْ اسْتَمْلَحَ
ابْنُ الْجَوَزيُّ أَشْيَاءَ مِنْ وَعْظِهِ ، قَالَ^(٢) : وَسَمِعْتُهُ يَوْمًا يَقُولُ : حُزْمَةُ حُزْنٍ خَيْرٌ مِنْ
أَعْدَالِ أَعْمَالٍ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

كَمْ حَسْرَةٍ لِي فِي الْحَشَا مِنْ وَلَدٍ إِذَا نَشَا
أَمَلْتُ فِيهِ رُشْدَهُ ^(٣) فَمَا نَشَا كَمَا أَشَا

قال^(٣) : وَسَمِعْتُهُ يَوْمًا يَنْشُدُ :

يَحْسُدُنِي قَوْمِي عَلَى صَنْعَتِي لِأَنِّي فِي صَنْعَتِي فَارِسٌ
سَهَرْتُ فِي لَيْلِي وَاسْتَنْعَسُوا هَلْ يَسْتَوِي السَّاهِرُ وَالنَّاعِسُ ؟

(١) المنتظم ١٨/١٠٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٣٢٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ)
ص ٥٩ وفيه : «أبو الحسين الغزنوي» ، وعيون التواريخ ١٢/٤٩٣ ، والوفاء بالوفيات ٢١/٢٩ .

(٢) المنتظم ١٨/١٠٩ .

(٣ - ٣) في النسخ : «فما يشا كما نشا» . والمثبت من المنتظم . والبيتان ينسبان أيضا إلى أبي نصر
القشيري . انظر طبقات الشافعية للسبكي ٧/١٦٣ .

قال^(١) : وكان يقول : تَوَلَّوْنَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ فَيَسْتُبْنَونَ نَبِيَّكُمْ فِي يَوْمٍ عِيْدِهِمْ وَيَضْبِحُونَ يَجْلِسُونَ إِلَىٰ جَانِبِكُمْ !؟ ثُمَّ يَقُولُ : أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قال : وكان يَتَشَبَّعُ ، ثُمَّ سَعَىٰ فِي مَنَعِهِ مِنَ الْوَعِظِ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، وَلَكِنْ ظَهَرَ لِلنَّاسِ ابْنُ الْعَبَّادِيِّ ، فَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ يَعْظُمُهُ وَيَحْضُرُ مَجْلِسَهُ ، فَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ ذُلَّ الْعَزْزُ بَعْدَهُ ، وَأُهِنَ إِهَانَةً بِالْغَةِ ، فَمَرِضَ وَمَاتَ فِي الْحَرَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ . قال ابنُ الْجَوْزِيِّ^(٢) : وَبَلَّغْنِي أَنَّهُ كَانَ يَعْزُقُ فِي نَزْعِهِ ثُمَّ يَفِيْقُ وَهُوَ يَقُولُ : رَضِيَ وَتَسْلِيْمٌ . وَلَمَّا مَاتَ دُفِنَ فِي رِبَاطِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ .

محمودُ بنُ إِسْمَاعِيلَ بنِ قَادُوسَ ، أَبُو الْفَتْحِ الدَّمِيَاطِيُّ^(٣) ، [٢٤٨/٩ ط]
كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَهُوَ شَيْخُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ ، وَكَانَ يُسَمِّيهِ ذَا الْبَلَاغَتَيْنِ ، وَذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ فِي « الْخَرِيْدَةِ » وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، وَمِنْ شَعْرِهِ فِيمَنْ يَكْرُرُ التَّكْبِيْرَ فِي أَوَّلِ الصَّلَاةِ^(٤) :

وفا ترِ النَّيَّةِ عَنِّيْهَا مَعَ كَثْرَةِ الرَّغْدَةِ وَالْهَزَّةِ^(٥)
يُكَبِّرُ سَبْعِينَ فِي مَرَّةٍ كَأَنَّهُ صَلَّى عَلَى حَمْزَةٍ

(١) المنتظم ١٠٩/١٨ .

(٢) المنتظم ١١٠/١٨ .

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ٢٢٦/١ ، والروضتين ٢٥٩/١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٦٦ ، وبدائع الزهور ٣١/١/١ ، وفيه : أنه توفي سنة ست وخمسين وخمسمائة .

(٤) البيتان في : الروضتين ٢٥٩/١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٦٦ .

(٥) في النسخ : « الهمزة » . والمثبت من المصادر السابقة .

الشيخ أبو البيان ، نبا بن محمد المعروف بابن الحوزاني^(١) ، الفقيه الزاهد العابد الفاضل الخاشع ، قدس الله روحه ، قرأ القرآن وكتاب « التنبية » على مذهب الشافعي ، وكان حسن المعرفة باللغة ، كثير المطالعة ، وله كلام يؤثر عنه ، ورأيت له كتاباً بخطه فيه النظم التي له ، يقولها أصحابه وأتباعه بلهجة غريبة ، وقد كان من نشأته إلى أن توفي على طريقة صالحة ، وقد زاره الملك نور الدين في رباطه داخل درب الحجر^(٢) ، ووقف عليه شيئاً ، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الأول من هذه السنة ، ودُفن بمقابر باب الصغير ، وكان يوماً مشهوداً . وقد ذكرته في « طبقات الشافعية » رحمه الله .

عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر^(٣) بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد الفارسي الحافظ ، تفقه بإمام الحرمين وسمع الكثير على جده لأمه أبي القاسم القشيري ، ورحل إلى البلاد وأسمع الكثير ، وصنف « المفهم في غريب مسلم » وغيره ، وولى خطابة نيسابور ، وكان فاضلاً بارعاً دينا حافظاً .

(١) معجم الأدباء ٢١٣/١٩ ، سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٦٧ ، وعيون التواريخ ٤٩٣/١٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣١٨/٧ .
(٢) داخل باب شرقى بدمشق . الدارس في تاريخ المدارس ١٩٢/٢ .
(٣) في م : « القادر » . وانظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢٢٥/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٦/٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ١٢٧/٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٧١/٧ ، وشذرات الذهب ٩٣/٤ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ^(١)

اسْتَهَلَّتْ هذه السَنَةُ ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد ، والعامة والجنْدُ من جهة الخليفة المقتفى يقاتلون أشدَّ القتالِ ، والجُمُعة لا تقامُ لِعُذْرِ القتالِ ، والفتنةُ كبيرةٌ ، ثم يَسُرُّ اللهُ بذهابِ السلطانِ ، كما تقدَّم ذكرُ ذلك في السَنَةِ التي قبلَها ، وقد بسط ذلك ابنُ الجوزي في هذه السَنَةِ فطوَّل .

وفيها كانت زلزلةٌ عظيمةٌ بالشام ، هلك بسببها خلقٌ كثيرٌ لا يعلِّمهم إلا الله ، وتهدَّم أكثرُ حَلَبَ وحَمَّاهُ وشَيْزُرُ وحِمصُ وكَفَرِ طابَ وحِصْنُ الأكرادِ واللَّاذِقِيَّةُ والمعَرَّةُ وأفامِيَّةُ وأنطاكيَّةُ وطرابلسُ . قال ابنُ الجوزي^(٢) : وأما شَيْزُرُ فلم يسلَم منها إلا امرأةٌ وخادمٌ لها ، وهلك الباقيون ، وأما كَفَرِ طابَ فلم يسلَم منها أحدٌ ، وأما أفامِيَّةُ فساخَتْ قلعَتُها ، وتلَّ جِرَّانَ انقسم نصفَيْنِ ، فأبْدَى نواويسَ ويوتًا كثيرةً في وَسْطِها . قال^(٣) : وهلك من مدائن الإفرنجِ شيءٌ كثيرٌ ، وتهدَّم أسوارُ أكثرِ مُدُنِ الشامِ من ذلك ، حتى إنَّ مَكْتَبًا بحمَّاهُ انهدم على الصُّبيانِ فهلكوا عن آخرهم ، فلم يَجِئْ أحدٌ يسألُ عن أحدٍ منهم . وقد ذكرَ هذا الفصلَ الشيخُ أبو شامة في كتاب «الروضتين»^(٤) مُسْتَقْصًى ، وذكرَ ما قاله الشعراءُ في ذلك^(٥) .

(١) المنتظم ١١٨/١١١ ، والكامل ٢١٨/١١ .

(٢) المنتظم ١١٩/١٨ .

(٣) أَى : أبو شامة ، وهذا الكلام بنحوه في الروضتين ٢٦٤/١ .

(٤) الروضتين ٢٦١/١ - ٢٦٨ .

(٥) بعده في ص ، م : « وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده » .

وفيها ملك السلطان محمود بن زَنْكِي حِصْنَ شِيرَزَ بعدَ حصارٍ ، وأخذ مدينةَ بَغْلَبَكْ ، وكان بها الضُّحَاكُ البقاعيُّ ، وقد قيلَ^(١) : [٢٤٩/٩ و] إِنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ ، كما تقدَّم واللَّهُ أعلم . وفيها مَرَضَ نورُ الدينِ فمَرَضَ الشَّامَ بِمَرَضِهِ ثم عُوْفِي ففَرِحَ المسلمون بذلك فرحًا شديدًا ، واستَوَلَى أخوه قطبُ الدينِ مودودٌ على جزيرةِ ابنِ عمر .

وفيها عَمِلَ الخليفةُ بابَا للكعبةِ مُصَفِّحًا بالذهب ، وأخذ بابَهَا الأوَّلَ فجعلَه لِنَفْسِهِ تَابُوتًا . وفيها أَغَارَتِ الإِسْمَاعِيلِيَّةُ على حُجَّاجِ خُرَاسَانَ فلم يُبْقُوا مِنْهُمْ على أَحَدٍ ، لا زَاهِدٍ ولا عَالِمٍ . وفيها كَانَ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِخُرَاسَانَ حَتَّى أَكَلُوا الْحَشَرَاتِ ، وَذَبَحَ إِنْسَانٌ رَجُلًا عَلَوِيًّا فَطَبَخَهُ وَبَاعَهُ فِي السُّوقِ ، فَحِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِ قُتِلَ .

وذكر أبو شامةٌ أَنَّ فَتْحَ بَانِيَّاسَ كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ نورِ الدينِ بِنَفْسِهِ ، وقد كَانَ مُعِينُ الدِّينِ سَلَّمَهَا إِلَى الْفَرَنْجِ صَلَاحًا عَنْ دِمَشْقَ ، فَعَوَّضَهُمْ بِهَا ، وَقَتَلَ مَلِكَهَا وَغَنِمَ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . وفيها قَدِمَ الشَّيْخُ أَبُو الْوَقْتِ عَبْدُ الأوَّلِ بْنُ عِيسَى بْنِ شُعَيْبِ السَّجَزِيِّ ، فَسَمِعَ عَلَيْهِ « الْبُخَارِيُّ » فِي دَارِ الْوَزِيرِ بَيْغَدَادَ . وَحَجَّ بِالنَّاسِ قَائِمًا زُ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أحمدُ^(٢) بْنُ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، أَبُو اللَّيْثِ التَّسْفِيُّ ، مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ وَوَعَظَ ، وَكَانَ حَسَنَ السَّمْتِ ، قَدِمَ

(١) الروضتين ١/ ٢٥٠ .

(٢) بعده في خ ، م : « بن محمد » . وانظر ترجمته في : المنتظم ١٨/ ١٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٧٧ ، (وفيه : أحمد بن عمر بن محمد بن لقمان) ، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٩٩ ، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٢٦ .

بغدادَ فَوَعَّظَ ، ثم عادَ إلى بلده فقتله قُطَاعُ الطريقِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

أحمدُ بنُ بَخْتِيَارَ بنِ عليٍّ بنِ محمدٍ ، أبو العباسِ ، المَدَائِي (١) الواسِطِيُّ قاضِيها ، سَمِعَ الحديثَ وكانت له معرفةٌ تامَّةٌ بالأدبِ واللغةِ ، وصنَّفَ كُتُبًا في التاريخِ وغيرِ ذلك ، وكان ثقةً صدوقًا ، تُوفِّي ببغدادَ وصُلِّي عليه بالنُّظَامِيَّةِ .

السلطانُ سَنَجَرُ بنُ ملكشاهِ بنِ ألبِ أَرْسلانِ بنِ داودَ بنِ ميكائيلَ بنِ سَلْجُوقَ (٢) ، أبو (٣) الحارثِ ؛ واسمُه أحمدُ ، ولُقِّبَ بِسَنَجَرَ ، مولدُه في رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ (٤) وأربعمِائَةٍ ، وأقام في المُلْكِ نَيْفًا وستينَ سَنَةً ، من ذلك استقلالًا إحدى وأربعينَ سَنَةً ، وقد أسره الغُزُّ نحوًا من خمسِ سنينَ ، ثم هرب منهم فعاد إلى مُلكِه بَمَرَّو ، ثم كانت وفاته في ربيعِ الأولِ من هذه السَنَةِ ، ودُفِنَ في قُبَّةٍ بناها سَمَّاها : دارَ الآخِرَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

محمدُ بنُ عبدِ اللطيفِ بنِ محمدٍ بنِ ثابتٍ ، أبو بكرٍ الحُجَنْدِيُّ (٥) الفقيهُ الشافِعِيُّ ، وَلِيَ تدرِيسَ النُّظَامِيَّةِ ببغدادَ ، وكان يَناظِرُ حَسَنًا ويعِظُ الناسَ وحولَه السيفُ مُسَلَّلَةً . قال ابنُ الجوزي (٦) : ولم يَكُنْ ماهرًا في الوعظِ ، حالُه أَشْبَهُ

(١) في الأصل والكمال : « الماندائي » وفي ص : « المادناي » ، وفي خ ، م : « المارداني » ، والمثبت من مصادر ترجمته التالية المنتظم ١٨ / ١٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٧٥ ، والوافي بالوفيات ٦ / ٢٦١ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٦ / ١٤ ، وتبصير المنتبه ٤ / ١٣٩٩ .
(٢) المنتظم ١٨ / ١٢١ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٣٦٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٨٢ ، والوافي بالوفيات ١٥ / ٤٧١ .

(٣) في الأصل : « ابن » .

(٤) في الأصل ، ص : « أربعين » .

(٥) المنتظم ١٨ / ١٢٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٣٨٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٩٨ ، مرآة الجنان ٣ / ٣٠٠ .

(٦) المنتظم ١٨ / ١٢٢ .

بالوزراء من العلماء، وتقدم عند السلاطين حتى كانوا يصُدُّونَ عن رأيه، تُوفِّي بأصبهان فجأةً.

محمد بن المبارك بن محمد بن الحلّ، أبو الحسن بن أبي البقاء^(١)، سَمِعَ الحديثَ، وتفقه على الشَّاشِيِّ، ودرَّس وأفَتى، وتوفِّي في محرَّم هذه السنة، وتوفِّي أخوه الشيخ أبو الحسين بن الحلّ الشاعِرُ في ذى القعدة منها.

يحيى بن عيسى بن إدريس، أبو البركات الأنباري^(٢) الواعظ، قرأ القرآن وسمع الحديث، وتفقه ووعظ الناس على طريقة الصالحين، وكان ينيكى من أوّل صعوده إلى حين نزوله، وكان عابداً زاهداً ورعاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر [٢٤٩/٩]، ورزق أولاداً صالحين سَمَّاهم بأسماء الخلفاء الأربعة؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وحفظهم القرآن كلّهم، وختم خلقاً كثيراً، وكان هو وزوجته يَصُومان الدهر، ويقومان الليل، ولا يفطران إلا بعد العشاء، وكانت له كراماتٌ ومناماتٌ صالحةٌ. ولما مات قالت زوجته^(٣): اللهم لا تُخَيِّنِي بعده. فمات بعده بخمسة عشر يوماً، وكانت من الصالحات، رَحِمَهما اللهُ تعالى.

(١) وفیات الأعيان ٢٢٧/٤، وسیر أعلام النبلاء ٣٠٠/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفیات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٠١، وطبقات الشافعية للسبكي ١٧٦/٦، وطبقات الشافعية للإسنوي ٤٨٦/١.
(٢) المنتظم ١٢٣/١٨، ومرآة الزمان ٢٢٩/١/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفیات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٠٨، وعيون التواريخ ٥٠٢/١٢.
(٣) المنتظم ١٢٤/١٨.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

فيها^(١) كثر فسادُ التُّركمانِ مِنْ أصحابِ بُرْجُمِ^(٢) الإيوانِيّ، فُجِّهَزَ إليهم منكورسُ^(٣) المُشْتَرِشْدِيّ فِي جيشِ كَثِيفٍ، فَالْتَقَوْا معهم فَهَزَمَوْهم أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ، وَجاءوا بِالْأَسَارِي والرُّعُوسِ إِلَى بَغدَادَ.

وَفِيهَا كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْغُرِّ وَبَيْنَ الْمَلِكِ مُحَمَّدٍ، فَكَسَرُوهُ وَقَتَلُوا مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَنَهَبُوا الْبِلَادَ، وَأَقَامُوا بِمَزَوَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوهُ إِلَيْهِمْ فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَرْسَلَ وَلَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَكْرَمُوهُ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِمْ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَعَظَّمُوهُ.

وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ بِمَزَوَ بَيْنَ فَقِيهِ الشَّافِعِيَّةِ الْمُؤَيَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَبَيْنَ نَقِيبِ الْعُلُوِّيِّينَ بِهَا أَبِي الْقَاسِمِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَاحْتَرَقَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْمَدَارِسُ وَالْأَسْوَاقُ، وَانْهَزَمَ الْمُؤَيَّدُ الشَّافِعِيُّ إِلَى بَعْضِ الْقِلَاعِ.

وَفِيهَا وُلِدَ النَّاصِرُ لَدَيْنَ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُشْتَضِيِّ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَفِيهَا خَرَجَ الْمُقْتَفِي نَحْوَ الْأَنْبَارِ مُتَصَيِّدًا وَعَبَرَ الْفُرَاتَ وَزَارَ الْحُسَيْنَ، وَمَضَى إِلَى وَاسِطٍ وَعَادَ إِلَى بَغدَادَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ الْوَزِيرُ.

وَفِيهَا كَسَرَ جَيْشُ مِصْرَ الْفَرَنْجَ بِأَرْضِ عَشْقَلَانَ كَسْرَةً فَظِيْعَةً صُحْبَةَ الْمَلِكِ

(١) المنتظم ١٨/١٢٥، والكامل ١١/٢٢٩.

(٢) فِي النسخ: «ابن برجم». والمثبت من الكامل ١١/٢٣٩.

(٣) فِي الكامل: «منكبرس».

الصالح أبي الغارات ، فارس الدين طلائع بن رزّيك ، وامتدّحه الشعراء .

وفيها قديم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق ، وقد شفى من المرض ففرح به المسلمون ، وخرج إلى قتال الفرنج ، فانهزم جيشه ، فبقى هو وشُرْذمة من أصحابه في لجة العدو ، فرمّوهم بالسّهام الكثيرة ، ثم خافوا أن يكون وقوفه في هذه الشُرْذمة القليلة ؛ خديعةً لحجى كمين إليهم ، فقرّوا منهزمين ، ولله الحمد .

وحجّ بالنّاس فيها قائماز الأرجوانى .

ومن توفى فيها من الأعيان :

عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق ، أبو الوقت السّجزيّ الصّوفى الهروي^(١) ، راوى « البخارى » و « مُسنَد الدّاريمى » ، و « المُنتخب من مُسنَد عبد بن حمّيد » ، قديم بغداد فسمع عليه الناس هذه الكتب ، وكان من خيار المشايخ وأحسنهم سمّاً ، وأصبرهم على قراءة الحديث . قال ابن الجوزى^(٢) : أخبرنى أبو عبد الله محمد بن الحسين التّكريتىّ الصّوفى ، قال : أسنّدته إلى فمات ، فكان آخر ما تكلم به أن قال : ﴿ يَلَيْتَ قَوِّى يَعْلَمُونَ ﴾  يَمَا غَفَرَ لِي رَبِّى وَجَعَلَنى مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ [يس : ٢٦ - ٢٧] .

نصر بن منصور بن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطّار ، أبو القاسم الحرّانى^(٣) ، كان كثير المال ، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القُرْبَات

(١) المنتظم ١٢٧/١٨ ، ووفيات الأعيان ٣/٢٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ٣٠٣/٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣١٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١١٢ ، والوفات بالوفيات ١٨/١٠ .

(٢) المنتظم ١٢٧/١٨ .

(٣) المنتظم ١٢٧/١٨ ، ومرة الزمان ١/٨/٢٣٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٣٤ ، وعيون التواريخ ١٢/٥٠٩ ، وشذرات الذهب ٤/١٦٨ .

الحسنة، ويكثر تلاوة القرآن، ويحافظ على الصلوات في الجماعة، وزويت له منامات صالحة، وقارب [٢٥٠/٩] الثمانين.

يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد، أبو الفضل الشافعي، الحَصَكْفِي^(١)؛ نسبة إلى حصن كَيْفَا^(٢)، كان إمامًا في علوم كثيرة من الفقه والأدب، ناظرًا نائرا، غير أنه كان يُنسب إلى الغلو في التشيع، وقد أورد له ابن الجوزي قطعة من نظمه، فمن ذلك قوله في جملة قصيدة له^(٣):

تَقَاسَمُوا يَوْمَ الْوَدَاعِ كَبِدِي	فَلَيْسَ لِي مِنْذُ تَوَلَّوْا كَبِدُ
عَلَى الْجُفُونِ رَحَلُوا وَفِي الْحَشَا	تَقَيَّلُوا وَمَاءَ عَيْنِي وَرَدَا
فَأَذْمَعِي مَسْفُوحَةً وَكَبِدِي	مَقْرُوحَةً وَغُلَّتِي لَا تَبْرُدُ
وَصَبَّوْتِي دَائِمَةً وَمُقَلَّتِي	دَائِمَةً وَنَوْمُهَا مُشَرَّدُ
تَيَّمَنِي مِنْهُمْ غَزَالُ أَغْيَدُ	يَا حَبَّذَا ذَاكَ الْغَزَالُ الْأَغْيَدُ
حُسَامُهُ مَجْرَّدُ وَصَرْحُهُ	مُمرَّدُ وَخَلْدُهُ مُـوَرَّدُ
وَصُدْغُهُ فَوْقَ أَحْمَرَارِ خَدِّهِ	مُبْلَبْلُ مُعْقَرَبُ مُجَعَّدُ
كَأَنَّمَا نَكْهَتْهُ وَرِيقُهُ	مِسْكٌ وَخَمَرٌ وَالثَّنَايَا بَرْدُ
يُقْعِدُهُ عِنْدَ الْقِيَامِ رِدْفُهُ	وَفِي الْحَشَا مِنْهُ الْمُقِيمُ الْمُقْعِدُ
لَهُ قَوَائِمُ كَقَضِيبِ بَانَةٍ	يَهْتَزُّ قَصْدًا لَيْسَ فِيهِ أَوْدُ

وهي طويلة جدًا، ثم خرج من هذا التَّغَزُّلِ إلى مدح أهل البيت والأئمة

(١) المنتظم ١٢٨/١٨، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٤٣١/٢، ومعجم الأدباء ١٨/٢٠، ووفيات الأعيان ٢٠٥/٦، وسير أعلام النبلاء ٣٢٠/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٧٠، ضمن وفيات سنة ٥٥١ هـ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣٠/٧.

(٢) حصن كيفا، ويقال: كَيْفَا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. معجم البلدان ٢٧٧/٢.

(٣) المنتظم ١٢٩/١٨، ١٣٠. وانظر الأبيات في خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٤٩٣/٢.

الاثنى عشر، رضى الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم، حيث يقول^(١) :

وسائلى عن حُبِّ أهل البيت هل	أقرُّ إعلاتاً به أم أجدُّ
هيهات تمزُّج بلحى ودمى	حبُّهم وهو الهدى والرشدُ
حيدرَةُ والحسنان بعده	ثم على وابنه محمدُ
وجعفرُ الصادق وابن جعفر	موسى ويثْلوه على السيدُ
أغنى الرضا ثم ابنه محمدُ	ثم على وابنه المسدُّ
والحسن التالى ويثْلوه	محمد بن الحسن المفتقدُ
فإنهم أئمتى وسادتى	وإن لحانى معشر وفندوا
أئمة أكرم بهم أئمة	أسماءهم مشرودة تطردُ
هم حُجج الله على عباده	وهم إليه منهج ومقصدُ
قوم لهم فضل ومجدٌ باذخ	يعرفه المشرِك والموحدُ
قوم لهم فى كل أرض مشهدُ	لا بل لهم فى كل قلب مشهدُ
قوم منى والمشعران لهم	والمزوتان لهم والمسجدُ
قوم لهم مكة والأبطح والـ	خيف وجمع والبقيع الغرقدُ

ثم ذكر مقتل الحسين بالطِّف^(٢) إلى أن قال :

يا أهل بيت المصطفى يا عُدتى	ومن على حبِّهم أعتمدُ
أنتم إلى الله غداً وسيلتى	وكيف أخشى وبكم أعتضدُ
وليكنكم فى الخلدِ حتى خالداً	والضدُّ فى نارٍ لظى مخلدُ

(١) المنتظم ١٨/١٣٠، ١٣١.

(٢) بعده فى م، خ : « عبارة ». وهو تصحيف وزيادة . والطِّف : بفتح الطاء والفاء مشددة : أرض من ضاحية الكوفة، كان فيها مقتل الحسين رضى الله عنه . معجم البلدان ٣/٥٣٩.

ولستُ أهواؤكم ببغضِ غيركم
فلا يظنُّ رافِضِيَّ أننى
محمدٌ والخلفاءُ بعده
هم أسسوا قواعدَ الدينِ لنا
ومن يَخُنْ أحمدَ فى أصحابِه
هذا اعتِقادي فالزُموهُ تفلحوا
والشافعيُّ مذهبي مذهبُه
أتبعُه فى الأصلِ والفرعِ معاً
إننى بإذنِ اللّهِ ناجٍ سابقٌ
وله أيضاً^(٢) :

إننى إذا أشقى بكم لا أسعدُ
وافقتهُ أو خارجيُّ مفسدُ
أفضلُ خلقِ اللّهِ فيما أجِدُ
وهم بنوا أركانهُ وشيّدوا
فخصّمه يومَ المعادِ أحمدُ
هذا طريقي فاسلُكوه تهتّدوا
لأنّهُ فى قولِه مؤيّدُ
فليتبّعنى [٢٥٠/٩ ط] الطالبُ المسترشِدُ
إذا ونى الظالمُ^(١) والمقتصدُ^(١)

إذا قلّ مالى لم تجدنى ضارعاً
ولا بطّراً إن جدّدَ اللّهُ نعمةً
كثيرَ الأسى مُغرَى بعضُ الأناملِ
ولو أنّ ما أُوتى جميعُ الأنامِ لى
توفّى ، رَحِمه اللّهُ ، فى ربيعِ الأوّلِ من هذه السّنة بمَيّافَريقين .

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « والمفسد » ، وفى خ ، م : « ثم المفسد » . والمثبت من المنتظم .

(٢) البيتان فى المنتظم ١٨/١٣٣ .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

فيها^(١) مرض الخليفة المقتفى مرضاً شديداً ، ثم غوفى منه فزُيّنت له بغداد أياماً ، وتصدق بصدقات عظيمة كثيرة . وفيها استعاد عبد المؤمن مدينة المهدية من أيدي الفرنج ، وقد كانوا أخذوها من المسلمين في سنة ثلاث وأربعين ، وقاتل خلقاً كثيراً^(٢) ببلاد المغرب^(٣) حتى صارت عظام القتلى هنالك كالتل العظيم ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

وفي صفر سقط برد بالعراق كبار ، زنة البردة قريب من خمسة أرتال ، ومنها ما هو تسعة أرتال بالبغدادى ، فهلك بذلك شئ كثير من الغلات ، وخرج الخليفة إلى واسط فاجتاز بشوقها ورأى جامعها ، وسقط عن فرسه فشج جبينه ، ثم غوفى .

وفي ربيع الآخر زادت دجلة زيادة عظيمة ، فغرقت بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد ، حتى صار أكثر الدور بها ثلولاً ، وغرقت تربة الإمام أحمد ، وتخشفت هنالك القبور ، وطفئت الموتى على وجه الماء ، قاله ابن الجوزى^(٣) .

وفي هذه السنة كثر المرض والموت ، وفيها أقبل ملك الروم فى جحافل قاصداً بلاد الشام ، فردّه الله خائباً خاسراً ؛ وذلك لضيق حالهم من الميرة ، وأسر

(١) المنتظم ١٨/١٣٤ ، والكامل ١١/٢٤١ .

(٢ - ٢) فى م : « من الغرب » ، وفى ص : « بلاد الفرنجة » .

(٣) المنتظم ١٨/١٣٥ .

المسلمون ابنَ أختِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ قَائِمًا
الْأَرْجَوَانِيَّ.

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَحْمَدُ بْنُ مُعَالِي بْنِ بَرَكَةِ الْحَرَبِيِّ^(١)، تَفَقَّهَ بِأَبِي الْخَطَّابِ الْكَلَوْذَانِيِّ، وَبَرَعَ
فِي النَّظَرِ، وَدَرَّسَ وَأَفْتَى، ثُمَّ صَارَ شَافِعِيًّا، ثُمَّ عَادَ حَنْبَلِيًّا، وَوَعَّظَ بَغْدَادَ، وَتُوفِّيَ فِي
هَذِهِ السَّنَةِ؛ دَخَلَتْ بِهِ دَابَّتُهُ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ، فَدَخَلَ قَرْبُوسُ^(٢) سَرَّجَهُ فِي صَدْرِهِ.

السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَلِكُشَاه، بْنِ أَلْب
أَرْسَلَانِ^(٣) لَمَّا رَجَعَ مِنْ مُحَاصَرَةِ بَغْدَادَ إِلَى هَمْدَانَ، أَصَابَهُ مَرَضُ الشَّلِّ، فَلَمْ
يَنْجَعْ مِنْهُ، بَلْ تُوفِّيَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ أَمَرَ أَنْ يُعْرَضَ
عَلَيْهِ جَمِيعُ مَا يَمْلِكُهُ وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمُنْظَرَةِ، فَرَكِبَ الْجَيْشُ بِكَمَالِهِ
وَأُخْضِرَتْ أَمْوَالُهُ كُلُّهَا، وَمِمَّا يَكُنِيهِ حَتَّى جَوَارِيهِ وَحِطَّايَاهُ، فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ^(٤) :
هَذِهِ الْعَسَاكِرُ لَا يَذْفُقُونَ عَنِّي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَا يَزِيدُونَ فِي عُمرِي لَحْظَةً، ثُمَّ
تَأَسَّفَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَنِي، وَأَهْلٍ بَغْدَادَ وَحِصَارِهِمْ وَأَذْيَتِهِمْ^(٥)،

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْحَرِير». وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: الْمُنْتَظَم ١٨/١٣٦، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٠/٣١٥،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٣٩، وَالْوَفَايَاتُ بِالْوَفَايَاتِ ٧/١١٢، وَالذَّيْلُ
عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ١/٢٣٢.

(٢) الْقَرْبُوسُ: جِنُّ السَّرَجِ، وَهُمَا قَرْبُوسَان. تَاجُ الْعُرُوسِ (قَرْبَس).
(٣) سَقَطَ مِنْ: م، وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: الْكَامِلُ ١١/٢٥٠، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ٤/٢٧٠، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ
(حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٥٣، وَعَيُونُ التَّوَارِيخِ ١٢/٥١٨، وَرَمَّةُ الْجَنَانِ ٣/٣٠٨،
وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٤/١٧٢.

(٤) الْكَامِلُ ١١/٢٥١.
(٥) بَعْدَهُ فِي خ، م: «ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ الْخَزَائِنُ وَالْأَمْوَالُ وَالْجَوَاهِرُ لَوْ قَبْلَهُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ مَنَى فِدَاءَ لَحْدَتِ
بِذَلِكَ جَمِيعِهِ لَه، وَهَذِهِ الْحِطَّايَا وَالْجَوَارَى الْحَسَانَ وَالْمَمَالِيكَ لَوْ قَبْلَهُمْ فِدَاءَ مَنَى لَكُنْتُ بِذَلِكَ سَمَحًا لَهُ ثُمَّ
قَالَ: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ [الْحَاقَّةُ: ٢٨، ٢٩].

ثم فرّق شيئًا كثيرًا من تلك الحواصل والأموال، وتوفّي عن وليّ صغير،
 واجتمعت العساكر والأمراء على عمّه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان
 مسجونًا بالموصل فأفرج عنه، وانهقدت السلطنة [٢٥١/٩] له، وخُطب له على
 تلك البلاد، سوى بغداد والعراق.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

فيها^(١) كانت وفاة الخليفة المقتدى لأمر الله، أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله^(٢)، وأمه نسيم، المدعوة: ست السادة، سمراء من خيار الجوارى، مرض بالترقي، وقيل: بدمل خرج فى حلقه. فمات ليلة الأحد ثانى ربيع الأول من هذه السنة عن ست وستين سنة، إلا ثمانية وعشرين يوماً، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً، ودُفن بدار الخلافة، ثم نُقل إلى الثرب، وقد كان شهماً شجاعاً مقداماً، يباشر الأمور بنفسه، ويشاهد الحروب ويبدل الأموال الكثيرة لأصحابه الأخيار، وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن السلاطين، من أول أيام الديلم إلى أيامه، وتمكن فى الخلافة وحكم على العسكر والأمراء، وقد وافق أباه فى أشياء؛ من ذلك مرضه بالترقي، وموته فى ربيع الأول، وتقدم موث السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر، وكذلك المستظهر مات قبله محمد^(٣) بثلاثة، وبعد غرق بغداد بسنة^(٤) مات القائم، وكذلك هذا^(٥). قال عفيف الناسخ^(٥): رأيت فى المنام قائلاً

(١) المنتظم ١٨/١٣٨، والكامل ١١/٢٥٤.

(٢) الإنباء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٢٥، والمنتظم ١٨/١٤٤، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/٣٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٣٩٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٧١، والوفاء بالوفيات ٢/٩٤.

(٣) فى النسخ: «محمود». والمثبت من المنتظم.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: «وكذا الآخر»، وفى خ، م: «مات أبوه، وكذلك هذا». والمثبت من المنتظم.

(٥) المنتظم ١٨/١٤٤.

يقول: إذا اجتمعت ثلاث خاءات مات المقتفى . يعنى : خمسًا وخمسين وخمسمائة .

خِلاَفَةُ الْمُسْتَنْجِدِ بِاللَّهِ ، أَبِي الْمُظَفَّرِ يُوسُفَ بْنِ الْمُقْتَفَى

لَمَّا تُوُفِّىَ أَبُوهُ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، بُويعَ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ ثَانِي ربيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، بِإِيْعَةِ أَشْرَافِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ الْوَزِيرُ وَالْقَضَاةُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْأُمَرَاءُ وَعُغْمُرُهُ يَوْمَئِذٍ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَكَانَ وَلِيُّ عَهْدِ أَبِيهِ مِنْ مَدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ ، ثُمَّ عَمِلَ عَزَاءً أَبِيهِ ، وَلَمَّا خُطِبَ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ نُثِرَتْ الدَّرَاهِمُ وَالْدَنَانِيرُ عَلَى النَّاسِ ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَأَقَرَّ الْوَزِيرُ ابْنَ هُبَيْرَةَ عَلَى مَنْصِبِهِ وَوَعَدَهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَمَاتِ ، وَعَزَلَ قَاضِيَ الْقَضَاةِ ابْنَ الدَّمَاعَانِيِّ ، وَوَلَّى مَكَانَهُ أَبَا جَعْفَرٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ الثَّقَفِيِّ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، لَهُ سَمَاعٌ بِالْحَدِيثِ ، وَبَاشَرَ الْحُكْمَ بِالْكُوفَةِ مُدَّةً ، فَتَوُفِّىَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَوَلَّى مَكَانَهُ ابْنُهُ جَعْفَرٌ .

وَفِي سَوَالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ اتَّفَقَ الْأَتْرَاكُ بِبَابِ هَمْدَانَ عَلَى خُلْعِ سُلَيْمَانَ شَاهٍ ، وَخَطْبِهِمَا لِأَرْسَلَانَ بْنِ طُغْرُلَ .

وَفِيهَا تُوُفِّىَ الْفَائِزُ بِنَصْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِيُّ^(١) صَاحِبُ مِصْرَ ، وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عِيسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ الظَّافِرِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي صَفَرٍ وَعُغْمُرُهُ يَوْمَئِذٍ إِحْدَى عَشْرَةَ

(١) المنتظم ١٨/١٤٣ ، والكامل ١١/٢٥٥ ، ووفيات الأعيان ٣/٤٩١ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٢٠٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٦٥ ، والنجوم الزاهرة ٥/٣٠٦ .

سنة ، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران ، وكان مُدبّر دولته أبو الغارات ، ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم ، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ، ولم يكن أبوه خليفة ، وكان يومئذ قد ناهز الاحتلام ، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزّيك الوزير ، أخذ له البيعة وزوّجه بابنته ، وجهرها بأمر عظيم ، وقد عمّرت بعد زوجها العاضد ، ورأت زوال دولة الفاطميين على يد الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ، في سنة أربع وستين ، كما سيأتي مفصلاً إن شاء [٢٥١/٩] الله تعالى .

وفيها كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين^(١) ، من بيت مُلك ورياسة باذخية ، يرثونها كابراً عن كابر ، وكان من سادات الملوك وأحسنهم سيرة ، يحب العلم وأهله . وكانت وفاته في رجب من هذه السنة ، وقام من بعده ولده ملكشاه ، فسار إليه علاء الدين الحسين ملك الغور ، فحاصر غزنة مدة فلم يقدر عليها ، فرجع خائباً .

وفيها مات ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي^(٢) ، بأصْبَهان مسموماً ، يُقال^(٣) : إنَّ الوزير عون الدين بن هُبَيْرَة دس إليه من سقاه إياه . والله أعلم .

(١) الكامل ٢٦٢/١١ ، وسير أعلام النبلاء ٣٨٩/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٦١ ، والوافي بالوفيات ٣١٦/١٣ ، والنجوم الزاهرة ٣٣٣/٥ .
(٢) المنتظم ١٤٥/١٨ ، وتاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٧٠ ، والكامل ٢٦٣/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٨٦ ، ومآثر الإنافة ٤٨/٢ .
(٣) الكامل ٢٦٣/١١ .

وفيهما مات أمير الحاج قائمazar بن عبد الله الأرجواني^(١) سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفة، فسأل دماغه من أذنه، فمات من ساعته، رحمه الله، وقد كان من خيار الأمراء، فتأسف الناس عليه، وحضر جنازته خلق كثير. مات في شعبان من هذه السنة، فحج بالناس فيها الأمير أرغش^(٢) مقطع الكوفة. وحج في هذه السنة الأمير الكبير شيركوه بن شاذي، مقدم عساكر الملك نور الدين محمود بن زنكي، وتصدق بأموال كثيرة.

وفيهما^(٣) استعفى القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى القرشي من القضاء بدمشق، فأغفاه الملك نور الدين، وولى مكانه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري، وكان من خيار القضاة وأكثرهم صدقة، وله صدقات جارية بعده، وكان عالماً، بارعاً، وإليه ينسب الشباك الكمالي الذي يجلس فيه الحكام في الجامع بعد صلاة الجمعة.

ومن توفي فيها من الأعيان:

الأمير مجاهد الدين بزان^(٤) بن مامين الكردي، أحد مقدمي جيش الشام، قبل الملك نور الدين وبعدة، وقد ناب في مدينة صرخند^(٥) مدة، وكان شهماً، شجاعاً، كثير البر والصدقات والصلات، وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من الثورية، وله المدرسة المجاهدية التي داخل باب الفراديس البزاني، وبها

(١) المنتظم ١٤٣/١٨، والكمال ٢٦٤/١١، والنجوم الزاهرة ٣٣٢/٥.

(٢) في النسخ: «برغش». والمثبت من الكامل ٢٧٩/١١.

(٣) الروضتين ٣١٠/١.

(٤) في خ: «بزار»، وفي م، ودول الإسلام ٧١/٢: «نزار». وانظر: الكامل ٢٠٧/١١، والروضتين

١/٣٠٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٥٧.

(٥) صرخند: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. معجم البلدان ٣/٣٨٠.

قُبْرُهُ، وله السَّبْعُ المِجَاهِدِيُّ^(١) داخلَ بابِ الزِّيَادَةِ مِنَ الجامعِ بِمَقْصُورَةِ الحَضِرِ .
وكانت وفاته بداره في صَفَرٍ من هذه السَّنةِ ، فُحِّلَ إلى الجامعِ وُضِّلَ عليه ، ثم
أُعِيدَ إلى مدرستِهِ ، ودُفِنَ بها داخلَ بابِ الفَرادِيسِ ، وتأسَّفَ الناسُ عليه ، رَحِمَهُ
اللَّهُ .

الشيخُ عَدِيُّ بنُ مسافرٍ بنِ إِسماعيلَ بنِ موسى بنِ مَرْوانَ بنِ الحَسَنِ بنِ
مَرْوانَ الهَكَارِيِّ^(٢) ، شيخُ الطائفةِ العَدَوِيَّةِ ، أصلُهُ مِنَ البِقاعِ غربيِّ دِمَشقَ ، مِنْ
قَرْيَةِ بَيْتِ فَايرَ ، ثم رَحَلَ إلى بَغدادَ فَاجْتَمَعَ فيها بالشيخِ عَبْدِ القادرِ ، والشيخِ حَمَّادِ
الدَّبَّاسِ ، والشيخِ عَقِيلِ المُنْبِجِيِّ ، وأبَى الوَفاءِ الحُلوانِيِّ ، وأبَى النُّجيبِ
الشَّهْرُورَدِيِّ وغيرِهِمْ ، ثم انفردَ عَنِ الناسِ وتَخَلَّى بِجَبَلِ الهَكَارِيَّةِ^(٣) وَبَنَى لَهُ
هناكَ زاوِيَةً واعتَقَدَ فِيهِ أَهْلُ تلكَ الناحِيَةِ اعتقادًا بليغًا ، حتى إن مِنْهُم مَن يَغْلُو فِيهِ
غُلُوًّا كَبِيرًا مُنْكَرًا . ثم كانت وفاته في هذه السَّنةِ بِزاوِيَتِهِ وله تسعونَ سَنَةً .

عَبْدُ الواحِدِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ حَمْزَةَ ، أَبُو جَعْفَرٍ النَّقْفِيُّ^(٤) ، قاضِي
قُضاةِ بَغدادَ ، وَلِيَّهَا بَعْدَ أَبِي الحَسَنِ الدَّامَغَانِيِّ فِي أَوَّلِ هذه السَّنةِ ، وَقَدْ كانَ قاضِيًا
بِالْكُوفَةِ قَبْلَ ذلكَ [٢٥٢/٩و] ، ثم كانت وفاته في ذِي الحِجَّةِ مِنْ هذه السَّنةِ وَقَدْ

(١) السبع المجاهدي: وقف على من يقرأ السبع الطوال كل يوم بمقصورة الخضر بجامع دمشق. انظر
الروضتين ٣٠٩/١.

(٢) الكامل ٢٨٩/١١، ووفيات الأعيان ٢٥٤/٣، والمختصر في أخبار البشر ٤٠/٣، وسير أعلام النبلاء
٣٤٢/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٣٠. وقد ذكره ابن الأثير وأبو
الفداء والذهبي ضمن وفيات سنة ٤٥٧هـ غير أن ابن خلكان قال في الوفيات: وتوفي الشيخ سنة سبع،
وقيل: خمس وخمسين وخمسمائة.

(٣) في النسخ: «هكار». والمثبت من وفيات الأعيان ٣/٣٥٤. والهكارية: بلدة فوق الموصل في بلد
جزيرة ابن عمر، يسكنها أكراد يقال لهم: الهكارية. معجم البلدان ٩٧٨/٤.

(٤) المنتظم ١٤٣/١٨، والعبر ١٥٧/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ)
ص ١٦٤، ومرة الجنان ٣/٣٠٨، وشذرات الذهب ١٧٥/٤.

ناهَرَ الثمانين ، وَلِجَ بَعْدَهُ ابْنُهُ جَعْفَرٌ .

الْفَائِزُ صَاحِبُ مِصْرَ ، تَقَدَّمَ فِي الْحَوَادِثِ .

قَايِمَازُ الْأَرْجَوَانِيِّ ، تَقَدَّمَ أَيْضًا .

الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَفَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْمُسْتَظْهَرِ ،
تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ .

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُسْلِمٍ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزَّيْدِيُّ ^(١) ، وُلِدَ بِمَدِينَةِ
زَيْدٍ بِالْيَمَنِ سَنَةَ ثَمَانِينَ ^(٢) ، وَقَدِيمَ بَغْدَادَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَوَعَّظَ ، وَكَانَتْ
لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ ، وَكَانَ صَبُورًا عَلَى الْفَقْرِ لَا يَشْكُو حَالَهُ إِلَى أَحَدٍ ،
وَكَانَتْ لَهُ أَحْوَالٌ صَالِحَةٌ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الْمُنْتَظَمُ ١٨/١٤٥ ، وَمَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٩/١٠٦ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٠/٣١٦ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ
(حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٧٩ ، وَالْوَفَايُ بِالْوَفَيَاتِ ٥/١٩٨ ، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضْيِيَّةُ ٢/١٤٢ ،
وَفِيهِ : « مُسْلِمَةٌ » بِدَلِّ « مُسْلِمٍ » .
(٢) ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ أَنَّهُ وَلِدَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

فيها^(١) قُتِلَ السلطانُ سُليمانُ شاهُ بنُ محمدٍ بنِ مَلِكشاه^(٢)، وكان عنده تهوُّرٌ وقَلَّةٌ مُبالاةٌ بالدين، يُدْمِنُ شَرِبَ الخمرِ حتى في رمضان، فثارَ عليه مُدَبِّرُ مملكته كُردبازو الخادِمُ فقتله، وباعَ بعده السلطانُ أَرْسلانَ شاهَ بنَ طُغرُلَ بنِ محمدٍ بنِ مَلِكشاه.

وفيها قُتِلَ الملكُ الصالحُ فارسُ الدينِ أبو الغاراتِ طلائعُ بنُ رُزَيْكُ الأَرَمْنِي^(٣)، وزيرُ العاضِدِ صاحبِ مِصْرَ، ووالدُ زَوْجَتِهِ، وكان قد حَجَرَ على العاضِدِ لِصِغَرِهِ واستَحَوِذَ على الأمورِ، فقتَلته الحاشِيَةُ، ووَزَرَ بعده وَلَدُهُ رُزَيْكُ، ولُقِّبَ بِالْعَادِلِ، وقد كان أبوه الصالحُ كريماً أديباً، يُحِبُّ أَهْلَ العِلْمِ وَيُحَسِّنُ إِلَيْهِمْ، كان مِن خِيَارِ المُلُوكِ والوزراءِ، وقد اِمْتَدَحَهُ غيرُ واحدٍ مِنَ الشعراءِ.

قال القاضي ابنُ خَلِّكان^(٤): كان أَوَّلًا مُتَوَلِّياً بِمُتَوَلِّيةِ بَنِي خَصِيبٍ، ثم آلَ به الحالُ إلى أَنْ وَزَرَ لِلْفَائِزِ، وَذَهَبَتْ لَهُ وَزارَةُ عِباسٍ في سَنَةِ تِسْعٍ وأَرْبَعِينَ، ثم لَمَّا هَلَكَ في هذه السَنَةِ قامَ في الوزارَةِ بعده وَلَدُهُ الْعَادِلُ رُزَيْكُ بنُ طَلَّاعٍ، فلم يَزَلْ

(١) المنتظم ١٨/١٤٦، والكامل ١١/٢٦٦.

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢٦٧، والكامل ١١/٢٦٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١

- ٥٦٠هـ) ص ١٩٥، والعبر ٤/١٦٠، ومراة الجنان ٣/٣١٠.

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/١٧٣، والكامل ١١/١٧٤، ووفيات الأعيان ٢/٥٢٦، وسير

أعلام النبلاء ٢٠/٣٩٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ١٩٦.

(٤) وفيات الأعيان ٢/٥٢٦.

فيها حتى انْتَرَعَهَا شَاوِرٌ، كما سيأتى . قال ^(١) : والصالح هذا هو بانى الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة . قال : ومن العجائب أنه ولي الوزارة فى تاسع عشر شهر، وقُتِلَ فى تاسع عشر شهر، ونُقِلَ من دار الوزارة إلى القرافة فى تاسع عشر شهر آخر، وزالت دولتهم فى تاسع عشر شهر آخر . قال ^(٢) : ومن شعره ما رواه عنه الواعظ زين الدين على بن نجا الحنبلى ، وهو قوله :

مَشِيئَكَ قَدْ نَصَا صَبَغَ الشَّبَابِ وحلُّ البازِ فى وَكْرِ الغُرَابِ
تَنَامُ وَمُقْلَةُ الحَدَثَانِ يَقْطِى وما نابُ النوائِبِ عنكَ نابِ
وكيفَ بقاءِ عُمْرِكَ وَهُوَ كَنْزُ وقد أنفقتَ منه بلا حسابِ
وقوله ^(٣) :

كم ذا يُرِينَا الدَّهْرُ مِنْ أَحْدَائِهِ عِبْرًا وَفِينَا الصَّدُّ والإِعْرَاضُ
نَنْسَى المَمَاتَ وَلَيْسَ يَجْرِى ذِكْرُهُ فِينَا فَتَذَكِّرُنَا بهِ الأَمْرَاضُ
ومن شعره الجيّد أيضًا قوله ^(٤) :

أَتَى اللّهُ إِلَّا أَنْ يَدُومَ لَنَا الدَّهْرُ ويخْذُمَنَا فى مُلْكِنَا ^(٥) العِزُّ والنَّصْرُ
عَلِمْنَا بِأَنَّ المَالَ تَفْنَى أَلُوفُهُ وَيَتَقَى لَنَا مِنْ بَعْدِهِ الأَجْرُ والذِّكْرُ
خَلَطْنَا النَّدَى بالبَاسِ حَتَّى كَانْنَا سَحَابَ لَدَيْهِ البَرْقُ والرَّغْدُ والقَطْرُ
وله أيضًا ، وهو ممّا نَظَّمَهُ قَبْلَ موْتِهِ بثلاثِ ليالٍ ^(٦) :

(١) وفيات الأعيان ٥٢٩/٢ ، ٥٣٠ .

(٢) المصدر السابق ٥٢٧/٢ . وانظر الأبيات فى الحريدة ١٨٥/١ .

(٣) وفيات الأعيان ٥٢٦/٢ .

(٤) الكامل ٢٧٥/١١ .

(٥ - ٥) فى الأصل ، خ ، ص : « النهى والأمر » .

(٦) الحريدة ١٨٠/١ ، والكامل ٢٧٦/١١ .

نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ وَنَوْمٍ وَلِلْمَوْتِ عِيُونَ يَفْظَانَهُ لَا تَنَامُ
قَدْ رَحَلْنَا إِلَى الْحِمَامِ سَيْنِيًّا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ الْحِمَامُ [٢٥٢/٩ ظ]
ثُمَّ قَتَلَهُ غِلْمَانُ الْعَاضِدِ فِي النَّهَارِ غِيلَةً وَلَهُ إِحْدَى وَسِتُّونَ سَنَةً، وَخُلِعَ عَلَى
وَلَدِهِ الْعَادِلِ بِالْوِزَارَةِ، وَرَثَاهُ عُمَارَةُ الْيَمَنِيُّ بِقَصَائِدَ حِسَانٍ، وَيَوْمَ نُقِلَ إِلَى تَرْبِيَةِ
بِالْقَرَفَةِ سَارَ الْعَاضِدُ مَعَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَبْرِهِ فِي التَّابُوتِ.

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ^(١): فَعَمِلَ الْفَقِيهُ عُمَارَةُ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً أَجَادَ
فِيهَا، فَمِنْ ذَلِكَ فِي صِفَةِ التَّابُوتِ قَوْلُهُ:

وَكَأَنَّهُ تَابُوتُ مُوسَى أُودِعَتْ فِي جَانِبَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ
وَفِيهَا أَوْقَعَتْ بَنُو خَفَاجَةَ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ وَقَعَةً عَظِيمَةً، فَقَتَلُوا خَلْقًا، مِنْهُمْ
الْأَمِيرُ قَيْصَرُ وَجَرَّحُوا أَمِيرَ الْحَاجِّ أَرْغَشَ^(٢) جِرَاحَاتٍ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَزِيرُ الْخِلَافَةِ
عَوْنُ الدِّينِ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي جَيْشٍ، فَتَبِعَهُمْ حَتَّى أَوْغَلَ فِي الْبَرِّيَّةِ، فَبَعَثُوا يَطْلُبُونَ
الْعَفْوَ.

وَفِيهَا وَلِيَ مَكَّةَ الشَّرِيفُ عِيسَى بْنُ قَاسِمٍ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، وَقِيلَ: قَاسِمُ بْنُ
فُلَيْتَةَ بْنِ قَاسِمٍ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ.

وَفِيهَا أَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْجِدُ بِإِزَالَةِ الدَّكَائِنِ الَّتِي تُضَيِّقُ الطَّرَاقِ، وَأَنْ لَا
يَجْلِسَ أَحَدٌ مِنَ الْبَاغَةِ فِي عَرَصَةِ الطَّرَاقِ؛ لِئَلَّا يَضُرَّ ذَلِكَ بِالْمَارَّةِ. وَفِيهَا وَقَعَ
رُخْصٌ عَظِيمٌ بِبَغْدَادَ جَدًّا.

وَفِيهَا فُتِحَتِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي بَنَاهَا ابْنُ الشَّمَحْلِ فِي الْمَأْمُونِيَّةِ، وَدُرِّسَ فِيهَا أَبُو

(١) وفيات الأعيان ٥٢٩/٢.

(٢) فِي النسخ: « برغش ». والمثبت من الكامل ٢٧٩/١١.

حكيم إبراهيم بن دينار التَّهْرَوَانِي الحَنْبَلِي ، وقد تُوفِّي من آخرِ هذه السَّنة ، ودرَّس بعده فيها أبو الفَرَج بن الجَوْزِي ، وقد كان عنده مُعِيْدًا ، ونَزَلَ له عن تَدْرِيسٍ آخَرَ بِيَابِ الْأَزَجِ عِنْدَ مَوْتِهِ .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

حَمَزَةُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ طَلْحَةَ ، أَبُو الْفُتُوحِ الْحَاجِبُ ^(١) ، كَانَ خِصِيصًا عِنْدَ الْمُشْتَرَشِدِ وَالْمُقْتَفَى أَيْضًا ، وَقَدْ بَنَى مَدْرَسَةً إِلَى جَانِبِ دَارِهِ ، وَحَجَّ فَرَجَعَ مَتَرَهْدًا ، فَلَزِمَ بَيْتَهُ مُعَظَّمًا نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنةِ ، وَقَدْ اِمْتَدَحَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

يَا عَضُدَ الْإِسْلَامِ يَا مَنْ سَمَتْ إِلَى الْعُلَا هِمَّتُهُ الْفَاحِشَةُ
كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَرْضَهَا مُلْكًا فَأَخْلَدْتَ إِلَى الْآخِرَةِ

(١) المنتظم ١٨/١٥٠ ، والكامل ١١/٢٨٠ ، ومرآة الزمان ١/٨/٢٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ١٩٤ ، والوافي بالوفيات ١٣/١٧٩ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

فيها^(١) دَخَلَتْ الكُرُجُ بلادَ المسلمين، فقتلوا خلقًا من الرجالِ وأسروا من الذَّراريِّ أُمًّا؛ فاجتمعَ لحربهم ملوكُ تلكَ الناحية؛ إيلدكزُ صاحبُ أَذْرَبِجَان، وابنُ سُكْمَانَ صاحبُ خِلَاط، وابنُ آقِ سُنْقَرُ صاحبُ مَرَاغَةِ، وساروا إلى بلادهم في السَّنَةِ الآتِيَةِ فَهَبُّوْهَا، وأسروا ذَرَارِيَّهم، والتَّقَوْا معهم فكسروهم كسرةً ذريعةً فظيعةً منكرةً، مكثوا يقتلونَ فيهم ويأسرونَ ثلاثةَ أيامٍ.

وفي رَجَبٍ أُعِيدَ يوسُفُ الدَّمَشَقِيُّ إلى تدريسِ النُّظَامِيَّةِ بعدَ عَزْلِ ابنِ نِظَامِ المُلِكِ بسببِ أَنَّ امرأةً ادَّعَتْ أَنَّهُ تزَوَّجَهَا فَأُنْكَرَ، ثم اعْتَرَفَ، فَعُزِلَ عَنِ التدريسِ.

وفيها كَمَلَتِ المدرسةُ التي بناها الوزيرُ ابنُ هُبَيْرَةَ بِيَابِ البَصْرَةِ، ورُتِبَ فيها مدرِّسًا وُفِيَّهَا. وحجَّ بالناسِ أميرُ الكُوفَةِ أَرْغَشُ^(٢).

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

شُجَاعُ^(٣)، شَيْخُ الحَنْفِيَّةِ بِمَشْهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ، وكانَ جَيِّدَ الكلامِ فِي النَّظَرِ، أَخَذَ عَنْهُ الحَنْفِيَّةُ، وَدُفِنَ عِنْدَ المَشْهَدِ.

(١) المنتظم ١٧/١٥٢، والكامل ١١/٢٨٦.

(٢) في خ، م: «برغش».

(٣) المنتظم ١٧/١٥٤، والكامل ١١/٢٨٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ)

ص ٢٢٥، والوافي بالوفيات ١٦/١١٢، والجواهر المضية ٢/٢٤٦.

صَدَقَهُ بْنُ وَزِيرِ الْوَاسِطِيِّ^(١)، دَخَلَ بَغْدَادَ وَوَعِظَ بِهَا [٢٥٣/٩] وَأَظْهَرَ تَقَشُّفًا، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى التَّشْيِيعِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ رَاجَعَ عَلَى الْعَوَامِّ وَبَعْضِ الْأُمَرَاءِ، وَحَصَلَ لَهُ فَتُوْحٌ كَثِيرَةٌ، ابْتَنَى مِنْهُ رِبَاطًا وَدُفِنَ فِيهِ، سَامَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

^(٢) زُمْرُدُ خَاتُونٍ^(٣) بِنْتُ جَاوِلَى أُمِّتِ الْمَلِكِ دُقَاقٍ^(٤) بِنْتُ تُشَشَ لَأُمِّهِ، وَهِيَ بَانِيَةُ الْخَاتُونِيَّةِ ظَاهِرِ دِمَشْقَ عِنْدَ قَرْيَةِ صَنْعَاءَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: تَلُّ الثَّعَالِبِ. غَرِبَى دِمَشْقَ، عَلَى جَانِبِ الشَّرْقِ الْقِبْلِيِّ بِصَنْعَاءِ الشَّامِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مَعْرُوفَةٌ قَدِيمًا، وَأَوْقَفَتْهَا عَلَى الشَّيْخِ بُرْهَانَ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَلْخِيِّ الْحَنْفِيِّ الْمَتَّقِمِ ذَكَرَهُ^(٥)، وَكَانَتْ زَوْجَةَ الْمَلِكِ بَوْرَى بْنِ طُغْتِكَيْنَ، فَوَلَدَتْ لَهُ ابْنَتَهُ شَمْسَ الْمُلُوكِ إِسْمَاعِيلَ الْمَذْكُورَ، وَقَدْ مَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ وَسَارَ سِيرَتَهُ، وَمَالًا الْفَرَجَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهَمَّ بِتَسْلِيمِ الْبَلَدِ وَالْأَمْوَالِ إِلَيْهِمْ، فَقَتَلُوهُ وَتَمَلَّكَ أَخُوهُ وَذَلِكَ بَعْدَ مُرَاجَعَتِهَا وَمُسَاعَدَتِهَا، وَقَدْ كَانَتْ قَرَأَتِ الْقُرْآنَ، وَسَمِعَتِ الْحَدِيثَ، وَكَانَتْ حَنْفِيَّةَ الْمَذْهَبِ تُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا الْأَتَايَكِيُّ زَنْكِي صَاحِبُ حَلَبَ؛ طَمَعًا فِي أَنْ يَأْخُذَ بِسَبَبِهَا دِمَشْقَ، فَلَمْ يَظْفَرْ بِذَلِكَ، بَلْ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ إِلَى حَلَبَ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى دِمَشْقَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَقَدْ دَخَلَتْ بَغْدَادَ وَسَارَتْ مِنْ هُنَاكَ إِلَى^(٦)

(١) المنتظم ١٨/١٥٤، والكمال ١١/٢٨٩، ومروءة الزمان ٨/١/٢٤٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٢٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/١١٢، والوفاء بالوفيات ١٦/٢٩١.
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ١١٢، ومروءة الزمان ٨/١/٢٤١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠هـ) ص ٢٢١، والوفاء بالوفيات ١٤/٢١٣.

(٤) في م: «دقماق».

(٥) تقدم في ص ٣٦٣.

١١ الحِجَازِ، وَجَاوَرَتْ بِمَكَّةَ سَنَةً، ثُمَّ جَاءَتْ فَأَقَامَتْ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ حَتَّى مَاتَتْ
بِهَا، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَدْ كَانَتْ كَثِيرَةَ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالصَّلَاةِ
وَالصَّوْمِ. قَالَ السَّبْطُ^(٢): وَلَمْ تَمُتْ حَتَّى قَلَّ مَا بِيَدِهَا، فَكَانَتْ تُغْرِبُ الْقَمْحَ
وَالشَّعِيرَ وَتَقَوُّتُ بِأُجْرَتِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ وَحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، رَحِمَهَا
اللَّهُ تَعَالَى^(١).

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) أى سبط ابن الجوزى ، انظر مرآة الزمان ٢٤٢ / ١ / ٨ .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها^(١) مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي تلميذ ابن التومرت وخليفته من بعده في الملك بمدينة سلا، حضره ابنه يوسف، وحمله إلى مراکش في صفة أنه مريض، فلما وصلها أظهر موته، فعزاه الناس وباعوه على الملك من بعده، ولقبوه أمير المؤمنين، وقد كان عبد المؤمن هذا حازماً، شجاعاً، جواداً، معظماً للشرعية، وكان من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يقتل، ولكن كان سفاكاً للدماء، حتى على الذنب الصغير، فالله يحكم فيه بما يشاء.

وفيها قتل الملك سيف الدين محمد بن علاء الدين الغوري، قتله الغز، وكان عادلاً.

وفيها كبست الفرنج نور الدين وجيشه، فانهزم المسلمون لا يلوى أحد على أحد، ونهض الملك نور الدين فركب فرسه والشبحة^(٢) في رجله، فنزل رجل كزدي قطعها حتى سار السلطان نور الدين فتجأ، وأدركت الفرنج الكزدي فقتلوه، رحمه الله، فأحسن نور الدين إلى ذريته، وكان لا ينسى ذلك له.

وفيها أمر الخليفة بإجلاء بنى أسد عن الحيلة، وقتل من تخلف منهم، وذلك لإفسادهم ومكاتبهم السلطان محمد شاه، وتحريضهم له على حصار بغداد،

(١) المنتظم ١٨/١٥٥، والكمال ١١/٢٩١.

(٢) الشبحة: هي التي تربط بها يد الفرس إلى رجله من لباد ونحوه. «تكملة المعاجم العربية» ١/٧١٩، ومعجم متن اللغة ٣/٢٦٦.

فَقَتَلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَخَرَجَ الْبَاقُونَ مِنْهَا ، وَتَسَلَّمَ نُوَّابُ الْخَلِيفَةِ الْحِلَّةُ الْمَرْيَدِيَّةُ . وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْأَمِيرُ أَرْغَشُ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

السُّلْطَانُ الْكَبِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ الْقَيْسِيُّ الْكُومِيُّ ^(١) ، تَلْمِيزُ ابْنِ الثُّومَرِ ، كَانَ أَبُوهُ يَعْمَلُ فِي الطِّينِ فَاعِلًا ، فَحِينَ وَقَعَ نَظَرُ ابْنِ الثُّومَرِ عَلَيْهِ أَحْبَبَهُ ، وَتَفَرَّسَ فِيهِ أَنَّهُ سَعِيدٌ ، فَاسْتَصْحَبَهُ فَعَظُمَ شَأْنُهُ ، وَالتَّقَتْ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرُ الَّتِي جَمَعَهَا ابْنُ الثُّومَرِ مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَحَارَبُوا صَاحِبَ مَرَاكُشَ عَلِيَّ بْنَ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينٍ ، مَلِكَ الْمُلُثِّمِينَ ، فَاسْتَحُوذَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ عَلَى وَهْرَانَ وَتِلْمِسَانَ وَفَاسَ وَسَلَا وَسَبْتَةَ ، ثُمَّ حَاصَرَ مَرَاكُشَ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا ، فَافْتَتَحَهَا فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتَمَهَّدَتْ لَهُ الْمَمَالِكُ ، وَصَفَا لَهُ الْوَقْتُ . وَكَانَ عَاقِلًا ، حَازِمًا ، وَقُورًا ، شَكِلًا ، حَسَنًا ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَلَهُ فِي الْمُلْكِ ثَلَاثُ وَثَلَاثُونَ سَنَةً ، وَكَانَ يُسَمَّى نَفْسَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

طَلْحَةُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ طَرَادٍ ، أَبُو أَحْمَدَ الرَّيْنَبِيُّ ^(٢) ، نَقِيبُ النِّقَبَاءِ ، مَاتَ فَجَاءَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَوَلَّى النِّقَابَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ ، وَكَانَ أَمْرَدَ فَعُولٍ وَضَوْدَرٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ ^(٣) ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ بِبَغْدَادَ ، كَانَ شَيْخًا ، حَسَنًا ، ظَرِيفًا ، وَأَنْفَرَدَ بِصِنَاعَةِ

(١) الكامل ٢٩١/١١ ، ومرة الزمان ٢٤٥/١/٨ ، ووفيات الأعيان ٢٣٧/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/

٣٦٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٢٥٢ .

(٢) المنتظم ١٥٦/١٧ ، ومرة الزمان ٢٤٥/١/٨ .

(٣) المنتظم ١٥٧/١٨ ، والكامل ٢٩٧/١١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٣٥٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث

ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٢٧١ ، والوفى بالوفيات ٢٧٩/٣ .

الإِنْشَاءِ، وَبُعِثَ رَسُولًا إِلَى الْمَلِكِ سَنْجَرَ وَغَيْرِهِ، وَخَدَمَ الْمُلُوكَ وَالْخُلَفَاءَ، وَقَارَبَ
التَّسْعِينَ. وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ^(١):

هل تَرْجِعُ دَوْلَةُ الْوِصَالِ	[٢٥٣/٩] يَا مَنْ هَجَرْتَ فَمَا تُبَالِي
أَنْ يَنْعَمَ فِي هَوَاكِ بِأَلِي	مَا أَطْمَعُ يَا عَذَابَ قَلْبِي
وَالْجِسْمُ كَمَا تَرَيْنَ بِالِ	الطَّرْفِ كَمَا عَاهَدْتَ بِأَكِ
فِي الْوَصْلِ بِمَوْعِدِ مُحَالِ	مَاضِرْكَ أَنْ تُعَلِّلِيْنِي
يَا قَاتِلَتِي فَمَا اخْتِيَالِي	أَهْوَاكِ وَأَنْتِ حَظُّ غَيْرِي
مَا أَشَبَّهْتَنِّ بِاللَّيَالِي	أَيَّامُ عَنَائِي فِيكَ سُودٌ
عَنْ حَبِّكَ مَالَهُمْ وَمَالِي	الْعُذْلُ فِيكَ يَغْذُلُونِي
الصَّبُّ أَنَا وَأَنْتِ سَالِي	يَا مُلْزِمِي السُّلُوءَ عَنْهَا
مَا أَحْسَنَهُ لِي اسْتَوَى لِي	وَالْقَوْلُ بِتَرْكِهَا صَوَابٌ
وَالصَّبُّوَةُ بَعْدُ فِي خِيَالِي	طَلَّقْتُ تَجَلْدِي ثَلَاثًا

(١) هذه الأبيات نسبها ابن كثير لمحمد بن عبد الكريم هذا، وهي لهبة الله بن الفضل وقد توفى هبة الله
في هذه السنة أيضًا. وانظر المنتظم ١٨/١٥٧، والكمال ١١/٢٩٧.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

فيها^(١) قديم شاور بن مجير الدين، أبو شجاع السعدي الملقب بأمير الجيوش، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية بعد آل رزيك، لما قُتل الناصر رزيك بن طلائع، وقام في الوزارة بعده، واستفحل أمره فيها، فنار عليه أمير يقال له: الصرغام بن سوار. وجمع له جموعًا كثيرة، واستظهر عليه، وقتل ولديه طيًا^(٢) وسليمان، وأسر الثالث وهو الكامل بن شاور، فسجنه ولم يقتله؛ لئلا كانت لأبيه عنده، واستوزر صرغام بعده ولقب بالمنصور، فخرج شاور من الديار المصرية هاربًا من العاضد وصرغام، ملتحجًا إلى نور الدين محمود،^(٣) فأمر له نور الدين^(٤) بجوسق الميدان الأخضر، وأحسن ضيافته وكرامته^(٥)، وطلب منه شاور عسكرًا يكونون معه؛ ليفتح بهم الديار المصرية، ويكون لنور الدين ثلث مغلها، فأرسل معه جيشًا عليهم أسد الدين شيركوه بن شاذي، فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذين بها، فافتتلوا أشد القتال، فهزمهم أسد الدين، وقتل منهم خلقًا، وقُتل صرغام بن سوار، وطيف برأيه في البلاد، واستقر أمر شاور في الوزارة، وتمهد حاله، ثم اضطلح العاضد وشاور على أسد الدين، ورجع

(١) المنتظم ١٨/١٥٩، والكامل ١١/٢٩٨.

(٢) في الأصل: «طنا»، وفي خ: «ظيان»، وفي م: «طيا»، وانظر نهاية الأرب ٢٨/٣٣١.

(٣ - ٢) في خ، م: «وهو نازل».

(٤) الجوسق: القصر، معرب. تاج العروس (ج س ق).

(٥) في خ، م: «أنزله بالجوسق المذكور».

شاوژ عمًا كان عاهدَ عليه نور الدين ، وأمر أسد الدين بالرجوع ، فلم يقبل منه ، وعاثَ في البلاد ، وأخذ أموالاً كثيرةً ، وافتتح بلداناً كثيرةً من الشرفيّة وغيرها ، فاستغاث شاوژ عليهم بملك الفرنج الذي بعثقلان ، واسمه مُرّى ، فأقبل إليه في خلقٍ كثيرٍ فتحول أسد الدين إلى بلبيس ، وقد حصّنها وشحنها بالعُدَد والآلات ، وغير ذلك ، فحصرّوه فيها ثمانية أشهر ، وامتنع أسد الدين وأصحابه أشدَّ الامتناع ، فبينما هم على ذلك إذ جاءت الأخبار بأنَّ الملك نور الدين قد اعتنم غيبة الفرنج فسار بالعساكر إلى بلادهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حارماً وقتل من الفرنج خلقاً ، وسار إلى بانياس ، فضَعَفَ^(١) أمرُ الفرنج بديار مصرَ عند ذلك ، وطلبوا من أسد الدين المصالحة فأجابهم إلى ذلك ، وقبض من شاوژ سِتِّين ألفَ دينار ، وخرج أسد الدين وجيشه فساروا إلى الشام في ذى الحجة منها .

وَقْعَةُ حَارِمٍ

كان فتح حارم في رمضان من هذه السنة ، وذلك أنَّ نور الدين استغاث بعساكر المسلمين - فجاءوا من كلِّ فجٍّ عميقٍ - ليأخذ ثأره من الفرنج ، فالتقى معهم بتل حارم فكسّرهم كسرةً عظيمةً ، وأسر البرنس صاحب أنطاكية ، والقومص صاحب طرابلس ، والدوك مقدّم الروم ، [٢٥٤/٩] وابن جوسلين ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقيل : عشرين ألفاً .

(١ - ١) في خ ، م : « صاحب عسقلان الفرنجي » .

وفى ذى الحِجَّةِ منها فَتَحَ نورُ الدينِ مدينةَ بانيَّاسَ ، وقيلَ : إنما كان فتحه لها فى سَنَةِ سَتَيْنَ . فاللَّهُ أعلمُ . وكان معه أخوه نُصْرَةُ الدينِ أميرُ أميرانَ ، فأصابه سَهْمٌ فى إحدَى عَيْنَيْهِ فأَذْهَبَهَا ، فقال له الملكُ نورُ الدينِ ^(١) : لو نظَرْتَ إلى ما أعدَّ اللَّهُ لك من الأجرِ فى الآخرةِ لأُحْبَبْتَ أن تذهبَ الأخرى . وقال لابنُ مُعِينِ الدينِ أنزَرُ ^(٢) : إِنَّهُ اليومَ قد بَرَدَتْ جِلْدَةُ والدِكَ من نارِ جهنَّمَ ؛ لأنَّه كان سَلَّمَهَا إلى الفِرْنَجِ ، صَلَحًا عن دِمَشقَ .

وفى شهرِ ذى الحِجَّةِ من هذه السَنَةِ اخْتَرَقَ قصرُ بجَيْرُونٍ حريقًا عظيمًا ، فحَضَرَ فى تلكَ الليلةِ الأمراءُ ؛ منهم أسدُ الدينِ شيرْكُوهُ ، بعدَ رجوعِهِ من الديارِ المصريةِ ، وسعى سعيًا عظيمًا فى إطفاءِ هذه النارِ وصَوَّنَ حَوَزةَ الجامعِ منها ، جزاه اللَّهُ خيرًا ، وأثابه دارَ القرارِ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

^(٣) جمالُ الدينِ ^(٣) وزيرُ صاحبِ المؤَصِّلِ ، محمدُ بنُ عليٍّ بنِ أبى منصورٍ ، أبو جعفرِ الأصبهانيُّ الملقَّبُ بالجَوَادِ ^(٤) وزيرُ قُطْبِ الدينِ مودودِ بنِ زَنْكِي ، كان كثيرَ المعروفِ والصَّدَقَاتِ ، وقد أثَّرَ آثارًا حَسَنَةً بِمَكَّةَ والمدينةِ ؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ سَاقَ عَيْنًا إلى عَرَافَاتٍ ، وعَمِلَ هناكَ مَصَانِعَ ، وَبَنَى مَسْجِدَ عَرَافَاتٍ ودرَّجَه وأكَمَلَ أبوابَ

(١) الكامل ٣٠٤/١١ .

(٢) الكامل ٣٠٥/١١ .

(٣ - ٣) فى الأصل ، خ ، ص : « الجمال » . وانظر ترجمته فى المنتظم : ١٦١/١٨ ، والكامل ١١/٣٠٦ ، ووفيات الأعيان ١٤٣/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٣٤٩/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٢٩١ .

(٤) فى النسخ والمنتظم : « بالجمال » . والمثبت من وفيات الأعيان ، وانظر سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام .

الحَرَمَ ، وَبَنَى مَسْجِدَ الْخَيْفِ ، وَبَنَى الْحِجْرَ ، وَزَخَرَفَ الْكَعْبَةَ وَذَهَّبَهَا ، وَعَمِلَهَا بِالرُّخَامِ ، وَبَنَى عَلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ سُورًا ، وَبَنَى جِسْرًا عَلَى دِجْلَةَ عِنْدَ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ بِالْحِجْرِ الْمُتَحَوِّتِ ، وَالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ ، وَبَنَى الرُّبُطَ الْكَثِيرَةَ ، وَكَانَ يَتَصَدَّقُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى بَابِهِ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَيَفْتَدِي مِنَ الْأَسَارَى فِي كُلِّ سَنَةٍ بَعَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَلَا تَزَالُ صَدَقَاتُهُ وَافِدَةً إِلَى الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ ؛ حَيْثُ كَانُوا مِنْ بَغْدَادَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَقَدْ حُبِسَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، فَذَكَرَ ابْنُ السَّاعِي فِي « تَارِيخِهِ » عَنْ شَخْصٍ كَانَ مَعَهُ فِي السَّجَنِ أَنَّهُ نَزَلَ إِلَيْهِ طَائِرٌ أَيْضًا قَبْلَ مَوْتِهِ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ وَهُوَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تُوْفِيَ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، ثُمَّ طَارَ عَنْهُ ، وَدُفِنَ فِي رِبَاطٍ بَنَاهُ لِنَفْسِهِ بِالْمَوْصِلِ ، وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَسَدِ الدِّينِ شِيْرُكُوهُ بِنِ شَاذِي مُوَاخَاةَ وَعَهْدٍ ، أَتِيَهُمَا مَاتَ قَبْلَ الْآخِرِ أَنْ يَحْمِلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَاسْتَأْجَرَ لَهُ أَسَدُ الدِّينِ شِيْرُكُوهُ رَجَالًا فَنَقَلُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَمَا مَرُّوا بِهِ عَلَى بَلَدَةٍ إِلَّا صَلُّوا عَلَيْهِ ، وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ ، وَأَثْنَوْا خَيْرًا ، فَصَلُّوا عَلَيْهِ بِالْمَوْصِلِ وَتَكَرَّرَتْ وَبَغْدَادَ وَالْحِلَّةَ وَالْكُوفَةَ وَفَيْدَ وَمَكَّةَ ، وَطِيفَ بِهِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فَدُفِنَ بِرِبَاطٍ بَنَاهُ شَرْقِيَّ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ . قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ^(١) وَابْنُ السَّاعِي : لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَرَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَبْرِهِ سِوَى خَمْسَةِ عَشَرَ ذِرَاعًا . قَالَ ابْنُ السَّاعِي : وَلَمَّا صَلُّوا عَلَيْهِ بِالْحِلَّةِ صَعِدَ شَابٌّ نَشْرًا فَأَنشَدَ يَقُولُ ^(٢) :

سَرَى نَعْشُهُ فَوْقَ الرِّقَابِ وَطَلَمَا سَرَى جُودُهُ فَوْقَ الرِّكَابِ وَنَائِلُهُ
يُمِرُّ عَلَى الْوَادِي فَتُثْنِي رِمَالُهُ عَلَيْهِ وَبِالنَّادِي فَتُثْنِي أَرَامِلُهُ
وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا بَعْدَ الْخَمْسِينَ :

(١) المنتظم ١٨ / ١٦١ .

(٢) الكامل ١١ / ٣٠٧ .

ابن الخازن الكاتب، أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق^(١)، أبو الفضل المعروف بابن الخازن، الكاتب البغدادى الشاعر، كان يكتب جيداً فائقاً، اعتنى بكتابة [٢٥٤/٩ ظ] الختمات، وأكثر ابنه أبو الفتح نصر الله من كتابة المقامات، وجمع لأبيه ديوان شعر أورد منه ابن خلكان^(٢) قطعة كبيرة.

(١) المنتظم ١٠٧/١٧، ووفيات الأعيان ١٤٩/١، وسير أعلام النبلاء ٤٨٢/١٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥١١ - ٥٢٠ هـ) ص ٤٢٠، وعيون التواريخ ١٥٦/١٢. وقد ذكره ابن الجوزى ضمن وفيات سنة اثنتى عشرة وخمسمائة، وابن خلكان والذهبي والكتبي ضمن وفيات سنة ثمانى عشرة.

(٢) وفيات الأعيان ١٤٩/١، ١٥٠.

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ سِتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ^(١)

فى صَفَرٍ منها وَقَعَتْ بِأَصْبَهَانَ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ بِسَبَبِ الْمَذَاهِبِ دَامَتْ أَيَّامًا، وَقُتِلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَفِيهَا كَانَ حَرِيقٌ عَظِيمٌ بِيغْدَادَ فَاحْتَرَقَتْ مَحَالٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٢) أَنَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَدَتْ امْرَأَةً بِيغْدَادَ أَرْبَعَ بَنَاتٍ فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْأَمِيرُ أَرْغَشُ الْكَبِيرُ، أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عَمْرُ بْنُ بَهْلِيْقَا الطَّحَّانُ^(٣) الَّذِى جَدَّدَ جَامِعَ الْعُقَيْبِيَّةِ^(٤) بِيغْدَادَ، وَاسْتَأْذَنَ الْخَلِيفَةَ فِي إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ فِيهِ، فَأُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ قَدْ اشْتَرَى مَا حَوْلَهُ مِنَ الْقُبُورِ فَأَضَافَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَنَبَشَ الْمَوْتَى مِنْهَا، فَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ نَبَشَهُ مِنْ قَبْرِهِ بَعْدَ دَفْنِهِ، جَزَاءً وَفَاقًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَّانِيُّ^(٥)،

(١) المنتظم ١٦٤/١٨، والكامل ٣١٩/١١.

(٢) المنتظم ١٦٣/١٨.

(٣) المنتظم ١٦٤/١٨، ومروءة الزمان ٢٥٣/١/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٣١٠.

(٤) فى الأصل، والمنتظم «العقبة»، وفى ص: «القبة». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٣١٠.

(٥) المنتظم ١٦٥/١٨، وسير أعلام النبلاء ٣٥٢/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٣١٢، والوفاء بالوفيات ٣٣٠/٣، وذيل طبقات الحنابلة ٢٥٠/١.

كان آخر مَنْ بَقِيَ مِنَ الشُّهُودِ الْمُقْبُولِينَ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ الدَّامَغَانِيِّ ، وقد سَمِعَ الحديثَ ، وكان لَطِيفًا ظَرِيفًا ، جَمَعَ كِتَابًا سَمَّاهُ «رَوْضَةُ الْأَدْبَاءِ» ، فِيهِ نُتِفَ حَسَنَةٌ . قال ابْنُ الْجَوْزِيِّ ^(١) : زُرْتُهُ يَوْمًا فَأَطْلُتُ الْجُلُوسَ عِنْدَهُ ، فَقُلْتُ : أَقُومُ فَقَدْ ثَقُلْتُ ، فَأَنْشَدَنِي :

لئن سَمِيتَ إِبْرَامًا وَثَقُلًا زياراتِ رَفَعْتَ بِهِنَ قَدْرِي
فما أَتَرَمْتَ إِلَّا حَبْلَ وُدِّي ولا ثَقُلْتَ إِلَّا ظَهَرَ شُكْرِي
مَرْجَانُ الْحَادِمِ ^(٢) كان يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَتَفَقَّهَ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ يَتَعَصَّبُ
عَلَى الْحَنَابِلَةِ وَيَكْرَهُهُمْ ، وَيُعَادِي الْوَزِيرَ ابْنَ هُبَيْرَةَ وَابْنَ الْجَوْزِيَّ مُعَادَاةً شَدِيدَةً ،
وَيَقُولُ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ ^(٣) : مَقْصُودِي قَلْعُ الْمَذْهَبِ . وَلَمَّا مَاتَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَوِيَ أَمْرُهُ
عَلَى ابْنِ الْجَوْزِيِّ ، وَخَافَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَرَحَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ
فَرَحًا شَدِيدًا ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا .

ابْنُ التَّلْمِيزِ ^(٤) الطَّبِيبُ الْمَاهِرُ الْحَادِقُ ، اسْمُهُ هَبَةُ اللَّهِ بْنُ صَاعِدٍ . كَانَتْ وَفَاتُهُ
فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مُوسَّعًا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُ عِنْدَ
النَّاسِ وَجَاهَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَقَدْ تُوُفِّيَ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ ، عَلَى دِينِهِ ، وَدُفِنَ بِالْبَيْعَةِ الْعَتِيقَةِ ، لَا
رَحِمَهُ اللَّهُ إِنْ كَانَ مَاتَ نَضْرَانِيًّا ، فَإِنَّهُ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى دِينِهِ .
الْوَزِيرُ ابْنُ هُبَيْرَةَ ، يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هُبَيْرَةَ ، أَبُو الْمُظْفَرِ ^(٥) الْوَزِيرُ لِلْخَلِيفَةِ

(١) المنتظم ١٦٥/١٨ .

(٢) المنتظم ١٦٦/١٨ ، ومرة الزمان ٢٥٥/١/٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٣٢٠ .

(٣) المنتظم ١٦٦/١٨ .

(٤) معجم الأدباء ٢٧٦/١٩ ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٤٩/١ ، ووفيات الأعيان ٦٩/٦ ،

وسير أعلام النبلاء ٣٥٤/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٣٢١ .

(٥) خريدة القصر (قسم العراق) ٩٦/١ ، والمنتظم ١٦٦/١٨ ، ومرة الزمان ٢٥٥/١/٨ ، ووفيات

الأعيان ٢٣٠/٦ ، وسير أعلام النبلاء ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٣٢٨ .

المعظمة، مصنف كتاب «الإفصاح»، قرأ القراءات، وسمع الحديث، وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والعروض، وثقفة على مذهب الإمام أحمد، وصنف كتباً جيدة مفيدة؛ من ذلك «الإفصاح» في مجلدات، يشرح فيه الأحاديث، ويتكلم على مذهب العلماء، وكان على مذهب السلف في الاعتقاد، وقد كان فقيراً لا مال له، ثم تعرض للخدمة، فتقدم إلى أن وزر للمقتفي ثم لابنه المستنجد، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة، وأبعدهم عن الظلم، وكان لا يلبس الحرير، وكان المقتفي يقول^(١): ما وزر لبنى العباس مثله. وكذلك ابنه المستنجد، وكان مُعجَباً به، قال مَرَجَانُ الخادم^(٢): سمعتُ أمير المؤمنين المستنجد يُنشد لابن هُبَيْرَةَ وهو بين يديه من شعره^(٣):

صَفْتُ نَعْمَتَانِ خَصَّتَاكَ وَعَمَّتَا فذَكَرَهُمَا حَتَّى الْقِيَامَةِ يُذَكَّرُ
وَجُودُكَ وَالْدُنْيَا إِلَيْكَ فَقِيرَةٌ وَجُودُكَ وَالْمَعْرُوفُ فِي النَّاسِ يُنْكَرُ [٢٥٥/٩ و]
فَلَوْ رَامَ يَا يَحْيَى مَكَانَكَ جَعْفَرُ وَيَحْيَى لَكَفًا عَنْهُ يَحْيَى وَجَعْفَرُ
وَلَمْ أَرْ مَنْ يَنْوِي لَكَ الشُّوْءَ يَا أَبَا أَل مُظْفَرٍ إِلَّا كُنْتَ أَنْتَ الْمَظْفَرُ
وقد كان يبالغ في إقامة الدولة العباسية، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكلٍّ ممكن، حتى استقرت الخلافة في العراق كله؛ ليس للملوك معهم حكم بالكلية، ولله الحمد والمئة.

وكان يعقد في داره للعلماء مجلساً للمناظرة يبحثون فيه، ويتناظرون عنده

(١) المنتظم ١٦٧/١٨.

(٢) المنتظم ١٦٧/١٨، وسير أعلام النبلاء ٤٢٧/٢٠.

(٣) البيتان الأخيران له، أما الأولان فلا بن حيوس من قصيدة يمدح فيها نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب. انظر سير أعلام النبلاء ٤٢٧/٢٠، حاشية (٣).

وبين يديه ، ويستفيد منهم ، ويستفيدون منه ، فاتفق يوماً أنه كلم رجلاً من الفقهاء كلمة فيها بشاعة ؛ قال له ^(١) : يا حمار . ثم ندم وقال : أريد أن تقول لى كما قلت لك . فتمنع ذلك الفقيه ، فصالحه على مائتي دينار . وكانت وفاته فجأة ، ويقال ^(٢) : إنه سممه طبيب ، فسم ذلك الطبيب بعد ستة أشهر ، فكان يقول : سممته فسممته . مات يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن إحدى وستين سنة ، وغسله ابن الجوزي ، وحضر جنازته خلق كثير جداً ، وغلقت الأسواق ، وتباكى الناس عليه ، ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة رحمه الله . وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة .

وأبو القاسم ، عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البزري الجزي ^(٣) ، شيخ الشافعية بها ^(٤) ، وكان يلقب زين الدين جمال الإسلام ، دخل بغداد ، فأخذ عن إلكيا الهراسي ، والغزالي ، والشاشي صاحب « المستظهرى » ، وجمع كتاباً على « المذهب » ^(٥) ، وذكر فيه إشكالات ما سواه ، وأسماء رجاله ولغته ، وهو فى مجلد ، على ما ذكره ابن خلكان ^(٦) ، ورحلت إليه الطلبة من كل ناحية ، وكان أحفظ الناس فى وقته لمذهب الشافعي . توفي فى هذه السنة .

(١) المنتظم ١٨/١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) المنتظم ١٨/١٦٩ .

(٣) وردت ترجمته فى وفيات سنة ستين وأربعمئة وهو خطأ ، والصواب أنه من وفيات هذه السنة (أعنى سنة ستين وخمسماية) . وانظر ترجمته فى : الكامل ١١/٣٢١ ، وفيه : « عمر بن عكرمة » ، ووفيات الأعيان ٣/٤٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٣٥٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٥١ - ٥٦٠ هـ) ص ٣٠٩ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/٢٥١ ، وفيه : « عمر بن محمد بن عكرمة » ، وشذرات الذهب ٤/١٨٩ .

(٤) أى بجزيرة ابن عمر . انظر معجم البلدان ٢/٧٩ ، وطبقات الشافعية ٧/٢٥١ ، وفيه : « إمام جزيرة ابن عمر ومفتيها ومدرسها » .

(٥) « المذهب » للشيخ أبى إسحاق الشيرازي ، وشرح ابن البزري غريب ألفاظه وأسماء رجاله ، وسماه : « الأسامي والعلل من كتاب المذهب » . وانظر وفيات الأعيان ٣/٤٤٥ .

(٦) وفيات الأعيان ٣/٤٤٥ .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة

فيها^(١) فتح الملك نور الدين محمود بن زنكي حصن المنيطرة^(٢)، وقتل عنده خلقاً كثيراً من الفرنج، وغنم أموالاً جزيلاً.

وفيها هرب عز الدين ابن الوزير ابن هبيرة من السجن، ومعه مملوك تركي، فتودى عليه في البلد: من رده فله مائة دينار، ومن وجد عنده هدمت داره وضلب على بابها، ودُبِحت أولاده بين يديه، فدلهم رجل من الأعراب عليه، فأخذ من بُستان، فضرب ضرباً شديداً منكراً، وأعيد إلى السجن، وضيق عليه.

وفيها أظهر الروافض سب الصحابة وتظاهروا بأشياء منكراً، ولم يكونوا يتمكّنون منها في هذه الأعصار المتقدمة؛ خوفاً من ابن هبيرة، ووقع بين العوام كلام فيما يتعلق بخلق القرآن. وحج بالناس أرغش.

ومن توفي فيها من الأعيان:

الحسن بن العباس بن أبي الطيب بن رُشتم^(٣)، أبو عبد الله الأصبهاني الرُشتمي، كان من كبار عباد الله الصالحين والبرّكّائين، قال^(٤): حضرت يوماً

(١) المنتظم ١٨/١٧١، والكامل ١١/٣٢٢.

(٢) المنيطرة: حصن بالشام قريب من طرابلس. معجم البلدان ٤/٦٧٣.

(٣) المنتظم ١٨/١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ -

٥٧٠هـ) ص ٧٣، والوافي بالوفيات ١٢/٦١، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/٦٤.

(٤) المنتظم ١٨/١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٤.

مجلس ابن^(١) ماشأه وهو يتكلّم على الناس ، فرأيتُ ربَّ العِزّة في تلك الليلة وهو يقول لى : وَقَفْتَ على مُبْتَدِعٍ وَسَمِعْتَ كلامه ؟ لأَحْرِمَنَّكَ النَّظَرَ في الدنيا . قال : فأَصْبَحَ لا يُبْصِرُ وَغَيْنَاهُ مَفْتُوحَتَانِ كَأَنَّهُ بَصِيرٌ .

عبدُ العزيز بنُ الحسين^(٢) بنِ الجَبَابِ^(٣) الأَغْلَبِيُّ السَّعْدِيُّ القَاضِي ، أبو المعالي المِصْرِيُّ ، المعروفُ بالجَلِيسِ ؛ لأنَّه كان يُجالِسُ صاحبَ مصرَ ، وقد ذَكَرَهُ العِمامُ في « الخريدة » قال^(٤) : وله فضلٌ مشهورٌ وشعرٌ ماثورٌ ، فَمِنْ ذلك قولُه :
ومن عَجِبَ أَنَّ السِّیَوفَ لَدَيْهِمْ تَحِيضُ دِمَاءُ وَالسِّیَوفُ ذُكُورُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهَا فِي أَكْفِهِمْ تَأْجُجُ نَارًا وَالْأَكْفُ بُحُورُ
الشيخُ عبدُ القادرِ الجِيلِيِّ^(٥) ، عبدُ القادرِ بنُ أبي صالحٍ أبو محمدٍ الجِيلِيُّ ، وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ودَخَلَ بَغْدَادَ فسمِعَ الحديثَ ، وتَفَقَّهَ على أبي سَعِيدٍ المَحْمُومِيِّ الحَنْبَلِيِّ ، وكان قد بَنَى مَدْرَسَةً ففَوَّضَهَا إلى الشيخِ عبدِ القادرِ ، فكانَ يتكلَّمُ على الناسِ بها ، وَيَعْظُمُهُمْ ، وانتَفَعَ به الناسُ انتفاعًا كثيرًا ، وكان له سَمْتُ حَسَنٌ ، وصُمِّتَ عن غيرِ الأمرِ [٢٥٥/٩ ظ] بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المنكرِ ، وفيه زُهْدٌ

(١) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخریج .

(٢) في م : « الحسن » . وانظر ترجمته في : خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/١٨٩ ، والروضتين ١/٣٦٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٨٥ ، والوفاء بالوفيات ١٨/٤٧٣ ، والنجوم الزاهرة ٥/٣٧١ .

(٣) في النسخ ، والخريدة ، والروضتين ، والنجوم الزاهرة : « الجباب » والمثبت من تاريخ الإسلام والوفاء بالوفيات . وانظر الإكمال ٢/١٣٩ ، وتبصير المنتبه ١/٣٩٣ ، وتاج العروس (ج ب ب) . وسمى بالجَبَابِ لجلوسِ جده عبد الله في سوق الجَبَابِ .

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١/١٨٩ ، ١٩٠ .

(٥) المنتظم ١٨/١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٣٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٨٦ ، وفوات الوفيات ٢/٣٧٣ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١/٢٩٠ .

كبيرٌ، وله أحوالٌ ومُكاشفاتٌ، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالاتٌ، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومُكاشفاتٍ أكثرها مُغالاةً، وقد كان صالحاً ورعاً، وقد صنّف كتاب «الغنيّة»، و«فتوح الغيب»، وفيهما أشياء حسنة، ولكن ذكر فيهما أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ الكبار، قدّس الله روحه، ونور ضريحه. كانت وفاته ليلة السبت ثامن ربيع الآخر من هذه السنة وله تسعون سنة، ودُفن بالمدرسة التي كانت له.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة^(١)

فيها أقبَلَتِ الفرنجُ في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية، وساعدهم المِصْرِيُّونَ، فَتَصَرَّفُوا في بعض البلاد، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه بن شاذي، فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها، وقد كثر الحنق على الوزير شاور، فأذن له فسار إليها في ربيع الآخر، ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد وقَّع في النفوس أنه سيملك الديار المِصْرِيَّةَ، وفي ذلك يقول عرقلة المسمي بحسان الشاعر^(٢):

أقول والأثرأُ قد أزمعت مِصْرَ إلى حزب الأعراب
رب كما ملكتها يوسف الصديق من أولاد يعقوب
يملكها في عصرنا يوسف الصادق من أولاد أيوب
من لم يزل ضراب هام العدا حقا وضراب العراقيب
ولما بلغ الوزير شاوراً قدوم أسد الدين والجيش معه، بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج عميق، ولما بلغ أسد الدين ذلك من شأنهم - وإنما معه ألفاً فارس - فاستشار من معه من الأمراء، فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى الملك نور الدين؛ لكثرة الفرنج، إلا أميراً واحداً يقال له: شرف الدين بُزْغَشُ^(٣)؛ فإنه قال: من

(١) المنتظم ١٨/١٧٤، والكمال ١١/٣٢٤.

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين ١/٣٦٤.

(٣) في م: «برغش».

خَافَ الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ فَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عِنْدَ زَوْجَتِهِ ، وَمَنْ أَكَلَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُسَلِّمُ بِلَادَهُمْ إِلَى الْعَدُوِّ . وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ابْنُ أَخِيهِ صِلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذَى ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَهُمْ فَسَارُوا نَحْوَ الْفَرَنْجِ ، فَاقْتَتَلُواهُمْ وَإِيَّاهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا ، فَكَسَرُوا الْفَرَنْجَ ، وَهَزَمُوهُمْ ، وَقَتَّلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

فَتْحُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ عَلَى يَدِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ

ثُمَّ سَارَ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهِ بَعْدَ أَنْ كَسَرَ الْفَرَنْجَ وَالْمَصْرِيِّينَ إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، فَمَلَكَهَا وَجَبَى أَمْوَالَهَا ، وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا ابْنَ أَخِيهِ صِلَاحُ الدِّينِ يُوسُفَ ، وَعَادَ إِلَى الصَّعِيدِ فَمَلَكَهُ ، وَجَمَعَ مِنْهُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً جَدًّا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ . ثُمَّ إِنَّ الْفَرَنْجَ وَالْمَصْرِيِّينَ اجْتَمَعُوا عَلَى حِصَارِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ؛ لِيَنْتَزِعُوهَا مِنْ يَدِ الْمَلِكِ صِلَاحِ الدِّينِ ، وَذَلِكَ فِي غَيْبَةِ عَمِّهِ فِي الصَّعِيدِ ، وَامْتَنَعَ بِهَا صِلَاحُ الدِّينِ وَمَنْ مَعَهُ أَشَدَّ الْأَمْتِنَاعِ ، وَلَكِنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَقْوَاتُ وَضَاقَ الْحَالُ جَدًّا ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهِ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ ، فَصَالَحَهُ شَاوِرُ الْوَزِيرِ عَنِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأُجَابَتْهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَخَرَجَ صِلَاحُ الدِّينِ ^(١) مِنْهَا وَسَلَّمَهَا إِلَى الْمَصْرِيِّينَ ، وَعَادَ إِلَى الشَّامِ فِي مَتَصِفِ شَوَالٍ وَذَى الْقَعْدَةِ ، وَقَرَّرَ شَاوِرُ لِلْفَرَنْجِ عَلَى مِصْرَ فِي كُلِّ عَامٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ شِخْنَةٌ بِالْقَاهِرَةِ ، وَعَادَ الْفَرَنْجُ إِلَى بِلَادِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَنْكِي قَدْ عَقَّبَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ ، وَافْتَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِهِمْ ، وَقَتَّلَ خَلْقًا مِنْ رِجَالِهِمْ ، [٢٥٦/٩] وَأَسَرَ أُمَّمًا مِنْ

(١) هكذا في النسخ ، والثابت في المصادر أن الذي سلم الإسكندرية في شوال وعاد إلى الشام في ذي القعدة هو شيركوه . وانظر الكامل ٣٢٦/١١ ، والروضتين ٣٦٦/١ ، والعبر ١٧٦/٤ ، ونهاية الأرب ٣٣٨ ، ٣٣٧/٢٨ .

نسائهم وأطفالهم ، وغنم شيئاً كثيراً من أمتعتهم وأموالهم ، ولله الحمد . وكان معه أخوه قطب الدين مودود ، فأطلق له الرقّة ، فسار فتسلّمها .

وفى هذه السنة فى شعبان منها كان قدومُ العِمادِ الكاتِبِ من بغداد إلى دمشق ، وهو أبو حامدٍ محمدُ بنُ محمدٍ الأصبهانيّ ، صاحبُ « الفتح القدسي » ، و « البرقي الشامي » ، و « الخريدة » ، وغير ذلك من المصنّفات ، وأنزله قاضى القضاة كمال الدين الشهرزورى بالمدرسة الثوريّة الشافعيّة داخل باب الفرج ، فنسبت إليه لسكنائه بها ، فيقال لها : العِماديّة . ثم ولى تدرّيسها فى سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبد ، وأوّل من جاء للسلام عليه نجم الدين أيوب وكانت له به معرفة من تكريت ، فامتدحه العِمادُ بقصيدة ذكرها الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(١) ، وكان أسدُ الدين شيركوه وصلاخ الدين يوسف بمصر ، فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصريّة حيث يقول :

ويستقرّ بمصر يوسف وبه تقرّ بعد الثنائى عيّن يعقوب
ويلتقى يوسف فيها بإخوته واللّه يجمعهم من غير تّريب
ثم ولى العِمادُ كتابةَ الإنشاء للملك نور الدين ، رحمه الله .

ومن توفى فيها من الأعيان :

أزغش^(٢) أمير الحاجّ سنين متعدّدة كان مقدّمًا على العساكر ، خرج من بغداد لقتال شملة التّركمانيّ فسقط عن فرسيه فمات .

(١) الروضتين ١/٣٦٩ .

(٢) فى خ ، م ، و تحاف الورى : « برغش » ، وانظر الكامل ١١/٣٢٩ .

أبو المعالي الكاتب^(١) محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ،
صاحب « التذكرة الحمدونية » ، وقد ولي ديوان الزمام مدة ، وكانت وفاته في
ذي القعدة ، ودُفن بمقابر قريش .

« الرشيد الصوفي »^(٢) كان يجلس بين يدي^(٣) العبادي على الكرسي ،
كانت له شبيبة حسنة ، سميت ووقار ، وكان يُدمن حضور السماع ، فاتفق
أنه مات وهو يرقص في بعض السماع ، سامحه الله سبحانه وتعالى .

(١) المنتظم ١٨/١٧٥ ، والكامل ١١/٣٣٠ (وفيه محمد بن الحسين) ، وخريدة القصر (قسم شعراء
العراق) ١/١٨٤ ، ووفيات الأعيان ٤/٣٨٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ)
ص ١٣٦ ، والوافي بالوفيات ٢/٣٥٧ .
(٢ - ٢) في الأصل : « السيد الصوفي » ، وفي م : « الرشيد الصوفي » . ولم نقف على ترجمته .
(٣) في الأصل ، ص : « ابن » .

ثم دخلت سنة ثلاثٍ وستين وخمسمائة^(١)

فى صفرٍ منها وصل شرفُ الدين أبو جعفرٍ بنُ البلديّ من واسيطٍ إلى بغدادَ ،
فخرج الجيشُ لتلقّيه والتّقيان والقاضى ، ومشى الناسُ بين يديه إلى الديوانِ ،
فجلسَ فى دَسْتِ الوزارة ، وقُرئَ عهدهُ ، وكان يوماً مشهودًا ، ولُقّبَ بالوزيرِ
شرفِ الدين ، جلالِ الإسلامِ ، مُعزُّ الدولة ، سيّدِ الوزراءِ ، صدرِ الشرقِ والغربِ .

وفىها أفسدتْ خفاجةُ فى البلادِ ونهبوا القرى ، فجهّز إليهم جيشٌ من بغدادَ
فهرّبوا فى البرارى فانحسرَ الجيشُ عنهم خوفاً من العطشِ ، فكثروا على الجيشِ فقتلوا
منهم خلقًا وأسروا آخرين ، وكان قد أسرَ الجيشُ منهم خلقًا فضلبوا على الأسوارِ .
وفى شوالٍ وصلتِ امرأةُ الملكِ نورِ الدين محمودٍ بنِ زنكى إلى بغدادَ تريدُ أن تحجَّ من
هناك ، وهى السّتُ عصمتُ الدين خاتون بنتُ مُعينِ الدين أنزr ، فتلقاها الجيشُ ،
ومعهم صندلُ الخادمِ ، وحملتْ لها الإقامةُ وأكرمتْ غايةَ الإكرامِ .

وفىها مات قاضى قضاةِ بغدادَ جعفرُ بنُ الثّقفى ، فشغَرَ البلدُ عن حاكمٍ ثلاثةً
وعشرين يوماً ، حتى وُلّى رُوُحُ بنُ [٢٥٦/٩ ظ] الحديثى^(٢) قاضى القضاةِ فى رابعِ
رجبٍ^(٣) .

(١) المنتظم ١٨/١٧٦ ، والكامل ١١/٣٣١ .

(٢) بعده فى الأصل ، ص : « وحج بالناس برغش والله أعلم » وقد تقدمت وفاته فى وفيات السنة السابقة .

(٣) فى الأصل : « الحدمى » ، وفى خ ، م : « الحديثى » ، وفى ص : « الحديثى » . والمثبت من : المنتظم

١٨/١٧٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٥٠ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

جعفر بن عبد الواحد^(١) ، أبو البركات الثَّقَفِيُّ ، قاضى القضاة ببغداد بعد أبيه ، وُلِدَ سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ^(٢) وخمسمائة ، وكانت وفاته فى هذا العام ، وسبب وفاته أَنَّهُ طُلِبَ منه مالٌ وكَلَّمَهُ الوزيرُ ابنُ البلدى كلامًا حَشِينًا فخاف فرمى^(٣) الدمَ ومات ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

أبو سَعِيدِ السَّمْعَانِى ، عبدُ الكَرِيمِ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ مَنْصُورٍ ، أبو سَعِيدِ السَّمْعَانِى^(٤) ، رَحَلَ إلى بغدادَ فسمعَ بها وذَئِلَ على تاريخها ، للخطيبِ البغدادى ، وقد ناقشه ابنُ الجوزى فى « المنتظم »^(٥) ، وذكرَ عنه أَنَّهُ كانَ يتعَصَّبُ على أهلِ مذهبه ، ويَطْعُنُ فى جماعةٍ منهم ، وَأَنَّهُ يُترجِمُ بعبارةٍ عاميةٍ ، مثلَ قولهِ عن بعضِ الشُّيُخَاتِ : إِنَّها كانت عفيفةً . وعن الشاعرِ المشهورِ بالحِصصِ يَتَصَّصُ : إِنَّه كانتَ له أُخْتُ يقالُ لها : دَخَلَ خَرَجَ ، وغير ذلك .

عبدُ القَاهِرِ بنُ مُحَمَّدٍ^(٦) بنِ عبدِ اللَّهِ^(٧) ابنِ عَمَوِيهِ^(٧) أبو النجيبِ

(١) المنتظم ١٨/١٧٨ ، والكامل ١١/٣٣٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٧٤ ، دون ترجمة ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ١٥٤ ، والوفاء بالوفيات ١١/١١١ ، وشذرات الذهب ٤/٢٠٨ .

(٢) فى خ ، م : « وعشرين » .

(٣) رمى الدم : قاءه .

(٤) تاريخ دمشق ١٠/٤٣٣ (مخطوط) ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٥٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ١١٨ . وطبقات الشافعية للسبكي ٧/١٨٠ .

(٥) المنتظم ١٨/١٧٩ .

(٦) المنتظم ١٨/١٨٠ ، ووفيات الأعيان ٣/٢٠٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ١٦٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٧٥ ، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١٤٠ .

(٧ - ٧) فى الأصل : « ابن حمويه » ، وفى ص : « ابن حويه » . والمثبت من المنتظم ١٨/١٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٥٦ .

الشَّهْرُورْدِيُّ، كان يُذَكَّرُ أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ
وَأَفْتَى وَدَرَّسَ بِالنُّظَامِيَّةِ وَابْتَنَى لِنَفْسِهِ مَدْرَسَةً وَرِبَاطًا، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مُتَصَوِّفًا يَعِظُ
النَّاسَ، وَدُفِنَ بِمَدْرَسَتِهِ.

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ^(١) أَبُو الْفَتْحِ الرَّازِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِالْعَلَاءِ
الْعَالِمِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ، وَكَانَ مِنَ الْفُحُولِ فِي الْمُنَاطَرَةِ، وَلَهُ طَرِيقَةٌ فِي
الْخِلَافِ وَالْجَدَلِ، وَيُقَالُ لَهَا التَّعْلِيقَةُ الْعَالِمِيَّةُ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَقَدُورْدُ بَغْدَادَ
وَحَضَرَ مَجْلِسِي، وَقَالَ أَبُو سَعْدِ بْنِ السَّمْعَانِيِّ^(٢): كَانَ يُدْمِنُ الْخَمْرَ، وَكَانَ
يَقُولُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَطْيَبُ مِنْ كِتَابِ أَطَالُغِهِ^(٣) وَبَاطِيئِهِ^(٤) مِنَ الْخَمْرِ أَشْرَبُ مِنْهَا.
قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: ثُمَّ بَلَغَنِي أَنَّهُ أَقْلَعَ عَنْ شَرَبِ الْخَمْرِ وَالْمُنَاطَرَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى
التَّنَشُّكِ وَالْخَيْرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُنْدَارٍ الدَّمَشَقِيُّ^(٥)، مَدْرُسُ النُّظَامِيَّةِ بِبَغْدَادَ، تَفَقَّهَ
عَلَى أَسْعَدَ الْمِيهَنِيِّ، وَبَرَعَ فِي الْمُنَاطَرَةِ، وَكَانَ يَتَعَصَّبُ لِلْأَشْعَرِيَّةِ، وَقَدْ بُعِثَ
رَسُولًا فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى شَمْلَةَ التُّرْكُمَانِيِّ، فَمَاتَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) فِي خ، م: «الحسين». وَاَنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: الْمُنْتَظَمُ ١٨/١٨٠، وَالْوَفَايُ بِالْوَفَايَاتِ ٣/٢١٨،
وَالْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ فِي طَبَقَاتِ الْحَنْفِيَّةِ ٣/٢٠٨، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٥/٣٧٩، وَطَبَقَاتُ الْمَفْسِّرِينَ لِلدَّوْدِيِّ
١٧٧/٢.

(٢) الْمُنْتَظَمُ ١٨/١٨٠.

(٣) فِي خ، م، ص: «المنظرة».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «يَا جَبَّة» وَالباطية: إِنْاء عَظِيمٍ مِنَ الزَّجَاجِ وَغَيْرِهِ يَتَخَذُ لِلشَّرَابِ. الْوَسِيطُ (ب ط ن).

(٥) الْمُنْتَظَمُ ١٨/١٨١، وَرَمَاةُ الزَّمَانِ ٨/١/٢٧٤، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٠/٥١٣، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ

(حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ١٨٥، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْإِسْنَوِيِّ ١/٥٤٠.

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة^(١)

فيها كان فتح مصر على يد الأمير أسد الدين شيركوه، وفيها طغى الفرنج بالديار المصرية؛ وذلك لما جعل لهم شحنة بها، وتحكموا في أبوابها، وسكنها أكثر شجعانها، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين، فعند ذلك ركب أمداد الفرنج من كل ناحية وساروا ضحبة مرمى ملك عشقلان في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس، فقتلوا منها خلقاً وأسروا آخرين، ونزلوا بها وتركوا فيها أثقالهم، وجعلوها موثلاً ومعقلاً، ثم جاءوا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية، فأمر الوزير شاور الناس أن يحرقوا مصر، وأن ينتقل الناس منها إلى القاهرة، فذهب البلد وذهب للناس أموال كثيرة جداً، وبقيت النار [٢٥٧/٩] تعمل في مصر أربعة وخمسين يوماً، فعند ذلك أرسل الخليفة العاضد يستغيث بالملك نور الدين، وبعث إليه بشعور نسائه يقول^(٢): أذكركني واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج. والتزم له بثلاث خراج مصر، على أن يكون أسد الدين مقيماً عندهم، ولهم إقطاعات زائدة على الثلث، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى الديار المصرية، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين، أرسل إلى ملك الفرنج يقول له^(٣): قد عرفت محبتي ومودتي، ولكن

(١) المنتظم ١٨/١٨٢، والكمال ١١/٣٣٥.

(٢) الكامل ١١/٣٣٦.

(٣) المصدر السابق ١١/٣٣٧.

العاظِدَ والمسلمين لا يُوافِقُونَنِي على تسليمِ البلدِ . وصالحهم ليرجعوا عامهم ذلك عن البلدِ بألف ألف دينارٍ ، وعَجَّلَ لهم من ذلك بمائة ألف دينارٍ ، فأخذوها وأنشَمَرُوا راجعين إلى بلادهم خوفاً من وصولِ الملكِ نور الدين ، وطمعاً في العَوْدَةِ إليها مرةً ثانية ﴿ وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] . ثم شرع الوزيرُ شاورُ في مُطالَبَةِ الناسِ بتحصيلِ الذَّهَبِ الذي صالح الفرنجَ عليه ، وَضَيَّقَ على الناسِ مع ما نالهم من الحريقِ والخوفِ ، فجبرَ اللهُ مُصائبهم وأحسنَ ما بهم ، واشتدَّ على الملكِ نور الدينِ الأميرُ أسد الدين شيركوه من جِمَصَ إلى حَلَبَ فساق في يومٍ واحدٍ ، من جِمَصَ ^(١) فدخلَ حَلَبَ في ذلك اليومِ ^(٢) ، فشرَّ بذلك نور الدين وتفاعل به ، فقدَّمَه على العساكرِ التي قد جهَّزها إلى الديارِ المصريةِ وأنعمَ عليه بمائتي ألف دينارٍ وأضاف إليه من الأمراءِ الأغنياءِ جماعةً ، كلٌّ منهم يَتَتَبَعُ بمسيره ذلك رضا الرَّحمنِ ، وكان في جملَتهم ابنُ أخيه صلاح الدين يوسفُ بنُ أيُّوبَ بنِ شاذي ، ولم يكنْ مُنْشَرِحاً لخروجه هذا ، بل كان كارهاً له ، وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وأضاف إليه ستَّةَ آلافٍ من الثُّرُكُمانيِّ ، وسار هو وإيَّاه من حَلَبَ إلى دِمَشقَ ، ثم جهَّزه إلى الديارِ المصريةِ بمن معه ، ولما وصلتِ الجيوشُ الثُّورِيَّةُ إلى الديارِ المصريةِ وجدوا الفرنجَ قد أنشَمَرُوا عن القاهرةِ راجعين إلى بلادهم بالصفقةِ الخاسرةِ ، وكان وصولُهُ إليها في سابعِ ربيعِ الآخرِ ، فدخلَ الأميرُ أسد الدين على العاظِدِ في ذلك اليومِ ، وخلعَ عليه خِلْعَةً سَيِّئَةً فَلَبِسَهَا ،

(١) بعده في خ ، م : « بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئا من الزاد ثم ركب وقت طلوع الشمس » .

(٢) بعده في خ ، م : « ويقال إن هذا لم يتفق لغيره إلا للصحابه » .

وعاد إلى مُخَيِّمِهِ بظَاهِرِ الْبَلَدِ ، وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِقُدُومِهِ إِلَيْهِمْ ، وَأُجْرِيَتْ عَلَيْهِمُ الْخِيَرَاتُ ، وَحُمِلَتْ إِلَيْهِمُ التَّخَفُّ وَالْكَرَامَاتُ ، وَخَرَجَتْ وَجُوهُ النَّاسِ إِلَى مُخَيِّمِ أَسَدِ الدِّينِ خِدْمَةً لَهُ ، وَكَانَ فَيَمَنْ جَاءَ إِلَيْهِ الْمُخَيِّمُ الْخَلِيفَةُ الْعَاضِدُ مُتَنَكِّرًا ، فَأَسْرَّ إِلَيْهِ أُمُورًا مِهْمَةً مِنْهَا قَتْلُ الْوَزِيرِ شَاوِرٍ ، وَقَرَّرَ مَعَهُ ذَلِكَ ، وَعَظَّمَ أَمْرَ الْأَمِيرِ أَسَدِ الدِّينِ بِمَصْرَ ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْوَزِيرُ شَاوِرٌ عَلَى مَنَعِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَكَثْرَةِ الْجَيْشِ الَّذِي مَعَ أَسَدِ الدِّينِ ، وَلَكِنْ شَرَعَ يُمَاطِلُ فِيمَا كَانَ تَقَرَّرَ لَهُمْ وَلِلْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ مِمَّا كَانُوا التَّرَمُّوا لَهُ وَلَهُمْ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَرَدَّدُ إِلَى الْأَمِيرِ أَسَدِ الدِّينِ وَيَرْكَبُ مَعَهُ ، وَعَزَمَ عَلَى عَمَلِ ضِيَاةٍ لَهُ ، فَتَهَاةٍ أَصْحَابُهُ عَنِ الْحُضُورِ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ غَائِلَتِهِ ، وَشَاوِرُوهُ فِي قَتْلِ شَاوِرٍ ، فَلَمْ يَمَكِّنْهُمْ الْأَمِيرُ أَسَدُ الدِّينِ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ [٢٥٧/٩ ظ] الْأَيَّامِ جَاءَ شَاوِرٌ إِلَى مَنْزِلِ الْأَمِيرِ أَسَدِ الدِّينِ ، فَوَجَدَهُ قَدْ ذَهَبَ لَزِيَارَةِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ ، وَإِذَا ابْنُ أَخِيهِ صَلاَحُ الدِّينِ هُنَالِكَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ صَلاَحُ الدِّينِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَمَكِّنْهُ قَتْلُهُ إِلَّا بَعْدَ مُشَاوَرَةِ عَمِّهِ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فَأَعْلَمُوا الْعَاضِدُ لَعَلَّهُ يَبْعَثُ يُنْقِذُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَمِيرِ أَسَدِ الدِّينِ يَطْلُبُ مِنْهُ رَأْسَهُ ، فَقَبِلَ شَاوِرٌ وَأَرْسَلُوا رَأْسَهُ إِلَى الْعَاضِدِ فِي سَابِغِ عَشْرِ رِبْعِ الْآخِرِ ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ الْأَمِيرُ أَسَدُ الدِّينِ بِنَهْبِ دَارِ شَاوِرٍ ، فَتَهَبَّتْ ، وَدَخَلَ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ عَلَى الْعَاضِدِ فَاسْتَوَزَرَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً عَظِيمَةً ، وَلَقَّبَهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورَ ، فَسَكَنَ دَارَ شَاوِرٍ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ هُنَالِكَ . " قَالَ ابْنُ أَبِي طَيٍّ : وَلَمَّا بَلَغَ نُورُ الدِّينِ خَبْرَ فَتْحِ مِصْرَ فَرِحَ بِذَلِكَ وَقَصَدَتْهُ الشَّعْرَاءُ بِالتَّهْنِئَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْشَرِّحْ لَكُونَ أَسَدِ الدِّينِ صَارَ وَزِيرًا ، وَكَذَلِكَ لَمَّا انْتَهَتْ الْوِزَارَةُ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ صَلاَحِ الدِّينِ وَشَرَعَ

(١ - ١) فِي خ ، م : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ » الْآيَةُ .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ خ ، م ، وَالْخَبَرُ فِي الرَّوَضَتَيْنِ ٤٣٧/١ .

فِي إِعْمَالِ الْحِيلَةِ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ فَلَمْ يَتِمَّكَزْ ، وَلَا قَدَرَ عَلَيْهِ ، وَلَا سِيَّمَا حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ صَلاَحَ الدِّينِ اسْتَحْوِذَ عَلَى خَزَائِنِ الْعَاضِدِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَرْسَلَ أَسَدُ الدِّينِ إِلَى الْقَصْرِ يَطْلُبُ كَاتِبًا ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ بِالْقَاضِي الْفَاضِلِ ، رَجَاءً أَنْ « يَقْبَلَ مِنْهُ إِذَا قَالَ ، وَأَفَاضَ »^(١) فِيمَا كَانُوا يُؤَمِّلُونَ ، وَبَعَثَ الْعُمَّالَ فِي الْأَعْمَالِ وَأَقْطَعَ الْإِقْطَاعَاتِ ، وَوَلَّى فِي الْوِلَايَاتِ ، وَفَرِحَ بِنَفْسِهِ أَيْامًا مَعْدُودَاتٍ ، فَأَذْرَكَ حِمَامَهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ^(٢) مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ شَهْرَيْنِ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا تُوَفَّى أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، أَشَارَ الْأُمَرَاءُ الشَّامِيُّونَ عَلَى الْعَاضِدِ بِتَوَلِيَةِ صَلاَحِ الدِّينِ يُوسُفَ الْوِزَارَةَ بَعْدَ عَمِّهِ ، فَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِّيَّةً ، وَلَقَّبَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرَ .

صِفَةُ الْخِلْعَةِ الَّتِي لَبَسَهَا صَلاَحُ الدِّينِ يَوْمَئِذٍ فِيمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ فِي « الرُّوضَتَيْنِ »^(٣) :

عِمَامَةٌ تَيْضَاءُ تَنْبُيْسِيَّةٌ^(٤) بِطَرَفٍ ذَهَبٍ ، وَثَوْبٌ دَيْبَقِيٌّ^(٥) بِطِرَازٍ ذَهَبٍ ، وَجُبَّةٌ بِطِرَازٍ ذَهَبٍ ، وَطَلِيسَانٌ بِطِرَازٍ مُذَهَّبَةٍ ، وَعَقْدٌ جَوْهَرٍ بَعِشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَسَيْفٌ مَحَلِّيٌّ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَحِجْرٌ^(٦) بِثَمَانِيَةِ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَعَلَيْهَا طَوْقٌ ذَهَبٍ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ ، ص : « يَقْتُلُ مَعَهُ إِذَا قَتَلَ » .

(٢) فِي خ : « الْأُولَى » .

(٣) الرُّوضَتَيْنِ ٤٣٩ / ١ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مَلَسَ » ، وَفِي ص : « بَيْسَى » ، وَتَنْبُيْسِي : نَسَبَةٌ إِلَى تَنْبُيْسَ ؛ جَزِيرَةٌ فِي بَحْرِ مِصْرَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْبَرِّ مَا بَيْنَ الْفَرَمَا وَدَمِيَاطٍ ، وَبِهَا تَعْمَلُ الثِّيَابَ الْمَلُونَةَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٨٨٢ / ١ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « دَيْسَعِي » . وَفِي خ ، م ، ص : « دَيْبَقِي » ، وَالْمَثْبُوتُ مِنَ الرُّوضَتَيْنِ ، وَالْدَيْبَقِيُّ نَسَبَةٌ إِلَى دَيْبَقٍ : بَلِيدَةٌ كَانَتْ بَيْنَ الْفَرَمَا وَتَنْبُيْسَ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ يَنْسَبُ إِلَيْهَا الثِّيَابُ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٥٤٨ / ٢ .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، خ ، ص : « حَجْرَةٌ » ، وَفِي م : « حَجْرَةٌ » . وَالْمَثْبُوتُ مِنَ الرُّوضَتَيْنِ . وَالْحَجَرُ : أَثْنَى الْخَيْلِ ، وَلَا يُقَالُ فِيهَا : حَجْرَةٌ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ح ج ر) .

وسرفسار^(١) ذهبٌ مُجَوَّهَرٌ، وفي رأسها مائتا حبةً جَوْهَرٍ، وفي قوائِمها أربعةٌ عقود جَوْهَرٍ، وفي رأسها قصبَةٌ ذهبٍ، وفي رأسها مشدَّةٌ^(٢) يَبْضَاءُ بأعلام بيضٍ، ومع الخِلْعَةِ عِدَّةٌ بُقَاجٍ^(٣)، وخيلٌ وأشياءٌ أُخَرُ، ومُنشُورُ الوزارة ملفوفٌ بثوبٍ أَطْلَسَ أبيضَ، وكان ذلك في يومِ الاثنينِ الخامسِ والعشرينِ مِن جُمادى الآخرةِ، مِن هذه السَّنَةِ، وكان يومًا مشهُودًا، وسارَ الجيشُ بِكَمالِهِ في خَدَمَتِهِ، ولم يتخلَّفَ عنه سِوَى عَيْنِ^(٤) الدولةِ الياروقِيِّ؛ قال^(٥): لا أَخْذُمُ يُوسُفَ بعدَ نُورِ الدينِ، ثم سارَ بِجَيْشِهِ إلى الشامِ، فلامَهُ نورُ الدينِ على ذلك، وأقامَ الملكُ صلاحَ الدينِ بِمَصْرَ بِصِفَةِ نائِبٍ لِلْمَلِكِ نُورِ الدينِ، يَخْطُبُ لَهُ على المنابرِ بالديارِ المِصْرِيَّةِ، ويَكاتِبُهُ الأميرُ نورُ الدينِ بِالْأَمِيرِ الْأَسْفَهْسَلارِ^(٦) صلاحِ الدينِ ويتَوَاضَعُ لَهُ صلاحُ الدينِ في الكُتُبِ والعلامَةِ، لِكِنْ قَدْ التَفَّتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ، [٢٥٨/٩] وَخَضَعَتْ لَهُ النَفُوسُ، وَاضْطُهِدَ الْعَاظِدُ فِي أَيَّامِهِ غَايَةَ الْأَضْطِهادِ، وَارْتَفَعَ قَدْرُ صلاحِ الدينِ بَيْنَ الْعِبَادِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ، وَزَادَ فِي إِقْطَاعَاتِ الَّذِينَ مَعَهُ فَأَحْبَبُوهُ وَاحْتَرَمُوهُ وَخَدَمُوهُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ نورُ الدينِ يَعْتَفُّهُ عَلَى قَبُولِ الْوِزَارَةِ بِدُونِ مَرْسُومِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَيِّمَ حِسَابَ الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ صلاحُ الدينِ إِلَى ذَلِكَ وَجَعَلَ نورُ الدينِ يَقُولُ فِي غُبُونِ ذَلِكَ: مَلِكُ ابْنِ أَيُّوبَ. وَأَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ نورِ الدينِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَهْلَهُ وَإِخْوَتَهُ وَقَرَابَتَهُ، فَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِ وَشَرَطَ عَلَيْهِمُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لَهُ، فَاسْتَقَرَّ أَمْرُهُ

(١) سرفسار: كلمة فارسية معناها: لجام الرأس «قاموس الفارسية»: ٣٥٨.

(٢) فِي الْأَصْلِ، خ، ص: «شدة»، وفي م: «تندة». والمثبت من مصدر التخريج.

(٣) البقج، جمع بقجة: فارسية معربة تعني صرة الملابس.

(٤) فِي الْأَصْلِ، خ، ص: «عز». وانظر الكامل ٣٤٤/١١.

(٥) الكامل ٣٤٤/١١.

(٦) الْأَسْفَهْسَلار: لقب من ألقاب أرباب السيوف، وكان في الدولة الفاطمية لقبًا على صاحب وظيفة تلى صاحب الباب، وهو مركب من لفظين؛ فارسي، وتركي، فأشْفَه بالفارسية، بمعنى المقدم، وسِلار بالتركية بمعنى العسكر، على أن الأمراء أعرضوا عن هذا اللقب عندما وجدوا العامة يطلقونه على بعض من يقف بباب السلطان من الأعوان. صبح الأعشى ٧/٦، ٨.

هنالك وحفظ دولته بذلك ، وكَمَلَ أمره وتمكَّن سلطانه وقويت أركانه .

وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لساور الوزير ^(١) :

هنيئًا لمِصْرَ حوزَ يوسفَ مُلكَها بأمرٍ منَ الرحمنِ كانَ موقُوتا
وما كانَ فيها قتلُ يوسفَ شاورًا يماثلُ إلّا قتلَ داودَ جالُوتا

قال أبو شامة ^(٢) : وقتل العاضد في هذه السنة أولادَ ساور ، وهم : سُجَاعُ الملقَّبُ بالكامل ، والطاري الملقَّبُ بالمُعْظَم ، وأخوهما الآخرُ الملقَّبُ بفارس المسلمين ، وطيفَ برؤوسهم ببلادِ مِصْرَ .

ذِكْرُ قَتْلِ الطَّوَّاشِيِّ مُؤْتَمَنِ الْخِلَافَةِ ،

وَأَصْحَابِهِ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ صِلَاحِ الدِّينِ

وذلك أنَّه كَتَبَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ بِمِصْرَ إِلَى الْفَرَنْجِ لِيَقْدَمُوا إِلَى الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا الْجِيوشَ الْإِسْلَامِيَّةَ الشَّامِيَّةَ وَالْعَسَاكِرَ الثُّورِيَّةَ ، وَكَانَ الَّذِي نَفَّذَ الْكِتَابَ إِلَيْهِمُ الْخَادِمُ مُؤْتَمِنُ الْخِلَافَةِ ، مُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ بِالْقَصْرِ ، وَكَانَ حَبِشِيًّا ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ مَعَ إِنْسَانٍ أَمِينٍ إِلَيْهِ ، فَصَادَفَهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَنْ أَنْكَرَ حَالَهُ ، فَحَمَلَهُ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ صِلَاحِ الدِّينِ ، فَقَرَّرَهُ ، فَأَخْرَجَ الْكِتَابَ ، فَفَهِمَ صِلَاحُ الدِّينِ الْحَالَ فَكَتَمَهُ ، وَاسْتَشْعَرَ مُؤْتَمِنُ الْخِلَافَةِ الْخَادِمُ أَنَّ الْمَلِكَ صِلَاحَ الدِّينِ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى الْأَمْرِ ، فَلَازَمَ الْقَصْرَ مَدَّةً طَوِيلَةً خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ عَنَّ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَنْ خَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ صِلَاحُ الدِّينِ إِلَيْهِ مَنْ قَبِضَ عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ وَحَمَلَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ

(١) البیتان فی کتاب الروضتین ٤٥٥/١ .

(٢) المصدر السابق .

عَزَلَ جميعَ الخُدَّامِ الذينَ يُلَوِّنَ خِدْمَةَ القَصْرِ ، واستنابَ على القَصْرِ عَوَضَهُمَ بهاءَ الدينِ قراقوشَ ، وأمرَه أنْ يُطالعه بجميعِ الأمورِ ، صغارِها وكبارِها .

وَفَقَّةُ السُّودَانِ^(١)

وذلكَ أَنَّهُ لما قُتِلَ الطَّوَّاشِيُّ^(٢) ، مؤمَنُ الخلافةِ الخادِمُ الحبشيُّ ، وعُزِلَ بَقِيَّةُ الخُدَّامِ ، غَضِبُوا لذلكَ واجتمعوا قريبا مِن خَمْسِينَ أَلْفًا ، فافتتلواهم وجيشُ الملكِ صلاحِ الدينِ بينَ القَصْرَيْنِ ، فقتلَ خلقٌ كثيرٌ مِنَ الفريقَيْنِ ، وكانَ العاضِدُ ينظرُ مِنَ القَصْرِ إلى المعرَكَةِ ، وقد قُذِفَ الجيشُ الشامِيُّ مِنَ القَصْرِ بِحِجَارَةٍ ، وجاءهمُ منه سِهَامٌ ، فقتلَ : كانَ ذلكَ بأمرِ العاضِدِ ، وقيلَ : لم يَكُنْ بأمرِه . ثم إنَّ أخا الناصرِ شمسَ الدولة ثورانِشاهَ^(٣) - وكانَ حاضِرًا للحَرْبِ قد بعثه نورُ الدينِ إلى أخيه لِيُشَدَّ أَرْزَه - أمرَ بِإحراقِ مَنظَرَةِ العاضِدِ ، ففتَحَ البابُ وتودى : إنَّ أَمِيرَ المؤمنينَ يَأْمُرُكم أنْ تُخْرِجُوا هؤلاءِ السُّودَانَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكم ، وَمِنْ بِلَادِكم ، فَقَوِيَ الشَّامِيُّونَ وَضَعُفَ جَاشُ السُّودَانِ جَدًّا ، وأرسلَ الملكُ الناصرُ [٢٥٨/٩ ط] إلى مِجَلَّتِيهِمُ المعزوفةِ بالمَنْصُورَةِ ، التي فيها دورُهم وأهلُهم بِيَابِ زَوِيلَةَ فَأَحْرَقَهَا ، فَوَلَّوْا عِنْدَ ذَلِكَ مُذْبِرِينَ ، وَرَكِبَهُمُ السَّيْفُ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، ثم طَلَبُوا الأمانَ مِنَ الملكِ صلاحِ الدينِ ، فَأَجابَهُمُ إلى ذلكَ ، وأخَرَجَهُمُ إلى الجِيزَةِ ، ثم خَرَجَ إِلَيْهِمُ شمسُ الدولة ثورانِشاهُ أَخو الملكِ صلاحِ الدينِ^(٤) فَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ أَيْضًا ،

(١) الروضتين ٤٥١/١ ، والكمال ٣٤٥/١١ .

(٢) الطواشي : جمعه طواشية ؛ وهم الخَصِيان الذين استخدموا في الطِياق المملوكة ، وفي الحريم السلطاني ، وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة ، وبعد شيخهم من أعيان الناس . المواعظ للمقريزي ٢١٩/٤ .

(٣) في خ ، م : « نورشاه » . وانظر الكمال ٣٤٧/١١ ، الروضتين ٤٥٢/١ .

(٤) بعده في الأصل ، ص : « الأكثر » .

ولم يَتَقَ منهم إِلَّا القليلُ ، ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ [النمل : ٥٢] .

وفيها^(١) افتتح الملك نور الدين بن محمود بن زنكي قلعة جعبر ، وانتزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك^(٢) بن علي^(٣) بن مالك^(٣) العقيلي ، وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه .

وفيها احترق جامع حلب فجده نور الدين .
وفيها^(٤) مات ياروق^(٤) الذي تُنسب إليه المحلة بظاهر حلب .

ومن تُوفى فيها من الأعيان :

سعد الله بن نصر بن سعيد ، الدجيجي ، أبو الحسن^(٥) ، الواعظ الحنبلي ،
وُلِدَ في سنة ثمانين وأربعمائة ، وسمع الحديث وتفقه ووعظ ، وكان لطيف
الوعظ ، وقد أثنى عليه ابن الجوزي في ذلك^(٦) ، وذكر أنه سُئِلَ مرّة عن أحاديث
الصفات ، فنهى عن التعرض لذلك ، وأنشد^(٦) :
أبي العاتب^(٧) الغضبان يا نفس أن يرضى وأنت^(٨) التي صيرت طاعته^(٨) فرضاً

(١) الكامل ٣٣٤ / ١١ .

(٢) في الأصل ، ص : « بلل » . وانظر الكامل ٣٣٤ / ١١ .

(٣ - ٣) سقط من : خ ، م ، وفي الأصل ، ص : « بن بلل » . والمثبت من الكامل ٣٣٤ / ١١ .

(٤ - ٤) في الأصل : « باب باروق » . وفي خ ، م ، ص : « مات ماروق » . والمثبت من الروضتين ٤٥٦ / ١ .

(٥) المنتظم ١٨ / ١٨٤ ، والتقيد لابن نقطة ٢٩٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ)

ص ١٩٠ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٣٠٢ / ١ ، والوافي بالوفيات ١٨٦ / ١٥ ، وغاية النهاية ٣٠٣ / ١ .

(٦) المنتظم ١٨ / ١٨٤ .

(٧) في الأصل ، م ، ص ، ومصدر التخريج : « الغائب » . والمثبت كما في ذيل طبقات الحنابلة ٣٠٤ / ١ .

(٨ - ٨) في الأصل : « الذي صبرت لطاعته » .

فلا تهْجُرِي مَنْ لَا تُطِيقِينَ هَجْرَهُ وَإِنْ هَمَّ بِالْهَجْرَانِ خَدَيْكَ وَالْأَرْضَا
وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ^(١) : خِفْتُ مَرَّةً مِنَ الْخَلِيفَةِ ، فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ
فِي الْمَنَامِ وَقَالَ : اكْتُبْ :

ادْفَعْ بِصَبْرِكَ حَادِثَ الْأَيَّامِ وَتَرَجَّ لُطْفَ الْوَاحِدِ الْعَلَّامِ
لَا تَيَأَسَنَّ وَإِنْ تَضَايَقَ كَرْبُهَا وَرَمَاكَ رَيْبُ صُرُوفِهَا بِسَهَامِ
فَلَهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فَرْجَةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَبْصَارِ ^(٢) وَالْأَوْهَامِ
كَمْ مِنْ نَجَا مِنْ بَيْنِ أَطْرَافِ الْقَتَا وَفَرِيسَةِ سَلَمَتْ مِنَ الصُّرُغَامِ

تُوفِّي فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ
رِبَاطِ الزُّوزَنِيِّ ^(٣) ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَقْبَرَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ .

شَاوِرُ ^(٤) بَنُ مُجِيرٍ ، أَبُو شُجَاعٍ السَّعْدِيُّ ، الْمَلَقُّبُ أَمِيرَ الْجِيُوشِ ، وَزِيرُ الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ أَيَّامَ الْعَاضِدِ ، وَهُوَ الَّذِي انْتَزَعَ الْوِزَارَةَ مِنْ يَدَيْ رُزَيْكٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ
اسْتَكْتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلَ ، اسْتَدْعَى بِهِ مِنْ إِسْكَنْدَرِيَّةَ مِنْ بَابِ السُّدْرَةِ ^(٥) ،
فَحَظِيَ عِنْدَهُ وَانْحَصَرَ مِنْهُ الْكُتَّابُ بِالْقَصْرِ ، لِمَا رَأَوْا مِنْ فَضْلِهِ وَفَضِيلَتِهِ . وَقَدْ
اِمْتَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ ؛ فَمِنْهُمْ عُمَارَةُ الْيَمْنِيُّ حَيْثُ يَقُولُ ^(٦) :

(١) المنتظم ١٨ / ١٨٤ .

(٢) فِي خ ، م : « الْأَنْهَامِ » .

(٣) فِي خ ، م : « الزُّورَى » .

(٤ - ٤) فِي خ ، م : « مُجِيرُ الدِّينِ » . وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي : الرُّوضَتَيْنِ ١ / ١٥٦ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢ / ٤٣٩ ،
وَسِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ ٢٠ / ٥١٤ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ١٩٢ ، وَالنَّجُومُ
الزَّاهِرَةُ ٥ / ٣٨٢ .

(٥) فِي الْأَصْلِ ، ص : « السُّورَةُ » .

(٦) الْبَيْتَانِ فِي : وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢ / ٤٤١ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ١٩٣ .

ضَجَرَ الحَديدُ مِنَ الحَديدِ وشَاوَرُ فى نَضَرِ دِينِ مُحَمَّدٍ لم يَضَجِرِ
حَلَفَ الزمانُ لِيَأْتِيَنَّ بِمِثْلِهِ حَنِثْتُ بِمِثْلِكَ يا زَمَانُ فَكَفَّرِ

ولم يَزَلْ أمرُهُ قائِمًا إلى أنْ ثارَ عليه الأميرُ ضِرْغامُ بْنُ سَوَّارٍ، فالتَجَأَ إلى الملكِ
نورِ الدينِ فَأرْسَلَ معه الأميرُ أَسَدَ الدينِ شِيرْكُوهُ فَتَصَرَّوه على عَدُوِّهِ، فنَكَثَ
عهدهُ، فلم يَزَلْ أَسَدُ الدينِ حَنِيقًا عليه حتى كان قَتْلُهُ فى هذه السَّنَةِ، على يَدَى
ابنِ أخيه صلاحِ الدينِ يوسفَ، ضَرَبَ عُنُقَهُ بِيَدَيْهِ الأميرُ جُرْودِيكُ^(١) فى السابعِ
عَشَرَ مِنْ ربيعِ الآخرِ، واستَوَزَرَ بعدهُ أَسَدُ الدينِ شِيرْكُوهُ كما ذَكَرْنَا، فلم تَطُلْ
مَدَّتُهُ بعدهُ إِلَّا شَهْرَيْنِ^(٢) وخمسةَ أَيامٍ.

قال ابنُ خُلْكانَ^(٣): هو أَبُو شُجاعٍ شَاوَرُ بْنُ مُجِيرِ الدينِ بْنِ زِيارِ بْنِ عِشائِرِ بْنِ
شَأْسِ بْنِ مُعِيْثِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الحارِثِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ يَحْصَنَ^(٤) بْنِ أَبِي ذُوَيْبِ عَبْدِ
اللَّهِ؛ وهو والدُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ. كذا قال، وفيما قالَ نَظَرُ لِقَصرِ هذا النَّسَبِ
بالنسبةِ إلى بُعْدِ المَدَّةِ، واللَّهُ أَعْلَمُ.

شِيرْكُوهُ بْنُ شاذى^(٥)، أَسَدُ الدينِ الكُرْدِيُّ الرَّوَادِي^(٦)، وهم أَشْرَفُ شُعوبِ

(١) فى خ، م: «جردتك».

(٢) فى الأصل، ص: «شهر». وسيأتى قريبًا فى ترجمته.

(٣) وفيات الأعيان ٤٣٩/٢.

(٤) فى الأصل: «شاور».

(٥) فى الأصل: «محسن»، وفى خ، م: «مخيس». وانظر وفيات الأعيان ٤٣٩/٢.

(٦) وفيات الأعيان ٤٧٩/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٨٧/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١

- ٥٧٠هـ) ص ١٩٤، والعبر ١٨٦/٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٥٢/٧.

(٧) فى الأصل: «الرزاري»، وفى خ، م: «الرزاري»، وفى ص: «الزورادى». والمثبت من مصادر
الترجمة.

الأكراد، وهو من قَزِيَّة [٢٥٩/٩] يقال لها: دُوَيْنُ^(١) من أعمالِ أَذْرِيجَانَ، خَدَمَ هو وأخوه نجم الدين أَيُّوب - وكان الأكبر - الأميرَ مُجَاهِدَ الدين يَهْرُوزَ الخَادِمَ شِخْنَةَ العراقِ، فاستناب نجم الدين أَيُّوبَ على قَلْعَةٍ تَكْرِيتَ، فاتفقَ أَنْ دَخَلَهَا الملكُ عمادُ الدين زَنْكِي هَارِبًا من قراجا السَّاقِي، فأحسنَّا إليه وخدمناه، ثم اتَّفَقَ أَنْ قَتَلَ^(٢) رجلًا من العامَّةِ في تَأْدِيبٍ، فأخْرَجَهُمَا يَهْرُوزُ من القلعة فصارا إلى زَنْكِي بِحَلَبَ، فأحسنَ إليهما، ثم حَظِيْنَا عِنْدَ وَلَدِهِ نُورِ الدين محمودٍ، فاستناب أَيُّوبَ على بَغْلَبَكْ^(٣)، وأقرَّه وَلَدُهُ نُورُ الدين، وصارَ أَسَدُ الدين عِنْدَ نُورِ الدين أكبرَ أُمَرَائِهِ، وأَخَصَّصَهُم عِنْدَهُ وكان قد أَقْطَعَهُ الرِّحْبَةَ وَحِمَصَ مع ما لَهُ عِنْدَهُ مِنَ الإِقْطَاعَاتِ، وذلك لشهامته وشجاعته وصرامته وجهاده في أعداءِ اللَّهِ الْفِرْنَجِ وغيرِهِم، في أيامِ مَعْدُودَاتٍ وَوَقَعَاتٍ مُعْتَبَرَاتٍ، ولا سِيَّما يومَ فَتْحِ دِمَشْقَ، وأعجبُ من ذلك ما فعله بديارِ مِصْرَ، بَلَّ اللَّهُ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهَ وجَعَلَ الجَنَّةَ مَأْوَاهَ.

كانت وفاته يومَ السَّبْتِ فجأةً بخائِثٍ حَصَلَ لَهُ، وذلك في الثَّانِي والعِشْرِينَ من جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ. قال أبو شامة^(٤): وإليه تُنسَبُ الحَافِيَاةُ الْأَسَدِيَّةُ داخلَ بابِ الجَايِيَةِ بِدَرْبِ الْهَاشِمِيِّينَ، والمدرسةُ الْأَسَدِيَّةُ بِالشَّرَفِ^(٥) الْقِبْلِيِّ. ثم آلَ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ صَلاحِ الدين يُوسُفَ، ثم اسْتَوْسَقَ لَهُ الْمُلْكُ وَأطاعته المَمَالِكُ هُنَالِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

(١) في الأصل: «دويب»، وفي خ، م: «درين»، ودوين: بلدة بطرف أذربيجان مما يلي بلاد الكرج. سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٨٨، وانظر معجم البلدان ٢/٦٣٣.

(٢) في الأصل، ص: «قتلا». وانظر الكامل ١١/٣٤١.

(٣) بعده في الأصل، ص: «زنكي».

(٤) الروضتين ١/٤٣٨.

(٥) في الأصل م، ص: «بالشرق».

محمَّد بنُ «عبد الباقي بن أحمد^(١) بن سلمان^(٢)»، المعروف بابن البُطِّي،
سمِعَ الحديثَ الكثيرَ، وأسمَعَ ورُجِّلَ إليه، وقاربَ التسعينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

محمَّد الفارِقِيُّ، أبو عبدِ اللَّهِ^(٣)، الواعِظُ، يقالُ: إنَّه كانَ يَحْفَظُ «نَهَجَ
البلاغةِ» وَيُعَيِّرُ^(٤) أَلْفَاظَهُ، وكانَ فصيحًا بليغًا يُكْتَبُ كلامُهُ ويُرَوَّى عنه كتابٌ
يعرفُ بـ «الحِكَمِ الفارِقِيَّةِ».

مَعْمَرُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ رَجاءٍ^(٥)، أبو أحمد^(٦) الأَصْبَهانيُّ، أحدُ الحَفَاطِ
الوَعَّاطِ، رَوَى عن أصحابِ أبي نُعَيْمٍ، وكانَتْ له معرفةٌ جيدةٌ بالحديثِ، تُوفِّيَ
وهو ذاهبٌ إلى الحجِّ بالباديةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١ - ١) في النسخ: «عبد الله بن عبد الواحد». وانظر ترجمته في: المنتظم ١٨/١٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٨١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٢٠٥، والوفاء بالوفيات ٣/٢٠٩، والنجوم الزاهرة ٥/٣٨٢.

(٢) في م: «سليمان».

(٣) المنتظم ١٨/١٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٥٠٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٢٠٨، والوفاء بالوفيات ٤/٤٤، وشذرات الذهب ٤/٢١٤.

(٤) في خ، م: «يعبر» والمثبت كما في المصادر.

(٥) في م: «رجار» وكذا في الكامل ١١/٣٤٩. وانظر ترجمته في: المنتظم ١٨/١٨٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٨٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٢١٣، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣١٩، والنجوم الزاهرة ٥/٣٨٢.

(٦) في الأصل، خ، ص: «محمد».

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

فى صفرٍ منها^(١) حاصرت الفرنجُ مدينةَ دِمياطَ من بلادِ مِصرَ خمسِينَ يوماً ، بحيثُ ضيقُوا على أهلِها ، وقتلُوا أُنماً كثيرةً ؛ جاءُوا إليها مِنَ البرِّ والبحرِ ؛ رجاءُ أَنْ يَمْلِكُوا الديارَ المِصريَّةَ ، وخَوْفاً مِنَ استيلاءِ المسلمينَ على القُدسِ ، فكتبَ الملكُ صلاحُ الدينِ إلى الملكِ نورِ الدينِ يَسْتَنْجِذُهُ عليهم ، ويطلبُ منه أَنْ يُرْسِلَ إليه بأمدادٍ مِنَ الجيوشِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ خَرَجَ مِنْ مِصرَ خلفَهُ أهلُها بسوءٍ ، وَإِنْ قَعَدَ عَنِ الْفَرَنْجِ أَخَذُوا دِمياطَ وجعلوها مَعْقِلاً لَهُمْ يَتَقَوَّونَ بِهَا على أَخَذِ مِصرَ ، فَأرْسَلَ إِلَيْهِ نورُ الدينِ بِعُوثٍ كثيرةٍ ، يُتَبَّعُ بَعْضُهَا بَعْضاً . ثم إِنَّ نورَ الدينِ اعْتَنَمَ غَيْبَةَ الْفَرَنْجِ عَنِ بِلادِهِمْ فَصَمَدَ إِلَيْهِمْ فى جُيوشٍ كثيرةٍ ، فجاسَ خِلالَ ديارِهِمْ ، وغَنِمَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وقتَلَ مِنْ رِجالِهِمْ ، وسَبَى مِنْ نِساءِهِمْ وأَطفالِهِمْ شيئاً كثيراً . وكانَ مِنْ جِملَةٍ مَنْ أُرْسِلَ إلى صلاحِ الدينِ أبوه الأميرُ نُجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ فى جيشٍ مِنْ تلكَ الجيوشِ ، ومعه [٢٥٩/٩ ظ] بَقِيَّةُ أولادِهِ ، فتلقاهُ الجيشُ مِنْ مِصرَ فى رَجَبٍ ، وخرَجَ العاضِدُ لتلقِيهِ إِكراماً لولَدِهِ صلاحِ الدينِ ، وأَقطَعَهُ الإسكَنْدَريَّةَ ودِمياطَ والبُخَيْرَةَ ، وكذلك بَقِيَّةَ أولادِهِ ، وقد أَمَدَّ العاضِدُ صلاحَ الدينِ فى هذهِ الكائِنَةِ بِألفِ ألفِ دينارٍ حَتَّى انْفَصَلَتِ الْفَرَنْجُ عَنِ دِمياطَ .

وأَجَلَتِ الْفَرَنْجُ عَنِ دِمياطَ ؛ لِأَنَّهُ بَلَغَهُمْ أَنَّ الملكَ نورَ الدينِ قد غَزَا بِلادَهُمْ ، وقتَلَ خَلْقاً مِنْ رِجالِهِمْ ، وسَبَى كثيراً مِنْ نِساءِهِمْ وأَطفالِهِمْ ، وغَنِمَ مالاً جَزيلاً مِنْ

(١) المنتظم ١٨/١٨٧ ، والكامل ١١/٣٥١ .

أموالهم ، فجزاه الله عن المسلمين خَيْرًا . ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرك^(١) ، فحاصرها - وكانت من أمتع البلاد - وكاد أن يفتحها ، ولكن بلغه أن مُقَدِّمَيْنِ مِنَ الفَرَنْجِ قد أَقْبَلَا نحو دِمَشْقَ ، فخاف أن يلتف عليهما الفرنجُ ، فترك الحصارَ وأقبل نحو دِمَشْقَ فحَصَّنَهَا ، ولما انجلتِ الفرنجُ عن دِمَاطَ فَرَحَ نور الدين والمسلمون فرحاً شديداً ، وأنشد الشعراء كلَّ منهم قصيداً ، وقد كان الملك نور الدين شديد الاهتمام ، قوَّى الاغْتِمَامَ بذلك ، حتى إنه قرأ عليه بعض طلبته الحديثَ جُزْءًا فيه حديثٌ مُسَلَّسٌ بِالتَّبَسُّمِ ، فطلب منه أن يتبسَّم ؛ ليتَّصَلَ التسلسلُ ، فامتنع من ذلك ، وقال^(٢) : إني لأستحيى من الله أن يرانى مُتَبَسِّمًا والمسلمون تحاصروهم الفرنجُ بثغر دِمَاطَ .

وقد ذكر الشيخ أبو شامة^(٣) أن إمامَ مسجد أبي الدرداء بالقلعة المنصورة رأى في تلك الليلة التي أجلي فيها الفرنجُ عن دِمَاطَ رسولَ الله ﷺ وهو يقول له : سلم على نور الدين ، وبشّره بأن الفرنجَ قد رحلوا عن دِمَاطَ . فقلت : يا رسول الله ، بأي علامة ؟ فقال : بعلامة ما سجدَ يومَ تل حارمٍ وقال في سجوده : اللهم انصُرْ دينك ،^(٤) ولا تنصُرْ محمودًا ، ومن هو محمودُ الكلبِ حتى يُنصَرَ ؟ فلما صلى نور الدين عنده الصبحَ بشّره بذلك وأعلمه بالعلامة ، وكشفوا تلك الليلة فإذا هي هي .

قال العماد الكاتب^(٥) : وفي هذه السنة عمّر الملك نور الدين جامع داريًا ،

(١) في م : « الكرخ » . والكرك : قلعة حصينة جدًا في طرف الشام من نواحي البلقاء . معجم البلدان ٤ / ٣٦٣ .

(٢) الروضتين ١ / ٤٥٩ .

(٣ - ٣) في النسخ : « ومن هو محمود الكلب » . والمثبت من الروضتين .

(٤) الروضتين ١ / ٤٦٣ .

وَعَمَّرَ مَشْهَدَ الشَّيْخِ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ بِهَا، وَشَتَّى بِدِمَشْقَ.

وفيهما حاصر نور الدين الكرك أربعة أيام، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين متوجهًا إلى ابنه بمصر، وقد وصاه الملك نور الدين أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب بمصر للخليفة المستنجد بالله العباسي، وذلك أن الخليفة بعث يُعائنه في ذلك.

وفيهما قديم الفرنج من السواحل؛ ليمنعوا الكرك مع قريب^(١) بن الرقيق وابن هَنْقَرِي^(٢)، وكانا أشجع فُزَّانِ الفرنج، فقصدَهما نور الدين ليلقاهما، فحاذَا عن طريقه.

وفيهما كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت أكثر الأرض، فتهدّمت أسوار كثيرة بالشام، وسقطت دور كثيرة على أهلها، ولا سيما بدمشق وحمص وحمّة وحلب وبعلبك؛ سقطت أسوارها وأكثر قلعتها، فجدد الملك نور الدين عمارة أكثر ما سقط بهذه الزلزلة.

وفيهما توفّي:

الملك قُطْبُ الدِّينِ مَوْدُودُ بْنُ زَنْكِي^(٣)، أخو نور الدين محمود صاحب الموصل، وله من العمر أربعون سنّة، ومدّة مُلكه منها إحدى وعشرون سنّة، وكان من خيار الملوك، مُحَبَّبًا إلى الرعيّة، عَطُوفًا عليهم، [٢٦٠/٩و] مُحْسِنًا

(١) في الأصل: «بيت»، وفي خ، م: «ثيب»، وفي ص: «ملتب». والمثبت من الكامل ٣٥٣/١١.

(٢) في الأصل، ص: «الليقرى»، وفي خ، م: «القنقري». والمثبت من الكامل ٣٥٣/١١.

(٣) الكامل ٣٥٥/١١، والروضتين ٤٧٢/١، ووفيات الأعيان ٣٠٢/٥، وسير أعلام النبلاء ٥٢١/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٣٩.

إليهم ، حسنَ الشكلِ . وتملَّكَ مِن بعده وَلَدُهُ سيفُ الدينِ غازى مِن السَّتِّ
خاثونَ بنتِ تَمُرَ تاشَ بنِ إيلغازى بنِ أَرْتُقْ أَصْحَابِ مارِدينَ ، وكان مُدَبِّرَ مملكتهِ
والمُتَحَكِّمِ فيها فَخَرُ الدينِ عبدُ المسيح ، وكان ظالماً غاشِماً .

وفيهما كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ ملوكِ الغربِ بجزيرةِ الأندلسِ ، وكذلك
كانتْ حروبٌ كثيرةٌ بينَ ملوكِ الشرقِ أيضًا .

وحجَّ بالناسِ فى هذه السنة ، والتى قبلها الأميرُ أَرْعَشُ الكبيرُ^(١) .

(١) بعده فى خ ، م : « ولم أرَ أحدًا من أكابر الأعيان توفى فيها » .

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

فيها^(١) كانت وفاة المستنجد^(٢) وخلافة ابنه المستضيء، وذلك أن الخليفة المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة، ثم عوفي فيما يبدو للناس، فعلمت ضيافة عظيمة بسبب ذلك، وفرح الناس بذلك، ثم أدخله الحكيم إلى الحمام وعنده ضعف شديد فمات في الحمام، رحمه الله. ويقال^(٣): إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب؛ استعجالاً لموته، وكانت وفاته يوم السبت بعد الظهر ثامن ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً، وكان من خيار الخلفاء وأعدلهم وأرفقهم بالرعايا، وضع عنهم المكوس والضرائب، ولم يترك بالعراق مكساً، وقد شفع بعض أصحابه في رجل شرير، وبذل فيه عشرة آلاف دينار، فقال له الخليفة^(٤): أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وأتبنى بمثله؛ لأريح المسلمين من شره.

وكان المستنجد أسمى، طويل اللحية، وهو الثاني والثلاثون من العباسيين، وذلك في الجمل لأم باء، ولهذا قال فيه بعض الأدباء^(٥):

(١) المنتظم ١٨/١٩٠، والكامل ١١/٣٦٠.

(٢) الإنشاء في تاريخ الخلفاء ص ٢٢٦، والمنتظم ١٨/١٩٠، والكامل ١١/٣٦٠، ومرآة الزمان ٨/١/٢٨٤، والروضتين ١/٤٨٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٢٥٥.

(٣) الكامل ١١/٣٦٠، ومرآة الزمان ٨/١/٢٨٥.

(٤) الكامل ١١/٣٦٢، ومرآة الزمان ٨/٢٨٤.

(٥) الروضتين ١/٤٨٤.

أَصْبَحَتْ لُبُّ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلِّهِمْ إِنَّ عُذْدَتَ بِحِسَابِ الْجُمْلِ^(١) الْخُلَفَا
وكان أَمَّارًا بالمعروفِ ، نَهَاءً عَنِ الْمُنْكَرِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ رَأَى^(٢) فِي مَنْامِهِ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَكَانَتْ آخِرُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلِيَّ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : « قُلِ : اللَّهُمَّ
اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ »^(٣) . دُعَاءُ الْقُنُوتِ بِتَمَامِهِ .
وَصُلِّيَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْأَحَدِ قَبْلَ الظَّهْرِ ، وَدُفِنَ بِدَارِ الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ نَقِلَ إِلَى الثَّرْبِ
مِنَ الرُّصَافَةِ .

خِلَافَةُ الْمُسْتَضَىءِ

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المُسْتَنْجِدِ بْنِ الْمُقْتَفَى ، وَأُمُّهُ أَرْمَنِيَّةٌ تُدْعَى
غَضَّةً ، وَكَانَ مَوْلَاهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . بُويعَ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ
مَاتَ أَبُوهُ وَخُبِسَ ، بُكْرَةً الْأَحَدِ تَاسِعِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ
أَحَدٌ اسْمُهُ الْحَسَنُ بَعْدَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ غَيْرُهُ هَذَا ، وَوَافَقَهُ فِي الْكُنْيَةِ أَيْضًا . وَخَلَعَ
يَوْمَئِذٍ عَلَى النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ خُلَعَةٍ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَوَلَّى قَضَاءَ قُضَاةِ
بَغْدَادَ لِرُوحِ ابْنِ الْحَدِيثِيِّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(٤) رَابِعِ عَشَرَ^(٥) رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَخَلَعَ عَلَى الْوَزِيرِ
خِلَعَةً عَظِيمَةً وَهُوَ الْأَسْتَاذُ عَضُدُ الدِّينِ . وَضُرِبَتْ عَلَى بَابِهِ نُوبَةٌ فِي ثَلَاثَةِ أَوْقَاتٍ ؛
الْفَجْرِ وَالْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ ، وَأَمَرَ سَبْعَةَ عَشَرَ أَمِيرًا مِنَ الْمَمَالِيكِ ، وَأَذِنَ لِلْوَعَّائِظِ

(١) حساب الجمل : ضرب من الحساب يُجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلى الألف . انظر الوسيط (أبجد) ، (ج م ل) .

(٢) المنتظم ١٨ / ١٣٣ .

(٣) جزء من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه ، أخرجه أبو داود (٤٦٤) ، والترمذي (٤٦٤) ، والنسائي (١٧٤٤) ، وابن ماجه (١٧٨) ، وأحمد (١٧١٨) . صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٢٦٣) .

(٤ - ٥) في الأصل ، خ ، م : « حادى وعشرين » ، وفي ص : « حادى عشر » . والمثبت من المنتظم ١٨ / ١٩١ .

فتكلموا بعدما كانوا قد مُنعوا مدةً طويلةً ، ثم كَثُرَ احتِجَائُهُ بعدَ ذلك . ومَّا نظَّمه
العمادُ الكاتبُ ^(١) [٢٦٠/٩ ظ] حينَ جاءَتْهُمُ البِشَارَةُ بخِلافةِ المستضىءِ وهم بأرضِ
الموصلِ :

قد أَضَاءَ الزمانُ بالمستضى
وارِثِ البُرْدِ وابنِ عمِّ النبی
جاءَ بالحقِّ والشریعةِ والعَدُ
لِ فیا مَرَحَبًا بهذا الجبِّ
فهنيئًا لأهلِ بَغْدَادَ فازُوا
بعدَ بُؤْسِ بکلِّ عیشِ هَنی
ومُضیَّ إنْ کَانَ فی الزمنِ المظَّ
لِمِ فالعُودُ فی الزمانِ المُضیَّ

وفیها ^(٢) سارَ الملُکُ نورُ الدینِ محمودُ بنُ زَنکِی إلى الرِّقَّةِ فأخذَهَا ، وَكَذلکَ
نَصِيبِینَ والخابورِ وَسِنْجَارَ ، وَسَلَّمَهَا إلى زَوْجِ ابْنَتِهِ ابنِ أُخِيهِ عمادِ الدینِ زَنکِی بنِ
مَوْدُودٍ ، ثم سارَ إلى المَوْصِلِ فأقامَ بها أربعةً وعشرینَ یومًا ، وأقرَّهَا على ابنِ أُخِيهِ
سَیْفِ الدینِ غازی بنِ قُطْبِ الدینِ مَوْدُودٍ ، معَ الجزیرةِ ، وزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ
الأُخْرَى ، وأَمَرَ بعمارةِ جامعِهَا وتوسِيعَتِهِ ، ووقَّفَ على تَأسیسِهِ بِنَفْسِهِ ، وجَعَلَ لَهُ
خَطِيبًا ودرِّسًا لِلْفِقْهِ ، وولَّى التدریسَ لِلْفَقِیهِ أبی بَكْرٍ النَّوْقَانِیَّ ، تلمیذَ مُحَمَّدِ بنِ
یحییَ تلمیذِ الغَزَّالِیِّ ، وکَتَبَ لَهُ منشورًا بِذلکَ ، ووقَّفَ على الجامعِ قَرْیَةً مِن قُرَى
المَوْصِلِ ، وَذلکَ کُلُّهُ بِإِشارةِ الشیخِ الصالحِ العابدِ عمرَ المَلَّاءِ ^(٣) ، وقد کانتَ لَهُ
زاوِیةٌ یُقَصَّدُ فیها ، وله فی کُلِّ سَنَةٍ دَعْوَةٌ فی شهرِ المَوْلِدِ ، یحْضُرُ عِنْدَهُ المُلُوکُ
والأُمَرَاءُ والعلماءُ والوزراءُ ، ویحتفلُ بِذلکَ ، وقد کانَ الملُکُ نورُ الدینِ صَاحِبَهُ ،
وَکانَ یُسْتَشِیرُهُ فی أُمُورِهِ ، وما یَعْتَمِدُهُ فی المِهُمَّاتِ وَهُوَ الذی أشارَ علیه فی مدَّةِ

(١) الروضتین ١/ ٤٨٥ .

(٢) الروضتین ١/ ٤٧٦ .

(٣) سُمی بِذلکَ ؛ لِأنَّهُ کانَ یملأُ تنانیرَ الحصنِ بأجرةِ یَتَقَوَّتُ بِهَا . الروضتین ١/ ٤٨٠ .

مُقامِهِ بِالْمَوْصِلِ بِجَمِيعِ مَا فَعَلَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ ، فَلِهَذَا حَصَلَ بِقُدُومِهِ كُلُّ مَسْرُوعَةٍ ،
وَانْدَفَعَتْ عَنْهُمْ الْمَصَائِبُ ، وَأَسْقَطَ عَنْهُمْ الْمَكُوسَ وَالضَّرَائِبَ ، وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ
أَهْلِهَا الظَّالِمَ الْغَاشِمَ عَبْدَ الْمَسِيحِ ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ ،
فَأَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا حَسَنًا ، فَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا .

وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَسِيحِ هَذَا نَضْرَانِيًّا ، فَأُظْهِرَ الْإِسْلَامَ ، وَكَانَ يُقَالُ ^(١) : إِنَّ لَهُ
كَنِيسَةً فِي جَوْفِ دَارِهِ . وَكَانَ سَيِّئَ السَّيْرِ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ وَخَاصَّةِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَلَمَّا دَخَلَ نُوْرُ الدِّينِ الْمَوْصِلَ كَانَ الَّذِي اسْتَأْمَنَ لَهُ الشَّيْخُ عَمْرُ الْمَلَاءِ ^(٢) ، وَحِينَ
دَخَلَ نُوْرُ الدِّينِ عَلَى الْمَوْصِلِ خَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَكْرَمَهُ وَأَحْسَنَ
إِلَيْهِ ، وَأَلْبَسَهُ خِلْعَةً جَاءَتْهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ ، فَدَخَلَ بِهَا إِلَى الْبَلَدِ فِي أُبْهَةِ عَظِيمَةٍ ، وَلَمْ
يَدْخُلْ نُوْرُ الدِّينِ الْمَوْصِلَ حَتَّى قَوِيَ الشَّتَاءُ ، فَأَقَامَ بِهَا ، كَمَا ذَكَرْنَا ، أَرْبَعَةَ
وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، فَلَمَّا كَانَتْ آخِرُ لَيْلَةٍ أَقَامَ بِهَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ يَقُولُ
لَهُ ^(٣) : « طَابَتْ لَكَ بِلْدُكَ وَتَرَكْتَ الْجِهَادَ وَقِتَالَ أَعْدَاءِ اللَّهِ ! » . فَتَهَضَّ مِنْ فَوْرِهِ
إِلَى الشَّفْرِ ، وَمَا أَصْبَحَ إِلَّا وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَقْضَى الشَّيْخُ شَرْفَ الدِّينِ بْنِ
أَبِي عَصْرُونَ ، وَكَانَ مَعَهُ عَلَى سِنَجَارَ وَنَصِييْنٍ وَالْخَابُورِ ، فَاسْتَنَابَ بِهَا ابْنُ أَبِي
عَصْرُونَ نُوَابًا وَأَصْحَابًا .

وَفِيهَا عَزَلَ الْمَلِكُ صِلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ قِضَاءَ مِصْرَ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا شِيعَةً ، وَوَلَّى
قِضَاءَ الْقِضَاءِ بِهَا لَصَدْرَ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دِرْبَاسِ الْمَارَانِيِّ ^(٣) الشَّافِعِيَّ ، وَاسْتَنَابَ

(١) الروضتين ١ / ٤٨١ .

(٢) الروضتين ١ / ٤٨٣ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ص : « الْمَارَانِي » ، وَفِي خ ، م : « الْمَارَدَانِي » . وَالثَّبْتُ مِنْ سِيرِ أَعْلَامِ الْبُلَاءِ ٢١ / ٤٧٥ .
وَالْمَارَانِي : بَفَتْحِ الْمِيمِ ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ رَاءَ مَفْتُوحَةٍ ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ الثَّانِيَةِ نُونٌ ، هَذِهِ نَسْبَةٌ إِلَى بَنِي مَارَانَ بِالْمَرْجِ
تَحْتَ الْمَوْصِلِ . وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٣ / ٢٤٣ .

فى سائر الأعمال الشافعية، وبنى مدرسة للشافعية، وأخرى للمالكية. واشترى ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه داراً كانت تُعرف بمنازل العز، وجعلها مدرسة [٢٦١/٩] للشافعية، وأوقف عليها الروضة وغيرها.

وعمر الملك صلاح الدين أسوار البلد، وكذلك أسوار إسكندرية، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً. وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وعزة، وخرب قلعة كانت لهم على أيلة، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم. وتلقى أهله وهم واردون من الشام، واجتمع شمله بهم بعد فزوة طويلة. وفيها قطع صلاح الدين الأذان بـ «حى على خير العمل» من ديار مصر كلها، وشرع فى تمهيد الخطبة لبنى العباس على المنابر.

ومن توفى فيها من الأعيان :

طاهر بن محمد بن طاهر، أبو زُرعة المقدسي الأصل، الرازي المولد، الهمداني الدار^(١)، وُلد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وأسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكبير، ومما كان يزويه «مُسند الشافعي»، وكانت وفاته بهمدان يوم الأربعاء، سابع ربيع الآخر، وقد قارب التسعين.

يوسف القاضي^(٢)، أبو الحجاج بن الحلال، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وهو شيخ القاضي الفاضل فى هذا الفن، اشتغل عليه فيه، وبرع حتى قُدِّر أنه صار مكانه حين ضعف الشيخ عن القيام بأعباء الوظيفة لكبره، فكان

(١) سير أعلام النبلاء ٥٠٣/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٢٤٦، والوفى بالوفيات ٤٠٦/١٦، ومرآة الجنان ٣٧٨/٣، وشذرات الذهب ٢١٧/٤.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ٢٣٥/١، والكامل ٣٦٦/١١، ووفيات الأعيان ٢١٩/٧، وسير أعلام النبلاء ٥٠٥/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٢٦١.

القاضي الفاضل يقوم به وبأهله حتى مات ، ثم كان كثير الإحسان إلى أهله ،
رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

يُوسُفُ الخليفةُ المُسْتَجِدُّ بِاللَّهِ بْنِ الْمُقْتَضَى بْنِ المُسْتَظْهَرِ ، تقدَّم ذكر وفاته
وترجمته في الحوادث ، وقد تُوفِّي بعده عمُّه أَبُو نَصْرِ بْنِ المُسْتَظْهَرِ بِأَشْهَرٍ ، ولم
يَبْقَ بعده أحدٌ من ولدِ المُسْتَظْهَرِ ، وكانت وفاته يومَ الثلاثاءِ الثَّامِنِ والعِشْرِينَ مِنْ
ذِي القَعْدَةِ .

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

فيها^(١) كانت وفاة العاضد. في أول جمعة منها أمر الملك صلاح الدين بإقامة الخطبة لبنى العباس بمصر،^(٢) وفي الجمعة الثانية بالقاهرة^(٣)، وكان ذلك يوماً مشهوداً، ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين بالشام أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك مع ابن أبي غصرون وهو شهاب الدين أبو المعالي المطهر^(٤)، فزيّنت بغداد، وغُلقت الأسواق، وعُمِلت القباب، وفرح المسلمون فرحاً شديداً، وكانت الخطبة قد قُطعت من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسي، حين تغلب الفاطميون عليها أيام المعز الفاطمي، باني القاهرة، إلى هذا الأوان، وذلك مائتا سنة وثمانين سنين. قال ابن الجوزي^(٥): وقد ألفت في ذلك كتاباً سمّيته: «النصر على مصر».

مؤت العاضد آخر خلفاء العبديين

والعاضد في اللغة القاطع: «لَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا»^(٥) فيه قُطعت دولتهم،

(١) المنتظم ١٩٦/٨، والكامل ٣٦٨/١١.

(٢ - ٢) في خ، م: «وأعمالها في الجمعة الثانية».

(٣) سقط من: خ، م، وفي الأصل، ص: «المظفر». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣٦. وانظر الروضتين ١/٥٠٢.

(٤) المنتظم ١٩٦/١٨.

(٥) جزء من حديث في حرمة مكة تقدم في ٥٧٩/٦.

واسمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَيُكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ بْنُ يُوسُفَ الحَافِظِ ^(١) بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ
ابْنِ الظَّاهِرِ بْنِ ^(٢) الْحَاكِمِ بْنِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُعِزِّ بْنِ الْمُتَّصِرِ ^(٣) بْنِ الْقَائِمِ ^(٤) بْنِ الْمُهْدِيِّ أَوَّلِ
مُلُوكِهِمْ ، كَانَ مَوْلَدُ الْعَاضِدِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، فَعَاشَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ
سَنَةً ، وَكَانَتْ سِيرَتُهُ مَذْمُومَةً ، وَكَانَ شَيْعِيًّا خَبِيثًا [٢٦١/٩ ظ] ، لَوْ أَمْكَنَهُ قَتْلُ كُلِّ
مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ رَسَمَ
بِالْخُطْبَةِ لِبْنِي الْعَبَّاسِ عَنْ مَوْسُومِ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ لَهُ بِذَلِكَ ؛ لِمُعَاتِبَةِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْجِدِ
إِيَّاهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ ^(٥) ، وَكَانَ الْمُسْتَنْجِدُ إِذْ ذَاكَ مُدْنِفًا مَرِيضًا ، فَلَمَّا مَاتَ تَوَلَّى بَعْدَهُ
وَلَدُهُ ، فَكَانَتْ الْخُطْبَةُ بِمَصْرَ لَهُ ، ثُمَّ إِنَّ الْعَاضِدَ مَرِضٌ ^(٦) ، فَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ
عَاشُورَاءَ ، فَحَضَرَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ جِنَازَتَهُ ، وَشَهِدَ عَزَاءَهُ ، وَبَكَى عَلَيْهِ
وَتَأَسَّفَ ، وَظَهَرَ مِنْهُ حُزْنٌ ، وَقَدْ كَانَ مُطِيعًا لَهُ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ ، وَكَانَ الْعَاضِدُ كَرِيمًا
جَوَادًا مُمْدِّحًا ، سَامَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَلَمَّا مَاتَ اسْتَحْوِذَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى
الْقَصْرِ بِمَا فِيهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ أَهْلَ الْعَاضِدِ إِلَى دَارٍ أَفْرَدَهَا لَهُمْ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ
النَّفَقَاتِ وَالْأَرْزَاقَ الْهَنِيئَةَ ، وَالْعَيْشَةَ الرِّضِيَّةَ ، عَوَضًا عَمَّا فَاتَهُمْ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَكَانَ
يَتَنَدَّمُ عَلَى إِقَامَةِ الْخُطْبَةِ لِبْنِي الْعَبَّاسِ بِمَصْرَ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، وَهَلَّا صَبَرَ بِهَا إِلَى بَعْدِ تَمَاتِهِ ،
وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ قَدَرًا مَقْدُورًا ، وَفِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ، وَمِمَّا نَظَّمَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ
فِي ذَلِكَ ^(٧) :

تُوفِّيَ الْعَاضِدُ الدَّعِيُّ فَمَا يَفْتَحُ ذُو بِدْعَةٍ بِمَصْرَ فَمَا

(١ - ١) فِي خ ، م : « بِنِ الْمُسْتَنْصِرِ بِنِ الْحَاكِمِ » ، وَفِي الْأَصْلُ : « مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ » . وَانْظُرْ وَفِيَاتِ
الْأَعْيَانِ ١٠٩/٣ .

(٢ - ٢) فِي خ ، م : « أَبِي الْغَنَائِمِ » .

(٣ - ٣) فِي الْأَصْلُ ، ص : « وَكَانَ إِذْ ذَاكَ الْعَاضِدُ مَرِيضًا مَدْنِفًا » .

(٤) الرُّوسَتَيْنِ ١/ ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

وَعَصُرُ فِرْعَوْنِهَا انْقَضَى وَعَدَا
 (١) «وَانْطَفَأَتْ» جَمْرَةُ الْغَوَاةِ وَقَدْ
 وَصَرَ شَمْلُ الصَّلَاحِ مُلْتَمِعًا
 لَمَّا غَدَا مُغْلَنًا (٢) شِعَارُ بَنَى آلِ
 وَبَاتِ دَاعِي التَّوْحِيدِ مُنْتَصِرًا (٣)
 وَظَلَّ أَهْلُ الضَّلَالِ فِي ظُلَلٍ
 (٤) «وَارْتَبَكَ» الْجَاهِلُونَ فِي ظُلَمٍ
 وَعَادَ بِالْمُسْتَضِئِ مُتَهَدًا (٥)
 وَاعْتَلَّتِ (٦) الدَّوْلَةُ الَّتِي اضْطَهَدَتْ
 وَاهْتَزَّتْ عِطْفُ الْإِسْلَامِ مِنْ جَذَلٍ (٧)
 وَاسْتَبْشَرْتُ أَوْجُهُ (٨) الْهُدَى فَرَحًا
 عَادَ حَرِيمُ الْأَعْدَاءِ مُنْتَهَكَ آلِ
 قُصُورِ أَهْلِ الْقُصُورِ أَخْرَبَهَا

يُوسُفُهَا فِي الْأُمُورِ مُخْتَكِمًا
 بَاخَ (٩) مِنَ الشُّرُوكِ كُلِّ مَا اضْطَرَّ مَا
 بِهَا وَعِقْدُ السَّدَادِ مُنْتَظِمًا
 عَبَّاسٍ حَقًّا وَالْبَاطِلُ اكْتَتَمَا
 وَمِنْ دُعَاةِ الْإِشْرَاقِ مُنْتَقِمًا
 دَاجِيَةً مِنْ غِيَابَةٍ (١٠) وَعَمَى
 لَمَّا أَضَاءَتْ مَنَابِرُ الْعُلَمَا
 بِنَاءٍ حَقٌّ قَدْ كَانَ مُنْهَدِمًا
 وَانْتَصَرَ الدِّينُ بَعْدَمَا اهْتَضِمَا
 وَافْتَرَّ ثَغَرُ الْإِسْلَامِ وَابْتَسَمَا
 فَلْيَقْرِعِ الْكُفْرُ سِنَّهُ نَدَمًا
 حِجْمَى وَفِيءُ الطُّغَاةِ مُقْتَسَمًا
 عَامِرُ بَيْتٍ مِنَ الْكَمَالِ سَمَا

(١ - ١) فِي خ: «بَلِغَتْ»، وَفِي م: «قَدْ طَفِقَتْ».

(٢) فِي خ، م: «دَاخَ» وَبَاخَ: مِنْ بَاخَتِ النَّارَ: إِذَا سَكَتَ. اللَّسَانُ (ب وَ خ).

(٣) فِي الْأَصْل: «مَعْلَمًا»، وَفِي م: «مَشْعَرًا».

(٤) فِي م: «مَنْتَظَرًا».

(٥) فِي الْأَصْل، وَفِي م: «غِيَاثُهُ»، وَفِي ص: «عَنَابُهُ». وَالثَّبِتُ مِنْ خ، وَالرُّوَضَتَيْنِ.

(٦ - ٦) فِي الْأَصْل: «وَارْتَكَبَ»، وَفِي خ، م: «وَارْتَكَسَ».

(٧) فِي خ، م: «مَعْتَلِيَا».

(٨) فِي الْأَصْل: «وَاعْلَتْ»، وَفِي خ، م: «أَعِيدَتْ».

(٩) فِي خ، م: «جَلَلٌ».

(١٠) فِي الْأَصْل: «أَوْبَهُ»، وَفِي ص «وَجُوه».

أَزْعَجَ بَعْدَ الشُّكُونِ سَاكِئَهَا وَمَاتَ دُلًّا وَأَنْفَهُ رَغَمًا
وَمَّا قِيلَ مِنَ الشُّعْرِ بِيَغْدَادَ يُبَشِّرُ بِهِ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَضَيُّ بِأَمْرِ اللَّهِ بِالْخُطْبَةِ لَهُ
بِمَضَرَ^(١):

لِيَهْنِكَ يَا مَوْلَايَ فَتَنْحَ تَتَابَعَتْ إِلَيْكَ بِهِ خَوْصُ^(٢) الرُّكَّائِبِ تُوجِفُ
أَخَذْتَ بِهِ مِضْرًا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا مِنَ الشُّرُكِ بِأَسْ^(٣) فِي لَهَى الْحَقِّ يُقَذِّفُ
فَعَادَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ بِاسْمِ إِمَامِنَا تَتِيَهُ عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ وَتَشْرُفُ
وَلَا غَرَوُ أَنْ ذَلَّتْ لِيُوسُفَ مِضْرُهُ وَكَانَتْ إِلَى عَلِيَّائِهِ تَتَشَوَّفُ
تَمْلِكُهَا مِنْ قَبْضَةِ الْكُفْرِ يُوسُفُ وَخَلَصَهَا مِنْ غُصْبَةِ الرَّفْضِ يُوسُفُ
يُشَابِهُهُ خَلْقًا وَخُلُقًا وَعِفَّةً وَكُلٌّ عَنِ الرَّحْمَنِ فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُ
كَشَفَتْ بِهَا عَنِ آلِ هَاشِمٍ سُبَّةً وَعَارًا أَبَى إِلَّا بِسَيْفِكَ يُكْشَفُ

وقد ذكرها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين^(٤)، وهي أطول من
هذه، وذكر^(٥) أَنَّ أبا الفضائل الحسين بن محمد بن ثركان^(٦) حاجب^(٧) ابن
هُبَيْرَةَ أَنشَدَهَا [٢٦٢/٩] لِلْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْجِدِ قَبْلَ مَوْتِهِ عِنْدَ تَأْوِيلِ مَنَامٍ رَأَاهُ بَعْضُ
النَّاسِ لِلْخَلِيفَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَأَرَادَ بِيُوسُفَ الثَّانِي الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَنْجِدَ، وَهَكَذَا
ذَكَرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي حَيَاةِ الْمُسْتَنْجِدِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ^(٨) وَغَيْرُهُ، وَلَمْ يَخْطُبْ إِلَّا

(١) الروضتين ٥٠١/١.

(٢) فِي الْأَصْل: «قَوْص»، وَفِي خ، م: «خَوْص». وَانْظُرِ الرَّوْضَتَيْنِ ٥٠١/١.

(٣) فِي م: «يَأْس».

(٤) الروضتين ٥٠١/١.

(٥) الروضتين ٥٠٠/١.

(٦) فِي النِّسْخ: «بِرَكَات». وَالمُثَبِّت مِنْ مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ.

(٧) فِي النِّسْخ: «وَزِير». وَالمُثَبِّت مِنْ مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ.

(٨) الْمُتَنَظَّم ١٦٠/١٨.

لَوْلِدِهِ الْمُسْتَضَىءَ ، فَجَرَى الْمَقَالُ بِاسْمِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَضَىءُ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ خِلْعَةً سَنِّيَّةً سَنِّيَّةً ، وَكَذَلِكَ لِلْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ إِلَى الدِّيارِ الْمَصْرِئَةِ وَمَعَهَا أَعْلَامُ سُودَ ، وَلِوَاءُ مَعْقُودَ ، فَفُرِّقَتْ عَلَى الْجَوَامِعِ بِالشَّامِ وَبِلَادِ مَصْرَ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى مَا مَنَحَ مِنَ الْعِزِّ وَالتَّصَرُّفِ . قَالَ ابْنُ أَبِي طَيٍّ ^(١) فِي « كِتَابِهِ » : وَلَمَّا تَفَرَّغَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنْ تَوْطِيدِ الْمَمْلَكَةِ وَإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالتَّعْزِيَةِ بَانْقِصَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ الرَّاعِمَةِ أَنَّهَا فَاطِمِيَّةٌ ، اسْتَعْرَضَ حَوَاصِلَ الْقَصْرِينِ ، فَوَجَدَ فِيهِمَا مِنَ الْحَوَاصِلِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْآلَاتِ وَالثِّيَابِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَفَارِشِ شَيْئًا بَاهِرًا ، وَأَمْرًا هَائِلًا ، فَمِنْ ذَلِكَ سَبْعُمِائَةِ يَتِيمَةٍ مِنَ الْجَوَاهِرِ ، وَقَضِيبُ زُمُرْدٍ طَوْلُهُ أَكْثَرُ مِنْ شِبْرِ وَشُمُكُهُ نَحْوُ الْإِنْهَامِ ، وَحَبْلٌ مِنَ يَاقُوتَ ، وَوُجِدَ فِيهِ إِبْرِيْقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْحَجَرِ الْمَانِعِ ، وَطَبْلٌ لِلْقَوْلَنْجِ ^(٢) إِذَا ضَرَبَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَحْضُلُ لَهُ خُرُوجُ رِيحٍ مِنْ دُبُرِهِ ، يَنْصَرِفُ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْقَوْلَنْجِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ أَمْرَاءِ الْأَكْرَادِ أَخَذَهُ فِي يَدِهِ ، وَلَمْ يَذَرِ مَا شَأْنُهُ ، فَلَمَّا ضَرَبَ عَلَيْهِ حَتَقَ ^(٣) فَالْقَاهُ مِنْ يَدِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَكَسَرَهُ فَبَطَلَ أَمْرُهُ . وَأَمَّا الْقَضِيبُ فَإِنَّ السُّلْطَانَ كَسَرَهُ ثَلَاثَ فَلَقٍ فَقَسَمَهُ بَيْنَ نِسَائِهِ ، ^(٤) وَقَسَمَ بَيْنَ الْأَمْرَاءِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ قِطْعِ الْبَلْخَشِ ^(٥) وَالْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ وَالْأَثَاثِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَاسْتَمَرَ الْبَيْعُ فِيمَا كَانَ هُنَالِكَ مِنَ الْأَثَاثِ وَالْأَمْتَعَةِ نَحْوًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى

(١) الروضتين ٥٠٦/١ .

(٢) القولنج : مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح ؛ وسببه التهاب القولون . الوسيط (ق و ل) .

(٣) حَتَقَ : أَيْ أَخْرَجَ رِيحَ الْحَدَثِ . الوسيط (ح ب ق) .

(٤ - ٤) فِي الْأَصْلِ ، ص : « وَقَطَعَ مِنْ » . وانظر الروضتين ٥٠٧/١ .

(٥) الْبَلْخَشُ : جَوْهَرٌ يَجْلِبُ مِنْ بَلْخَشَانَ ، وَالْعَجَمُ يَقُولُونَ لَهُ : بَدْخَشَانَ . الْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ الْمَعْرَبَةُ

الخليفة ببغداد هدايا عظيمة سنيّة، وكذلك إلى الملك نور الدين، أرسل جانباً كبيراً صالحاً، وكان لا يدخِر لنفسه شيئاً ممّا يحصل له من الأموال والغنائم، بل يُعطى ذلك كلّهُ لمن حوله من الأمراء والوزراء والملوك والأصحاب، رحمه الله، وكان ممّا أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخيش زنة الواحدة أحد وثلاثون مثقالاً، والأخرى ثمانية عشر مثقالاً، والثالثة دونهما، مع لآلئ كثيرة، وستون ألف دينار، وعطر لم يُسمع بمثله، ومن ذلك حمارّة عتائية وفيل عظيم جدّاً، فأُرسلت الحمارّة إلى الخليفة في جملة هدايا وتُحف هائلة. قال ابن أبي طيّ^(١): ووجد خزانة كتب ليس في مدائن الإسلام لها نظير، تشتمل على نحو ألفي ألف مجلّد، قال: ومن عجائب ذلك أنّه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبريّ. كذا قال العماد الكاتب: كانت الكتب قرية من مائة وعشرين ألف مجلّد، وقال ابن الأثير^(٢): كان فيها من الكتب بالخطوط المنشوبة مائة ألف مجلّد، وقد تسلّمها القاضي الفاضل، فأخذ منها شيئاً كثيراً ممّا اختاره وانتخبه، قال: وقسم القصر الشمالي بين الأمراء فسكنوه، وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج، يقال له: اللؤلؤة، الذي فيه بُستان الكافوري، وسكن أكثر الأمراء في دور من كان ينتمي إلى الفاطميين، ولا يلقى أحد من الأتراك أحدًا من [٢٦٢/٩ ط] أولئك الذين كانوا بها إلّا سلّحوا ثيابه، ونهبوا داره، حتى تمزّق كثير منهم في البلاد، وتفرّقوا شذر مذر، وصاروا أيادي سبا^(٣). وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسراً، فصاروا

(١) الروضتين ٥٠٧/١.

(٢) الكامل ٣٧٠/١١، بنحوه.

(٣) أى تفرّقوا تفرّقاً لا اجتماع معه. مجمع الأمثال ٤/٢.

كأفْسِ الذَّاهِبِ وكَأَنْ لَمْ يَغْتَوِ فِيهَا ، وكان أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ الْمَهْدِيُّ ، وكان من أهلِ سَلَمِيَّةَ حَدَّادًا ، اسْمُهُ سَعِيدٌ^(١) ، وكان يَهُودِيًّا ، فدخل بلادَ المغربِ وتسمَّى بِعُبَيْدِ اللَّهِ ، وادَّعى أَنَّهُ شَرِيفٌ عَلَوِيٌّ فاطِمِيٌّ ، وقال : إِنَّهُ الْمَهْدِيُّ ، وقد ذَكَرَ هذا غَيْرُ واحدٍ من ساداتِ الْعُلَمَاءِ الْكُبَرَاءِ كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيّ وَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدِ الْإِسْفَرَايِينِيّ وَغَيْرِ واحدٍ من ساداتِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ الْأَرْبَعِمَائَةِ ، كما بَسَطْنَا ذلكَ فيما تَقَدَّمَ ، والمَقْصودُ أَنَّ هذا الدَّعِيَّ المدَّعِي الكَذَّابَ راجٍ له ما افْتَرَاهُ في تلكِ البلادِ ، ووازَرَهُ جماعةٌ من جَهْلَةِ الْعُبَّادِ ، وصارتَ له دولةٌ وَصُولَةٌ ، فتمكَّنَ إلى أَنَّ بَنَى مَدِينَةً سَمَّاها الْمَهْدِيَّةَ نِسْبَةً إِلَيْهِ ، وصارَ مَلِكًا مُطَاعًا ، يُظْهِرُ الرِّفْضَ وَيَنْطَوِي على الْكُفْرِ الْمُخْضِ .

ثم كان من بعده ابنه القائم ، ثم المنصور ، ثم المعز - وهو أول من دخل مصر منهم ، وبُيِّنَتْ له القاهرة - ثم العزيز ، ثم الحاكم ، ثم الظاهر ، ثم المستنصر ، ثم المستعلي ، ثم الأمير ، ثم الحافظ ، ثم الظافر ، ثم الفائز ، ثم العاضد وهو آخرهم ، فجعلتهم أربعة عشر ملكًا ، ومدَّتهم مائتان وثيِّفٌ وثمانون سنةً ، وكذلك عدَّةُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ أربعة عشر أيضًا ، ولكن كانت مدَّتُهم ثِيْفًا وتسعين^(٢) سنةً ، وقد نظمتُ أسماءَ هؤلاءِ بأرجوزةٍ تابعةٍ لأرجوزةِ بَنِي الْعَبَّاسِ عندَ انقضاءِ دولتهم ببغدادَ في سنةٍ ستٍّ وخمسين وستمائةً ، كما سيأتِي ، وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالًا ، وكانوا من أعتَى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرةً ، وأخبثهم سريرةً ، ظهرت في دولتهم البدعُ والمُنكَرَاتُ وكثُرَ أهلُ الفسادِ ،

(١) في خ ، م : « عبيد » .

(٢) في خ ، م : « وثمانين » . وانظر الروضتين ٥١٤ / ١ .

(٣ - ٢) في الأصل ، ص : « وقد كانوا » .

وَقُلْ عِنْدَهُمُ الصَّالِحُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَادِ، وَكَثُرَ بِأَرْضِ الشَّامِ النَّصِيرِيُّ^(١)
وَالدَّرَزِيُّ^(٢) وَالْحُشَيْشِيُّ، وَتَغَلَّبَ الْفِرْنَجُ عَلَى سَوَاحِلِ الشَّامِ بِكَمَالِهِ، حَتَّى أَخَذُوا
الْقُدْسَ الشَّرِيفَ وَنَابُلُسَ وَعُجْلُونَ وَالغَوْرَ وَبِلَادَ عَزَّةَ وَعَسْقَلَانَ وَكَرَكَ الشُّوبَكِ
وَطَبْرِقَةَ وَبَانِيَّاسَ وَصُورَ وَعَثْلِيثَ وَصَيْدَا وَيَزُوتَ وَعَكَّا وَصَفَدَ وَطَرَابُلُسَ وَأَنْطَاكِيَةَ
وَجَمِيعَ مَا وَآلَى ذَلِكَ، إِلَى بِلَادِ آيَاسَ^(٣) وَسَيْسَ^(٤)، وَاسْتَحْوَذُوا عَلَى بِلَادِ آمِدَ
وَالرُّهَّا وَرَأْسِ الْعَيْنِ وَبِلَادِ سَتَّى، وَقَتَلُوا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَسَبَّوْا مِنْ ذَرَارِيِّ
الْمُسْلِمِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يوصَفُ، وَكَادُوا أَنْ يَتَغَلَّبُوا عَلَى
دِمَشْقَ، وَلَكِنْ صَانَهَا اللَّهُ بِعَنَائَتِهِ وَسَلَّمَهَا بِرِعَايَتِهِ، وَحِينَ زَالَتْ أَيَّامُهُمْ وَانْتَقَضَ
إِبْرَامُهُمْ أَعَادَ اللَّهُ هَذِهِ الْبِلَادَ كُلَّهَا عَلَى أَهْلِهَا مِنَ السَّادَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَدَّ اللَّهُ
الْكَفْرَةَ خَائِبِينَ، وَأَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الدِّينِ، وَقَدْ قَالَ حَسَنُ
الشَّاعِرِ الْمَدْعُوِّ بِعَزْفَةٍ^(٥):

أَصْبَحَ الْمُلْكُ بَعْدَ آلِ عَلِيٍّ مُشْرِقًا بِالْمُلُوكِ مِنْ آلِ شَاذِي
وَعَدَا الشَّرْقُ يَحْسُدُ الْغَرْبَ لِلْقُو مٍ وَمِضْرٌ تَزْهُو عَلَى بَغْدَادِ
مَا حَوَّوْهَا^(٦) إِلَّا بِحَزْمٍ وَعِزْمٍ وَصَلِيلِ الْفُلُولَاذِ^(٧) فِي الْفُلُولَاذِ^(٧)

-
- (١) فِي م: «النَّصْرَانِيَّةُ». وَالنَّصِيرِيَّةُ: طَائِفَةٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ مَشْهُورَةٌ يَقُولُونَ بِاللَّوْهِيَّةِ عَلَى، تَعَالَى اللَّهُ عَلَؤًا
كَبِيرًا. التَّاج (ن ص ر).
(٢) الدَّرَزِيَّةُ: طَائِفَةٌ خَارِجَةٌ عَنِ جَادَةِ الشَّرِيعَةِ، الْكَائِنَةُ بِجِبَالِ الشَّامِ، وَهِيَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ. التَّاج (د ر ز).
(٣) آيَاسُ: مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ الْأَرْمَنِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. صَبِيح الْأَعَشَى ١٣٣/٤.
(٤) سَيْسُ: قَاعِدَةٌ بِبِلَادِ الْأَرْمَنِ. صَبِيح الْأَعَشَى ١٣٤/٤. وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ٢١٧/٣: «سَيْسِيَّةٌ وَعَامَةٌ
أَهْلُهَا يَقُولُونَ: سَيْسُ. بِلَدٌ هِيَ الْيَوْمَ أَكْثَرُ مَدَنِ الشُّغُورِ الشَّمَالِيَّةِ بَيْنَ أَنْطَاكِيَّةِ وَطَرَسُوسَ».
(٥) الْخَرِيدَةُ (قِسْمٌ شَعْرَاءُ الشَّامِ) ٢٠٣/١، ٢٠٤، وَالرُّوَضَيْنِ ٥٠٩/١.
(٦) فِي الْخَرِيدَةِ: «حَوَاهَا».
(٧ - ٧) سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ، وَفِي خ، م: «فِي الْأَكْبَادِ».

لَا كَفَرَعُونَ وَالْعَزِيزِ وَمَنْ كَا نَ بِهَا كَالْخَصِيبِ^(١) وَالْأَسْتَازِ

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة، رحمه الله^(٢): يغنى بالأستاذ كافور^(٣) الإخشيدى، وقوله بعد: آل علي. يعنى الفاطميين، ولم يكونوا فاطميين، وإنما كانوا أذعياء يُنسبون إلى عُبيد، وكان اسمه سَعِيدًا، وكان يهوديًا حدّادًا بِسَلْمِيَّةَ، ثم ذكر ما ذكرنا من كلام الأئمة فيهم وطغفهم في نسبهم. قال^(٤): وقد [٢٦٣/٩] اسْتَقْصَيْتُ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ فِي مُخْتَصَرِ تَارِيخِ دِمَشْقَ فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ^(٥) بْنِ إِيَّاسَ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي «الرُّوضَتَيْنِ» فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ قِبَائِحِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَجْهَرُونَ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنَ الْكُفْرِيَّاتِ وَالْمَصَائِبِ الْمُعْظَمَاتِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ. وَقَدْ ذَكَرْتُ أَنَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي عُيُونِ^(٦) مَا مَشَقَّتُهُ^(٧) مِنْ سِيرَتِهِمْ فِي السَّنِينَ الْمُتَقَدِّمَةِ مِمَّا يَشُدُّ الْأَسْمَاعَ، وَيُنْفِرُ الطُّبَاعَ. قَالَ أَبُو شَامَةَ^(٨): وَقَدْ أَفْرَدْتُ كِتَابًا سَمَّيْتُهُ «كَشَفَ مَا كَانَ عَلَيْهِ بَنُو عُبَيْدٍ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ». وَكَذَا صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ كُتُبًا كَثِيرَةً، مِنْ أَجْلِ مَا وُضِعَ فِي ذَلِكَ كِتَابُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ الْبَاقِلَانِيِّ، الَّذِي سَمَّاهُ «كَشَفَ الْأَسْرَارِ وَهَتَكَ الْأَسْتَارِ». وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي بَنِي أَيُّوبَ يَمْدَحُهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ

(١) في م: «الخطيب». والخصيب هو الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر في عهد الخليفة هارون الرشيد، وإليه تنسب منية الخصيب. النجوم الزاهرة ٣٠٩/٥، وقد وردت منية الخصيب في معجم البلدان ٦٧٥/٤: «منية أبي الخصيب».

(٢) الروضتين ٥٠٩/١.

(٣) في م: «كأنه نور».

(٤) الروضتين ٥١١/١.

(٥) في م، ص: «الرحمن». وانظر مصدر التخريج.

(٦) في التُّشَخُّصِ: «عيون». وأثبتنا المعتاد من أسلوب المؤلف فيما سبق. والمقصود: في أثناء.

(٧) مشق من الطعام: تناول منه شيئاً قليلاً. اللسان (م ش ق).

(٨) الروضتين ٥١٤/١.

بديارِ مِصْرَ^(١) :

«الْشُّمُّ مُزِيلِي^(٢) دَوْلَةِ الْكُفْرِ مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ بِمِصْرَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ
زَنَادِقَةُ شَيْعِيَّةٍ بَاطِنِيَّةٍ مَجُوسٌ وَمَا فِي الصَّالِحِينَ لَهُمْ أَضْلُ
يُسِرُّونَ كُفْرًا يُظْهِرُونَ تَشْيِيعًا لِيَسْتَرُوا^(٣) شَيْئًا وَغَمَّهُمُ الْجَهْلُ

وفي هذه السنة أَسْقَطَ الْمَلِكُ صِلَاحَ الدِّينِ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ الْمُكُوسِ
وَالضَّرَائِبِ ، وَقُرِئَ الْمُنشُورُ بِذَلِكَ عَلَى رُعُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ
ثَلَاثَ صَفَرٍ . وَفِيهَا حَصَلَتْ نُفْرَةٌ بَيْنَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ وَالْمَلِكِ النَّاصِرِ صِلَاحِ
الدِّينِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ نُورَ الدِّينِ غَزَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِلَادَ الْفَرَنْجِ فِي السَّوَاخِلِ ،
فَأَحْلَى بِهِمْ بِأَسَا شَدِيدًا ، وَقَرَّرَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْهُ نِقْمَةً وَوَعِيدًا ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى
مَحَاصِرَةِ الْكَرْكِ وَكَتَبَ إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ أَنْ يَلْتَقِيَهُ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى بِلَادِ
الْكَرْكِ ؛ لِيَجْتَمِعَا هُنَاكَ عَلَى الْمَصَالِحِ فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَتَوَهَّاهُمْ مِنْ
ذَلِكَ الْمَلِكِ صِلَاحِ الدِّينِ ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الْأَمْرِ غَائِلَةٌ يَزُولُ بِهَا مَا حَصَلَ لَهُ
مِنَ التَّمَكُّينِ ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ رَكِبَ فِي جَيْشِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِيَقْصِدَ امْتِثَالَ
الْمُرْسُومِ ، فَسَارَ أَيَّامًا ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا مُعْتَلًّا بِقَلَّةِ الظَّهْرِ ، وَالْخَوْفِ عَلَى اخْتِلَالِ
الْأُمُورِ إِذَا بَعُدَ عَنْ مِصْرَ وَاشْتَغَلَ عَنْهَا ، وَأَرْسَلَ يَعْتَذِرُ بِذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ
الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهِ ، وَعَزَمَ عَلَى الدَّخُولِ
إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَانْتِزَاعِهَا مِنْ صِلَاحِ الدِّينِ وَتَوَلِيَّةِ غَيْرِهِ فِيهَا ، وَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْخَبْرُ
صِلَاحَ الدِّينِ ضَاقَ بِذَلِكَ دَرْعُهُ ، وَذَكَرَهُ بِحَضْرَةِ الْأَمْرَاءِ وَالْكَبَرَاءِ ، فَبَادَرَ ابْنُ أَخِيهِ

(١) الروضتين ٥١٥/١ .

(٢ - ٢) فِي خ ، م : « أَبْدَتُمْ مِنْ بَلِي » .

(٣ - ٣) فِي خ ، م : « سَابُر » .

تقضى الدين عمرُ فقال^(١) : والله لو قصَدنا نورَ الدين لثَقَاتَلْتَهُ ، فَشَتَمَهُ الأَمِيرُ نَجْمُ الدينِ أَيُّوبَ والدُ المَلِكِ صلاحِ الدينِ وأسكته ، ثم قال لابنه : اسْمَعْ ما أقولُ لك ، والله ما هَلْهُنا أَحَدٌ أَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنِّي وَمِنْ خَالِكَ هَذَا - يَعْنِي شِهَابَ الدينِ الحارِمِي - ولو رأينا المَلِكَ نورَ الدينِ لبادَرْنَا إِلَيْهِ ، وَلَقَبَلْنَا الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وكذلك بَقِيَّةُ هَؤُلاءِ الأُمَرَاءِ ، ولو كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُبْعَثَكَ مَعَ نَجَابٍ لَفَعَلْتُ ، ثُمَّ أَمَرَ مَنْ هُنَالِكَ بِالأَنْصِرَافِ [٢٦٣/٩ ظ] وَالدَّهَابِ ، فَلَمَّا خَلَا بَابُهُ قَالَ لَهُ : أَمَّا لَكَ عَقْلٌ ؟ تَذْكُرُ مِثْلَ هَذَا بِحَضْرَةِ هَؤُلاءِ ، فيقولُ عَمْرٌ مِثْلَ هَذَا الكَلَامِ ، فَتَقْرِؤُهُ عَلَيْهِ ، فَلَا يَنْقُى عِنْدَ نُورِ الدينِ أَهْمٌ مِنْ قَصْدِكَ وَقِتَالِكَ ، وَلَوْ قَدْ رآه هَؤُلاءِ لَمْ يَنْقُ مَعَكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ ابْعَثْ إِلَيْهِ ، وَتَرَفَّقْ لَهُ ، وَتَوَاضَعْ عِنْدَهُ ، وَقُلْ لَهُ : وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى مَجِيءِ مَوْلَانَا ؟ ابْعَثْ إِلَيَّ بِنَجَابٍ حَتَّى أَجِيءَ مَعَهُ إِلَى بَيْنِ يَدَيْكَ . فَلَمَّا سَمِعَ نُورَ الدينِ مِثْلَ هَذَا لَانَ قَلْبُهُ ، وَانْصَرَفَتْ هَمَّتُهُ عَنْهُ ، وَاشْتَغَلَ بِغَيْرِهِ ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا .

وفيهَا اتَّخَذَ نُورُ الدينِ الحَمَامَ الهَوَادِي ، وَذَلِكَ لامتدادِ مَمْلَكَتِهِ وَاتِّسَاعِهَا ؛ فَإِنَّهُ مَلِكٌ مِنْ حَدِّ الثَّوْبَةِ إِلَى هَمْدَانَ ، لَا يَتَخَلَّلُهَا إِلَّا بِلَادُ الْفَرَنْجِ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَكُلُّهُمْ تَحْتَ قَهْرِهِ وَهُدْنَتِهِ ، فَلِذَلِكَ اتَّخَذَ فِي كُلِّ قَلْعَةٍ وَحِصْنِ الحَمَامِ الَّتِي تَحْمِلُ الرِّسَائِلَ إِلَى الآفَاقِ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ ، وَأَيْسَرِ عُدَّةٍ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِيهِنَّ الْقَاضِي الْفَاضِلُ^(٢) : الْحَمَامُ مَلَائِكَةُ الْمُلُوكِ . وَقَدْ أَطْنَبَ فِي ذَلِكَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ ، وَأَطْرَبَ وَأَعْجَبَ وَأَغْرَبَ^(٣) .

(١) الكامل ٣٧٢/١١ ، والروضتين ٥١٩/١ .

(٢) الروضتين ٥٢١/١ .

(٣) المصدر السابق .

وَمَنْ تُوْفِي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ ، أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْخَشَّابِ ^(١) ، قَرَأَ
الْقُرْآنَ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَاشْتَغَلَ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ حَتَّى سَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ فِيهِمَا ،
وَشَرَحَ « الْجَمَلَ » لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيِّ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مَتَطَوِّعًا ، وَكَانَتْ
وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَدُفِنَ قَرِيبًا مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَرُئِيَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ
لَهُ ^(٢) : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ فَقَالَ : غَفَرَ لِي ، وَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ ، إِلَّا أَنَّهُ أَعْرَضَ عَنِّي وَعَنْ
جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ تَرَكُوا الْعَمَلَ ^(٣) . قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خُلْكَانَ ^(٤) : كَانَ مُطَرِّحَ
الْكُلْفَةِ فِي مَأْكَلِهِ وَمَلْبَسِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ ^(٥) ، أَبُو الْمُظَفَّرِ الْبِزْزَوِيُّ ^(٦) ، تَفَقَّهَ ^(٧) عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) المنتظم ١٨/١٩٨ ، ومعجم الأدباء ١٢/٤٧ ، وإنباه الرواة ٢/٩٩ ، ووفيات الأعيان ٣/١٠٢ ، وسير
أعلام النبلاء ٢٠/٥٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٢٦٧ ، وذيل
طبقات الحنابلة ١/٣١٦ .

(٢) المنتظم ١٨/١٩٨ .

(٣) بعده في خ ، م : « واشتغلوا بالقول » .

(٤) وفيات الأعيان ٣/١٠٣ ، بنحوه .

(٥) المنتظم ١٨/١٩٨ ، ووفيات الأعيان ٤/٢٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٥٧٧ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٢٩٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٦/٣٨٩ ، والوفاء بالوفيات
١/٢٧٩ .

(٦) في الأصل : « الردى » ، وفي م ، ص : « الدوى » ، وفي خ : « المروزي » ، وفي الكامل ١١/٣٧٦ :
« البروى » . والمثبت من مصادر ترجمته السابقة . وضبط البروى من شذرات الذهب ٤/٢٢٤ ، حيث
قال : البروى بفتح الموحدة وتشديد الراء المضمومة نسبة إلى برويه جد . وانظر لب الباب في تحرير
الأنساب ١/١٢٢ .

وقال ابن خلكان : البروى بفتح الباء الموحدة والراء وبعدها واو ، لا أعلم هذه النسبة إلى أى شيء
هى ، ولا ذكرها السمعاني ، وغالب ظنى أنها من نواحي طوس ، والله أعلم . وانظر (البروى) في
الأنساب ١/٣٣٣ ، واللباب ١/١١٧ .

(٧) في الأصل : « قرأ القرآن » ، وفي ص : « قرأ الفقه » ، وانظر وفيات الأعيان الموضع السابق .

ابن يحيى تلميذ العزالي ، وناظر ووعظ ببغداد ، وكان يُظهرُ مذهب الأشعرى ،
ويتكلّم في الحنابلة ، ومات في رمضان منها .

ناصر بن الخويّ^(١) الصوفي كان يمشي في طلب الحديث حافياً ، تُوفّي
ببغداد ، رحمه الله تعالى .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٢) : وفيها تُوفّي : نصر الله بن عبد الله ،
أبو الفتوح^(٣) الإسكندرّي المعروف بابن قلايس الشاعر ، بعثذاب عن خمس
^(٤) وثلاثين سنة .

والشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي^(٥) ، نزيل الموصل المقرئ
النحوي ، رحمه الله .

قال^(٦) : وفيها وُلِد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين ، والمنصور محمد بن تقي
الدين عمر .

(١) في خ ، م : «الجوني» . وانظر ترجمته في : المنتظم ١٨ / ١٩٨ .

(٢) الروضتين ١ / ٥٢٣ .

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١ / ١٤٥ ، ومعجم الأدباء ١٩ / ٢٢٦ ، ووفيات الأعيان ٥ /
٣٨٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٤٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣٠٠ .

(٤ - ٤) في خ ، م : «وأربعين» .

(٥) معجم الأدباء ٢٠ / ١٤ ، وإنباه الرواة ٤ / ٣٧ ، ووفيات الأعيان ٦ / ١٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٢ /
٥٤٦ ، ومعرفة القراء الكبار ٢ / ٤٢٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣٠٣ ،
وغاية النهاية ٢ / ٣٧٢ .

(٦) الروضتين ١ / ٥٢٣ .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة^(١)

فيها^(٢) أرسل الملك نور الدين إلى الملك صلاح الدين، الموفق خالد بن القيسراني؛ ليقيم له حساب الديار المصرية، ولأنه استقل الهدية التي أرسل إليه من خزائن العاضد. ومقصوده أن يقرّر على الديار المصرية خراجاً يحمل إليه في كل عام.

وفيها حاصر الملك صلاح الدين الكرك والشوبك^(٣)، فضيق على ساكنيها، وخرّب أماكن كثيرة من معاملتها، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك.

وفيها اجتمعت الفرنج بالشام لقصد مدينة زرع^(٤)، فوصلوا إلى سمكين^(٥)، فبرز إليهم نور الدين، فهربوا منه إلى الفوار^(٦)، ثم إلى السواد^(٧)، ثم إلى الشلالة، فبعث سرية إلى طبرية، فعاثوا هنالك وسبوا وقتلوا وغنموا [٢٦٤/٩] وعادوا وقد سلمهم الله، ورجعت الفرنج خائبين، لعنهم الله أجمعين، وقد

(١) المنتظم ١٨/١٩٩، والكامل ١١/٣٧٧.

(٢) الروضتين ١/٥٢٥.

(٣) الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عثان وأيلة والقلزم، قرب الكرك. معجم البلدان ٣/٣٣٢.

(٤) زرع: كان اسمها زراً، وهي من حوران. انظر معجم البلدان ٢/٩٢١.

(٥) في النسخ: «سمكين». والمثبت من الروضتين ١/٥٢٨. وسمكين: ناحية من أعمال دمشق، من جهة حوران. معجم البلدان ٣/١٤٠.

(٦) في الأصل: الفرار، وفي خ، م: «الغور». والمثبت موافق لما في الروضتين ١/٥٢٨.

(٧) السواد: نواح قرب البلقاء سميت بذلك؛ لسواد حجارته. معجم البلدان ٣/١٧٤.

امتدحه العماد الكاتب^(١) بقصيدة طنانة في هذه الغزوة .

فتح بلاد النوبة

وفيها أرسل الملك صلاح الدين أخاه شمس الدولة ثورانشاه إلى بلاد النوبة فافتتحها ، واستحوذ على مغلها ، وهو حصن يقال له : إبريم . ولما رآها بلدًا قليلة الجدوى لا يفي خزيجها بكلفتها ، استخلف على الحصن المذكور رجلًا من الأكراد يقال له : إبراهيم . فجعله مقدمًا مقررًا بحصن إبريم ، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين ، فكثرت أموالهم ، وحسنت حالهم هنالك ، وشئوا الغارات ، وحصلوا على الغنائم والمسرآت ، ولله الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات .

وفيها كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب والد الملك صلاح الدين ، سقط عن فرسه فمات ، وستأتى ترجمته في الوفيات ، إن شاء الله .

وفيها سار الملك نور الدين إلى بلاد عزر الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان السلجوقي ، ملك الروم ، وافتح في طريقه بلاده ، وأصلح ما وجده فيها من الخلل . ثم سار فافتتح مزعش وبهستا ، وعمل في كل منهما بالحسن .

قال العماد الكاتب^(٢) : وفي هذه السنة وصل الفقيه الإمام الكبير قطب الدين

(١) الروضتين ١/ ٥٢٩ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٤٥ .

النَّيْسَابُورِيُّ ، وهو فقيهُ عصرِهِ و نَسِيجُ و خِدِه ، فسَّرَ به نورَ الدينِ وأنزله بحَلَبَ
بمدرسة بابِ العراقِ ، ثم أطلعه إلى دِمَشْقَ ، فدرَسَ بزواية الجامعِ الغريَّةِ المعروفةِ
بالشيخِ نَصْرِ المَقْدِسِيِّ ، ونَزَلَ بمدرسةِ الجاروخية^(١) ، وشرَّعَ نورُ الدينِ فى إنشاءِ
مدرسةٍ كبيرةٍ للشافعيةِ ، فأذركه الأجلُ قبلَ ذلك . قال أبو شامة^(٢) : هى العادليَّةُ
الكبيرةُ التى عمَّرها بعده الملكُ العادلُ أبو بَكْرٍ بنُ أَيُّوبَ .

وفىها عادَ شهابُ الدينِ بنُ أبى عَصْرُونَ مِن بَغْدَادَ حينَ سارَ بالهناءِ بالخطبةِ
العباسيةِ بالديارِ المصريةِ ، ومعه توقُّعٌ مِنَ الخليفةِ بإقطاعِ دَرَبِ هَارُونَ وَصَرِيفِينَ
للملكِ نورِ الدينِ ، وقد كانتا قديمًا لأبيه عمادِ الدينِ زَنْكِي ، فأرادَ الملكُ نورُ الدينِ
أن يبنى ببغدادَ مدرسةً على دِجْلَةٍ ، ويجعلَ هَذَيْنِ المَكَائِنِ وَقْفًا عليها ، فعاقه
الْقَدْرُ عن ذلك ، رَحِمَهُ اللَّهُ . وفىها جَرَتْ بناحية خُوارِزَمَ حروبٌ كثيرةٌ بينَ
سلطانِشاهٍ وبينَ أعدائِهِ ، تقصَّها ابنُ الأثيرِ^(٣) وابنُ السَّاعِي .

وفىها هَزَمَ ملكُ الأَرَمَنِ مَلِيحُ بنُ لِيونَ عساكِرَ الرومِ ، وغنِمَ منهم شيئًا كثيرًا ،
وبعثَ إلى نُورِ الدينِ بأموالٍ كثيرةٍ مِن ذلك ، وبثلاثينَ رأسًا مِن رَعُوسِهِمْ ،
فأرسلَهَا نورُ الدينِ إلى الخليفةِ المُستَضِيِّ بِأَمْرِ اللَّهِ العباسيِّ .

وفىها بعثَ الملكُ صلاحُ الدينِ سَرِيَّةً صُحْبَةً قَرَأُوشَ مملوكِ تَقِيَّ الدينِ عمرَ بنِ
شَاهِشَاشَهِ إلى بلادِ إفريقيةَ ، فملكُوا طائفةً كثيرةً منها ، من ذلكَ مدينةَ طَرَابُلُوسَ
الغربيِّ ، وعدَّةُ مَدُنٍ معها .

(١) فى النسخ ، والروستين : « الجاروق » . والمثبت من الدارس فى تاريخ المدارس ١ / ٣٦١ . والمدرسة
الجاروخية كانت داخل بابي الفرج والفرايس شمالى الجامع الأموى ، بناها جاروخ التركمانى . الدارس
فى تاريخ المدارس ١ / ٢٢٥ .

(٢) الروستين ١ / ٥٤٥ .

(٣) الكامل ١١ / ٣٧٧ .

وَمَنْ تُوفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

إِبْلِدِكُزُ التُّرْكِيُّ الْأَتَابِكِيُّ^(١) ، صَاحِبُ أَذْرَبِيجَانَ وَغَيْرِهَا ، كَانَ مَمْلُوكًا لِلْكَمَالِ الشَّيْمِيرِيِّ وَزِيرِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا قَتَلَهُ مُحَمَّدٌ حَظِيَّ إِبْلِدِكُزُ هَذَا عِنْدَ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ عَلَا أَمْرُهُ وَتَمَكَّنَ حَتَّى مَلَكَ أَذْرَبِيجَانَ وَبِلَادَ الْجَبَلِ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَ عَادِلًا ، مَنْصَفًا ، [٢٦٤/٩ ظ] شَجَاعًا ، مُحْسِنًا إِلَى الرِّعِيَّةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الشُّكْرِ أَيُّوبُ بْنُ شَاذِيَّ^(٢) وَالِدُ الْمَلِكِ بَنِي أَيُّوبَ ، الْكُرْدِيُّ الرَّوَادِيُّ^(٣) - وَهُمْ خِيَارُ الْأَكْرَادِ - الدُّوِينِيُّ ؛ نَسَبُهُ إِلَى دُوَيْنَ شِمَالِي بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ مِمَّا يَلِي الْكُرْجَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : أَيُّوبُ بْنُ شَاذِيَّ بْنِ مَرْوَانَ ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ مَرْوَانَ ابْنَ يَعْقُوبَ ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ بَعْدَ شَاذِيَّ أَحَدًا فِي نَسَبِهِمْ ، وَأَغْرَبَ بَعْضُهُمْ فِرْعَمَ أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَعْدِيِّ آخِرِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَالَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ ادِّعَاءُ هَذَا هُوَ الْمَلِكُ أَبُو الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ طُغْتِكِينَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِيَّ وَيُعْرِفُ بِابْنِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ مَلَكَ الْيَمْنَ بَعْدَ أَبِيهِ فَتَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ وَادَّعَى الْخِلَافَةَ وَتَلَقَّبَ بِالْإِمَامِ الْهَادِي بُنُورِ اللَّهِ ، الْمَعْرُودِ لِلَّهِ ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ أُمَوِيٌّ ، وَمَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ وَأَطْرَوْهُ وَلَهَجُوا بِذَلِكَ ، وَقَالَ هُوَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا^(٤) :

(١) الكامل ٣٨٨/١١ ، والعبر ٢٠٣/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص

٣٠٩ ، وتاريخ ابن الوردي ٨١/٢ . والوافي بالوفيات ٣٥٨/٩ .

(٢) الكامل ٣٩٣/١٣ ، والروستين ٥٣٣/١ ، ووفيات الأعيان ٢٥٥/١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/

٥٨٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣١٠ .

(٣) الرُّوَادِيَّةُ : بَطْنٌ مِنَ الْهَذْبَانِيَّةِ ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْأَكْرَادِ . وفیات الأعيان ١٣٩/٧ .

(٤) الروستين ٥٣٥/١ .

وإني أنا الهادي الخليفة والذي أدوس رقاب الغلب بالضمر الجرد
ولا بُدَّ من بغداد أطوى ربوعها وأنشرها نشر السماسير^(١) للبرد
وأنصب أعلامي على شرفاتها وأحيى بها ما كان أسسه جدى
ويخطب لى فيها على كل منبر وأظهر دين الله فى العور والتجد
وهذا الادعاء ليس بصحيح ، ولا أصل له يعتمد عليه ، ولا سند يستند إليه .

والمقصود أن الأمير نجم الدين كان أسن من أخيه أسد الدين شيركوه ، وُلِدَ
بأرض الموصل . وكان الأمير نجم الدين شجاعاً باسلاً ، يخدم الملك محمد بن
ملكشاه ، فرأى فيه شهامة وأمانة ؛ فولاه قلعة تكريت ، فحكم فيها فعدل ، فكان
من أكرم الناس ، ثم أقطعها الملك مسعود مجاهد الدين بهروز شيخنة العراق ،
فاستمر به فيها ، فاجتاز به فى بعض الأحيان الملك عماد الدين زنكى مُنْهَزِماً من
قراجا الساقى فأواه وخدمه خدمة تامة ، وداوى جراحه وأقام عنده خمسة عشر
يوماً ، ثم ارتحل إلى بلده الموصل . ثم اتفق أن نجم الدين أيوب عاقب رجلاً
نصرائياً فقتله ، وقيل : إنما قتله أخوه أسد الدين شيركوه . وهذا الذى ذكره
القاضى ابن خلكان قال^(٢) : رجعت جارية من بعض الخدم ، فذكرت أنه تعرض
لها إسفهلار الذى يباب القلعة ، فخرج إليه أسد الدين شيركوه ، فطعنه بحربة
فقتله ، فحبسه أخوه نجم الدين أيوب ، وكتب إلى مجاهد الدين بهروز يخبره
بصورة الحال ، فكتب إليه يقول : إن أباكما كانت له على خدمة - وكان قد
استنابه فى هذه القلعة قبل أبيه نجم الدين أيوب - وإني أكره أن أسوءكما ، ولكن

(١) فى الأصل ، خ ، م : « الشمساس » ، وفى ص : « السماس » . والمثبت من الروضتين . والسماسر :

جمع سمسار ، وهو الذى يبيع البز . التاج (س م س ر) .

(٢) وفيات الأعيان ٢٥٧/١ .

انْتَقَلَ منها . فَأَخْرَجَهُمَا بِهَرُورٍ مِنْ قَلْعَتِهِ ، وَفِي لَيْلَةٍ خُرُوجِهِ مِنْهَا وُلِدَ لَهُ الْمَلِكُ
الْناصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ . قَالَ ^(١) : فَتَشَاءُ مَثُ بِهِ ؛ لَفَقْدِي بَلَدِي وَوَطَنِي ، فَقَالَ
لِي بَعْضُ النَّاسِ : قَدْ نَرَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ التَّشَاؤِمِ بِهَذَا الْمَوْلُودِ ، فَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ
يَكُونَ هَذَا الْمَوْلُودُ مَلِكًا عَظِيمًا لَهُ صِيَّتٌ كَبِيرٌ ؟ فَكَانَ كَذَلِكَ ، فَاتَّصَلَ بِخَدْمَةِ
الْمَلِكِ عَمَادِ الدِّينِ زَنْكِيٍّ ، ثُمَّ كَانَا عِنْدَ ابْنِهِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَتَقَدَّمَا
عِنْدَهُ ، [٢٦٥/٩] وَعَظَّمَا ، فَاسْتَنَابَهُ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ بِتَغْلِبِكَ ، وَلَمَّا سُلِّمَتْ إِلَيْهِ أَقَامَ
بِهَا مَدَّةً طَوِيلَةً ، وَوُلِدَ لَهُ بِهَا أَكْثَرُ أَوْلَادِهِ ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ ، مَا ذَكَرْنَاهُ فِي دُخُولِهِ
الْديَارَ الْمِصْرِيَّةَ ، وَصِيرُورَةِ الْأَمِيرِ نَجْمِ الدِّينِ إِلَى ابْنِهِ بِهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، ثُمَّ
اتَّفَقَ أَنَّهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ وَمَاتَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ
وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَ ابْنُهُ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ مُحَاصِرًا
لِلْكَرْكِ وَالشُّوبُكِ ، فَلَمَّا وَصَلَهُ الْخَبْرُ تَأَلَّمَ لِعَدَمِ حُضُورِهِ ذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ يَتَحَرَّقُ ، ثُمَّ
أَنْشَدَ يَقُولُ ^(٢) :

وَتَحْطَفْتُهُ يَدُ الرَّدَى فِي غَيْبَتِي هَبْنِي حَضَرْتُ فَكُنْتُ مَاذَا أَصْنَعُ

وَقَدْ كَانَ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ ، كَرِيمَ النَّفْسِ ،
جَوَادًا مُدَّحًا . قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ ^(٣) : وَلَهُ خَانِقَاهُ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَمَسْجِدٌ
وَقَنَاءَةٌ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ فِي الْقَاهِرَةِ ، وَقَفَّهَا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ ، وَلَهُ بِدِمَشْقَ
خَانِقَاهُ أَيْضًا ، تَعْرَفُ بِالنَّجْمِيَّةِ . وَقَدْ اسْتَنَابَهُ ابْنُهُ عَلَى الْديَارِ الْمِصْرِيَّةِ حِينَ خَرَجَ
إِلَى الْكَرْكِ ، وَحَكَّمَهُ فِي الْخَزَائِنِ ، فَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ ، وَقَدْ امْتَدَّحَهُ الشُّعْرَاءُ

(١) الروضتين ٥٣٩/١ .

(٢) الروضتين ٥٣٤/١ ، ووفيات الأعيان ٢٥٩/١ .

(٣) وفيات الأعيان ٢٥٧/١ ، ٢٥٩ .

كالعماد الكاتب وعرقلة وعمارة اليمنى وغير واحد، ورثوه حين مات بمراث كثيرة، وقد ذكر ذلك مُستَقْصَى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه «الروضتين»^(١)، ولما مات دُفِنَ مع أخيه أسد الدين شيركوه بدار الإمارة، ثم نُقِلَا إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين، فدُفِنَا بِتُرْبَةِ الوزير جمال الدين الموصلي، الذي كان مُؤَاحِيًا لِأَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ.

قال شهاب الدين أبو شامة^(٢): وفي هذه السنة تُوفِّيَ ملكُ النُّحَاةِ الحَسَنُ بْنُ صَافِي^(٣).

يَزْدُنُ التُّزَكِيُّ^(٤)، كان من أكابر أمراء بغداد المُتَحَكِّمِينَ في الدولة، ولكنه كان رَافِضِيًّا خَبِيثًا مُتَعَصِّبًا لِلرَّوَافِضِ، وكانوا في خِفَارَتِهِ وَجَاهِهِ، حتى أراحَ الله المسلمين منه في هذه السنة في ذى الحِجَّةِ منها، ودُفِنَ بداره، ثم نُقِلَ إلى مقابر قريش، فله الحمد. وحين مات فرح أهل السُّنَّةِ بموته، وغَضِبَ الشَّيْعَةُ مِنْ ذَلِكَ، وكان بسبب ذلك فتنة. وذكر ابن السَّاعِي في «تاريخه» أنه كان في صِغَرِهِ شَابًّا حَسَنًا مَلِيحًا، قال: وَلَشَيْخِنَا أَبِي الْيَمَنِ الْكِئُودِيُّ فِيهِ وَقَدْ رَمَدَتْ عَيْنُهُ:

بكلِّ صباحٍ لى وكلِّ عَشِيَةٍ وقوفٌ على أبوابكم وسلامٌ
وقد قيل لى يشكو سَقَامًا بَعِيْنَهُ فها نحنُ منها نَشْتَكِي ونُضَامُ

(١) الروضتين ١/ ٥٤٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٢٤.

(٣) بعده في م: «بن». وانظر ترجمته في: خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ١/ ٨٨، وإنباه الرواة ٣٠٥/ ١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣١٤، والوافي بالوفيات ١٢/ ٥٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٦٣/ ٧.

(٤) المنتظم ١٨/ ٢٠١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣٢٧.

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة^(١)

قال ابن الجوزي في «المنتظم»^(٢): إنه سقط عندهم بردٌ كبارٌ كالتَّارُخِ، ومنه ما وزَّنه سبعة أظالٍ، ثم عَقِبَ ذلك زيادةٌ عظيمةٌ بدجلة، لم يُعْهَدْ مثلها أصلاً، فخرَّبت شيئاً كثيراً من العمران والقرى والمزارع حتى القبور، وخرج الناس إلى الصَّخْرَاءِ، وكثر الضَّجيجُ والابْتِهَالُ في الدعاءِ حتى فرَّجَ اللهُ عزَّ وجلَّ، وتناقصت زيادةُ الماءِ، فله الحمدُ ربُّ الأرضِ والسماءِ، وأمَّا المَوْصِلُ فإنه كان بها نحو [٢٦٥/٩ ظ] مما كان ببغدادَ وأكثرَ، وانهدمَ بالماءِ نحوٌ من ألفي دارٍ؛ واشتهدَمَ بسببِهِ مثلُ ذلك، وهلكَ تحتَ الهدمِ خلقٌ كثيرٌ، وكذلك الفُراتُ زادتْ زيادةً عظيمةً أيضاً، فهلكَ بسببِها شيءٌ كثيرٌ من القرى، وغلتِ الأسعارُ بالعراقِ في هذه السنة في الزُّروعِ والثَّمارِ؛ ووقعَ الوباءُ في الغنمِ، وأصيبَ شيءٌ كثيرٌ ممَّنْ أكلَ منها بالعراقِ وغيرها.

قال ابنُ السَّاعي: وفي رمضان^(٣) توالَّتِ الأمطارُ بديارِ بَكْرِ والمَوْصِلِ أربعينَ يوماً وليلةً لم يَرَوْا الشمسَ فيها سوى مرَّتينِ؛ لحظَّتينِ يسيرَتَيْنِ، فتهدَّمتِ البيوتُ والمساكنُ على أهلِها، وزادتْ دجلةٌ بسببِ ذلك زيادةً عظيمةً، وغرقتْ كثيرٌ من مساكنِ بَغدادَ والمَوْصِلِ، ثم تناقصَ الماءُ بإذنِ اللهِ، عزَّ وجلَّ.

(١) المنتظم ٢٠٤/١٨، والكمال ٤٠٩/١١.

(٢) المنتظم ٢٠٤/١٨.

(٣) في خ، م: «شوال منها». وانظر الكامل ٤٠٩/١١.

قال ابن الجوزي^(١) : وفي رجب وصل^(٢) ابن الهروي^(٣) من نور الدين ومعه ثياب مصرية ، وجمارة ملوثة ؛ جلدتها مخطط مثل الثوب العتايي . قال : وغزل ابن الشاشي^(٤) من تدريس النظامية وولى أبو الخير القزويني . قال : وفي جمادى الآخرة اغتفل المجير الفقيه ونُسب إلى الزندقة والانحلال وترك الصلاة والصوم ، ثم تعصب له أناس وزكوه فأخرج . وذكر أنه وعظ^(٥) بالحزبية ذات يوم^(٦) فاجتمع عنده قريب من ثلاثين ألفاً^(٧) .

قال ابن الساعي : وفيها سقط أبو العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء من قبة شاهقة إلى الأرض فسليم ولله الحمد ، ولكن نبت^(٨) يده اليمنى وساعد يده اليسرى ، وانسلخ شيء من أنفه ، وكان معه خادم أسود يقال له : نجاح . فلما رأى سيده قد سقط ، ألقى هو نفسه أيضاً ، وقال : لا حاجة لي بالحياة بعده . فسليم أيضاً ، فلما صارت الخلافة إلى أبي العباس الناصر - وهو هذا الذي قد سقط - لم ينسها لنجاح هذا ، فحكمه في الدولة وأحسن إليه^(٩) .

وفيها سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم وفي خدمته الجيش وملك الأرمين وصاحب ملطية ، وخلق من الملوك والأمراء ، وافتتح عدة من حصونهم ، ولله الحمد ، وحاصر قلعة الروم فصالحه صاحبها بخمسين ألف دينار ؛ جزية ، ثم عاد

(١) المنتظم ٢٠٤ / ١٨ .

(٢ - ٣) في الأصل : « ابن الشهرزوري » ، وفي خ ، م : « ابن الشهرزوري من عند » . وفي ص : « الشهرزوري » . والمثبت من المنتظم ٢٠٤ / ١٨ .

(٣) في خ ، م ، ص : « الشامي » .

(٤ - ٥) في م : « بالحدنية » والحرية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب . معجم البلدان ٢ / ٢٣٧ .

(٥) الذي في المنتظم ٢٠٣ / ١٨ : أنهم كانوا نحو ثلاثمائة ألف .

(٦) في الأصل : « وبت » ، وفي ص : « قنت » . وبت يده : أي تباعدت . اللسان (ن ب و) .

(٧) بعده في خ ، م : « وقد كانا صغيرين لما سقطا » .

إلى حَلَبٍ وقد وجد النجّاح في كلّ ما طَلَبَ ، ثم عادَ إلى دِمَشقَ مؤيِّداً منصوراً مشروراً مَحْبُوراً .

وفي هذه السّنة كان فتح بلادِ اليَمَنِ للملِكِ صلاحِ الدينِ يُوسُفَ بنِ أيُوبَ ، وكان سَبَبَ ذلك أنه بَلَغَهُ أَنَّ بها رجلاً يُقالُ له : عبدُ النّبِيِّ بَنُ مَهْدِيٍّ . قد تَغَلَّبَ عليها ودَعَا إلى نَفْسِهِ وتَسَمَّى بالإمامِ ، وزَعَمَ ^(١) أَنَّهُ سَيَمْلِكُ الأَرْضَ كُلَّها ، وقد كان أخوه عليُّ بنُ مَهْدِيٍّ قد تَغَلَّبَ قَبْلَهُ على اليَمَنِ ، وانتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِي أَهْلِ زَبِيدٍ ^(٢) ، وماتَ سَنَةً سَتَيْنِ فَمَلِكٌ بَعْدَهُ أَخُوهُ هَذَا ، وَكُلُّ مِنْهُمَا كانَ سَيِّئِ السَّيرَةِ والشَّرِيرَةِ ، فَعَزَمَ المَلِكُ صلاحُ الدينِ ، لكَثْرَةِ جَيْشِهِ وَقُوَّتِهِ ، على إِرْسالِ سَرِيَّةٍ إِلَيْهِ ، وكانَ أَخُوهُ الأَكْبَرُ شَمْسُ الدَّوْلَةِ شُجاعاً مَهيِّباً بَطْلاً ، وكانَ مُمَّنَّ يُجَالِسُ عُمَارةَ اليَمَنِ الشَّاعِرَ ، فَكانَ يَنْعُثُ لَهُ بِلادَ اليَمَنِ وَحُسْنَها وَكَثْرَةَ خَيْرِها ، فَحدَّاهُ ذلكَ على أَنَّ خَرَجَ في هَذِهِ السَّرِيَّةِ في رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فوردَ مَكَّةَ ، شَرَفَها اللَّهُ ، فاعْتَمَرَ بِها ثُمَّ سارَ مِنْها إلى زَبِيدَ ، فخرَجَ إِلَيْهِ عبدُ النّبِيِّ [٢٦٦/٩ و] فقاتلَهُ فَهَزَمَهُ تُورانشاهُ ، وأَسْرَهُ وَأَسَرَ زَوْجَتَهُ الحُرَّةَ ، وَكانَتْ ذاتَ أَمْوالٍ جَزِيلَةٍ فَاسْتَقَرَّها على أَشياءَ نَفيسَةٍ ، وَذخائِرَ جَلِيلَةٍ ، وَنَهَبَ الجَيْشُ زَبِيدَ ، ثُمَّ سارَ إلى عَدَنَ فقاتلَهُ يَاسِرٌ ^(٣) مَلِكُها فَهَزَمَهُ تُورانشاهُ وَأَسْرَهُ ، وَأَخَذَ البَلَدَ يَسِيرٍ مِنَ الحِصارِ ، وَمَنَعَ الجَيْشَ مِنْ نَهَبِها ، وَقَالَ ^(٤) : ما جِئنا لِنُخَرِّبَ البِلادَ ، وَإنما جِئنا لِعِمَارَتِها وَمُلْكِها . ثُمَّ سارَ في النّاسِ سيرةً حَسَنَةً عادِلَةً فَأَحْبَبُوهُ ، ثُمَّ تَسَلَّمَ بَقِيَّةَ الحِصُونِ وَالْمَعاقِلِ

(١) في الأصل ، ص : « يزعم لأصحابه » .

(٢) زبيد : مدينة مشهورة باليمن . معجم البلدان ٩١٥ / ٢ .

(٣) في الأصل : « بامر » ، وفي ص : « بامر » . وانظر الكامل ٣٩٧ / ١١ .

(٤) الكامل ٣٩٧ / ١١ .

والمخالف ، واستَوْسَقَ له مُلْكُ الْيَمَنِ بِحَذَائِفِهِ وَأَلْقَى إِلَيْهِ بِأَفْلَاحِ كَبِدِهِ وَمَطَامِيرِهِ ،
وخطَّب فيها للخليفة العباسي أبي محمد الحسن المستضيء ، وقتل الدَّعِيَّ المسمَّى
بعبد النبي ، وصَفَتِ الْيَمَنُ مِنْ أَكْدَارِهَا ، وَعَادَتْ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ مَضَامِرِهَا ،
وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر صلاح الدين يُخْبِرُهُ بما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ،
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ بِذَلِكَ إِلَى نُورِ الدِّينِ ، فَأَرْسَلَ نُورُ الدِّينِ
بذلك إلى الخليفة يَشْرُهُ بفتح اليمَنِ والخطبة بها له .

وفيهما خَرَجَ الْمُؤَفَّقُ خَالِدُ بْنُ الْقَيْسَرَانِيٍّ مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَقَدْ أَقَامَ لَهُ الْمَلِكُ
الناصرُ حَسَابَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَمَا خَرَجَ مِنَ الْخَوَاصِلِ حَسَبَمَا رَسَمَ بِهِ الْمَلِكُ نُورُ
الدِّينِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَقَدْ كَادَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ - لَمَّا جَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ بِذَلِكَ - يُظْهِرُ شَقَّ
العَصَا وَيُكَاشِرُ^(١) بِالْمُخَالَفَةِ وَالْإِبَاءِ ، وَلَكِنْ عَادَ إِلَى طِبَاعِهِ الْحَسَنَةِ وَأَظْهَرَ الطَّاعَةَ
الْمُسْتَحْسَنَةَ ، وَأَمَرَ بِكِتَابَةِ الْحَسَابِ وَتَحْرِيرِ الْكِتَابِ فَاثْتَلَّ^(٢) ذَلِكَ جَمَاعَةُ الدَّوَاوِينِ
وَالْحَسَابِ وَالْكِتَابِ ، وَبَعَثَ مَعَ ابْنِ الْقَيْسَرَانِيٍّ بِهَدِيَّةٍ سَنِيَّةٍ وَتَحْفٍ هَائِلَةٍ هَبْنِيَّةٍ ،
فَمِنْ ذَلِكَ خَمْسُ خَتَمَاتٍ شَرِيفَاتٍ مَغْطَّاتٍ^(٣) بِخُطُوطٍ مُسْتَوِيَّاتٍ ، وَمِائَةُ عَقْدٍ
مِنَ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَاتِ ، خَارِجًا مِنْ قِطْعِ الْبَلْخَشِ وَالْيَاقُوتِ ، وَالْفُصُوصِ وَالثِّيَابِ
الْفَاخِرَاتِ ، وَالْأَوَانِي وَالْأَبَارِقِ وَالصُّحُوفِ الذَّهَبِيَّاتِ وَالْفَضِيَّاتِ ، وَالْخُيُولِ ،
وَالْغِلْمَانِ وَالْجَوَارِي الْحَسَانِ وَالْحَسَنَاتِ ، وَمِنَ الذَّهَبِ عَشْرَةُ صِنَادِيقٍ مُقْفَلَاتٍ
مَخْتُومَاتٍ ، مِمَّا لَا يُدْرَى كَمْ عِدَّةٌ مَا فِيهَا مِنْ مِثْمَلٍ أَلُوفٍ مِنَ الذَّهَبِ الْمَصْرِيِّ

(١) في خ ، م : « والجواب فبادر إلى » .

(٢) في خ ، م : « يواجه » ، وَكَثَّرَ فَلَانُ لِفَلَانٍ إِذَا تَمَرَّ لَهُ وَأَوْعَدَهُ . اللسان (ك ش ر) .

(٣) في الأصل ، ص : « معظمات » . وانظر الروضتين ٥٥٨ / ١ .

المُعَدِّ لِلتَّفَقَاتِ . فَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ مِنَ الدِّيارِ الْمِصرِيَّةِ لَمْ تَصِلْ إِلَى الشَّامِ حَتَّى كَانَتْ وَفَاةُ الْمَلِكِ نَوْرِ الدِّينِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مَنْ رَدَّهَا عَلَيْهِ وَأَعَادَهَا إِلَيْهِ ، وَيَقَالُ : إِنَّ مِنْهَا مَا عُدِيَ عَلَيْهِ ، وَعَلِمَ بِذَلِكَ حِينَ وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .

مُقْتَلُ عُمَارَةَ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ زَيْدَانَ الْحَكَمِيِّ^(١) ، مِنْ قَحْطَانَ ، أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَلَقَبِ بَنَجْمِ الدِّينِ ، الْيَمَنِيِّ الشَّاعِرِ الْفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ . وَسَبُّ قَتْلِهِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ رُعُوسِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا حُكَّامًا فَاتَّقَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعِيدُوا الدَّوْلَةَ الْفَاطِمِيَّةَ ، فَكَتَبُوا إِلَى الْفِرْنَجِ يَسْتَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِمْ ، وَعَيَّنُوا خَلِيفَةً مِنْ دُرِّيَّةِ الْفَاطِمِيِّينَ وَوَزِيرًا وَأَمْرًا ، وَذَلِكَ فِي غَيْبَةِ السُّلْطَانِ بِلَادِ الْكَرْكِ ، ثُمَّ اتَّفَقَ مَجِئُهُ فَحَرَّضَ عُمَارَةَ الْيَمَنِيَّ شَمْسَ الدَّوْلَةِ ثُورَانِشَاهَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْيَمَنِ ؛ لِيَضْعِفَ بِذَلِكَ الْجَيْشُ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْفِرْنَجِ إِذَا قَدِمُوا لِنُصْرَةِ [٢٦٦/٩ ط] الْفَاطِمِيِّينَ ، فَخَرَجَ ثُورَانِشَاهَ وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُ عُمَارَةُ ، بَلْ أَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ يُفِيضُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَيُدَاخِلُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَارِ الدُّعَاةِ إِلَيْهِ وَالْمُحَرِّضِينَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَدْخَلُوا مَعَهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ ؛ وَذَلِكَ مِنْ قَلَّةٍ عَقِلَهُمْ وَكَثْرَةَ جَهْلِهِمْ ، فَخَانَهُمْ أَخَوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ ؛ وَهُوَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ نَجْمِ الْوَاعِظِ ، جَاءَ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا تَمَلَّأَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ ، وَبِمَا انْتَهَى أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَطْلَقَ لَهُ السُّلْطَانُ أَمْوَالًا جَزِيلَةً ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ حُلَلًا جَمِيلَةً ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُمْ السُّلْطَانُ وَاحِدًا وَاحِدًا فَقَرَّرَ بِهِمْ فَأَقْرَأُوا لَهُ بِذَلِكَ ، فَاعْتَقَلَهُمْ ثُمَّ اسْتَفْتَى الْفُقَهَاءَ فِي

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١٠١/٣ ، ومروءة الزمان ٣٠٢/١/٨ ، والروضتين ٥٦٠/١ ، ووفيات الأعيان ٤٣١/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥٩٢/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣٥١ .

أمرهم فأفتوه بقتلهم وتبديد شملهم ، فعند ذلك أمر بصلب رؤوسهم وأعيانهم ،
دون أتباعهم وغلمانهم ، وأمر بنفي من بقى من جيش العبيديين إلى أقصى
البلاد ، وأفرد ذريّة العاضد وأهل بيته في دار ، فلا يصل إليهم إصلاخ ولا إفساد ،
وأجرى عليهم من الأزراق كفايتهم ، وقد كان عمارة مُعاديًا للقاضي الفاضل ،
فلما أحضر بين يدي السلطان ، قام القاضي الفاضل فاجتمع بالسلطان ليشفع فيه
عنده ، فتوهمّ عمارة أنه تكلم فيه ، فقال ^(١) : يا مولانا السلطان لا تسمع منه .
فغضب القاضي الفاضل وخرج من القصر ، فقال له السلطان : إنه كان قد شفع
فيك . فندم ندماً عظيماً . ولما ذهب به ليُصلب مرّ بدار القاضي فطلبه فتغيّب عنه
فأنشد ^(٢) :

عبدُ الرحيم قد احتجب إن الخلاص هو العجب

قال ابن أبي طي ^(٣) : وكان الذين صلبوا؛ المفضل ^(٤) بن القاضي ، وهو
أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل قاضي قضاة الديار المصرية زمن
الفاطميّين ، ويلقب بفخر الأمناء ، وكان أوّل من صلب فيما قاله العماد
الكاتب ، وقد كان يُنسب إلى فضيلة وأدب ، وله شعر رائق ، فمن ذلك قوله في
غلام رقاء ^(٥) :

يا رافيا خرق كل ثوب ويا رشا حبه اغتقادي

(١) الكامل ١١ / ٤٠٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الروضتين ١ / ٥٦١ .

(٤) في النسخ : « الفضل » ، والمثبت من الروضتين ١ / ٥٦١ .

(٥) الروضتين ١ / ٥٧١ ، وخريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١ / ١٨٧ .

(٦ - ٦) في م : « ومارقا » .

عَسَى بِكَفِّ الْوِصَالِ تَرْفُو مَا مَزَّقَ الْهَجْرُ مِنْ فُؤَادِي
 وابن عبد القوي داعي الدعاة، وكان يعلّم بدفائن القصر فعوقب ليُعَلِّمَ بها،
 فامتنع من ذلك فمات واندرست. ^(١) والعوريس الذي كان ^(٢) ناظر الديوان،
 وتولّى مع ذلك القضاء. وشبرما ^(٣) كاتب السرّ. وعبد الصمد القشة ^(٤) أحد أمراء
 المصريين. ونجاح الحمامي، ورجلاً مُنَجِّماً نصرانياً أرمينياً كان قد بشرهم بأنّ هذا
 الأمر يتم بعلم النجوم، وعُمارة اليميني الشاعر، وقد كان شاعراً مُطَبِّقاً بليغاً
 فصيحاً، لا يُلْحَقُ شأؤه في هذا الشأن، وله ديوان مشهور وقد ذكرته في
 «طبقات الشافعية»؛ فإنه كان يشتغل بمذهب الشافعي، وله تصنيف في
 الفرائض، وكتاب «الوزراء الفاطميين»، وكتاب جمع فيه سيرة نفيسة التي
 كان يعتقدها عوام مصر، وقد كان أديباً فاضلاً فقيهاً فصيحاً، غير أنّه كان
 يُنسب إلى موالاة الفاطميين، وله فيهم وفي وزرائهم وأمرائهم مدائح كثيرة
 جداً، وأقل ما يُنسب إلى الرفض، وقد اتهم باطنه بالكفر المحض.

وذكر العماد في «الخريدة» أنّه قال في قصيدته التي يقول في أولها ^(٤):

الْعِلْمُ مُذْ كَانَ مُخْتَانِجٌ إِلَى الْعِلْمِ وَشَفْرَةُ السِّيفِ تَسْتَعْنِي عَنِ الْقَلَمِ
 وهي طويلة جداً فيها كفر وزندقة كثيرة، قال فيها:

قد كان [٢٦٧/٩ و] أول هذا الدين من رجلٍ سعى إلى أن دَعَوْهُ سَيِّدُ الْأُمَمِ

(١ - ١) في الأصل: «العوريس»، وفي م، والكامل: «العوريس».

(٢) في النسخ: «شبريا»، والمثبت من الروضتين ٥٦١/١.

(٣) في م: «الكاتب وهو».

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١٠٤/٣.

قال العمادُ : فأفتى علماء مِصْرَ بقتله ، وحرَّضوا السلطانَ على المثلَّةِ بمثله .
قال : ويجوزُ أن يكونَ هذا البيتُ معمولاً عليه . فاللهُ أعلمُ . وقد أورد ابنُ السَّاعي شيئاً من رقيقِ شعره ، فمن ذلك قوله يمدحُ بعضَ الملوك^(١) :

مِلْكٌ إِذَا قَابَلْتُ بِشَرِّ جَبِينِهِ فَارَقْتُهِ وَالْبِشْرُ فَوْقَ جَبِينِي
وَإِذَا لَثُمْتُ يَمِينَهُ وَخَرَجْتُ مِنْ أَبْوَابِهِ لَثَمَ الْمُلُوكُ يَمِينِي
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَتَغَزَّلُ^(٢) :

لِي فِي هَوَى الرَّشَاءِ الْعُدْرِيَّ أَغْذَارُ لَمْ يَتَّقَ لِي مُذْ أَقَرَّ الدَّمْعُ إِنْكَارُ
لِي فِي الْقُدُودِ وَفِي لَثَمِ الْخُدُودِ وَفِي ضَمِّ التُّهُودِ لُبَانَاتٍ وَأَوْطَارُ
هَذَا اخْتِيَارِي فَوَافِقُ إِنْ رَضِيتَ بِهِ أَوْ لَا فَدَعْنِي لِمَا أَهْوَى وَأَخْتَارُ
وَمَا أَنشَدَهُ تاجُ الدِّينِ الْكِندِيُّ فِي عُمَارَةِ الْيَمَنِيِّ حِينَ صُلِبَ^(٣) :

عُمَارَةٌ فِي الْإِسْلَامِ أَبْدَى خِيَانَةً وَبَايَعَ فِيهَا بَيْعَةً وَصَلِيبَا
وَأَمْسَى شَرِيكَ الشُّرْكِ فِي بُغْضِ أَحْمَدٍ فَأَصْبَحَ فِي حُبِّ الصَّلِيبِ صَلِيبَا
وَكَانَ خَبِيثَ الْمُلتَقَى إِنْ عَجَمْتَهُ^(٤) تَجَدَّدَ مِنْهُ عُودًا فِي النِّفَاقِ صَلِيبَا
سَيَلَقَى غَدًا مَا كَانَ يَسْعَى لِأَجَلِهِ وَيُسْقَى صَدِيدًا فِي لَظَى وَصَلِيبَا
قال الشيخُ شهابُ الدِّينِ^(٥) : فالأوَّلُ صليبُ النصارى ، والثاني بمعنى

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١٠٦/٣ ، والروضتين ٥٧٢/١ .

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١٠٧/٣ ، والروضتين ٥٧٢/١ .

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١٠٥/٣ ، والروضتين ٥٦٦/١ .

(٤) عجم العود : إذا عَضَّه ليعرف صلابته من رخاوته . اللسان (ع ج م) .

(٥) الروضتين ٥٦٦/١ .

مضلوب، والثالث بمغنى القوى، والرابع وذك العظام^(١).

ولما صلب الملك الناصر هؤلاء - وكان ذلك يوم السبت الثانى من شهر رمضان من هذه السنة بين القصرين من القاهرة - كتب إلى الملك نور الدين يُعلمه بما وقع منهم وما أوقع بهم من الخزي والنكال، قال العماد^(٢): فوصل الكتاب بذلك يوم توفى الملك نور الدين، رحمه الله تعالى. وكذلك قتل الملك صلاح الدين رجلاً من أهل الإسكندرية يقال له: قديد القفاص^(٣). قد افتتن به الناس، وجعلوا له جزءاً من أكسابهم، حتى النساء من أموالهن، فأحيط به فأراد الخلاص، ولأت حين مناص. فقتل أسوة بمن سلف، ولقد كان بئس الخلف، ولله الحمد والمثنة، وبه التوفيق والعصمة.

ومما وجد من شعر عمارة يزنى العاضد ودولته وأيامه^(٤):

أسفى على زمن الإمام العاضد	أسف العقيم على فراق الواحد
جالست من وزرائه وصحبت من	أمرائه أهل الثناء الماجد
لَهْفَى على حُجرات قصرك إذ خلت	يا ابن النبى من ازدحام الوافد
وعلى أنفرادك من عساكر الذى	كانوا كأمواج الخضم الراكد
قلدت مؤتمن الخلافة أمرهم	فكنا وقصر عن صلاح الفاسد
فعسى الليالى أن ترد عليكُم	ما عودتكم من جميل عوائد

(١) الودك: الدسم. اللسان (ودك). ولعل المقصود به ما يسيل من عظام أهل النار من القيح وغيره، وانظر مصدر التخريج.

(٢) الروضتين ١/ ٥٦٢.

(٣) فى الأصل: «القصاص»، وفى م: «القفاص». وانظر الروضتين ١/ ٥٦٦.

(٤) الروضتين ١/ ٥٦٩.

وله من جملة قصيدة^(١) :

يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة لك الملامة إن قصرت فى عذلى
بالله زُر ساحة القصرين وابك معى عليهما لا على صفيين والجمل
وقل لأهلها والله ما التحمت فيكم فروجى ولا مجزجى بمندمل
ماذا ترى كانت الإفرج فاعلة فى نسل آل أمير المؤمنين على

وقد أورد الشيخ أبو شامة فى «الروضتين» من أشعار عُمارة اليمنى ومداخجه فى الخلفاء الفاطميين وذويهم شيئاً كثيراً، وكذا القاضى ابن خلكان .

ابن قُرقُول^(٢) إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس [٩ / ٢٦٧ ط] ابن القائد الحمزى أبو إسحاق بن قُرقُول الأندلسى ، صاحب كتاب «مطالع الأنوار» الذى وضعه على مثال^(٣) كتاب «مشارق الأنوار» للقاضى عياض ، وكان من علماء بلاده وفضلائهم المشهورين ، مات فجأة بعد صلاة الجمعة سادس شَوَّالٍ من هذه السنة عن أربع وستين سنة ؛ قاله ابن خلكان^(٤) .

(١) الروضتين ١ / ٥٧٠ .

(٢) فى خ : «قرول» . وفى م : «قسرول» . وفى ص : «قورول» . وانظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ١ / ٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث وفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣٣٢ ، والعبر ٤ / ٢٠٥ ، ومراة الجنان ٤ / ١٧٠ .

(٣) زيادة من وفيات الأعيان ١ / ٦٢ .

(٤) وفيات الأعيان ١ / ٦٢ .

فصل في وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي بن آق سُنُقَر التُّرْكِي السَّلْجُوقِي في هذه السنة، وذكر شيء من سيرته العادلة وأيامه الكاملة

هو الملك العادل نور الدين، أبو القاسم محمود بن الملك الأتابك قسيم الدولة عماد الدين أبي سعيد زَنْكِي، الملقَّب بالشَّهيد بن الملك آق سُنُقَر الأتابك الملقَّب بقسيم الدولة أيضًا، التُّرْكِي السَّلْجُوقِي مؤلَّاهُمْ^(١)، وُلِدَ وقتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ يومَ الأحدِ السابعِ عَشَرَ مِن شَوَّالِ سنةٍ إِحْدَى عَشْرَةَ وخمسمائةٍ بِحَلَبَ، ونشأ في كَفَالَةِ والدِهِ صاحبِ حَلَبَ والمُؤَصِّلِ وغيرهما مِنَ البلدانِ الكثيرةِ، وتعلَّم الفُروسِيَّةَ والرُّمِّيَّ، وكان شَهِمًا شُجاعًا، ذا همةٍ عاليةٍ، وقصْدٍ صالحٍ، وحرْمَةٍ وافرةٍ، وديانةً مَتيِّنةً، فلَمَّا قُتِلَ أبوه سنةً إِحْدَى وأربعين وهو محاصرٌ جَعْفَرٌ، كما ذكرنا، صارَ الملكُ بِحَلَبَ إلى ابنِهِ هذا، وأعطاه أخوه سيفُ الدين غازي المؤصِّلَ، كما تقدَّم.

ثم افتتَحَ الملكُ نورُ الدين دِمَشقَ في سنةٍ تسعٍ وأربعين، فأحسنَ إلى أهلِها وبنىَ لَهُمُ المدارسَ والمساجدَ والرُّبُطَ، ووسَّعَ الطريقَ والأسواقَ، ووَضَعَ المَكُوسَ بدارِ البُطَيْخِ، والغنمِ، والعَرَضَةِ، وغيرِ ذلكَ، وكان حنفيَّ المذهبِ، يُحِبُّ العلماءَ والفقراءَ، ويكرِّمُهُم ويحترِّمُهُم، ويحسِنُ إليهِم، ويقومُ في أحكامِهِ

(١) المنتظم ٢٠٩/١٨، والكمال ٤٠٢/١١، ومراة الزمان ٣٠٥/١، والروضتين ٥٧٧/١، ووفيات الأعيان ١٨٤/٥، ومختصر تاريخ دمشق ١٢١/٢٤، وسير أعلام النبلاء ٥٣١/٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣٧٠.

بالمُعْدِلَةِ الحَسَنَةِ ، وَاتَّبَاعِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ ، وَيَعْقِدُ مَجَالِسَ الْعَدْلِ ، وَيَتَوَلَّاهَا بِنَفْسِهِ ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الْقَاضِي وَالْفَقْهَاءُ وَالْمُفْتُونَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ ، وَيَجْلِسُ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ بِالْمَسْجِدِ الْمُعَلَّقِ ، الَّذِي بِالْكَشْكِ ؛ لِيَصِلَ إِلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ ، وَأَحَاطَ الشُّورَ عَلَى حَارَةِ الْيَهُودِ ، وَكَانَ خَرَابًا ، وَأَغْلَقَ بَابَ كَيْسَانَ ، وَفَتَحَ بَابَ الْفَرَجِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ هُنَاكَ بَابٌ بِالْكُلَيْتَةِ ، وَأَظْهَرَ بَيْلَادَهُ السُّنَّةَ ، وَأَمَاتَ الْبِدْعَةَ ، وَأَمَرَ بِالتَّأْذِينَ بِحَيٍّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُؤَذَّنُ بِهِمَا فِي دَوْلَتِي أَبِيهِ وَجَدَّهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُؤَذَّنُ بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ ؛ لِأَنَّ شِعَارَ الرُّوَافِضِ كَانَ ظَاهِرًا بِهَا . وَأَقَامَ الْحُدُودَ وَفَتَحَ الْحِصُونِ ، وَكَسَرَ الْفِرْنَجَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَاسْتَنْقَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مَعَاقِلَ كَثِيرَةً مِنَ الْحِصُونِ الْمُنِيعَةِ ، الَّتِي كَانُوا قَدْ اسْتَحْوَذُوا عَلَيْهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا تَقَدَّمَ بَسْطُ ذَلِكَ فِي السَّنِينَ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي أَيَّامِهِ .

وَأَقْطَعَ أَمْرَاءَ الْعَرَبِ إِقْطَاعَاتٍ ؛ لِقَلَّا يَتَعَرَّضُوا لِلْحَجَجِيجِ ، وَبَنَى بِدِمَشْقَ مَارِسْتَانًا حَسَنًا لَمْ يُبْنَ فِي الشَّامِ قَبْلَهُ مِثْلُهُ وَلَا بَعْدَهُ أَيْضًا ، وَوَقَّفَ وَقْفًا عَلَى مَنْ يَعْلَمُ الْإِيْتَامَ الْخَطَّ وَالْقُرْآنَ ، وَجَعَلَ لَهُمْ نَفَقَةً وَكِسُوفَةً ، وَعَلَى مَنْ يُقْرَأُ الْإِيْتَامَ ، وَعَلَى الْمَجَاوِرِينَ بِالْحَرَمَيْنِ ^(١) .

وَكَانَ الْجَامِعُ دَائِرًا ، فَوُلِّيَ نَظَرَهُ الْقَاضِي كَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّهْرُزُورِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ، الَّذِي قَدِمَ بِهِ فَوَلَّاهُ قَضَاءَ الْقَضَاةِ بِدِمَشْقَ ، فَأَصْلَحَ أُمُورَهُ وَفَتَحَ الْمَشَاهِدَ الْأَرْبَعَةَ ، وَقَدْ كَانَتْ حَوَاصِلُ الْجَامِعِ بِهَا مِنْ حِينَ اخْتَرَقَ سَنَةً إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ ، وَأَضَافَ إِلَى أَوْقَافِ الْجَامِعِ الْمَعْلُومَةِ الْأَوْقَافَ الَّتِي لَا يُعْرَفُ وَاقِفُوهَا ، وَلَا يُعْرَفُ شُرُوطُهُمْ فِيهَا ، وَجَعَلَهَا قَلَمًا وَاحِدًا ، وَسَمَّاهُ مَالَ

(١) بعده في خ ، م : « وله أوقاف دائرة على جميع أبواب الخير وعلى الأراميل والمحاييج » .

المصالح، فرُتّب عليه [٢٦٨/٩] لذوى الحاجات والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، وما أشبه ذلك وشاكله.

وقد كان الملك نور الدين حسن الخطّ، كثير المطالعة للكتب الدينية، مُتبعاً للآثار النبوية، مُحافظاً على الصلوات فى الجماعات، كثير التلاوة، محباً لفعل الخيرات، عفيف البطن والفرج، مُقتصدًا فى الإنفاق على نفسه وأهله وعياله فى المطعم والملبس^(١)، لم تُسمع منه كلمة فُحش فى غضبٍ ولا رضا.

قال ابن الأثير^(٢): لم يكن فى ملوك الإسلام بعد عمر بن عبد العزيز مثلُ الملك نور الدين، ولا أكثر تحريراً للعدل والإنصاف منه، كان قد استفتى العلماء فى مقدار يحلُّ له فى بيت المال، فكان يتناوله لا يزيدُ عليه. وكانت له ذكائين بجمّص قد اشتراها ممّا يخصّه من المغام، فزاد كِرَاءها لامرأته على نفقتها حين استقلّتها عليها.

وكان يكثر اللعب بالكرة، فعاتبه بعض الصالحين فى ذلك، فقال^(٣): إنما أريدُ تمرينَ الخيل، وتعليمها الكرّ والفرّ. وكان لا يلبس الحرير، ويأكل من كسب يده، رحمه الله.

وركب يوماً مع بعض أصحابه والشمس فى ظهورهما، وظلّها بين أيديهما لا يدرّكانه، ثم رجعا فصار الظل وراءهم، فساق الملك نور الدين وجعل يلتفت وظله يتبعه، ثم قال لصاحبه^(٤): قد شبّهت ما نحن فيه بالدنيا، تهربُ ممّن

(١) بعده فى خ، م: «حتى قيل: إنه كان أدنى الفقراء فى زمانه أعلى نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا».

(٢) الكامل ٤٠٣/١١.

(٣) الروضتين ١٢/١.

(٤) المصدر السابق ١٣/١.

يَطْلُبُهَا ، وَتَطْلُبُ مَنْ يَهْرُبُ مِنْهَا . وَقَدْ أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى ^(١) :

مِثْلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِثْلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ
أَنْتَ لَا تُذَرِّكُهُ مُتَّبِعًا فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ

وَكَانَ فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَأَسْمَعَهُ ، وَكَانَ كَثِيرَ
الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ مِنْ وَقْتِ السَّحْرِ إِلَى أَنْ يَرَكَبَ ^(٢) :

جَمَعَ الشَّجَاعَةَ وَالْخُشُوعَ لَدَيْهِ مَا أَحْسَنَ الْحِرَابَ ^(٣) فِي الْحِرَابِ

وكَذَلِكَ كَانَتْ زَوْجَتُهُ عَصْمَةُ الدِّينِ خَاتُونُ بِنْتُ الْأَتَابِكِ مُعِينِ الدِّينِ أَتَرُ ،
تُكْثِرُ قِيَامَ اللَّيْلِ ، فَنَامَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَنْ وِرْدِهَا ، فَأَصْبَحَتْ وَهِيَ غَضَبِي ، فَسَأَلَهَا
عَنْ أَمْرِهَا ، فَذَكَرَتْ مَا حَصَلَ لَهَا مِنَ النَّوْمِ الَّذِي قَطَعَهَا عَنْ وِرْدِهَا ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ
طَبْلَخَانَةٍ فِي الْقَلْعَةِ وَقَتِ السَّحْرِ ؛ لِيُوقِظَهَا وَأَمَثَالَهَا مِنَ النَّوْمِ لِقِيَامِ اللَّيْلِ ^(٤) :

وَأَلْبَسَ اللَّهُ هَاتِيكَ الْعِظَامَ وَإِنْ بَلِيْنَ تَحْتَ الثَّرَى عَفْوًا وَغُفْرَانًا
سَقَى ثَرَى أَوْدَعُوهُ رَحْمَةً مَلَأَتْ مَثْوَى قُبُورِهِمْ رَوْحًا وَرَيْحَانًا

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ ^(٥) أَنَّ الْمَلِكَ نَوَرَ الدِّينَ بَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا يَلْعَبُ بِالْكُرَةِ إِذْ رَأَى
رَجُلًا يَحْدُثُ آخَرَ وَيُؤَمِّئُ إِلَيْهِ ، فَبَعَثَ الْحَاجِبَ ؛ لِيَسْأَلَهُ مَا شَأْنُهُ ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ
مَعَهُ رَسُولٌ مِنْ جِهَةِ الْحَاكِمِ ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ عَلَى الْمَلِكِ نَوْرَ الدِّينِ حَقًّا يَرِيدُ

(١) الروضتين ١٣/١ .

(٢) الكامل ٤٠٣/١١ ، والروضتين ١٤/١ .

(٣) فِي خ ، م : « الشَّجْعَان » . وَالْحِرَابُ : كَثِيرُ الْحَرْبِ .

(٤) الْبَيْتَانِ لِأَسَامَةِ بْنِ مَنْقَذٍ قَالَهُمَا فِي مَرثِيَةِ رَهطِهِ لَمَّا هَلَكُوا بِشَيْزِرَ عَامِ الزَّلَازِلِ الْمُتَابَعَةِ ، وَكَانَتْ بَدَايَتُهَا

فِي رَجَبِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . انْظُرِ الدِّيَوَانَ ص ٣٠٩ .

(٥) الروضتين ١٥/١ .

خُلُوتَهُ وَإِيَّاهُ إِلَى الْقَاضِي ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ بِذَلِكَ أَلْقَى الْجُوكَانَ^(١) مِنْ يَدِهِ ، وَأَقْبَلَ مَعَ خَصْمِهِ إِلَى الْقَاضِي كِمَالِ الدِّينِ الشَّهْرَزُورِيِّ ، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مِنْ أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ أَنْ لَا تَعَامِلْنِي إِلَّا مَعَامِلَةَ الْخُصُومِ ، فَحِينَ وَصَلَ وَقَفَ نُورُ الدِّينِ مَعَ خَصْمِهِ ، حَتَّى انْفَصَلَتِ الْحُكُومَةُ ، وَلَمْ يَثْبُثْ لِلرَّجُلِ حَقٌّ ، بَلْ ثَبَتَ الْحَقُّ لِلسُّلْطَانِ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ ذَلِكَ قَالَ السُّلْطَانُ : إِنَّمَا جِئْتُ مَعَهُ ؛ لِأَنِّي لَا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ عَنِ الْحُضُورِ إِلَى الشَّرْعِ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ شِخْنَكِيَّةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ عِنْدِي ، وَمَعَ هَذَا أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ مَلَكَتُهُ ذَلِكَ وَوَهَبْتُهُ لَهُ .

^(٢) وَأُرْسِلَ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ رَسُولًا [٢٦٨/٩ ظ] مِنْ جِهَتِهِ يَقَالُ لَهُ : سُوَيْدٌ . لِيُحْضِرَ الْمَلِكُ نُورَ الدِّينِ إِلَى مَجْلِسِ الْحُكْمِ لِسَمَاعِ دَعْوَى مِنْ رَجُلٍ عَلَيْهِ ، فَبَلَغَ سُوَيْدُ الرِّسَالَةَ إِلَى الْحَاجِبِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ : لِيَقُمِ الْمُؤَلَّى إِلَى الْقَاضِي لِسَمَاعِ دَعْوَى . وَكَأَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَمَا لَكَ تَسْتَهْزِئُ بِذَلِكَ ! ثُمَّ قَالَ : ائْتُونِي بِفَرَسِي . فَتَهَضَّ وَهُوَ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور : ٥١] . وَذَهَبَ إِلَى الْحَاكِمِ وَكَانَ يَوْمًا مَطْرًا ، كَثِيرَ الْوَحْلِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .^(٣)

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ^(٣) : وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ابْتَنَى دَارًا لِلْعَدْلِ ، فَكَانَ يَجْلِسُ فِيهَا فِي الْأُسْبُوعِ يَوْمَيْنِ ، وَقِيلَ : أَرْبَعَةً . وَقِيلَ : خَمْسَةً . وَيَحْضُرُ الْقَاضِي وَالْفُقَهَاءُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ، وَلَا يَحْجُبُهُ يَوْمَئِذٍ حَاجِبٌ بَلْ يَصِلُ إِلَيْهِ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، فَيُكَلِّمُ النَّاسَ ، وَيَسْتَفْهِمُهُمْ وَيَخَاطِبُهُمْ بِنَفْسِهِ ، فَيَكْشِفُ الظَّالِمَ ، وَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنْ

(١) الجوكان : البمخجن الذي تضرب به الكرة في ألعاب الفروسية . صبح الأعشى ٥٨٨/٥ .

(٢ - ٢) سقط من : خ ، م . والخبر في الروضتين ٣٦/١ .

(٣) الروضتين ١٧/١ ، ١٨ ، ومرة الزمان ٣٠٩/١ .

الظالم، قال: كان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه بن شاذى كان قد عظم شأنه، حتى صار كأنه شريكه فى المملكة، واقتنى الأملاك والأموال والمزارع والقرى، فربما ظلم نوابه جيرانهم فى الأراضى، وكان القاضى كمال الدين يُنصِفُ كُلَّ مَنْ اسْتَعْدَاه على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا، فلما ابتنى الملك نور الدين دار العدل تقدّم أسد الدين إلى نوابه أن لا يدعوا لأحد عنده ظلامة، وإن كان عظيمًا، فإن زوال ماله أحب إليه من أن يراه نور الدين يعين ظالم، أو يُوقفه مع خصم من العامة، ففعلوا ذلك، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة لم ير أحدًا يستعدي على أسد الدين، فسأل القاضى عن ذلك، فأعلمه بصورة الحال، فسجد نور الدين عند ذلك شكرًا لله، وقال: الحمد لله الذى جعل أصحابنا ينصفون من أنفسهم.

وأما شجاعته فكان يقال^(١): إنه لم يُر على ظهر الفرس أحسن ولا أثبت منه. وكان يُحسِن اللعب بالكرة ورُبما ضربها ثم يسوق وراءها ويأخذها من الهواء بيده، ثم يرميها إلى آخر الميدان، ولم يُر جوكاؤه يغلّو على رأسه، ولا يُرى الجوكاؤ فى يده؛ لأنّ الكمّ ساتر لها، ولكنّه استهانة بلعب الكرة.

وكان شجاعًا ضبورًا فى الحرب، يُضربُ المثل به فى ذلك، وكان يقول^(٢): قد تعرّضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لى ذلك. وقال له يومًا الفقيه قطب الدين النيسابورى: بالله يا مولانا السلطان لا تُخاطر بنفسك؛ فإنك لو قُتلت قُتل جميع من معك، وأُخذت البلاد. فقال: اسكُت يا قطب الدين من هو

(١) الروضتين ١٨/١.

(٢) المصدر السابق ١٩/١.

محمود؟ مَنْ كَانَ يَحْفَظُ الْبِلَادَ قَبْلِي؟ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. قَالَ: فَبَكَى مِنْ حُضْرٍ.
 وَقَدْ أَسْرَ بِنَفْسِهِ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ بَعْضَ مَلُوكِ الْفِرْنَجِ، فَاسْتَشَارَ الْأَمْرَاءَ فِيهِ
 هَلْ يَقْتُلُهُ أَوْ يَأْخُذُ مِنْهُ مَا يَنْدُلُ لَهُ مِنَ الْمَالِ فِي الْفِدَاءِ؟ فَاسْتَلَفُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ حَسَنَ
 فِي رَأْيِهِ إِطْلَاقَهُ، وَأَخَذَ الْفِدَاءَ، فَحِينَ جَهَّزَ بَعَثَ الْفِدَاءَ مَاتَ بَيْلَدِهِ، فَأَعْجَبَ
 ذَلِكَ نَوْرَ الدِّينِ وَأَصْحَابَهُ، وَابْتَنَى نَوْرُ الدِّينِ مِنْ ذَلِكَ الْمَالِ الْبِيمَارْشْتَانَ الَّذِي بُنِيَ
 بِدَمَشَقَ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا بُنِيَ مِنَ الْبِيمَارْشْتَانَاتِ بِالْبِلَادِ، وَمِنْ شَرْطِهِ أَنَّهُ عَلَى
 الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَإِذَا لَمْ يَوْجَدْ بَعْضُ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي يَعْزُّ وَجُودُهَا إِلَّا فِيهِ فَلَا يُمْنَعُ مِنْهُ
 الْأَغْنِيَاءُ، وَمَنْ جَاءَ مُسْتَوْصِفًا فَلَا يُمْنَعُ مِنْ شَرَابِهِ، وَلِهَذَا جَاءَ إِلَيْهِ نَوْرُ الدِّينِ
 وَشَرِبَ مِنْ شَرَابِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

[٢٦٩/٩] قُلْتُ: وَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّهُ لَمْ تَخْمُدْ مِنْهُ النَّارَ مِنْذُ بُنِيَ إِلَى
 زَمَانِنَا هَذَا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ بَنَى الْخَانَاتِ فِي الطَّرِيقِ، وَالْأَبْرَاجِ، وَرَتَّبَ الْخُفَرَاءَ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَخُوفَةِ،
 وَجَعَلَ فِيهَا الْحَمَامَ الْهُوَادِيَ الَّتِي تَطَالِعُ الْأَخْبَارَ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ، وَبَنَى الرُّيُطَ
 وَالْخَانَقَاهَاتِ، وَكَانَ يَجْمَعُ الْفُقَهَاءَ عِنْدَهُ لِلْبَحْثِ، وَالْمَشَايِخَ وَالصُّوفِيَّةَ لِلزِّيَارَةِ،
 وَيَكْرِمُهُمْ وَيَعْظُمُهُمْ، وَقَدْ نَالَ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ عِنْدَهُ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ قُطْبُ
 الدِّينِ النَّيْسَابُورِيِّ، فَقَالَ لَهُ نَوْرُ الدِّينِ^(١): وَيَحْكُ! إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَلَهُ مِنَ
 الْحَسَنَاتِ الْكَثِيرَةِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ مِمَّا يَكْفُرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِ مَا ذَكَرْتَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا،
 عَلَى أَنِّي وَاللَّهِ لَا أَصَدِّقُكَ، وَإِنْ عُدْتَ ذَكَرْتَهُ أَوْ أَحَدًا غَيْرَهُ بِشُوءٍ لَأَدَّبْتُكَ. قَالَ:
 فَكَفَّ عَنْهُ وَلَمْ يَذْكُرْهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

(١) الروضتين ٢٢/١.

وَابْتَنَى بِدِمَشْقَ دَارًا لِسَمَاعِ الْحَدِيثِ وَإِسْمَاعِيهِ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ^(١): وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى دَارَ حَدِيثٍ، وَقَدْ كَانَ مَهِيئًا وَقُورًا شَدِيدَ الْهَيْئَةِ فِي قُلُوبِ أَمْرَائِهِ، لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ يَجْلِسُ بِلَا إِذْنِ سَوَى الْأَمِيرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَأَمَّا أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ وَمَجْدُ الدِّينِ ابْنُ الدَّائِيَةِ نَائِبُ حَلَبَ وَالْأَكَابِرُ وَغَيْرُهُمْ، فَكَانُوا يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَ هَذَا إِذَا دَخَلَ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ قَامَ لَهُ وَمَشَى لَهُ خُطَوَاتٍ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى سَجَادَتِهِ وَشَرَعَ يَحَادِثُهُ فِي وَقَارٍ وَشُكُونٍ، وَإِذَا أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقُولُ^(٢): هَؤُلَاءِ لَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ حَقٌّ أَضْعَافُ مَا أُعْطِيَهُمْ، فَإِذَا رَضُوا مِنَّا بَبَعْضِهِ فَلَهُمُ الْمِئَّةُ عَلَيْنَا.

وَقَدْ سُمِعَ^(٣) عَلَيْهِ جُزْءُ حَدِيثٍ وَفِيهِ: «فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَلِّدًا السِّيفَ». فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ تَغْيِيرِ عَادَاتِ النَّاسِ، وَكَيْفَ يَرْبُطُ الْأَجْنَادُ السِّيفَ فِي أَوْسَاطِهِمْ وَلَا يَفْعَلُونَ هَذَا، ثُمَّ أَمَرَ الْجَنْدَ بِأَنْ لَا يَحْمِلُوا السِّيفَ إِلَّا مُتَقَلِّدِيهَا، ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى الْمَوَكِبِ وَهُوَ مُتَقَلِّدُ السِّيفِ وَجَمِيعُ الْجَيْشِ كَذَلِكَ، يَرِيدُ بِهِ الْاِقْتِدَاءَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَصَّ^(٤) عَلَيْهِ وَزِيرُهُ مَوْفَّقُ الدِّينِ خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ نَضْرٍ بِنْ صَغِيرٍ، ابْنُ الْقَيْسَرَانِيِّ الشَّاعِرُ أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يَغْسِلُ ثِيَابَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَنَاشِيرَ بَوْضَعِ الْمَكُوسِ وَالضَّرَائِبِ عَنِ الْبِلَادِ، وَقَالَ: هَذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ. وَكُتِبَ إِلَى النَّاسِ يَسْتَعَجِلُ مِنْهُمْ فِي جِلِّ مِمَّا كَانَ أَخَذَ مِنْهُمْ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا

(١) الروضتين ١/٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ١/٢٧.

(٤) المصدر السابق ١/٢٨.

صُرِفَ فِي قِتَالِ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْكُفَرَةِ ، قَبَحَهُمُ اللَّهُ وَلَعَنَهُمْ .

وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ مَمَالِكِهِ وَبُلْدَانِ سُلْطَانِهِ ، وَأَمَرَ الْوُعَاظَ أَنْ يَسْتَحْجِلُوا لَهُ
مِنَ التَّجَارِ لِنُورِ الدِّينِ ، وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ ^(١) : اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْعَشَّارَ الْمَكَّاسَ .
وَقِيلَ ^(٢) : إِنَّ بُزْهَانَ الدِّينِ الْبَلَخِيَّ أَنْكَرَ عَلَى الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ اسْتِعَانَتَهُ فِي الْحُرُوبِ
بَأَمْوَالِ الْمَكُوسِ ، وَقَالَ : كَيْفَ تُنْصَرُونَ وَفِي عَسَاكِرِكُمْ الْخُمُورُ وَالطُّبُولُ
وَالزُّمُورُ؟! وَيَقَالُ ^(٣) : إِنَّ سَبَبَ وَضْعِهِ الْمَكُوسَ عَنِ النَّاسِ أَنَّ الْوَاعِظَ أَبَا عَثْمَانَ
الْمُنْتَجَبَ بْنَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيَّ - وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْكِبَارِ - أَنْشَدَ نُورَ
الدِّينِ ^(٤) :

مِثْلَ وَقُوفِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
إِنَّ قِيلَ نُورَ الدِّينِ رُحْتَ مُسْلِمًا	فَاخْذَرْ بِأَنْ تَبْقَى وَمَا لَكَ نُورُ
أَنْهَيْتَ عَنْ شُرْبِ الْخُمُورِ وَأَنْتَ مِنْ ^(٥)	كَأْسِ الْمَظَالِمِ طَافِحِ مَخْمُورُ
عَطَّلْتَ كَاسَاتِ الْمُدَامِ تَعَقُّفًا	وَعَلَيْكَ كَاسَاتُ الْحَرَامِ تَدُورُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا ثَقُلْتَ إِلَى الْبَلَى	فَرَدًّا وَجَاءَكَ مِنْكَرٌ وَنَكِيرُ
وَتَعَلَّقْتَ فِيكَ الْخُصُومَ وَأَنْتَ [٢٦٩/٩] فِي	يَوْمِ الْحِسَابِ مُسَحَّبٌ مَجْرُورُ
وَتَفَرَّقْتَ عَنْكَ الْجُنُودُ وَأَنْتَ فِي	ضَيْقِ اللَّحُودِ مُوسَّدٌ مَقْبُورُ
وَوِدِدْتَ أَنْكَ مَا وَلَيْتَ وَلَايَةً	يَوْمًا وَلَا قَالَ الْأَنَامُ أَمِيرُ

(١) الروضتين ٢٨/١ .

(٢) المصدر السابق ٣٨/١ .

(٣) المصدر السابق ٢٨/١ .

(٤) المصدر السابق ٢٨/١ .

(٥) فِي النسخ : « فِي » وَالثبت من الروضتين .

وبقيت بعد العزّ رهَنَ حَفَيرةَ فى عالمِ الموتى وأنتَ حَقيرُ
وحشِرَتْ غُزيانا حزينًا باكيًا قَلِقًا وما لكِ فى الأنامِ مُجِيرُ
أَرْضِيتَ أَنْ تَحْيَا وقلْبُكَ دَارِسُ عافى الخرابِ وجِسمُكَ المَعْمُورُ
أَرْضِيتَ أَنْ يَحْطَى سِوَاكَ بِقُربِهِ أَبَدًا وأنتَ مَبْعَدُ مَهْجُورُ
مَهْدُ لِنَفْسِكَ حُجَّةٌ تَنْجُو بها يومَ المَعَادِ لَعَلَّكَ المَعْدُورُ
فلَمَّا سَمِعَهَا المَلِكُ نورُ الدينِ بَكَى ، وأمرَ بوضَعِ المَكُوساتِ والضرائبِ فى
سائرِ بلادِهِ .

وكتب^(١) إليه الشيخُ عمرُ المَلَأِ مِنَ المَوْصِلِ ، وكان قد أَمَرَ الولاةَ بها أَنْ لا
يُفْصَلُوا بها أُمُرا حتى يُعْلِمُوهُ ، فما أَمَرَهُم به مِنْ شَيْءٍ امْتَثَلُوهُ - وكان مِنْ
الصالحينِ الزاهدينِ ، وكان نورُ الدينِ يَسْتَقْرِضُ مِنْهُ فى كُلِّ شَهِرٍ رَمَضانَ ما يُفِطِرُ
عليه ، فكان يرسلُ إليه بِقَتِيَّتِ ورقاقٍ ، فيفِطِرُ عليه - كَتَبَ إليه^(٢) : إِنَّ المُفْسِدِينَ
قد كَثُرُوا ، ويُحْتَاجُ إلى نوعِ سِياسَةٍ ، ومثلُ هذا لا يَجِىءُ إِلَّا بِقَتْلِ وَصْلٍ
وضَرْبٍ ، وإذا أُخِذَ مالُ إنسانٍ فى البرِّيَّةِ مَنْ يَجِىءُ فيشْهَدُ له ؟ فَكَتَبَ المَلِكُ نورُ
الدينِ على ظَهِرِ الكِتابِ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ ، وَشَرَعَ لَهُمْ شَرِيعَةً ، وَهُوَ أَعْلَمُ بما
يُضِلُّهُمْ ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ فى الشَّرِيعَةِ زِيادَةً فى المَصْلَحَةِ لَشَرَعَهَا ، فما لَنَا حَاجَةٌ إلى
الزِيادَةِ على ما شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى . قال : فَجَمَعَ الشَّيْخُ عمرُ المَلَأُ جَمَعَ النّاسِ
بِالمَوْصِلِ وأَقْرَأَهُمُ الكِتابَ ويقولُ : انظُرُوا إلى كِتابِ الزاهِدِ إلى المَلِكِ ، وَكِتابِ
المَلِكِ إلى الزاهِدِ !

(١) الروضتين ٣٢/١ .

(٢) أى : الشيخ عمر الملاء .

وجاء^(١) إليه أخو الشيخ أبي البيان يستغديه على رجلٍ أنه يشبه ويرميه بأنه
مراءٍ مُتنامِسٌ^(٢) ، وجعل يبالغ في شكائيه منه ، فقال له السلطان : أليس الله تعالى
يقول : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] . فسكت الشيخ
ولم يُحرز جوابًا .

وقال الفقيه أبو الفتح الأسترئي^(٣) معيدُ النُظامِيَّة ببغداد ، وكان قد جمع سيرة
مختصرة لنور الدين ، قال^(٤) : وكان يحافظُ على الصلوات في أوقاتها في جماعة
بتمام شروطها وأركانها ورُكوعها وسجودها ، وكان كثير الصلاة بالليل ،
والإتيهال إلى الله ، عز وجل ، في أموره كلها .

قال^(٥) : وبلغنا عن جماعة من الصوفيَّة ممن يُعتمدُ على قولهم أنهم دخلوا
بلاد القدس للزيارة أيام الفرنج ، فسمع الكفار يقولون : ابن القسيم - يغنون نور
الدين - له مع الله سرٌّ ؛ فإنه ما يظفر علينا بكثرة جُنْدِه وجيشه ، وإنما يظفر علينا
بالدعاء وصلاة الليل ، فإنه يصلّي بالليل ، ويرفع يده إلى الله ويدعو ، فالله
سبحانه وتعالى ، يستجيب له دعاءه ويُعطيه سُؤْلَه ، وما يرُدُّ يده خائبةً ، فيظفر
علينا . قال : فهذا كلام الكفار في حقّه ، رحمه الله .

وحكى الشيخ شهاب الدين^(٥) أنَّ الملك نور الدين وقف بُستان الميْدان -
سوى الغيضة التي تليّه - نصفه على تطيب جامع دمشق ، والنصف الآخر يُقسّم
أحد عشر جزءًا ؛ جزآن منها على تطيب المدرسة التي أنشأها للحنفيَّة ، والتسعة

(١) الروضتين ١/ ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) أى : محتال . تاج العروس (ن و س) .

(٣) واسمه بُنجير بن علي ، توفي سنة (٥٧٩) هـ . توضيح المشتبه ١/ ٢٣٦ .

(٤) الروضتين ١/ ٣٤ .

(٥) الروضتين ١/ ٤١ .

أجزاء الباقية على تطييب المساجد التسعة ؛ وهي جامع الصالحين بجبل قاسيون ،
وجامع القلعة ، ومسجد عطية ، ومسجد ابن لبيد بالفسقار ، ومسجد الرماحين ،
والمسجد العباسي ، ^(١) والمسجد المعلق ^(٢) بالصاغة ، ومسجد [٢٧٠/٩] دار البطيخ
المعلق ، والمسجد الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود ، لكل من هذه المساجد
جزء من أحد عشر جزءاً من النصف .

ومناقبه ومآثره ومحاسنه كثيرة جداً ، وقد ذكرنا نبذة من ذلك يُستدل بها
على ما عداها .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول « الروضتين » ^(٣) شيئاً كثيراً من ذلك ،
وذكر ما مديح به من القصائد ، وقد أوردنا في غبون دولته طرفاً صالحاً من عدله
وقضيه الصالح ، وذكرنا أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثم مات ، ثم تولّى
صلاح الدين هم بعزله عنها واستنابة غيره فيها غير مرة ، ولكن يعوقه عن ذلك
القدر ، ويضده اقتراب أجله وفراغ عمله ، ولكن كان في هذه السنة - سنة تسع
وستين - وهي آخر مدته ، قد صمم على الدخول إلى الديار المصرية ، وأرسل إلى
عساكر من بلاد الموصل وغيرها ؛ ليكونوا ببلاد الشام ويركب هو في جمهور
جيشه إلى مصر ، وقد خاف منه الملك صلاح الدين خوفاً شديداً . فلما كان يوم
عيد الفطر من هذه السنة وهو في الميدان الأخضر القبلي ، وصلى به الخطيب فيه
صلاة العيد ، وكان ذلك يوم الأحد ، ورمى القبق ^(٤) في الميدان الأخضر

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من الروضتين ٤١/١ .

(٢) الروضتين ٩/١ .

(٣) القبق : لعبة من ألعاب الفروسية ، الغرض منها التدريب على الرماية .

الشمالي، والقَدْرُ يقولُ له : هذا آخرُ الأعيادِ . ومدَّ يومَ العيدِ سِمَاطًا حافلًا ، وأمرَ بانْتِهائِهِ على العادةِ ، وطَهَّرَ ولَدَه الملكَ الصالحَ إِسماعيلَ في هذا اليومِ ، وزَيَّنَ له البلدُ ، وضُرِبَتْ البشائرُ للعيدِ وللخِتانِ ، وركبَ يومَ الاثنينِ في المَوْكَبِ على العادةِ ، ثم لعبَ بالكرةِ في يومِهِ ، فَحَصَلَ له غِيْظٌ مِنْ بَعْضِ الأُمَرَاءِ ، ولم يَكُنْ ذلكَ مِنْ سَجِيَّتِهِ ، فبادَرَ إلى القلعةِ وهو كذلكَ في غايةِ الغضبِ ، وَحَصَلَ له انزعاجٌ ، ودَخَلَ في خَيْرَةِ سوءِ المزاجِ ، واشتَغَلَ بِنَفْسِهِ وإزعاجِهِ ، وتَنَكَّرَتْ عليه جميعُ حواسِهِ وطِباعِهِ ، واحتَبَسَ أَشْبُوعًا عن الناسِ ، والناسُ في شغْلِ عَنهِ بما هم فيه مِنَ اللَّعِبِ والانشراحِ بالزَّيْنَةِ التي قد نَصَبُوهَا ، فهذا وجودُ بَرْوَجِهِ ، وهذا يروُّحُ بجلودِهِ ، وأنْعَكَسَتْ تلكَ الأفراحُ بالأثرِاجِ ، ونَسَخَ الجِدُّ ذلكَ المزاجَ ، وَحَصَلَتْ لِلْمَلِكِ خَوَانِيْقٌ في حَلْقِهِ مَنَعَتْهُ مِنْ أَدَاءِ المنطِقِ ، وهذا شأنُ أَوْجَاعِ الحَنَقِ ، وكان قد أُشِيرَ عليه بالفُصْدِ فلم يَفْعَلْ ، وكان أَثَرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ، وكان ذلكَ في الكتابِ مَسْطُورًا .

فلَمَّا كَانَ يومَ الأَرْبَعَاءِ الحَادِي عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ قُبِضَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَلَهُ فِي الْمَلِكِ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ القَلْعَةِ بِدِمَشَقَ ، وَدُفِنَ بِهَا حَتَّى حُوِّلَ إِلَى تُرْبَةِ بُيُوتِ لَهُ بِبَابِ المَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا لِلْحَنْفِيَّةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَبَلَّ بِالرَّحْمَةِ ثَرَاهُ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ .

وقد رثاه الشُّعْرَاءُ بِجَمَارِثٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَوْرَدَهَا أَبُو شَامَةَ فِي «الرَّوْضَتَيْنِ» . وما أَحْسَنَ مَا قَالَ العِمَادُ^(١) :

(١) الروضتين ١/ ٥٨١ .

عَجِبْتُ مِنَ الْمَوْتِ كَيْفَ اهْتَدَى إِلَى مَلِكٍ فِي سَجَايَا مَلَكٍ
وَكَيْفَ ثَوَى الْفَلَكَ الْمُسْتَدِيدِ رُفَى الْأَرْضِ وَالْأَرْضُ وَشَطَّ الْفَلَكَ

وقال حسانُ الشاعرُ الملقَّبُ بالعَزْقَلَةِ في مدرسة نور الدين حينَ دُفِنَ فيها^(١) :

ومدرسة سَيَدْرُسُ كُلُّ شَيْءٍ وَتَبْقَى فِي جَمَى عِلْمٍ وَنُشْكٍ
تَضَوُّعَ ذِكْرُهَا شَرْقًا وَغَرْبًا بَنُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَنْكِي
يَقُولُ وَقَوْلُهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ بَغِيرِ كِنَايَةٍ وَبَغِيرِ شَكٍّ
[٢٧٠/٩ ط] دَمَشَقُ فِي الْمَدَائِنِ بَيْتُ مُلْكِي وَهَذِي فِي الْمَدَارِسِ بَيْتُ مُلْكِي

وقبره مشهورٌ بِدَمَشَقٍ يُزَارُّ، وَيُخَلَّقُ^(٢) شُبَّاكُهُ، فَيَطَّيَّبُ بِرِيحِهِ كُلُّ مَارٍّ، وَإِنَّمَا
يَقُولُ النَّاسُ : نَوْرُ الدِّينِ الشَّهِيدُ . لِمَا حَصَلَ لَهُ فِي حَلْقِهِ مِنَ الْخَوَانِيقِ ، وَكَذَا كَانَ
يُقَالُ لِأَبِيهِ : الشَّهِيدُ . وَيُلَقَّبُ بِالْقَسِيمِ ، وَكَانَتِ الْفَرَنْجُ يَقُولُونَ لَهُ : ابْنُ الْقَسِيمِ .

صفةُ الملكِ نور الدين، رحمه الله تعالى

كان طويلَ القامةِ ، أَسْمَرَ اللَّوْنِ حُلْوِ الْعَيْنَيْنِ وَاسِعِ الْجَبِينِ ، حَسَنَ الصُّورَةِ ،
تَزَكَّى الشَّكْلُ ، لَيْسَ لَهُ لَحْيَةٌ إِلَّا فِي حَنْكِهِ ، مَهِيًّا مُتَوَاضِعًا ، عَلَيْهِ جَلَالَةٌ وَنُورُ
الْإِسْلَامِ وَتَعْظِيمُ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ٢١٨/١ ، والروضتين ٥٨٣/١ .

(٢) يُخَلَّقُ : يُطَيَّبُ بِالْخُلُوقِ ، وَالْخُلُوقُ ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ يَتَّخِذُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِهِ . التَّاج (خ ل ق) .

فصل

فلَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ نُورُ الدِّينِ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بُويعَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْمَلِكِ لَوْلَيْهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ ، وَكَانَ صَغِيرًا ، وَجَعَلَ أَتَابِكَهَ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ ابْنَ مَقْدَمٍ ، فَاخْتَلَفَ الْأَمْرَاءُ وَحَارَبَتِ الْآرَاءُ وَظَهَرَتِ الشُّرُورُ ، وَكَثُرَتِ الْخُمُورُ ، وَانْتَشَرَتِ الْفَوَاحِشُ حَتَّى إِنَّ ابْنَ أَخِيهِ سَيْفَ^(١) الدِّينِ غَارَى بَنَ مودودٍ صَاحِبَ الْمَوْصِلِ لَمَّا تَحَقَّقَ مَوْتُ عَمِّهِ - وَكَانَ مَحْضُورًا مِنْهُ - نَادَى مُنَادِيهِ بِالْبَلَدِ بِالسَّمَاخَةِ فِي اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالشُّرْبِ وَالطَّرَبِ ، وَمَعَ الْمُنَادَى دُفٌّ وَقَدَحٌ وَمِزْمَارٌ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَقَدْ كَانَ ابْنُ أَخِيهِ هَذَا وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ الَّذِينَ لَهُ حُكْمٌ عَلَيْهِمْ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِنَ الْمُنَاكَرِ وَالْفَوَاحِشِ ، فَلَمَّا مَاتَ مَرَجَ أُمُرُهُمْ وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ فِسَادًا وَتَحَقَّقَ حَيْثُذِي قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢) :

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا^(٣) أُمَكَّنَ الْجَهْرُ

وَطِيعَتِ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَعَزَمَ الْفِرْنَجُ عَلَى قَصْدِ دِمَشْقَ وَانْتِزَاعِهَا مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ ابْنُ مَقْدَمٍ الْأَتَابِكُ ، فَوَاقَعَهُمْ عِنْدَ بَانِيَّاسَ فَضَعُفَ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ ، فَهَادَنَهُمْ مَدَّةً ، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالًا جَزِيلَةً عَجَّلَهَا لَهُمْ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ خَوَّفَهُمْ بِقُدُومِ الْمَلِكِ صَلاَحِ الدِّينِ لَمَّا هَادَنُوهُ . وَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرَ صَلاَحِ الدِّينِ بَنَ أَيُّوبَ صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ كَتَبَ إِلَى الْأَمْرَاءِ - وَخَاصَّةً إِلَى ابْنِ مَقْدَمٍ - يُلُوْمُهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنَ الْمُهَادَنَةِ وَدَفَعَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « شَرَف » .

(٢) الْبَيْتُ لِأَبِي نَوَاسٍ فِي دِيْوَانِهِ ص ٢٧٣ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ص ، م : « وَقَدْ » .

الأموال إلى الفرنج ، وهم أقل وأذل ، وأخبرهم أنه عزم على قصد البلاد الشاميّة ليحفظها من الفرنج ، فردّوا إليه كتاباً فيه غِلْظَةٌ ، وكلامٌ فيه بشاعةٌ ، فلم يلتفت إليهم . ومن شدّة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ليملكوه عليهم ؛ ليدفعوا به الملك الناصر صاحب مصر ، فلم يفعل ؛ لأنّه خاف أن يكون مكيدةً منهم له ، وذلك أنّه كان قد هرب منه الطواشيّ سعد الدولة^(١) كُمُشْتِكِينُ الذي كان قد جعله عنده الملك نور الدين عيّناً عليه ، وحافظاً له من تعاطى ما لا يليق من الفواحش والخمر واللعب واللّهو ، فلمّا مات نور الدين ونادى في الموصل تلك المناداة القبيحة خاف منه الطواشيّ المذكور أن يُمسكه فهرب منه سراً ، فحين تحقّق غازي موت عمّه تعب في طلب الخادم ففاته ، فاستحوذ على حواصله ، ودخل الطواشيّ حلب ، ثم سار إلى دمشق فاتّفق مع الأمراء على أن يأخذ ابن أستاذه الملك الصالح إسماعيل إلى حلب فيريّبه هنالك ، وتكون دمشق مسلّمة إلى الأتابك شمس الدولة بن مقدّم ، والقلعة إلى الطواشيّ جمال الدين ربحان . فلمّا سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الأمراء والكبراء من دمشق إلى حلب ، وذلك في الثالث والعشرين من ذى الحِجّة من هذه السنة ، وحين وصلوا حلب جلس الصبيّ على سرير مملكته واختلطوا على بنى الداية ؛ شمس الدين عليّ بن الداية - أخو مجد الدين الذي كان رضيع نور الدين - وإخوته الثلاثة ، وقد كان شمس الدين عليّ بن الداية يظنّ أن ابن نور الدين يُسلّم إليه [٢٧١/٩] فيريّبه ؛ لأنّه أحقّ الناس بذلك ، فخيّبوا ظنّه وسجنوه وإخوته في الحبّ ، فكتب الملك صلاح الدين إلى الأمراء يلوّهم على نقل الولد من دمشق إلى حلب ، ومن سجنهم لبنى الداية وقد كانوا من خيار الأمراء ورؤوس الكبراء ، ولم لا يسلمّون الولد إلى مجد الدين بن الداية الذي هو أخطى

(١) في الروضتين : « سعد الدين أمين الدولة » .

الناس عند نور الدين وعند الناس منهم؟! فكتبوا إليه يسيئون عليه الأدب ، وكل ذلك مما يزيد حنقاً عليهم ، ويحرّضه على القدوم بجيشه إليهم ، ولكنه في هذا الوقت في شغلٍ شاغلٍ لما دهم بلادهم من الأمر الهائل ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في أول السنة الآتية .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْمَشَاهِيرِ :

الحسن بن^(١) أحمد بن^(٢) الحسن بن أحمد بن محمد العطار ، أبو العلاء الهمداني الحافظ ، سميع الكثير ورخل إلى بلدان كثيرة ، اجتمع بالمشايخ وقدم بغداد وحصل الكتب الكثيرة ، واشتغل بعلم القراءات واللغة ، حتى صار أُوحد زمانه في علمي الكتاب والسنة ، وصنّف الكتب الكثيرة المفيدة ، وكان على طريقة السلف مريض الطريقة ، سخيّاً عابداً زاهداً ، صحيح الاعتقاد حسن السمّة ، له ببلده المكانة والقبول التام ، وكانت وفاته ليلة الخميس الحادي عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام . قال ابن الجوزي^(٣) : وقد بلغني أنّه رُئي في المنام أنّه في مدينة جميع جذرائها كتب وحوله كتب لا تحُد ، وهو مشغول بمطالعتها ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : سألت الله أن يشغلني بما كنتُ أشتغل به في الدنيا فأعطاني .

الأهوازي^(٣) خازن كتب مشهد أبي حنيفة ببغداد ، توفّي فجأة في ربيع

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر ترجمته الآتية : معجم الأدباء ٥ / ٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤٠ / ٢١ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٢٤ / ٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث وفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ص ٣٣٤ ، والوفاء بالوفيات ٣٨٤ / ١١ ، وغاية النهاية ٢٠٤ / ١ ، وبغية الوعاة ٤٩٤ / ١ .

(٢) المنتظم ٢٠٨ / ١٨ .

(٣) المصدر السابق ٢٠٩ / ١٨ .

الأوّل من هذه السنّة ، وكذلك تُوفّي أبوه وأخوه فجأةً كما مات ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى .

محمود بن زَنْكِي بن آق سُنُقَر ، السلطان الملكُ العادلُ نورُ الدين ، صاحبُ بلادِ الشامِ وغيرها من البلدانِ الكثيرة ، وقد تقدّم في ذكرِ الحوادث ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

قال ابنُ الجوزيّ^(١) : انتزع نورُ الدين محمودُ بن زَنْكِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ، من أيدي الكفارِ نيّفاً وخمسين مدينةً ، وقد كان يُكاتِبُنِي وأكاتبه ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى . قال : ولما حضرته الوفاةُ أخذَ العهدَ على الأمراءِ مِنْ بعده لولده - يعني الصالحِ إسماعيلَ - وجدّدَ العهدَ مع صاحبِ طرابُلُسَ أن لا يُغيّرَ على الشامِ في المدّةِ التي كان مادّه عليها ، وذلك أنَّه كان قد أسره في بعضِ غزواته وأسرَ معه جماعةً من أهلِ دولته ، فافتدى نفسه منه بثلاثمائة ألفِ دينارٍ وخمسمائةِ حصانٍ وخمسمائةِ زرديةٍ ، ومثلها أتراسٍ وقنطورياتٍ ، وخمسمائةِ أسيرٍ من المسلمين ، وعاهدَه أن لا يُغيّرَ على بلادِ المسلمين إلى مدّةِ سبعِ سنينَ وسبعةِ أشهرٍ وسبعةِ أيامٍ ، وأخذَ منه رهائنَ على ذلك ؛ مائةً من أولادِ أكابرِ الفرنجِ وبطارِقَتِهِمْ ، فإن نكثَ أراقَ دماءَهُمْ ، وكان قد عزمَ على فتحِ بيتِ المقدسِ ، شَرَفَهُ اللَّهُ ، فوافقته المنيّةُ في شوالٍ من هذه السنّة . وكانت ولايته ثمانٍ وعشرين سنةً وأشهرًا ، وقد تقدّم ذلك . وهذا مُقتَضَى ما ذكره ابنُ الجوزيّ ومَعْنَاهُ .

(١) المنتظم ٢٠٩/١٨ .

الْخَضِرُ بْنُ نَضْرٍ ^(١) بْنِ عَقِيلٍ ^(٢) بْنِ نَضْرٍ الْإِزْبِلِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، أَوَّلُ مَنْ دَرَسَ
بِإِزْبِلَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ^(٣) وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ فَاضِلًا دَيِّنًا ، انْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ ،
وَكَانَ قَدْ اشْتَغَلَ [٢٧١/٩ ظ] عَلَى إِلْكِيَا الْهَرَّاسِيِّ وَغَيْرِهِ بِبَغْدَادَ ، وَقَدِيمَ دِمَشْقَ
فَأَرْخَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ ^(٤) ، وَتَرْجَمَهُ الْقَاضِي ابْنُ خَلِّكَانَ فِي « الْوَفِيَّاتِ » ، وَقَالَ ^(٥) :
قَبْرُهُ يُزَارُّ ، وَقَدْ زُرَّتْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَفِيهَا ^(٥) هَلَكَ مَلِكُ الْفَرَنْجِ مُرَى لَعْنَةُ اللَّهِ ، وَأَظْنَتْهُ مَلِكَ عَمَّقْلَانَ وَنَحَوَهَا مِنْ
الْبِلَادِ ، وَقَدْ كَانَ قَارَبَ أَنْ يَمْلِكَ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ بِعِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ ^(٥) .

(١ - ١) فِي خ ، م : « عَلَى » . وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي : تَارِيخُ دِمَشْقَ ٤٤٩/١٦ ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَنَةَ وَفَاتِهِ ،
وَوَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ٢٣٧/٢ ، وَتَارِيخُ إِزْبِلَ ٣٦٦/١ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٥٦١ - ٥٧٠ هـ)
ص ٢٦٤ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّبْكِ ٨٣/٧ ، وَطَبَقَاتُ الْمَفْسَرِينَ لِلْسَّيُوطِيِّ ص ٥٠ . وَقَدْ ذَكَرْتُهُ هَذِهِ
الْمَصَادِرُ ضَمِنَ وَفِيَّاتِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، ص : « سَتِينَ » .

(٣) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٤٤٩/١٦ .

(٤) وَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ٢٣٨/٢ .

(٥) الْكَامِلُ ٤١٩/١١ ، وَالرُّوْضَتَيْنِ ٥٩٦/١ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٥٦١ - ٥٧٠ هـ)
ص ٥٧ .

(*) إِلَى هُنَا تَنْتَهَى النُّسخَةُ الْخَلِيلِيَّةُ وَالْمَشَارُ إِلَيْهَا بِالرَّمْزِ « خ » .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ^(١)

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَالسُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ لِأَجْلِ حِفْظِهِ مِنْ أَيْدِي الْفِرْنَجِ الْمَخْذُولِ ، وَلَكِنْ قَدْ دَهَمَهُ أَمْرٌ شَغَلَهُ عَنْهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْفِرْنَجَ قَدِمُوا إِلَى السَّاحِلِ الْمَصْرِيِّ فِي أُسْطُولٍ لَمْ يُسَمَّعْ بِمَثَلِهِ فِي كَثَرَةِ مَرَاقِبِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ آلَاتِ الْحَصَارِ ، وَكَثَرَةِ الرِّجَالِ وَالْمُقَاتِلَةِ ؛ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ مَائَتَا شَيْئِي^(٢) فِي كُلِّ مِنْهَا مَائَةٌ وَخَمْسُونَ مُقَاتِلًا ، وَأَرْبَعُمِائَةٍ قِطْعَةٍ أُخْرَى ، وَكَانَ قَدُومُهُمْ مِنْ صِغْلِيَّةٍ إِلَى ظَاهِرِ إِسْكَنْدَرِيَّةٍ قَبْلَ رَأْسِ السَّنَةِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، فَنَصَبُوا الْمُنْجَنِيْقَاتِ وَالدَّبَابَاتِ حَوْلَ الْبَلَدِ ، وَبَرَزَ إِلَيْهِمْ أَهْلُهَا فَقَاتَلُوهُمْ دُونَهَا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَاسْتَمَرَّ الْقِتَالُ أَيَّامًا ، وَقُتِلَ مِنْ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَهْلُ الْبَلَدِ عَلَى تَحْرِيقِ مَا نَصَبُوهُ مِنَ الْمُنْجَنِيْقَاتِ وَالدَّبَابَاتِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَأَضْعَفَ ذَلِكَ قُلُوبَ الْفِرْنَجِ ، ثُمَّ كَبَسَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَغَنِمُوا مِنْهُمْ مَا أَرَادُوا ، فَانْهَزَمَ الْفِرْنَجُ فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَلْجَأٌ إِلَّا الْبَحْرُ أَوْ الْقَتْلُ أَوْ الْأَسْرُ ، وَاسْتَحْوَذَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَخِيُولِهِمْ وَخِيَامِهِمْ - وَبِالْجُمْلَةِ قَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الرِّجَالِ وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ - وَرَكِبَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي الْأُسْطُولِ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ خَائِبِينَ .

وَمِمَّا عَوَّقَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ عَنِ الشَّامِ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا يُعْرَفُ بِالْكَزْرِ - سَمَّاهُ

(١) الكامل ٤١٣/١١ .

(٢) الشَّيْنِي : مُفْرَدُ شَوَانِي وَشُونَ ، وَهُوَ الْمَرْكَبُ الطَّوِيلُ أَوِ السَّفِينَةُ الْحَرَبِيَّةُ الْكَبِيرَةُ . انْظُرِ التَّاجَ (ش ي ن) ،

وَالسَّلُوكَ ٥٦/١/١ .

بعضهم عباس بن شاذى - وكان من مقدّمى الديار المصرية ومن الدولة الفاطمية - وإنما هى العبيدية - كان قد انتزح إلى أسوان ، وجعل يجمع عليه الناس ، فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع من الحاضرة والغربان ، وكان يزعم لهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ، ويدحض الأتابكة التركية ، فالتف عليه خلق كثير وجم غفير ، ثم قصد قوص وأعمالها ، وقتل طائفة من أمرائها ورجالها ، فجرد إليه الملك صلاح الدين طائفة من الجيش المصرى وأمر عليهم أخاه الملك العادل سيف الدين أبا بكر الكردى ، فلما التقيا هزمه أبو بكر وأسّر أهله وقتله ، كما جرى لمقدم بنى حنيفة ، ولهذا جعل الله دولة بنى أيوب عالية منيفة^(١) .

فصل

لما تمهّدت الديار المصرية ولم يبق بها رأس من بقيّة الدولة العبيدية برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى الجيوش التركية قاصداً البلاد الشامية ، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكى ، وأخيف سكّانها وتضعّعت أركانها ، واختلف حكامها ، وفسد نقضها وإبرائها ، وقضده ، رحمه الله ، جمع شملها والإحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الإسلام ودفع الطغام ، وإظهار القرآن ، وإخفاء سائر الأديان ، وتكسير الصليبان ورضا الرحمن ، وإزغام الشيطان ، فخرج من الديار المصرية إلى البركة^(٢) فى مُستهلّ صفر ، وأقام بها حتى اجتمع إليه العسكر ، [٢٧٢/٩] وقد استناب على مضّر أخاه سيف الدين أبا بكر ، ثم سار إلى بلبيس فى الثالث عشر من ربيع

(١ - ١) سقط من : م . وفى العبارة إشارة إلى ظفر سيدنا أبى بكر الصديق بمسيلة الكذاب مقدم بنى حنيفة فى حروب الردة ، وانظر ما تقدم فى : ٤٤١/٩ ، ٤٦٥ .

(٢) البركة : هى بركة الحبش تلى الفسطاط من غريه . صبح الأعشى ٣/ ٣٣٦ . وانظر معجم البلدان ٥٩١/١ .

الأول ، ثم ساق حتى اجتازَ بمدينة بُصْرَى ، فسار في خدمته صاحبها صديق بن جاولي ، فدخلَ مدينةَ دِمَشْقَ في يومِ الاثنينِ سلخِ ربيعِ الأولِ ، ولم يَنْتَطِخْ فيها عِزْرَانِ ، ولا اخْتَلَفَ عليه سيفانِ ؛ وذلكَ أنَّ نائبها شمس الدين بن مقدّم ، كان قد كَتَبَ إليه أوْلاً فأغْلَظَ له في الكتابِ ، فلَمَّا رَأَى أمره متوجّهاً جعلَ يُكَاتِبُهُ ويستَحِثُّهُ على القدومِ إلى دِمَشْقَ ، ويَعُدُّهُ بتسليمِ البلدِ ، فلَمَّا رَأَى الجدَّ لم يَمَكِّنْهُ الخالفةُ ، فسَلَّمَ البلدَ إليه بلا مدافعةٍ ، فنَزَلَ السلطانُ أوْلاً في دارِ والدِه ؛ وهى دارُ العَقِيقِيِّ^(١) التى بُنِيتْ مدرسةً للملكِ الظاهرِ ، وجاءَ القاضى وأعيانُ الدِّمَاشِقَةِ للسلامِ على السلطانِ فرأوا منه غايةَ الإحسانِ ، وكان فى القلعةِ إذ ذاكِ الطواشيُّ جمالُ الدينِ رَئِيسُ الحادِثِ ، فلم يَزَلْ يُكَاتِبُهُ ، ويفتِلُّ له فى الذُّرُوةِ والغاربِ^(٢) حتى استماله ، وأجزلَ ثوابه ، فسَلَّمَهَا إليه ، ووفدَ عليه ، ومثَّلَ بينَ يَدَيْهِ ، فأكرمه واحترمه وأحسنَ إليه ، وأظهرَ الملكُ الناصرُ أنَّه أحقُّ الناسِ بِتَرْيِيَةِ وَلَدِ نُوْرِ الدينِ ؛ لِما لنورِ الدينِ عليهم من الإحسانِ المتينِ ، وَذَكَرَ أنَّه تُحِطِبُ لنورِ الدينِ بالديارِ المصريةِ ، وَضُرِبَ باسمِه السُّكَّةُ ، ثم عاملَ الناسَ بالإحسانِ ، وأمرَ بِإِبْطَالِ ما أُخِذَ بَعْدَ نورِ الدينِ مِنَ المَكُوسِ والضرائبِ ، وأقامَ الحدودَ وأمرَ بالمعروفِ ونهى عن المنكرِ ، ولله عاقبةُ الأمورِ .

فصل

فلَمَّا استقرَّتْ له دِمَشْقُ بِحِذَافِيرِها لم يَلْبَثْ أنْ نَهَضَ إلى حَلَبَ مسرعاً ؛ لِما فيها مِنَ التَّخْيِيطِ والتَّخْلِيطِ ، واستنابَ على دِمَشْقَ أخاه طُغْتِكِينَ بنَ أَيْوُبَ ،

(١) فى م : « العقيقى » . وانظر الكامل ٤١٦/١١ .

(٢) مثل يقال ذلك للرجل لا يزال يخدع صاحبه حتى يظفر به . جمهرة الأمثال ٩٨/٢ .

الْمَلَقَبَ بِسَيْفِ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا اجْتَاَزَ بِحِمَصٍ أَخَذَ رَيْصَهَا، وَلَمْ يَشْتَغِلْ بِقَلْعَتِهَا لِعَلِمِهِ بِحَصُولِهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى حِمَاةٍ فَتَسَلَّمَهَا مِنْ صَاحِبِهَا عِزُّ الدِّينِ جُرُودِيكٌ^(١)، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ سَفِيرَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَلِيبِيِّينَ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ فَحَذَّرَهُمْ بِأَسْ صِلَاحِ الدِّينِ فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يُعُولُوا عَلَيْهِ، بَلْ أَمَرُوا بِسَجْنِهِ وَاعْتِقَالِهِ، فَجَمَعُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَى الدَّايَةِ فِي الْبُئْرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ فَأُتِبَطَّ الْجَوَابُ عَلَى صِلَاحِ الدِّينِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا بَلِيغًا يُلَوِّمُهُمْ فِيهِ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ، وَعَدَمِ الْاِئْتِلَافِ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ أَسْوَأَ جَوَابٍ، وَأَحَدٌ مِنَ الْخِرَابِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَذْكُرُهُمْ أَيَّامَهُ وَأَيَّامَ أَبِيهِ وَعَمِّهِ فِي خِدْمَةِ نُورِ الدِّينِ فِي الْمَوَاقِفِ الْحَمُودَةِ الَّتِي يَشْهَدُ لَهُمْ بِهَا أَهْلُ الدِّينِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى حَلَبَ فَنَزَلَ عَلَى جَبَلِ جَوْشَنٍ^(٢)، فَخَافَ مِنْ سَطَوْتِهِ كُلُّ ذِي جَوْشَنٍ، فَتَوَدَّى فِي أَهْلِ حَلَبَ بِالْحَضُورِ فِي مَيْدَانِ بَابِ الْعِرَاقِ، فَاجْتَمَعُوا، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ابْنُ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ فَتَوَدَّدَ إِلَيْهِمْ، وَتَبَاكَى لَدَيْهِمْ، وَحَرَّضَهُمْ عَلَى قِتَالِ صِلَاحِ الدِّينِ، وَذَلِكَ عَنْ إِشَارَةِ الْأُمَرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ، فَأَجَابَهُ أَهْلُ الْبَلَدِ بِوَجُوبِ طَاعَتِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ الرُّوَافِضُ مِنْهُمْ أَنْ يُعَادَ الْأَذَانَ بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ، وَأَنْ يُذَكَّرَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِي الْجَامِعِ الْجَانِبُ الشَّرْقِيُّ، وَأَنْ يُذَكَّرَ أَسْمَاءُ الْأُئِمَّةِ الْاِثْنَى عَشَرَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَنَائِزِ، وَأَنْ يَكَبَّرُوا عَلَى الْجِنَازَةِ خَمْسًا، وَأَنْ تَكُونَ عَقُودُ أَنْكِحَتِهِمْ [٢٧٢/٩ ظ] إِلَى

(١) فِي الْأَصْلِ: «جَبْرِيلُ»، وَفِي م: «بَن جَبْرِيلَ»، وَفِي الْكَامِلِ ٤١٨/١١: «جُرُودِيكُ». وَانْظُرِ الرَّوْضَتَيْنِ ٦٠٧/١.

(٢) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ، ص: «وَأَحَدٌ مِنَ الْخِرَابِ».

(٣) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ، ص: «إِنَّهُ».

(٤) جَوْشَنُ: جَبَلٌ مَطْلٌ عَلَى حَلَبَ فِي غَرْبِهَا. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ١٥٥/٢.

الشَّريف الطاهر^(١) أبى المكارم حمزة بن زهرة^(٢) الحسيني^(٣) ، فأجيبوا إلى ذلك كله ، فأذن في الجامع وغيره بسائر البلد حتى على خير العمل ، وعجز أهل البلد عن مقاومة الناصر ، وأعملوا في مكيدته كل خاطر ، فأرسلوا أولاً إلى سينان صاحب الحشيشية^(٤) ، فأرسل نفرًا من أصحابه إلى الناصر ؛ ليقتلوه فلم يظفروا منه بشيء ، بل قتلوا بعض الأمراء ، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن آخرهم ، فله الحمد والمثنة ، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي ، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو رحل عنهم السلطان الملك الناصر ، وكان هذا القومص قد أسر نور الدين ، وهو معتقل عنده مدة عشر سنين ، ثم افتدى نفسه بمائة ألف دينار وألف أسير من أسارى المسلمين ، فكان لا ينسأها لنور الدين ، رحمه الله ، فركب القومص - لعنه الله - من بلده طرابلس في جيشه ، فلم يتجاسر على مقاتلة السلطان ، بل قصد حمص ليأخذها بغتة ، فركب إليه السلطان الناصر ، وقد أرسل سرية إلى بلده فقتلوا منها وأسروا وغنموا ، فلما اقترب السلطان منه نكص على عقبيه وكرّ راجعاً إلى بلده ، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا منه^(٥) ، فلما رجع صلاح الدين إلى حمص لم يكن قد أخذ قلعتها في ذهابه ، فتصدى لأخذها ، فنصب عليها المنجنيقات^(٦) التي ملكته إياها قسراً ، وقهرت ساكنيها قهراً^(٦) ، ثم كرّ راجعاً إلى حلب ، فأناله الله في هذه الكثرة ما طلب .

(١) في الأصل : « أبى الطاهر » ، وفي م : « أبى طاهر ابن » . وانظر الروضتين ٦٠٩ / ١ .

(٢) في الأصل : « زهر » ، وفي م : « زاهر » .

(٣) في ص ، والروضتين ٦٠٩ / ١ : « الحسيني » . التاج (ز ه ر) .

(٤) في الأصل : « الحشيسة » ، وفي م : « الحسبة » .

(٥ - ٥) في الأصل ، ص : « أجاب إلى ما سألوا وحصل على ما له بذلوا وإذ نكلوا » .

(٦ - ٦) في م : « فأخذها قسراً وملكها قهراً » .

وكتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتاباً بليغاً فصيحاً رائعاً
 فائقاً، على يدي الخطيب شمس الدين يقول فيه ^(١): فإذا قضى التسليم حق
 اللقاء، واستدعى الإخلاص جهد الدعاء، فليعد وليعد حوادث ما كانت حديثاً
 يُفتري، وجواري أمور إن قال فيها كثيراً، فأكثر منه ما قد جرى، وليشرح صدرًا
 منها لعله يشرح منا صدرًا، وليوضح الأحوال المستسيرة ^(٢) فإن الله لا يعبد سِرًا:
 ومن الغرائب ^(٣) أن تسيّر غرائب ^(٤) في الأرض لم يعلم بها المأمول
 كالعيس ^(٥) أقتل ما يكون لها الصدى والماء فوق ظهورها محمول

فإننا كنّا نقتبس النار بأكفنا وغيرنا يشتير، ونستبسط الماء بأيدينا وسوانا
 يستميز، ونلقى السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير، ونصافح الصفايح
 بصدورنا، وغيرنا يدعى التصدير، ولائد أن نسترّد بضاعتنا بموقف العدل الذي
 تُردّ به العُصوب، وتظهر طاعتنا فنأخذ بحظّ الألسن كما أخذنا بحظّ القلوب،
 وكان أول أمرنا أنا كنّا في الشام نفتح الفتوح مباشرين بأنفسنا، ونجاهد الكفار
 متقدمين بعساكرنا نحن ووالدنا وعمنا، فأثى مدينة فتحت أو معقل ملك أو
 عسكري للعدو كسير أو مصاف للإسلام معه ضرب ^(٦) ولم نكن فيه؟ فما يجهل
 أحد صنّعتنا، ولا يجحد عدونا أنا نضطلي الجمرة ونملك الكرة، ونتقدم الجماعة

(١) الروضتين ١/٦١٦.

(٢) في الأصل، م: «المبشرة». وانظر مصدر التخريج.

(٣) في الأصل، م: «العجائب».

(٤) في مصدر التخريج «عرائب».

(٥) العيس: كرام الإبل.

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

وَنَرْتُبُ الْمُقَاتِلَةَ ، وَنُدَبُّرُ التَّعْبِئَةَ ، إِلَى أَنْ ظَهَرَتْ فِي الشَّامِ الْآثَارُ الَّتِي لَنَا أَجْرُهَا ، وَلَا يَضُرُّنَا أَنْ يَكُونَ لغيرِنَا ذِكْرُهَا . ثُمَّ ذَكَرَ مَا صَنَعُوا بِمِصْرَ مِنْ كَسْرِ الْكُفْرِ وَإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ وَقَمْعِ الْفِرْنَجِ وَهَدْمِ الْبِدْعِ الَّتِي كَانَتْ هُنَاكَ ، وَمَا بُسِطَ مِنَ الْعَدْلِ وَمُدُّ مِنَ الْفَضْلِ ، وَمَا أَقَامَهُ مِنَ الْخُطْبِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِيَلَادِ مِصْرَ وَالْيَمَنِ وَالثُّوْبَةِ وَإِفْرِيقِيَّةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، بِكَلَامٍ بَسِيطٍ حَسَنٍ .

فَلَمَّا وَصَلَهُمُ الْكِتَابُ [٢٧٣/٩] أَسَاءُوا الْجَوَابَ ، وَقَدْ كَانُوا كَاتِبُوا صَاحِبَ الْمُوَصِّلِ ؛ سَيْفَ الدِّينِ غَازِي بَنَ مَوْدُودِ أَخِي نَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِي ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَخَاهُ عَزَّ الدِّينِ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فِي دَسَاكِرِهِ ، فَانْضَافَ إِلَيْهِمُ الْحَلِيبِيُّونَ ، وَقَصَّدُوا حِمَاةَ فِي غِيَةِ النَّاصِرِ وَاشْتَغَالِهِ بِقَلْعَةِ حِمَصَ وَعِمَارَتِهَا ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُهُمْ سَارَ إِلَيْهِمْ فِي قُلٍّ مِنَ الْجَيْشِ ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي بَحَاظِلٍ كَثِيرَةٍ ، فَوَاقَفُوهُ وَطَمِعُوا فِيهِ لِقَاءَهُ مِنْ مَعَهُ ، وَهَمُّوا بِمُنَاجَزَتِهِ فَجَعَلَ يُدَارِيهِمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُصَالِحَةِ لَعَلَّ الْجَيْشَ يُلْحِقُونَهُ ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَ ^(١) : أَنَا أَقْنَعُ بِدَمَشَقَ وَحَدَّهَا وَأَقِيمُ بِهَا الْخُطْبَةَ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ ، وَأَتْرُكُ مَا عَدَاهَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ . فَامْتَنَعَ مِنَ الْمُصَالِحَةِ الْخَادِمُ سَعْدُ الدِّينِ ^(٢) كُمُشْتِكِينَ ، إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الرَّحْبَةَ الَّتِي هِيَ بَيْنُ ابْنِ عَمِّهِ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ أَسَدِ الدِّينِ ، فَقَالَ : لَيْسَ لِي ذَلِكَ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ . فَأَبْأُوا الصَّلَاحَ ، وَأَقْدَمُوا عَلَى الْقِتَالِ ، فَجَعَلَ جَيْشُهُ كُرْدُوسًا وَاحِدًا ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ قُرُونِ حِمَاةَ ، وَصَبَرَ صَبْرًا عَظِيمًا ، وَجَاءَهُ فِي أَثْنَاءِ الْحَالِ ابْنُ أَخِيهِ تَقِيُّ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ شَاهِنْشَاهٍ وَمَعَهُ أَخُوهُ فَرْوُخْشَاهُ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ ، وَقَدْ تَرَجَّحَ دَسْتُهِ عَلَيْهِمْ ، وَخَلَصَ رَغْبُهُ

(١) الروضتين ١/٦٣٧ ، ٦٣٨ ، بنحوه .

(٢) فِي النسخ : « الدولة » . وَالمثبت من الروضتين ١/٦٣٧ . وَانظر الكامل ١١/٤١٥ .

إليهم ، فولّوا هُنَالِكَ هَارِبِينَ ، وتولّوا مُنْهَزِمِينَ ، فَأَسِيرَ مَنْ أُسِيرَ مِنْ رُءُوسِهِمْ ، وَنَادَى أَنْ لَا يُتَّبَعَ مُذَبِّرٌ وَلَا يُدْفَقُ عَلَى جَرِيحٍ ، ثُمَّ أَطْلَقَ مَنْ وَقَعَ فِي أَسْرِهِ ، وَسَارَ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى حَلَبَ ، وَقَدْ انْعَكَسَ عَلَيْهِمُ الْحَالُ وَأَلَوْا إِلَى شَرِّ مَالٍ ؛ فَبِالْأَمْسِ كَانَ يُطْلَبُ مِنْهُمْ الْمُصَالِحَةُ وَالْمُسَالَمَةُ ، وَهُمْ الْيَوْمَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَكْفَ عَنْهُمْ وَيَرْجِعَ ، عَلَى أَنَّ الْمَعْرَةَ وَكَفَرْتَاطَ وَبَارِينَ^(١) لَهُ زِيَادَةٌ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ أَرْضِي حِمَاةَ وَحِمَصَ وَبَعْلَبَكَّ مَعَ دِمَشَقَ ، فَقَبْلَ ذَلِكَ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ ، وَحَلَفَ عَلَى أَنْ لَا يَعْزُو بَعْدَهَا الْمَلِكُ الصَّالِحَ ، وَأَنْ يَدْعُو لَهُ عَلَى سَائِرِ مَنَابِرِ بِلَادِهِ وَمَمَالِكِهِ ، وَشَفَعَ فِي بَنِي الدَّيَاةِ أَخُوهُ مَجْدُ الدِّينِ ، أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ السَّجَنِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثُمَّ رَجَعَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا مُسَلِّمًا مَحْبُورًا .

فَلَمَّا كَانَ بِحِمَاةَ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الْخَلِيفَةِ الْمُشْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَمَعَهُمُ الْخَلِيعُ السَّيْنِيُّ وَالتَّشْرِيفَاتُ الْعَبَّاسِيَّةُ وَالْأَعْلَامُ الشُّودُ وَتَوْقِيعُ مِنَ الدِّيَوَانِ بِالسُّلْطَنَةِ بِلَادِ مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَأُفِيضَتِ الْخَلِيعُ عَلَى أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَصْهَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَأَنْصَارِهِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَاشْتَنَابَ عَلَى حِمَاةَ ابْنِ خَالِهِ وَصِهرِهِ الْأَمِيرَ شِهَابَ الدِّينِ مُحَمَّدًا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى حِمَصَ فَأُطْلِقَهَا إِلَى ابْنِ عَمِّهِ نَاصِرِ الدِّينِ ، كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِهِ لِأَبِيهِ شِيرْكُوهِ أَسَدِ الدِّينِ ، ثُمَّ إِلَى بَعْلَبَكَّ ، ثُمَّ إِلَى الْبِقَاعِ ، وَرَجَعَ إِلَى دِمَشَقَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ .

فِي هَذِهِ السَّنَةِ^(٢) ظَهَرَ رَجُلٌ مِنْ قَوِيَّةِ مَشْغَرَا^(٣) مِنْ مُعَامَلَةِ دِمَشَقَ وَكَانَ مَغْرِبِيًّا فَادَّعَى النُّبُوَّةَ ، وَأَظْهَرَ شَيْئًا مِنَ الْخَارِيقِ وَالْخَائِيلِ وَالشَّعْبَذَةِ وَالْأَنْوَابِ النَّيْرِنَجِيَّةِ^(٤) ،

(١) فِي م : « مَارْدِينَ » . وَبَارِينَ : مَدِينَةُ حَسَنَةِ بَيْنَ حَلَبَ وَحِمَاةَ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ١/٤٦٦ .

(٢) الرُّوضَتَيْنِ ١/٦٤٣ .

(٣) مَشْغَرَا : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى دِمَشَقَ مِنْ نَاحِيَةِ الْبِقَاعِ . مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤/٥٤٠ .

(٤) النَّيْرِنَجِيَّةُ : تَشْبِيهُ وَتَلْبِيسُ كَالسَّحَرِ وَلَيْسَ بِهِ . التَّاجُ (ن ر ج) .

فافتتنَ به طوائفٌ من أهلِ تلك الناحية من الطَّعامِ والهَمَجِ والعوامِ، فتطلبه السلطانُ، فهربَ في الليلِ من مَشْغَرَا إلى معاملةٍ حَلَبَ، فالتفَّ عليه كلُّ مَقْطُوعِ الذَّنْبِ، وأضلَّ خلقًا من الفلاحينَ لا المفلحينَ، وتزوَّجَ امرأةً أَحَبَّها، وكانت من أهلِ تلك البطاح، فعلمها أن ادَّعتِ النبوةَ، فأشَبَّها قِصَّةَ مُسَيِّلِمَةَ وَسَجَّاح، فلعنهما اللهُ كلِّما غَبَّ الحَمَامُ وهَدَرَ، وكلِّما ضَبَّ العَمَامُ وقَطَرَ.

[٢٧٣/٩ ظ] وفيها هَرَبَ وزيرُ الخليفة ونَهَبَتْ دارُهُ.

وفيها دَرَسَ أبو الفَرَجِ بَنُ الجَوَزِيِّ بِمَدْرَسَةٍ أُنْشِئَتْ لِلْحَنَابِلَةِ، فحَضَرَ عِنْدَهُ قَاضِي القُضَاةِ أَبُو الحَسَنِ بَنُ الدَّامَغَانِيِّ، والفُقهاءُ والكِبَرَاءُ، وكان يومًا مَشْهُودًا، وَخُلِعَتْ عَلَيْهِ خِلْعَةٌ سَيِّئَةٌ.

وفيها تُوفِيَ مِنَ الْأَعْيَانِ :

رُوحُ بَنُ أَحْمَدَ، أَبُو طَالِبِ الْحَدِيثِ^(١) قَاضِي القُضَاةِ بِيْعْدَادَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَكَانَ ابْنُهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ أَبِيهِ مَرَضَ بَعْدَهُ فَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَكَانَ يُنْبَذُ بِالرَّفْضِ.

شَمْلَةُ التُّرْكُمَانِيِّ^(٢) كَانَ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَى بِلَادِ فَارِسَ وَاسْتَحْدَثَ قِلَاعًا، وَتَغَلَّبَ عَلَى السَّلْجُوقِيَّةِ، وَانْتَضَمَ لَهُ الدَّسْتُ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ إِنَّهُ حَارَبَهُ بَعْضُ التُّرْكُمَانِ فَقَتَلُوهُ.

(١) في خ، م: «الحدثي». الباب ٢٨٥/١. وانظر ترجمته في: المنتظم ٢١٦/١٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٩٣.

(٢) المنتظم ٢١٦/١٨، والكمال ٤٢٣/١١، وسير أعلام النبلاء ٦٤/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ) ص ٣٩٤، والوافي بالوفيات ١٨٦/١٦.

قَائِمًا بِنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١) قَطُبُ الدِّينِ الْمُسْتَجِدِّ، وَزَرَ لِلْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضَى،
وَكَانَ مَقْدَمًا عَلَى الْعَسَاكِرِ كُلِّهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ عَلَى الْخَلِيفَةِ، وَقَصَدَ أَنْ يَنْهَبَ
دَارَ الْخِلَافَةِ، فَصَعَدَ الْخَلِيفَةُ فَوْقَ سَطْحٍ فِي دَارِهِ، وَأَمَرَ الْعَامَّةَ بِنَهَبِ دَارِ قَائِمًا
فَنُهِبَتْ، وَكَانَ ذَلِكَ بِإِفْتَاءِ الْفُقَهَاءِ، فَهَرَبَ فَهَلَكَ، وَهَلَكَ مَنْ كَانَ مَعَهُ فِي
الْمَهَامِيهِ وَالْقَفَارِ.

(١) المنتظم ٢١٧/١٨، والكامل ٤٢٤/١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٦١ - ٥٧٠ هـ)
ص ٣٩٩، وتاريخ ابن الوردي ٨٥/٢، وشذرات الذهب ٢٣٨/٤.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة^(١)

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين - وكان قد أقام بدمشق في مرج الصفر - أن يهادنهم فأجابهم إلى ذلك ؛ لأن الشام كان مُجدبًا ويحتاج إلى ذلك . وأرسل جيشه صُحبة القاضي الفاضل إلى الديار المصرية ؛ ليستغلوا المغل ثم يُقيلوا ، وعزم هو على المقام بالشام ، واعتَمَد على كاتبه العماد عَوْضًا عن أفصح العباد بتلك البلاد ، وهو القاضي^(٢) الفاضل قدوة العلماء والأفاضل ، ورُحَلَّة الطالبين ، وزين المحافل زين الإسلام ، ومن لسانه أحدٌ من حُسام ، ولكن احتاج السلطان إلى إرساله إلى الديار المصرية ليكون عينًا وعونًا له بها ، ولسانًا فصيحًا يعبر عنها ، فاحتاج إلى أن يتعوّض عنه^(٣) ، ولم يكن أحدٌ أعزَّ عليه ولا أحبَّ إليه منه :

وما عن رضا كانت شلّيمى بديلةً بليلى ولكن للضرورات أحكام
وكانت إقامته ببلاد الشام وإرسال الجيش صُحبة القاضي الفاضل غاية الحزم
والتدبير والاهتمام ؛ ليحفظ ما استجد من الممالك خوفًا عليه من سطوة من هُنالك .

فلما أرسل الجيوش إلى مِصرَ وبقي هو في طائفة قليلة من عسكره ، والله قد

(١) المنتظم ٢١٨/١٨ ، والكامل ٤٣١/١١ .

(٢ - ٣) سقط من : خ ، م .

تَكْفُلَ لَهُ وَلَهُم بِالنَّاصِرِ ، كَتَبَ صَاحِبُ الْمُؤَصِّلِ سَيْفُ الدِّينِ غَازِي ابْنُ أَخِي نُورِ الدِّينِ إِلَى جَمَاعَةِ الْحَلَبِيِّينَ يُلَوِّمُهُمْ عَلَى مَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلِكِ صَلاَحِ الدِّينِ مِنَ الْمُصَالِحَةِ ، وَقَدْ كَانَ إِذْ ذَاكَ مَشْغُولًا بِمَحَاصِرَةِ أَخِيهِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي بِسِنْجَارٍ - وَلَيْسَتْ هَذِهِ بِفِعْلَةٍ صَالِحَةٍ - وَمَا كَانَ سَبَبَ قِتَالِهِ لِأَخِيهِ إِلَّا انْتِمَاؤُهُ إِلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَذَوِيهِ ، فَاضْطَلَحَ مَعَ أَخِيهِ حِينَ عَرَفَ قُوَّةَ النَّاصِرِ وَنَاصِرِيهِ ، ثُمَّ حَرَّضَ الْحَلَبِيِّينَ عَلَى نَبْذِ الْعَهْدِ إِلَى الْمَلِكِ صَلاَحِ الدِّينِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ بِالْعُهُودِ الَّتِي عَاهَدُوهُ عَلَيْهَا وَدَعَوُهُ إِلَيْهَا ، فَاسْتَعَانَ عَلَيْهِمُ بِاللَّهِ وَأَرْسَلَ إِلَى الْجِيُوشِ الْمَصْرِئَةِ لِيَقْدَمُوا إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ صَاحِبُ الْمُؤَصِّلِ فِي عَسَاكِرِهِ وَمُشَارِيهِ ^(١) وَدَسَاكِرِهِ . وَاجْتَمَعَ بَابِنَ عَمَّةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ ، وَسَارَ فِي عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ عَلَى الْخِيُولِ الضُّمَّرِ الْجُرْدِ الْأَبَايِلِ ، وَسَارَ نَحْوَهُمُ النَّاصِرُ وَهُوَ كَالْهَزْبِ الْكَاسِرِ ، [٢٧٤/٩] وَإِنَّمَا مَعَهُ أَلْفُ فَارِسٍ مِنَ الْحُمَاةِ وَ﴿ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ ﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ [البقرة: ٢٤٩] ، وَلَكِنَّ الْجِيُوشَ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الدِّيارِ الْمَصْرِئَةِ فِي جَحَافِلٍ كَالْجَبَالِ وَغُدَّةٍ وَغَدِيدٍ كَالرَّمَالِ ، فَاجْتَمَعَ الْفَرِيقَانِ وَتَدَاعَوْا لِلنُّزَالِ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْعَاشِرِ مِنْ شَوَّالٍ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا هَائِلًا ، حَتَّى حَمَلَ السُّلْطَانُ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ ، فَكَانَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ الْهَزِيمَةُ ، فَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْحَلَبِيِّينَ وَالْمَوَاصِلَةِ ، وَأَخَذُوا مُضَارِبَ الْمَلِكِ سَيْفِ الدِّينِ غَازِي وَحَوَاصِلَهُ ، وَأَسْرَوْا جَمَاعَةً مِنْ رُعُوسِهِمْ فَأَطْلَقَهُمُ السُّلْطَانُ بَعْدَ مَا أَفَاضَ الْخِلْعَ عَلَى أَبْدَانِهِمْ وَرُعُوسِهِمْ ، وَقَدْ كَانُوا اسْتَعَانُوا بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَنْجِ فِي حَالِ الْقِتَالِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صَنِيعِ الصَّنَادِيدِ الْأَبْطَالِ . وَقَدْ وَجَدَ السُّلْطَانُ فِي مُخَيَّمِ السُّلْطَانِ غَازِي شَيْئًا مِنَ الْأَقْفَاصِ الَّتِي فِيهَا الطُّيُورُ الْمُطْرَبَةُ - وَذَلِكَ فِي مَجْلِسِ شَرَاهِ الْمُسْكِرِ ، وَكَيْفَ مَن كَانَ هَذَا

(١) هذا من المصطلحات المملوكية ، وهو يرجع إلى معنى المشورة . انظر كتر الدرر ٧/٩ وفهارسه .

مشلكه ومذهبه يَنْتَصِرُ؟! - فأمر السلطان بردها عليه وتسييرها إليه ، وقال للرسول : قُلْ له بعدَ وضولك إليه وسلامك عليه : اسْتَغْلِكَ بهذه الطيور أحب إليك من الوقوع فيما رأيت من المَحْدُور . وغنم السلطان من أموالهم شيئاً كثيراً ففرقه على أصحابه وأحابيه وأنصاره غنيباً كانوا أو مُحْضُور^(١) ، وأنعم بخيمة الملك سيف الدين غازى على ابن أخيه عز الدين فرّوخشاه^(٢) بن شاهنشاه بن نجم الدين ، وردّ ما كان فى وطاقه^(٣) من الجوارى والمغنيات ، وقد كان معه أكثر من مائة مغنية ، وردّ الأقفاص وآلات اللعب إلى حلب ، وقال : قُولُوا له : هذا أحب إليك من الحرب . ووَجَدَ عسكرَ المواصلَة كالحانة من كثرة الخمر والبرابيط والملاهى ، وهذه سبيل مَنْ هو عن طريق الخير ساء لاه .

فصل

لما رجع الحلبيون إلى حلب وقد انقلبوا شرّ مُتْقَلَبٍ ، وندموا على نقضهم الأيمان ومخالفتهم طاعة الرحمن وشقّهم العصا على السلطان ، فحَصَّنُوا البلدَ ، خوفاً مِنْ وُثُوبِ الأَسَدِ ، وأسرعَ صاحبُ المؤصلِ فوصلَها ، وما صدّقَ حتى دخلها ، وأما السلطان صلاح الدين فإنه لما فرغ من قسمة ما غنم مما تركه من عطب ومن سليم ، أسرع السير إلى حلب الشهباء وهو فى غاية السطوة والقوة والعزة القعساء^(٤) ، فوجدهم قد حصَّنوها ، والقلعة قد أحكموها فقال : من المصلحة أن نبادر إلى فتح الحصون التى حول البلد ، ثم نعود إليهم فلا يمتنع علينا

(١) فى النسخ : « حضورا » أعطاه حق الإعراب ، والمثبت هو ما يقتضيه حق السجع .

(٢) فى الأصل ، ص : « فرخشاه » ، وانظر وفيات الأعيان ٢/٤٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٨٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٢٦٦ .

(٣) الوطاق : الخيمة الكبيرة التى تعد للعظماء .

(٤) سقط من : م ، وهى غير واضحة فى الأصل ، ص ، والعزة القعساء : الممتعة الثابتة .

منهم أحدٌ . فشرع يفتح الحصون حصناً حصناً ، ثم يعود إليهم ويهدم من أركان دولتهم ركنًا ركنًا ، ففتح بُزَاغَةَ^(١) ومنبج ، ثم سار إلى عَزَازٍ^(٢) فأرسل الحليّون إلى سِنانٍ ، فأرسل جماعة من أصحابه ليقتلوا صلاح الدين ، فدخل طائفة منهم في جيشه في زِيّ الجند فقاتلوا أشد القتال ، حتى اختلطوا بهم فوجدوا فرصة ذات يوم والسلطان ظاهر للناس ، فحمل عليه واحد منهم فضربه بالسكين على رأسه فإذا هو مُحترس منهم بالأمة ، فسلمه الله ، غير أن السكين مرّت على خده فجرحتهُ جرحًا هينًا ، ثم أخذ الفداوى رأس السلطان فوضعه على الأرض ليذبحه ، ومن حوله قد أخذتهم دهشة ، ثم تاب إليهم عقلهم فبادروا إلى الفداوى فقتلوه وقطعوه ، ثم هجم آخر في الساعة الراهية على السلطان فقتل ، ثم هجم آخر على بعض الأمراء فقتل أيضًا ، وهرب الرابع ، فأدرك فقتل ، وبطل القتال ذلك اليوم . ثم صمّم السلطان على البلد ففتحه وأقطعه ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وقد اشتدّ حنقه على أهل حلب لما فعلوا ولما أرسلوا من الفداوية إليه وإقدامهم عليه ، فجاء فنزل تجاه البلد على جبل جوشن ، وضربت خيمته على رأس البادوقية^(٣) ، وذلك في خامس عشر ذى الحجة ، وجبى الأموال وأخذ الخراج من القرى ، ومنع أن يدخل البلد شيء أو يخرج منه شيء ، واستمرّ حصاره إيّاهما حتى انسلخت السنة .

وفى ذى الحجة من هذه السنة عادَ شمس الدولة ثوران شاه [٢٧٤/٩ ظ] أخو

(١) فى الأصل، ص: «بزاغة»، وفى م: «مراغة»، والمثبت من الروضتين ١/٦٥٥، وبزاعة: بلدة من أعمال حلب. معجم البلدان ١/٦٠٣.

(٢) فى م: «أعزاز» وكلاهما صواب، وهى قرية فيها قلعة، شرقى حلب بينهما مسيرة يوم. معجم البلدان ٣/٦٦٧.

(٣) فى الأصل، ص: «الباروفيه».

السُّلْطَانِ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ اسْتِيقَاقِهِ إِلَى أَخِيهِ وَذَوِيهِ وَإِلَى الشَّامِ وَطَيْبِهِ وَظِلَالِهِ ؛ لِأَنَّهُ ضَجِرَ مِنْ حَزِّ الْيَمَنِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ حَصَلَ عَلَى أَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ مِنْ مَالِهِ ، فَفَرِحَ بِهِ أَخُوهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ ، وَاشْتَدَّ أَرْزُهُ بِسَبَبِهِ ، وَلَمَّا اجْتَمَعَ قَالَ النَّاصِرُ النَّاصِحُ الْبِرُّ الْوَفِيُّ : أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ، وَقَدْ اسْتَنَابَ شَمْسَ الدِّينِ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَإِنَّمَا اسْتَنَابَ عَلَى مُخَالِفِهَا مَنْ لَا يَخَالِفُهُ مِنْ ذِي قَرَابَاتِهِ وَمَنْ لَهُ سَالِفُ الْمَنِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ عِنْدَ أَخِيهِ اسْتَنَابَهُ عَلَى دِمَشْقَ وَأَعْمَالِهَا ، وَقِيلَ : إِنَّ قُدُومَهُ كَانَ قَبْلَ وَقْعَةِ الْمَوَاصِلَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَشْبَابِ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ ؛ لَشَهَامَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَفُرُوسِيَّتِهِ وَبَسَالَتِهِ .

وَفِيهَا أَنْفَذَ تَقِيُّ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ أَخِي السُّلْطَانِ مَمْلُوكَهُ بَهَاءَ الدِّينِ قَرَأُوشَ فِي جَيْشٍ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، فَفَتَحَ بِلَادًا كَثِيرَةً هُنَاكَ ، وَغَنِمَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَطَابَتْ لَهُ وَتَرَكَ تِلْكَ الْبِلَادَ .

وَفِيهَا قَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ الْوَاعِظُ الْكَبِيرُ أَبُو الْفَتْوحِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَقْلِدِ التَّنُوحِيِّ الدَّمَشَقِيِّ الْأَصْلِ ، الْبَغْدَادِيُّ الْمَنْشَأُ ، ذَكَرَهُ الْعِمَادُ فِي الْخَرِيدَةِ ^(١) ، قَالَ : وَكَانَ صَاحِبِي ، وَجَلَسَ لِلْوَعِظِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ . وَأُورِدَ لَهُ مُقْطَعَاتُ أَشْعَارٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي مَجْلِسِهِ ^(٢) :

يَا مَالِكًا مُهْجَتِي يَا مُنْتَهَى أَمَلِي يَا حَاضِرًا شَاهِدًا فِي الْقَلْبِ وَالْفَكْرِ
خَلَقْتَنِي مِنْ تَرَابٍ أَنْتَ خَالِقُهُ حَتَّى إِذَا صِرْتُ تَمَثَّلًا مِنَ الصُّورِ
أَجْرَيْتَ فِي قَالِبِي رُوحًا مُنَوَّرَةً تَمُرُّ فِيهِ كَجَزْيِ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ

(١) الخريدة (شعراء العراق) ٣/١٠٨ - ٣٢٢ .

(٢) الأبيات باختلاف قليل في الخريدة ٣/١٠٥ ، وهي بنصها في الروضتين ١/٦٦٧ .

جمعت بين صفا رُوح مُنَوَّرَة وهَيَّكَلِي صُغْتُهُ مِنْ معدِنِ كَدِيرِ
 إِنْ غَبْتُ فِيكِ فِينَا فَخْرِي وَيَا شَرَفِي وَإِنْ حَضَرْتُ فَيَا سَمْعِي وَيَا بَصْرِي
 إِنْ اخْتَجَبْتَ فَيَسْرِي فِيكِ فِي وَلِي وَإِنْ خَطَرْتُ فَقَلْبِي مِنْكَ فِي خَطَرِ
 تَبَدُّو فَتَمَحُّو رُسُومِي ثُمَّ تَثْبِثُهَا وَإِنْ تَغَيَّبْتَ عَنِّي عِشْتُ بِالْأَثَرِ
 وفيها تُوفِّي مِنَ الْأَعْيَانِ :

الحافظ أبو القاسم بن عساكر^(١) :

علی بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، أبو القاسم الدمشقي، أحد أكابر
 حفاظ الحديث ومن غنى به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً وإطلاعا، وحفظاً لأسانيده
 ومثونه، وإتقاناً لأساليبه وفنونه، صنّف « تاريخ الشام » في ثمانين مجلدة، فهي
 باقية بعده مخلدة، وقد برز على من تقدّمه من المؤرخين، وأتعب من يجيء بعده
 من المتأخرين، فحاز فيه قصب السباق، وجاز حداً يأمن فيه للحاق، ومن نظر
 فيه وتأمله ورأى ما وصفه فيه وأصله، حكم بأنه فريد في التواريخ، وأنه في
 الدرورة العليا من السماريخ، هذا مع ما له في علوم الحديث من كتب مفيدة، وما
 كان مشتملاً عليه من العبادة والطرائق الحميدة، فله : « أطراف الكتب الستة »،
 و « الشيوخ النبيل »، و « تبیین کذب المفتري على أبي الحسن الأشعري »، وغير
 ذلك من المصنفات الكبار والصغار، والأجزاء والأسفار، وقد أكثر في طلب
 الحديث من الترحال والأسفار، وجاب المدن والأقاليم والأمصار، وجمع من
 الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ، نسخاً واستنساخاً ومقابلةً وتصحيحاً

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٢٧٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٥٤،
 تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٧٠، وطبقات الشافعية
 للسبكي ٧/ ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٧٧.

للألفاظ، وكان من أكبر بيوتات الدَّمَشَقِيَّة، ورياسته فيهم عاليةً بأسقَّة، من ذوى الأقدار والهيئات، والأموال الجزيلة والصلاب، كانت وفاته في الحادى عشر من رجب، وله من العمر ثنتان وسبعون سنة، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته، ودُفِنَ بمقابر باب الصغير، رحمه الله تعالى. [٢٧٥/٩] وكان الذى صَلَّى عليه الشيخُ قُطُبُ الدِّينِ النَّيْسَابُورِيُّ. قال ابنُ خَلْكَانَ^(١): وله أشعار كثيرةٌ منها قوله:

أيا نفسُ وَيَحْكُ جاءَ المشيبُ فما ذا التَّصَابِي وماذا الغزلُ؟
تولَّى شبابى كأنَّ لم يَكُنْ وجاءَ المشيبُ^(٢) كأنَّ لم يزلْ
كأننى بنفسي على غِرَّةٍ وخطبُ المئونِ بها قد نزلْ
فياليتْ شِعْرى مِمَّنْ أكونُ وما قدَّرَ اللهُ لى^(٣) فى الأزلِ^(٣)

قال^(٤): وقد التزم فيها ما لا يلزم؛ وهو الزَّائى قبلَ اللَّامِ. قال^(٤): وكان أخوه صائئُ الدينِ هبةُ الله بنِ الحسنِ محدثًا فقيهاً، اشْتَغَلَ ببغدادَ على أسعدِ الميهنِيِّ، ثم قَدِمَ دِمَشْقَ فدرَّسَ بالغَزَّالِيَّةِ، وتوفى بها فى سنة ثلاثٍ وستينَ رَحِمَهُمَا اللهُ تعالى وإيانا بمَنه.

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٠.

(٢) فى الأصل: «شيب» وفى المصدر: «مشيبى».

(٣ - ٣) فى المصدر: «بالأزل».

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣١١.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة^(١)

استهلت هذه السنة والسلطان صلاح الدين محاصر حلب ، وقد أشرف منها على نيل الطلب ، فسأله وتوسلوا إليه أن يصلحهم ، فصالحهم على أن تكون حلب وأعمالها للملك الصالح فقط ، فكتب بذلك الكتاب ، وأبرم الحساب ، فلما كان الليل بعث الملك الصالح إسماعيل إلى الملك الناصر يسأل منه زيادة قلعة عزاز ، على ما شرفه به من الإعزاز ، وأرسل بأخت له صغيرة وهى الخاتون بنت نور الدين ؛ ليكون ذلك أذعى إلى قبول السؤال ، وأنجع لحصول التوال ، فحين رآها الناصر قام قائما كالقضيبي الناصر ، وقبّل الأرض ، وأجابها إلى سؤالها ، وأطلق لها من الجواهر والتحف ما رأى أنه عليه فرض ، ثم ترحل عن حلب فقصد الإسماعيلية الذين اعتدوا عليه فحاصر حصنهم مضيتاب^(٢) فقتل وضرب وسبى ، وأخذ أبقارهم ، وخرّب ديارهم ، وقصّر أعمارهم ، حتى شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تكش صاحب حماة ؛ لأنهم جيرانه ، فقبل شفاعته ، وقد أحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم -

(١) المنتظم ٢٢٦/١٨ ، والكمال ٤٣٦/١١ .

(٢) فى الأصل ، ص ، والروضتين ٦٦٩/١ : «مصيبت» ، وفى م : «مصياف» ، وفى صبح الأعشى ٤/ ٢٠٢ : «مصياف» . والمثبت من الكامل ٤٣٦/١١ . ومصيب : حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشمالى قرب طرابلس ، وبعضهم يقول : مصيف . معجم البلدان ٥٥٦/٤ .

الذى كان نائب دِمَشَق - جماعةً من أسارى الفرنج الذين عاثوا بالبقاع فى غيبة السلطان واشتغاله بحصار مِصْيَاب ، فجَدَّد له العَزَم على عَزْو الفرنج والانبعاث فصالح الإسماعيلية أصحاب سِنان ، ثم كَرَّ راجِعًا إلى دِمَشَق فى حراسة الرحمن ، وقد تلقاه أخوه شمس الدولة ثورانشاه [٢٧٥/٩ ط] فتسالمًا وتعاقدًا وتناشدًا الأشعار ، ولمَّا دَخَلَ السلطان إلى دِمَشَق فى سابع عَشَر صفر فَوْضَها إلى أخيه شمس الدولة ثورانشاه ولَقَّبَه الملك المعظَّم ، وعَزَم السلطان على السَّفر إلى مِصْر ، وكان القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشَّهْرزُورِي قد تُوفَّى فى سادس المحرَّم من هذه السنَّة ، وقد كان من خيار القضاة ، وأخصَّ الناس بِنُور الدين الشهيد ، فَوَضَّ إليه نظر الجامع ودار الضُّرْب وعمارة الأسوار والنظر فى المصالح العامة .

ولمَّا حضرته الوفاة أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشَّهْرزُورِي ، فأمضى ذلك السلطان الملك الناصر صلاح الدين ؛ رعاية لحقِّ الكمال الشَّهْرزُورِي ، مع أنَّه كان يَجِدُّ عليه ؛ بسبب ما كان يَبْنِيه ويَبْنِيه حين كان صلاح الدين شِخْنَةً^(١) بِدِمَشَق ، وكان يعاكِسه ويخالِفُه ، ومع هذا أمضى وصيَّته لابن أخيه ، فجلَس فى مجلس القضاء على عادة عمِّه وقاعدته ورسِمه ، وبقي فى نفس السلطان من تولية شرف الدين أبى سعيد^(٢) عبد الله بن أبى عَصْرُونَ الحَلَبِي ، وكان قد هاجر إلى السلطان إلى دِمَشَق فوعده أن يُولِّيه قضاءها ، فأسَرَّ بذلك إلى القاضى الفاضل ، فأشار القاضى الفاضل على الضياء أن يَسْتَعْفِي من

(١) فى م : « سجنه » .

(٢) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من وفیات الأعيان ٥٣/٣ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢٥/٢١ ،

وطبقات الشافعية للسبكي ١٣٢/٧ .

القضاء فاستعفى فأعفى، وترك له وكالة بيت المال، وولّى السلطان ابن أبي
عصرون على أن يشتت القاضى مُحْيَى الدين أبا المعالى محمد بن زكى الدين،
والأوحد^(١)، عنه ففعل ذلك، ثم بعد سنوات استقل بالحكم مُحْيَى الدين،
أبو حامد بن أبي عصرون عوضاً عن أبيه شرف الدين؛ بسبب ضعف بصره.

وفى صفر من هذه السنة وقف السلطان الملك الناصر قرية حزم على الزاوية
الغزاليّة، ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعيّة، أو ما يحتاج إليه الفقيه، وجعل النظار
لقطب الدين النيسابورى مدرّسها.

وفى هذا الشهر تزوّج السلطان صلاح الدين بالسّ خاتون عصمة الدين
بنت معين الدين أنز، وكانت زوجة الملك نور الدين محمود، فأقامت بعده فى
القلعة محترمةً مكّرمّةً، وولّى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين مسعود بن
أنز، وحضر القاضى ابن أبي عصرون العقد، ومن معه من الغدول، وبات الناصر
عندها تلك الليلة والتى بعدها، ثم سافر إلى مصر بعد يومين من الدخول بها،
فركب يوم الجمعة قبل الصلاة فنزل بمزج الصّفر، ثم سار فعشا قريباً من
الصنمين^(٢)، ثم أجّد السير حتى كان [٢٧٦/٩هـ] دخوله الديار المصرية^(٣) يوم
السبت سادس عشر ربيع الأول من هذه السنة فى أبهة الملك. وقد تلقاه أخوه

(١) سقط من م. والأوحد هو داود بن إبراهيم بن عمر بن بلال الشافعى وكان ينوب عن كمال الدين.
الروضتين ٦٧٤/١.

(٢) فى م، ص: «الصفين». وفى الروضتين ٦٩٧/١: «الصنمين». وانظر صبح الأعشى ٣٨٠/١٤،
٣٩٦، ٣٩٣.

وعند ياقوت: الصنمان: قرية من أعمال دمشق فى أوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان. معجم
البلدان ٤٢٩/٣.

(٣) بعده فى ص: «إلى القاهرة المعزية».

ونائبه الملك العادل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القلزم، ومعه من الهدايا والتحف شيء كثير ولا سيما المأكِل المتنوعة، وكان في ضحبة السلطان العماد الكاتب، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك، فشرع يذكر محاسنها، وما اختصت به من بين البلدان، ووصف الهرمين، وشبههما بأنواع من التشبيهات، وبأن في ذلك حسب ما ذكر في «الروضتين»^(١).

وفي شعبان ركب السلطان الناصر بن أيوب إلى الإسكندرية، فأسمع ولديه الأفضل عليًا، والعزير عثمان على الحافظ السلفي، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام؛ الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان، وعزم السلطان على الصيام بها، وقد كمل عمارة السور على البلد، وأمر بتجديد الأسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالرجال والمقاتلة، وأمرهم بغزو جزائر البحر، وأقطعهم الإقطاعات الجزيلة، وأرصد لصالح الأسطول من بيت المال ما يكفيهم لجميع شئونه، ثم عاد إلى القاهرة في أثناء رمضان فأكمل صومه بها.

وفيها أمر الناصر صلاح الدين ببناء مدرسة للشافعية على قبر الإمام الشافعي، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني^(٢) مدرّسها وناظرها.

وفيها أمر ببناء المارستان بالقاهرة، ووقف عليه أوقافًا كثيرة. وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قايمار نائب قلعة الموصل جامعًا حسنًا ورباطًا ومدرسة ومارستانًا

(١) الروضتين ٦٨٥/١.

(٢) هو محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبد الله الخبوشاني. وفيات الأعيان ٢٣٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢٠٤، وطبقات الشافعية للسبكي ١٤/٧. والخبوشاني، بضم الخاء، وقيد بالفتح ياقوت في معجم البلدان ٢/٤٠٠.

مُتَجَاوِرَاتِ بَظَاهِرِ مَدِينَةِ الْمُؤَصِّلِ ، وَقَدْ تَأَخَّرَتْ وَفَاتُهُ إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ
وَحَمْسِمِائَةٍ ، وَلَهُ عِدَّةُ مَدَارِسَ وَخَانِقَاهَاتٍ وَجَوَامِعَ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا ، وَكَانَ دِينًا
خَيْرًا فَاضِلًا حَنَفِيَّ الْمَذْهَبِ ، يَذَاكِرُ فِي الْأَدَبِ وَالْأَشْعَارِ وَالْفَقْهِ ، كَثِيرَ الصِّيَامِ
وَقِيَامِ اللَّيْلِ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ .

وفيهما أُخْرِجَ الْمَجْدُومُونَ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْهَا لِيَتَمَيَّزُوا عَنْ أَهْلِ
الْعَافِيَةِ - نَسَّأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ - وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ فِي « الْمُنْتَظَمِ » عَنْ
امْرَأَةٍ أَنَّهَا قَالَتْ ^(١) : كُنْتُ أَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَكَانَ رَجُلٌ يُعَارِضُنِي كُلَّمَا مَرَرْتُ
بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا الَّذِي تَرُومُهُ مِنِّي إِلَّا بِكِتَابٍ ، فَتَرَوُّجَنِي عِنْدَ
الْحَاكِمِ ، فَمَكَّنْتُ مَعَهُ مَدَّةً ثُمَّ اعْتَرَاهُ انْتِفَاحٌ بِيَطْنِهِ فَكُنَّا [٢٧٦/٩ ظ] نَظُنُّ أَنْ بِهِ
اسْتِشْقَاءٌ فَنَدَاوِيهِ لَذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مَدَّةٍ وَلَدَ وَلَدًا كَمَا تِلْدُ النِّسَاءُ ، وَإِذَا هُوَ
خُتْنَى مُشْكِلٌ ، وَهَذَا مِنْ أَغْرَبِ الْأَشْيَاءِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

عَلِيُّ بْنُ عَسَاكِرَ بْنِ الْمُرْحَبِ بْنِ الْعَوَّامِ ، أَبُو الْحَسَنِ الْبَطَائِحِيُّ الْمُقَرِّيُّ
الْلُغَوِيُّ ^(٢) ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَأَسَمَعَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَقَفَّ
كُتُبُهُ بِمَسْجِدِ ابْنِ جُرْدَةَ ^(٣) بِبَغْدَادَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي شَعْبَانَ وَقَدْ نَيْفَ عَلَى الثَّمَانِينَ
رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) المنتظم ٢٣١/١٨ .

(٢) المنتظم ٢٣٣/١٨ ، ومعجم الأدباء ٦١/١٤ ، وسير أعلام النبلاء ٥٤٨/٢٠ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٠٠ ، وغاية النهاية ٥٥٦/١ ، وذيل طبقات الحنابلة ٣٣٥/١ ،
وبغية الوعاة ١٧٩/٢ .

(٣) في م : « جرارة » . وفي معجم الأدباء ٦٢/١٤ : أنه وقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر
الجيلي ، وفي ذيل طبقات الحنابلة ٣٣٧/١ : أنه وقفها بمدرسة الحنابلة بباب الأرج .

محمد بن عبد الله بن القاسم، أبو الفضل، قاضي القضاة بدمشق،
 كمال الدين الشهرزوري، الموصلي^(١)، وله بها مدرسة^(٢) على الشافعية،
 وأخرى بنصيبين، وكان فاضلاً دَيِّناً أميناً ثقة ورعاً، ولحق القضاة بدمشق لنور
 الدين محمود بن زنكي، واستوزره أيضاً فيما حكاه ابن الساعي. قال: وكان
 يبعثه في الرسائل، كتب مرة على أعلى قصبة إلى الخليفة المقتفي: محمد بن عبد
 الله الرسول، فكتب الخليفة تحت ذلك: ﷺ. قلت: وقد فوّض إليه نور الدين
 نظراً للجامع ودار الضرب، وعمر له المارستان والمدارس، وغير ذلك من الأمور
 المهمات، وكانت وفاته، رحمه الله تعالى، في المحرم من هذه السنة بدمشق.

الخطيب شمس الدين ابن الوزير أبي المضاء^(٣)، خطيب الديار المصرية،
 وابن وزيرها، كان أول من خطب بديار مصر للخليفة المستضيء بأمر الله
 العباسي، بأمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ثم حظي عنده حتى
 جعله سفيراً بينه وبين الملوك والخلفاء، وكان رئيساً مطاعاً كريماً ممدحاً، يترامى
 عليه الشعراء والأدباء. ثم جعل مكانه في السفارة وأداء الرسائل ضياء الدين ابن
 قاضي القضاة الشهرزوري المتقدم بمرسوم سلطانني، وكانت وظيفة مقررة.

(١) المنتظم ٢٣٣/١٨، وخريدة القصر (قسم الشام) ٣٢٣/٢، ووفيات الأعيان ٤/٢٤١، وسير أعلام
 النبلاء ٥٧/٢١، وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات (٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ١٠٤، وطبقات الشافعية
 للسبكي ١١٧/٦.

(٢) هكذا في النسخ، ولعل تمام الكلام: وقفها على الشافعية.

(٣) في م: «الضياء». وانظر ترجمته في: الروضتين ١/٦٧٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ)
 ص ١٠٩، والوفاء بالوفيات ٤/٣٨٩.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة^(١)

فيها أمر السلطان ببناء قلعة الجبل وإحاطة سور على القاهرة ومصر يشملهما جميعاً، فعمرت قلعة للملك لم يكن في الديار المصرية مثلها ولا على شكلها، وولى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

وفيهما كانت وقعة الرملة على المسلمين.

وفي جمادى الأولى منها سار السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من مصر قاصداً غزو الفرنج، فانتهى إلى [٢٧٧/٩ و] بلاد الرملة، فسبى وسلب وغنم وقسر وكسر وكسب، ثم تشاغل جيشه بالغنائم، وتفرقوا في القرى والمحال تفرق الهائم، وبقي السلطان في طائفة من الجيش منفرداً، فهجمت عليه الفرنج في جحفل من المقاتلة، فما سلم السلطان إلا بعد جهد جهيد، ولله الحمد، ثم تراجع الجيش بعد تفرقهم، واجتمعوا عليه بعد أيام، ووقعت الأراجيف في الناس بسبب ذلك، وما صدق أهل الديار المصرية برويته بعد ما بلغهم من الإزجاف والإرهاب، وصار الأمر كما قيل^(٢):

(١) المنتظم ٢٣٥/١٨، والكمال ٤٤٢/١١.

(٢) في ص: «قال الشاعر». وهو مثل يضرب للرجل يشقى في طلب الحاجة حتى يرضى بالخلوص سالماً. جمهرة الأمثال ٤٨٤/١.

وهو شطر بيت لامرئ القيس وصدره:

وقد طوفت في الآفاق حتى

ديوان امرئ القيس ص ٩٩.

* رَضِيَتْ مِنْ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ *

ومع هذا دَقَّتِ البشائرُ في البلدانِ فرحًا بسلامةِ السلطانِ ، ولم تَجِرْ مثلُ هذه الوقعةِ إلَّا بعدَ عَشْرِ سِنِينَ ، وذلك يومَ حِطِّينَ ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وقد ثَبَتَ السلطانُ في هذه الوقعةِ ثَبَاتًا عَظِيمًا ، وأَسِرَ للملكِ المظفَّرِ تَقِيُّ الدِّينِ عَمَرَ بْنَ أَخِي السلطانِ وَلَدَهُ شَاهِنْشَاهَ ، فَبَقِيَ عِنْدَهُمْ سَبْعَ سِنِينَ ، وَقُتِلَ ابْنُهُ الْآخَرُ ، وَكَانَ شَابًا قَدِ طَرَّ شَارِبُهُ ، فَحَزِنَ عَلَى الْمَقْتُولِ وَالْمَقْقُودِ ، وَصَبَرَ تَأْسِيًّا بِأَيُّوبَ ، وَنَاحَ كَمَا نَاحَ دَاوُدُ ، وَأَسِرَ الْفَقِيهَانِ الْأَخْوَانِ ، ضِيَاءُ الدِّينِ عِيسَى ^(١) ، وَظَهَيْرُ الدِّينِ ، فَافْتَدَاهُمَا السُّلْطَانُ بَعْدَ سِنِينَ ^(٢) بِسَبْعِينَ ^(٣) أَلْفَ دِينَارٍ .

وفيها تَخَبَّطَتِ الدَّوْلَةُ بِحَلَبَ ، وَقَبَضَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُورِ الدِّينِ عَلَى الْخَادِمِ كُمُشْتَكِينَ ، وَأَلْزَمَهُ بِتَسْلِيمِ قَلْعَةٍ حَارِمٍ ، وَكَانَتْ لَهُ ، فَأَتَى مِنْ ذَلِكَ ، فَعَلَّقَهُ مَكْنُوسًا ، وَدَخَنَ تَحْتَ أَنْفِهِ حَتَّى مَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ . وَقَصَدَتْ الْفَرِنجُ حَارِمًا فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ سُلِّمَتْ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ .

وفيها جَاءَ مَلِكٌ كَبِيرٌ مِنْ مُلُوكِ الْفَرِنجِ يَزُومُ أَخَذَ الشَّامَ لِعَيْبَةِ السُّلْطَانِ وَاشْتِغَالَ نُوَابِهِ بِلَدَائِهِمْ .

قَالَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ ^(٤) : وَمِنْ شَرْطِ هَذِهِ الْفَرِنجِ أَنَّهُ مَتَى جَاءَ مَلِكٌ كَبِيرٌ مِنْ مُلُوكِهِمْ لَا يُمْكِنُهُمْ دَفْعُهُ فَإِنَّهُمْ يَقَاتِلُونَ مَعَهُ وَيُؤَارِزُونَهُ وَيَنْصُرُونَهُ ، فَإِذَا انْصَرَفَ

(١) انظر ص ٦١١ .

(٢) في م : « سنتين » .

(٣) في م : « بتسعين » . وانظر الروضتين ٧٠١ / ١ .

(٤) المصدر السابق ٧٠٦ / ١ .

عنهم عَادَتِ الْهُدْنَةُ كَمَا كَانَتْ ؛ فَقَصَدَ هَذَا الْمَلِكُ وَجْمَلَةُ الْفَرَنْجِ مَعَهُ مَدِينَةَ
حَمَاةَ ، وَصَاحِبُهَا شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ خَالَ السُّلْطَانِ مَرِيضٌ ، وَنَائِبُ دِمَشْقَ
وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ مُشْغُولُونَ بِلَذَاتِهِمْ ، فَكَادُوا يَأْخُذُونَ الْبَلَدَ ، وَلَكِنْ هَزَمَهُمُ اللَّهُ
بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، فَانْصَرَفُوا إِلَى حَارِمٍ فَلَمْ يَتِمَّ كُنُوتُهَا مِنْ أَخْذِهَا ، وَكَشَفَهُمْ عَنْهَا الْمَلِكُ
الصَّالِحُ صَاحِبُ حَلَبَ ، وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَسَارَى مَا طَلَبُوهُ . وَتُوفِّيَ
صَاحِبُ حَمَاةَ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ بْنُ تِكِشَ ، خَالَ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ ،
وَتُوفِّيَ قَبْلَهُ وَلَدُهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ .

وَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بِنُزُولِ الْفَرَنْجِ عَلَى حَارِمٍ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ [٢٧٧/٩ ظ]
قَاصِدًا بِلَادَ الشَّامِ ؛ لَغَزْوِ الْفَرَنْجِ - لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - فَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى دِمَشْقَ
فِي "الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ" شَوَّالٍ ، وَضُحْبَتُهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ ، وَتَأَخَّرَ الْقَاضِي
الْفَاضِلُ بِمِصْرَ نَاقِيًا أَدَاءَ الْحَجِّ فِي هَذَا الْعَامِ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ .

وَفِيهَا جَاءَ كِتَابُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ إِلَى النَّاصِرِ يَهْنُئُهُ بِوُجُودِ مُؤَلُّودِهِ لَهُ ، وَهُوَ
أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدَ ، وَبِهِ كَمَلٌ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ذَكَرًا ، وَقَدْ وُلِدَ لَهُ بَعْدَهُ عِدَّةٌ أَوْلَادٍ ذُكُورٍ
أَيْضًا ، فَإِنَّهُ تُوفِّيَ عَنْ سَبْعَةِ عَشَرَ ذَكَرًا وَابْنَةٍ صَغِيرَةٍ اسْمُهَا مُؤْنِسَةُ ، الَّتِي تَزَوَّجَهَا
ابْنُ عَمَّتِهَا الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ جَرَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْعَامَّةِ بَيْعُغَادَا ، وَكَانَتْ بِسَبَبِ
أَنَّ مُؤَدَّنًا عِنْدَ كَنِيسَةِ الْيَهُودِ نَالَ مِنْهُ بَعْضُ الْيَهُودِ بِكَلَامٍ ، فَشَتَمَهُ الْمُسْلِمُ ، فَاقْتَتَلَا ،

(١ - ١) فِي م : « رَابِعَ عَشَرَ » . وَانْظُرِ الرَّوَضَتَيْنِ ٧٠٧/١ .

فجاء المؤذُن يشتكى منه إلى الديوان ، وتفاقم الحال ، وكثرت العواث ، وأكثرُوا الضَّجيج ، ولَمَّا كان يومُ الجمعة منَعَتِ العامَّةُ إقامة الخطبة في بعض الجوامع ، وخرجوا من فوزهم ، فنهَبوا سوقَ العطارين الذى فيه اليهودُ ، وذهبوا إلى كنيسة اليهودِ فنهَبوها ، ولم يتمكَّن الشرطُ من رُدِّهم ، فأمر الخليفة بصلبِ بعضِ العامَّةِ ، فأُخرج في الليل جماعةٌ من الشُّطَّارِ الذين كانوا فى الحبوسِ وقد وجبَ عليهم القتلُ فُصلبوا ، فظنَّ كثيرٌ من الناس أنَّ هذا كان بسببِ هذه الكائنة . فسكنت الفتنة ، ولله الحمد .

وفىها خرجَ وزيرُ الخليفة عضدُ الدولة ابنُ رئيسِ الرؤساءِ ابنِ المسلمة قاصداً الحجَّ ، وخرجَ الناسُ فى خدمته ليودِّعوه ، فتقدَّم إليه ثلاثةٌ من الباطنية فى صورة فقراءٍ ومعههم قصصٌ ، فتقدَّم أحدهم ليناوله القصةَ فضرَّبه بالسكين ضرباتٍ وهجم الثانى ، وكذا الثالثُ فنهَبُوه وجرَّحوا جماعةً حوله ، وقُتِل الثلاثة من فوزهم وحرقوا ، ورجعَ الوزيرُ إلى منزله محمولاً فمات فى يومه ، وهذا الوزيرُ هو الذى قتل ولَدَي الوزيرِ ابنِ هُبَيْرَةَ وأعدمهما ، فسَلَطَ اللَّهُ عليه مَن قَتَلَهُ ، وكما تَدِينُ ثَدَانُ ، جزاءً وفاقاً . ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

وَمَنْ تُوْفِي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

صَدَقَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، أَبُو الْفَرَجِ بْنُ^(١) الْحَدَّادِ ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقه وأفتى ، وقال الشعرَ ونظرَ فى الكلامِ وناظرَ ، وله تاريخٌ ذَّيِّلَ فيه على شيخه ابنِ الزَّاعُونِيِّ ، وفيه غرائبٌ وعجائبُ .

(١) سقط من النسخ ، والمنظوم ٢٤٣/١٨ . والمثبت من مصادر ترجمته التالية : سير أعلام النبلاء ٦٦/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١١٩ ، والوفاء بالوفيات ٢٩٢/١٦ ، وذيل طبقات الحنابلة ٣٣٩/١ .

وقال ابن الساعي : كان شيخاً عالماً فاضلاً وكان فقيراً يأكل من أُجْرَةِ الشَّيْخِ ،
وكان يأوي إلى مسجدٍ ببغدادَ عندَ البدريةِ يؤمُّ فيه ، وكان يتعَتَّبُ [٢٧٨/٩] على
الزمانِ وبنيه .

ورأيتُ ابنَ الجوزيِّ في « المنتظم »^(١) يذمُّه ويؤميه بالعظائم ، وأوردَ له من
أشعاره ما فيه مُشابهةً لابنِ الراونديِّ في الرندقةِ ، فاللهُ أعلمُ . وكانت وفاته في
ربيعِ الآخرِ من هذه السنَّةِ عن خمسٍ وسبعينَ سنَّةً ، ودُفِنَ بيابِ حربٍ ، ورويتُ
له مناماتٌ غيرُ صالحةٍ ، نسألُ اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخرة .

^(٢) محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، أبو المظفرِ الحنفيُّ ، المعروفُ بالمشطَبِ ،
كان من الفضلاءِ المشاهيرِ ، تفقَّه ، ودرَّسَ ، وأفتى ، وناظر . تُوفِّيَ في هذه السنَّةِ
وقد جاوزَ الثمانينَ^(٣) .

محمدُ بنُ أسعدَ بنِ محمدٍ ، أبو منصورِ العطارِ^(٤) ، المعروفُ بحفدةٍ ، سَمِعَ
الكثيرَ وتفقَّهَ وناظرَ وأفتى ودرَّسَ ، وقَدِمَ بغدادَ فماتَ بها في هذه السنَّةِ ، رَحِمَهُ
اللهُ تعالى .

محمودُ بنُ تِكشَ^(٥) ، شهابُ الدينِ الحارِميُّ ، خالُ السلطانِ صلاحِ

(١) المنتظم ٢٤٣/١٨ ، ٢٤٤ .

(٢ - ٣) سقط من : م . وانظر ترجمته في : المنتظم ٢٤٦/١٨ ، والكمال ٤٤٩/١١ ، والجواهر المضية
في طبقات الحنفية ٣/٣٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٢٧ ، والوفاء
بالوفيات ١٠٦/٢ .

(٣) المنتظم ٢٤٦/١٨ ، ووفيات الأعيان ٢٣٨/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٥٣٩/٢٠ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٨٦ ، ١٢٨ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٩٢/٦ .

(٤) في م : « تنش » . وانظر ترجمته في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٣٠ ،
والروضتين ٧٠٧/١ ، ومراة الزمان ٣٤٣/١/٨ ، وكتاب السلوك ٦٦/١/١ .

الدين ، من خيار الأمراء وشُجعانهم ، وقد أقطع ابن أخته حمأة حين فتحها ،
وقد حاصره الفرنج بها في هذه السنة وهو مريض ، ففتحوها وقتلوا بعض أهلها ،
فردوهم خائبين ، ولله الحمد .

فاطمة بنت 'نصر بن العطار' ، كانت من سادات النساء ، وهى من سلالة
أخت صاحب الخزن ، وكانت من العابدات المتورعات المحذرات ، يقال : إنها لم
تخرج من منزلها سوى ثلاث مرّات ، وقد أثنى عليها الخليفة وغيره ، والله أعلم .

(١ - ١) فى م : « نصر العطار » . وانظر ترجمتها فى : المنتظم ٢٤٥ / ١٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٢٦ .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة^(١)

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل من مِصر إلى السلطان وهو بالشام يُهنئُه
بسلامة أولاده الملوك الاثنى عشر، يقول في بعضه^(٢) : وهم بحمد الله بهجة
الدنيا وزينتها، ورِيحانة الحياة وزهرتها، وإن فؤادًا وسع فراقهم لواسع، وإن قلبًا
قنع بأخبارهم لقانع، وإن طرفًا نام عن البعد عنهم لهاجع، وإن ملكًا ملك تصبره
عنهم لحازم، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم، أما يشتاق جيد المولى أن
يتطوق بذرهم؟ أما تظلم عينه أن تروى بنظرهم؟ أما يحزن قلبه إلى قلبه؟ أما
يلتقط هذا الطائر بتبيلهم من خرج من حبه؟ وللمولى أبقاه الله أن يقول :

وما مثل هذا الشوق تحمل مُضغَّة ولكن قلبي في الهوى يتقلب

وفيها أسقط السلطان صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة،
وقد كان يؤخذ من حجاج الغرب شيء كثير، ومن عجز عن أدائه حبس فربما
فاته الوقوف [٢٧٨/٩ ظ] بعرفة، وعوض أميرها بمال يُقطعُه بديار مصر، وأن
يُحمل إليه في كل سنة ثمانية آلاف إردب غلة إلى مكة؛ ليكون عونًا له
ولأتباعه، ورفقًا بما تيسر على المجاورين من ابتياعه، وقرر للمجاورين أيضًا
غلات تحمل إليهم وصلات، فرحمة الله عليه في سائر الأوقات.

(١) المنتظم ٢٤٨/١٨، والكامل ٤٥٠/١١.

(٢) الروضتين ٣/٢.

وفيها عصى الأمير شمس الدين ابنُ مقدَّم بَغْلَبَك ، ولم يَجِئْ إلى خدمة السلطان وهو نازلٌ على ظاهرِ حِمَص ؛ وذلك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَخَا السلطان ثُورَانشَاه طَلَبَ بَغْلَبَك مِنَ السلطانِ فَأُطْلِقَهَا لَهُ ، فامْتَنَعَ ابنُ المقدَّم مِنَ الخروجِ منها حتى جاءَ السلطانُ بنفسِهِ ، فحَصَرَهُ فيها مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، حتى جَاءَتِ الأمطارُ والبرَدُ ، فَعَادَ إلى دِمَشقَ فِي رَجَبٍ ، ووَكَّلَ بِالْبَلَدِ مَنْ يَحْصُرُهُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ، ثم عَوَّضَ ابْنَ المقدَّمِ عَنْهَا بِتَغْوِيضٍ كَثِيرٍ خَيْرٍ مِمَّا كَانَ يَبِيدُهُ ، فخرَجَ منها وتسلَّمَهَا ثُورَانشَاه .

قال ابنُ الأثير^(١) : وكان في هذه السَّنَةِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِسَبَبِ قَلَّةِ المَطَرِ ، عَمَّ العراقَ والشَّامَ وديارَ مِصْرَ ، واستمرَّ إلى سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ، فجاءَ المَطَرُ ورُخِصَتِ الأَسْعَارُ ، ولكن تعقَّبَ ذلك وباءٌ شَدِيدٌ ، وعمَّ البلادَ مرضٌ واحدٌ ، وهو السَّرَسَامُ^(٢) ، فما ارتَفَعَ إِلَّا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ ، فماتَ بِسَبَبِ ذلك خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وأَمَّ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ .

وفي رمضانَ منها وَصَلَتْ خِلَافَةُ الخليفةِ إلى الملكِ صلاحِ الدينِ وهو بِدِمَشقَ ، وكانت سَنِيَّةً عَظِيمَةً جَدًّا ، وَزِيدَ فِي أَلْقَابِهِ ، مُعِزُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخُلِيعٌ أَيْضًا عَلَى أَخِيهِ ثُورَانشَاه وَلُقِّبَ بِمُضْطَفَّى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وفيها جَهَّزَ الملكُ صلاحُ الدينِ ابْنَ أَخِيهِ فَرُّخَشَاهُ بِنَ شَاهِنشَاهِ بِنِ أَيُوبَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِقِتَالِ الفِرَنْجِ الَّذِينَ قَدْ عَزَمُوا عَلَى قِتَالِ المُسْلِمِينَ ، وعاثُوا فِي نَوَاحِي دِمَشقَ وَقَرَاهَا ، فَتَهَبُّوا مِمَّا حَوْلَهَا وَأَرْجَاءَهَا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُدَارِيَهُمْ حَتَّى يَتَوَسَّطُوا الْبِلَادَ ، وَلَا يَقَاتِلَهُمْ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا التَقَوْا عَاجَلُوهُ بِالْقِتَالِ ، فَكَسَرَهُمْ وَقَتَلَ مِنْ مُلُوكِهِمْ

(١) الكامل ٤٥١/١١ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «البرسام» . والسرَّسام : ورم في حجاب الدماغ تحدث عنه حمى دائمة ، وتبعتها أعراض رديفة كالسهر واختلاط الدهن . الوسيط (س ر س م) .

صاحب الناصرة الهنفرى ، وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم ، لا يُنهيه اللقاء ، فكبته الله فى هذه الغزوة ، ثم ركب السلطان صلاح الدين فى إثر ابن أخيه فما وصل إلى الكسوة حتى تلقته الرؤوس على الرماح ، والغنائم والأسارى ، ^(١) والجيش فى سمره ويضيه من البنادق ^(٢) والصفاح .

وفىها بنت الفرنج ، لعنهم الله ، قلعة عند بيت الأخران للداوية ، فجعلوها مرصدا لحزب المسلمين ، وقطع طرقاتهم عليهم ، ونقضت ملوكهم العهود [٢٧٩/٩] التى كانت بينهم وبين صلاح الدين ، وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب ؛ ليشغلوا المسلمين عنهم ، وتفرقت جيوشهم فلا تجتمع فى بقعة واحدة ، فرتب السلطان ابن أخيه تقي الدين عمر بثغر حماة ومعه شمس الدين ابن مقدم وسيف الدين على بن أحمد المشطوب ، وبثغر حمص ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه ، وبعث إلى أخيه سيف الدين أبى بكر العادل نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفا وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج ، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذى بنوه للداوية ، فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه ، فبذل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا ، فوصلهم إلى مائة ألف دينار فأبوا ، فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر : ابذل هذه فى جنود المسلمين ، وسر إلى هذا الحصن فخرّبه . فأخذ بقوله فى ذلك وخرّبه فى السنة الآتية ، كما سند كرهه إن شاء الله تعالى .

وفىها أمر الخليفة المستضيء بكتابة لرح على قبر الإمام أحمد بن حنبل ، فيه .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « المارق » .

آيَةُ الْكُرْسِيِّ ، وبعدها : هذا قبر تاج السُّنَّةِ ، وحيد الأُمَّةِ ، العالى الهِمَّةِ ، العالم العابد الفقيه الزاهد . وذكر تاريخ وفاته ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

وفيها احتيَظَ ببعْدَادِ على شاعرٍ يُنشدُ للروافِضِ ، يقالُ له : ابنُ قرايا . يقفُ فى الأسواقِ ويذكرُ أشعارًا يُضْمَنُها ذمُّ الصحابةِ ، رضى الله عنهم ، وسبَّهم ، وتجويزهم ، وتهجينَ مَنْ أحبَّهم ، فعقِدَ له مجلسٌ بأمرِ الخليفةِ ، واستنطقَ فإذا هو رافِضِيٌّ جلدٌ داهيةٌ ، فأفتى الفقهاءُ بقطعِ لسانه ويَدَيْه ، ففعلَ به ذلك ، ثم احتطَفَتِ العامةُ فما زالوا يرمونه بالآجُرِّ حتى ألقى نفسه فى دجلةَ ، فاستخرجوه منها وقتلوه حتى مات ، فأخذوا شريطًا وربطوه فى رجليه وطوَّفوا به فى البلدِ يُجرِّجونه فى أكنافها ، ثم ألقوه فى بعضِ الأتوناتِ مع الآجُرِّ والكِلَسِ^(١) ، وعجزَ الشرطُ عن تخليصِهِ منهم .

ومن تُوفِّي فيها مِنَ الأعيانِ :

أسعدُ بنُ بلدركَ ، أبو أحمدَ الجبريلِيّ^(٢) ، سمِعَ الحديثَ ، وكان شيعيًا ظريفًا ، حسنَ المذاكرةِ ، جيّدَ النادرةِ ، سريعَ المبادرةِ ، توفِّيَ فى هذه السنةِ عن مائةِ سنةٍ وأربعِ سنينَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .

محمدُ بنُ نَسيمِ بنِ عبدِ الله ، أبو عبدِ الله الحَيَّاطُ^(٣) ، عتيقُ الرئيسِ أبى الفضلِ بنِ عَيْشُون ، سمِعَ الحديثَ وقاربَ الثمانينَ ، سقطَ مِنْ درجةِ فمات .

(١) الكلس : ما طُلِيَ به حائط ، أو باطن قصر ، شبهُ الجِصِّ من غيرِ آجُرِّ . اللسان (ك ل س) .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٣٩ ، والعبر ٢١٩/٤ ، وشذرات الذهب ٢٤٦/٤ .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٥٦ ، والعبر ٢٢١/٤ ، والوفاء بالوفيات ١١٠/٥ ، والنجوم الزاهرة ٨٤/٦ ، وشذرات الذهب ٢٤٩/٤ .

قال : أَنشدني مؤلّي والدي ، يغني ابنَ أعلى^(١) الحكيمَ أبا الفضلِ بنَ عَيْشُون :

[٢٧٩/٩ ظ] القارئُ التَّشْرِيعُ أَجْدَرُ بِالثَّقَى
مِنْ رَاهِبٍ فِي ذَيْرِهِ مُتَقَوِّسٍ
ومراقِبُ الأفلاكِ كانتْ نفسُه
بعبادَةِ الرحمنِ أُخْرَى الأنفُسِ
والماسِخُ الأَرْضِيْنَ وَهِيَ فسيحةٌ
أُولَى بِخشيةِ ربِّه مِنْ جاهلٍ
أُولَى بِمَسْخِ وَمَرْبَعٍ وَمُخَمَّسٍ

الحِصْنُ بَيْصَ ، سعدُ بنُ محمدٍ بنِ سعيدٍ ، شهابُ الدينِ أبو الفوارسِ
الصَّيْفِيُّ^(٢) ، الشاعرُ ، له ديوانٌ شعريٌّ مشهورٌ ، وكانت وفاته يومَ الثلاثاءِ خامسِ
شعبانٍ مِنْ هذه السَّنَةِ ، وله اثنتانِ وثمانونَ سَنَةً ، وصُلِّيَ عليه بالنَّظامِيَّةِ ، ودُفِنَ
بِبابِ التَّيْنِ ، ولم يُعَقِّبْ ، ولم يُكُنْ له في المراسلاتِ بديلٌ ، كان يتَقَعَّرُ فيها
ويتفاصَّحُ جدًّا ، فلا تُواتيه إلَّا وهى مُعْجَرَفَةٌ ، وكان يزعمُ أَنَّهُ مِنْ بنى تميمٍ ، فسئلَ
أبوه عن ذلك فقال : ما سَمِعْتُهُ إلَّا مِنْهُ . فقال بعضُ الشعراءِ يهْجُوهُ فيما ادَّعاه مِنْ
ذلك^(٣) :

كَمْ تُبَادِي وَكَمْ تُطَوِّلُ طُرُطُو رَكَ مَا فِيكَ شَعْرَةً مِنْ تَمِيمِ
فَكُلِ الضَّبِّ وَابْلَعِ^(٤) الحَنْظَلِ اليَا بَسْ وَاشْرَبْ إِنْ شِئْتَ بَوَّلَ الظَّلِيمِ
ليس ذا وَجْهَ مَنْ يُضَيِّفُ وَلَا يَقْ رِي وَلَا يَدْفَعُ الْأَذَى عَنْ حَرِيمِ

(١) فى م : «علام» .

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٢٠٢/١ ، والمنظوم ٢٥٣/١٨ ، ووفيات الأعيان ٣٦٢/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٦١/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٤١ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٩١/٧ .

(٣) وفيات الأعيان ٣٦٤/٢ ، وقد ذكر العماد فى الخريدة (قسم شعراء الشام) ٢٩٩/٢ ، ٣٠٠ ، أن هذه الأبيات للرئيس على بن الأعرابي الموصلى .

(٤) فى م ، ووفيات الأعيان : «اقرط» . والمثبت موافق لما فى الخريدة . واقرط : اقطع .

وَمِنْ شَعْرِ الْحَيْصِ يَيْصُ الْجَيْدُ^(١) :

سلامة المرء ساعة عجب
وكل شيء لحثفه سبب
يفرّ والحادثات تطلبه
يفرّ منها ونحوها الهرب
فكيف يبقّى على تقلبه
مسلمًا من حياته^(٢) العطب
ومن شعره أيضًا^(٣) :

لا تلبس الدهر على غرة
فما لموت الحى من بُد
ولا يُخادِعك طويل البقا
فتحسب الطول من الخلد
يقرب^(٤) ما كان له آخِر
ما أقرب المهّد من اللحد

ويقرب من هذا ما ذكره صاحب «العقد»، وهو أبو عمر، أحمد بن محمد
ابن عبد ربه الأندلسي في «عقده»^(٥) :

ألا إنما الدنيا غصارة أيكّة
إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب
وما الدهر والآمال إلا فجائع
عليها وما اللذات إلا مصائب
فلا تكتحلّ عيناك منها بعبرة
على ذاهب منها فإنك ذاهب

[٢٨٠/٩] وقد ذكر أبو سعيد السمعاني حيصّ ييصّ هذا في «ذيله»، وأثنى
عليه، وسمع عليه ديوانه ورسائله، وأثنى على رسائله القاضي ابن خلّكان،
وقال^(٦) : كان فيه تية وتعاطم، ولا يتكلّم إلا مُعربًا، وكان فقيها شافعي

(١) ديوان الحيص ييص ٣٤١/٢.

(٢) في الديوان : «بقاؤه».

(٣) المصدر السابق ٣٤٦/٢.

(٤) في الديوان : «ينفد».

(٥) العقد الفريد ١٧٥/٣.

(٦) وفيات الأعيان ٣٦٢/٢، ٣٦٣.

المذهب، واشتغل بالخلاف وعلم النظر، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب، واختلاف لغاتهم. قال^(١): وإنما قيل له: الحَيْصَ يَيْصَ. لأنه رأى الناس في حركَةٍ واختلاطٍ، فقال: ما للناس في حَيْصَ يَيْصَ. أئى في شدّةٍ وهرجٍ، فغلبت عليه هذه الكلمة. وكان يزعم أنه من ولدٍ أكَثَمَ بنِ صَيْفِيٍّ طبيبِ العرب، ولم يترك عَقَبًا. كانت له حوالةٌ بالحِلَّةِ، فذهب يتقاضاها، فتوفى ببُعْدَادَ في هذه السنّة، رحمه الله تعالى.

(١) وفيات الأعيان ٣٦٥/٢.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

وفيهما كانت وقعة مرج عيون^(١).

استهلَّت هذه السنة والسلطان صلاح الدين نازل بجيشه على تل القاضى ببيانياس ، ثم قصده الفرنج بجمعهم ، فنهض إليهم نهوض الأسد ، فما هو إلا أن تواجه الفريقان واضطدم الجندان ، حتى أنزل الله نصره وأعز جنده وهزم الأعداء وحده ، ففرت ألوية الصلبان ذاهبة ، وخيل الله لرقابهم راكبة ، فقتل منهم خلق كثير وجثم غفير ، وأسير من ملوكهم جماعة ، وأنابوا إلى السمع والطاعة ، منهم مقدَّم الداوية ، ومقدَّم الإسماعيلية^(٢) وصاحب الرملة وصاحب طبرية وقسطلان يافا وآخرون من ملوكهم ، وخلق من شجعانهم وأبطالهم ، ومن فُرسان القدس جماعة كثيرون قريباً من ثلاثمائة أسير من أشراف النصارى ، فصاروا يتهادون^(٣) فى قيودهم كأنهم سُكارى وما هم بسُكارى .

قال العماد الكاتب^(٤) : فاستعرضهم السلطان فى الليل حتى أضاء الفجر على الظلماء ، وصلى يومئذ الصبح بوضوء العشاء ، وكان السلطان جالساً ليلتذ فى

(١) الكامل ٤٥٥/١١ ، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧٠ - ٥٨٠ هـ) ص ٣١ ، ومرج العيون : موضع بسواحل الشام . معجم البلدان ٤/٤٨٨ .

(٢) فى م : « الابسياتارية » .

(٣) فى م : « يهانون » . يقال تهادى فلان بين رجلين : اعتمد عليهما من ضعف ، وتهادت المرأة : تمايلت فى مشيتها .

(٤) الروضتين ٨/٢ ، بنحوه .

نحو العِشرينَ وهم في هذه العُدَّة ، فسَلَّمه الله تعالى منهم ، ثم أَرْسَلهم إلى دِمَشقَ ؛ لِيَعْتَقِلُوا بَقْلَعِيَّهَا وَلِيَكُونُوا فِي كَنْفِ دَوْلَتِهَا ، فافْتَدَى ابْنُ الْبَارزَانِي صَاحِبَ الرَّمْلَةِ نَفْسَهُ بَعْدَ سَنَةٍ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ صُورِيَّةٍ وَإِطْلَاقِ أَلْفِ أَسِيرٍ مِنْ بِلَادِهِ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَذَا افْتَدَى جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ وَتُخَفٍ جَلِيلَةٍ ، [٢٨٠/٩ ظ] وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ فِي السَّجْنِ ، فانتَقَلَ مِنْهُ إِلَى سِجِّينَ ، وَهَكَذَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِالْكَافِرِينَ . وَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي ظَفِرَ فِيهِ السُّلْطَانُ عَلَى الْفِرْنَجِ بِمَرْجِ غُيُونٍ ، ظَهَرَ أَسْطُولُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى بَطْنِيَّةٍ ^(١) لِلْفِرْنَجِ فِي الْبَحْرِ وَأُخْرَى مَعَهَا فَعَنِمُوا مِنْهَا أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ السَّنِيِّ ، وَعَادَ إِلَى السَّاحِلِ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا ، وَقَدْ امْتَدَحَ الشُّعْرَاءُ السُّلْطَانَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ بِمَدَائِحَ كَثِيرَةٍ ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى بَعْدَادَ فَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ بِهَا فَرَحًا وَشُرُورًا بِظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْدَائِ اللَّهِ الْمُلْحِدِينَ .

وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ تَقِيَّ الدِّينِ عَمْرٌ غَائِبًا عَنْ هَذِهِ الْوَقْعَةِ مُشْتَغِلًا بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ ^(٢) « قَلِجَ أَرْسَلَانَ » بَعَثَ يَطْلُبُ حِصْنَ رَعْبَانَ ^(٣) ، وَزَعَمَ أَنَّ نَوْرَ الدِّينِ اغْتَصَبَهُ مِنْهُ ، وَأَنَّ وَلَدَهُ قَدْ أَغْضَى لَهُ عَنْهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ السُّلْطَانُ تَقِيَّ الدِّينِ عَمْرٌ إِلَى ذَلِكَ ، فَبَعَثَ صَاحِبُ الرُّومِ عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ يُحَاصِرُونَهُ ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ تَقِيَّ الدِّينِ عَمْرٌ فِي ثَمَانِمِائَةِ فَارِسٍ ، مِنْهُمْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « بَطْر » . وَالبَطْنِيَّةُ : سَفِينَةٌ حَرِيَّةٌ كَانَتْ تَتَسَّعُ لَعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْجُنْدِ ، وَذَكَرَ الْبِهْزَانِيُّ فِي « مَحِيطِ الْمَحِيطِ » أَنَّهَا مَأْخُودَةٌ عَنِ الْإِسْبَانِيَّةِ ، وَهِيَ مَرْكَبٌ لِلْحَرْبِ أَوْ التَّجَارَةِ . مَحِيطُ الْمَحِيطِ (ب ط س) .
(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ : « قَرَارِسْلَان » ، وَفِي م : « فَرَارِسْلَان » ، وَفِي ص : « وَأَرْسَلَانَ » ، وَفِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٣٢ ، وَفِي النُّوَادِرِ السُّلْطَانِيَّةِ ص ٥٦ : « قَلِيج » .
وَالْمُثَبَّتُ مِنَ الْكَامِلِ ٤٥٨/١١ ، وَالرُّوضَتَيْنِ ٩/٢ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ص : « رَعْبَان » ، وَفِي م : « رَعْنَان » . وَالْمُثَبَّتُ مِنَ الْكَامِلِ ٤٥٨/١١ ، وَالرُّوضَتَيْنِ ٩/٢ .
وَرَعْبَانُ : مَدِينَةٌ بِالْغُورِ بَيْنَ حَلَبَ وَسَمِيسَاطَ قَرِبَ الْفَرَاتِ . مَعْجَمُ الْبِلَادِ ٧٩١/٢ .

سيف الدين علي بن أحمد المشطوب، فالتقوا بهم فهزموهم بإذن الله، واستقرت يد الملك صلاح الدين على حصن رعبان^(١)، وقد كان مما عوّض به ابن مقدم عن غلبتك، وكان تقى الدين عمر يفتخر بهذه الواقعة، ويرى أنه قد هزم عشرين ألفاً، وقيل: ثلاثين ألفاً بشمائم فارس. وكان السبب في ذلك أنه بيّتهم وأغار عليهم وهم غارون^(٢)، فما لبثوا أمامه بل فزوا منهزمين عن آخرهم، فأكثر فيهم القتل، واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم، ويقال: إنه كسرهم يوم كسر السلطان الفرنج مبرج غيون. والله أعلم.

تخريب حصن بيت الأحران وهو قريب من صفد^(٣)

ثم ركب السلطان في جحافله إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحفروا فيه بئراً عتيقاً معيناً، وسلموه إلى الداوية، فقصدته السلطان فحاصره ونقّبه من جميع جهاته، وألقى فيه الثيران فجعله دكاً وخرّبه إلى الأساس، وغنم جميع ما فيه من الخواصل، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح، ومن المأكلي شيء كثير، وأخذ منه سبعمائة أسير، فقتل بعضاً وأرسل إلى دمشق الباقيين، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً، غير أنه مات من أمرائه عشرة بسبب ما نالهم من الحرّ والوباء في مدة الحصار، وكانت أربعة عشر يوماً، وعاد الناس إلى زيارة مشهد يعقوب على عادتهم، وقد امتدحبه الشعراء فقال بعضهم^(٤):

(١) في الأصل، ص: «رعيان»، وفي م: «رعنان».

(٢) غارون، بالعين المعجمة: أى غافلون. النهاية ٣/٣٥٥.

(٣) الكامل ١١/٤٥٥، والروضتين ١١/٢.

(٤) الأبيات في الروضتين ١١/٢، ١٢. منسوبة لأبي الحسن علي بن محمد بن رستم الساعاتي الخراساني ثم الدمشقي..

[٢٨١/٩] بِجِدِّكَ أَغْطَاكَ الْقَنَا تَتَغَطَّفُ
 وَطَرَفُ الْأَعَادِي دُونَ مَجْدِكَ يَطْرِفُ
 شِهَابٌ هَدَى فِي ظُلْمَةِ الشَّرِكِ^(١) ثَاقِبٌ
 وَقَفَّتْ عَلَى حِصْنِ الْمَخَاضِ وَإِنَّهُ
 فَلَمْ يَبْدُ وَجْهُ الْأَرْضِ بِلِ حَالِ دُونِهِ
 وَجَرْدَاءُ سَلْهَوْبٍ^(٢) وَدَرْعٌ مَضَاعِفُ
 وَمَا رَجَعْتَ أَغْلَامُكَ الصُّفْرُ^(٣) سَاعَةً
 كَبَا مِنْ أَعَالِيهِ^(٤) صَلِيبٌ وَبَيْعَةٌ
 صَلِيبةٌ عُبَادِ الصَّلِيبِ وَمَنْزِلُ الثُّـ
 إِلَى أَنْ غَدَتْ أَكْبَادُهَا السُّودُ تَرْجُفُ
 وَشَادَ بِهِ دِينَ حَنِيفٌ وَمَصْحَفُ
 صَلِيبةٌ عُبَادِ الصَّلِيبِ وَمَنْزِلُ الثُّـ
 تَمِينٌ لَدَى أَيْمَانِهَا وَهِيَ تَحْلِفُ
 ذَرُّوا بَيْتَ يَعْقُوبَ فَقَدْ جَاءَ يُوسُفُ
 وَقال آخِرُ^(٥) :

هَلَاكَ الْفِرْنَجِ أَتَى عَاجِلًا
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ دَنَا حَتْفُهَا
 وَقَدْ آنَ تَكْسِيرُ صُلْبَانِهَا
 لَمَّا عَمَّرَتْ بَيْتَ أَحْزَانِهَا

-
- (١) فِي م : « اللَّيْل » ، وَفِي الرَّوْضَتَيْنِ : « الشَّك » .
 (٢ - ٣) فِي الرَّوْضَتَيْنِ : « وَسَيْفٌ هَدَى فِي طَاعَةِ » وَسَيْفٌ رَهِيْفٌ وَمَرْهَفٌ : حَادٌ .
 (٣) فِي م : « الثَّرَى » . وَالشَّرَى : مَوْضِعٌ كَثِيرُ الْأَشْدِ .
 (٤) السَّلْهَبُ : الطَّوِيلُ عَامَةً . التَّاجُ (س ل ه ب) .
 (٥) اللَّدْنُ : اللَّيْنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْمَقْصُودُ هُنَا : رَمَحَ لَيْنٍ . اللَّسَانُ (ل د ن) .
 (٦) فِي م : « مَهْفَهْفٌ » .
 (٧) فِي م : « الْبَيْضُ » .
 (٨ - ٨) فِي م : « كَنَائِسُ أَغْيَارٍ » .
 (٩) الْبَيْتَانِ فِي الرَّوْضَتَيْنِ ١١ / ٢ . وَقَدْ نَسَبَهُمَا لِنَشْوِ الدَّوْلَةِ أَحْمَدُ بْنُ نِقَادَةَ الدَّمَشْقِيِّ .

وَمِنْ كِتَابِ فَاضِلِي^(١) إِلَى بَغْدَادَ فِي وَصْفِ هَذَا الْحِصْنِ الَّذِي خَرَّبَهُ صَلَاحُ الدِّينِ : وَقَدْ عَرَّضُوا حَائِطَهُ إِلَى أَنْ زَادَ عَلَى عَشْرَةِ أَذْرُعٍ وَقُطِعَتْ لَهُ عِظَامُ الْحِجَارَةِ ؛ كُلُّ فَصٍّ مِنْهَا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ ، إِلَى مَا فَوْقَهَا وَمَا دُونَهَا ، وَعِدَّتُهَا تَزِيدُ عَلَى عَشْرِينَ أَلْفَ حَجَرٍ ، لَا يَسْتَقِرُّ الْحِجْرُ فِي مَكَانِهِ وَلَا يَسْتَقِيلُ فِي بُنْيَانِهِ إِلَّا بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرٍ فَمَا فَوْقَهَا ، وَفِيمَا بَيْنَ الْحَائِطَيْنِ حَشْوٌ مِنَ الْحِجَارَةِ الضَّخْمَةِ الصُّمِّ ، الْمَرْغَمِ بِهَا أَنْوْفُ الْجِبَالِ الشُّمِّ ، وَقَدْ جُعِلَتْ سُقْيَتُهُ بِالْكِلْسِ الَّذِي إِذَا أَحَاطَتْ قَبْضَتُهُ بِالْحَجَرِ مَازَجَهُ بِمِثْلِ جَسَمِهِ وَصَاحَبَهُ بِأَوْثَقٍ وَأَصْلَبَ مِنْ جِرْمِهِ ، وَأَوْعَزَ إِلَى خَصَمِهِ مِنَ الْحَدِيدِ بَأَنَّ لَا يَتَعَرَّضُ لَهُدْمِهِ .

وَفِيهَا أَقْطَعَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ لَابْنَ أَخِيهِ عِزُّ الدِّينِ فَرْوُخْشَاهُ بِنِ شَاهِنْشَاهِ ابْنِ أَيُوبَ مَدِينَةَ بَغْلَبَكَّ . وَأَغَارَ فِيهَا عَلَى صَفَدَ^(٢) وَأَعْمَالِهَا ، فَقَتَلَ طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنْ مُقَاتِلَيْهَا وَرِجَالِهَا ، وَكَانَ فَرْوُخْشَاهُ مِنَ الصَّنَادِيدِ الْأَبْطَالِ الْمَشْهُورِينَ الْمَشْكُورِينَ فِي النَّزَالِ .

وَفِيهَا حَجَّ الْقَاضِي الْفَاضِلُ مِنْ دِمَشْقَ وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، فَقَاسَى فِي الطَّرِيقِ أَهْوَالًا ، وَلَقِيَ بَرَحًا وَتَعَبًا وَكَلَالًا ، وَكَانَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي قَدْ حَجَّ [٢٨١/٩ ظ] مِنْ مِصْرَ وَعَادَ إِلَى الشَّامِ ، وَلَكِنْ كَانَ أَمْرُهُ فِيهِ أَسْهَلَ مِنْ هَذَا الْعَامِ .

وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ أَنْهَدَمَ بِسَبَبِهَا قِلَاعٌ وَقُرَى ، وَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِيهَا مِنَ الْوَرَى ، وَسَقَطَ مِنْ رُءُوسِ الْجِبَالِ صَخُورٌ كِبَارٌ ، وَصَادَمَتْ بَيْنَ الْجِبَالِ فِي الْبَرَارِ وَالْقِفَارِ ، مَعَ بُعْدِ مَا بَيْنَ الْجِبَالِ مِنَ الْأَقْطَارِ . وَفِيهَا أَصَابَ النَّاسَ غَلَاءٌ

(١) فِي م : « كَتَبَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ » ، الرُّوسْتَيْنِ ١٣/٢ .

(٢) فِي م : « صَفَدَ » .

شديد وفناء شريد وجهد جهيد ، فمات خلق كثير من الخلائق بهذا وهذا ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

وفاة المستضيء بأمر الله ، وشيء من ترجمته^(١)

كان ابتداء مرضه في أواخر شوال من هذه السنة فأرادت زوجته^(٢) أن تكتنم ذلك فلم يكتنمها ، ووقعت فتنة كبيرة ببغداد ونهبت العوام دورا كثيرة ، وأموا لا جزيلة ، فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال خطب لولي العهد أبي العباس أحمد بن المستضيء ، وهو الخليفة الناصر لدين الله ، وكان يوما مشهودا نثر الذهب فيه على الخطباء والمؤذنين ومن حضر ذلك ، عند ذكره على المنبر والتنويه باسمه في العشر .

فلما كان يوم السبت سلخ شوال مات الخليفة المستضيء بأمر الله ، وكان مرضه بالحُمى ابتداء بها في يوم عيد الفطر ، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهرا ، فمات ، رحمه الله سلخ شوال ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ، وغسل وصلى عليه من الغد . ودفن بدار الناصر التي بناها ، وذلك عن وصيته التي

(١) المنتظم ١٨/١٩٠ ، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ٩/١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٦٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٦٥ ، والوفاء بالوفيات ١٢/٣٠٩ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٤٤ .

(٢) بعده في الأصل : «الجهه» ، وبعده في ص : «الجهه تنفشا» ، والذي في المصادر أن زوجته تدعى : غضة .

أَوْصَاهَا ، وَتَرَكَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا وَلِيُّ عَهْدِهِ وَهُوَ عُدَّةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ ، وَالْآخَرُ أَبُو مَنْصُورٍ هَاشِمٌ ، وَقَدْ وَزَّرَ لَهُ جَمَاعَةً مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْخُلَفَاءِ ، أَمَّارًا بِالْمَعْرُوفِ نَهَاءً عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَضَعَ عَنِ النَّاسِ الْمَكُوسَاتِ وَالضَّرَائِبَ ، وَدَرَأَ عَنْهُمْ الْبَدَعَ وَالْمَصَائِبَ ، وَكَانَ حَلِيمًا وَقُورًا كَرِيمًا ، فَزَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَبَلَّ ثَرَاهُ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ . وَتُؤَيِّعُ بِالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ لَوْلَدِهِ النَّاصِرِ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ ، أَبُو إِسْحَاقَ السَّلْمِيُّ ^(١) ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْفَرَاءِ ، الْأُمَوِيُّ ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ ، كَانَ فَقِيهًا بَارِعًا فَاضِلًا مُنَاطِرًا فَصِيحًا بَلِيغًا شَاعِرًا مُطَبِّقًا ، تُوفِّيَ عَنْ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَزْوِينِيُّ مَدْرُسُ النِّظَامِيَّةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَوْهُوبٍ بْنِ ^(٢) أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ^(٣) بْنِ الْخَضِرِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ ^(٤) الْجَوَالِقِيِّ ، الْمُلَقَّبُ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ ، أَحَدُ أئِمَّةِ اللُّغَةِ فِي زَمَانِهِ ، وَالْمُشَارُّ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِهِ بِحُسْنِ الدِّينِ وَقُوَّةِ الْيَقِينِ ، وَعِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ ، وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ وَخُلُوصِ النِّيَّةِ ، وَحُسْنِ السَّيْرِ فِي مَرْبَاهِ وَمُنْشَاهِ وَمُنْتَهَاهِ ، وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ ، وَفَهُمُ الْأَثَرُ وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُ وَمَغْزَاهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ .

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٦١ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣/٧ ، ٣٤ .

(٢ - ٣) في النسخ : « محمد بن أحمد » ، والمثبت من مصادر ترجمته ؛ معجم الأدباء ٤٥/٧ ، وإنباه الرواة ٢١٠/١ ، ومرة الزمان ٣٥٥/١/٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٦٢ ، وذيل طبقات الحنابلة ٣٤٦/١ .

(٣) سقط من : م .

المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد^(١) أبو محمد ابن الطباخ ،
البغدادي ، نزيل مكة ومجاورها ، وحافظ الحديث بها والمشار إليه بالعلم فيها .
كان يوم جنازته يوما مشهودا ، رحمه الله تعالى .

خِلافة الناصر لدين الله

أبي العباس أحمد بن المستضيء

لما توفى أبوه في سلخ شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، بايعه
الأمرء والوزراء والكبراء والخاصة والعامة ، وكان قد خطب له على المنابر في
حياة أبيه قبل موته بيسير ، ف قيل^(٢) : إنه إنما عهد له قبل موته بيوم ، وقيل :
بأسبوع . ولكن قدر الله ، عز وجل ، أنه لم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه ،
ولقب بالخليفة الناصر لدين الله ، ولم يل الخلافة من بني العباس قبله أطول مدة
منه ، فإن خلافته امتدت إلى سنة وفاته في^(٣) سنة ثنتين وعشرين وستمائة ؛
وكان ذكيا شجاعا مهيبا ، وسيأتي ذكر سيرته عند وفاته إن شاء الله تعالى .

وفي سابع ذي القعدة من هذه السنة عزل صاحب الخزن ظهير الدين أبو بكر
ابن العطار ، وأهين غاية الإهانة ، هو وأصحابه وقتل كثير منهم ، وشهروا في
البلد ، وتمكن أمر الخليفة الناصر ، وعظمت هيئته في البلاد وفي قلوب العباد وقام

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٨٦ ، والعبر ٢٢٦/٤ ، وذيل طبقات
الحنابلة ٣٤٦/١ ، وشذرات الذهب ٢٥٣/٤ .

(٢) الروضتين ١٥/٢ .

(٣) (٣ - ٣) في م : « ثلاث » .

بأعباءِ الخلافةِ على ما ينبغي في جميعِ أمورِهِ وشئونِهِمْ . ولَمَّا حَضَرَ عِيدُ الأَضْحَى
أُقيِمَ على ما جَرَتْ بِهِ العَادَةُ . واللّهُ أَعْلَمُ .

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ

فيها^(١) هَاذَن السُّلْطَانُ صِلَاحُ الدِّينِ الْفَرَنْجِ ، وَسَارَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأُضْلَحَ بَيْنَ
مُلُوكِهَا ، مِنْ بَنَى أُرْتُقُ ، وَكَرَّرَ عَلَى بِلَادِ الْأَرَمَنِ فَأَهَانَ مِلْكَهَا ، وَفَتَحَ بَعْضَ
حُصُونِهَا ، وَأَخَذَ مِنْهُ غَنَائِمَ كَثِيرَةً جَدًّا ، مِنْ أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ
غَدَرَ بِقَوْمٍ مِنَ التُّرْكَمَانِ [٢٨٢/٩ ظ] أَوْزًا إِلَى بِلَادِهِ ، ثُمَّ صَالَحَهُ عَلَى مَالٍ يَحْمِلُهُ
إِلَيْهِ وَأَسَارَى يُطْلِقُهُمْ مِنْ أَسْرِهِ ، وَآخَرِينَ يَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْ أَيْدِي الْفَرَنْجِ ، ثُمَّ عَادَ
السُّلْطَانُ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا فَدَخَلَ حِمَاةً فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَامْتَدَّحَهُ الشَّعْرَاءُ
عَلَى ذَلِكَ .

وَمَاتَ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ سَيْفُ الدِّينِ غَازِي بْنُ مَوْدُودٍ بِنِ زَنْكِي ، وَكَانَ شَابًّا
حَسَنًا ، مَلِيحَ الشَّكْلِ ، تَامَّ الْقَامَةِ ، مُدَوَّرَ اللَّحْيَةِ ، مَكَثَ فِي الْمُلْكِ عَشْرَ سِنِينَ ،
وَمَاتَ عَنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ عَفِيفًا فِي نَفْسِهِ ، مَهِيئًا وَقُورًا ، لَا يَلْتَفِتُ إِذَا رَكِبَ
وَلَا إِذَا جَلَسَ ، غَيْرُورًا لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنَ الْخُدَّامِ يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ ، وَكَانَ لَا يُقَدِّمُ
عَلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ ، وَيُنْسَبُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْبُخْلِ ، سَامَحَهُ اللَّهُ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي
ثَالِثِ صَفَرٍ ، وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِهِ لَوْلَدِهِ عِزُّ الدِّينِ سَنَجَرُ
شَاهٍ ، فَلَمْ يُوَافِقْهُ الْأَمْرَاءُ خَوْفًا مِنْ صِلَاحِ الدِّينِ لَصِغَرِ سِنِّهِ ، فَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى
أَخِيهِ ، فَأَجْلَسَ مَكَانَهُ فِي الْمَمْلَكَةِ أَخُوهُ عِزُّ الدِّينِ مَسْعُودٌ ، وَجَعَلَ مُجَاهِدَ الدِّينِ
قَائِمًا زَائِدًا وَمَدَبَّرَ مَمْلَكَتِهِ ، وَجَاءَتْ رُسُلُ الْخَلِيفَةِ يَلْتَمِسُونَ مِنْ صِلَاحِ الدِّينِ أَنْ

(١) الكامل ٤٦٢/١١ ، والروضتين ١٦/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٣٩ .

يُتَقَى سَرُوحٌ^(١) وَالرَّهْمَا وَالرَّهَقَةُ، وَحَرَآنَ وَالْخَابُورَ وَنَصِيبِينَ فِي يَدِهِ، كَمَا كَانَتْ فِي يَدِ أَخِيهِ، فَامْتَنَعَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ^(٢) : هَذِهِ الْبِلَادُ هِيَ حَفْظُ ثَغُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا كُنْتُ تَرَكْتُهَا فِي يَدِهِ لِيُسَاعِدَنَا عَلَى غَزْوِ الْفَرَنْجِ، فَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعَرِّفُهُ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي كَوْنِهَا بِيَدِهِ.

وفاة توران شاه^(٣) أخى السلطان

وفيهما تُوفِّي أخو السلطان الأكبر الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، الذى افْتَتَحَ بِلَادَ الْيَمَنِ عَنْ أَمْرِ أَخِيهِ صَلاَحِ الدِّينِ، فَمَكَثَ فِيهَا حِينًا وَاقْتَنَى مِنْهَا أَمْوَالًا جَزِيلَةً، ثُمَّ اسْتَنَابَ فِيهَا، وَأَقْبَلَ نَحْوَ أَخِيهِ إِلَى الشَّامِ شَوْقًا إِلَيْهِ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ شِعْرًا عَمِلَهُ لَهُ شَاعِرُهُ ابْنُ الْمُنَجِّمِ، وَكَانُوا قَدْ وَصَلُوا إِلَى تِيْمَاءَ^(٤) :

فَهَلْ لِأَخِي بَلْ مَالِكِي عِلْمٌ أَنَّنِي	إِلَيْهِ وَإِنْ طَالَ التَّرَدُّدُ رَاجِعُ
وَأَنِّي بِيَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ لِقَائِهِ	لَمُلْكِي عَلَى عَظَمِ الْمَزِيَّةِ بَائِعُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا دُونَ عَشْرِينَ لَيْلَةً	وَتَجْنِي الْمَتَى أَبْصَارُنَا وَالْمَسَامِعُ
لَدَى مَلِكٍ تَعْنُو الْمُلُوكُ إِذَا بَدَا	وَتَخْشَعُ إِعْظَامًا لَهُ وَهُوَ خَاشِعُ

(١) سروج : بلدة قرية من حران من ديار مُضَر. معجم البلدان ٨٥/٣.

(٢) الروضتين ١٧/٢ بنحوه.

(٣) مرآة الزمان ٣٦٢/١/٨، ووفيات الأعيان ٣٠٦/١، والمختصر فى أخبار البشر ٦٢/٣، وسير أعلام

النبلأ ٥٣/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٠٨.

(٤) الروضتين ١٨/٢، ١٩.

كَتَبْتُ وَأَشَوَّقِي إِلَيْكَ بَبْغُضِهَا تَعَلَّمَتِ النَّوْحَ الْحَمَامُ السَّوَاجِعُ
وَمَا الْمَلِكُ إِلَّا رَاحَةً أَنْتَ زَنْدُهَا تَضُمُّ عَلَى الدُّنْيَا وَنَحْنُ الْأَصَابِعُ

وكان قدومه إليه في سنة إحدى وسبعين، فشهد معه مواقف مشهودة
وغزوات [٢٨٣/٩] محمودة، واستنابته على دِمَشْقَ مدّة، ثم سار إلى مِصْرَ
فاستنابته على الإسكندرية فلم توافقه، وكان يعتريه القولنج فمات بها، رحمه الله
تعالى، في هذه السنة، ودُفِنَ بِقَصْرِ الإمارة فيها، ثم نقلته أخته سيّ الشام بنت
أيوب فدفنته بتربتها التي بالشامية البرانية، فقبره القليلي، والوسطاني قبر زوجها
وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، صاحب حمص^(١)
والرحبة، والمؤخر قبرها، رحمه الله وأجزل ثوابها. والتربة الحسامية منسوبة إلى
ولدها حسام الدين عمر بن لاجين^(٢)، وهي إلى جانب المدرسة من غزوها، وقد
كان الملك تورانشاه كريماً جواداً ممدّحاً شجاعاً باسلاً عظيم الهيئة كبير النفس،
واسع الصدر، قال فيه ابن سعدان الحلبي^(٣):

هُوَ الْمَلِكُ إِنْ تَسْمَعَ بِكَسْرَى وَقَيْصَرٍ فَإِنَّهُمَا فِي الْجُودِ وَالْبَأْسِ عَبْدَاهُ
وَمَا حَاتَمٌ مِمَّنْ يُقَاسُ بِمِثْلِهِ فَخُذْ مَا رَأَيْنَاهُ وَدَعْ مَا رَوَيْنَاهُ
وَلَذْ بَذْرَاهُ مَسْتَجِيرًا فَإِنَّهُ يُجِيرُكَ مِنْ جُورِ الزَّمَانِ وَعَدَوَاهُ
وَلَا تَتَحَمَّلْ لِلْسَّحَابِ مِثَّةً إِذَا هَطَلَتْ جُودًا سَحَابُ جَدَوَاهُ
وَيُرْسِلُ كَفِّهِ بِمَا اشْتَقَّ مِنْهُمَا فَلْيُؤْمِنْ يَمْنَاهُ وَلِلْيَسْرِ يُسْرَاهُ

ولما بلغ خبر موته إلى أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين وهو مخيم

(١) في م: «حلب».

(٢) في م: «لاشين».

(٣) الروضتين ١٨/٢.

بظَاهِرِ حِفْصٍ ، حَزَنَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ يُنْشِدُ بَابَ الْمَرَاثِي مِنَ الْحَمَاسَةِ ،
وَكَانَتْ مَحْفُوظَةً .

وَفِي رَجَبٍ قَدِيمَتِ رِسْلُ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ وَخِلَعُهُ وَهَدَايَاهُ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
صَلَاحِ الدِّينِ ، فَلَبَسَ السُّلْطَانُ خِلْعَةَ الْخَلِيفَةِ بِدِمَشْقَ ، وَزُيِّنَتْ لَهُ الْبَلَدُ ، وَكَانَ
يَوْمًا مَشْهُودًا .

وَفِي رَجَبٍ أَيْضًا مِنْهَا سَارَ السُّلْطَانُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ؛ لِيَنْظُرَ فِي
أَحْوَالِهَا ، وَيَصُومَ بِهَا رَمَضَانَ ، وَمِنْ عَزْمِهِ أَنْ يُحْجَّ عَامَهُ ذَلِكَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ
الْحَرَامِ ، وَاسْتَنَابَ عَلَى الشَّامِ ابْنُ أَخِيهِ عَزَّ الدِّينُ قُتُوبُشَاهُ بْنُ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُوبَ .
قَالَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ^(١) : وَكَانَ عَزِيزُ الْمِثْلِ غَزِيرُ الْفَضْلِ . فَكَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ
عَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ نَائِبِ مِصْرَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ وَالْبَقِيعِ وَمَكَّةَ يُعَلِّمُهُمْ بِعَزْمِ
السُّلْطَانِ عَلَى الْحَجِّ فِي هَذَا الْعَامِ ؛ لِيَتَأَهَّبُوا لِلْمَلِكِ وَيَهْتُمُّوا بِهِ ، وَاسْتَصَحَبَ
السُّلْطَانُ مَعَهُ صَدْرَ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحِيمِ شَيْخَ الشُّيُوخِ بَغْدَادَ ، الَّذِي قَدِمَ
فِي الرُّسُلَةِ مِنَ جِهَةِ الْخَلِيفَةِ ؛ لِيَكُونَ [٢٨٣ / ٩ ظ] فِي خِدْمَتِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ،
وَفِي صُحْبَتِهِ إِلَى الْحِجَازِ الشَّرِيفِ ، فَدَخَلَ السُّلْطَانُ دِيَارَ مِصْرَ ، وَتَلَقَّاهُ الْجَيْشُ
وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَأَمَّا صَدْرُ الدِّينِ فَإِنَّهُ لَمْ يُقِمَّ بِهَا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَوَجَّهَ إِلَى
الْحِجَازِ الشَّرِيفِ فِي الْبَحْرِ ، فَأَذْرَكَ الصِّيَامَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

وَفِيهَا سَارَ قَرَأُوشُ التَّقْوَى^(٢) إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ فَحَاصَرَ قَابِسَ وَقِلَاعًا كَثِيرَةً
حَوْلَهَا ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى أَكْثَرِهَا ، فَاتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ أَسَرَ مِنْ بَعْضِ الْحِصُونِ غُلَامًا أَمْرَدَ

(١) الروضتين ١٨ / ٢ .

(٢) في الأصل : « البغوى » ، وانظر الخبر في الروضتين ٢١ / ٢ ، والسلوك ٦٧ / ١ / ١ .

فَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُ الْحِصْنِ : لَا تَقْتُلْهُ وَخُذْ لَكَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَأَتَى فَوْضُلُوهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ دِينَارٍ فَأَتَى إِلَّا قَتْلَهُ ، فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا قَتَلَهُ نَزَلَ صَاحِبُ الْحِصْنِ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَمَعَهُ مِفْتَاحُ ذَلِكَ الْحِصْنِ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ فَإِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَخْفِظُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الصَّبِيِّ الَّذِي قَتَلْتَهُ ، وَلِي أَوْلَادُ أَخٍ أَكْرَهَ أَنْ يَمْلِكُوهُ بَعْدِي . فَأَقَرَّهُ فِيهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

وَمَنْ تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ السَّلْفِيُّ ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ سَلَفَةَ ، الْحَافِظُ الْكَبِيرُ الْمُعَمَّرُ ، أَبُو طَاهِرٍ السَّلْفِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ ^(١) ، وَإِنَّمَا قِيلَ ^(٢) لَجَدُّهُ إِبْرَاهِيمَ : سَلَفَةُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُشَقَّقًا إِحْدَى الشَّفَتَيْنِ ، فَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ شِفَاهٍ فَسَمَّيْتُهُ الْأَعَاجِمُ بِذَلِكَ . قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلْكَانَ ^(٣) : وَكَانَ السَّلْفِيُّ يُلقَّبُ بِصَدْرِ الدِّينِ ، وَكَانَ شَافِعِيَّ الْمَذْهَبِ ، وَرَدَّ بَغْدَادَ وَاشْتَعَلَ بِهَا عَلَى الْكِنْيَا الْهَرَّاسِيِّ ، وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنِ الْخَطِيبِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ التُّبْرِيذِيِّ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْآفَاقِ ، ثُمَّ نَزَلَ ثَغَرَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَبَنَى لَهُ الْعَادِلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ السَّلَّارِ وَزِيرُ الْخَلِيفَةِ الظَّافِرِ مَدْرَسَةً ، وَفَوَّضَ أَمْرَهَا إِلَيْهِ ، فَهِيَ مَعْرُوفَةٌ إِلَى الْآنَ . قَالَ ابْنُ خَلْكَانَ ^(٤) : وَأَمَالِيهِ وَتَعَالَيْقُهُ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِيمَا ذَكَرَ الْمُضَرِّيُونَ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ

(١) تاريخ دمشق ٢٠٨/٥ ، ووفيات الأعيان ١٠٥/١ ، وسير أعلام النبلاء ٥/٢١ ، وتاريخ الإسلام

(حواث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ١٩٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٢/٦ .

(٢) بعده في م : « له السلفي » . وانظر وفيات الأعيان ١٠٧/١ .

(٣) المصدر السابق ١٠٥/١ .

(٤) المصدر السابق ١٠٦/١ .

وَأَرْبَعُمِائَةٍ، وَنَقَلَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ^(١) : أَذْكَرُ مَقْتَلِ نِظَامِ الْمَلِكِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ بِيَعْدَادِ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ تَقْرِيبًا. وَنَقَلَ عَنْهُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الصَّفْرَاوِيُّ أَنَّهُ قَالَ ^(٢) : مَوْلِدِي بِالتَّخْمِينِ لَا بِالْيَقِينِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ، فَيَكُونُ مَبْلَغُ عُمُرِهِ ثَمَانِيًا وَتِسْعِينَ سَنَةً؛ لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ خَامِسِ ربيعِ الْآخِرِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ [٢٨٤/٩] بِثَغْرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَدُفِنَ بِوَعْلَةٍ ^(٣)، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ رَجَّحَ ابْنُ خَلِّكَانَ قَوْلَ الصَّفْرَاوِيِّ، قَالَ ^(٤) : وَلَمْ يَنْلُغْنَا مِنْ نَحْوِ ثَلَاثِمِائَةٍ سَنَةً أَنْ أَحَدًا جَاوَزَ الْمِائَةَ إِلَّا الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَقَدْ تَرْجَمَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِهِ» ^(٥) تَرْجَمَةً حَسَنَةً، وَإِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَهُ بِخَمْسِ سِنِينَ، فَذَكَرَ رَحْلَتَهُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَدَوْرَانَهُ فِي الْأَقَالِيمِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَتَصَوَّفُ أَوَّلًا، ثُمَّ أَقَامَ بِثَغْرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً ذَاتَ يَسَارٍ، فَحَسِبْتُ حَالَهُ، وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ مَدْرَسَةً هُنَاكَ، وَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ أَشْعَارِهِ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) :

أَنَا مَنْ إِلَامِ الْمَنِيِّ بَغْتَةً وَأَمَّنُ الْفَتَى جَهْلٌ وَقَدْ خَبِرَ الدَّهْرُ
وَلَيْسَ يُحَايِي الدَّهْرُ فِي دَوْرَانِهِ أَرَاذِلَ أَهْلِيهِ وَلَا السَّادَةَ الزُّهْرَا
وَكَيفَ وَقَدْ مَاتَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ وَأَزْوَاجُهُ طُرًّا وَفَاطِمَةُ الزُّهْرَا

(١) وفيات الأعيان ١٠٧/١، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣/٦.

(٢) وفيات الأعيان ١٠٧/١، وتاريخ الإسلام (حوادث وفيات ٥٧١ - ٥٨٠هـ) ص ٢٠٦.

(٣) وعلة: مقبرة داخل السور عند الباب الأخضر فيها جماعة من الصالحين كالطرشوشى وغيره، ويقال: إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السبئي المصرى. وفيات الأعيان ١٠٦/١.

(٤) وفيات الأعيان ١٠٧/١.

(٥) تاريخ دمشق ٢٠٨/٥.

(٦) المصدر السابق ٢١٠/٥، ٢١١.

وَمِنْ شِعْرِ الْحَافِظِ السَّلَفِيِّ الَّذِي أَوْرَدَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ قَوْلُهُ ^(١):

يا قاصِداً علِمَ الحديثَ يذُمَّه	إِذْ ضَلَّ عَنْ طُرُقِ الْهَدَايَةِ وَهَمُّهُ
إِنَّ الْعُلُومَ كَمَا عَلِمْتَ كَثِيرَةٌ	وَأَجْلُّهَا فِقْهُ الْحَدِيثِ وَعِلْمُهُ
مَنْ كَانَ طَالِبَهُ فِيهِ تَيَقُّظٌ	فَأَتَمُّ سَهْمٍ فِي الْمَعَالِي سَهْمُهُ
لَوْلَا الْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ لَمْ يَسْتَقِمَّ	دِينُ النَّبِيِّ وَشَدَّ عُنَّا حُكْمُهُ
وَإِذَا اسْتَرَابَ بِقَوْلِنَا مُتَحَذِّقٌ	فَأَكْلُ فَهْمٍ فِي الْبَسِيطَةِ فَهْمُهُ

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٢١١.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةً^(١)

اسْتَهَلَّتْ وَالْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ مُقِيمٌ بِالْقَاهِرَةِ ، مُوَاطَّبٌ عَلَى سَمَاعِ
الْأَحَادِيثِ ، وَجَاءَ كِتَابٌ مِنْ نَائِبِهِ بِالشَّامِ عِزُّ الدِّينِ فَرُّوْخْشَاهُ بِمَا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
عَلَى النَّاسِ مِنْ كَثْرَةِ وَلَادَةِ النِّسَاءِ مِنَ التَّوَائِمِ ؛ جَبْرًا لِمَا كَانَ أَصَابَهُمْ فِي الْعَامِ
الْمَاضِي مِنَ الْوَبَاءِ وَالْفَنَاءِ ، وَأَنَّ الشَّامَ مُخَصِّبٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ؛ جَبْرًا لِمَا كَانَ أَصَابَهُمْ
مِنَ الْجَدْبِ وَالْغَلَاءِ .

وَفِي شَوَّالٍ تَوَجَّهَ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَشَاهَدَ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ
تَحْصِينَ سُورِهَا وَعِمَارَةِ أَتْرَاجِهَا وَقُصُورِهَا ، وَسَمِعَ « مُوَطَّأَ الْإِمَامِ مَالِكٍ » عَلَى
الشَّيْخِ أَبِي طَاهِرٍ بْنِ عَوْفٍ ، عَنِ الطُّرْطُوشِيِّ ، وَسَمِعَ مَعَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ ، وَأَرْسَلَ
الْقَاضِي الْفَاضِلُ إِلَى السُّلْطَانِ رِسَالَةً يَهْنِئُهُ بِهَذَا السَّمَاعِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

ذِكْرُ وَفَاةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ [٢٨٤/٩ ظ]

ابْنِ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ صَاحِبِ حَلَبَ ، وَمَا جَرَى
بَعْدَهُ مِنَ الْأُمُورِ

كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بِقَلْعَةِ حَلَبَ ،

(١) الكامل ٤٧٠/١١ ، والروضتين ٢١/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٤٤ .

وَدُفِنَ بِهَا ، وَكَانَ سَبَبَ وَفَاتِهِ - فِيمَا قِيلَ - أَنَّ الْأَمِيرَ عَلَمَ الدِّينِ سُلَيْمَانَ بْنَ جُنْدَرٍ ^(١) سَقَاهُ سُمًّا فِي عُثْقُودٍ عِنَبٍ فِي الصَّيْدِ ، وَقِيلَ : بَلْ سَقَاهُ يَاقُوتَ الْأَسَدِيِّ فِي شَرَابٍ . وَقِيلَ : فِي خُشْكَنَانِجَةٍ ^(٢) . فَاعْتَرَاهُ قُوْلُنَجٌّ فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ شَابٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ ، بَهِيُّ الْمَنْظَرِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مِنْ أَعَفِّ الْمُلُوكِ ، وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ، وَصَفَ لَهُ الْأَطْبَاءُ فِي مَرَضِهِ شُرْبَ الْخَمْرِ ، فَاسْتَفْتَى بَعْضَ الْفُقَهَاءِ فِي شُرْبِهَا تَدَاوِيًا ، فَأَفْتَاهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْزِيدُ شُرْبُهَا فِي أَجَلِي ، أَوْ يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ لَا أَشْرُبُهَا فَأَلْقَى اللَّهَ وَقَدْ شَرِبْتُ مَا حَرَّمَهُ عَلَيَّ . وَلَمَّا يَبَسَ مِنْ نَفْسِهِ اسْتَدْعَى الْأَمْرَاءَ ، فَحَلَفَهُمْ لِابْنِ عَمِّهِ عَزَّ الدِّينِ مَشْعُودَ صَاحِبِ الْمُوصِلِ ؛ لِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ وَتَمَكُّنِهِ ؛ لِيَمْنَعَهَا مِنْ صِلَاحِ الدِّينِ ، وَخَشِيَ أَنْ يَبَايَعَ لِابْنِ عَمِّهِ الْآخِرِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي ، صَاحِبِ سِنْجَارَ ، وَهُوَ زَوْجُ أُخْتِهِ وَتَرْبِيَةِ وَالِدِهِ ، فَلَا يُمْكِنُهُ حِفْظُهَا مِنْ صِلَاحِ الدِّينِ ، فَلَمَّا مَاتَ اسْتَدْعَى الْحَلِيبُوتَ عَزَّ الدِّينِ مَشْعُودَ بْنِ قُطَيْبِ الدِّينِ ، صَاحِبِ الْمُوصِلِ ، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَدَخَلَ حَلَبَ فِي أُتْبَهَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَذَلِكَ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، فَتَسَلَّمَ خَزَائِنَهَا وَحَوَاصِلَهَا ، وَمَا فِيهَا مِنَ السِّلَاحِ ، وَكَانَ تَقَى الدِّينِ عَمْرُؤَ بِمَدِينَةِ مَنبِجَ ، فَهَرَبَ إِلَى حِمَاةَ ، فَوَجَدَ أَهْلَهَا قَدْ نَادَوْا بِشِعَارِ عَزَّ الدِّينِ صَاحِبِ الْمُوصِلِ ، وَأَطْمَعَ الْحَلِيبُوتَ عَزَّ الدِّينِ مَشْعُودًا فِي أَخْذِ دِمَشْقَ ؛ لِعَيْيَةِ صِلَاحِ الدِّينِ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَأَعْلَمُوهُ مُحَبَّةَ أَهْلِ الشَّامِ لِهَذَا الْبَيْتِ الْأَتَايَكِيِّ ، فَقَالَ : بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَيْمَانٌ وَعُهُودٌ ، وَأَنَا أَغْدِرُ بِهِ ! فَأَقَامَ بِحَلَبَ شُهُورًا ، وَتَزَوَّجَ بِأُمِّ

(١) فِي النسخ: «حيدر». وَالمثبت من الروضتين . وَانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ -

٥٩٠ هـ) ص ٢٦٦ ، وَالوفاة بِالوفيات ٣٧٢/١٥ ..

(٢) الْخُشْكَنَانُ : خَبْزَةٌ تَصْنَعُ مِنْ خَالِصِ دَقِيقِ الْخَنْطَةِ ، تَمَلَأُ بِالسُّكَّرِ وَاللُّوزِ ، أَوْ الْفَسْتَقِ ، وَتُقْلَى . فَارْسِي . الْوَسِيطُ (خُشْكَنَان) .

الملك الصالح في سؤال ، ثم سار إلى الرقّة فنزلها ، وجاءته رسل أخيه عماد الدين زنكي يطلب منه أن يقايضه من حلب إلى سنجار ، وألح في ذلك ، وتمنّع أخوه ثم فعل ذلك على كرهه منه ، فسلم إليه حلب ، وسلمه عماد الدين سنجار والخابور والرقّة ونصيبين وسروج ، وغير ذلك من البلاد .

ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور ركب من الديار المصيرية في عساكره ، فسار حتى أتى الفرات فعبّرها ، وخامر إليه بعض [٢٨٥/٩] أمراء صاحب الموصل ، فتقهقر عن لقاءه ، فاستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكمالها ، وهم بمحاصرة الموصل فلم يتفق ذلك ، ثم جاء إلى حلب فتسلمها من عماد الدين زنكي ؛ لضعفه عن ثمانيتها ؛ لقلّة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة وآلات القتال ، وذلك في السنة الآتية ، كما سند كره .

وفي هذه السنة عزم اليرنس صاحب الكرك ، لغنه الله ، على قصد تيماء من أرض الحجاز ؛ ليتوصل منها إلى المدينة النبوية ، فجهّزت له سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين الحجاز ، فصده ذلك عن قصده ، ولله الحمد والمثّة .

وفيها ولي السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين ابن أيوب نيابة اليمن فملكه عليها ، وأرسله إليها ، وذلك لاختلاف نوابها واضطراب أصحابها ، بعد وفاة المعظم ثورانشاه أخى السلطان الذى كان افتتحها ، فلما وقعت الفتنة بها ، وكثر التخليط والتخبط ، سمت نفس أخيه طغتكين إليها ، فأرسله أخوه إليها وولاه عليها ، فسار فوصلها في سنة ثمان وسبعين ، فسار فيها أحسن سيرة ، وأكمل بها المعدلة والسريّة ، واحتاط على أموال حطان بن منقذ نائب زبيد ، وكانت تقارب ألف دينار أو أكثر ، وأمّا نائب عدن فخر الدين عثمان الزنجلي فإنه خرج من اليمن قبل قدوم طغتكين

فسكن الشام ، وله أوقاف مشهورة باليمن ومكة ، وإليه تُنسب المدرسة الزنجيلية ، خارج باب توما ، ثجاة دار الطعم ، وكان قد حصل منها أموالاً عظيمة جداً .
وفيها غدرت الفرنج ونقضوا عهودهم ، وقطعوا السبل على المسلمين براً وبحراً ، وسيراً وجهراً ، فأمكن الله من بطسة عظيمة لهم فيها نحو من ألفين وخمسمائة نفس من رجالهم المغدودين فيهم ، ألقاها الموج إلى نحر دمياط قبل خروج السلطان من مصر ، فأحيط بها فغرق بفضهم وحصل في الأشر نحو ألف وسبعمائة منهم ، ولله الحمد والمثنة .

وفيها سار قراقوش إلى بلاد إفريقية ، ففتح بلاداً كثيرة ، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن ، واستفحل أمره هناك ، وهو من جملة ممالك تقي الدين عمر ابن أخى السلطان صلاح الدين ، ثم عاد إلى الديار المصرية ، فأمره السلطان بأن يُتم السور المحيط بالقاهرة ومصر ، وذلك قبل خروجه منها فى هذه السنة ، وكان ذلك آخر عهده بها حتى توفاه الله ، عز وجل ، [٢٨٥/٩ ظ] بعد أن أراه الله مناه قبل حلول الوفاة ، فأقر عينه من أعداءه ، وفتح على يده بيت المقدس وما حوله وما حواه ، ولما خيم بارزاً من مصر ، أحضر أولاده حوله فجعل يشمهم ويقبلهم ويضئهم ، فأنشد بعضهم ^(١) :

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ ^(٢)

فكان الأمر كما قال ، لم يُعَدْ إلى مصر بعد هذا العام ، بل كان مقامه بالشام .

(١) الروضتين ٢/٢٨ . والبيت فى اللسان (ع ر ر) منسوب إلى الصمة بن عبد الله القشيري .

(٢) العرار : نبت طيب الريح ، واحده غرارة . اللسان (ع ر ر) .

وفى هذه السنة وُلِدَ للسلطان ولَدان ؛ وهما المعظم ثوران شاه ، والملك المحسن أحمد ، وكان بينَ ولادتهما سبعة أيام ، فزُيِّنَت البلادُ ، واستمرَّ الفرحُ أربعةَ عشرَ يومًا .

وَمَنْ تُوفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الشيخُ كَمالُ الدينِ أبو البركاتِ عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ بنِ أبي السَّعاداتِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ^(١) الأَنْبَارِيُّ النَحْوِيُّ الفقيهُ العابدُ الزاهدُ الناسكُ الخاشعُ الورعُ ، كانَ حَشِيشَ العيشِ ، ولا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا وَلَا مِنْ الْخَلِيفَةِ ، وكانَ يحضُرُ نَوْبَةَ الصَّوْفِيَّةِ بدارِ الخِلافةِ ، ولا يَقْبَلُ مِنْ جَوَائِزِ الْخَلِيفَةِ لَهُمْ وَلَا فَلَسًا . وكانَ صابِرًا على الاشتغالِ ، وله تصانيفُ مفيدةٌ . وكانت وفاته في شعبانَ مِنْ هذه السَّنةِ ، رحمه الله تعالى . قال القاضي ابنُ خُلْكانَ^(٢) : له كتابُ «أَسْرارِ العَرَبِيَّةِ» مفيدٌ جدًّا ، وكتابُ «طَبَقَاتِ النُّحَاةِ»^(٣) مفيدٌ جدًّا أيضًا ، وكتابُ «المِيزانِ فِي النَحْوِ» أيضًا .

(١) إنباه الرواة ١٦٩/٢ ، ووفيات الأعيان ١٣٩/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١١٣/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٢٣٨ ، والوافى بالوفيات ٢٤٧/١٨ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٥/٧ ، وبعده في الأصل ، ص : «ابن محمد بن الحسن بن إبراهيم» ، وهي زيادة ليست في مصادر ترجمته سوى وفيات الأعيان ، وفيه : «ابن محمد بن الحسن بن سليمان» .

(٢) وفيات الأعيان ١٣٩/٣ .

(٣) هو المعروف باسم : نزهة الألباء .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة^(١)

فى خامس المحرم كان بروز السلطان من الديار المصرية قاصداً بلاد الشام؛ لتأجزة الأعداء والإحسان إلى الأولياء، وكان ذلك آخر عهده بمصر لم يعد إليها بعد ذلك، وقد أغار فى طريقه على أطراف بلاد الفرنج بأرض الكرك، وجعل أخاه تاج الملوك بوري بن أيوب على الميمنة يسيروا ناحية عنه؛ ليتمكنوا من بلاد العدو فالتقوا على الأزرق^(٢) بعد سبعة أيام، وقد أغار نائب دمشق عز الدين فزوخشاه على بلاد طبرية وما حولها، وافتتح حصوناً جيدة، وأسّر منهم ألفاً، وغنم عشرين ألف رأس من الأنعام، بيض الله وجهه. وكان دخول السلطان إلى دمشق سابع عشر صفر ثم خرج فى العشر الأول من ربيع الأول، فاقتتل مع الفرنج فى نواحي طبرية وبيسان تحت حصن كوكب، فقتل خلق من الفريقين، ولكن كانت الدائرة للمسلمين [٢٨٦/٩]، ورجع مؤيَّداً منصُوراً.

ثم ركب السلطان فى جحافله وعساكره قاصداً حلب وبلاد الشرق ليأخذها؛ وذلك أن المواصله والحلبين قد كاتبوا الفرنج حتى يغزوا على أطراف البلاد؛ ليشغلوا الناصر بنفسه عنهم، فكان مسيره على بلاد البقاع^(٣) ثم إلى حماة ثم إلى حلب، فحاصرها ثلاثاً، ورأى العدوّل عنها إلى غيرها أولى به،

(١) الكامل ٤٧٨/١١، والروضتين ٢٨/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٤٦.

(٢) فى الأصل: «الأردن»، والأزرق: ماء فى طريق حاج الشام دون تيماء. معجم البلدان ١/٢٣٢.

(٣) البقاع: أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة. معجم البلدان ١/٦٩٩.

فسار حتى قطع الفُراتَ ، واستَحوذ على بلادِ الجزيرةِ والخابورِ وحرَّانَ والرَّهَما والرَّقَّةَ ونَصِيبينَ ، وغيرِ ذلك ، وخضعت له الملوكُ هنالك ، ثم عاد إلى حلب فتسلَّمها من صاحبها عِمادِ الدين زَنْكِي وقد كان قايض أخاه عزَّ الدين مسعودًا بها إلى سِنْجَارَ ، كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية ، فاستَوْسقت له الممالكُ شرقًا وغربًا ، وبُعْدًا وقُرْبًا ، وتمكَّن حينئذٍ من قتالِ أعدائه من الفِرْنَجِ ، لعنهم الله ، وأمكنه الله من نواصيهم ، فله الحمدُ على ما أولاه .

فصل

ولمَّا عَجَزَ إِبْرَنُسُ الكَرَكِ ، لعنه الله ، عن إيصالِ الأذى للمسلمين في البرِّ ، عملَ مراكِبَ في بحرِ القُلْزُمِ ؛ ليقطَعُوا الطريقَ على التُّجَّارِ والحُجَّاجِ ، فوصلت أذيتُهم إلى عِيذابَ ^(١) ، وخاف أهلُ المدينةِ النبوئيةِ من شرِّهم ، فأمرَ العادلُ أبو بكرٍ نائبُ مصرَ للأميرِ حُسامِ الدين لُؤْلُؤًا صاحبَ الأَسْطُولِ أنْ يُعملَ مراكِبَه في بحرِ القُلْزُمِ لمحاربةِ أصحابِ إِبْرَنَسَ ، ففعل ذلك فظفروا بهم في كلِّ موطنٍ ، فقتلوا منهم وحرَّقوا وغرَّقوا وسبَّوا وقهَّروا وأسروا في مواطنٍ كثيرةٍ ، ومواقفٍ هائلةٍ كبيرةٍ ، وأمنَ البرُّ والبحرُ بإذنِ الله الذي بيده النفعُ والضرُّ ، وأرسل السلطانُ إلى أخيه يشكُّرُ من مساعيهِ ، وأرسل إلى ديوانِ الخلافةِ يعرفُهم بما أنعم الله عليه من الفُتُوحاتِ برًّا وبحرًا ، وبما هو مُتَقَلِّبٌ فيه من أنعمِ الله وإحسانِهِ سرًّا وجهرًا ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

(١) عيذاب : بلدة على ضفة بحر القلزم . معجم البلدان ٣ / ٧٥١ .

فَضْلٌ فِي وَفَاةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ عِزِّ الدِّينِ

فَرَوُخْشَاهُ بْنُ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ^(١) صَاحِبِ بَغْلَبَكْ وَنَائِبِ دِمَشْقَ لَعْمَهُ الْمَلِكِ صَلاَحِ الدِّينِ ، وَهُوَ وَالِدُ الْمَلِكِ الْأَمَجْدِ بَهْرَامِ شَاهِ صَاحِبِ بَغْلَبَكْ أَيْضًا بَعْدَ أَبِيهِ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْمَدْرَسَةُ الْفَرَوُخْشَاهِيَّةُ بِالشَّرْقِ الشِّمَالِيِّ ، وَإِلَى جَانِبِهَا التَّرْبَةُ الْأَمَجْدِيَّةُ لَوْلَدِهِ ، وَهُمَا وَقَفَتْ عَلَى الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ فَرَوُخْشَاهُ شَهْمًا شُجَاعًا بَطَلًا عَاقِلًا ذَكِيًّا فَاضِلًا كَرِيمًا مُمَدِّحًا ، اِمْتَدَحَهُ الشُّعْرَاءُ لِمُجْرَدِهِ وَفَضِيلِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ أَبِي الْيَمِينِ الْكَنْدِيُّ ، عَرَفَهُ مِنْ [٢٨٦/٩] مَجْلِسِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ لَهُ ، وَلِلْعَمَادِ الْكَاتِبِ فِيهِ مَدَائِحُ بِدَائِعُ ، وَلَهُ هُوَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، شِعْرٌ رَائِقٌ لَطِيفٌ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ^(٢) :

أَنَا فِي أَسْرِ السَّقَامِ^(٣) مِنْ هَوَىٰ هَذَا الْغُلَامِ^(٤)
رَشَاءُ تَرْشُقُ عَيْنَا هـ فَوَادِي بِسِهَامِ
كَلَّمَا أَرْشَفَنِي فَا هـ عَلَى حَرِّ الْأَوَامِ
ذَقْتُ مِنْهُ الشَّهْدَ فِي الثَّلَاثِجِ الْمُصَفَّى فِي الْمُدَامِ

وَكَانَ ابْنُهُ الْمَلِكُ الْأَمَجْدُ شَاعِرًا جَيِّدًا أَيْضًا ، وَقَدْ وَلَّاهُ عَمُّ أَبِيهِ صَلاَحُ الدِّينِ بَغْلَبَكْ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَاسْتَمَرَّ فِيهَا مَدَّةً طَوِيلَةً ، وَمِنْ مُحَاسِنِ الْمَنْصُورِ عِزِّ الدِّينِ فَرَوُخْشَاهُ صُحْبَتُهُ لِتَاجِ الدِّينِ الْكَنْدِيِّ ، وَلَهُ فِي الْكَنْدِيِّ مَدَائِحُ ، وَقَدْ أَوْرَدَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ ذَلِكَ كُلَّهُ مُسْتَقْصًى فِي «الرَّوْضَتَيْنِ»^(٤) ؛ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا

(١) النَوَادِرُ السُّلْطَانِيَّةُ ص ٥٦ ، وَزَيْدَةُ الْحَلَبِ ٢٧/٣ ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ١٦٧/٧ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٤٨ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٥٩/٤ .

(٢) الرَّوْضَتَيْنِ ٣٤/٢ .

(٣ - ٣) فِي م : «وَهُوَ فِي هَذَا الْمَقَامِ» .

(٤) الرَّوْضَتَيْنِ ٣٣/٢ .

إلى الحمامِ فرأى رجلاً كان يعرفه من أصحاب الأموال ، وقد نزل به الحال حتى
إنه تستر بيغض يديه حتى لا يبدو جسمه ، فرق له وأمر غلامه أن ينقل بقعة
وبساطاً إلى موضع الرجل ، وأحضر له بغلة وألف دينارٍ وتوقيعاً له فى كل شهر
بعشرين ديناراً ، فدخل الرجل من أفقر الناس ، وخرج وهو من أغنى الناس ،
فرحمة الله على الأجواد الأكياس .

ومَن توفى فيها من الأعيان :

الشيخ أبو العباس الرِّفَاعِي ، أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس
أحمد^(١) ، المعروف بابن الرِّفَاعِي ، شيخ الطائفة الأحمديّة والرِّفَاعِيّة والبطائحيّة
لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح ، وهى بين البصرة وواسط ، كان أصله من
العرب فسكن هذه البلاد ، والتف عليه خلق كثير ، ويقال^(٢) : إنّه حفظ « التَّنبية »
فى الفقه . وقد ذكرته فى طبقات الشافعيّة .

قال ابن خلكان^(٣) : ولأتباعه أحوالٌ عجيبةٌ من أكل الحيات وهى حيّة ،
والنزول فى الثَّانِير وهى تضطرم ، فيطْفئونها ، ويقال : إنهم فى بلادهم يزكبون
الأسود . قال^(٣) : وليس للشيخ أحمد عقب ، ولأما النسل لأخيه ، وذريته يتوارثون
المشيخة بتلك البلاد . وقال : ومن شعر الشيخ أحمد ، على ما قيل :

إذا جنَّ ليلى هام قلبي بذكركم أنوح كما نوح الحمام المطوق

(١) وفیات الأعيان ١/ ١٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٧٧/ ٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ -
٥٨٠ هـ) ص ٢٤٨ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٣/ ٦ ، وطبقات الأولياء ص ٩٣ ، والكواكب الدرية
٧٥/ ٢ .

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ٢٤/ ٦ .

(٣) وفیات الأعيان ١/ ١٧٢ .

وفوقى سحابٌ يُمطرُ الهَمَّ والأسَى وتحتى بحارَ بالأسَى تتدفَّقُ [٢٨٧/٩ و]
 سلُّوا أمَّ عمرو كيفَ باتَ أسيرُها تُفكُّ الأسارى دُونَهُ وهوَ موثقُ
 فلا هوَ مقتولٌ فى القَتْلِ راحةً ولا هوَ مَمْنونٌ عليه فيُطَلَّقُ^(١)
 ومن شعره قوله^(٢) :

أغارَ عليها مِن أبيها وأمِّها ومن كلِّ مَنْ يذنو إليها وينظرُ
 وأحذرُ^(٣) للمرآةِ أيضًا بكفِّها إذا نظرتُ منك^(٤) الذى أنا أنظرُ

قال^(٥) : ولم يزل على تلك الحالِ إلى أن توفى يومَ الخميسِ الثانى والعشرين
 من جمادى الأولى من هذه السنَّة، رَحِمَهُ اللهُ .

خلفُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ مشغودِ بنِ بشكوال^(٦) ، أبو القاسمِ القرطُبى الحافظُ
 المحدثُ المؤرِّخُ ، صاحبُ التصانيفِ ، له كتابُ « الصلَّة » جعله ذيلًا على تاريخِ
 أبى الوليدِ بنِ الفرَضى ، وله كتابُ « المُستَغِيثينَ بالله » ، وله مجلَّدٌ فى تعيينِ
 الأسماءِ المُبهِمةِ فى الرواياتِ على طريقةِ الخطيبِ ، وأسماءٍ من روى « الموطَّأ » ،
 على حُرُوفِ المعجمِ ، بلغوا ثلاثةً وسبعينَ رجلًا ، وكانت وفاته فى رمضانَ عن
 أربعِ وثمانينَ سنَّةً ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى ورضى عنه .

(١) فى الأصل ، ص : « فيعتق » .

(٢) البيتان فى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠) ص ٢٥٣ .

(٣) فى م : « أحسد » .

(٤) فى م : « مثل » .

(٥) وفيات الأعيان ١/ ١٧٢ .

(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٣٩ ، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٣٩ وتاريخ الإسلام
 (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠) ص ٢٥٨ ، والوافى بالوفيات ١٣/ ٣٦٩ ، وشجرة النور الزكية ص
 ١٥٤ .

الْعَلَّامَةُ قُطْبُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي ، مشعُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مشعُودِ
النَّيْسَابُورِيِّ^(١) ، تَفَقَّهَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى صَاحِبِ الْغَزَالِيِّ ، قَدِمَ دِمَشْقَ وَدَرَّسَ
بِالْغَزَالِيَّةِ وَالْمُجَاهِدِيَّةِ ، وَبَحَلَبَ بِمَدْرَسَةِ نُورِ الدِّينِ وَأَسَدِ الدِّينِ ، ثُمَّ بِهِمَذَانَ ، ثُمَّ
رَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ وَدَرَّسَ بِالْغَزَالِيَّةِ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْمَذْهَبِ ، وَمَاتَ بِهَا فِي
سَلْخِ رَمَضَانَ يَوْمَ الْعِيدِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، عَنْ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ،
وَعَنْهُ أَخَذَ الْفَخْرُ بْنُ عَسَاكِرَ وَغَيْرُهُ ، وَهُوَ الَّذِي صَلَّى عَلَى الْحَافِظِ ابْنِ عَسَاكِرَ .
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ .

(١) مرآة الزمان ٣٧٢/١/٨ ، ووفيات الأعيان ١٣٥/٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٠٦/٢١ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٢٧١ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٩٧/٧ .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسائة^(١)

فى الرابع عشر من محرّمها تسلّم السلطان صلاح الدين مدينة آمد صلّحاً بعد حصار طويل، من يد صاحبها ابن نيسان^(٢)، بعدما حمل ما أمكنه من حواصله وأمواله وأثقاله مدة ثلاثة أيام، ولما تسلّم السلطان البلد وجد فيه شيئاً كثيراً من الحواصل وآلات الحرب والسلاح، حتى إنّه وجد بُرجاً مملوءاً بنُصول الثّشّاب، وبُرجاً آخر فيه مائة ألف شمعة، وأشياء يطول شرحها، ووجد فيها خزانة كتب فيها ألف ألف مجلّد، وأربعون ألف مجلّد، فوهبها كلّها للقاضى الفاضل، فانتخب منها حمل سبعين حمارة. ثم وهب السلطان البلد بما فيه لنور الدين محمد بن قرأ أرسيلان - وكان قد وعده بها - فقيل له: فإنّ الحواصل لم تدخل فى وعدك. فقال: لا أبخلُ بها عليه - وكان فى خزانتها ثلاثة آلاف ألف دينار - وقد صار من أصحابنا وأنصارنا. فامتدّحه الشعراء على هذا الصنيع الحسّن الجميل، وهو حقيقّ بالثناء والجزاء الجزيل، ومن أحسن ما قاله بغضّهم فى ذلك من جملة قصيدة له فى السلطان^(٣):

قُلْ لِلْمُلُوكِ تَنَحَّوْا عَنْ مَمَالِكِكُمْ فَقَدْ أَتَى آخِذُ الدُّنْيَا وَمُعْطِيهَا

(١) الكامل ٤٩٣/١١، والروضتين ٣٩/٢.

(٢) فى م: «بيسان»، وفى الروضتين ٣٩/٢: «تيسان» والمثبت موافق لما فى الكامل.

(٣) الروضتين ٤٢/٢.

ثم سار السلطان في بقية المحرم إلى مدينة حلب فنازلها وحاصرها ، وقاتله أهلها قتالاً جليداً ، وجرح أخو السلطان تاج الملوك بُورى بن أئوب جرحاً بليغاً ، فمات منه بعد أيام ، وكان أصغر أولاد أئوب ، لم يبلغ عشرين سنةً ، وقيل : بل [٢٨٧/٩] جاوزها بستين ، وكان ذكياً فهِماً ، له ديوانٌ شعري لطيفٌ ، فحزن عليه أخوه الملك صلاح الدين حزناً شديداً ، ودفنه بحلب ، ثم نقله إلى دمشق ، ثم اتفق الحال بين السلطان وبين صاحب حلب عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن آق سُنقر على عَوضٍ أطلقه وهو أن يرُدَّ عليه سَينجارَ ويسلمه البلدَ ، فخرج عمادُ الدين زنكي ، وجاء إلى خدمة السلطان ، وعزاه في أخيه ، ونزل عنده في الخيم ، ونقل أثقاله إلى سَينجارَ ، وزاده السلطانُ الخابورَ والرَّقةَ ونصيبينَ وسُروجَ ، واشترط عليه إرسالَ العسكرِ في الخدمة للغزاة ، ثم سارَ وودَّعه السلطانُ ، ومكث السلطانُ في الخيم أياماً غيرَ مُكثَرٍ بحلبَ ، ولا مستكثرٍ لها ولا بها ، ثم صعد إلى قلعتها يوم الاثنين سابعَ عشرَ صفرٍ مؤيداً منصوراً محبوباً ، وعمل له الأميرُ طُمانٌ ^(١) وليمةً عظيمةً ، وكان يوماً مشهوداً فسمعه بعضهم وهو داخلٌ يتلو هذه الآية : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ ﴾ [آل عمران : ٢٦] الآية . ولما دخل دارَ الملكِ تلا : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٢٧] الآية . ولما دخلَ مقامَ إبراهيمَ صلَّى فيه ركعتين وأطالَ السجودَ والدعاءَ والتضرُّعَ ، رَحِمَهُ اللهُ ، ثم شرعَ في عملِ وليمةٍ عظيمةٍ ، وقد ضُربتَ البشائرُ ، وخلعَ السلطانُ على الأمراءِ ، وأحسنَ إلى الرؤساءِ والفقراءِ ، وألقتِ الحربُ أوزارَها ، وقضتِ القلوبُ أوطارَها .

وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ ^(٢)

(١) في م : « طهمان . وانظر الكامل ٤٩٧/١١ ، والروضتين ٤٤/٢ .

(٢) البيت لمعقّر بن جمار البارقى .

وقد امتدحه الشعراء عند فتح حلب بمدائح حسان، وكانت قد وقعت منه موقعاً عظيماً، حتى إنه قال: ما سررتُ بفتح قلعة أعظم شُروراً من فتح مدينة حلب. وأسقط عنها وعن سائر بلاد الجزيرة المكوس والضرائب، وكذلك عن بلاد الشام ومصر، فجزاه الله خيراً.

وقد كانت الفرنج في غيبة السلطان واشتغاله ببلاد الجزيرة وتلك الأمور، قد عانت في البلاد بالإفساد يميناً وشمالاً، واعتصمت الثعالب غيبة الأسد فجالت حول العرين وهي تظن ذلك خيالاً، فأرسل السلطان إلى عساكره ليجتمعوا إليه ويكونوا بين يديه ليتصدى بعد هذا كله لقتال الفرنج العدو المخدول، وكان قد بُشِّر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب؛ وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعي رأى في تفسير أبي الحكم "بن برجان المغربي" عند قوله تعالى: ﴿الْعَلَّامُ الْغُيُوبُ﴾ [الروم: ١] الآية. الإشارة بفتح بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، واستدل [٢٨٨/٩] على ذلك بأشياء، فكتب ذلك في ورقة وأعطاهما للفقيه عيسى الهكاري؛ ليبشّر بها السلطان، فلم يتجاسر على ذلك خوفاً من عدم المطابقة، فأعلم بذلك القاضي محيي الدين بن الزكي، فنظم مغناها في قصيدة يقول فيها:

وفتحكم^٢ "حلب الشهباء"^١ في صفر قضي لكم بافتتاح القدس في رجب

وقدّمها للسلطان فقويت همّة السلطان إلى ذلك، فلما افتتحها - كما سيأتي - أمر القاضي فخطب يومئذ وكان يوم الجمعة، ولما بلغه أن ابن جهبل هو الذي أطلع على ذلك أولاً، أمره فدرّس على نفس الصخرة درساً عظيماً،

(١ - ١) في م، ص: «العري». وانظر سير أعلام النبلاء ٧٢/٢٠.

(٢ - ٢) في الروضتين ٤٦/٢: «حلبا بالسيف».

وأَجَزَلَ له العطاء، وأَحْسَنَ عليه الشَّاءَ.

فصل

ثم رَحَلَ السُّلْطَانُ مِنْ حَلَبَ فِي أَوَاخِرِ ربيعِ الْآخِرِ بِجِيوشِهِ وَعَسَاكِرِهِ وَقَدْ جَعَلَ فِيهَا وَلَدَهُ الظَّاهِرَ غَازِي، وَوَلَّى قِضَاءَهَا لِحَبِيبِ الدِّينِ بْنِ الزُّكَّيِّ، فَاسْتَنَابَ لَهُ فِيهَا نَائِبًا، وَرَجَعَ هُوَ مَعَ السُّلْطَانِ فِي خِدْمَتِهِ، فَاجْتَارَ بِحِمَاةٍ ثُمَّ بِحِمَصَ ثُمَّ عَلَى بَغْلَبَكْ، ثُمَّ دَخَلَ دِمَشْقَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْأُولَى مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا فِي أُبْهَةِ عَظِيمَةٍ وَنَعْمَةٍ جَسِيمَةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَمِنْ نِيَّتِهِ الْخُرُوجُ سَرِيعًا إِلَى قِتَالِ الْفِرْنَجِ، فَبَرَزَ مِنْهَا فِي أَوَّلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي جَحَافِلِهِ قَاصِدًا نَحْوَ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، فَانْتَهَى إِلَى يَسَّانَ فَتَهَبَهَا، وَنَزَلَ عَلَى عَيْنِ جَالُوتَ، وَأَرْسَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَرِيَّةً هَائِلَةً فِيهَا جُرْدِيكُ^(١) وَطَائِفَةٌ مِنَ الثُّورِيَّةِ، وَجَاوَلَى مَمْلُوكُ عَمِّهِ أَسَدَ الدِّينِ، فَوَجَدُوا جَيْشَ الْكَرْكِ مِنَ الْفِرْنَجِ قَاصِدِينَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ؛ نَجْدَةً لَهُمْ، فَالْتَقَوْا مَعَهُمْ فَقَتَلُوا مِنَ الْفِرْنَجِ خَلْقًا كَثِيرًا وَأَسْرَوْا مِائَةَ أَسِيرٍ، وَلَمْ يُفَقَدْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى شَخْصٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ عَادَ فِي آخِرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَبَلَغَ السُّلْطَانُ أَنَّ الْفِرْنَجَ قَدْ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِهِ، فَقَصَدَهُمْ وَتَصَدَّى لَهُمْ لَعْلَهُمْ يُصَافُونَهُ، فَنَكَلُوا عَنْهُ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ أَطْرَافِهِمْ وَجَرَحَ مِثْلَهُمْ، فَارْجَعُوا نَاكِصِينَ عَلَى أَغْقَابِهِمْ خَائِفِينَ مِنْهُ غَايَةً مِنَ الْخَافَةِ؛ لَكَثَرَةِ جَيْشِهِ، وَهُوَ خَلْفَهُمْ يَقْتُلُ وَيَأْسِرُ حَتَّى غَوَّروا فِي بِلَادِهِمْ، فَارْجَعَ عَنْهُمْ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، وَكَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ إِلَى الْخَلِيفَةِ يُعَلِّمُهُ بِمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَصَرِهِمْ عَلَى الْفِرْنَجِ، وَكَانَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا يَرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ إِلَّا طَالَعَ

(١) فِي م: «بِرْدِيل»، وَفِي ص: «جُرْدِيل». وَالتَّحْقِيقُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الرُّوسْتَيْنِ ٥٠/٢.

بذلك الخليفة؛ أدبًا واحترامًا وطاعةً واحتشامًا.

فصل

وفي رجب سار السلطان إلى الكرك، فحاصرها وفي صُحْبِهِ تقي الدين عمرُ ابن أخيه، وقد كتب إلى أخيه العادل أبي بكرٍ [٢٨٨/٩ ط] ليخضِرَ إليه ليوْلِيَّه حَلَبَ وأعمالها وَفَقَ ما كان طلبه منه، واستمرَّ الحِصَارُ على الكرك مدَّةَ شهرٍ رجبٍ، فلم يُظْفَرْ منها بطلَبٍ، وبلغه أنَّ الفِرْنَجَ قد اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ لِيَمْنَعُوا منه الكركَ فَكَّرَ راجعًا إلى دِمَشْقَ؛ ليلقاهم - وذلك من أكبرِ هَمِّهِ وأعظمِ طلبِهِ - وأرسلَ ابنَ أخيه تقي الدين عمرَ إلى مِصْرَ نائبًا، وفي صُحْبِهِ القاضي الفاضلُ، وبعثَ أخاه على مملكةِ حَلَبَ وأعمالها، واستقدَّم وَلَدَهُ الظاهرُ إليه، وكذلك نُوابِهِ وَمَنْ يعزُّ عليه، وإِنَّمَا أُعْطِيَ السلطانُ أخاه العادلَ حَلَبَ ليكونَ قريبًا منه، فَإِنَّهُ كان لا يَقْطَعُ أمرًا دونَ مشورته، واقتَرَضَ الناصرُ من أخيه أبي بكرٍ العادلِ مائةَ ألفِ دينارٍ، وتألَّم الظاهرُ بنُ الناصرِ على مُفارقةِ حَلَبَ، وكانت إقامته الأولى بها سِتَّةَ أشهرٍ، ولكنَّهُ لا يُظْهِرُ ما في نفسه لوالده، لكنَّ يَظْهَرُ ذلك على صَفَحَاتِ وجهه وفَلَتَاتِ لسانِهِ^(٥).

(٥) في حاشية الأصل: «يُضْ هُنا للوفيات بياضًا مقدار عشرة أسطر».

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

فى هذه السنة^(١) أرسل السلطان إلى العساكر الحليّة والجزريّة والمصريّة ،
فقدّم عليه تقيّ الدين عمر من مصر ومعه القاضي الفاضل ، وجاء من حلب أبو
بكر العادل ، وقدمت ملوك الجزيرة وسنجار وتلك النواحي والأقطار ، وأخذها
كلّها مع جيشه ، فسار بها إلى الكرك ، فأخذوا بها فى رابع عشر جمادى
الأولى ، وركب عليها المجانيق ، وكانت تسعة ، وأخذ فى حصارها ؛ وذلك لأنّه
رأى أنّ فتحها الآن أنفع للمسلمين ، فإنهم يقطعون الطريق على الحجيج والتجار
فى البرارى والبحار ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أنّ الفرنج - لعنهم الله - قد
اجتمعوا له كلهم فارسهم وراجلهم ؛ ليمنعوا منه الكرك ، فانشمر عنها
وقصدهم ، فنزل على حُشبان^(٢) نجاهم ، ثم صار إلى ماء عين ، فانهزمت الفرنج
قاصدين الكرك ، فأرسل وراءهم من قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأمر السلطان
الجيش بالإغارة على السواحل ؛ لخلوها من المقاتلة ، فنهبت نابلس وما حولها من
القرايا والرساتيقي ، ثم عاد السلطان إلى دمشق ، فأذن للعساكر فى الانصراف إلى
بلدانهم الشتى ، وأمر ابن أخيه تقيّ الدين عمر الملك المظفر أن يعود إلى مصر
بعسكره ، وكذلك أخاه العادل أن يعود إلى الشهباء^(٣) ، وأقام السلطان بدمشق ؛

(١) الكامل ٥٠٦/١١ ، والروضتين ٥٤/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٧١ - ٥٨٠ هـ) ص ٥٨ .

(٢) فى م : « حسان » . وحسبان : مدينة عمل البلقاء ، وهى بلدة صغيرة ، ولها وادٍ وأشجار وأرضية

وبساتين وزروع . صبح الأعشى ١٠٦/٤ .

(٣) أى : حلب .

ليؤدّي فرض الصيام، ولتُجَمَّ الخيلُ ويُحَدَّ الحُسامُ، وقَدِمَت على السُلطانِ خِلْعُ الخليفةِ فَلَبِسَهَا، وأَلْبَسَ أَخاهُ العادِلَ، وابنَ عَمِّه ناصرَ الدينِ مُحَمَّدَ بنَ شِيرْكُوهِ، [٢٨٩/٩] ثم خَلَعَ السُلطانُ خِلْعَتَهُ على ناصرِ الدينِ بنِ قرا أُرسلانَ، صاحِبِ حِصْنِ كَيْفَا وَخَرْتَبُوتَ وآمَدَ التي أَطْلَقَهَا له السُلطانُ.

وفى هذه السَنَةِ مات ابنُ عَمِّه ^(١) صاحِبُ مارِدينَ وميافارقينَ وتلك الأعمالِ، وهو قُطْبُ الدينِ إيلغازي بنُ ألبى بنِ تَمُرْشاشَ بنِ إيلغازي بنِ أُرْتُقَ، فقامَ في المُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ وله مِنَ العُمُرِ عَشْرُ سَنِينَ.

وفيهَا ماتَ صاحِبُ المَغْرِبِ - أَيضًا - يُوسُفُ بنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بنِ عَلِيٍّ، وقامَ في المُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ يَعْقُوبُ.

وفى أواخرِ السَنَةِ بَلَغَ السُلطانُ صلاحَ الدينِ أَنَّ صاحِبَ المَوْصِلِ نازِلٌ إِزْبِلَ، فَبَعَثَ صاحِبُهَا يَشْتَصِرُحُ بالسُلطانِ، فَرَكِبَ مِنْ فورِهِ إِلَيْهِ في جُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ، فَسارَ إلى بَغْلَبَكْ، ثم إلى حِمَصَ ثم إلى حِمَاةَ، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا يَنْتَظِرُ وَصُولَ العِمادِ الكاتِبِ إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ حَصَلَ لَهُ ضَعْفٌ فَأَقَامَ يَبْتَغِيكَ رِيثِمًا اسْتَبَلَّ مِنْ مَرَضِهِ ^(٢)، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ القاضِي الفاضِلُ مِنْ دِمَشَقَ حَكِيمًا يَقَالُ لَهُ: أَسْعَدُ بْنُ إِيَّاسَ المَطْرَانُ. فَعَالَجَهُ مَعَالَجَةً مَنْ طَبَّ لَمَنْ حَبَّ ^(٣).

(١) أَى: ابنِ عَمِّ ناصرِ الدينِ بنِ قرا أُرسلان. انظر ترجمته في: الكامل ٥٠٨/١١، والروضتين ٦٠/٢.

(٢) استبل من مرضه: صح. التاج (ب ل ل).

(*) في حاشية الأصل: «هنا يياض للوفيات في نسخة الأصل مقدار عشرين سطرا».

ثم دخلت سنة إحدَى وثمانين وخمسمائة^(١)

استهلَّت هذه السنة والسلطان مُخَيِّمٌ بظاهرِ حَمَاةَ ، فسارَ إلى حلبَ ، وتلقَّاهُ أخوه العادلُ ، واجتمعت إليه العساكرُ ، فخرجَ منها في صَفَرٍ ؛ لقصدِ المَوْصِلِ ، فقتلَ الفُراتَ ، وجاءَ إلى حَرَّانَ فقبضَ على صاحبِها مُظَفَّرِ الدينِ بنِ زَيْنِ الدينِ ، وهو أخو زَيْنِ الدينِ صاحبِ إزْبِلَ ، ثم رَضِيَ عنه ، وأعادَه إلى مملكتِه حتى يَبْيِئَنَّ حُسْنَ طَوِيَّتِه ، ثم سارَ منها إلى المَوْصِلِ فتلَّقَّاهُ الملوكُ مِن كُلِّ ناحية ، وجاءَ إلى خَدَمَتِه عمادُ الدينِ أبو بكرِ بنُ قرا أَرْسَلَانَ صاحبِ بلادِ بَكْرِ وَاِمِدَ ، ثم بلغه موْتُ أخيه نورِ الدينِ أَرْسَلَانَ ، فطلَبَ دستورًا ؛ لِيأخُذَ مملكته فأعطاهُ ، وسارَ السلطانُ فنزَلَ على الإسماعيلِيَّاتِ قَريبًا مِنَ المَوْصِلِ ، وجاءَه صاحبُ إزْبِلَ زَيْنُ الدينِ وهو مَمَّنْ خَضَعَ لَهُ ملوكُ تلكِ الناحية - كما تقدَّم - وأرسلَ السلطانُ ضياءَ الدينِ بنَ كمالِ الدينِ الشَّهْرُزُورِيَّ إلى الخليفةِ يُعْلِمُه بما عَزَمَ عليه مِن حصارِ المَوْصِلِ ، وإنما مقصودُه رُدُّهم إلى طاعةِ الإمامِ ، ونُصرةِ الإسلامِ ، فحاصرها مدةً ، ثم تَرَمَّحَ عنها في آخرِ ربيعِ الأولِ ولم يفتَحها ، وسارَ إلى خِلَاطَ^(٢) واستَحُوذَ على بُلَدانِ كثيرةٍ ، وأقاليمَ جَمَّةٍ ببلادِ الجزيرةِ وديارِ بَكْرِ ، وجَرَتْ أُمُورٌ طويلةٌ قَدِ [٢٨٩/٩ ط] اسْتَفْصَاها ابنُ الأثيرِ في «الكاملِ» ، وصاحبُ «الروضَتَيْنِ»^(٣) ، ثم وَقَعَ الصلحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَوْصِلَةِ ، على أَنْ يَكُونُوا مِن جُنْدِهِ إِذَا نَدَبَهُم لِقَتالِ الفِرَجِ ، وعلى أَنْ

(١) الكامل ٥١١/١١ ، والروضتين ٦١/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٥٠ .

(٢) خلاط : بلدة بأرمينية . التاج (خ ل ط) .

(٣) انظر الكامل ٥١٥/١١ ، والروضتين ٦٢/٢ .

يُخْطَبُ لَهُ ، وَتُضْرَبُ السَّكَّةُ بِاسْمِهِ ، ففَعَلَ ذَلِكَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ كُلِّهَا ، وَانْقَطَعَتْ
خُطْبَةُ السَّلَاجِقَةِ وَالْأَزْيَقِيَّةِ^(١) بِتِلْكَ الْبِلَادِ كُلِّهَا ، وَاتَّفَقَ الْحَالُ وَزَالَ الْإِشْكَالُ .

وَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَرِضٌ بَعْدَ هَذَا مَرَضًا شَدِيدًا ، وَهُوَ يَتَجَلَّدُ وَلَا يُظْهِرُ شَيْئًا مِنَ التَّأَلِمِ
حَتَّى قَوِيَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَتَزَايَدَ الْحَالُ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى حَرَّانَ ، فَخَيَّمَ هُنَالِكَ مِنْ شِدَّةِ
أَلَمِهِ ، وَشَاعَ ذَلِكَ فِي الْبِلَادِ ، فَخَافَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَأَرْجَفَ الْكُفْرَةُ وَالْمُلْحِدُونَ ،
وَخَافَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَقَصَدَهُ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ الْعَادِلُ مِنْ حَلَبَ بِالْأَطِبَّاءِ
وَالْأَدْوِيَةِ ، فَوَجَدَهُ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ يُوصَى وَيُعْهَدَ ، فَقَالَ : مَا
أُبَالِي وَأَنَا أَتْرُكُ مِنْ بَعْدِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا - يَعْنِي أَخَاهُ الْعَادِلَ صَاحِبَ
حَلَبَ ، وَتَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ صَاحِبَ حِمَاةَ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ نَائِبُ مِصْرَ ، وَهُوَ بِهَا مُقِيمٌ ،
وَإِبْنَيْهِ الْعَزِيزَ عُثْمَانَ وَالْأَفْضَلَ عَلِيًّا - ثُمَّ نَذَرَ لِلَّهِ تَعَالَى لَعْنُ شِفَاهِ اللَّهِ مِنْ مَرَضِهِ هَذَا
لِيُصْرِفَنَّ هِمَّتَهُ كُلَّهَا إِلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ ، وَلَا يَقَاتِلُ بَعْدَ ذَلِكَ مُسْلِمًا ، وَلِيَجْعَلَ أَكْبَرَ
هَمِّهِ فَتْحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَلَوْ صَرَفَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالذَّخَائِرِ وَلَيَقْتُلَنَّ الْبَرْنَسَ صَاحِبَ الْكَرْكِ بِيَدِهِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَقَضَ الْعَهْدَ الَّذِي
عَاهَدَ السُّلْطَانَ عَلَيْهِ فَعَدَرَ بِقَافِلَةٍ مِنْ تِجَارِ مِصْرَ ، فَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، وَضَرَبَ رِقَابَهُمْ
صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّنَ مُحَمَّدُكُمْ يَنْصُرُكُمْ ؟ وَكَانَ هَذَا النَّذْرُ كُلُّهُ
بِإِشَارَةِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ الَّذِي أُرْسَدَهُ إِلَى ذَلِكَ وَحَثَّهُ عَلَيْهِ ،
حَتَّى عَقَدَهُ مَعَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَشَفَاهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَافَاهُ مِمَّا كَانَ ابْتَلَاهُ بِهِ
مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ؛ كَفَارَةً لَذُنُوبِهِ وَرَفَعَ لِدَرَجَتِهِ وَنَصْرَةً لِلْإِسْلَامِ
وَأَهْلِهِ ، وَجَاءَتْ الْبَشَائِرُ بِذَلِكَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَزُيِّنَتْ الْبِلَادُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ .
وَكَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ مِنْ دِمَشْقَ وَهُوَ مُقِيمٌ بِهَا إِلَى الْمُظَفَّرِ تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرَ

(١) الْأَزْيَقِيَّةُ : هُم قُرَائِبُ أَصْحَابِ مَارْدِينِ . مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٢٧ / ٢٣١ .

نائب مصر لعلمه الناصر؛ أنَّ العافية الناصرية قد استفاضت أخبارها، وأنوارها وآثارها، وولت العلة، ولله الحمد، وأطفئت نارها، وأنجلي غبارها، وخمد شرارها، وما كانت إلا فلتة وقى الله شرها، وعظيمة كفى الله الإسلام أمرها، ونوبة امتحن الله فيها نفوسنا، فرأى أقل ما عندها صبرها، وما كان الله ليضيع الدعاء وقد أخلصته القلوب، ولا ليقف الإجابة وإن سدت طريقها الذنوب، ولا ليخلف وعد فرج وقد أيس الصاحب والمضحوب:

[٢٩٠/٩] نعي زاد فيه الدهر ميمًا فأصبح بعد بُؤسائه نعيمًا

وما صدق النذير به لأنِّي رأيت الشمس تطلع والثجوما^(١)

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر العافية غضة جديدة، والعزمة ماضية جديدة، والنشاط إلى الجهاد، والجنة مبسوطة البساط، وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط، وعرضنا نحن على الأحوال التي من خوفها كاذ الجملة يلج في سم الخياط.

ثم ركب السلطان من حران بعد العافية فدخل حلب، ثم اجتاز بحماة وحمص، ودخل إلى دمشق، وقد تكاملت عافيته، وقد كان يوم دخوله إليها يومًا مشهودًا وصباحًا محمودًا، ولله المنه.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان:

الفقيه مذهب الدين، عبد الله بن أسعد الموصلي^(٢) مدرّس حمص، وكان

(١) الروضتين ٦٦/٢.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/٢٧٩، والروضتين ٦٧/٢، وإنباه الرواة ١٠٣/٢، ووفيات الأعيان ٥٧/٣، وسير أعلام النبلاء ١٧٦/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٠٨، وطبقات الشافعية للسبكي ١٢٠/٧.

بارعاً فى فنون ، ولا سيمّا فى الشعر والأدب ، وقد أثنى عليه العِمادُ ، والشيخُ شهابُ الدين أبو شامة .

الأميرُ ناصرُ الدين محمدُ بنُ أسدِ الدين شيركوه^(١) صاحبُ حمصَ والرَّحبةَ ، وهو ابنُ عمِّ السلطانِ صلاحِ الدين ، وزوجُ أخته سِتِّ الشامِ بنتِ أيوبَ ، كانت وفاته بحمصَ فنقلته زوجته سِتُّ الشامِ إلى ثروبتها بالمدرسة الشاميّة البرانيّة ، فقبره هو الأوسطُ بينها وبين أخيها المعظمِ تورانشاه صاحبِ اليمن ، وقد خلفَ ناصرُ الدين محمدُ من الأموال والذخائر شيئاً كثيراً ، يُنْفى على ألفِ ألفِ دينار . وكانت وفاته يومَ عرفة فجأةً ، فولّى من بعده مملكةَ حمصَ ولده أسدُ الدين شيركوه بأمرِ السلطانِ ، أيّده الله تعالى .

محمودُ بنُ أحمد^(٢) بنِ عليّ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحيم ، الشيخُ جمالُ الدين أبو الشّاءِ المحموديُّ بنُ الصّابونيِّ ؛^(٣) لأنَّ جدَّ أمّه^(٤) الشيخُ أبو عثمانَ الصابونيِّ^(٥) ، كان أحدَ الأئمة المشاهير ، وإنما يقالُ له : المحموديُّ . لصُحبة جدّه السلطانَ محمودَ بنِ محمدٍ بنِ ملكشاه ، فقديمُ الشيخُ جمالُ الدين هذا الشّامَ فى أيامِ السلطانِ نورِ الدينِ محمودِ بنِ زنكى فأكرّمه واحترّمه ، ثم سارَ إلى

(١) الروضتين ٦٧/٢ ، ومراة الزمان ٣٨٥/١/٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٤٣/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٢٢ ، والوافى بالوفيات ١٥٤/٣ .

(٢ - ٢) فى م : «المحمودى بن محمد» . وانظر ترجمته فى : الروضتين ٦٨/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/١٦٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٢٩ . وانظر مقدمة كتاب «تكملة إكمال الإكمال» للدكتور مصطفى جواد ص ٣٣ وما بعدها .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، ص : «أبيه» . والمثبت من سير أعلام النبلاء ٢١/١٦٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٣٠ ، وفى الروضتين ٦٨/٢ : «جد أبيه لأمه» .

مصرَ فنزلها، وكان صلاح الدين يُكرِّمه أيضًا، ووقف عليه وعلى ذُرِّيَّته أَرْضًا،
فهى لهم إلى الآن.

الأمير الكبير سَعْدُ الدين مسعودُ بنُ مُعِينِ الدين^(١)، كان من الأمراء الكبارِ
أيامَ نورِ الدين وصلاحِ الدين، وهو أخو السَّتِّ خاتون، وحينَ تزوّجها صلاحُ
الدين زوّجه أخته السَّتِّ ربيعةَ خاتون بنتِ أَيُّوبَ، التى تُنسَبُ إليها المدرسةُ
الصلاحيةُ بالسفحِ على الحنابلة، وقد تأخّرت مدَّتها فتوقّفت فى سنة ثلاثٍ
وأربعينَ وسِتِّمائةٍ^(٢)، [٢٩٠/٩ ظ] وكانت آخرَ مَنْ بَقِيَ من أولادِ أَيُّوبَ لصلِّيه،
وكانت وفاته بدمشقَ فى جمادى الآخرة من جرحِ أصابه وهو فى حِصارِ
ميّافارقين.

السَّتِّ خاتون عِصْمَةُ الدين بنتُ مُعِينِ الدين^(٣)، نائبِ دِمَشقَ، وأتابكٍ
عسكرِها قبلَ نورِ الدين، كما تقدّم^(٤)، وقد كانت زوجةَ نورِ الدين، رَحِمَهُ
اللَّهُ، ثم خلفَ عليها من بعده صلاحُ الدين فى سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة،
وكانت من أحسنِ النساءِ وأعفَّهنَّ وأكثرهنَّ صدقةً، وهى واقفةُ الخاتونيةِ الجوانيةِ
بمَحَلَّةِ حَجَرِ الذهبِ، وخانقاه خاتون ظاهرَ بابِ النَّصْرِ فى أوَّلِ الشرفِ القبلى
على بانياسَ، ودُفِنَتْ بئرَيتها فى سفحِ قاسيونَ قريبًا من قِبابِ الشُّركسيةِ، وإلى
جنبِها دارُ الحديثِ الأشرَفِيَّةِ والأتابكيةِ، ولها أوقافٌ كثيرةٌ غيرُ ذلك، وأمّا

(١) ديوان ابن الدهان ص ١٦٦، والكمال ٤٨٨/١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٠٥، والسلوك ٩٠/١/١، والنجوم الزاهرة ٩٩/٦.

(٢) فى الأصل: «سبعمئة».

(٣) مرآة الزمان ٣٨٥/١/٨، والعبر ٢٤٥/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٢٠، والدارس فى تاريخ المدارس ٥٠٧/١، وشذرات الذهب ٢٧٢/٤.

(٤) تقدم فى ص ٣٢٦.

الخاتونية البرانية التي على القنوت بمجلة صنعاء الشام، ويعرف ذلك المكان التي هي فيه بتل الثعالب، فهي من إنشاء الست زمرّد خاتون بنت جاولي، وهي أخت الملك دقاق لأمه، وكانت زوجة زكي والد نور الدين محمود، صاحب حلب، وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدّم^(١)، رجمها الله تعالى.

الحافظ الكبير أبو موسى المديني، محمد بن عمر بن أحمد^(٢) الأصبهاني، الحافظ أبو موسى المديني، أحد حفاظ الدنيا الرّحّالين الجوالين له مصنّفات عديدة، وشرح أحاديث كثيرة، رجمه الله.

أبو القاسم وأبو زيد، عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أضيف بن حسين بن سعدون بن رضوان ابن فتوح - هو الداخل إلى الأندلس - الخنعمي الشهيلي^(٣) حكى القاضي ابن خلّكان^(٤)، عن ابن دحية أنّه أُملي عليه نسبه، كذلك قال ابن خلّكان: والشهيلي نسبة إلى قرية بالقرب من مالقة^(٥)، اسمها شهيل؛ لأنّه لا يرى شهيل النّجم في شيء من تلك البلاد إلا من رأس جبل شاهق عندها. وُلد الشهيلي سنة ثمان وخمسمائة، وقرأ القراءات واشتغل، وحصل حتى برع وساد أهل زمانه

(١) تقدم في ص ٤٠٤.

(٢) في م: «محمد». وانظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢٨٦/٤، وسير أعلام النبلاء ١٥٢/٢١، وتذكرة الحفاظ ١٣٣٤/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٢٤، وطبقات الشافعية للسبكي ١٦٠/٦.

(٣) إنباه الرواة ١٦٢/٢، والمطرب من أشعار المغرب ص ٢٣٠، ووفيات الأعيان ١٤٣/٣، وتذكرة الحفاظ ١٣٤٨/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١١٣.

(٤) وفيات الأعيان ١٤٣/٣.

(٥) مالقة: مدينة بالأندلس عامرة. معجم البلدان ٣٩٧/٤.

بقوة القريحة وجودة الذهن، وحسن التصانيف، وكان ضريحاً مع ذلك . له كتاب «الروض الأنف» يذكر فيه نكتاً حسنة على السيرة لم يُسبق إلى أشياء كثيرة منها، وله كتاب «الإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام»، وكتاب «نتائج الفكر»، ومسألة في الفرائض بدیعة، ومسألة في السر في كون الدجال أعور، وأشياء كثيرة فريدة بدیعة مفيدة، وله أشعار حسنة، وكان عفيفاً فقيراً، وقد حصل له مالٌ كثيرٌ في آخر عمره من صاحب مراكش، كانت وفاته في هذه [٢٩١/٩] السنة يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان، وله قصيدة كان يدعو الله بها ويرتجى الإجابة فيها وهي قوله^(١):

يا مَنْ يَرى ما فى الضميرِ ويسمَعُ	أنتَ المُعدُّ لكلِّ ما يُتوقَّعُ
يا مَنْ يُرجى للشدائدِ كلُّها	يا مَنْ إليه المُستَكى والمَفزَعُ
يا مَنْ خزائن رِزقِهِ فى قولِ كُنْ	امْنُ فَإِنَّ الخَيْرَ عندَكَ أَجمَعُ
ما لى سوى فقْرِى إليك وسيلةٌ	فبالافتقارِ إليك فقْرِى أذْفَعُ
ما لى سوى قرعى لبابك حيلةٌ	فلَمِنْ رَدَدْتَ فأى بابٍ أَقرَعُ
ومَنْ الذى أدعو وأهفُ باسمِهِ	إن كان فضلكَ عن فقيرِكَ يُمنَعُ
حاشا لمجدِكَ أنْ يُقنَطَ عاصِياً	الفضلُ أَجَزَلُ والمواهبُ أوسَعُ

(١) المطرب من أشعار المغرب ص ٢٣٤، ووفيات الأعيان ١٤٣/٣.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة^(١)

فى ثانى ربيع الأول منها كان دخولُ السلطانِ صلاح الدينِ إلى دِمَشقَ بعدَ عافيته ، وكان يوماً مشهوداً كما جرت بمثل ذلك عادةُ الملوك ، واجتمع بالقاضى الفاضل وزاره واستزاره ، وفاوضه واستشاره ، وكان لا يقطعُ أمراً دونَه ، ولا يُخفى عنه مَكُونَه ، ولا ضميره ومضمونه ، ثم قرّر السلطانُ فى مُلكِ دِمَشقَ ولَدَه الأفضَل عليّاً ، ونزل العادلُ أبو بكرٍ عن حَلَبَ لصِهرِه ، زوج ابنته الملكِ الظاهرِ غازى ابنِ السلطانِ ، وأرسل السلطانُ أخاه العادلَ صُحْبَةً ولِده عمادِ الدينِ عُثمانَ الملكِ العزيزِ على مُلكِ مِصرَ ، ويكونُ العادلُ أتابكَه ، وله أقطاعٌ عظيمةٌ جداً ، وعزل عنها نائبيها تقى الدين عمرَ ، فعزَمَ على الدخولِ إلى إفريقيةَ ، فلم يزل السلطانُ يُكاتِبُه ويتلطفُ به ويترفقُ له حتى أقبلَ بجُنودِه نحوه ، فأكرمه واختَرَمه وعظَّمه وأقطعَه حِمَاةً وبلاذاً كثيرةً معها - وقد كانت له قبلَ ذلك - وزاده على ذلك مدينةَ مِيفَارِقِينَ ، وامتدحه العِمادُ الكاتبُ بقصيدةٍ سينيةٍ سَنِيَّةٍ ذكرها فى «الروضتين»^(٢) .

وفى هذه السنة هادَن قَوْمُ طَرابُلُسَ السلطانَ وصالحه وصافاه ، حتى كان يقاتلُ ملوكَ الفِرْنَجِ أشدَّ القتالِ ويسبى منهم النساءَ والأطفالَ ، وكاد أن يُسلمَ ولكنَّ صَدَه^(٣) شيطانَه ورماه بالخبالِ^(٣) ، وكانت مصالحتُه من أقوى أسبابِ نُصْرَةِ

(١) الكامل ٥٢٣/١١ ، والروضتين ٦٩/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٠ .

(٢) الروضتين ٧١/٢ .

(٣) (٣ - ٣) فى م : «السلطان فعات على الكفر والطغيان» .

السلطان على الفِرْنَج ، ومن أشد ما دَخَلَ عليهم في دينهم ودنياهم .

قال العماد الكاتب^(١) : وكان المُنَجِّمون في جميع البلاد [٢٩١/٩ ظ] يحكِّمون بخراب العالم في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح في سائر البلدان ، وذكر أن ناسًا من الجهلة تأهَّبوا لذلك بحفر مغارات ومُدْخَلات وأُسرَاب في الأرض خوفًا من ذلك . قال : فلما كانت تلك الليلة التي أشاروا إليها وأجمَعُوا عليها لم يُرَ ليلةً مثلها في رُكُودها ورُكُونها وهُدُودها وهُدُونها ، وكذا ذكر غير واحد من الناس ، وقد نظَّم الشعراء في تكذيب المنجِّمين في هذه الواقعة وغيرها أشعارًا حسنة ، فمن ذلك قول عيسى بن مودود^(٢) :

مَزَّقِ التقويمَ والزَّيْبَ	جَ فَقَدْ بَانَ الخَفَاءُ
إِنَّمَا التقويمُ والزَّيْبُ	جُ هَبَاءٌ وَهَوَاءُ
قُلْتُ لِلسَّبْعَةِ إِبْرَا	مٌ وَمَنْعٌ وَعَطَاءُ
ومَتَى يَنْزِلَنَّ فِي المِيدِ	زَانٍ يَسْتَوِلِي الهَوَاءُ
وَيُثِيرُ الرَّمْلَ حَتَّى	يَمْتَلِي مِنْهُ الفَضَاءُ
وَيَعْمُ الأَرْضَ خَسْفٌ	وَحَرَابٌ وَبَلَاءُ
وَيَصِيرُ القَاعُ كَالْقُدِّ	فٌ وَكَالطُّودِ العِرَاءُ
وَحَكَمْتُمْ فَأَبَى الحَا	كِمُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
مَا أَتَى الشُّرْعُ وَلَا جَا	ءَتْ بِهَذَا الأنبياءُ

(١) الروضتين ٧٢/٢ ، والكامل ٥٢٨/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٣ ، وفيها أن الكواكب ستجتمع في جمادى الآخرة .

(٢) الروضتين ٧٣/٢ .

فَبَقِيْتُمْ ضُحْكَةً يَضُّ حَكُّ مِنْهَا الْعُلَمَاءُ
حَسْبُكُمْ خِزْيًا وَعَارًا مَا يَقُولُ الشُّعْرَاءُ
ثُمَّ مَا أَطْمَعُكُمْ فِي الدِّ حُكْمٍ إِلَّا الْأُمَرَاءُ
لَيْتَ إِذْ لَمْ يُحْسِنُوا فِي الدِّ يَنْ ظَنًّا مَا أَسَاءُوا
فَعَلَى اضْطِرَّالَابِ بَطْلَانِي مُوسَى وَالزَّيْجِ الْعَفَاءُ
وَعَلَيْهِ الْخِزْيُ مَا جَا دَثَ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
وَمَنْ تُوْفِّي فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْمَشَاهِيرِ :

أبو محمد عبد الله بن أبي الوَحْشِ بَرِّي بن عبد الجبار بن بَرِّي ، المَقْدِسِيُّ
ثم المِصْرِيُّ ^(١) ، أَحَدُ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ والنَّحْوِ فِي زَمَانِهِ ، وَعَلَيْهِ تُعْرَضُ الرِّسَالُ بَعْدَ ابْنِ
بَابِشَادَ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْإِطْلَاعِ ، عَلِمًا بِهَذَا الشَّانِ ، مُطَرِّحًا لِلتَّكْلُفِ فِي كَلَامِهِ ، لَا
يُعَرِّجُ عَلَى الْإِغْرَابِ فِيهِ [٢٩٢/٩و] إِذَا خَاطَبَ النَّاسَ ، وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْمَفِيدَةُ ، وَقَدْ
جَاوَزَ الثَّمَانِينَ ثَلَاثَ سِنِينَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) معجم الأدباء ٥٦/١٢ ، وإنباه الرواة ١١٠/٢ ، ووفيات الأعيان ١٠٨/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/
١٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٣٨ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/
١٢١ ، وبغية الوعاة ٣٤/٢ .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها^(١) كانت وقعة حطين التي كانت أمانة ومقدمة وبشارة لفتح بيت المقدس على المؤمنين، واشتقاقه من أيدي الكافرين، قال ابن الأثير في الكامل^(٢): كان أول يوم منها يوم السبت، وكان يوم النيروز، وذلك أول سنة الفرس، واتفق أنه أول سنة الروم أيضًا، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس بروج الحمل، وكذلك كان القمر في بروج الحمل أيضًا. قال: وهذا شيء يتعد وقوع مثله.

وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل المحرم - وقيل: في أثنائه - في الجيش العزم لمجاهدة أهل الجنة أهل جهنم، فسار إلى رأس الماء، فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان بقيّة الجيش إلى بصرى، فحيم على قصر^(٣) «أبي سلامة» ينتظر قدوم الحجاج، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، ليسلموا من معزة إرنس الكرك الذي غدر ونقض العهد وفجر. فلما اجتاز الحجاج في أواخر صفر، سار السلطان فنزل الكرك وقطع ما حوله من الأشجار ورعى الزروع وأكلوا الثمار، وجاءته العساكر المصرية وتوافت الجيوش الشرقية بالرماح الخطية والسيوف

(١) الكامل ٥٣٤/١١، والروضة ٧٥/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٥.

(٢) الكامل ٥٢٩/١١.

(٣ - ٣) في م: «أبي سلام»، وفي الروضتين ٧٥/٢: «السلامة».

المُشْرِقِيَّةَ ، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء ، وبعث الأفضل سريَّة نحو بلادِ
الفرنج ، فقتلت وغنمت وسليمت وكسرت وأسرت ، ورجعت فبشرت بمقدّماتِ
الفتح والنصر ، وجاء السلطان في جحافلِه والتفت عليه جميعُ العساكرِ الباديةِ
منهم والحاضر ، فرتب الجيوش والأطلاب^(١) ، وسار قاصداً بلادَ الساحل ، وكان
جملةً من معه من المقاتلة اثنتي عشرة ألفاً غير المطوّعة ، فتسامعتِ الفرنج بمقدّمه ،
فاجتمعوا كلهم وتصلحوا فيما بينهم ، ودخل معهم قومٌ أطرابلسَ الغادر
وابرنسَ الكركِ الفاجر ، وجاءوا بقضّهم وقضيضهم^(٢) وأهلِ أوجهم
وحضيضهم ، واشتصحبوا معهم صليب الصلّوت^(٣) يحمله منهم عبّاد
الطاغوت ، وضلّالُ الناسوتِ والآهوتِ ، في خلقي لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ،
يقالُ : كانوا خمسين ألفاً . وقيل : ثلاثاً وستين ألفاً . وقد خوفهم صاحبُ
طرابلسَ بأسَ المسلمين ، فاعترض عليه الإبرنسُ أرناطُ صاحبِ الكرك فقال له : لا
أشكُ أنك تُحبُ المسلمين [٢٩٢/٩ ظ] وتخوفنا كثرتهم ، والنار لا تخاف من كثرة
الخطب . فقال القومُص لهم : ما أنا إلا منكم ، وسترون غب ما أقول لكم .
فتقدّموا وأقبل السلطان ففتح طبريّة ، وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير
ذلك ، وتحصّنت عنه القلعة فلم يشغل بها ، وحاز البُخيرة في حوزته ، ومنع
الكفرة أن يصلوا منها إلى غُرفة ، أو يوزوا للماءِ ريّاً ، وأقبلوا في عطش لا يعلمه إلا

(١) الأطلاب : جمع طُلب ، ومعناه مجموعة أوفدة . المعجم الذهبى ص ٣٩٩ ، وانظر السلوك ١/١/ ٢٤٨ حاشية (٢) .

(٢) جاءوا بقضّهم وقضيضهم : أى جمعهم ، وقيل : جاءوا بجمعهم لم يدعوا وراءهم شيئاً ولا أحداً .
التاج (ق ض ض) .

(٣) صليب الصلّوت : صليب الفرنج الأعظم ، يذكرون أن فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها -
المسيح عليه السلام - بزعمهم . انظر الكامل ٥٣٦/١١ .

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَبَرَزَ لَهُمُ السُّلْطَانُ إِلَى سَطْحِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ مِنْ طَبَرِيَّةَ عِنْدَ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: حِطِّينُ. الَّتِي يُقَالُ: إِنَّ فِيهَا قَبْرَ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١). فَتَوَاجَهَ هُنَاكَ الْجَيْشَانِ وَتَقَابَلَ الْفَرِيقَانِ، وَأَسْفَرَ وَجْهَ الْإِيمَانِ، وَاعْتَبَرَ وَجْهَ الْكُفْرَانِ وَالْخُسْرَانِ وَذَلِكَ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَبَاتَ النَّاسُ عَلَى مَصَافِهِمْ وَأَسْفَرَ الصَّبَاحُ عَنْ يَوْمِ السَّبْتِ الَّذِي كَانَ يَوْمًا عَسِيرًا عَلَى أَهْلِ يَوْمِ الْأَحَدِ، وَذَلِكَ لِحَمْسِ بَقِيَّةٍ مِنْ ربيعِ الْآخِرِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى وُجُوهِ النَّصَارَى وَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَكَانَ تَحْتَ أَقْدَامِ خُيُولِهِمْ هَشِيمٌ حَشِيشٍ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ النَّقَّاطَةَ، فَرَمَوْهُ فَتَأَجَّجَ تَحْتَ سَنَابِكِ خُيُولِهِمْ نَارًا، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ حَرُّ الشَّمْسِ وَحَرُّ الْعَطَشِ، وَحَرُّ النَّارِ مِنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ، وَحَرُّ رَشْقِ السِّهَامِ عَنِ الْقَيْسِيِّ الْقَاسِيَةِ، فَتَبَارَزَ الشُّجْعَانُ فِي حُومَةِ الْوَعْيِ، ثُمَّ أَمَرَ السُّلْطَانُ بِالْتَّكْبِيرِ وَالْحَمَلَةِ الصَّادِقَةِ، فَكَانَ النَّصْرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْحَهُمُ اللَّهُ أَكْتَفَ الْكُفْرَةِ الْفَجْرَةِ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَسِرَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنْ شُجْعَانِهِمْ وَفُزْسَانِهِمْ، وَكَانَ فِي جَمَلَةِ الْأَسَارَى جَمِيعُ مَلُوكِهِمْ سِوَى قَوْمِ طَرَابُلُسَ، فَإِنَّهُ انْهَزَمَ فِي أَوَّلِ الْمَعْرَكَةِ، وَأَخَذَ صَلَيبُهُمُ الْأَعْظَمُ عِنْدَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ الْمَصْلُوبُ، وَقَدْ غَلَّقُوهُ بِالذَّهَبِ وَاللَّائِي وَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا، وَلَمْ يُسْمَعْ بِمَثَلِ هَذَا الْيَوْمِ فِي عِزِّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَدَمَغِ الْبَاطِلِ وَذُلِّهِ، حَتَّى إِنَّهُ ذُكِرَ أَنَّ بَعْضَ الْفَلَاحِينَ رَأَى بَعْضَهُمْ وَهُوَ يَقُودُ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ أَسِيرًا مِنَ الْفِرْنَجِ، قَدْ رَبَطَهُمْ بِطُنْبٍ خَيْمَةٍ، وَبَاعَ بَعْضُهُمْ أَسِيرًا بِغَلٍّ

(١) بعده في م: «وجاء العدو المخدول، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا».

لَيْسَهَا فِي رِجْلِهِ ، وَجَرَتْ أُمُورٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا وَلَا وَقَعَتِ الْعَيُونُ عَلَى شَكْلِهَا ،
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ دَائِمًا أَبَدًا حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا .

وَلَمَّا تَمَّتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ ^(١) وَالنَّعْمَةُ الْعَمِيمَةُ ^(٢) الْجَسِيمَةُ ، أَمَرَ السُّلْطَانُ
بِضَرْبِ مُخَيِّمٍ عَظِيمٍ ، وَجَلَسَ فِيهِ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ وَعَنْ يَمِينِهِ أُسِيرَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ
مِثْلُهَا ، وَجِئَءَ بِالْأَسَارَى تَتَهَادَى فِي قُبُودِهَا ، فَضُرِبَتْ أَغْنَاقُ [٢٩٣/٩ و] جَمَاعَةٍ
مِنْ مُقَدَّمِي الدَّائِيَّةِ وَالْإِسْتَبَارِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرًا ، وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَذْكُرُ
النَّاسَ عَنْهُ ذِكْرًا ، ثُمَّ جِئَءَ بِالْمُلُوكِ فَأُجْلِسُوا عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ،
فَأُجْلِسَ مَلِكُهُمُ الْكَبِيرُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَتَحْتَهُ أَرْنَاطُ إِيْرَنَسُ الْكَرْكِ - قَبَّحَهُ اللَّهُ تَعَالَى -
وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَقِيَّةُ الْمُلُوكِ وَعَنْ يَسَارِهِ ، فَجِئَءَ السُّلْطَانُ بِشَرَابٍ مِثْلُوجٍ مِنْ
الْجَلَّابِ ^(٣) ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاولَ الْمَلِكَ فَشَرِبَ ، ثُمَّ نَاولَ مَلِكَهُمْ أَرْنَاطَ فَشَرِبَ ،
فَغَضِبَ السُّلْطَانُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا سَقَيْتُكَ وَلَمْ أَمْرُكَ أَنْ تَسْقِيَهُ ، هَذَا لَا عَهْدَ لَهُ
عِنْدِي . ثُمَّ تَحَوَّلَ السُّلْطَانُ إِلَى حَيِّمَةِ دَاخِلِ الْخِيْمَةِ وَاسْتَدْعَى أَرْنَاطَ ، فَلَمَّا أَوْقَفَ
بَيْنَ يَدَيْهِ قَامَ إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ وَقَالَ : نَعَمْ أَنَا أَنْوُبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْإِنْتِصَارِ
لَأَمَّتِهِ . ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَامْتَنَعَ ، فَقَتَلَهُ وَأَرْسَلَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَقَالَ : إِنَّ
هَذَا تَعَرَّضَ لَسَبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ قَتَلَ السُّلْطَانُ جَمِيعَ مَنْ كَانَ فِي
الْأَسَارَى مِنَ الدَّائِيَّةِ وَالْإِسْتَبَارِيَّةِ صَبْرًا ، وَأَرَاخَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذَيْنِ الْجَنْسَيْنِ
الْحَبِيثَيْنِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . وَلَمْ يُسَلِّمْ مِمَّنْ غَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ،
فَيَقَالُ : إِنَّهُ بَلَغَتْ الْقَتْلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَكَذَلِكَ الْأَسَارَى كَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَكَانَ
جَمَلُهُ جَيْشِ الْفَرَنْجِ ثَلَاثَةً وَسِتِّينَ أَلْفًا ، وَمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ - مَعَ قَلَّتِهِمْ - أَكْثَرُهُمْ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : « النُّوَّة » .

(٢) الْجَلَّابُ : هُوَ مَاءُ الْوَرْدِ . الْمَرْبُ لِلْجَوَالِيْقَى ص ١٥٤ ، وَالنَّهْيَةُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٢٨٢/١ .

جَزَحَى ، فمَاتُوا بِيَلَادِهِمْ بَعْدَ رَجوعِهِمْ ، وَمَنْ مَاتَ كَذَلِكَ قَوْمَصُ^(١) طَرَابُلُسَ ، فَإِنَّهُ انْهَزَمَ جَرِيحًا فَمَاتَ بِيَلَدِهِ بَعْدَ رَجوعِهِ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِرُؤْسَاءِ الْأُسَارَى وَرُغُوسِ أَعْيَانِ الْقَتْلَى ، وَبِصَلِيبِ الصَّلْبُوتِ صُحْبَةِ الْقَاضِي ابْنِ أَبِي عَصْرُونَ إِلَى دِمَشْقَ لِيُودَّعُوا فِي قَلْعَتِهَا ، فَدَخَلَ بِالصَّلِيبِ مِنْكُوسًا ، فَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى قَلْعَةِ طَبْرِئَةَ فَفَتَحَهَا ، وَقَدْ كَانَتْ طَبْرِئَةُ تَقَاسِمُ بِلَادَ حَوْرَانَ وَالبَلْقَاءَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْجَوْلَانِ^(٢) وَتِلْكَ الْأَرْضِي كُلُّهَا بِالنَّصْفِ ، فَأَرَاخَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ تِلْكَ الْمُقَاسِمَةِ^(٣) وَتَوَفَّرَتْ عَلَيْهِمْ^(٤) ، ثُمَّ سَارَ إِلَى عَكَّا فَنَزَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَلَخَ رِيْعَ الْآخِرِ ، فَافْتَتَحَهَا صُلْحًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَأَخَذَ مَا كَانَ بِهَا مِنْ حَوَاصِلَ وَأَمْوَالٍ وَذَخَائِرَ وَمَتَاجِرَ ، وَاسْتَنْقَذَ مَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَشْرَى الْمُسْلِمِينَ ، فَوَجَدُوا بِهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ أَسِيرٍ مِنْهُمْ ، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، وَأَمَرَ بِإِقَامَةِ الْجُمُعَةِ بِهَا ، فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ أُقِيمَتْ بِالسَّاحِلِ بَعْدَ أَنْ أَخَذَهُ الْفَرْنَجُ ، مِنْ سَبْعِينَ^(٥) سَنَةً فَلِلَّهِ الْحَمْدُ دَائِمًا . وَسَارَ مِنْهَا إِلَى صَيْدَا وَيَزْرُوتَ وَتِلْكَ النُّوَاجِي [٢٩٣/٩ ظ] مِنَ السَّوَاوِلِ فَأَخَذَهَا ، لَخْلُوهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَمِنَ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ غَزَّةَ وَعَسْقَلَانَ وَنَابُلُسَ وَيَسَّانَ وَأَرْضِي الْعَوْرِ ، فَمَلَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، وَاسْتَنْتَابَ السُّلْطَانُ عَلَى نَابُلُسَ ابْنَ أُخْتِهِ حُسَّامَ الدِّينِ عَمَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ

(١) الكامل ٥٣٨/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢١ .

(٢) في الأصل : « الجيران » . وهو أيضا صحيح ؛ فطبرية كانت تقاسم ما حولها من الجيران بما في ذلك الجولان . وانظر الروضتين ٧٩/٢ .

(٣ - ٣) في م : « ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن ، فتسلم تلك البلاد كلها ، وهي قرى كثيرة كبار وصغار » .

(٤) في الأصل : « تسعين » .

لا حِينَ ، وهو الذى افْتَتَحَهَا ؛ وكان جملة ما افْتَتَحَهُ فى هذه المدّة القرية قريتا من خمسين بلداً كلُّ بلدةٍ لها مُقاتِلَةٌ وقلعةٌ ومنعةٌ ، فله الحمد .

وغيَمَ الجيشُ والمسلمون من هذه الأماكن شيئاً كثيراً ، وسَبَّوْا شيئاً كثيراً لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ ، واستبشَرَ الإسلامُ وأهلُه شرقاً وغرباً بهذا النصر العظيم والفتوحات الهائلة . وترك السلطانُ جيوشَه تَزَنُّعُ فى هذه الفتوحات والغنائم الكثيرة مدّة شهورٍ ؛ ليستريحوا ويَجْمُؤا أنفُسَهُم ويُخَيِّلَهُم ليتأهَّبوا لفتح بيت المقدس الشريف ، وطارَ فى النَّاسِ أنَّ السلطانَ عَزَمَ على فتح بيت المقدس ، فقصدَه العلماء والصالحون والمتطوِّعةٌ من كلِّ فجٍّ عميقٍ ، وجاء أخوه العادلُ بعد وقعة حِطِّينَ وفتح عَكَّا ، ففتح بنفسه حصوناً كثيرةً أيضاً ، فاجتمع من عبادِ الله ومن الجيوش المتطوعة خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ ، فعند ذلك قصدَ السلطانُ بيت المقدس بمن معه ، كما سيأتى بيانه .

وقد امتدح الشعراءُ الملكَ صلاح الدين بسببِ وقعة حِطِّينَ فقالوا وأكثروا ، وأطابوا وأطبَّوا^(١) ، وكتب إليه القاضى الفاضلُ من دِمَشْقَ - وكان مقيماً بها لمرض ناله^(٢) : لِيَهْنِ الْمَوْلَى أَنَّ اللَّهَ قد أقامَ به الدينَ القيمَ ، وأنَّه كما قيل : أصبحتَ مَولائى ومَولَى كلِّ مُسلمٍ . وأنه قد أسبغَ عليه التَّعَمُّتين ؛ الباطنة والظاهرة ، وأورثه الملكين ؛ مُلكَ الدنيا ومُلكَ الآخرة ، كتبَ المملوكُ الخدمة والرَّعْوسَ إلى الآن لم تُرْفَعْ من سَجُودِها ، والدموعُ لم تُمَسَّحْ من خُدُودِها ، وكلِّما فكَّرَ المملوكُ أنَّ البيعَ تعودُ وهى مَساجِدُ ، والمكانَ الذى كان يقالُ فيه : إِنَّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثةٍ ، يقالُ اليومَ فيه : إِنَّه الواحدُ . جدَّدَ لِلَّهِ شُكْرًا تارةً يَفِيضُ من لسانه ،

(١) الروضتين ٨٣/٢ - ٨٥ .

(٢) المصدر السابق ٨٢/٢ ، ٨٣ .

وتَارَةً يَفِيضُ مِنْ أَجْفَانِهِ^(١) ، وَجَزَى اللَّهُ يَوْسُفَ خَيْرًا عَنْ إِخْرَاجِهِ مِنْ سَجْنِهِ ،
وَالْمَمَالِكُ يَنْتَظِرُونَ أَمْرَ الْمُؤَلَى ، فَكُلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَّامَ بِدِمَشْقٍ قَدْ عَوَّلَ
عَلَى دُخُولِ حَمَامٍ طَبَرِيَّةَ .

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ^(٢) وَذَلِكَ الْفَتْحُ لَا عَمَّانَ وَالْيَمْنَ
وَذَلِكَ السَّيْفُ لَا سَيْفُ ابْنِ ذِي يَزْنَ

ثُمَّ قَالَ : وَلِلْأَلْسِنَةِ بَعْدُ فِي هَذَا الْفَتْحِ سَبْعُ^(٣) طَوِيلٌ وَقَوْلٌ جَلِيلٌ .

ذَكَرَ فَتْحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَاسْتِنْقَازِهِ

مِنْ أَيْدِي النَّصَارَى بَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً [٢٩٤/٩]

لَمَّا افْتَتَحَ السُّلْطَانُ مَا حَوْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمُبَارَكَةِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْ
تِلْكَ السَّوَاهِلِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهَا ، أَمَرَ الْعَسَاكِرَ فَاجْتَمَعَتْ وَالْجِيُوشُ
الْمُتَفَرِّقَةُ فِي الْبُلْدَانِ فَاتَّالَفَتْ ، وَسَارَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الشَّرِيفِ يَوْمَ الْأَحَدِ ، فِي
الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ -
فَنَزَلَ غَرْبِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَدْ حَصَّنَتْ الْفِرْنَجُ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، الْأَسْوَارَ بِالْمَقَاتِلَةِ ،
وَكَانُوا سِتِّينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، دُونَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ﴾

(١) بعده في م : « سرورًا بتوحيد الله تعالى الملك الحق المبين وأن يقال : محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين » .

(٢) هذا صدر بيت ، وتماهه :

شَيْبًا بِمَاءِ فَعَادَا بَقْدُ أَبْوَالَا

وهو للناطقة . انظر ديوانه ص ١١٢ ، وينسب لأبي الصلت الثقفي ولأمية بن أبي الصلت .

(٣) في م : « تسبيح » . وفي مصدر التخريج : « شرح » .

إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَفَّوْنَ ﴿﴾ [الأنفال : ٣٤] ، وكان صاحبُ البلدِ يومئذٍ رجلاً يُقالُ له : باليانُ بنُ بارزانَ . ومعه مَن سَلِمَ من وَقْعَةِ حِطِّينَ يومَ التَّقَى الجَمْعَانِ ، مِن الدَّائِيَةِ والإِسْتَارِيَةِ أَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ ، عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ أَجْمَعِينَ ، فَأَقَامَ السُّلْطَانُ بِمَنْزِلِهِ الْمَذْكُورِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَسَلَّمَ إِلَى كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ جَيْشِهِ الْمَنْصُورِ نَاحِيَةً مِنْ أَرْجَةِ السُّورِ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ ؛ لِأَنَّهُ رَأَاهَا أَوْسَعَ وَأَنْسَبَ لِلْمَجَالِ ، وَالْجِلَادِ وَالنِّزَالِ ، وَقَاتَلَ الْفِرْنَجُ دُونَ الْبَلَدِ قِتَالًا هَائِلًا ، وَبَذَلُوا فِي نُصْرَةِ قُصَامَةِ وَالْقِيَامَةِ بِذَلَا طَائِلًا ، وَاسْتَشْهَدَ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَحَقِيقٌ عِنْدَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَاجْتَهَدُوا فِي الْقِتَالِ بِكُلِّ حَظٍّ وَحُسَامٍ ، وَقَدْ نُصِبَتِ الْمَجَانِيقُ وَالْعَرَادَاتُ ، وَغُنَّتِ السِّيُوفُ وَغُمِلَتِ السَّمْعَرِيَّاتُ ^(١) ، وَالْعَيُونُ تَنْظُرُ إِلَى الصُّلْبَانِ وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ فَوْقَ الْجُدْرَانِ ، حَتَّى فَوْقَ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ قَبْلَةَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ مِنْ قَدِيمِ الْأَزْمَانِ ، فَرَادَ ذَلِكَ أَهْلَ الْإِيمَانِ الْحَقِّ الْكَثِيرَ وَشِدَّةَ التَّشْمِيرِ ، فَوُجِدَ يَوْمَ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ، فَبَادَرَ السُّلْطَانُ أَيْدِيَهُ بِالْأَصْحَابِ إِلَى الزَاوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ السُّورِ فَنَقَبَهَا وَعَلَقَهَا وَحَشَاهَا بِالنِّيرَانِ وَأَحْرَقَهَا ، فَسَقَطَ ذَلِكَ الْجَانِبُ ، وَخَرَّ الْبُرْجُ بِرُؤُوسِهِ ، فَإِذَا هُوَ وَاجِبٌ ^(٢) ، فَلَمَّا شَاهَدَ الْفِرْنَجُ ذَلِكَ الْحَادِثَ الْمُقْطِعَ ، وَالْحَظْبَ الْمُؤَلَّمَ لَهُمُ الْمَوْجِعَ ، قَصَدَ أَكَابِرَهُمُ السُّلْطَانَ وَتَشَفَّعُوا إِلَيْهِ بِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يُعْطِيَهُمُ الْأَمَانَ ، فَامْتَنَعَ وَقَالَ ^(٣) : لَا أَفْتَحُهَا إِلَّا كَمَا أَفْتَحْتُمُوهَا عَنْوَةً ، وَلَا أَتْرُكُ بِهَا أَحَدًا مِنَ الْبَصَارِيِّ إِلَّا قَتَلْتُهُ كَمَا قَتَلْتُمْ أَنْتُمْ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَطَلَبَ صَاحِبُهَا بِالْيَانُ بْنُ بَارزَانَ مِنَ السُّلْطَانِ الْأَمَانَ لِيَحْضُرَ عِنْدَهُ فَأَمَّنَّهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ تَرَفَّقَ لَهُ ، وَتَشَفَّعَ إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ

(١) السهمري : الرمح الصليب العود .

(٢) واجب : أصل الوجوب السقوط والوقوع ، ووجب الميت إذا سقط ومات . ويقال للقتيل : واجب . اللسان (و ج ب) .

(٣) الكامل ٥٤٨/١١ ، والروضتين ٩٥/٢ .

إلى الأمان لهم ، فقالوا : لئن لم تُعطينا الأمانَ رجَعنا فقتلنا كلَّ أسيرٍ [٢٩٤/٩ ظ]
من المسلمين بأيدينا - وهم قريبٌ من أربعة آلاف - وقتلنا ذراريَّنا ، وخرَّبنا الدُّورَ
والأماكنَ الحسنةَ ، وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال ، وألقينا قُبَّةَ الصَّخْرَةِ ، ولا يُبقَى
مُمْكِنًا في إتلافٍ ما نقدرُ عليه ، وبعدَ ذلك نقاتلُ قتالَ الموتِ ، فلا يُقتلُ واحدٌ منَّا
حتى يُقتلَ أعددًا منكم ، فماذا تَرتجى بعدَ هذا مِن الخيرِ ؟

فلَمَّا سَمِعَ السلطانُ ذلكَ أجابَ إلى الصُّلحِ ، على أن يَبْذُلَ كلُّ رجلٍ منهم
عن نفسه عشرةَ دنانيرَ ، وعن المرأةِ خمسةَ دنانيرَ ، وعن كلِّ صغيرٍ وصغيرةٍ
دينارينَ ، ومَن عَجَزَ عن ذلكَ كان أسيرًا للمسلمينَ ، وأن تكونَ الغَلاَتُ
والأسلحةُ والدُّورُ للمسلمينَ ، ويتحوَّلوا منها إلى مَأْمَنِهِمْ وهى مدينةُ صُورَ .
فكُتِبَ الصُّلحُ على ذلكَ ، ومَن لا يَبْذُلُ ما شَرِطَ عليه إلى أربعينَ يومًا فهو أسيرٌ ،
فكانَ جملةُ مَن أُسِرَ بهذا الشرطِ سِتَّةَ عَشَرَ ألفَ إنسانٍ ؛ مِن رجالٍ ونساءٍ
وولَدانٍ ، ودخَلَ السلطانُ والمسلمونَ البلدَ يومَ الجمعةِ قُبيلَ وقتِ الصلاةِ بقليلٍ ،
وذلكَ يومَ السابعِ والعشرينَ مِن رَجَبٍ ، قالَ العِمادُ^(١) : وهى ليلةُ الإِشراءِ برِشُولِ
اللَّهِ ﷺ مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأَقصَى إلى السَّمواتِ الغَلا . قالَ الشيخُ
شهابُ الدينِ أبو شامة^(٢) : وهو أحدُ الأقوالِ فى الإِشراءِ ، واللَّهُ تعالى أعلمُ . ولم
يَتَّفِقْ للمسلمينَ صلاةُ الجُمُعَةِ يومئذٍ ، خلافًا لمَن زعمَ أنَّها أُقيمتَ يومئذٍ ، وأنَّ
السلطانَ خطَبَ بنفسِهِ بالسَّوادِ يومئذٍ ، والصَّحيحُ أنَّ الجُمُعَةَ لم يُمْكِنْ إقامَتُها
يومئذٍ لِضيقِ الوقتِ ، وإنَّما أُقيمتَ فى الجُمُعَةِ المُقبِلَةِ ، وكانَ الخطيبُ القاضى
مُحِبِّى الدينِ مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ ، القُرَشِيُّ ابنَ الزَكِيِّ ، كما سيأتى قريبًا .

(١) الروضتين ٩٦/٢ .

(٢) الروضتين ٩٢/٢ .

ولكن نُظِفَ المسجدُ الأقصى يومئذٍ ممَّا كان فيه مِنَ الصُّلْبَانِ والرُّهْبَانِ والخنَازيرِ، وخُرِبَتْ دُورٌ للدَّوَابِّ كانوا قد بَنَوْهَا غَرَبِيَّ المِحْرَابِ الكبيرِ، واتَّخَذُوا المِحْرَابَ حَشًا^(١)، لعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَنُظِفَ المسجدُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وأُعِيدَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ الْإِسْلَامِيَّةِ والدَّوْلَةِ المَحْمُودِيَّةِ، وَغُسِلَتِ الصَّخْرَةُ بِالمَاءِ الطَّاهِرِ، وأُعِيدَ غَسْلُهَا بِمَاءِ الوَرْدِ الفَاخِرِ، وَأُبْرِزَتْ لِلنَّاضِرِينَ، وَقَدْ كَانَتْ مَعْمُورَةً مَشْهُورَةً مَحْجُوبَةً عَنِ الزَّائِرِينَ، وَوُضِعَ الصَّلِيبُ المَنْصُوبُ عَنْ قُبَّتَيْهَا، وَعَادَتْ إِلَى حُرْمَتَيْهَا، وَقَدْ كَانَ الْفِرْنَجُ قَطَعُوا مِنْهَا قِطْعًا فَبَاغَوْهَا إِلَى مَلُوكِ الْبُحُورِ بَزَنَتِهَا مِنَ الذَّهَبِ، فَتَعَذَّرَ اسْتِعَادَةُ مَا نَقَصَ مِنْهَا وَمَا ذَهَبَ.

وَقُبِضَ مِنَ الْفِرْنَجِ مَا كَانُوا يَذْلُوهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَأُطْلِقَ السُّلْطَانُ خَلْقًا مِنْهُمْ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ بَمَنْ مَعَهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَوَقَعَتِ الْمُسَامَحَةُ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَشُفِعَ فِي أَنْاسٍ فُغِفِي عَنْهُمْ، وَفَرَّقَ السُّلْطَانُ جَمِيعَ مَا قُبِضَ [٢٩٥/٩ هـ] مِنْهُمْ مِنَ الذَّهَبِ فِي الْعَسْكَرِ، وَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا مِمَّا يُقْتَنَى وَيُدَّخَرُ. وَكَانَ رَحِمُهُ اللَّهُ، حَلِيمًا كَرِيمًا مُقَدِّمًا شَجَاعًا رَحِيمًا، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ رَحْمَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُقِيلَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ إِلَيْهِ.

ذِكْرُ أَوَّلِ جُمُعَةٍ أُقِيمَتْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ

فَتْحِهِ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ

لَمَّا نُزَّهَ الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الصُّلْبَانِ وَالتَّوَاقِيسِ، وَالرُّهْبَانِ وَالخنَازيرِ والقَسَاقِيسِ، وَدَخَلَهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ، وَنُودِيَ بِالْأَذَانِ وَهَرَبَ الشَّيْطَانُ وَقُرِئَ الْقُرْآنُ،

(١) الْحَشُّ يَفْتَحُ الْحَاءُ : الْكَنِيفُ ، مَوْضِعُ قَضَاءِ الْحَاجَةِ . النِّهَايَةُ ٣٩٠/١ .

وطَهَّرَ الْمَكَانَ ، فَكَانَ إِقَامَةُ أَوَّلِ جُمُعَةٍ فِيهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ شَعْبَانَ ، بَعْدَ يَوْمِ الْفَتْحِ بِشَمَانٍ ، فَنُصِبَ الْمَنْبَرُ إِلَى جَانِبِ الْحِرَابِ الْمَطْهَرِ ، وَبُسِطَتِ الْبُسْطُ الرَّفِيعَةُ فِي تِلْكَ الْعِرَاصِ الْوَسِيعَةِ ، وَغُلِّقَتِ الْقَنَادِيلُ وَتُلِيَ التَّنْزِيلُ عِوَضًا عَمَّا كَانَ يُقْرَأُ مِنَ التَّحْرِيفِ فِي الْإِنْجِيلِ ، وَجَاءَ الْحَقُّ وَبَطَلَتْ تِلْكَ الْأَبَاطِيلُ ، وَصُفِّتِ السَّجَّادَاتُ وَكَثُرَتِ السَّجَّدَاتُ ، وَتَنَوَّعَتِ الْعِبَادَاتُ ، وَأُدِّيمَتِ الدَّعَوَاتُ ، وَنَزَلَتِ الْبَرَكَاتُ ، وَانْجَلَّتِ الْكُرْبَاتُ ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَوَاتُ ، وَنَطَقَ الْأَذَانُ ، وَخَرَسَ النَّاقُوسُ ، وَحَضَرَ الْمُؤَذِّنُونَ وَغَابَ الْقَسُوسُ ، وَطَابَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَاطْمَأْنَتِ النُّفُوسُ ، وَأَقْبَلَتِ الشُّعُودُ وَأَذْبَرَتِ الثُّحُوسُ ، وَحَضَرَ الْعُبَادُ وَالزُّهَادُ وَالْأَبْدَالُ وَالْأَقْطَابُ وَالْأَوْتَادُ ، وَعَبَدَ الْوَاحِدُ ، وَكَثُرَ الرَّايِغُ وَالسَّاجِدُ ، وَالْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ ، وَامْتَلَأَ الْجَامِعُ ، وَسَالَتْ لِرِقَّةِ الْقُلُوبِ الْمَدَامِغُ ، وَقَالَ النَّاسُ : هَذَا يَوْمٌ كَرِيمٌ وَفَضْلٌ عَظِيمٌ وَمَوْسَمٌ وَسِيمٌ ، وَهَذَا يَوْمٌ تُجَابُ فِيهِ الدَّعَوَاتُ وَتُصَبُّ الْبَرَكَاتُ وَتَسِيلُ الْعِبَرَاتُ وَتُقَالُ الْعَثَرَاتُ ، فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُونَ لِلصَّلَاةِ وَقَتَ الزَّوَالِ ، وَكَادَتِ الْقُلُوبُ تَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ بِتِلْكَ الْحَالِ ، وَلَمْ يَكُنِ السُّلْطَانُ إِلَى تِلْكَ السَّاعَةِ عَيْنَ خَطِيئَةٍ ، وَقَدْ تَهَيَّأَ لَهَا خَلْقٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ خَوْفًا أَنْ يُدْعَى إِلَيْهَا أَحَدُهُمْ فَلَا يَكُونُ نَجِيئًا ، فَبَرَزَ لِلخُطْبَاءِ الْمُرْسُومِ السُّلْطَانِيُّ الصَّلَاحِيُّ ، وَهُوَ فِي قُبَّةِ الصَّخْرَةِ الْعَرَاءِ ، أَنْ يَكُونَ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بَنُ الرَّكِيِّ الْيَوْمَ خَطِيئًا ، فَلَيْسَ الْخِلْعَةُ السُّودَاءُ وَصَعِدَ الْمَنْبَرُ ، وَقَدْ كَسَاهُ اللَّهُ الْبَهَاءَ ، وَأَكْرَمَهُ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى وَأَعْطَاهُ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ وَالسَّنَاءَ ، فَخَطَبَ بِالنَّاسِ خُطْبَةً عَظِيمَةً سَنِيَّةً فَصِيحَةً بَلِيغَةً ، ذَكَرَ فِيهَا شَرَفَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالتَّرغِييَاتِ ، وَمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْأَمَارَاتِ ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْحَاضِرِينَ مِنْ هَذِهِ النُّعْمَةِ الَّتِي تَعْدِلُ [٢٩٥/٩ ظ] الْكَثِيرَ مِنَ الْقُرْبَاتِ ، وَقَدْ أَوْزَدَهَا الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فِي «الرُّوضَتَيْنِ» ^(١) بِطُولِهَا ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ حِينَ تَكَلَّمَ :

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

ثم أورد تحميدات القرآن كلها، ثم قال: الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومشتدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده من ظله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمانع، والظاهر على خليفته فلا يُنازع، والأمير بما يشاء فلا يُراجع، والحاكم بما يُريد فلا يُدافع، أحمده على إطفائه وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره، وتطهيره بيته المقدس من أذناس الشرك وأوضاره، حمد من استشعر الحمد باطن سيرة وظاهر جهازه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رافع الشك وداحض الشرك، وراحض^(١) الإفك، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وغرج به منه إلى السماوات العلاء، إلى سيدة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاع البصر وما طغى، صلى الله عليه وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي الثورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك، ومكسر الأوثان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

(١) الرخص: القشل، رخص يده والإناء والثوب وغيرها يزخضها ويخضضها رخصا: غسلها. اللسان (رح ض).

ثم ذكر المؤعظة ، وهى مشتملة على تغييط الحاضرين على ما يسره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس ، الذى من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله ومآثره ، وأنه أول القبلتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تُشَدُّ الرِّحالُ بعدَ المسجدين إلا إليه ، ولا تُعَقَّدُ الخناصرُ بعدَ المؤطنتين إلا عليه ، وإليه أُسْرِىَ برسول الله ﷺ من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالملائكة المقرئين والأنبياء والرسل الكرام ، ومنه كان المِغْراجُ إلى السماوات ، ثم عادَ إليه ، ثم سارَ منه إلى المسجد الحرام على البُرَاقِ ، وهو أرضُ المَحْشَرِ والمُنْشَرِ يومَ التَّلَاقِ ، وهو مقرُّ الأنبياء ومقصدُ الأولياء ، وقد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم .

قلتُ : ويقالُ ^(١) : إنَّ الذى أُسِّسَهُ أوَّلًا يعقوبُ عليه السَّلامُ بعدَ [٢٩٦/٩هـ] أن بنى الخليلُ عليه السَّلامُ المسجدَ الحرامَ بأربعين سنةً ، كما جاء فى «الصحيحين» ^(٢) ، ثم جدَّد بناءه سليمانُ بن داودَ عليهما السَّلامُ ، كما ثبت به الحديثُ فى «المُسْنَدِ» و«السُّنَنِ» ، و«صحيح ابنِ حُرَيْمَةَ» ، وابنِ جِبَّانَ والحاكم وغيرهم ، وسأل سليمانُ عليه السَّلامُ اللهَ عندَ الفراغِ منه جَلالًا ثلاثًا ؛ حُكْمًا يصادِفُ حُكْمَهُ ، ومُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحدٍ مِن بعده ، وأنه لا يأتى أحدٌ هذا المسجدَ لا يَنْهَزهُ ^(٣) إلا الصلاةُ فيه إلا خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كيومِ وَلَدَتْهُ أمُّهُ .

وذكر الخطيبُ تمامَ الخطبتين ، ودعا للخليفة العباسيِّ ، ثم للسُّلطانِ الملكِ الناصرِ صلاح الدين ، رَحِمَهُما اللهُ تعالى ، وبعدَ الصلاةِ جَلَسَ الشيخُ زَيْنُ الدينِ أبو الحسنِ ^(٤) عليُّ بنُ نجا المِصْرِيُّ على كُرْسِيِّ الوعظِ بإذنِ السُّلطانِ ، فوعظَ

(١) تقدم فى : ٤٥٣/١ .

(٢) تقدم فى : ٣٤١/٢ .

(٣) النَّهْزُ : الدَّفْعُ ، يقالُ نَهَزْتُ الرجلَ أَنهَزهُ : إذا دفعته . اللسان (ن ه ز) .

(٤) (٤ - ٤) فى م : «بن على» .

الناس وكان وقتاً مشهوداً وحالاً محموداً، فله الحمد والمِنَّة. واستمرَّ القاضي محيى الدين بن الزكَّي يخطُبُ بالناس في أيامِ الجمعِ أربعَ جُمُعَاتٍ، ثم قرَّر السلطانُ للقدسِ خطيباً مستقراً، وأرسل إلى حلب فاستحضر الميثر الذى كان الملكُ العادلُ نور الدين محمود قد استعمله لبيت المقدس، وقد كان يؤمُّل أن يكون فتحه على يديه، فما كان إلا على يدَى بعض أتباعه بعد وفاته، رحمه الله تعالى.

نُكْتَةُ غَرِيبَةٍ

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «الروضتين»^(١): وقد تكلم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في تفسيره الأول، فقال: وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي - يعنى ابن برَّجان^(٢) - في أوَّل سورة الروم إخبار عن فتح بيت المقدس، وأنه يُنزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. قال السخاوي: ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف، وإنما أخذه فيما يزعم من قوله: ﴿الْمَغْلَبَةُ غَلَبَتِ الرُّومَ﴾^(٣) فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ^(٤) فِي يَضْعِ سِنِينَ^(٥) [الروم: ١، ٢] فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون، ثم ذكر أنهم يغلبون^(٦) في سنة كذا، ويغلبون^(٧) في سنة كذا، على

(١) الروضتين ١١٣/٢.

(٢) قال ابن خلكان: هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي، كان عبداً صالحاً، وله تفسير القرآن العظيم، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات، توفي سنة ٥٣٦هـ بمدينة مراكش. وفيات الأعيان ٢٣٦/٤ - ٢٣٧.

(٣) هذا هو الضبط الصحيح لأن ابن برَّجان اعتمد في تفسيره على القراءة الشاذة بفتح الغين من: ﴿غلبت﴾ والبناء للمجهول في الفعل: ﴿سيفلبون﴾ وانظر الروضتين ١١٣/٢.

ما تقتضيه دوائر التقدير . ثم قال : وهذه نجامة وافقت إصابة ، إن صحَّ أنه قال ذلك قبل وقوعه ، وكان في كتابه قبل حدوثه ، قال : وليس هذا من قبيل علم الحروف ، ولا من باب الكرامات ؛ لأنها لا تُتال بحساب^(١) . قال : وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو عُلم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعُلم الوقت الذي يُرفع فيه .

قلت : ابن بَرَجَان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال^(٢) : إن الملك نُور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش [٢٩٦/٩] إلى سنة ثلاث وثمانين ، لأن مولده في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، فتهدى لأسباب ذلك حتى إنه أعدَّ منبراً عظيماً لبيت المقدس إذا فتحه الله على يديه . والله أعلم .

وأما الصخرة العظيمة فإنَّ السلطان أزال ما حولها وعندها من المنكرات والصُورِ والصُّلبانِ ، وأظهرها بعد ما كانت خفيةً مشتورةً غير مرئية ، وأمر الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري أن يعمل حولها شبائيك من حديد ، ورتَّب لها إماماً

(١) هذه النكتة الغريبة والكائنة العجيبة ، والتي ساقها ابن كثير من كتاب الروضتين ، ساقها أيضاً ابن خلكان في وفياته ٢٢٩/٤ ، ٢٣٠ ولكن زاد فيها فائدة حسنة ، وهي أن القاضي محيى الدين بن الزكي خطيب الجمعة الأولى لما فتح السلطان صلاح الدين حلب أنشد قصيدة بائية قال فيها :
وَفَتَحَكَ الْقَلْعَةَ الشَّهْبَاءُ فِي صَفَرٍ مُبَشِّرٌ بَفَتْوحِ الْقُدْسِ فِي رَجَبٍ

وأنه لما سئل في ذلك ، بعد أن تحقق ما قال ، أجاب أنه أخذه من تفسير ابن بَرَجَان في أول سورة الروم . قال ابن خلكان : « ولما وفتت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أتطلب تفسير ابن بَرَجَان حتى وجدته على هذه الصورة ، لكن كان هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط غير الأصل ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به ، وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرَّره من قوله : ﴿ بضع سنين ﴾ » اهـ وعلق محقق الوفيات تعليقة تفيد أن نسخ التفسير الموجودة ألحق هذا الفصل بها في الحاشية بخط غير الأصل . فالله أعلم .

(٢) الروضتين ١١٣/٢ .

راتبًا، ووقفَ عليه رِزْقًا جيّدًا، وكذلك على إمامِ مَحْرَابِ الأَقْصَى، وعَمِلَ
لِلشَّافِعِيَّةِ المَدْرَسَةِ الصَّلَاحِيَّةِ ويُقالُ لها: الناصِرِيَّةُ. أيضًا، وكان مَوْضِعُهَا كَنِيسَةً
على صَنْدٍ^(١) حَتَّى أَى قَبْرِ حَتَّةٍ أُمِّ مَرْيَمَ، عليها السَّلامُ، ووقفَ على الصَّوْفِيَّةِ رِبَاطًا
كان دَارًا لِلتَّبَرُّكِ إِلَى جَنْبِ القُمَامَةِ، وأجرى على الفُقهاءِ والفقراءِ الجَامَعِيَّاتِ
والجرايَاتِ، وأرصدَ الحَتَمَاتِ والرَّبَعَاتِ فِي أَرْجَاءِ المَسْجِدِ الأَقْصَى، لِمَن يَقرَأُ أو
يَنظُرُ فِيهَا مِنَ المَقِيمِينَ والزَّائِرِينَ.

وَتَنَافَسَ بَنُو أُيُوبَ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الخَيْرَاتِ بِالْقُدُسِ الشَّرِيفِ لِلقَادِمِينَ
وَالظَّالِمِينَ وَالْقَاطِنِينَ، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا أَجْمَعِينَ، وَعَزَمَ السُّلْطَانُ عَلَى هَدْمِ قُمَامَةٍ
وَجَعَلَهَا دَكَّا لِنَحْسِمَ مَادَّةُ النِّصَارَى مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا
يَتْرُكُونَ الحَجَّ إِلَى هَذِهِ البَقْعَةِ، وَلَوْ تَرَكَتْهَا قَاعًا صَفْصَفًا، وَقَدْ فَتَحَ هَذِهِ البَلَدَ أَمِيرُ
المُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الخَطَّابِ وَتَرَكَ هَذِهِ الكَنِيسَةَ بِأَيْدِيهِمْ، فَلَكَ فِي ذَلِكَ أُسْوَةٌ.
فأَعْرَضَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا عَلَى حَالِهَا تَأْسِيًا بِعَمْرِ بْنِ الخَطَّابِ أَحَدِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
وَالْأُئِمَّةِ المَهْدِيِّينَ، وَلَمْ يَتْرُكْ بِهَا مِنَ النِّصَارَى سِوَى أَرْبَعَةٍ يَخْدُمُونَهَا، وَحَالَ بَيْنَ
النِّصَارَى وَبَيْنَهَا، وَهَدَمَ المَقَابِرَ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ عِنْدَ بَابِ الرِّحْمَةِ، وَعَقَّى آثَارَهَا،
وَهَدَمَ مَا كَانَ هُنَاكَ مِنَ القِبَابِ، وَعَجَّلَ دِمَارَهَا.

وَأَمَّا الأَسَارَى المَسْلُومُونَ الَّذِينَ كَانُوا بِالْقُدُسِ؛ فَإِنَّ السُّلْطَانَ أَطْلَقَهُمْ، وَأَطْلَقَ
لَهُمْ إعْطَاءَاتٍ هَنِيئَةً، وَكَسَاهُمْ خُلَلًا سَنِيئَةً، وَأَنْطَلَقَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى وَطَنِهِ، وَعَادَ
إِلَى أَهْلِهِ وَسَكْنِهِ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ عَلَى نِعَمِهِ وَمِنْتَنِهِ.

(١) فِي الأَصْلِ: «صِيد». وَالمُثَبَّتُ مُوَافِقٌ لِلرُّوَضَيْنِ ٢/٢١٤.

فصل

لَمَّا قَرَّرَ السُّلْطَانُ صَلَاحَ الدِّينِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ مَا ذَكَرْنَاهُ انْفَصَلَ عَنْهَا فِي الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، وَأَمَرَ وَلَدَهُ الْعَزِيزَ بِالرُّجُوعِ إِلَى مِصْرَ ، وَسَارَ السُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ فَقَصَدَ مَدِينَةَ صُورَ ، وَكَانَتْ قَدْ تَأَخَّرَتْ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ النُّوَاحِي ، وَقَدْ اسْتَحْوِذَ عَلَيْهَا بَعْدَ وَقْعَةِ حِطَّيْنِ رَجُلٌ مِنَ الثُّجَّارِ يُقَالُ لَهُ : الْمُرْكِيْسُ ، فَحَصَّنَهَا وَضَبَطَ أَمْرَهَا [٢٩٧/٩هـ] وَحَفَرَ حَوْلَهَا خَنْدَقًا مِّنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ ، وَجُمُهِورُهَا فِي الْبَحْرِ ، وَجَاءَ السُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ فَحَاصَرَهَا مَدَّةً ، وَاسْتَدْعَى بِالْأَسْطُولِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْبَحْرِ ، فَاحْتَاطَ بِهَا بَرًّا وَبَحْرًا ، فَعَدَّتِ الْفِرْنَجُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي عَلَى خَمْسِ شَوَانٍ ^(١) مِنَ الْأَسْطُولِ ، فَمَلَكَتْهَا وَنَكَبَتْهَا ، فَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ وَاجِمِينَ ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْبَزْدُ وَقَلَّتِ الْأَزْوَادُ ، وَكَثُرَتِ الْجِرَاحَاتُ وَكُلُّ الْأَمْرَاءِ مِنَ الْمُحَاصِرَاتِ ، فَسَأَلُوا السُّلْطَانَ أَنْ يَنْصَرِفَ بِهِمْ إِلَى دِمَشْقَ فِي هَذَا الْوَقْتِ حَتَّى يَسْتَرِيحُوا ثُمَّ يَعُودُوا إِلَيْهَا بَعْدَ هَذَا الْحَيْنِ ، فَأَجَابَهُمْ بَعْدَ تَمَنُّعٍ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنَّ الشُّورَ مِنْ صُورَ كَانَ قَدْ هُدِمَ أَكْثَرُهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفَتْخُ وَالنُّجُحُ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى دِمَشْقَ وَاجْتَازَ فِي طَرِيقِهِ عَلَى عَكَا ، وَتَفَرَّقَتِ الْعَسَاكِرُ كُلُّهَا إِلَى بَلَدِهِ وَرُشْتَاقِهِ ، مُسْتَصْحَبًا كَثْرَةً حَنِينَهُ إِلَى أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ وَاشْتِيَاقِهِ .

وَأَمَّا السُّلْطَانُ فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى عَكَا نَزَلَ بِقَلْعَتِهَا وَأَسْكَنَ وَلَدَهُ الْأَفْضَلَ بُرْجَ الدَّوَايَةِ ، وَوَلَّى نِيَابَتَهَا عَزَّ الدِّينَ جُرْدَيْكَ ^(٢) ، وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ بِتَخْرِيْبِ مَدِينَةِ عَكَا خَوْفًا مِنْ عَوْدِ الْفِرْنَجِ إِلَيْهَا ، فَكَادَ ، وَلَمْ يَفْعَلْ ، وَلَيْتَهُ فَعَلَ ، بَلْ

(١) الشُّوْنَةُ : الْمَرْكَبُ الْمَعْدَةُ لِلْجِهَادِ فِي الْبَحْرِ ، وَجَمْعُهَا شَوَانٍ . التَّاج (ش و ن) .

(٢) فِي م : « حَرْدِيل » .

وَكُلَّ بَعْمَارَتِهَا وَتَجْدِيدِ مُحَاسِنِهَا بِهَاءِ الدِّينِ قَرَأُوشَ التَّقْوَى ، وَوَقَفَ دَارَ الْإِسْتِبَارِ
نِصْفَيْنِ عَلَى الْفُقَهَاءِ وَالْفُقَرَاءِ ، وَجَعَلَ دَارَ الْأَسْقُفِ مَارِسَتَانًا وَوَقَفَ عَلَى ذَلِكَ
كُلَّهُ أَوْقَافًا دَائِرَةً ، وَوَلَّى نَظَرَ ذَلِكَ لِقَاضِيهَا جَمَالِ الدِّينِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي التَّجِيبِ ،
وَهُوَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ بَارِئُهُ مُصِيبٌ . وَلَمَّا فَرَّغَ السُّلْطَانُ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوبِ ، وَأَزَالَ
عَنِ الْمُسْلِمِينَ تِلْكَ الْكُرُوبَ ، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مُنْصُورًا ، أَبْهَجَ الْعِيُونَ وَسَرَّ
الْقُلُوبَ وَجَاءَتْهُ رِسْلُ الْمُلُوكِ بِالتَّهْنِائِي مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ بِالتَّحْفِ وَالْهِدَايَا
الَّتِي تَبْهَرُ الْأَبْصَارَ ، وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ يَعْتَبُ عَلَيْهِ فِي أَشْيَاءَ مِنْهَا ؛ أَنَّهُ بَعَثَ فِي
بِشَارَةِ الْفَتْحِ بِحِطِّينَ مَعَ شَابٍّ بَغْدَادِيٍّ كَانَ وَضِيعًا عَنْدَهُمْ ، لَا قَدْرَ لَهُ وَلَا قِيَمَةَ ،
وَأَرْسَلَ بِفَتْحِ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ مَعَ نِجَابٍ ، وَلَقَّبَ نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ مُضَاهَاةً
لِلْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ ، فَتَلَقَّى الرَّسُولَ بِالْبِشْرِ وَاللُّطْفِ ، وَلَمْ يُظْهِرْ لَهُ إِلَّا السَّمْعَ
وَالطَّاعَةَ ، وَأَرْسَلَ يَعْتَذِرُ مِمَّا وَقَعَ بِأَنَّ الْحَرْبَ كَانَتْ قَدْ شَغَلَتْهُ عَنِ التَّرَوُّي فِي كَثِيرٍ
مِنَ الْأُمُورِ ، وَأَمَّا لَقْبُهُ بِالنَّاصِرِ فَهُوَ مِنْ أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْمُشْتَضِيِّ ، وَمَعَ هَذَا فَمَهْمَا
لَقَّبْنِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ الَّذِي لَا يُعْدَلُ عَنْهُ ، وَتَأَدَّبَ مَعَ الْخَلِيفَةِ غَايَةَ الْأَدَبِ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بِلَادِ الْهِنْدِ بَيْنَ الْمَلِكِ شِهَابِ الدِّينِ
الْغُورِيِّ صَاحِبِ غَزْنَةَ ، وَبَيْنَ مَلِكِ الْهِنْدِ الْكَبِيرِ ، فَأَقْبَلَتِ الْهُنُودُ فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْجُنُودِ [٢٩٧/٩ ظ] ، وَمَعَهُمْ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ فِيلًا ، فَانْهَزَمَتْ مِيمَنَةُ الْمُسْلِمِينَ
وَمِيسَرَتُهُمْ ، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ : انْجُ بِنَفْسِكَ . فَمَا زَادَهُ إِلَّا إِقْدَامًا ، فَحَمَلَ عَلَى الْفِيلَةِ
فَجَرَحَ بَعْضَهَا - وَجُرُحُ الْفِيلِ لَا يَنْدَمِلُ - فَرَمَاهُ بَعْضُ الْفِيلَةِ بِحَرْبَةٍ فِي سَاعِدِهِ
فَخَرَجَتْ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ فَخَرَّ صَرِيحًا ، فَحَمَلَتِ الْهِنْدُ عَلَيْهِ لِأَخْذِهِ ، فَجَاحَفَ
عَنْهُ أَصْحَابُهُ لِيَحْمُوهُ ، فَجَرَتْ عَنْهُ حَرْبٌ لَمْ يُسْمَعْ بِشِدَّتِهَا فِي مَوْقِفٍ ، فَغَلَبَ

المسلمون فخلَّصوا ملكهم واحتملوه على كواهلهم في مَحْفَةٍ عشرين فرسخًا ،
وقد نَزَفَهُ^(١) الدَّمُ ، فلمَّا تراجع إليه جيشُه أخذ في تَأْنِيْبِ الأَمْرَاءِ ، وحَلَفَ لِيَأْكُلَنَّ
كُلُّ أَمِيرٍ عَليقَةَ فَرَسِهِ ، وما أَدْخَلَهُمْ غَزَنَةً إِلَّا مُشَاةً حَفَاةً .

وفى هذه السنة ولدت امرأة من سوادِ بغدادَ بنتًا لها أسنانٌ .

وفيها^(٢) قتل الخليفة الناصرُ أستاذَ دارِهِ أبا الفضلِ بنَ الصاحبِ ، وكان قد
استَحَوَذَ على الأمورِ ولم يَتَّقِ للخليفةِ معه كلمةً ، ومع هذا كان عَفِيفًا عَنِ
الأموالِ ، جيّدَ السَّيرَةِ ، فأخذ منه الخليفةُ شيئًا كثيرًا من الحواصلِ والأموالِ .

وفيها استَوَزَرَ الخليفةُ أبا المظفَّرِ^(٣) عبيدَ اللَّهِ^(٣) بنَ يونسَ ولقبه جلالَ الدينِ ،
ومشَى أهلُ الدولةِ في رِكايبِهِ حتى قاضى القضاةُ أبو الحسنِ بنُ الدامغانى ، وقد
كان ابنُ يُونسَ هذا شَاهِدًا عنده ، فكان القاضى يقولُ ، وهو يُمِشِي^(٤) : لَعَنَ اللَّهُ
طولَ العمرِ . فماتَ القاضى فى آخرِ هذه السَنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ، وقد حَكَمَ فى
أيامِ عِدَةٍ مِنَ الخلفاءِ وهو مِن بيته^(٥) .

وَمَنْ تُوْفِيَ فى هذه السَنَةِ - أعنى سَنَةَ ثَلاثٍ وثمانين - من الأعيانِ :

(١) نزفه الدم : أجهده وأضعفه بكثرة خروجه منه . وانظر اللسان (ن ز ف) .

(٢) الكامل ٥٦٢/١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٥ .

(٣ - ٣) سقط من م ، وفى الأصل ، ص : « عبد الله » والمثبت من الكامل ٥٦٢/١١ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٦ .

(٤) الكامل ٥٦٢/١١ .

(٥) يقصد أنه كان على ولاية القضاء حتى وهو مُقْضَى فى بيته ، وقد كان هذا القاضى يقول : أنا على
ولايتى ، وكل القضاة نوابى لأن القاضى إذا لم يظهر فسقه لا يجوز عزله ... الجواهر المضية ٥٣٩/٢ .

الشيخ عبد المغيث بن زهير الحزبي^(١) كان من صلحاء الحنابلة، وكان يُزار، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية، أتى فيه بغرائب وعجائب، وقد ردّ عليه أبو الفرج ابن الجوزي في هذا الكتاب، فأجاد وأصاب، ومن أحسن ما اتفق لعبد المغيث هذا أن بعض الخلفاء - وأظنه الناصر - جاءه للزيارة مخفياً، فعرفه الشيخ ولم يعلمه أنه قد عرفه، فسأله الخليفة عن يزيد أُلعن أم لا؟ فقال: لا أسوِّغُ لعنه؛ لأنّي لو فتحتُ هذا الباب للعن الناس خليفتنا. قال: ولم؟ قال: لأنّه يفعل أشياء مُنكرة كثيرة، منها كذا وكذا. ثم شرع يعدّد على الخليفة، ما يقع منه من المنكرات لينزجر عنها، فتركه الخليفة، وخرج من عنده وقد أثر كلامه له فيه، ثم كانت وفاته في المحرم من هذه السنة، رحمه الله.

وفيها تُوفّي الشيخ علي بن خطّاب [٢٩٨/٩] بن ظفر^(٢) العابد الناسك، أحد الزهاد وذوى الكرامات، وكان مقامه بجزيرة ابن عمر. قال ابن الأثير في «الكامل»^(٣): ولم أر مثله في حُسن خلقه وسمّته وكرمه وعبادته، رحمه الله.

الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدّم^(٤) أحد نواب الملك الناصر صلاح الدين، لما فُتح بيت المقدس أُحرّم جماعة في زمن الحجّ منه إلى المسجد الحرام، فكان أمير الحاجّ تلك السنة، فلمّا كان بعرفة ضرب الدبادب

(١) الكامل ٥٦٢/١١ (وفيه الحرى)، والتقييد ص ٣٨٨، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ٢/١٦، وسير أعلام النبلاء ١٥٩/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٥٥، وذيل طبقات الحنابلة ٣٥٤/١.

(٢) في م: «خلف». وانظر ترجمته في الكامل ٥٦٣/١١.

(٣) الكامل الموضع السابق.

(٤) الروضتين ١٢٣/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٦١، والعبر ٤/٢٥٠، والوافي بالوفيات ٣٩/٤، ومرآة الجنان ٤٢٦/٣، والنجوم الزاهرة ١٠٥/٦.

ونشر الألوية ، وأظهر عزَّ السلطان صلاح الدين ، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة ، فزجره عن ذلك فلم يسمع ، فافتلأ فجرح ابن مقدم ، ومات في اليوم الثاني بمئى ، رحمه الله ، ودفن هنالك ، وجرت خطوب كثيرة ، ولیم طاشتكين على ما فعل ، وغزل عن منصبه .

محمد بن عبيد الله بن عبد الله ، سبط ابن التعاويذى الشاعر^(١) ، أضرَّ في آخر عمره وقد جاوز الستين سنة ، وكانت وفاته - رحمه الله - فى شوال من هذه السنة .

وفى خامس رمضان تُوفى الفقيه أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطير الحنبلى المعروف بابن المنئى^(٢) ، وكان زاهداً عابداً ، مولده سنة إحدى وخمسمائة ، وممن تفقه عليه من المشاهير الشيخ موفق الدين بن قدامة ، والحافظ عبد الغنى ، ومحمد ابن خلف بن راجح ، والناصح عبد الرحمن بن النجم^(٣) بن عبد الوهاب الحنبلى ، وعبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر وغيرهم .

وفىها تُوفى قاضى القضاة ببغداد أبو الحسن بن الدامغانى^(٤) وقد حكم فى أيام المُقتفى ثم المُستجيد ، ثم غزل وأعيد فى أيام المُستضىء ، وحكم للناصر حتى تُوفى فى هذه السنة ، رحمه الله .

(١) الروضتين ١٢٣/٢ ، ووفيات الأعيان ٤٦٦/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٧٥/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٩٥ ، ومرآة الجنان ٤٢٩/٣ ، والنجوم الزاهرة ١٠٥/٦ .
(٢) الكامل ٥٦٣/١١ ، والعبر ٢٥١/٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٣٧/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٦٦ ، وذيل طبقات الحنابلة ٣٥٨/١ ، والنجوم الزاهرة ١٠٦/٦ .
(٣) فى م : « المنجم » .

(٤) الكامل ٥٦٣/١١ ، والعبر ٢٤٩/٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٥٧ ، والنجوم الزاهرة ١٠٤/٦ ، والجواهر المضية ٥٣٨/٢ .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

فى محرّمها^(١) حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب^(٢) فرآه منيعاً صعباً، ووقته مشغولٌ بغيره، فوكل به الأمير قايمار النجمي في خمسمائة فارس يضيقون عليه المسالك، وكذلك وكل بصفد - وكانت للداوية - خمسمائة فارس مع طغرل الجاندار^(٣) يمتعون وصول الميرة والتقاوى، وبعث إلى الكرك والشوبك جيشاً آخر يحاصرونه ويضيقون على أهله، ليتفرغ من أموره لقتال هذه الأماكن وحصارها.

وكان دخول السلطان إلى دمشق من هذه الغزاة في ربيع الأول، ففرح به المسلمون ودقت البشائر وزين البلد، ووجد الصفى بن القابض وكيل الخزانة قد بنى للملك داراً بالقلعة هائلة مطلة على الشرف القبلى، فغضب عليه وعزله من وظيفته، [٢٩٨/٩ ظ] وقال: إننا لم نخلق للمقام بدمشق، وإنما خلقنا للعبادة والجهاد^(٤).

وجلس السلطان بدار العدل فحضر عنده القضاة وأهل الفضل، وزار القاضى الفاضل فى بُستانه على الشرف فى جوسق ابن الفراش، وحكى له ما

(١) الكامل ٥/١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٣١.

(٢) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية. معجم البلدان ٣٢٨/٤.

(٣) فى الأصل: «الخاندار» وفى م: «الجامدار» والمثبت موافق لما فى الروضتين ١٢٤/٢، والجاندار:

الذى يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان. صبح الأعشى ٢٠/٤.

(٤) بعده فى م: «فى سبيله»، وهذا الذى عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له.

كان من الأمور، واستشاره فيما يفعله في المستقبل من المهّات والغزوات، ثم خرج من دمشق في جيوشه، فسلك على جبل نبوس^(١)، ودخل البقاع وخيم على بعلبك، وسار إلى حمص وجاءته عساكر الجزيرة وهو على العاصي^(٢)، فسار إلى السواحل الشامية، ففتح أنطوطوس وغيرها من الحصون، وفتح جبلة واللاذقية، وكانت من أحسن المدن عمارة ورخاءاً ومخالاً، وفتح صهيون وبكاس والشعر؛ وهما قلعتان على العاصي حصينتان، فتحهما عنوة، وفتح حصن بززيه؛ وهي قلعة عظيمة على شاهق جبل عالٍ منيع، تحتها أودية عميقة يضرب المثل بحصانيتها في سائر بلاد الفرج والمسلمين، فحاصرها أشد حصارٍ وركب عليها المجانيق الكبار، وفرّق الجيش ثلاث فرق، كل فريق يلون القتال، فإذا كلوا وتعبوا خلفهم الآخرون، حتى لا يزال القتال مستمراً ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً، فكان فتحها في نوبة السلطان، فأخذها عنوة في أيام معدودات، ونهب جميع ما فيها واشتول على حواصلها وأموالها، وقتل حمايتها ورجالها، وسبى ذرائعها وأطفالها، ثم عدل عنها ففتح حصن دريساك وحصن بغراس^(٣)، كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم ويسلم، والله الحمد.

ثم سمّت همته العالية إلى فتح أنطاكية؛ وذلك لأنه أهلك ما حولها من القرى، واستظهر عليها بكثرة الجنود، فراسله صاحب أنطاكية يطلب منه الهدنة على أن يطلق من عنده من أسارى المسلمين، فأجابته السلطان إلى ذلك لعلمه

(١) في ص: «سوس»، وفي م: «بيوس». والمثبت موافق لما في الروضتين ١٢٥/٢.

(٢) العاصي: اسم نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس مخرجه من بحيرة قدس ومصبه في البحر قرب أنطاكية. معجم البلدان ٥٨٨/٣.

(٣) بغراس: مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ. معجم البلدان ٦٩٣/١.

بضجرٍ مَنْ معه مِنَ المقاتلةِ والأعوانِ ، فوَقَّعتِ الهدنةُ على سبعةِ أشهرٍ ؛ ومقصودُ
السلطانِ أَنْ تشتريخَ الجيوشَ مِنْ تَعَبِها ، وتَجْمُ النفوسَ مِنْ نَصَبِها ، وأرسلَ
السلطانُ إِلَيْه مَنْ تسلَّم مِنْه الأسارى وقد ذلَّتْ دولةُ النصارى .

ثم سارَ السلطانُ فسأله ولدهُ الظاهرُ أَنْ يجتازَ بحلبَ فأجابَه إلى ما طلبَ ،
فنزلَ بقلعتها ثلاثَ ليالٍ ثم جدَّد العزمَ والترحالَ ، فاستقدَّمه ابنُ أخيه تقيُّ الدينِ
إلى حَمَاة فنزلَ بقلعتها ليلةً ، كانت مِنْ أكبرِ مقاصدهِ ومناه ، وأقطعه تلكَ الليلةَ
جَبَلَةً واللادِيقَةَ ، ثم سارَ فنزلَ بقلعةِ بَغْلَبَكْ ، ودخلَ إلى حَمَّامِها ، ثم عادَ إلى
دِمَشقَ مؤيدًا منصورًا مسرورًا محبوبًا ، وذلكَ فى أوائلِ رمضانَ ، وكان يومًا
مشهودًا ومقدمًا محمودًا [٢٩٩/٩هـ] ، وجاءتهُ البشائرُ بفتحِ الكركِ على المسلمينَ ،
الذين كانوا له محاصرينَ ، وأراحَ اللهُ تلكَ الناحيةَ ، وسَهَّلَ حَزَنَها^(١) على
السَّالِكِينَ مِنَ التجارِ والحُجَّاجِ والغَزاةِ والمُعتمرينَ ﴿ فَفُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [الأنعام : ٤٥] .

فصل فى صفةِ فتحِ صَفَدَ وحِصْنِ كوكبَ

لم يُقيمِ السلطانُ بدِمَشقَ إلا أيامًا معدودةً حتى خرجَ بجيشه قاصِدًا بلادَ
صَفَدَ ، فنازلَها فى العشرِ الأوسطِ مِنْ رمضانَ ، وحاصرها بالمنجنِقاتِ
والشجعانِ ، وكان البردُ شديدًا يصبُحُ الماءُ فيه جليدًا ، فما زالَ حتى فتحها صلحًا
فى ثامنِ شَوَّالٍ ، وللهِ الحمدُ على كلِّ حالٍ .

(١) الحزنُ مِنَ الأرضِ : ما غلظَ .

ثم سار إلى صُورَ فَأَلَقَتْ إِلَيْهِ بَقِيادِهَا ، وَتَبَرَّأَتْ مِنْ نَاصِرِيهَا وَقُوَادِهَا ،
وَتَحَقَّقَتْ - لَمَّا فُتِحَتْ صَفَدُ - أَنَّهَا مَقْرُونَةٌ بِأَصْفَادِهَا .

ثم سارَ منها إلى حِصْنِ كوكب - وهى معقل^(١) الإستباريَّة كما أنَّ صَفَدَ
كانت معقلَ الداويَّة - وكانوا أَبْعَضَ أَجْناسِ الْفِرْنَجِ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ
الدينِ ، الذى لا يَكَادُ يتركُ منهم أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ ؛ إِذَا وَقَعَ فى المَأْسُورِينَ . فحاصر
قلعةَ كوكبَ حتى قَهَرَهَا ، وَقَتَلَ مَقَاتِلَتَهَا وَأَسْرَهَا وَأَرَاخَ المَارَّةَ مِنْ شَرِّ سَاكِنِيهَا ،
وَتَمَهَّدَتْ تِلْكَ السَّوَاجِلُ وَاسْتَقَرَّ بِهَا مَنَازِلُ قَاطِنِيهَا . هَذَا وَالسَّمَاءُ تَصُبُّ ، وَالرِّيحُ
تَهْبُ ، وَالسَّيُولُ تَعْبُ ، وَالْأَرْجُلُ فى الأَوْحَالِ تَحْبُ ، وَالسُّلْطَانُ فى كُلِّ ذَلِكَ
صَابِرٌ مُصَابِرٌ مُحْتَسِبٌ ، وَكَانَ الْقَاضِى الْفَاضِلُ مَعَهُ فى هَذِهِ المَوَاقِفِ شَاهِدًا
وَمُرْتَقِبًا ، وَكَتَبَ الْقَاضِى الْفَاضِلُ عَنِ السُّلْطَانِ إِلَى أَخِيهِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ صَاحِبِ
الْيَمَنِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى الشَّامِ لِنُصْرَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَقَتْلِ الْكَفَرَةِ اللَّثَامِ ، فَإِنَّهُ قَدْ عَزَمَ
عَلَى حِصَارِ أَنْطَاكِيَّةَ ، وَيَكُونُ تَقِيُّ الدِّينِ عَمْرٌ مُحَاصِرًا لَطَرَابُلُسَ إِذَا انْسَلَخَ هَذَا
الْعَامُ . ثُمَّ عَزَمَ الْقَاضِى الْفَاضِلُ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَسَارَ السُّلْطَانُ
مَعَهُ لَتَوْدِيْعِهِ ثُمَّ عَدَلَ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، فَصَلَّى فِيهِ الْجُمُعَةَ ، وَعَيَّدَ فِيهِ عِيدَ
الْأَضْحَى بِالصَّخْرَةِ مِنَ الْأَقْصَى ، ثُمَّ سَارَ وَمَعَهُ أَخُوهُ الْعَادِلُ إِلَى عَشْقَلَانَ ، ثُمَّ
أَقْطَعَ أَخَاهُ الْكَرَكَ عَوْضًا عَنْ عَشْقَلَانَ ، وَأَمَرَهُ بِالْإِنْصِرَافِ لِيَكُونَ عَوْنًا لِابْنِهِ الْعَزِيزِ
عَلَى حَوَادِثِ الزَّمَانِ ، وَعَادَ السُّلْطَانُ فَأَقَامَ بِمَدِينَةِ عَمَّا حَتَّى انْسَلَخَتْ هَذِهِ السَّنَةُ .

وفى هذه السنة خرجت طائفة من [٢٩٩/٩ ظ] الرافضة بمصر يريدون أن
يعيدوا دولة الفاطميين ، واغتنموا غيبة العادل عن مصر ، واستخفوا أمر العزيز

(١) فى الأصل ، ص : « معدن » .

عُثْمَانُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ ، فَبَعَثُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَنَادُونَ فِي اللَّيْلِ : يَا لَعْلَى ، يَا لَعْلَى . بَنَاءً عَلَى أَنَّ الْعَامَّةَ تَجِيئُهُمْ إِلَى مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَلْتَقِ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ ، وَلَا مَنَعَهُمْ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ انْهَزَمُوا فَأَذْرَكُوا وَأَخَذُوا وَقِيدُوا وَحُبِسُوا ، وَلَمَّا بَلَغَ أَمْرُهُمْ إِلَى السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ سَاءَ ذَلِكَ وَاهْتَمَّ لَهُ ، وَكَانَ الْفَاضِلُ عِنْدَهُ بَعْدَ لَمْ يَفَارِقْهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ تَفْرَحَ وَلَا تَحْزَنَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُضْغِ إِلَى دَعْوَةِ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةِ أَحَدٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَلَا التَّفْتُوا إِلَيْهِمْ ، فَلَوْ أَنَّكَ بَعَثْتَ مِنْ قَبْلِكَ جَوَاسِيسَ يَخْتَبِرُونَ رَعِيَّتَكَ لَسَرَّكَ مَا يَلُغُكَ عَنْهُمْ . فَسَرَى ذَلِكَ عَنْهُ ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْلِهِ ، وَلِهَذَا أَرْسَلَهُ إِلَى مِصْرَ ؛ لِيَكُونَ لَهُ عَيْنًا وَعَوْنًا وَمَعِينًا .

وَمَنْ تُوفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَغْيَانِ :

الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ سُلَالَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ الشَّيْزَرِيُّ ، مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَارِثِ وَأَبُو الْمُظَفَّرِ ، أَسَامَةُ بْنُ مُرْشِدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُقَلَّدِ بْنِ نَضْرٍ بْنِ مُنْقِذٍ^(١) ، أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، وَالْأَمْرَاءِ الْمَشْكُورِينَ ، بَلَغَ مِنَ الْعَمْرِ سِتًّا وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ عَمْرُهُ تَارِيخًا مُسْتَقْلًا وَحَدَهُ ، وَكَانَتْ دَارُهُ بِدِمَشْقَ مَعْقَلًا لِلْفُضَلَاءِ وَمَنْزِلًا لِلْعُلَمَاءِ ، وَلَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ الرَّائِقَةِ وَالْمَعَانِي الْفَائِقَةِ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، وَلَدِيهِ عِلْمٌ غَزِيرٌ ، وَعِنْدَهُ جُودٌ وَفَضْلٌ كَبِيرٌ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ مُلُوكِ شَيْزَرَ ، ثُمَّ أَقَامَ بِدْيَارِ مِصْرَ مَدَّةً فِي أَيَّامِ الْفَاطِمِيِّينَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الشَّامِ ، وَقَدِمَ عَلَى الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ - فِي سَنَةِ سَبْعِينَ - دِمَشْقَ ، وَأَنْشَدَهُ :

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٤٩٨/١، والروشتين ١٣٧/٢، ووفيات الأغنياء ١٩٥/١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٥٨/٤، وسير أعلام النبلاء ١٦٥/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٧٠.

حَمِدْتُ عَلَى طُولِ عَمْرِي الْمَشِيئَا وَإِنْ كُنْتُ أَكْثَرْتُ فِيهِ الذُّنُوبَا
لَأَنْتَى حَيْثُ إِلَى أَنْ لَقِيَا تَ بَعْدَ الْعَدُوِّ صَدِيقًا حَبِيبَا
وَلَهُ فِي سِنِّ قَلْعِهَا فَفَقَدَ نَفْعُهَا^(١) :

وَصَاحِبٍ لَا أَمَلُ الدَّهْرَ صُحْبَتُهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعَى مُجْتَهِدٍ
لَمْ أَلْقَهُ مَذً تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاظِرِي افْتَرَقْنَا فُرْقَةً الْأَبَدِ

وله ديوانٌ شعرٍ كبيرٌ، وكان صلاح الدين يفضُّله على سائر الدواوين .
وقد كان مولده في سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة ، وكان في شبيبته شهماً
شجاعاً فاتكاً ، قتل الأسدَ مُواجهَةً وحده ، ثم عُمِّرَ إلى أَنْ تُوَفِّيَ في هذه السنة ،
قال ابنُ خَلِّكَانَ^(٢) : [٣٠٠ / ٩] ليلةَ الثلاثاءِ الثالثِ والعشرينَ من رمضانَ ، ودُفِنَ
شرقيَّ جبلِ قاسيُون . قال : وزُرْتُ قَبْرَهُ وقرأتُ عنده وأهديتُ له ، رحمه الله
تعالى .

ومما أنشده له قوله^(٣) :

لَا تَسْتَعِزْ جَلْدًا عَلَى هَجْرَانِهِمْ فَقَوَاكَ تَضَعُفُ عَنْ صُدُودٍ دَائِمٍ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ طَوْعًا وَلَا عُذْتُ عَوْدَةً رَاغِمٍ
وقوله^(٤) في قتل الأسدِ وكَبْرِهِ :

فَاغْجَبْ لَضَعْفِ يَدِي عَنْ حَمْلِهَا قَلَمًا مِنْ بَعْدِ حَطْمِ الْقَنَا فِي لَبَّةِ الْأَسَدِ

(١) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٤٩٩/١ .

(٢) وفيات الأعيان ١٩٩/١ .

(٣) المصدر السابق ١٩٦/١ ، والبيتان في ديوان أسامة بن منقذ ص ٤٢ .

(٤) وفيات الأعيان ١٩٧/١ ، وسير أعلام النبلاء ١٦٧/٢١ .

وَقُلْ لِمَنْ يَتَمَنَّى طُولَ مَدَّتِهِ هَذِي عَوَاقِبُ طُولِ الْعُمْرِ وَالْمُدَدِ
قال ابن الأثير^(١) : وفي هذه السنة توفى شيخنا أبو محمد عبد الله بن علي
ابن عبد الله بن سويدة الشكري^(٢) ، كان عالماً بالحديث ، وله تصانيف حسنة .
رحمه الله تعالى .

قال الشيخ شهاب الدين^(٣) : وفيها توفى الحافظ أبو بكر محمد بن موسى
ابن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني^(٤) ، صاحب التصانيف ، على
صغر سنّه ، منها « العجالة » في النسب ، و « الناسخ والمنسوخ » في الحديث
وغيرهما . ومولده سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة ، وتوفى في الثامن
والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة .

(١) الكامل ٢٦/١٢ .

(٢) المصدر السابق ٢٦/١٢ ، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٥٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٨٣ ، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/٥٧ .

(٣) الروضتين ٢/١٣٧ .

(٤) وفيات الأعيان ٤/٢٩٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/١٦٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ١٩٨ ، والمعين في طبقات المحدثين ص ١٨٠ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/١٣ .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

فيها^(١) قدِمَ من جهة الخليفة رُسُلٌ إلى السلطان يعلمونه بولاية العهد لأبى نصر محمد الملقَّب بالظاهر بن الخليفة الناصر، فأمر السلطان خطيب دِمَشْقَ أبا القاسم عبد الملك بن زَيْد الدُّوَلَعِيَّ بالدعاء له، ثم جهَّز السلطان مع الرُّسُلِ تُحَفًا عظيمةً، وهدايا سنيَّةً، وأرسل بأسارى من الفِرْنَجِ على هَيْئَتِهِمْ فى حالِ حَرْبِهِمْ، وأرسل بصليب الصِّلُوبِ فدُفِنَ تحت عتَبَةِ بابِ النُّوَى، من دارِ الخلافةِ، فكان بالأقدامِ يُداسُ، بعدما كان يعظَّمُ ويُباسُ، وصار يُنصَقُ عليه بعدما كان يُسجَدُ إليه، والصحيحُ أنَّ هذا الصليب إنما هو الذى كان منصوبًا على قُبَّةِ الصَّخْرَةِ، وكان من نُحاسٍ مطليًا بالذهب، وقد انحطَّ إلى أسفلِ الرُّتَبِ^(٢).

قصة عكا وما كان من أمرها^(٣)

لما كان شهرُ رَجَبٍ اجتمعَ من كان بضوَرٍ من الفِرْنَجِ وساروا إلى مدينةِ عكا، فأحاطوا بها يحاصرونها، فتحصَّنَ من فيها من المسلمين، وأعدُّوا للحصارِ ما يحتاجون إليه، وبلغَ السلطانَ خبرُهم فسارَ إليهم من دِمَشْقَ مُسرِّعًا، فوجدَهم

(١) الكامل ٤٢/١٢، والروضتين ١٣٩/٢.

(٢) فى م: «العتب».

(٣) الكامل ٣٢/١٢، والروضتين ١٤٢/٢.

قد أحاطوا بها ، كإحاطة الخاتم بالخنصر ، فلم يزل يُدافعهم عنها ويمانعهم منها ، حتى جعل طريقاً إلى باب [٣٠٠/٩ ظ] القلعة يصل إليه كل من أرادَه ، من جُنْدِيٍّ وسوقيٍّ ، وامرأةٍ وصبيٍّ ، ثم أولج فيها ما أرادَ من آلاتٍ وأمتعةٍ ، ومقاتلةٍ ، ودخل بنفسه الكريمة ، فعلا سورَها ونظر إلى الفرنج وجيشهم وكثرة عددهم وعددهم ، والميرة تُقدِّ إليهم من البحر في كل وقت ، وكل ما لهم في ازديادٍ ، وفي كل حين تصل إليهم الأمدادُ ، وعادَ السلطانُ إلى مُخَيَّمِهِ والجنودُ تصل إليه ، وتقدم عليه من كل جهةٍ ومكانٍ ، منهم رجالةٌ وفُرسانٌ .

وقعة مرج عكا

ثم برزت الفرنج في نحوٍ من ألفي فارسٍ وثلاثين ألفَ راجلٍ في العشرِ الأخيرِ من شعبان ، فبرز إليهم السلطانُ فيمن معه من السادةِ الشجعانِ ، فافتتلوا بمِزَجٍ عكاً قتالاً عظيماً ، وهُزِمَ جماعةٌ من المسلمين في أوّلِ النهارِ ، ثم كانت الكرةُ على الفرنج في آخره ، ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] . فقتل من المسلمين قريبُ المائتين ، وأما الفرنج فكانت القتلى منهم أزيدَ من سبعةِ آلافٍ قتيلٍ ، ولما تمت هذه الوقعةُ تحوّلَ السلطانُ من مكانه الأولِ إلى موضعٍ بعيدٍ من رائحةِ القتلى ، خوفاً من الوَحْمِ والأذى ؛ ليستريحَ الحَيَالَةُ والحَيْلُ ، ولم يعلمْ أنَّ ذلك كان من أكبرِ المصالحِ للعدوّ المخذولِ ، فإنهم اعتنموا هذه الفترةَ ، فحفروا حولَ مُخَيَّمِهِمْ خندقاً لجميعِ جيشهم من البحرِ إلى البحرِ مُحَدِّقاً ، واتخذوا من ثرابه سوراً شاهقاً ، وجعلوا له أبواباً يخرجونَ منها إذا أرادوا ، وتمكّنوا في منزلهم ذلك الذي له اختاروا وارتادوا ، وتفارطَ الأمرُ ، وقوى الخطبُ ، وصارَ الداءُ عُضالاً ، وازدادَ الحالُ وبئالاً ، وكان رأى السلطانِ أن يُناجزوا بعدَ الكرةِ سريعاً ،

ولا يُتْرَكُوا حتى يطيب ريح البحر فتأتيهم الأمداد من كل صوب هريعا^(١) ، فاعتذر الأمراء إليه بالملال والضجر ، وكلّ لأمر الفرج قد اختقر ، ولم يدّر ما قد حُتِمَ في القدر ، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك يستنفر ويستنصر ، وكتب إلى الخليفة بالبت ، وبتّ الكتب بالتخفيض والحث ، فجاءته الأمداد جماعات وأحادا ، وأرسل إلى مضر يطلب أخاه العادل ، فقدم عليه ، ويستعجل الأسطول ، فوصل إليه في خمسين قطعة في البحر مع الأمير حسام الدين لؤلؤ ، فحين وصل الأسطول حادث مراكب الفرج يمتة ويشرة ، وخافت كلها منه ، واتصلت بالبلد الميرة والعدد والغدد ، [٣٠١/٩] وأنشروحت الصدور بعد الضيق والكمد ، وأنسلخت هذه السنة والحال على ما هو عليه ، ولا ملجأ من الله تعالى إلا إليه . والله أعلم بالصواب .

ومن توفي فيها من الأعيان :

القاضي شرف الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عَصْرُون^(٢) ، أحد أئمة الشافعية ، له كتاب « الانتصار » ، وقد ولي قضاء القضاة بدمشق ، ثم أضرّ قبل موته بعشر سنين ، فجعل ولده محيي^(٣) الدين مكانه تطيبا لقلبه ، وبلغ القاضي شرف الدين ثلاثا وتسعين سنة ونصفا ، ودفن بالمدرسة العَصْرُونِيَّة ، التي أنشأها غريي سويقة باب البريد ، قبالة داره ، بينهما عرض الطريق ، وكان من الصالحين والعلماء العاملين ، رحمه الله . وقد ذكره القاضي

(١) أي سريعا .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٢٠٠ / ١ ، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣٥١ / ٢ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٥٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٥ / ٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢١٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٣٢ / ٧ .

(٣) في م : « نجم » .

ابنُ خَلْكَانَ فقال^(١) : أصله من حَدِيثَةِ الْمُؤَصِّلِ ، ورَحَلَ في طَلَبِ الْعِلْمِ إلى بُلْدَانِ شَتَّى ، وأَخَذَ عن أَشْعَدَ الْمِيهَنِيِّ وأَبَى عَلِيٍّ الْفَارِقِيِّ وجماعة ، وَوَلَّى قَضَاءَ سِنْجَارَ وَحَرَّانَ ، وِباشَرَ في أَيَّامِ نُورِ الدِّينِ تَدْرِيسَ الْعَرَّالِيَّةِ ، ثم انْتَقَلَ إلى حَلَبَ ، فَبَنَى لَهُ نُورُ الدِّينِ مَدْرَسَةً بِحَلَبَ وَبِحِمَصَ أَيْضًا ، ثم قَدِمَ دِمَشْقَ في أَيَّامِ صَلَاحِ الدِّينِ ، فَوَلَّى قَضَاءَهَا في سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ إلى أَنْ تُوُفِّيَ في هَذِهِ السَّنَةِ ، وَقَدْ جَمَعَ جُزْءًا في قَضَاءِ الْأَعْمَى ، وَأَنَّهُ جَائِزٌ ؛ وَهُوَ خِلَافُ الْمَذْهَبِ ، لَكِنْ حَكَاهُ صَاحِبُ «الْبَيَانِ» وَجَّهًا لِبَعْضِ الْأَصْحَابِ . قَالَ^(٢) : وَلَمْ أَرَهُ في غَيْرِهِ . وَقَدْ صَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً ، مِنْهَا : «صِفْوَةُ الْمَذْهَبِ في نَهَايَةِ الْمَطْلَبِ» في سَبْعِ مَجْلَدَاتٍ ، و«الْإِنْتِصَارُ» في أَرْبَعٍ ، و«الْخِلَافُ» في أَرْبَعٍ ، و«الذَّرِيعَةُ في مَعْرِفَةِ الشَّرِيعَةِ» ، و«الْمَرْشِدُ» ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَكِتَابًا سَمَّاهُ «مَأْخَذَ النِّظَرِ» ، وَمُخْتَصَرًا في الْفَرَائِضِ وَغَيْرِهَا ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٣) في «تَارِيخِهِ» ، وَالْعِمَادُ فَائِضِيُّ عَلَيْهِ^(٤) ، وَكَذَلِكَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ^(٥) .

وَأُورِدَ لَهُ الْعِمَادُ أَشْعَارًا كَثِيرَةً ، وَمِمَّا أوردَهُ ابْنُ خَلْكَانَ عَنْهُ قَوْلُهُ^(٦) :

أُوْمِّلُ أَنْ أَحْيَا وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِي الْمَوْتَى تُهْزُ نَعْوُشُهَا
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّ لِي بَقَايَا لِيَالٍ فِي الزَّمَانِ أَعِيشُهَا

(١) وفيات الأعيان ٥٣/٣.

(٢) المصدر السابق ٥٤/٣.

(٣) انظر المصدر السابق .

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣٥١/٢.

(٥) وفيات الأعيان ٥٥/٣.

(٦) المصدر السابق .

[٣٠١/٩] أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان ، أبو العباس^(١) ، المعروف بابن أفضل الزمان ، قال ابن الأثير^(٢) : كان عالماً مُتبحِّراً في علوم كثيرة من الفقه ، والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك ، وقد جاور بمكة وأقام بها إلى أن مات بها ، وكان من أحسن الناس صُحبةً وخلُقاً .

الفقيه الأмир ضياء الدين عيسى الهكاري^(٣) كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، دخل معه إلى مصر ، وحظي عنده ، ثم كان مُلازماً للسلطان صلاح الدين حتى تُوفّي في ركابه بمنزلة الخزوية قريباً من عكا ، فنُقِلَ إلى القدس الشريف فدفن به ، وكان ممن تفقه على الشيخ أبي القاسم بن البرزى^(٤) الجزري . وكان الفقيه عيسى من الفضلاء والنبلاء والأمراء الكبار ، رحمه الله تعالى .

المبارك بن المبارك الكرخي^(٥) ، مدرّس النظامية ، تفقه بابن الحل ، وكانت له مكانة عند الخليفة والعامّة ، وكان يُضرب بحسن خطه المثل . وقد ذكرته في « الطبقات » ، رحمه الله تعالى .

(١) الكامل ٤٢/١٢ .

(٢) المصدر السابق ٤٣/١٢ .

(٣) المصدر السابق ٤٢/١٢ ، ووفيات الأعيان ٤٩٧/٣ ، والمختصر في أخبار البشر ٨١/٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٤ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٥٥/٧ .

(٤) في م ، والكامل : « البرزى » . وانظر الأنساب ٣٤١/١ .

(٥) الكامل ٤٣/١٢ ، ومعجم الأدباء ٢٣٠/٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢٤/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٢٩ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٧٥/٧ .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة^(١)

استهلَّت والسُّلطانُ مُحاصِرٌ لمحاصِرَى عَكَّا، وأمدادُ الفِرْنَجِ تَقْدُمُ عليهم من البحرِ في كلِّ وقتٍ وكلِّ حينٍ، حتى إِنَّ النساءَ لِيَخْرُجْنَ بِنِيَّةِ القتالِ، ومنهنَّ مَنْ تأتي بِنِيَّةِ راحةِ الغُرباءِ في الغُربةِ؛ قَدِمَ إليهم مَرْكَبٌ فيه ثلاثُمائةِ امرأةٍ حسناء بهذه النِّيَّةِ، حتى إِنَّ كثيراً من فَسَقَةِ المسلمينَ تَحَيَّرُوا إليهم لأجلِ هذه النسوةِ. واشتهر الخبرُ بأنَّ مَلِكَ الألمانِ قد أَقْبَلَ في نحوِ ثلاثِمائةِ ألفِ مُقاتِلٍ، من ناحيةِ القُسطنطينيَّةِ، يريدُ أَخْذَ الشامِ وَقَتْلَ أَهْلِهِ وملوكِهِ؛ انتصاراً لِبَيْتِ المَقْدِسِ، فحملَ المسلمونَ هَمًّا عَظِيماً، وخافوا غائِلَةَ ذلك، مع ما هم فيه مِنَ الشُّغْلِ العَظيمِ والحصارِ الهائلِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَطَفَ بِهِمْ وَأَهْلَكَ غَالِبَ أُمَّةِ الألمانِ في الطُّرُقَاتِ بالبردِ والجُوعِ والضلالِ في المَهالِكِ، على ما سيأتِي بيانه وتفصيله، إن شاء اللَّهُ تعالى.

وكان سَبَبُ نَفْرِ النُّصارى في هذا العامِ ما ذَكَرَهُ ابنُ الأثيرِ^(٢) في «كاملِهِ» أَنَّ جماعةً مِنَ الرُّهبانِ والقُسوسِ، رَكِبُوا مِنْ مَدِينَةِ صُورَ في أَرْبَعَةِ مَراكِبٍ يَطُوفُونَ البُلدانَ البَحْرِيَّةَ، يَحْثُوثُهُمْ على الانْتِصارِ لِبَيْتِ المَقْدِسِ، وما جَزَى على أَهْلِ السواحلِ مِنَ القَتْلِ والسَّبْيِ وخرابِ الدِّيارِ، وقد صَوَّروا صورةَ المَسِيحِ وصورةَ عَرَبِيٍّ يَضْرِبُهُ، فإذا سَأَلُوهم مَنْ هذا الذي يَضْرِبُ المَسِيحَ؟ قالوا: هذا نَبِيُّ العَرَبِ

(١) الكامل ٤٤/١٢.

(٢) المصدر السابق ٣٢/١٢.

يُضْرِبُهُ وَقَدْ جَرَحَهُ وَمَاتَ ، فَيُتْرَعَجُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَحْمُونَ وَيَكُونُ وَيَخْرُتُونَ ،
وَيَخْرُجُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ لِنُصْرَةِ دِينِهِمْ وَنَبِيِّهِمْ ، وَمَوْضِعَ حُجَّتِهِمْ ، عَلَى الصَّغْبِ
وَالذَّلُولِ ، حَتَّى النِّسَاءُ الْمُحْدَرَاتُ وَالْأَبْنَاءُ^(١) الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ أَهْلِيهِمْ مِنْ أَعَزِّ الثَّمَرَاتِ
وَأَخْصِّ الْحَدِرَاتِ .

وَفِي نَصْفِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ تَسَلَّمَ السُّلْطَانُ شَقِيفُ أَرْنَوْنَ بِالْأَمَانِ ، وَكَانَ صَاحِبُهُ
مَأْشُورًا فِي الذِّلِّ [٣٠٢/٩] وَالْهَوَانِ ، وَكَانَ مِنْ أَذْهَى الْفِرْنَجِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَيَّامِ
النَّاسِ ، وَرُبَّمَا قَرَأَ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، وَكَانَ مَعَ هَذَا غَلِيظَ الْجِلْدِ ،
كَافِرَ الْقَلْبِ ، قَبَّحَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَمَّا انْفَصَلَ فَصْلُ الشِّتَاءِ وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ جَاءَتْ الْمُلُوكُ مِنْ بُلْدَانِهَا بِجِيُوشِهَا
وَشُجْعَانِهَا ، وَرِجَالِهَا وَفُزَّانِهَا ، وَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْمَلِكِ صَلَاحِ الدِّينِ أَحْمَدَ
مِنْ النَّفْطِ وَالرَّمَاكِ الْخَطِيئَةِ ، وَنَفَاطَةِ وَنَقَّائِينَ ، كُلٌّ مِنْهُمْ مُتَقِنٌ فِي صُنْعِهِ غَايَةً
الِإِثْقَانِ ، وَمُرْشُومًا بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَانْفَتَحَ الْبَحْرُ وَتَوَاتَرَتْ مَرَاقِبُ الْفِرْنَجِ
مِنْ كُلِّ جَزِيرَةٍ ؛ يَنْصُرُونَ أَصْحَابَهُمْ ، وَيَمْدُونَهُمْ بِالْقُوَّةِ وَالْمِيرَةِ ، وَعَمِلَتْ الْفِرْنَجُ
ثَلَاثَةَ أَتْرَاجَةٍ مِنْ خَشَبٍ وَحَدِيدٍ ، عَلَيْهَا جُلُودٌ مَشَقَّاةٌ بِالْخَلِّ ؛ لِئَلَّا يَعْمَلَ فِيهَا
النَّفْطُ ، يَسُغُ الْبَرْجُ مِنْهَا خَمْسِمِائَةَ مِقَاتِلٍ ، وَهِيَ أَعْلَى مِنْ أُبْرَجَةِ الْبَلَدِ ، وَهِيَ
مُرْكَبَةٌ عَلَى عَجَلٍ بَحِيثٌ يُدِيرُونَهَا كَيْفَ شَاءُوا ، وَعَلَى ظَهْرِ كُلِّ بَرْجٍ مِنْهَا
مَنْجَنِيْقٌ كَبِيرٌ ، فَأَهَمُّ أَمْرُهَا الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانُوا عَلَيْهَا حَاقِقِينَ ، فَأَعْمَلَ السُّلْطَانُ
فِكْرَهُ فِي إِحْرَاقِهَا وَإِهْلَاقِهَا ، فَاسْتَحْضَرَ النَّفَّاطِيْنَ وَوَعَدَهُمُ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ ،
فَانْتَدَبَ شَابَّ نَحَّاسٌ مِنْ دِمَشْقَ يُعْرَفُ بِعَلَى بْنِ عَرِيفِ النَّحَّاسِيْنَ ، وَالتَزَمَ

(١) فِي م : « الزَّوَانِي وَالزَّانِيَاتِ » .

بإخراقها وإهلاكها، فأخذ النُّقْطُ الأبيضَ وخلطه بأذوية عرْفها، وغلى ذلك في ثلاثة قُدُورٍ من نحاسٍ حتى صارَ نارًا تأجُّجٌ، ورَمَى كُلُّ بُرْجٍ منها بِقُدْرٍ من تلك القُدُورِ بالمنجنقي من داخلِ عَكَّا، فاخترقت الأبرجة الثلاثة بإذنِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، حتى صارت نارًا، لها في الجوّ ألسنةٌ مُتصاعدةٌ، فصرخ المسلمون صرخةً واحدةً بالتهليل والتكبير، واخترقَ في كُلِّ بُرْجٍ سَبْعُونَ كَفُورًا، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]. وذلك يومَ الاثنينِ الثامنِ والعشرينَ من ربيعِ الأوَّلِ من هذه السَّنَةِ، وكانتِ الفِرْنَجُ تَعْبُوا فيها سبعةَ أشهرٍ، فاخترقت في يومٍ واحدٍ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. ثم عرَضَ السُّلْطَانُ على ذلك الشابِّ النحاسِ العطيةَ السَّنيَّةَ، فامتنعَ من قبولها، وقال: إِنَّمَا عَمِلْتُ هذا ائْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ، ورجاء ما عنده سبحانه. فلا أريدُ منكم جزاءً ولا شكورًا.

وأقبل الأسطولُ المصريُّ وفيه الميرةُ الكثيرةُ لأهلِ البلدِ، فعَبَى الفِرْنَجُ أسطولهم ليحاربوا أسطولَ المسلمين، فنَهَضَ السُّلْطَانُ بجيشه ليشغَلهم عن قتالِ الأسطولِ، وقاتلهم أهلُ البلدِ أيضًا، واقتتلَ الأسطولانِ في البحرِ، وكان يومًا مشهودًا عظيمًا، وحرَبًا في البرِّ والبحرِ، فظفرتِ الفِرْنَجُ بشينئٍ واحدٍ من الأسطولِ الذي للمسلمينَ، وسلَّم اللَّهُ الباقيَ، فوصلَ [٣٠٢/٩ ظ] إلى البلدِ بما فيه مِنَ الميرةِ، التي قدِ اشتدَّت حاجتهم إلى عُشرِها، وحمدتِ اللَّهُ تعالى على يُسرِها بعدَ عُسرِها.

وأما مَلِكُ الألمانِ المتقدمُ ذكره فإنه أَقبلَ في عددٍ كثيرٍ وجَمٍّ غفيرٍ، قريبٍ من ثلاثِمائةِ ألفٍ مقاتلٍ؛ مِنْ بَنِيهِ الانتصارُ لبيتِ المَقْدِسِ حينَ أُخِذَ مِنْ أيديهم، فما زال يُمرُّ بإقليمٍ بعدَ إقليمٍ، ويُخَطِّفون في كُلِّ مكانٍ، ويُقتلون كما يُقتلُ

الحيوان حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجارية ، فدعته نفسه أن يسبح فيه ، فلما صار فيه حمله الماء إلى جذع شجرة فشجت رأسه ، وأخذت أنفاسه ، وأراح الله منه المسلمين ، وحشرت روحه إلى سجين ، فأقيم ولده الأصغر في الملك بعده ، وقد تمزق شملهم ، وقلت منهم العدة ، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه ، وقل عددهم حتى جاءوا إلى أصحابهم المحاصرين لعكا وهم في ألف فارس ، وليس لهم قدر ولا قيمة عند أحد من أهل ملتهم ولا غيرهم . وهكذا سنة الله فيمن أراد مخالفة الإسلام وأهله في إهلاكه وتمزيق شمله ، ولله الحمد والمِنَّة على إحسانه وفضله .

وزعم العِمَادُ^(١) في سياقه أن الألمان وصلوا في خمسة آلاف مقاتل وأن ملوك الفرنج كلهم كرهوا قدومه عليهم ، لما يخافون من سطوته ، وزوال دولتهم بدولته ، ولم يفرح به إلا المراكيس صاحب صور ، الذي أنشأ هذه الفتنة وأثار هذه الحجة - لعنه الله - فإنه تقوى به وبجيشه وكيده ، فإنه كان خبيراً بالحروب والقتال ، وأحدث أشياء كثيرة من آلات الحرب لم تخطر لأحد يتال ؛ نصب دبابات أمثال الجبال ، تسير بعجل ولها زلوم من حديد ، تنطح السور فتكسره ، وتثلج جوانبه ، فمن الله العظيم بإحراقها وإهلاكها ، وأراح الله المسلمين من شرها ، ولله الحمد ، ونهض بالعسكر الفرنجي فصادم به جيش المسلمين ، وناصب بالحرب صلاح الدين ، فمن الله سبحانه وله الحمد بالنصرة عليه ، وتقدمت الجيوش برمتها إليه ، فقتلوا من الكفرة خلقاً كثيراً وجماً غفيراً ، وهجموا مرة على الحميم بغتة فنهبوا شيئاً كثيراً من الأمتعة ، فنهض إليهم الملك العادل

(١) الروضتين ١٦١ / ٢ .

أبو بكر - وكان رأس الميمنة - فركب بأصحابه ، وأمهل الفِرْنَج حتى توَعَّلُوا بَيْنَ الخيام ، ثم حَمَلَ عليهم بالرماح والحُسام ، فتهاربوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فما زال يُقْتَلُ منهم جماعةٌ بعدَ جماعةٍ ، وفرقةٌ بعدَ فرقةٍ ، حتى كَسَى وَجْهَ الأرضِ منهم حُلَلًا أَزْهَى مِنَ الرِّياضِ الباسمةِ ، وحَزَرَ ما قُتِلَ منهم ، فأقْلُ ما قِيلَ خمسةُ آلافٍ ، وزَعَمَ العمادُ وغيرُه أَنَّهُ قَتَلَ منهم فيما بَيْنَ الظَّهِيرِ إلى العَصْرِ عَشْرَةَ آلافٍ ، وَلِلَّهِ الحَمْدُ ، هذا وطَرْفُ الميسرةِ [٣٠٣/٩] لم يشعُرَ بما جَرى ، بل هم نائمون وقتَ القيلولةِ في خيامِهِم وكثيْرُ منهم ما دَرَى .

وكان الذين ساقوا وراءَهُم وأسروهم أَقْلٌ مِنَ الألفِ ، وأَمَّا قُتِلَ مِنَ المسلمينَ عَشْرَةٌ أو دُونَهُم ، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ ، ونُصرةٌ عَمِيمةٌ ، وقد أَوْهَنَ هذا جيشُ الفِرْنَجِ وأَضْعَفَهُ ، وكادُوا يَطْلُبُونَ الصُّلْحَ وينصِرِفُونَ عَنِ البَلَدِ ، فاتفقَ قَدُومُ مَدِي إلَيْهِم مِنَ البَحْرِ مع ملكٍ يَقَالُ لَهُ : كندهرى - لَعَنَهُ اللَّهُ - ومعه أموالٌ كثيرةٌ ، فَأَتَفَقَ عَلَيْهِمَ وَغَرِمَ عَلَيْهِمَ وَأَمَرَهُم أَنْ يَبْرُزُوا مَعَهُ لِلِقَاءِ السُّلْطَانِ صلاحِ الدينَ ، وَنَصَبَ عَلَى عَكَا مُنْجِنِقَيْنِ ، غَرِمَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ، فَأَحْرَقَهُمَا أَهْلُ البَلَدِ ، وجاءتْ كُتُبُ صَاحِبِ الرُّومِ مِنَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ يَعْتَذِرُ إِلَى صلاحِ الدينَ مِنْ جَهَةِ ملكِ الألمانِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجَاوِزْ مُلْكَهُ وَلَا بَلَدَهُ باخْتِيَارِهِ ، وَأَنَّهُ تَجَاوَزَهُ لكَثْرَةُ جُنُودِهِ ، ولذلك بَشَّرَ السُّلْطَانُ أَنَّ اللَّهَ سَيُهْلِكُهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وكذلك وَقَعَ ، وَلِلَّهِ الحَمْدُ القَدِيمِ الإِحْسَانِ ، وأرْسَلَ إِلَى السُّلْطَانِ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي سَأُقِيمُ عِنْدِي لِلْمُسْلِمِينَ جُمُعَةً وَخَطِيئًا ، فَأرْسَلَ السُّلْطَانُ مَعَ رِشْوَلِهِ خَطِيئًا وَمُنْبَرًا ، فَكَانَ يَوْمُ دُخُولِهِمَ إلَيْهِمَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، وَمَشْهَدًا مَحْمُودًا ، فَأُقِيمَتِ الخُطْبَةُ ودَعَا للخليفةِ العباسيِّ ، واجتَمَعَ فِيهَا مَنْ هُنَاكَ مِنَ المسلمينَ والتجارِ والمُساوِرِينَ ، وَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبِّ العالمِينَ .

فصل

وكتبَ مُتَوَلَّى عَمَّا مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ صلاح الدين؛ وهو الأميرُ بهاء الدين قراقوش - في العَشرِ الأوَّلِ مِنْ شعبانَ - إلى السُّلْطَانِ: إِنَّهُ لم يَتَقَ عِنْدَهُمْ فِي المَدِينَةِ مِنَ الأَقْوَاتِ إِلَّا مَا يُبَلِّغُهُمْ إِلَى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شعبانَ. فَلَمَّا وَصَلَ الكِتَابُ إِلَى السُّلْطَانِ أَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُنْهِدْهَا لِأَحَدٍ؛ خَوْفًا مِنْ شِيوعِ ذَلِكَ فَيَلُغُ العَدُوُّ فَيَقُودُوا عَلَى المُسْلِمِينَ، وَتَضَعُفَ القُلُوبُ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الأَسْطُولِ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ أَنْ يَقْدَمَ بِالمِيرَةِ إِلَى عَمَّا، فَتَأَخَّرَ سَيْرُهُ، ثُمَّ وَصَلَتْ ثَلَاثُ بُطُوسٍ لَيْلَةَ النِّصْفِ، فِيهَا مِنَ المِيرَةِ مَا يَكْفِي أَهْلَ البَلَدِ طَوْلَ الشِّتَاءِ، وَهِيَ فِي صُحْبَةِ الأَمِيرِ الحَاجِبِ لَوَلُو، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى البَلَدِ نَهَضَ إِلَيْهَا أَسْطُولُ الفِرْنَجِ لِيُحَوِّلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ البَلَدِ، وَيُثْلِفَ مَا فِيهَا، فَاقْتَتَلُوا فِي البَحْرِ قِتَالًا عَظِيمًا، وَالمُسْلِمُونَ فِي البَرِّ يَتَنَهَّلُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَلَامَتِهَا، وَالفِرْنَجُ تَصْرُخُ أَيْضًا بَرًّا وَبَحْرًا، وَقَدْ اِزْتَفَعَ الضَّجِيجُ، فَنَصَرَ اللَّهُ المُسْلِمِينَ وَسَلَّمَ مَرَاكِبَهُمْ، وَطَابَتِ الرِّيحُ لِلْبُطُوسِ، فَسَارَتْ فَاخْتَرَقَتْ^(١) المَرَاكِبَ الفِرْنَجِيَّةَ المَحِيطَةَ بِالمِينَاءِ، وَدَخَلَتِ البَلَدَ سَالِمَةً، فَفَرِحَ بِهَا أَهْلُ البَلَدِ والجَيْشُ فَرَحًا شَدِيدًا، وَلِلَّهِ الحَمْدُ.

وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ جَهَّزَ قَبْلَ هَذِهِ الثَّلَاثِ بُطُوسٍ المِصْرِيَّاتِ [٣٠٣/٩ ظ] بُطُوسَةً عَظِيمَةً مِنْ بَيْرُوتَ، فِيهَا أَرْبَعُمِائَةٍ غِرَارَةٍ، وَشَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الجُبْنِ وَالبَصْلِ وَالشَّحْمِ وَالقَدِيدِ وَالتَّنَّابِ وَالتَّنْفُطِ، وَكَانَتْ هَذِهِ البُطُوسَةُ مِنْ بُطُوسِ الفِرْنَجِ المَغْنُومَةِ، وَأَمَرَ

(١) فِي الأَصْلِ، م: «فَأَحْرَقَتْ».

مَنْ فِيهَا مِنَ الْبَحَّارَةِ أَنْ يَتَزَيَّوْا بِزَيِّ الْفِرْنَجِ حَتَّى إِنَّهُمْ حَلَقُوا لِحَاهِمَ ، وَشَدُّوا الزَّنَانِيرَ ، وَاسْتَصْحَبُوا مَعَهُمْ فِي الْبُطْسَةِ شَيْئًا مِنَ الْخَنَازِيرِ ، وَقَدِمُوا بِهَا عَلَى مَرَآكِبِ الْفِرْنَجِ ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهم مِنْهُمْ ، وَهِيَ سَائِرَةٌ كَأَنَّهَا السَّهْمُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَحَذَّرَهُمُ الْفِرْنَجُ غَائِلَةَ الْمِينَاءِ مِنَ نَاحِيَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاعْتَذَرُوا بِأَنَّهُمْ مَغْلُوبُونَ مَعَهَا ، وَالرَّيْحُ قَوِيَّةٌ لَا يُمْكِنُ لَهُمْ أَنْ يَقِفُوا وَلَا يَنْصَرِفُوا ، وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى وَلَجُوا الْمِينَاءَ ، وَأَفْرَعُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمِيرَةِ ، وَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ ، فَعَبَّرَتِ الْمِينَاءَ وَعَيْنُ الْكَفْرِ عَبْرِي ؛ فَامْتَلَأَ الثَّغْرُ بِهَا خَيْرًا وَسُرُورًا وَأَثَرِي ، وَكَانَتْ مَوْنَتَهُمْ إِلَى أَنْ قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْبُطْسُ الثَّلَاثُ الْمَصْرِيَّةُ . وَكَانَ مِينَاءُ الْبَلَدِ يَكْتَنِفُهَا بُرْجَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : بُرْجُ الذَّبَابِ^(١) ، فَاتَّخَذَ الْفِرْنَجُ بُطْسَةً عَظِيمَةً لَهَا حُرُطُومٌ وَفِيهِ حَرَكَاتٌ^(٢) إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَسْوَارِ وَالْأَبْرَاجِ قَلْبُوهُ فَوَصَلَ إِلَى مَا أَرَادُوا ، فَعَظَّمْ أَمْرَ هَذِهِ الْبُطْسَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَزَالُوا فِي أَمْرِهَا مُحْتَالِينَ ، حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا سُورًا مِنْ نَارٍ فَأَحْرَقَهَا وَأَغْرَقَهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفِرْنَجَ أَعْدُوا فِيهَا نَفْطًا كَثِيرًا وَحَطَبًا جَزَلًا ، وَأُخْرَى خَلَفَهَا فِيهَا حَطَبٌ مَحْضٌ ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ الْمُسْلِمُونَ الْحَاجَةَ عَلَى الْمِينَاءِ بِمَرَآكِبِهِمْ أَرْسَلُوا النَّفْطَ عَلَى بُطْسَةِ الْحَطَبِ فَاحْتَرَقَتْ وَهِيَ سَائِرَةٌ بَيْنَ بُطْسِ الْمُسْلِمِينَ فَتَحَرَّقَهَا ، وَكَانَ فِي بُطْسَةِ أُخْرَى لَهُمْ مُقَاتِلَةٌ^(٣) تَحْتَ قَبْرِ قَدْ أَحْكَمُوهُ فِيهَا ، فَلَمَّا أَرْسَلُوا النَّفْطَ عَلَى بُرْجِ الذَّبَابِ انْعَكَسَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ لِشِدَّةِ الْهَوَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَمَا تَعَدَّتِ النَّارُ بُطْسَتَهُمْ فَاحْتَرَقَتْ ، وَتَعَدَّى الْحَرِيقُ إِلَى الْأُخْرَى فَغَرِقَتْ ، وَوَصَلَ إِلَى بُطْسَةِ الْمُقَاتِلَةِ

(١) فِي م : « الدِّيان » .

(٢) فِي م : « مَحْرَكَات » .

(٣) الْجَزَلُ : مَا عَظُمَ مِنَ الْحَطَبِ وَيَس .

(٤) فِي الْأَصْلِ ، ص : « مُقَابِلَةٌ » .

فَتَلَفْتُ ، وَهَلَكْتَ بَيْنَ فِيهَا ، فَأَشْبَهُوا مَنْ سَلَفَ مِنَ الْكَافِرِينَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمَبِينِ : ﴿ يُخْرِثُونَ يُؤْتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر : ٢] .

فصل

وفى ثالثِ رمضانَ اشتدَّ حِصارُ الفِرْنجِ للبلدِ حتى نزلوا إلى الخَنْدَقِ ^(١) ، فبرزَ إليهم أهلُ البلدِ فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا ، وتمكَّنوا من حريقِ الكَبْشِ ^(٢) الذي اتَّخذوه لحصارِ الأسوارِ ، وسرى حريقُه إلى الشفُورِ ^(٣) وارتفعتْ له لهبَةٌ عظيمةٌ فى عَنانِ السماءِ ، ثم اجتذَبَه المسلمونَ إليهم بكَلالِيبَ من حديدٍ فى سلاسلَ ، فحَصَّلوه عندهم وألقوا عليه الماءَ الباردَ [٣٠٤/٩] فبردَ بعدَ أيامَ ، فكانَ فيه منَ الحديدِ مائةٌ قِنْطارٍ بالدمَشْقِيِّ ، وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وكانَ مع السلطانِ فى الثامنِ والعشرينَ منَ رمضانَ الملكُ زَيْنُ الدينِ صاحبُ إِزْبِلَ فتوفَّى فى عَكَا ، فتأسَّفَ الناسُ عليه لشبابِه وغزِيَّتِه وجودَتِه ، وعُزِّي أخوه مُظَفَّرُ الدينِ فيه ، وهو الذى قامَ بالملكِ من بعده ، وسألَ منَ السلطانِ صلاحَ الدينِ أنْ يُضَيِّفَ إليه شَهْرُزُورَ ويتركَ حَرَآنَ والرُّهَّا وسُمَيْسَاطَ وغيرها ، وتحمَّلَ مع ذلكَ خمسينَ ألفَ دينارٍ نقدًا ، فأجيبَ إلى ذلكَ ، وكتبَ له تَقْلِيدًا ، وعقدَ له لواءً ، وأُضيفَ ما تركَه إلى الملكِ المظفَّرِ تَقَى الدينِ عمرَ ابنِ أخى السلطانِ صلاحِ الدينِ .

(١) الروضتين ١٦٣/٢ ، ١٦٤ .

(٢) فى الأصل : « المكيس » ، وفى م ، ص : « الكيس » . والمثبت من الروضتين ١٦٣/٢ .

(٣) فى م : « السقوف » .

فصل

وكان القاضي الفاضل بالديار المصرية يُدبِّر الممالك بها ، ويجهِّز إلى السلطان ما يحتاج إليه منها من الأموال والنققات ، وعمل الأسطول ، وما يحتاج إليه فيه من محصول ، والكتب السلطانية وإردة إليه في كل حين ، ويستشيرُه فيما يصلح به أمور المسلمين ، وكذلك الكتب الفاضلة قادمة على السلطان في كل أوان ؛ فمن ذلك كتاب يذكر فيه أنَّ سبب هذا التطويل في الحصار إنما هو بسبب كثرة الذنوب ، وارتكاب المحارم من الناس ، ويقول في بعضها^(١) : إِنَّ اللَّهَ لَا يُتَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ، وَلَا يُفْرَجُ الشَّدَائِدُ إِلَّا بِالرَّجْوَعِ إِلَيْهِ ،^(٢) والامثال لشريعته^(٣) والمعاصي في كل مكانٍ بادية ، والمظالم في كل موضع فاشية ، وقد طلع إلى الله تعالى منها ما لا يتوقَّع بعدها إلا ما يُستعاض منه . وفيه أنه قد بلغه أنَّ يَتَّ المَقْدِس قد ظهر فيه من المنكرات والفواحش والظلم في بلاده ما لا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة .

ومن ذلك كتاب يقول فيه^(٤) : إِنَّمَا أُتِينَا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا ، ولو صدَّقناه لعَجَلَ لنا عواقب صدقنا ، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدونا ، ولو فعلنا ما نقدِر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدِر عليه إلا به ، فلا يستخصم أحدٌ إلا عمله ولا يلم إلا نفسه ، ولا يزوج إلا ربَّه ، ولا تنتظر^(٥) العساكر^(٦) أن تكثُر ولا الأموال أن تُحصَر^(٧) ، ولا

(١) الروضتين ١٦٦/٢ .

(٢ - ٢) في م : « وامثال أمره فكيف لا يطول الحصار » .

(٣) الروضتين ١٦٧/٢ .

(٤) في م : « يغتر بكثرة » .

(٥ - ٥) في م : « والأعوان » .

فُلَانٌ الذى يُعْتَمَدُ عليه أَنْ يُقَاتَلَ ، ولا فُلَانٌ الذى يُنْتَظَرُ أَنْ يَسِيرَ ، فكلُّ هذه مشاغلٍ عن الله ليس النصرُ بها^(١) ، ولا نَأْمَنُ أَنْ يَكِلَنَا اللهُ إليها ، والنصرُ به واللفظُ منه ، والعادةُ الجميلةُ له ، ونستغْفِرُ اللهَ تعالى مِنْ ذُنُوبِنَا ، فلولا أنها تسدُّ طريقَ دُعائِنَا لكان جوابُ دُعائِنَا قد نَزَلَ ، وفيضُ دُموعِ الخاشعينَ قد غَسَلَ ، [٣٠٤/٩ ط] ولكن فى الطريقِ عائقٌ ؛ خَارَ اللهُ لمَوْلَانَا فى القَضَاءِ السابقِ واللَّاحِقِ .

وفى كتابٍ آخرٍ يتألَّمُ فيه لِمَا عِنْدَ السُّلْطَانِ مِنَ الضَّعْفِ فى جِسْمِهِ بِسَبَبِ مَا حَمَلَ عَلَى قَلْبِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ - أَثَابَهُ اللهُ تعالى - يقولُ فيه^(٢) : وما فى نفسِ المملوكِ شائنةٌ إِلَّا بَقِيَّةُ هذا الضَّعْفِ الذى بِجِسْمِ مَوْلَانَا فَإِنَّهُ بِقَلْبِنَا ، ونفديهِ بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا .

بنا مغشَّرَ الخدَّامِ مَا يَكُ مِنْ أَدَى وَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فَبِى وَخِدى

وقد أُوْرِدَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ صَاحِبُ «الرُّوضَتَيْنِ»^(٣) هَاهُنَا كُتُبًا عِدَّةً مِنَ الفاضِلِ إِلَى السُّلْطَانِ ، فيها فَصَاحَةٌ وبِلاغةٌ ومَوَاعِظُ وتَحْضِيضٌ عَلَى الجِهَادِ ، يعجزُ عن مثْلِها شَجْعَانٌ ، وهى جَدِيرَةٌ أَنْ تُكْتَبَ بِمَاءِ الذَّهَبِ عَلَى قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ^(٤) ، فَرَحِمَهُ اللهُ مِنْ إِنْسَانٍ مَا كَانَ أَفْصَحَهُ ، وَمِنْ وَزِيرٍ مَا كَانَ أَنْصَحَهُ ، وَمِنْ عَقْلٍ مَا كَانَ أَرْجَحَهُ .

(١) بعده فى م : «وإنما النصر من عند الله» .

(٢) الروضتين ١٦٧/٢ .

(٣) المصدر السابق ١٦٥/٢ - ١٧٠ .

(٤) العقيان : الذهب الخالص .

فصل

وكتب القاضي الفاضل كتابًا^(١) بليغًا عن السلطان إلى ملك الغرب أمير المسلمين، و Sultan جيش المؤمنين؛ يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، يستنجد به في إرسال مراكب في البحر تكون عونًا للمسلمين على المراكب الإفريقية؛ فمنه عبارة عظيمة طويلة فصيحة بليغة مليحة، حكاه الشيخ شهاب الدين بطولها وحسنها^(٢). وبعث السلطان صلاح الدين مع^(٣) ذلك بهدية^(٤) سنينة من التحف والألطف، وذلك كله ضحبة الأمير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبد الرحمن بن مقيذ، وكان ابتداء سيره في البحر في ثامن ذي القعدة من هذه السنة، فدخل على سلطان المغرب في العشرين من ذي الحجة، فأقام عنده إلى عاشوراء في المحرم من سنة ثمان وثمانين، ولم يفد هذا الإرسال شيئًا؛ لأن السلطان تغضب إذ لم يلقب بأمر المؤمنين، وكانت إشارة القاضي الفاضل إلى عدم الإرسال إليه والتعويل عليه، ولكن وقع ما وقع بمشيئة الله تعالى.

فصل

وفي هذه السنة^(٥) حصل للسلطان سوء مزاج من كثرة ما يكابذه من الأمور؛ التي هي أمر من الأجاج، فطمع العدو المخدول - لعنهم الله - في الإسلام،

(١ - ١) في م: «على لسان».

(٢) الروضتين ٢/ ١٧٠، ١٧١.

(٣ - ٣) في م: «الكتاب».

(٤) الروضتين ٢/ ١٨٠، والنوادر السلطانية ص ١٤٨.

فَتَجَرَّدَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ لِلْقِتَالِ ، وَثَبَّتْ آخَرُونَ عَلَى الْحَصَارِ ، وَأَقْبَلُوا فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ
وَعُدَدٍ ، فَزَتَّبَ السُّلْطَانُ الْجِيُوشَ مِیْمَنَةً وَمِیْسَرَةً ، وَقَلْبًا وَجَنَاحَیْنِ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا
عَایَنُوهُ مِنَ الْجِیْشِ الْكَثِیْفِ فَزَّوْا مِنْ مَوْقِفِ الْحَرْبِ ، وَعَادُوا عَنْ حُومَةِ الْوَعْیِ ؛
فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

فصل

وَلَمَّا دَخَلَ فَصْلُ الشِّتَاءِ وَانْشَمَرَتْ مَرَایِکِبُ الْإِفْرِیجِ عَنِ الْبَلَدِ خَوْفًا مِنْ [٣٠٥/٩]
الْهَلَاكِ بِسَبَبِ اغْتِلَامِ الْبَحْرِ ؛ سَأَلَ مَنْ فِي الْبَلَدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ
يُرِيحَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَضَرِ الْعَظِيمِ ، وَالْمَقَاتِلَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، صَبَاحًا وَمَسَاءً ، سَرًّا
وَجَهْرًا ، وَأَنْ يُرْسِلَ إِلَى الْبَلَدِ بَدَلَهُمْ ؛ فَفَرَّقَ لَهُمُ السُّلْطَانُ ، وَعَزَمَ عَلَى ذَلِكَ ،
وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عَشْرِينَ أَلْفَ مُسْلِمٍ مَا بَيْنَ أَمِيرٍ وَمَأْمُورٍ ، فَجَهَّزَ جَيْشًا آخَرَ
غَيْرَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِرَأْيٍ جَيِّدٍ ، وَلَكِنْ مَا قَصَدَ السُّلْطَانُ إِلَّا خَيْرًا ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ
يَدْخُلُونَ الْبَلَدَ وَهُمْ جَدُّ الْهَمِّ ، وَلَهُمْ عَزْمٌ قَوِيٌّ ، وَهُمْ فِي رَاحَةٍ بِالنَّسَبَةِ إِلَى
أَوْلَئِكَ ، وَلَكِنْ أَوْلَئِكَ كَانَتْ لَهُمْ خَبْرَةٌ بِالْبَلَدِ وَبِالْقِتَالِ ، وَكَانَ لَهُمْ صَبْرٌ عَظِيمٌ ،
(١) وَقَدْ تَمَرَّنُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَصَابِرَةِ لِلْأَعْدَاءِ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَجُهَّزَتْ لَهُؤُلَاءِ
الدَّاخِلِينَ سَبْعُ بُطُوسٍ فِيهَا (١) مِيزَةٌ تَكْفِيهِمْ سَنَةً كَامِلَةً ، فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى - وَلَهُ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ - أَنَّهَا لَمَّا تَوَسَّطَتِ الْبَحْرَ وَاقْتَرَبَتْ مِنَ الْمِينَاءِ هَاجَتْ رِيحٌ عَظِيمَةٌ
فِي الْبَحْرِ ، فَتَلَعَّيَتْ بِتِلْكَ الْبُطُوسِ عَلَى عِظَمِهَا فَاخْتَبَطَتْ وَاضْطَرَبَتْ وَتَصَادَمَتْ

(١ - ١) فِي م : « وَجَلَدَ وَقَدْ تَمَرَّنُوا فِيهَا مِيزَةٌ تَكْفِيهِمْ سَنَةً ، فَانْمَحَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَقَدِمَ بَطْشٌ مِنْ مِصْرَ فِيهِ » .

فتكسرت وغرقت ، وغرق ما كان فيها من الميرة ، وهلك من كان فيها من
البحارة ؛ فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين ، واشتد الأمر جدًا ،
ومرض السلطان وازداد مرضًا إلى مرضه - عافاه الله - وكان ذلك عونًا للعدو
المخدول على أخذ البلد ، ولا قوة إلا بالله ، وذلك في ذى الحجة من هذه السنة ،
وكان المقدم على الداخليين إلى عكا الأمير سيف الدين علي بن أحمد بن
المشطوب ، أيده الله .

وفي اليوم السابع من ذى الحجة سقطت ثلثة عظيمة من سور عكا ، فبادر
الفرنج إليها فسبقهم المسلمون إلى سدّها بضدورهم ، وقتلوا عنها بنحورهم ، وما
زالوا يمانعون عنها حتى بنوها أشدّ ممّا كانت ، وأقوى وأحسن وأبهى .
ووقع في هذه السنة وباء عظيم في الجيشين المسلم والكافر ، فكان السلطان
يقول في ذلك ^(١) :

اقتلوني ومالكًا واقتلوا مالكًا معي

واتفق موت ابن ملك الألمان في ثاني ذى الحجة من هذه السنة ، وجماعة من
كبراء الكندهرية ، وسادات الفرنج - لعنهم الله - فحزن الفرنج على ابن ملك
الألمان حزنًا عظيمًا وأوقدوا نارًا عظيمة في كل خيمة ، وصار في كل يوم يهلك
من الفرنج المائة والمائتان ، واستأمن إلى السلطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه
من الجوع والضيق والحضر ، وأسلم خلق كثير منهم ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذا الشهر قديم القاضي الفاضل من الديار المصرية على السلطان ، وكان

(١) تقدم في ١٠/٤٦٧ .

قد طَالَ شَوْقُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ، فَأَفْضَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ
مَا كَانَ يُسِيرُهُ وَيَكْتُمُهُ مِنَ الْآرَاءِ الَّتِي فِيهَا مَصَالِحُ الْمُسْلِمِينَ ، [٣٠٥/٩ ط] وَقَدِمَ
وَزِيرُ الصَّدَقِ عَلَى السُّلْطَانِ الْمَوْفَّقِ وَالْأَمِيرِ الْمُؤَيَّدِ ، رَجِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى .

وَمَنْ تُوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ :

مَلِكُ الْأَلْمَانِ ^(١) الَّذِي أَقْبَلَ فِي مَائَتِي أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، وَيُقَالُ : فِي ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ
مُقَاتِلٍ . مِنْ أَقْصَى بِلَادِهِ ، فَاجْتَازَ بِالْقِسْطَنْطِينِيَّةِ وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ ؛ يَرِيدُ
انْتِرَاقَ بِلَادِ الشَّامِ بِكَمَالِهَا مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، انْتِصَارًا - فِي زَعْمِهِ - لِبَيْتِ
الْمَقْدِسِ الَّذِي اسْتَنْقَذَهُ الْمَلِكُ صِلَاحُ الدِّينِ مِنْ أَيْدِي الْمَشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَزَلِ اللَّعِينُ
يَتَنَاقَضُ جَيْشُهُ وَيَتَفَانَوُا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْضِعٍ ، وَقَدَّرَ اللَّهُ هَلَاكَه بِالْعَرَقِ كَمَا
أَهْلِكَ فِرْعَوْنُ ، لَعْنَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ يَسْبُحُ فِي بَعْضِ الْأَنْهَارِ فَاحْتَمَلَهُ
الْمَاءُ قَسْرًا فَأَلْجَأَهُ إِلَى جِدْعِ شَجَرَةٍ هُنَاكَ فَشَدِخَتْ رَأْسُهُ وَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ - لَعْنَهُ
اللَّهُ - فَمَلِكُ الْأَلْمَانِ عَلَيْهِمُ ابْنُهُ الْأَصْغَرُ ، وَأَقْبَلَ بِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَأَمْرُهُ قَدْ تَقَهَّقَرَ ،
وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ وَضَلُّوا إِلَى إِخْوَانِهِمْ بَعْكَا فِي خَمْسَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ ، وَقِيلَ : فِي أَلْفِ
مُقَاتِلٍ . وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ حَمَلُوا مِنْ قُدُومِهِمْ هَمًّا عَظِيمًا ، وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا
فَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا . ثُمَّ تُوَفَّى ابْنُهُ فِي أَوَاخِرِ هَذِهِ
السَّنَةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(٢) ، أَبُو حَامِدٍ قَاضِي الْقَضَاةِ بِالْمَوْصِلِ ، مُحْسِي

(١) مرآة الزمان ٤٠٣/١/٨ ، والكمال ٤٩/١٢ ، نهاية الأرب ٤٢٢/٢٨ ، والنوار السُّلْطَانِيَّةِ
ص ١٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٦٧ .
(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣٢٩/٢ ، ووفيات الأعيان ٢٤٦/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/
٦٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٥٠ ، والوفاء بالوفيات ٢١٠/١ ،
وطبقات الشافعية للسبكي ١٨٥/٦ .

الدين^(١) ابن قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري الشافعي، أننى عليه العماد
الكاتب، وأنشد له من شعره قوله^(٢):

قَامَتْ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ أَدَلَّةٌ	قَصَمَتْ ظُهُورَ أُمَمٍ التَّعْطِيلِ
وطلائع التنزيه لما أقبلت	هزمت ذوى التشبيه والتمثيل
فالحق ما صرنا إليه جميعنا	بأدلة الأخبار والتنزيل
من لم يكن بالشرع مقتدياً فقد	ألقاه فوط الجهل في التضييل

(١) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر الترجمة.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٣٤.

ثم دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ^(١)

فيها قَدِمَ مَلِكُ الْإِفْرَنْسِيْسِ وَمَلِكُ إِنْكَلِتْرَا، وَغَيْرُهُمَا مِنْ مُلُوكِ الْبَحْرِ عَلَى الْفِرْنَجِ إِلَى عَكَّا، وَتَمَالَّوْا عَلَى عَكَّا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ، وَقَدْ اسْتَهْلَكْتُ وَالْحَصَارُ عَلَى عَكَّا عَلَى حَالِهِ مِنَ الْجَائِيَيْنِ، وَقَدْ اسْتَكْمَلَ دُخُولُ الْبَدَلِ إِلَى الْبَلَدِ، وَالْمَلِكُ الْعَادِلُ مُخَيِّمٌ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ؛ لِيَتَكَمَّلَ دُخُولُهُمْ وَدُخُولُ مِيرَتِهِمْ، لَطَفَ اللَّهُ بِهِمْ، وَفِي لَيْلَةِ مُسْتَهْلِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَكَّا فَهَجَمُوا عَلَى مُخَيِّمِ الْفِرْنَجِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَنَهَبُوا شَيْئًا كَثِيرًا، وَسَبَّوْا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَانْكَسَرَ مَرْكَبُ عَظِيمٍ لِلْفِرْنَجِ فَغَرِقَ فِيهِ خَلْقٌ [٣٠٦/٩] مِنْهُمْ وَأُسِرَ بَاقِيَهُمْ، وَأَغَارَ صَاحِبُ جِمَصَ أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهُ بْنُ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ شِيرَكُوهُ عَلَى سَرْحِ الْفِرْنَجِ بِأَرْضِي طَرَابُلُسَ، فَاسْتَأَقَ مِنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْخِيُولِ وَالْأَتْقَارِ وَالْأَغْنَامِ، وَظَفِرَ الْيَزْكُ^(٢) بِخَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الْفِرْنَجِ فَقَتَلُوهُمْ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى طَوَاشِيٍّ صَغِيرٍ عَثَرَ بِهِ فَرَسُهُ. وَفِي ثَانِي عَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَصَلَ إِلَى الْفِرْنَجِ مَلِكُ إِفْرَنْسِيْسِ فُلَيْبُ فِي سِتِّ بُطْسٍ مَلْعُونَةٍ مَشْحُونَةٍ بَعْبَدَةِ الصَّلِيبِ، وَحِينَ وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنَ مُلُوكِهِمْ مَعَهُ كَلَامٌ وَلَا حُكْمٌ، لِعَظَمَتِهِ عِنْدَهُمْ، وَقَدِمَ مَعَهُ بَازٌ عَظِيمٌ أُبْيَضُ، وَهُوَ الْبَازُ الْأَشْهَبُ الْهَائِلُ، فَطَارَ مِنْ يَدِهِ فَسَقَطَ عَلَى سُورِ عَكَّا فَأَمْسَكَه أَهْلُهَا وَبَعَثُوا بِهِ إِلَى

(١) الكامل ٦٣/١٢، والروضتين ١٨٢/٢.

(٢) الْيَزْكُ: فَارْسِيَّةٌ يَزْكُ أَيْ مَقْدَمَةُ الْجَيْشِ، وَتَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْحَارِسِ وَالْجَاسُوسِ. الْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ الْمَعْرُوبَةُ ص ١٦٠.

السلطان ، فبذل الفِرْنَجُ فيه أَلْفَ دينارٍ فلم يُجَآبُوا ، وقَدِمَ بعده كُنْدُفَرِيٌّ وهو من أكابرِ ملوكهم أيضًا ، ووصلت سفنُ ملكِ الإنكلتيرِ ، ولم يَجِئْ هو لاشتغاله بجزيرة قُبْرُسَ وأخذها من يدِ صاحبِها ، وتواصلت ملوكُ الإسلامِ من بُلدانِها في أوَّلِ فصلِ الربيعِ ، إلى خدمةِ السلطانِ الناصرِ صلاحِ الدينِ .

قال العمادُ^(١) : وقد كان للمسلمين لصوَصٌ يدخلون إلى خيامِ الفِرْنَجِ ، فيشْرِقون ، حتى إنَّهم يسْرِقونَ الرجالَ ، فاتَّفَقَ أنَّ بعضَهم أخذَ صَبِيًّا رَضِيْعًا من مَهْدِهِ ؛ ابنَ ثلاثةِ أشهرٍ ، فَوَجَدَتْ عليه أمُّه وجَدًّا عَظِيمًا ، واشتَكَتْ إلى ملوكهم ، فقالوا لها : إنَّ سُلْطَانَ المسلمينَ رَحِيمَ القَلْبِ ، وقد أَذِنَّا لِكَ أَنْ تَذْهَبِي إليه ، فتَشْتَكِي أمرِكَ إليه . قال العمادُ : فجاءَتْ إلى السُلْطَانِ وأنا واقِفٌ معه ، فبَكَتْ بكاءً شَدِيدًا ، وجعلت تُمَرِّغُ وجهَها على الأرضِ ، فسألها عن أمرِها فَأَنَّهُتْ إليه حالَها ، فَرَقَّ لها رِقَّةٌ شَدِيدَةٌ حتى دَمَعَتْ عَيْنُهُ ، فَأَمَرَ بِإِخْضَارِ وَلَدِها ، فإذا هو بِبَيْعِ في السُّوقِ ، فرسَمَ بِدَفْعِ ثَمَنِه إلى المُشْتَرِي ، ولم يَزَلْ واقِفًا حتى جِئَ بِالْغُلَامِ ، فأخَذَتْهُ أمُّه وأرْضَعَتْهُ سَاعَةً وهي تبْكِي مِن شَدَّةِ فَرَحِها وشَوْقِها إليه ، ثم أمرَ بِحَمْلِها إلى قومِها على فرسٍ مُكْرَمَةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وبَلَّ بِالرَّأْفَةِ ثَرَاه .

فصلٌ في كَيْفِيَّةِ أَخْذِ العَدُوِّ المَخْذُولِ

مَدِينَةُ عَكَّا مِنْ يَدِ السُلْطَانِ قَسْرًا^(١)

لَمَّا كَانَ شَهْرُ جُمَادَى الْأُولَى اشْتَدَّ حِصَارُ الفِرْنَجِ - لَعَنَهُمُ اللَّهُ - لَعَكَّا ، وتمالَّثوا عليها مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، وقَدِمَ عليهم ملكُ الإنكلتيرِ في جَمٍّ غَفِيرٍ ،

(١) الروضتين ٢ / ١٨٤ .

وجمع كثير، في خمس وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة، واُبْتُلى أهل الثَّغْرِ منه
ببلاءٍ لا يشبه ما قبله، فعند ذلك حُرِّكَتِ الكُوسَاتُ^(١) في البلد، وكانت علامة
ما بينَهم وبينَ السلطان، فحرَّكَ السلطانُ كُوسَاتِهِ، واقترب من البلد، وتحول
[٣٠٦/٩ ظ] إلى قريب منهم، يشغلهم عن البلد، وقد أحاطوا به من كل مكان،
ونصبوا عليه سبعة مجانيق، وهي تَضْرِبُ في البلد ليلاً ونهاراً، ولا سيما على
بُرج عين البقر، حتى أثرت به أثراً بيّناً، وشرعوا في رَدَمِ الخندق بما أمكنهم من
دواب ميتة، ومن قُتِلَ منهم، ومن مات أيضاً، وقابلهم أهل البلد ينقلون ما ألقوه
فيه إلى البحر. وظفر ملك الإنكليز بيُطْسَة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من
بيروت مشحونة بالأمعة والأسلحة فأخذها، وكان واقفاً في البحر في أَرْبَعِينَ
مركباً لا يترك شيئاً يصل إلى البلد بالكلية، لعنه الله، وكان فيها ستمائة من
المقاتلة الصناديد الأبطال، فهلكوا عن آخرهم، رَحِمَهُمُ اللهُ أجمعين، فإنه لما
أُحِيطَ بهم من الجوانب كلها، وتحققوا إما الغرق أو القتل، خرُّوا من جوانبها
كلها فغرقَتْ، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها لا من الميرة ولا من
الأسلحة، وحزن المسلمون على هذا المصاب حُزناً عظيماً، فإنَّا لله وإنا إليه
راجعون، ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء بأن أحرَقَ المسلمون في هذا اليوم
للفرنج دبابَةً كانت أَرْبَع طبقات؛ الأولى من خشب، والثانية من رصاص،
والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، وهي مشرفة على السور والمقاتلة فيها،
وقد قلق أهل البلد منها بحيث حدثتْهُمْ أنفسهم من خوفهم من شرِّها بأن يطلبوا
الأمان من الفرنج، ويسلموا البلد، ففرَّج الله وأمكنهم من حريقها، واتَّفَقَ ذلك

(١) الكوسات: صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يُدقُّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص.
صبح الأعشى ٨٤/٤.

فى هذا اليوم الذى غرقت فيه البطسة المذكورة ، فأرسل أهل البلد إلى السلطان يشكون كثرة الحصار وقوته عليهم ، منذ قديم ملك الإنكلتير ، لعنه الله ، ومع هذا قد مرض وجرح ملك الإفرنسييس أيضا ، ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة وغثوا ، وفارقهم المركيس ، وسار إلى بلده صور ، خوفا منهم أن يخرجوا ملكها من يده . وبعث ملك الإنكلتير إلى السلطان صلاح الدين يذكر أن عنده جوارح قد جاء بها من البحر ، وهو على نية إرسالها إليه ، ولكنها قد ضعفت وهو يطلب لها دجاجا وطيرا ؛ لتقوى به ، فعرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه بتلطيف ، فأرسل إليه بشيء من ذلك كراما وسجية وحشمة ، ثم أرسل يطلب فاكهة وتلجا ، فأرسل إليه أيضا ، فلم يفد معه الإحسان ، بل لما عوفى عاد إلى شرمما كان عليه ، واشتد الحصار ليلا ونهارا ، وأرسل من بالبلد يقولون : إن لم تعملوا معنا شيئا غدا طلبنا من الفرنج الأمان . فشقق ذلك على السلطان ؛ وذلك لأنه كان قد سير إليها أسلحة الشام والديار المصرية وسائر السواحل [٣٠٧/٩] ، وما كان غنمه من وقعة حطين ومن بيت المقدس ، فهي مشحونة بذلك ، فعزم السلطان على مهاجمة العدو ، فلما أصبح ركب فى جيشه ، فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم ، والرجال منهم قد ضربوا سورا حول الفرسان ، وهم قطعة من حديد صماء لا ينقذها شيء ، فأحجم عنهم ؛ لما يعلم من نكول جيشه عما يريد ، وتحذوه عليه شجاعته ، رحمه الله تعالى .

هذا وقد اشتد الحصار بالبلد جدا ، ودخلت الرجال منهم إلى الخندق ، وعلقوا بدنة من السور وحشوها وأحرقوها ، فسقطت ، ودخلت الفرنج إلى البلد ، فمانعهم المسلمون وقاتلوهم أشد القتال ، وقتلوا من رءوسهم ستة أنفس ، فاشتد حنق الفرنج عليهم جدا بسبب ذلك ، وجاء الليل فحال بين الفريقين ، فلما

أصبح الصباح خرج أمير المسلمين بالبلد سيف الدين المشطوب ، فاجتمع بملك الإفرنسيس وطلب منه الأمان على أنفسهم ، ويتسلمون منه البلد ، فلم يُجِبْهُ إلى ذلك ، وقال : بعدما سقط السور جئت تطلب الأمان ! فأغلظ له الأمير المشطوب في الكلام ، ورجع إلى البلد في حال الله بها عليهم ، ولما أخبر أهل البلد خافوا خوفاً شديداً ؛ لما وقع ، وأرسلوا إلى السلطان يعلمونه بما وقع ، فأرسل إليهم أن يشرعوا الخروج من البلد في البحر ، ولا يتأخروا عن هذه الليلة ، فلا يبقى بها مسلم ، فتشغل كثير ممن كان بها في جمع الأمتعة والأسلحة ، وتأخروا عن المسير تلك الليلة ، فما أصبح الخبر إلا عند الفرج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان ، فهربا إلى قومهما فأخبراهم بذلك ، فاحتفظوا على البحر احتفاظاً عظيماً ، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة ، ولا خرج منها شيء بالكيفية ، وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة ، فلم يوافق الجيش على ذلك ، وقالوا : لا نخاطر بالإسلام كله . فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرج يطلب منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق عدتهم من الأسرى الذين تحت يده من النصارى ، ويزيدهم على ذلك صليب الصليبوت ، فأبوا إلا أن يطلق كل أسير تحت يده ، ويُعيد إليهم جميع البلاد الساحلية التي أخذت منهم ، وبيت المقدس ، فأبى من ذلك ، وترددت المراسلات في ذلك ، والحصار يتزايد على أسوار البلد وقد تهدمت ثلث كثيرة منها ، وأعاد المسلمون كثيراً منها ، وسدوا ثغرات تلك الأماكن بنحورهم رحمهم الله ، وصبروا صبراً عظيماً ، وصابروا ، ثم كان آخر أمرهم الشهادة صبراً . وقد كتبوا إلى السلطان في آخر أمرهم يقولون : يا مولانا ، لا تخضع لهؤلاء الملاحين ، الذين قد أبوا عليك الإجابة فينا [٣٠٧/٩ ط] ، فقد بايعنا الله تعالى على الجهاد حتى نُقتل عن آخرنا ، وبالله المستعان .

فلَمَّا كَانَ وَقْتُ الظَّهِيرِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، مَا شَعَرَ النَّاسُ إِلَّا وَقَدْ ارْتَفَعَتْ أَعْلَامُ الْكُفْرِ وَصَلْبَانُهُ ، وَشِعَارُهُ وَنَارُهُ عَلَى أَسْوَارِ الْبَلَدِ ، وَصَاحَ الْفِرْنَجُ صَبِيحَةً وَاحِدَةً ، فَعَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَاشْتَدَّ حُزْنُ الْمُؤَحِّدِينَ ، وَانْحَصَرَ كَلَامُ الْعُقَلَاءِ مِنَ النَّاسِ فِي : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَغَشِيَ النَّاسَ بَهْتَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَخَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَوَقَعَ فِي الْعَسْكَرِ الصَّيَاحُ وَالْعَوِيلُ ، وَالبُكَاءُ وَالنَّحِيبُ ، وَدَخَلَ الْمَرْكَبُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ عَادَ إِلَيْهِمْ سَرِيعًا بِهَدَايَا إِلَى الْمُلُوكِ ، فَدَخَلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِأَرْبَعَةِ أَعْلَامٍ لِلْمُلُوكِ ، فَنَصَبَهَا فِي الْبَلَدِ ، وَاحِدًا عَلَى الْمِئْذَنَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَآخَرَ عَلَى الْقَلْعَةِ ، وَآخَرَ عَلَى بُرْجِ الدَّوَايَةِ ، وَآخَرَ عَلَى بُرْجِ الْقِتَالِ ، عِوَضًا عَنْ أَعْلَامِ السُّلْطَانِ ، وَتَحْيَرَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ بَهَا إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَلَدِ مُتَعَقِّلِينَ ، مُتَخَاطِّ بِهَمٍ ، مُضَيِّقٍ عَلَيْهِمْ ، قَدْ أُسِرَتِ النِّسَاءُ وَالْأَبْنَاءُ ، وَغُنِمَتْ مِنْهُمْ الْأَمْوَالُ ، وَقِيدَتِ الْأَبْطَالُ ، وَأُهِنَ الرِّجَالُ ، وَلَكِنَّ الْحَرْبَ سَبَّحَالُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَرَ السُّلْطَانُ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ ، الْجَيْشَ بِالتَّأَخُّرِ عَنْ هَذِهِ الْمُنْزَلَةِ الْمُضَابِقَةِ إِلَى الَّتِي بَعْدَهَا ، وَتَأَخَّرَ هُوَ جَرِيدَةً ؛ لِيَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُونَ ، وَمَا عَلَيْهِ يُعْوَلُونَ ، وَهُمْ - لَعَنَهُمُ اللَّهُ - بِالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْبَلَدِ مَشْغُولُونَ ، وَبِتَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا مَدْهُوشُونَ ، ثُمَّ سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَعِنْدَهُ مِنَ الْحُزْنِ وَالْهَمِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَجَاءَتِ الْمُلُوكُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَالْأَمْرَاءُ وَكُبرَاءُ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ يَعَزُّوْنَهُ فِيمَا وَقَعَ ، وَيَسْأَلُونَهُ عَمَّا عَنْهُ الْحَالُ انْقَشَعَ ، ثُمَّ رَاسَلَ مُلُوكَ الْفِرْنَجِ فِي خِلَاصِ مَنْ بَأْيَدِيهِمْ مِنْ أُسَارَى الْإِسْلَامِ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ عِدَّتَهُمْ مِنْ أُسَارَاهُمْ وَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَصَلِبِ الصَّلْبُوتِ إِنْ كَانَ بَاقِيًا ، فَأَرْسَلَ فَأَخْضَرَ الْمَالَ وَالصَّلِيبَ ، وَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُ مِنَ الْأُسَارَى إِلَّا سِتْمِائَةٌ أَسِيرٍ ، فَطَلَبَ الْفِرْنَجُ مِنْهُمْ أَنْ يُرِيَهُمُ الصَّلِيبَ مِنْ بَعِيدٍ ، فَلَمَّا

رُفِعَ لَهُمْ سَجْدُوا لَهُ ، وَأَلْقُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، وَبَعَثُوا يَطْلُبُونَ مِنْهُ مَا أَخْضَرَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْأَسَارَى وَالصَّلِيبِ ، فَامْتَنَعَ إِلَّا أَنْ يُرْسِلُوا إِلَيْهِ مَنْ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَسَارَى ، أَوْ يَبْعَثُوا إِلَيْهِ بَرَهَائِنَ عِنْدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالُوا : لَا ، وَلَكِنْ يُرْسَلُ ذَلِكَ وَيَرْضَى بِأَمَانَتِنَا . فَفَهُمْ مِنْهُمْ أَنْهُمْ يَرِيدُونَ الْعَذَرَ وَالْمُكَرَّ ، فَلَمْ يُرْسَلْ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ الْأَسَارَى إِلَى أَمَاكِنِهِمْ بِدِمَشْقَ ، وَبَعَثَ بِالصَّلِيبِ إِلَى دِمَشْقَ مُهَانًا ، وَأُبْرِزَتِ الْفِرْنَجُ خِيَامَهُمْ ظَاهِرَ الْبَلَدِ ، وَأَخْضَرُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، فَأَوْقَفُوهُمْ بَعْدَ الْعَصْرِ وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَتَلُوهُمْ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُمْ ، وَجَعَلَ الْجَنَّاتِ مُنْقَلَبَهُمْ ، [٣٠٨/٩] وَلَمْ يَسْتَبْقُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَمِيرًا أَوْ سَرِيًّا^(١) ، أَوْ مَنْ يَرُونَهُ فِي عَمَلِهِمْ قَوِيًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ صَبِيًّا ، وَكَانَ مَا كَانَ ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَشْتَفِيَانِ . وَكَانَ مَدَّةُ مُقَامِ السُّلْطَانِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، عَلَى عَكَا صَابِرًا مُصَابِرًا مُرَابِطًا سَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا ، وَجَمْلَةً مَن قُتِلَ مِنَ الْفِرْنَجِ خَمْسِينَ أَلْفًا .

فصل فيما جرى من الحوادث

بعد أخذ الفِرْنَجِ عَكَا^(٢)

سَارُوا بِرُؤْمِيَّتِهِمْ قَاصِدِينَ عَشَقْلَانَ ، وَالسُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ يُسَايِرُهُمْ وَيُعَارِضُهُمْ مِنْزِلَةً مِنْزِلَةً ، وَمَرْحَلَةً مَرْحَلَةً ، وَالْمُسْلِمُونَ يَتَخَطَّفُونَهُمْ وَيَسْلُبُونَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ ،

(١) فِي م : «أَوْصِيَا» . وَالسَّرِي : الْخِتَار . اللِّسَان (س ر ي) .

(٢) الرُّوضَتَيْنِ ١٩٠ / ٢ ، وَالنُّوَادِرُ السُّلْطَانِيَّةُ ص ١٧٥ .

وكلُّ أسير أُتى به إلى السلطان يأمرُ بقتله في ذلك المكان والأوان، وجرت بين الجيشين وقعاتٌ مُتعدِّداتٌ، ثم طلبَ ملكُ الإنكليز أن يجتمعَ بالملك العادل أخى السلطان يطلبُ منه الصلح والأمان، على أن تُعاد لأهلها بلادُ الساحل، فقال له العادل: إنَّ دونَ ذلك قتلُ كلِّ فارسٍ منكم وراجلي. فغضبَ اللعينُ ونهَضَ من عنده وهو متغضبٌ، ثم اجتمعتَ الفرنجُ على حربِ السلطان عندَ غابةِ أرسوف^(١)، فكانتِ النَّصرةُ للمسلمينَ، فقتلَ من الفرنجِ عندَ غابةِ أرسوفَ ألوفٌ بعدَ ألوفٍ، وقُتلَ من المسلمينَ خلقٌ كثيرٌ أيضًا، وقد كان الجيشُ فرَّ عن السلطان في أوَّلِ الوقعة، ولم يبقَ معه سوى سبعةَ عشرَ مُقاتلاً، وهو ثابتٌ صابراً، والكوسُ تُدقُّ لا تفترُّ، والأعلامُ منشورةٌ، ثم تراجعَ الناسُ فكانتِ النَّصرةُ للمسلمينَ والكرَّةُ على الكافرينَ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

ثم تقدَّم السلطانُ بعساكره فنزلَ ظاهرَ عسقلانَ، فأشارَ ذوو الرأي على السلطانَ بتخريبِ عسقلانَ خشيةً أن يتملَّكها الكفارُ، ويجعلوها وسيلةً إلى أخذِ بيتِ المقدسِ، صانه الله تعالى، أو يجري عندها من الحربِ والقتالِ نظيرُ ما كانَ عندَ عكا أو أشدَّ، فباتَ السلطانُ ليلتهُ مفكراً في ذلك، ولما أصبحَ وقد أوقعَ اللهُ في قلبه أن خرابها هو المصلحةُ، فذكرَ ذلك لمن حضره، وقال لهم^(٢): واللهِ لمؤتٍ جميعِ أولادى أهونُ عليَّ من تخريبِ حجيرٍ واحدٍ منها، ولكن إذا كان هذا فيه مصلحةٌ للمسلمينَ فلا بأسَ به.

ثم طلبَ الولاةَ وأمرهم بتخريبِ البلدِ سريعاً، قبلَ وصولِ العدوِّ المخدولِ،

(١) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. معجم البلدان ٢٠٧/١.

(٢) الروضتين ١٩٢/٢.

فَشَرَعَ النَّاسُ فِي خِرَابِهِ ، وَأَهْلُهُ وَمَنْ حَضَرَهُ يَتَبَاكُونَ عَلَى حُسْنِهِ وَطِيبِ مَقِيلِهِ ،
وَكثْرَةِ زُرُوعِهِ وَثَمَارِهِ ، وَغَزَارَةِ أَنْهَارِهِ وَنَضَارَةِ أَزْهَارِهِ . وَأُلْقِيَتِ النَّيْرَانُ فِي أَرْجَائِهِ
وَجَوَانِبِهِ ، وَخُرِبَتِ قَصُورُهُ وَدُورُهُ وَأَسْوَاقُهُ وَرِحَابُهُ ، وَأُتْلِفَ مَا فِيهِ مِنَ الْغَلَّاتِ الَّتِي
لَا يُمْكِنُ تَحْوِيلُهَا ، وَلَا نَقْلُهَا ، وَلَمْ يَزَلِ الْخَرَابُ وَالْحَرِيقُ فِيهِ إِلَى سَلْخِ شِعْبَانٍ مِنْ
هَذِهِ السَّنَةِ .

ثم رحل عنها السلطان في ثاني رمضان وقد [٣٠٨ / ٩ ظ] تركها قاعًا صَفْصَفًا ،
ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد ، ثم اجتازَ بِالرَّمْلَةِ فَخَرَّبَ حِصْنَهَا وَخَرَّبَ كَنِيسَةَ لُدٍّ ، وَزَارَ
بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَعَادَ إِلَى الْحَيِّمِ سَرِيعًا ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ ، ثُمَّ بَعَثَ مَلِكُ الْإِنْكَلْتِيرِ إِلَى
السُّلْطَانِ يَقُولُ لَهُ ^(١) : إِنْ الْأَمْرَ قَدْ طَالَ وَهَلَكَ الْفِرْنَجُ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُنَا
ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا سِوَاهَا ؛ رَدُّ الصَّلِيبِ ، وَبِلَادُ السَّاحِلِ ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ ، لَا نَرْجِعُ عَنْ
هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَبِنَا عَيْنٍ تَطْرِفُ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ جَوَابَ ذَلِكَ أَشَدَّ جَوَابٍ ،
وَأَسْوَأَ خَطَابٍ ، ثُمَّ عَزَمَتِ الْفِرْنَجُ عَلَى قَصْدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَتَقَدَّمَ السُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ
إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَتَرَكَهُ وَسَكَنَ فِي دَارِ الْقَسَاقِسِ قَرِيبًا مِنْ قُمامَةٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ،
وَشَرَعَ فِي تَحْصِينِ الْبَلَدِ وَتَعْمِيقِ خَنَادِقِهِ ، وَعَمِلَ فِيهِ بِنْفُسِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَعَمِلَ فِيهِ
الْأُمَرَاءُ وَالْقُضَاةُ وَالْعُلَمَاءُ وَالصُّوفِيَّةُ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَكَانَ وَقْتًُا مَشْهُودًا ، وَالْيَزْكُ حَوْلَ
الْبَلَدِ مِنْ نَاحِيَةِ الْفِرْنَجِ ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَسْتَظْهِرُونَ عَلَى الْفِرْنَجِ فَيَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ
وَيَغْنَمُونَ مِنْهُمْ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ . وَانْقَضَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

وفى هذه السنة فيما ذكره العِمَادُ الْكَاتِبُ ^(٢) تَوَلَّى الْقَاضِي مُخْيِي الدِّينِ
مُحَمَّدُ بْنُ الزَّكِيِّ قِضَاءَ دِمَشْقَ .

(١) الروضتين ١٩٣/٢ .

(٢) المصدر السابق ١٩٤/٢ .

وفيها عدا أمير مكة داود بن عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن أبي هاشم الحسني، فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود، كان قد لمّ شعثه حين ضربته ذلك القرمطي بالدبوس، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج حين رجعوا، عزله وولى أخاه مكثراً^(١)، ونقض القلعة التي كان بناها أخوه على جبل أبي قبيس، وأقام داود بنخلة^(٢) حتى توفى بها سنة تسع^(٣) وثمانين.

ومن توفى في هذه السنة من الأعيان :

الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب^(٤)، كان عزيزاً عند عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدين، استنابه بمصر وغيرها من البلاد، ثم أقطعته حماة ومُدناً كثيرة معها حولها ومن بلاد الجزيرة، وكان مع عمه السلطان على عكا، ثم استأذنه في الإشراف على بلاده المجاورة للفرات، فلما صار إليها اشتغل بها، وامتدت عيئه إلى أخذ غيرها من أيدي الملوك المجاورين له، فقاتلهم فاتفق موته وهو في ذلك، والسلطان صلاح الدين متغضب عليه بسبب اشتغاله بذلك عنه، وحملت جنازته حتى دُفن بحماة، وله مدرسة هناك هائلة، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة، وعليها أوقاف كثيرة مبرورة. وقام بالملك بعده ولده

(١) في م: «بكيرا»، وفي ص: «مكترا». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٧٦.

(٢) في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٧٦: «ثجله». وانظر الروضتين ١٩٦/٢.

(٣) في الأصل، م: «سبع». وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٧٦.

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ص ٨٠، والروضتين ١٩٤/٢، ووفيات الأعيان ٤٥٦/٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢٠٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٧٢، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/٢٤٢.

الْمُتَّصِرُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ ، فَأَقْرَبَهُ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ [٣٠٩/٩] عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ
جَهْدِ جَهْدٍ ، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ، وَلَوْلَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ تَشَفَّعَ فِيهِ لَمَا
اسْتَقَرَّ فِي مَكَانٍ أَبِيهِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ تَقِيِّ الدِّينِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ
عَشَرَ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَ شُجَاعًا بَاسِلًا وَهَمَامًا فَاتِكًا ، كَرِيمًا كَامِلًا ،
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الْأَمِيرُ حَسَامُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ لَاجِينٍ^(١) ، وَأُمُّهُ سَيِّدَةُ الشَّامِ بِنْتُ
أَيُوبَ ، وَاقِفَةُ الشَّامِيِّينَ^(٢) بِدِمَشْقَ ، وَفِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ أَيْضًا
تَفَجَّعَ السُّلْطَانُ بَابِنَ أَخِيهِ وَابْنَ أُخْتِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَقَدْ كَانَا لَهُ مِنْ أَكْبَرِ
الْأَعْوَانِ ، وَأَعَزِّ الإِخْوَانِ ، وَدُفِنَ حَسَامُ الدِّينِ فِي التَّرْبَةِ الْحُسَامِيَّةِ ، وَهِيَ الَّتِي
أَنْشَأَتْهَا أُمُّهُ بِمَحَلَّةِ الْغَوْيْنَةِ ؛ وَهِيَ الشَّامِيَّةُ الْبَرَزَائِيَّةُ .

وَفِيهَا تَوْفَى : الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سَلِيمَانُ بْنُ جَنْدَرٍ^(٣) الْحَلَبِيُّ ، وَكَانَ مِنْ
أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ ، وَفِي خِدْمَةِ السُّلْطَانِ حَيْثُ كَانَ ، وَهُوَ الَّذِي
أَشَارَ عَلَى السُّلْطَانِ بِتَخْرِيبِ عَشَقْلَانَ ، وَاتَّفَقَ مَرَضُهُ بِالْقَدْسِ ، فَاسْتَأْذَنَ فِي أَنْ
يُيَرَّضَ بِدِمَشْقَ ، فَأُذِنَ لَهُ ، فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى غَبَاغِبٍ^(٤) ، فَمَاتَ بِهَا فِي أَوَاخِرِ
ذِي الْحِجَّةِ .

(١) الكامل ٧٧/١٢ ، ومرة الزمان ٤١٣/١/٨ ، والروضتين ١٩٥/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث
وفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٧٨ ، والمختصر في تاريخ البشر ص ٨٠ .
(٢) أي المدرسة الشامية البرانية ، والمدرسة الشامية الجوانية . انظر الدارس في تاريخ المدارس ٢٧٧/١ ،
٣٠١ .

(٣) في الأصل : « حيد » ، وفي م : « حيدر » . وانظر ترجمته في : الكامل ٧٧/١٢ ، ومرة الزمان ١/٨/١
٤١٣ ، والروضتين ١٩٥/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث وفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٦٦ ، والوفاء
بالوفيات ٣٧٢/١٥ .

(٤) غباغب : قرية في أول عمل حوران من نواحي دمشق . معجم البلدان ٣/٧٧١ .

وفى رجب تُوفِّي الأميرُ الكبيرُ نائِبُ دِمَشقَ - حرسها اللهُ تعالى - الصَفِيُّ
ابنُ القابِضِ^(١) ، وقد كان من أكبرِ أصحابِ السُلطانِ قبلَ المُلكِ ، ثم استنابَه
على دِمَشقَ حتى تُوفِّي بها فى هذه السَنَةِ ، رَحِمَهُ اللهُ .

وفى ربيعِ الأوَّلِ تُوفِّي الطَّيِّبُ الماهرُ الحاذقُ أسعدُ بنُ المطرانِ^(٢) وقد شَرَفَ
بالإسلامِ ، وشكَّره على طِبِّهِ الخاصِّ والعامِّ ، رَحِمَهُ اللهُ .

الشيخُ نَجْمُ الدِّينِ الحُبُوشَانِي^(٣) الذى بنى تربةَ الشافِعِيِّ بِمِصْرَ بأمرِ السُلطانِ
صلاحِ الدينِ ، ووَقَّفَ عليها الأوقافَ السَّنيَّةَ ، وولَّاه تَدْرِيسَها ونَظَرَها ، وقد كان
السُلطانُ يحترِمُهُ ويُكرِمُهُ ، وقد ذَكَرَتْهُ فى « طبقاتِ الشافِعِيَّةِ » ، وما صنَّفَهُ فى
المَذْهَبِ مِنْ « شَرْحِ الوَسِيطِ » وغيرِهِ ، ولَمَّا تُوفِّي الحُبُوشَانِي طَلَبَ التَّدْرِيسَ
جَماعَةٌ ، فشَفَعَ المَلِكُ العادِلُ عِنْدَ أخِيهِ لشيخِ الشيوخِ أبى الحَسَنِ مُحَمَّدِ بنِ
حَمُوِيَه ، فولَّاه إِيَّاهَا ، ثم عُزِلَ عنها بَعْدَ مَوْتِ السُلطانِ ، واستمرَّتْ عليها أَيْدِى
بنى السُلطانِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، ثم خَلَصَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وعادَتْ إِلَيْها الفُقهاءُ
والمُدَرِّسُونَ ، وَاللَّهُ تعالى أَعْلَمُ بالصوابِ .

(١) فى الأصل : « العابض » ، وفى م : « الفاض » . وانظر ترجمته فى الكامل ٧٧/١٢ ، ومرآة الزمان ٨/٨١٣ ، والروضتين ١٩٥/٢ .

(٢) مرآة الزمان ٨/١١١ ، والروضتين ١٩٥/٢ ، وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٥١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٦٣ ، وأعيان الشيعة ١١/١٣٦ .

(٣) مرآة الزمان ٨/١١٤ ، ووفيات الأعيان ٤/٢٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢٠٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٢٧٨ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/١٤ .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة^(١)

استهَلَّتْ والسلطان صلاح الدين مُحَيِّمٌ بالقدس الشريف ، وقد قَسَمَ السورَ
بينَ أولاده وأمرائه ، وهو يعملُ فيه بنفسه ، ويحملُ الحِجَرَ بينَ القُرْبوسِ وبينه ،
والناسُ يَتَقَدُّونَ به وبالعلماء ، والفقراءُ يعملُونَ بأنفسهم ، والفرنجُ ، لعَنَهُمُ اللهُ ،
حولَ البلدِ مِن ناحية عَشَقْلانَ وما والآها ، لا يَتَجاسَرُونَ أن يَتَقَرَّبُوا مِن الحرسِ
واليزكِ الذينَ للسلطانِ حولَ القدس الشريف ، إلا أَنَّهُم على نِيَّةٍ مُحاصِرَةِ القدسِ
مُصَمِّمونَ ، ولكيِّدِ الإسلامِ مُجْمِعونَ ، وهم والحرسُ تارةً يَغْلِبُونَ وتارةً يُغْلَبُونَ ،
وتارةً يَنْهَبُونَ وتارةً يُنْهَبُونَ .

وفى ربيعِ الآخرِ وصلَ الأميرُ سيفُ الدينِ المشطوبُ إلى السلطانِ وهو
بالقدس ، مِن الأُسْرِ ، وكان نائِبًا على عَكَّا حينَ أُحِذْتُ ، فافتدىَ نفسه منهم
بِخَمْسِينَ أَلْفَ دينارٍ ، فأعطاه [٣٠٩/٩ ظ] السلطانُ شيئًا كثيرًا منها ، واستنابَه على
مدينةِ نابُلُسَ ، فتوفى بها فى شَوَّالٍ منها .

وفى ربيعِ الآخرِ قُتِلَ الماركيسُ صاحبُ صُورَ ، لعَنَهُ اللهُ ؛ أُرْسِلَ إليه ملكُ
الإنكليتيرِ اثْنينِ مِنَ الفِدَاوِيَّةِ فقتَلُوهُ ، فأظهَرَا التَّنَصُّرَ ، ولزِمَا الكنيسةَ حتى ظفِرا
بالمركيسِ فقتَلاه وقَتِلا ، فاستنابَ ملكُ الإنكليتيرِ عليها ابنَ أُختِهِ لأُمِّهِ الكندهرى ،
وهو ابنُ أُختِ مَلِكِ إِفْرَنْسِيَسَ لأبيه ، فهما خالاه ، لعَنَهُ اللهُ ، ولما صارَ إلى صُورَ

(١) الكامل ٧٨/١٢ ، الروضتين ١٩٦/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٧٧

ابتنى بزوجة المركيس بعد موته بليلة واحدة، وهى حُبلى أيضاً، وذلك لشدّة
العداوة التى كانت بين الإنكليّين وبينه، وقد كان السلطان صلاح الدين
يُغضّهما، ولكنّه قد كان صانعهُ المركيس ببعض الشىء، فلم يهنّ قتله عليه.

وفى تاسع جمادى الأولى استولى الفرنج، لعنهم الله، على قلعة الداروم^(١)
فخرّبوها، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها، وأسروا طائفة من الذرّية، فإنّا لله وإنا إليه
راجعون، ثم أقبلوا بخيلهم ورجلهم جملة نحو القدس الشريف، فبرز إليهم
السلطان فى حزب الإيمان وهو مشتمل على الرّجال والفرسان والأبطال
والشجعان، فلما تراءى الجمعان نكص حزب الشيطان على عقبيه، وانقلبوا
راجعين قبل القتال والنزال، وعاد السلطان إلى القدس الشريف وقد ﴿رَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ثم إنَّ ملك الإنكليّين، لعنه الله - وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الوقت - ظفر
ببعض قُفُول المسلمين، فكبّسهم ليلاً فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر منهم
خمسماية أسير، وغنم منهم شيئاً كثيراً من الأموال والجمال، والخيل والبغال،
فكان جملة الجِمال ثلاثة آلاف بعير، فتقوى الفرنج بذلك شيئاً كثيراً، وساء ذلك
السلطان مساةً عظيمةً جداً، وخاف من غائلة ذلك، واستخدم الإنكليّين الجمالة
على الجِمال، والخزبندية^(٢) على البغال، والساسة على الخيل، وأقبل وقد قويّت
نفسه جداً، وصمّم على مُحاصرة القدس، وأرسل إلى ملوك الفرنج الذين

(١) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد مصر. معجم البلدان ٢/ ٥٢٥.

(٢) الخزبندية: المكارون، تعريب خربنده، ومعناه مربى الحمار، الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٢.

بالساحل، فاشتَحَضَرهم وَمَن معهم مِنَ المقاتلةِ، فَتَجَبَّأَ السُّلْطَانُ لَهُمْ وَتَهَيَّأَ، وَأَكْمَلَ السُّورَ وَعَمَّرَ الخنادقَ، وَنَصَبَ الآلاتِ والمجانيقَ، وَأَمَرَ بِتَغْوِيرِ ما حَوْلَ القُدْسِ مِنَ المِياهِ، وَأَخْضَرَ السُّلْطَانُ أُمَرَاءَهُ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ تاسِعَ عَشَرَ جُمادى الآخرةِ، وَفِيهِمْ أَبُو الهَيْجَاءِ السَّمِينُ^(١) والمَشْطُوبُ، والأَسَدِيَّةُ بِكَمالِهِمْ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا قَدْ دَهَمَهُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ الفُظْيَعِ المُوجِعِ المُؤْلِمِ، فَأَفَاضُوا فِي ذَلِكَ، وَأَشَارُوا كُلُّ بَرَأِيَةٍ، وَأَشَارَ العِمَادُ الكَاتِبُ بِأَنْ يَتَحَالَفُوا عَلَى المَوْتِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَ، فَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ، هَذَا كُلُّهُ وَالسُّلْطَانُ سَاكِتٌ وَاجْتَمَعَ مَفَكَّرٌ، فَسَكَتَ القَوْمُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، ثُمَّ قَالَ^(٢): الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ااعْلَمُوا أَنَّكُمْ جُنْدُ الإِسْلامِ اليَوْمَ وَمَنْعَتُهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ وَذَرَارِيَهُمْ مُعَلَّقَةٌ فِي ذِمَّتِكُمْ، فَإِنَّ هَذَا العَدُوَّ أَمِنَ لَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ مَنْ تَلَقَّاهُ إِلَّا أَنْتُمْ، فَإِنْ لَوْيْتُمْ أَعْنَتَكُمْ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - طَوَى البِلَادَ كَطَيِّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِمَّتِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَصَدَّقْتُمْ لِهَذَا، وَأَكَلْتُمْ مَالَ بَيْتِ المَالِ، [٣١٠/٩] فَالمُسْلِمُونَ فِي سَائِرِ البِلَادِ مُتَعَلِّقُونَ بِكُمْ، وَالسَّلَامُ.

فانْتَدَبَ لْجِوَابِهِ سَيْفُ الدِّينِ المَشْطُوبُ، وَقَالَ^(٣): يَا مُؤَلَّانَا، نَحْنُ بِمَمَالِيكَ وَعَبِيدُكَ، وَأَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَنَا وَكَبَّرْتَنَا وَعَظَّمْتَنَا، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا رِقَابُنَا وَنَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَاللَّهِ مَا يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنَّا عَنْ نُصْرَتِكَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ. فَقَالَ الجَمَاعَةُ مِثْلَ مَا قَالَ، فَفَرِحَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ وَطَابَ قَلْبُهُ، وَمَدَّ لَهُمْ سِمَاطًا حَافِلًا، وَانْصَرَفُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ عَلَى ذَلِكَ.

(١) فِي الأَصْل: «المسهن»، وَفِي م: «الميسين». وَانْظُرِ الرُّوضَتَيْنِ ١٩٨/٢.

(٢) النُّوَادِرُ السُّلْطَانِيَّةُ ص ٢١٦.

(٣) المَصْدَرُ السَّابِقُ.

ثم بلغه بعد ذلك عن بعض الأمراء أنه قال^(١) : إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْنَا فِي
هَذَا الْبَلَدِ ، كَمَا جَرَى عَلَى أَهْلِ عَكَّا ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ بِلَادَ الْإِسْلَامِ بِلَدًا بِلَدًا ،
وَالْمُضْلِحَةُ أَنْ نَلْتَقِيَهُمْ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ ؛ فَإِنْ هَزَمْنَاهُمْ أَخَذْنَا بَقِيَّةَ بِلَادِهِمْ ، وَإِنْ تَكُنَّ
الْأُخْرَى سَلِمَ الْعَسْكَرُ ، وَمَضَى الْقُدُسُ وَقَدْ انْحَفَظَتْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ بِدُونِ الْقُدُسِ
مُدَّةً طَوِيلَةً .

وَبَعَثُوا إِلَى السُّلْطَانِ يَقُولُونَ لَهُ^(٢) : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُنَا نَقِيمَ بِالْقُدُسِ تَحْتَ حِصَارِ
الْفَرَنْجِ ، فَكُنْ أَنْتَ مَعَنَا أَوْ بَعْضُ أَهْلِكَ ، حَتَّى يَكُونَ الْجَيْشُ تَحْتَ أَمْرِكَ ؛ فَإِنَّ
الْأَكْرَادَ لَا تَطِيعُ التُّرْكَ ، وَالتُّرْكَ لَا تَطِيعُ الْأَكْرَادَ .

فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَقَّ عَلَيْهِ مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَبَاتَ لَيْلَتَهُ أَجْمَعَ مَهْمُومًا كَثِيرًا يَفْكُرُ
فِيمَا قَالُوا ، ثُمَّ انْجَلَى الْأَمْرُ وَاتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ الْأَمْجَدُ ، صَاحِبُ
بَغْلَبَك ، مُقِيمًا عِنْدَهُمْ نَائِبًا عَنْهُ بِالْقُدُسِ ، وَكَانَ ذَلِكَ نَهَارَ الْجُمُعَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَ
إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِلظَّهْرِ ، قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ ، وَسَجَدَ
وَابْتَهِلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ابْتِهَالًا عَظِيمًا ، وَتَضَرَّعَ لِرَبِّهِ ، وَتَمَشَّكَنَ وَسْأَلَهُ فِيمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَهُ كَشَفَ هَذِهِ الضَّائِقَةَ الْعَظِيمَةَ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ مِنَ الْعَدِ جَاءَتِ الْكُتُبُ مِنَ الْحَرَسِ حَوْلَ الْبَلَدِ بِأَنَّ
الْفَرَنْجَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي مُحَاصِرَةِ الْقُدُسِ ، فَقَالَ مَلِكُ الْإِفْرَنْسِيْسِ : إِنَّا إِنَّمَا
جِئْنَا مِنَ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ وَأَنْفَقْنَا الْأَمْوَالَ الْعَدِيدَةَ فِي تَخْلِيصِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَرَدِّهِ
إِلَيْنَا ، وَقَدْ بَقِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مَرَحَلَةٌ ، فَقَالَ الْإِنْكِلَافِيُّ : إِنْ هَذَا الْبَلَدَ يَشُقُّ عَلَيْنَا

(١) النوادر السلطانية ص ٢١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .

حصارُه ؛ لأن المياة حوله قد غَدِمَتْ ، ومتى بَعَثْنَا مَنْ يَأْتِينَا بِالماءِ مِنَ المشقةِ البعيدةِ
تَعَطَّلَ الحِصَارُ ، وتَلَفَ الجيشُ ، ثم اتَّفَقَ الحالُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ حَكَّمُوا عَلَيْهِمْ
ثَلَاثِمِائَةَ مِنْهُمْ ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْهُمْ ،
فَبَاتُوا لِيَلْتَهُمْ يَنْظُرُونَ ، ثم أَصْبَحُوا وَقَدْ حَكَّمُوا عَلَيْهِمْ بِالرَّحِيلِ ، فلم يَمْكِنُهُمْ
مُخَالَفَتُهُمْ ، فَسَحَبُوا رَاجِعِينَ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى
الرَّهْمَةِ ، وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْهِمُ الْغَرَبَةُ وَالرَّهْمَةُ ، وَذَلِكَ فِي بُكْرَةِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ
جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَبَرَزَ السُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ إِلَى خَارِجِ الْقُدْسِ ، وَسَارَ نَحْوَهُمْ خَوْفًا
أَنْ يَسِيرُوا إِلَى مِصْرَ ؛ لكَثْرَةِ مَامِعِهِمْ مِنَ الظُّهْرِ وَالْأَمْوَالِ ، وَكَانَ الْإِنْكَلَتِيرُ يُلْهَجُ
بِذَلِكَ كَثِيرًا ، فَخَذَلَهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَتَرَدَّدَتِ الرِّسْلُ مِنَ الْإِنْكَلَتِيرِ إِلَى السُّلْطَانِ
فِي طَلَبِ الصَّلَاحِ ، وَوَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ ثَلَاثَ سَنِينَ ، وَعَلَى أَنْ يُعِيدَ لَهُمْ
عَسْقلَانَ ، وَيَهَبَ لَهُمْ كَنِيسَةَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَهِيَ الْقُمَامَةُ ، وَأَنْ يُمَكِّنَ النَّصَارَى
[٣١٠/٩ ظ] مِنْ زِيَارَتِهَا وَحُجَّهَا بِلا شَيْءٍ ، فَاِمْتَنَعَ السُّلْطَانُ مِنْ إِعَادَةِ عَسْقلَانَ
وَأَطْلَقَ لَهُمُ الْقُمَامَةَ ، وَفَرَضَ عَلَى الزُّوَّارِ مَالًا يُؤْخَذُ مِنْ كُلِّ مِنْهُمْ ، فَاِمْتَنَعَ
الْإِنْكَلَتِيرُ إِلَّا أَنْ تُعَادَ لَهُمْ عَسْقلَانَ ، وَيُعَمَّرَ سُوْرُهَا كَمَا كَانَتْ ، فَصَمَّمَ السُّلْطَانُ
عَلَى عَدَمِ الْإِجَابَةِ .

ثم رَكِبَ السُّلْطَانُ حَتَّى وَافَى يَافَا فَحَاصَرَهَا حِصَارًا شَدِيدًا ، فَافْتَتَحَهَا ، وَغَنِمَ
جَيْشُهُ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا ، وَامْتَنَعَتِ الْقَلْعَةُ ، فَبَالَغَ فِي أَمْرِهَا حَتَّى هَانَتْ وَلَانَتْ
وَدَانَتْ ، وَكَادُوا أَنْ يِعْتُوا إِلَيْهِ بِأَقَالِيدِهَا ، وَيَأْخُذُوا الْأَمَانَ لِكَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا ، فَبَيْنَمَا
هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَشْرَفَتْ عَلَيْهِمْ مَرَاكِبُ الْإِنْكَلَتِيرِ عَلَى وَجْهِ الْبَحْرِ ، فَقَوِيَتْ رُءُوسُهُمْ
وَاسْتَعَصَتْ نَفُوسُهُمْ ، وَهَجَمَ اللَّعِينُ فَأَعَادَ الْبَلَدَ ، وَقَتَلَ مَنْ تَأَخَّرَ بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَفَهَّقَرَ السُّلْطَانُ عَنْ مَنْزِلَةِ الْحِصَارِ إِلَى مَا وَرَاءَهَا ؛ خَوْفًا عَلَى

الجيش من مَعَرَّةِ الفَرَجِ ، فجعلَ مَلِكُ الإنكِلَتِيرِ يَتَعَجَّبُ مِنْ شِدَّةِ سَطْوَةِ السُّلْطَانِ ؛ كيفَ فَتَحَ هذا البلدَ العَظِيمَ في يَومَينِ ، وَغَيرَهُ لَا يَمِكنُهُ فَتْحُهُ في عَامَينِ ، وَلَكِنْ مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ مَعَ شَهَامَتِهِ وَصِرَامَتِهِ يَتَأَخَّرُ مِنْ مَنزِلَتِهِ بِمَجَرَّدِ قُدُومِي ، وَأَنَا وَمَنْ مَعِيَ لَمْ نَخْرُجْ مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا جَرَاءِدَ بِلَا سِلَاحٍ ، ثُمَّ أَلَحَّ فِي طَلَبِ الصُّلْحِ عَلَى أَنْ تَكُونَ عَشَقْلَانُ دَاخِلَةً فِي صُلْحِهِمْ ، فَامْتَنَعَ السُّلْطَانُ أَشَدَّ الِامْتِنَاعِ ، ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ كَتَبَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي الْإِنْكِلَتِيرِ وَهُوَ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ فَارَسًا ، وَحَوْلَهُ قَلِيلٌ مِنَ الرِّجَالَةِ ، فَأَوَكَبَ السُّلْطَانُ بِجَيْشِهِ حَوْلَهُ وَحَصَرَهُ حَصْرًا لَمْ يَنْقُ لَهُ مَعَهُ نَجَاةٌ ، لَوْ صَمَّمُ مَعَهُ الْجَيْشُ ، وَلَكِنَّهُمْ نَكَلُوا كُلَّهُمْ عَنِ الْجُمْلَةِ ، فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَجَعَلَ السُّلْطَانُ يَحْرِضُهُمْ غَايَةَ التَّخْرِيطِ ، فَكُلُّهُمْ يَمْتَنِعُ كَمَا يَمْتَنِعُ الْمَرِيضُ مِنْ شَرْبِ الدَّوَاءِ .

هذا وَالْإِنْكِلَتِيرِ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، قَدْ رَكِبَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَأَخَذَ عُذَّةَ قِتَالِهِ وَجِرَابِهِ ، وَاسْتَعْرَضَ الْمَيْمَنَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِ الْمَيْسَرَةِ - يَعْنِي مَيْمَنَةَ الْمُسْلِمِينَ وَمَيْسَرَتَهُمْ - فَلَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْفَرَسَانِ ، وَلَا بَهَشٌ ^(١) فِي وَجْهِهِ بَطْلٌ مِنَ الشُّجْعَانِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَرَّ السُّلْطَانُ رَاجِعًا ، وَقَدْ أَحْزَنَهُ أَنَّهُ لَمْ يَزَ مِنْ الْجَيْشِ مُطِيعًا وَلَا سَامِعًا ، فَإِنَا لِلَّهِ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

ثُمَّ حَصَلَ لِلْإِنْكِلَتِيرِ بَعْدَ ذَلِكَ مَرَضٌ شَدِيدٌ ، وَبَعَثَ إِلَى السُّلْطَانِ يَطْلُبُ مِنْهُ فَاكِهَةً وَتَلْجَا ، فَأَمَدَّهُ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ مِنْ بَابِ الْفُتُوَّةِ وَالْإِحْسَانِ وَإِظْهَارِ الْقُوَّةِ وَالِامْتِنَانِ ، ثُمَّ غَوَفَى ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَتَكَرَّرَتِ الرُّسُلُ مِنْهُ يَطْلُبُ مِنَ السُّلْطَانِ الْمَصَالِحَةَ ؛ وَذَلِكَ لِكثْرَةِ شَوْقِهِ إِلَى بِلَادِهِ ، وَتَوَقُّعِهِ إِلَى مَلَاذِهِ ، وَطَاوَعِ السُّلْطَانِ عَلَى مَا يَقُولُ ، وَنَزَلَ عَنْ طَلَبِ عَشَقْلَانٍ ، وَرَضِيَ بِمَا رَسَمَ بِهِ السُّلْطَانُ ، وَكُتِبَ كِتَابُ الصُّلْحِ عَلَى مَا رَسَمَ بِهِ السُّلْطَانُ فِي ثَامِنِ عَشَرَ شَعْبَانَ ، وَأُكِّدَتِ الْعَهْدُ وَالْمَوَاقِيقُ

(١) أَى أُسْرِعَ ، وَنَظَرَ أَيْضًا . انْظُرِ النِّهَايَةَ ١٦٦/١ .

مِنْ كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ وَأُسْقِفَ وَجَائِلِيَّ، وَحَلَفَ الْأَمْرَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَتَبُوا خُطُوطَهُمْ، وَاكْتَفَى مِنَ السُّلْطَانِ بِالْقَوْلِ الْمَجْرَدِ كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ السُّلْطَانِينَ، وَفَرِحَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَرَحًا كَثِيرًا، وَأَظْهَرُوا سُورًا، وَوَقَعَتِ الْهَدْنَةُ عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ ^(١) ثَلَاثَ سَنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَعَلَى أَنْ يُقَرَّرَ مَا بَأْيْدِيهِمْ مِنَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ، وَلِلْمُسْلِمِينَ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ الْبِلَادِ الْجَبَلِيَّةِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَعَامَلَاتِ فَقَسَمُوهَا عَلَى الْمُنَاصَفَةِ، وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ مَائَةَ نَقَابٍ صُحْبَةٍ أَمِيرٍ؛ لِتُخْرِيبِ سُورِ عَشَقَلَانَ، وَإِخْرَاجِ مَنْ بَهَا مِنَ الْفَرَنْجِ وَالْأَلْمَانِ.

وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ، فَتَرَّبَ [٣١١/٩] أَحْوَالَهُ وَوُطْدَهَا، وَسَدَّدَ أُمُورَهُ وَأَكَّدَهَا، وَزَادَ وَقْفَ الْمَدْرَسَةِ سُوقًا بِدَكَكِينِهَا وَأَرْضًا بِبَسَاتِينِهَا، وَزَادَ وَقْفَ الصُّوفِيَّةِ أَيْضًا، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُحَجَّجَ عَامَهُ ذَلِكَ، فَكَتَبَ إِلَى الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ؛ لِيَعْلَمُوا بِذَلِكَ، وَيَتَأَهَّبُوا لَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقَاضِي الْفَاضِلُ ^(٢) يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَى الْبِلَادِ، وَيَذْكُرُ لَهُ أَنَّ النَّظَرَ فِي أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَإِصْلَاحِ أُمُورِهِمُ الَّذِي قَدْ تَدَاعَى إِلَى الْفَسَادِ، وَسَدِّ ثَغُورِهِمْ، وَمُصَابَرَةِ أَعْدَائِهِمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ، أَفْضَلُ لَكَ مِمَّا عَزَمْتَ عَلَيْهِ عَامَكَ هَذَا، وَالْعَدُوُّ الْمَخْذُولُ مَخَيَّمٌ بَعْدَ الشَّامِ لَمْ يُقْلِعْ مِنْهُ مَرَكَبٌ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يُهَادِنُونَ؛ لِيَتَقَوَّوْا وَيَكْثُرُوا، ثُمَّ يَمْكُرُوا وَيَغْدُرُوا.

فَسَمِعَ السُّلْطَانُ مِنْهُ، وَشَكَرَ نُصْحَهُ وَقَبِلَهُ، وَعَزَمَ عَلَى تَرْكِ الْحَجِّ عَامَهُ ذَلِكَ، وَكَتَبَ بِهِ إِلَى سَائِرِ الْمَمَالِكِ، وَاسْتَمَرَ السُّلْطَانُ مُقِيمًا بِالْقُدْسِ جَمِيعَ شَهْرِ رَمَضَانَ

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ، م: «ثَلَاثِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ». وَانْظُرِ الْكَامِلَ ٨٥/١٢.

(٢) الْفَتْحُ الْقَسِيُّ ص ٦١١ بِنَحْوِهِ.

فى صيام وصلاة وقرآن ، وكلّما وقد أخذ من رؤساء النصارى للزيارة أولاه غاية الإكرام والإحسان ؛ تأليفاً لقلوبهم وتأكيذاً لما حلّفوه من الأيمان ، ورغبة أن يدخل فى قلوبهم شىء من الإيمان ، ولم يثق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة مُتَنَكِّراً ، ويحضرُ سِماطَ السلطان فيمنّ يحضر من جمهورهم ، بحيث لا يرى ، والسلطان يعلم ذلك جملة لا تفصيلاً ، ولهذا يعاملهم بالإكرام ، ويؤريهم صفحاً جميلاً ، وبرّاً جزيلًا ، وظلاً ظليلاً .

فلما كان خامس شوال ركب فى عساكره وجحافلّه ، فبرز من القدس الشريف قاصداً دِمَشَقَ المحروسة ، واستناب على القدس عز الدين جُزْدِيك ، وعلى قضائها بهاء الدين يُوسُفَ بن رافع بن تميم الشافعى ، واجتاز على وادى الحِجِبِ^(١) ، وبات على بركة الدَّاوِيَّةِ^(٢) ، ثم أصبح فى نابلس ، فنظر فى أحوالها وأمورها ، ثم ترخّل عنها ، فجعل يمرّ بالمعاقل والحصون والبلدان للنظر فى الأحوال والأموال وكشف المظالم والمحارم والمآثم وترتيب المكارم ، وفى أثناء الطريق جاء إلى خدمته يئمنند صاحب أنطاكية فأكرمه وأحسن إليه ، وأطلق له أموالاً جزيلةً وخلعاً جميلاً ، وكان العماد الكاتب فى صُحْبَتِهِ ، فأخبر عن منزله منزلةً منزلةً ومرحلةً مرحلةً ، إلى أن قال^(٣) : وعبر يوم الاثنين عَيْنَ الجَرِّ^(٤) إلى مَرْجِ يَئُوس^(٥) ، وقد زال البوس ، وهناك توافد أعيان دِمَشَقَ وأماثلها وأفاضلها

(١) الحِجِب : حصنان يقال لهما : الحِجِبُ الفوقانى والحِجِبُ التحتانى بين بيت المقدس ونابلس من أعمال فلسطين وهما متقاربان . معجم البلدان ٢ / ١٧٠ .

(٢) الداوية : ويقال : الديوية . حصن حصين بنواحي الشام . معجم البلدان ٢ / ٢٧٦ .

(٣) الروضتين ٢ / ٢٠٧ .

(٤) عين الجر : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق . معجم البلدان ٣ / ٧٦٠ .

(٥) مرج ييوس : ييوس جبل بالشام بوادى التيم من دمشق . معجم البلدان ٤ / ١٠٠٧ .

وفواضلها، ونزلنا يوم الثلاثاء على العرادة^(١)، جرى المتلقون بالطرف والتحف على العادة، وأصبخنا يوم الأربعاء - يعنى سادس عشر شوال بكرة - إلى جنة دمشق داخلين بسلام آمين، لولا أننا غير خالدين، وكانت غيبة السلطان عنها طالّت أربع سنين، فأخرجت دمشق أثقالها، وأبرزت نساءها ورجالها، وكان يوم الزينة، وخرج كل من فى المدينة، وحشر الناس ضحى، وأشاعوا استبشاراً وفرحاً، واجتمع بأولاده الكبار والصغار، وقدم عليه رسل الملوك من سائر الأمصار، وأقام بقية عامه فى اقتناص الصيد وحضور دار العدل للفصل، والعمل [٣١١/٩ ظ] بالإحسان والفضل.

ولما كان عيد الأضحى امتدحه بعض الشعراء بقصيدة يقول فيها^(٢):

وأبيها لولا تغزل عَيْنِي	ها لما قلت فى التغزل شِعْرًا
ولكائن مداخل الملك الناصر	صرى أولى ما فيه أعمل فكرًا
ملك طَبَّقَ الممالك عدلاً	مثل ما أوسع البرية برًا
فتحل الأعياد صومًا وفطراً	وتلق الهناء ^(٣) برًا وبحراً
يا مُسِرَّ الطاعات لله إن أضد	حى ملك على الهنات مُصِرًا
نلت ما تبتغى من الدين والدن	يا فتيتها على الملوك وفخرًا
قد جمعت المجدنين أضلاً وفزعاً	وملكت الدارين دنيا وأخرى

ومما وقع فى هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين الشبكتكينى وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه فى سنة

(١) العرادة: قرية على رأس تل شبه القلعة بين رأس عين ونصيبين. معجم البلدان ٣/٦٢٧.

(٢) الروضتين ٢/٢٠٨.

(٣ - ٣) فى مصدر التخريج: «فطرا ونحرا».

ثلاث وثمانين ، فأظفره الله بهم فى هذه السنة ، فكسّرهم وقتل خلقاً منهم ، وأسر خلقاً ، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم ، وثمانية عشر فيلاً ، من جملتها الذى كان جرحه ، فأحضر الملك بين يديه فأهانّه ولم يُكرمه ، واستحوذ على حصنه ، وأخبر بما كان فيه من كل جليل وحقير ، ثم قتله بعد ذلك ، وعاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً مشروراً محبوباً .

وفى هذه السنة اتهم أمير الحجّ ببغداد وهو طاشتكين - وقد كان على إمرة الحجيج من مدة عشرين سنة ، وكان فى غاية حُسن السيرة - بأنه يُكاتب صلاح الدين بن أيّوب بالقدوم إلى العراق ليأخذها ، فإنه ليس يَزُدّه ^(١) أحد ، وقد كان مكذوباً عليه فى ذلك ، ومع هذا حُبس وأُهيّن وصودر .

فصل

ومَن توفى فيها من الأعيان :

القاضى شمس الدين ، محمد بن محمد بن موسى ^(٢) ، المعروف بابن الفراش ، كان قاضى العساكر بدمشق ، ويزيله السلطان فى الرّسالات إلى ملوك الآفاق ، وتوفى بمطية عائداً من بنى قلع .

سيف الدين على بن أحمد المشطوب ^(٣) ، كان من أصحاب أسد الدين

(١) فى الأصل : « بين يديه » ، وفى م : « بينه وبينها » .

(٢) الروضتين ٢ / ٢٠٩ .

(٣) النواذر السلطانية ص ٢٤٠ ، والروضتين ٢ / ٢٠٩ ، ومرآة الزمان ١ / ٨ / ٤٢٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٣٠٢ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ١١٧ ، وشذرات الذهب ٤ / ٢٩٤ .

شِيرْكُوهُ ، حَضَرَ مَعَهُ الْوَقَعَاتِ الثَّلَاثَ بِدْيَارِ مِصْرَ ، ثُمَّ صَارَ مِنْ أَكْبَارِ أُمَرَاءِ صَلَاحِ الدِّينِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ نَائِبًا عَلَى عَكَّا حِينَ أَخَذَهَا الْفَرَنْجُ ، فَأَسْرَوْهُ فِي جَمَلَةٍ مِنْ أَسْرَوْا ، فَافْتَدَى نَفْسَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَتَخَلَّصَ إِلَى أَنْ خَلَصَ إِلَى السُّلْطَانِ وَهُوَ بِالْقُدْسِ فَأَغْطَاهُ أَكْثَرَهَا ، وَوَلَاهُ نِيَابَةَ نَابُلُسَ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْأَحَدِ الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ .

صَاحِبُ بِلَادِ الرُّومِ عَزُّ الدِّينِ قَلِجُ أَرْسَلَانَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَلِجِ أَرْسَلَانَ^(١) ، وَكَانَ قَدْ قَسَمَ جَمِيعَ بِلَادِهِ بَيْنَ أَوْلَادِهِ ؛ طَمَعًا فِي طَاعَتِهِمْ لَهُ ، فَخَالَفُوهُ وَتَجَبَّرُوا وَعَتَوْا عَلَيْهِ ، وَخَفَضُوا قَدْرَهُ حَتَّى ارْتَفَعُوا ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تُوُفِيَ فِي عَامِهِ هَذَا .

وَفِي رَبِيعِ الْآخِرِ تُوُفِيَ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ أَبُو الْمَرْهَفِ ، نَصْرُ بْنُ مَنْصُورِ الثَّمِيرِيِّ^(٢) ، سَمِعَ الْحَدِيثَ وَاشْتَغَلَ بِالْأَدَبِ ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَهُ جُدَرِيٌّ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ فَانْقَصَ بَصَرُهُ ، فَكَانَ لَا يُبْصِرُ الْأَشْيَاءَ الْبَعِيدَةَ ، وَيَرَى الْقَرِيبَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْتِاجُ إِلَى قَائِدٍ ، فَارْتَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ ؛ لِمُدَاوَاةِ عَيْنَيْهِ فَآيَسَتْهُ الْأَطْبَاءُ مِنْ ذَلِكَ ، فَاشْتَغَلَ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَمُصَاحَبَةِ الصَّالِحِينَ وَالزُّهَادِ فَأَفْلَحَ ، وَلَهُ دِيْوَانُ شَعْرِ كَبِيرٌ حَسَنٌ ، وَقَدْ سُئِلَ مَرَّةً عَنْ مَذْهَبِهِ وَاعْتِقَادِهِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ^(٣) :

(١) الكامل ٨٧/١٢ ، ومرة الزمان ٤٢٠/١/٨ ، وفيه : « قليج » ، والروضتين ٢/٢٠٩ ، وفيه : « قليج » ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٠٦ ، والنجوم الزاهرة ٦/١١٧ ، وفيه : « قليج » .

(٢) معجم الأدباء ١٩/٢٢٢ ، ووفيات الأعيان ٥/٣٨٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢١٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣١١ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١/٣٧٤ .

(٣) الأبيات في سير أعلام النبلاء ٢١/٢١٤ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، والذيل على طبقات الحنابلة ١/٣٧٥ .

أَحَبُّ عَلِيًّا وَالْبَتُولَ وَوُلَدَهَا وَلَا أَجْحَدُ الشَّيْخَيْنِ فَضْلَ التَّقْدِيمِ
 [و٣١٢/٩] وَأَبْرَأُ مَنْ نَالَ عُثْمَانَ بِالْأَذَى كَمَا أَتَبَّرَا مِنْ وَلَاءِ ابْنِ مُلْجِمِ
 وَيُعْجِبُنِي أَهْلُ الْحَدِيثِ لَصِدْقِهِمْ فَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ سِوَاهُمْ بِمُنْتَمِي
 وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِيغْدَادَ ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الشَّهَدَاءِ بِيَابِ حَرْبٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة

فيها^(١) كانت وفاة الملك الناصر صلاح الدين^(٢)، رحمه الله تعالى.

استهلت هذه السنة وهو في غاية الصحة والسلامة، وخرج هو وأخوه العادل أبو بكر إلى الصيد شرقى دمشق، وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه أنه بعدما قد تفرغ من أمر الفرنج هذه المدة يسيروا إلى بلاد الروم، ويبحث أخاه إلى خلاط، فإذا فرغا من شأنهما سارا جميعا إلى بلاد أذربيجان، وبلاد العجم، فإنه ليس دونها أحد يمانع عنها ولا يضدّهم عنها، فلما قديم الحجيج من الحجاز الشريف في يوم الاثنين حادى عشر صفر خرج؛ لتلقيهم، وقدم معهم ولد أخيه سيف الإسلام، صاحب اليمن، فأكرمه واحترمه، وعاد إلى القلعة المنصورة، فدخلها من باب الحديد، فكان ذلك آخر ما ركب في هذه الدنيا، ثم إنّه اغترأ حُمى صفراوية ليلة السبت سادس عشر صفر، فلما أصبح دخل عليه القاضى الفاضل، وابن شدّاد، وابنه الأفضل، فأخذ يشكو إليهم كثرة قلقه البارحة، وطاب له الحديث، وطال مجلسهم عنده، ثم تزايد به المرض واستمر، وقصده الأطباء في اليوم الرابع، فاغترأ يُبسّ، وحصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض، فقوى اليُبس، فأحضر الأمراء من الأكابر، والرؤساء، فبويغ لولده الأفضل نور الدين

(١) الكامل ٩٥/١٢، والروضتين ٢١١/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩٠.

(٢) الفتح القسّى ص ٦٥٦، والكامل ٩٥/١٢، والنوادر السلطانية ص ٦، ومرة الزمان ٤٢٥/١/٨،

والروضتين ٢١٢/٢، ووفيات الأعيان ١٣٩/٧، وسير أعلام النبلاء ٢٧٨/٢١، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٥١، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٣٩/٧.

على نائباً على دِمَشْقَ ، وذلك عندما ظهرت مَخَالِ الصَّعْفِ الشَّدِيدِ ، وغيوبُهُ
الذُّهْنِ في بعضِ الأوقاتِ ، وكان الذين يدخلون عليه في هذه الحالِ القاضي
الفاضلُ ، وابنُ شَدَّادٍ ، وقاضِي البلدِ ابنُ الزَّكِيِّ ، وتفاقم الحالُ ليلةَ الأربعاءِ السابعِ
والعشرين من صفرٍ ، واستدعى الشيخُ أبا جعفرٍ إمامَ الكَلَّاسِيَّةِ^(١) ؛ لِيَبَيِّنَ عِنْدَهُ يَقْرَأُ
القرآنَ ، وَيُلْقِنُهُ الشَّهَادَةَ إِذَا جَدَّ بِهِ الأمرُ ، فذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ عِنْدَهُ وَهُوَ فِي
غَمَرَاتِ الموتِ ، فَقَرَأَ : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الحشر: ٢٢] . فقال : وهو كذلك صحيحٌ . فَلَمَّا أَذَّنَ الصُّبْحُ جَاءَ
القاضي الفاضلُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْقَارِئُ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [الرعد: ٣٠] . تَبَسَّمَ وَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ ، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ إِلَى رَبِّهِ
سُبْحَانَهُ ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ ، وَكَانَ لَهُ
مِنَ الْعُمَرِ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ؛ لِأَنَّهُ وُلِدَ بِتَكَرُّبٍ فِي شُهُورِ سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ
وَخَمْسِمِائَةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَقَدْ كَانَ رِذْءًا لِلْإِسْلَامِ ، وَجِزْءًا وَكَهْفًا مِّنْ كَيْدِ الْكُفْرَةِ
اللَّئَامِ ، وَكَانَ أَهْلُ دِمَشْقَ لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِ مُصَابِهِ ، وَوَدَّ كُلُّ مِنْهُمْ لَوْ فَدَاهُ بِأَوْلَادِهِ
وَأَحْبَابِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَدْ غُلِقَتِ الْأَسْوَاقُ ، وَاحْتَفِظَ عَلَى الْحَوَاصِلِ ، ثُمَّ أَخَذُوا فِي
تَجْهِيزِهِ وَغَسَلِهِ ، وَحَضَرَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ ، وَيَعُزُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، وَكَانَ
الَّذِي تَوَلَّى غَسْلَهُ خَطِيبُ الْبَلَدِ الْفَقِيهَ الدَّوْلَعِيَّ ، وَكَانَ الَّذِي أَحْضَرَ الْكَفْنَ وَمُؤَنَّةَ
[٣١٢/٩ ظ] التَّجْهِيزِ الْقَاضِي الْفَاضِلُ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ الْحَلَالِ ، هَذَا وَأَوْلَادُهُ الْكِبَارُ
وَالصُّغَارُ يَتَرُزُونَ وَيَنَادُونَ وَيَكُونُ ، وَالنَّاسُ فِي التَّعْوِيلِ وَالْإِنْتِحَابِ وَالْإِبْتِهَالِ ، ثُمَّ
أُثْبِرَ فِي تَأْيُوتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَأَمَّ النَّاسَ عَلَيْهِ الْقَاضِي ابْنُ الزَّكِيِّ ، ثُمَّ دُفِنَ فِي

(١) مدرسة الكَلَّاسِيَّة ، لصيقة الجامع الأموي من جهة الشمال ، سميت كذلك لأنها كانت موضع عمل
الكلس أيام بناء الجامع . الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

داره بالقَلْعَةِ المنصورة، وشرع ابنه فى بناءِ تَرْبَةٍ له، ومدرسة للشافعية بالقُربِ من مسجدِ القَدَمِ؛ لوصيته بذلك قديماً، فلم يكملُ بناؤها ولم يتم، وذلك حينَ قَدِمَ ولده العزيز، وكان مُحاصِراً لأخيه الأفضَلِ، كما سيأتى بيانه، فى سنةِ تسعين وخمسمائة، ثم اشترى له الأفضَلُ داراً شمالي الكَلَّاسَةِ فى وِزَانٍ مازاده القاضى الفاضلُ فى الكَلَّاسَةِ، فجعلها له تَرْبَةً، هطلت سحائبُ الرِّحمةِ عليها، ووصلتْ أَلطافُ الرَّأفةِ إليها. وكان نقله إليها فى يومِ عاشوراء سنةِ اثنيتين وتسعين، وصلّى عليه تحت النُّسرِ قاضى القُضاةِ محمدُ بنُ عليّ القرشيّ ابنُ الزَّكِيِّ، عن إذن الأفضَلِ له، ودخل فى لحده ولده الأفضَلُ، فدفنه بنفسه، وهو يومئذٍ سلطانُ الشام، وذلك لما له عليه من الحَقِّ والخدمة والإكرام، ويقالُ^(١): إنَّه دُفِنَ معه سيفُه الذى كان يحضُرُ به الجِهَادَ والجِلادَ، وذلك عن أمرِ القاضى الفاضلِ أحدِ الأجوادِ الأمجادِ، وتفاءلوا بأنَّه يكونُ معه يومُ القيامةِ يتوكأُ عليه، حتى يدخلَ الجنةَ؛ لما أُعِمْ به عليه من كسرِ الأعداءِ، ونصرِ الأولياءِ، وأعظمَ عليه بذلك المنَّةُ. ثم عُيِّلَ عزاؤه بالجامعِ الأمويِّ ثلاثةَ أيامٍ، يحضُرُه الخواصُّ والعوامُ، والرَّعيَّةُ والحُكَّامُ، وقد عَمِلَ الشُّعراءُ فيه مراثي كثيرةً، من أحسنِها ما عَمِلَ العمادُ الكاتبُ فى آخرِ كتابه «البَرقِ الشامى»، وهى مائتان واثنتان وثلاثون بيتاً، وقد سردها الشيخُ شهابُ الدين أبو شامة فى «الرُّوضَتَيْنِ»^(٢)، فمنها قوله فى أولها:

شَمَلُ الهَدَى والمُلْكِ عَمَّ شَتَاتُهُ	والدهرُ ساء وأقلعت حَسَنَاتُهُ
أين الذى مُذْ لم يَزَلْ مَخْشِيَةً	مَرْجُوَّةَ رَهْبَائِهِ وَهَبَائِهِ
أين الذى كانت له طاعائنا	مَبْذُولَةً وَلَرَّبِّهِ طَاعَاتُهُ

(١) الروضتين ٢/٢١٤، ٢١٥.

(٢) المصدر السابق.

بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا
 أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ
 أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْفِرْنَجُ لِبَأْسِهِ
 أَغْلَالُ أَعْنَاقِ الْعِدَا أَسْيَافُهُ
 أَطَوَاقُ أَجْيَادِ الْوَرَى مِثْلُهُ
 وَلِلْعِمَادِ الْكَاتِبِ فِي الْمَلِكِ النَّاصِرِ يَزِيدُهُ ^(١):

مَنْ لِلْعَلَا مَنْ لِلذُّرَى مَنْ لِلْهُدَى
 طَلَبَ الْبَقَاءَ لِمَلِكِهِ فِي آجِلٍ
 بَحْرٌ أَعَادَ الْبَرَّ بَحْرًا بِرُّهُ
 مَنْ كَانَ أَهْلُ الْحَقِّ فِي أَيَّامِهِ
 وَفَتْوحُهُ وَالْقُدُسُ مِنْ أَبْكَارِهَا
 مَا كُنْتُ أَسْتَسْقِي لِقَبْرِكَ ^(٢) وَإِلَّا
 فَسَقَاكَ رِضْوَانُ الْإِلَهِ لِأَنَّنِي
 يَحْمِيهِ مَنْ لِلْبَأْسِ مَنْ لِلنَّائِلِ
 إِذْ لَمْ يَثِقْ بِبَقَاءِ مُلْكِهِ عَاجِلٍ
 وَبَسِيفِهِ فُتِحَتْ بِلَادُ السَّاحِلِ
 وَبِعِزَّةٍ يُرْدُونَ أَهْلَ الْبَاطِلِ
 أَبَقَتْ لَهُ فَضْلًا بِغَيْرِ مُسَاجِلِ
 وَرَأَيْتُ جُودَكَ مَخْجَلًا لِلْوَابِلِ
 لَا أَرْضَى سُقْيَا الْغَمَامِ الْهَاطِلِ

ذِكْرُ تَرْكِيهِ وَشَيْءٍ مِنْ تَرْجُمَتِهِ

قال العِمَادُ وَغَيْرُهُ ^(٣): لَمْ يَتْرُكْ فِي خِزَانَتِهِ مِنَ الذَّهَبِ سِوَى جَرَمٍ وَاحِدٍ ^(٤)

(١) الروضتين ٢/٢١٧.

(٢) في الروضتين: «بغيرك».

(٣) الفتح القسى ص ٦٢٩، والروضتين ٢/٢١٧.

(٤) بعده في م: «أى دينار واحد».

صُورِي^(١) وستة وثلاثين درهماً . وقال غيره^(٢) : سبعة وأربعين درهماً ، ولم يترك
 داراً ولا عقاراً ولا مزرعةً ولا بُشتاناً^(٣) ، ولا شيئاً من أنواع الأملاك . هذا وله من
 الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة ، وتوفى له في بعض حياته غيرهم ، والذين
 تأخروا بعده [٣١٣/٩] ستة عشر ذكراً ، أكبرهم الملك الأفضل نور الدين عليّ ،
 وُلِدَ بمصر سنة خمس وستين ليلة عيد الفطر ، ثم العزيز عماد الدين أبو الفتح
 عثمان وُلِدَ بمصر أيضاً في جمادى الأولى سنة سبع وستين ، ثم الظافر مظفر
 الدين أبو العباس الخضر ، وُلِدَ بمصر في شعبان سنة ثمان وستين ، وهو شقيق
 الأفضل ، ثم الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي ، وُلِدَ بمصر في نصف رمضان
 سنة ثمان وستين ، ثم المعز فتح الدين أبو يعقوب إسحاق ، وُلِدَ بدمشق في ربيع
 الأول سنة سبعين ، ثم نجم الدين أبو الفتح مسعود ، وُلِدَ بدمشق سنة إحدى
 وسبعين ، وهو شقيق العزيز ، ثم الأغر شرف الدين أبو يوسف يعقوب ، وُلِدَ بمصر
 سنة ثنتين وسبعين ، وهو شقيق العزيز أيضاً ، ثم الزاهر مجير الدين أبو سليمان
 داود ، وُلِدَ بمصر سنة ثلاث وسبعين ، وهو شقيق الظاهر ، ثم أبو الفضل قطب
 الدين موسى ، وهو شقيق الأفضل ، وُلِدَ بمصر سنة ثلاث وسبعين أيضاً ، ثم لقب
 بالمظفر ، ثم الأشرف معز الدين أبو عبد الله محمد ، وُلِدَ بالشام سنة خمس
 وسبعين ، ثم المحسن ظهير الدين أبو العباس أحمد ؛ وُلِدَ بمصر سنة سبع وسبعين ،
 وهو شقيق الذي قبله ، ثم المعظم فخر الدين أبو منصور تورانشاه ، وُلِدَ بمصر في
 ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، وتأخرت وفاته إلى سنة ثمان وخمسين وستمائة ،
 ثم الجوال ركن الدين أبو سعيد أيوب وُلِدَ سنة ثمان وسبعين ، وهو شقيق للمعز ،

(١) الدنانير الصورية : هي التي على أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه ، وعلى الوجه الآخر

صورتا بطرس وبولس ، صبح الأعشى ٤٤١/٣ .

(٢) النوادر السلطانية ص ٨ والروضتين ٢١٧/٢ .

(٣) في الأصل ، ص : « سقفا » .

ثم الغالب نصير الدين أبو الفتح ملكشاه ، وُلد في رجب سنة ثمانٍ وسبعين وهو شقيق المعظم ، ثم المنصور أبو بكر أخو المعظم لأبويه ، وُلد بخران بعد وفاة السلطان ، ثم عماد الدين شاذي لأُم ولد ، ونصرة الدين مزوان لأُم ولد أيضًا . وأما البنت فهي مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى .

ولمَّا لم يُخْلِفْ أموالاً ولا أملاكاً ؛ لكثرة عطاياه وهباته وصدقاته وإحسانه إلى أمرائه ووزرائه وأوليائه ، حتى إلى أعدائه ، وقد أسلفنا ما يدلُّ على كثيرٍ من ذلك ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وقد كان متقللاً في ملبسه ، ومأكله ، ومشربه ، ومركبه ، فلا يلبسُ إلا القطنَ والكتانَ والصوفَ ، ولا يُعرَفُ أنَّه تخطى مكروهاً بعد أن أنعمَ اللَّهُ عليه بالملك ، بل كان همُّه الأكبرُ ومقصوده الأعظمُ نصرَ الإسلامِ ، وكسرَ الأعداءِ اللِّغامِ ، ويُعْمَلُ فكره في ذلك ورأيه وحده مع مَنْ يثقُ برأيه ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً .

وهذا مع ما لديه من الفضائلِ والفواضِلِ ، والفوائدِ الفرائدِ ، في اللغةِ والأدبِ وأيامِ الناسِ ، حتى قيل ^(١) : إنَّه كان يحفظُ الحماسةَ بتمامِها وختامِها . وكان مُواظباً على الصلواتِ في أوقاتها في جماعةٍ ، يقالُ ^(٢) : إنَّه لم تفتُ الجماعةُ في صلاةٍ قبلَ وفاته بدهرٍ طويلٍ ، حتى ولا في مرضِ موته ، كان يُدخِلُ الإمامَ فيصليَ به ، فكان يتجشَّمُ القيامَ مع ضَعْفِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

وكان يفهمُ ما يقالُ بينَ يديه من البحثِ والمناظرةِ ، ويُشاركُ في ذلك

(١) سير أعلام النبلاء ٢١/٢٨٢ .

(٢) الروضتين ٢/٢١٩ .

مُشاركةً قَرِيَّةً حَسَنَةً، وإن لم يكنْ بالعِبارَةِ المِصْطَلَحِ عَلَيْهَا، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ لَهُ الْقُطْبُ النَّيْسَابُورِيَّ عَقِيدَةً فَكَانَ يَحْفَظُهَا، وَيُحَفِّظُهَا مَنْ عَقَلَ مِنْ أَوْلَادِهِ [٣١٣/٩ ظ]، وَكَانَ يَحِبُّ سَمَاعَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَيُؤَاطِبُ عَلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ، حَتَّى إِنَّهُ سَمِعَ فِي بَعْضِ الْمَصَافَاتِ جَزْءًا وَهُوَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَكَانَ يَتَبَجَّحُ^(١) بِذَلِكَ وَيَقُولُ^(٢) : هَذَا مَوْقِفٌ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ فِي مِثْلِهِ حَدِيثًا. وَكَانَ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ الْعِمَادِ الْكَاتِبِ.

وَكَانَ رَقِيقَ الْقَلْبِ سَرِيعَ الدَّمْعَةِ عِنْدَ سَمَاعِ الْحَدِيثِ، كَثِيرَ التَّعْظِيمِ لَشُعَائِرِ الدِّينِ؛ كَانَ^(٣) قَدْ لَجَأَ إِلَى وَلَدِهِ الظَّاهِرِ، وَهُوَ بِحَلَبَ، شَابٌّ يُقَالُ لَهُ : الشَّهَابُ الشُّهُرُورُودِيُّ. وَكَانَ يَعْرِفُ الْكِيمِيَا وَشَيْئًا مِنَ الشَّعْبَذَةِ وَالْأَبْوَابِ النَّيِّرِنَجِيَّاتِ، فَافْتَتِنَ بِهِ وَلَدُ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ، وَقَرَّبَهُ وَأَحْبَبَهُ، وَخَالَفَ فِيهِ حَمَلَةَ الشَّرْعِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ لَا مُحَالَةً، فَصَلَبَهُ عَنْ أَمْرِ وَالِدِهِ وَشَهَرَهُ، وَيُقَالُ : بَلِ حَبَسَهُ بَيْنَ حَائِطَيْنِ حَتَّى مَاتَ كَمَدًا، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

وَكَانَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ وَأَقْوَاهِمَ بَدَنًا وَقَلْبًا، مَعَ مَا كَانَ يَغْتَرِي جِسْمَهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ، وَلَا سِيَّمًا وَهُوَ مُرَابِطٌ مَصَابِرَ مَثَابِرَ عِنْدَ عَكَا؛ فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ كَثَرَةِ جُمُوعِهِمْ^(٤) وَأَمْدَادِهِمْ لَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا قُوَّةً وَشَجَاعَةً، وَقَدْ بَلَغَتْ جُمُوعُهُمْ خَمْسِمِائَةَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَيُقَالُ : سِتْمِائَةُ أَلْفٍ. وَكَانَ جَمْلَةً مِنْ قُتِلَ مِنْهُمْ مِائَةُ أَلْفِ مُقَاتِلٍ.

(١) أَى : يَفْتَخِرُ وَيَبَاهِي.

(٢) النُّوَادِرُ السُّلْطَانِيَّةُ ص ٢٠، وَالرُّوْضَتَيْنِ ٢/ ٢٢١. وَالَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ هُوَ الْقَاضِي ابْنُ شَدَادٍ صَاحِبُ «النُّوَادِرِ»، وَلَيْسَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ، كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) النُّوَادِرُ السُّلْطَانِيَّةُ ص ١٠.

(٤) يَعْنِي : الْفِرَاقُ.

ولمَّا انفصل الحال ، وتسَلَّموا عكًّا ، وقتلوا أَكْثَرَ مَنْ كان بها ، وساروا بِرُؤْمَتِهِمْ
نَحْوَ بَيْتِ المقدسِ ؛ جعلَ يُسَايِرُهُمْ مَنْزِلَةٌ مَنْزِلَةٌ ، ومرحلةً مرحلةً ، وجيوشُهُمْ
أَضْعَافُ أَضْعَافٍ مَنْ مَعَهُ ، ومع هذا نصره اللهُ وخَذَلَهُمْ ، وأَيَّدَهُم وقتلَهُمْ ، وسَبَقَهُمْ
إِلَى البَيْتِ المقدسِ ، فَصَانَهُ وَحَمَاهُ ، وَشَيَّدَ بِنْيَانَهُ ، وَأَطَدَ أَرْكَانَهُ ، وصانَ جِماه ،
ولم يَزَلْ بجيشِهِ مُقِيمًا بِهِ يُرْهِبُهُمْ وَيُرْعِبُهُمْ ، وَيَغْلِبُهُمْ وَيَسْلُبُهُمْ ، وَيَكْسِرُهُمْ
وَيَأْسِرُهُمْ حَتَّى تَضَرَّعُوا إِلَيْهِ ، وَخَضَعُوا لَدَيْهِ ، ودَخَلُوا عَلَيْهِ أَنْ يَصَالِحَهُمْ
وَيَتَارَكَهُمْ ، وتَضَعُ الحربُ أوزارَهَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا عَلَى الوجهِ
الَّذِي أَرَادَهُ ، لا ما يَريْدُونَهُ ، وكان ذلك مِنْ جَمَلَةِ الرَحْمَةِ الَّتِي خُصَّ بِهَا
المُؤْمِنُونَ ؛ فَإِنَّهُ مَا انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ حَتَّى مَلَكَ الْبِلَادَ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ الْعَادِلُ ،
فَعَزَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَذَلَّ بِهِ الْكَافِرُونَ .

وكان رَحِمَهُ اللهُ سَخِيًّا كَرِيمًا حَيِّيًا ، ضُحُوكَ الوجهِ كَثِيرَ الْبَشْرِ ، لا يَتَضَجَّرُ
مِنْ خَيْرٍ يَفْعَلُهُ ، شَدِيدَ الْمُصَابِرَةِ وَالْمَثَابِرَةِ عَلَى الْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ ، فَرَحِمَهُ اللهُ ،
وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّاتِ . وقد ذَكَرَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ^(١) طَرَفًا صَالِحًا مِنْ سِيرَتِهِ
وَأَيَّامِهِ ، وَعَدْلِهِ فِي سَرِيرَتِهِ وَعِلَانِيَتِهِ ، وَأَحْكَامِهِ .

فصل

كان السلطانُ الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ قد قَسَمَ الْبِلَادَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ ، فالديارُ
المِصْرِيَّةُ لَوْلِيهِ الْعَزِيزِ عِمَادِ الدِّينِ عَثْمَانَ أَبِي الْفَتْحِ ، وَبِلَادُ دِمَشْقَ وما حَوْلَهَا لَوْلِيهِ
الأفْضَلُ نورُ الدِّينِ عَلِيٌّ ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ كُلِّهِمْ ، وَالْمَمْلَكَةُ الْحَلَبِيَّةُ لَوْلِيهِ الظَّاهِرُ

(١) الروضتين ٢١١/٢ وما بعدها .

غازى غياث الدين ، ولأخيه العادل الكرك والشوبك وبلاذ جعبر وبلاذ كثيرة قاطع الفرات ، وحماة ومعاملة أخرى معها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر ابن أخى السلطان ، وحمص والرحبة وغيرها لأسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، عم صلاح الدين أخى أبيه نجم الدين أيوب ، واليمن بمعاقله ومخاليفه جميعه فى قبضة السلطان ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، أخى السلطان صلاح الدين ، [٣١٤/٩] وبغلبك وأعمالها للأمجد بهرام شاه بن فروخشاه ، وبصري وأعمالها للظافر بن الناصر ، ثم شرعت الأمور بعد موت صلاح الدين تضطرب وتختلف وتتفاقم فى جميع هذه الأحوال ، حتى آل الأمر إلى ما إليه آل ، واستقرت الممالك ، واجتمعت المحافل على أخى السلطان ، الملك العادل ، وصارت المملكة فى أولاده الأماجد الأفاضل ، كما سنوضحه قريباً ، إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة جدّد الخليفة الناصر لدين الله خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد ، ونقل إليها ألوفاً من الكتب الحسنة المثمنة .

وجرت ببغداد فى المحرم من هذه السنة كائنة غريبة ؛ وهى أن ابنة لرجل من التجار فى الطحين تعشقت لغلام أبيها ، فلما علم أبوها بأمرها طرد الغلام من داره ، فواعدته بنت ذات ليلة ، فجاء مخفياً ، فتركته فى بعض الدار ، ونزل فى أثناء الليل ، فقتل أباه مولا ، وأمرته الجارية بقتل أمها ، فقتلها وهى حُبلى ، وأعطته الجارية حلياً بقيمة ألفى دينار ، فأصبح أمره عند الشرطة فمُسك وقُتل ، فَبَّحه الله وإياها ، وقد كان سيّده من خيار الناس ، وأكثرهم صدقة وبراً ، وكان شاباً ، وضيء الوجه ، رحمه الله .

وفيها دَرَسَ بالمدرسة الجديدة عند قبر معروف الكرخي الشيخ أبو علي التَّوْقَانِي^(١) ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وعُمل بها دعوة حافلة .

وَمِنْ تُوَفِّيَ فيها مِنَ الأعيان :

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ، وقد تقدّم ذلك مبسوطاً .

الأمير بَكْتَمُر^(٢) صاحب خِلاط ، قُتِلَ في هذه السنة ، وكان من خيار الملوك ، وأشجعهم ، وأكرمهم ، وأحسنهم سيرة ، رحمه الله .

الأتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زُكَي^(٣) ، صاحب الموصل نحوًا من ثلاث عشرة سنة ، وكان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، كان يتشبه بالملك العادل نور الدين عمّه ، ودُفِنَ بثرته عند مدرسة أنشأها بالموصل ، أثابه الله .

جعفر بن محمد بن قطيرا ، أبو الحسن ، أخذ الكتاب بالعراق ، كان يُنسب إلى التَّشَيْعِ ، وهذا كثير في أهل تلك البلاد ، لا أكثر الله في المسلمين أمثالهم ولا أشكالهم . جاءه رجل ذات يوم فقال له : رأيت البارحة أمير المؤمنين عليًا في المنام وهو يقول لي : اذهب إلى ابن قطيرا ، فقل له يعطيك عشرة دنانير . فقال له ابن قطيرا . متى رأيته ؟ قال : أوّل الليل . قال : فأنا رأيته في آخره ، فقال : إذا جاءك

(١) في الأصل : « اليوناني » ، وفي ص : « التوماني » ، وفي م : « التوياني » . والمثبت من مرآة الزمان ٨ / ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩١ .

(٢) الكامل ١٠٢ / ١٢ ، ومرآة الزمان ٤٢٣ / ١ / ٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٧٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٢١ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ١٣٢ .

(٣) الكامل ١٠٢ / ١٢ ، ومرآة الزمان ٤٢٣ / ١ / ٨ ، ووفيات الأعيان ٥ / ٢٠٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٣٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٤٧ .

رجُلٌ مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَطَلَبَ مِنْكَ شَيْئًا ، فَلَا تُعْطِهِ . فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ مُوَلِّيًا ،
فَاسْتَدْعَاهُ وَوَهَبَهُ شَيْئًا . وَمِنْ شَعْرِهِ فِيمَا أوردَهُ ابْنُ السَّاعِي ، وَقَدْ تَقَدَّمَ لغيرِهِ ^(١) :

وَمَا سَبَّوْثُ النَّاسِ أَطْلُبُ مِنْهُمْ أَخَا ثِقَةٍ عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّدَائِدِ
وَفَكَّرْتُ فِي يَوْمِي سُرُورِي وَشِدَّتِي وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ هَلْ مِنْ مُسَاعِدِ
فَلَمْ أَرْ فِيمَا سَاعَنِي غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرْ فِيمَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدِ

يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ بْنِ غَازِي ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْبَصْرِيُّ ، صَاحِبُ « الْمَقَامَاتِ » ،
كَانَ شَاعِرًا أَدَبِيًّا فَاضِلًا بَلِيغًا ، لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي اللُّغَةِ وَالتَّنْظِيمِ ، وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

غَنَاءٌ خُودٍ يَنْسَابُ لُطْفًا بَلَا عَنَاءٍ فِي كُلِّ أُذُنٍ
مَا رَدَّهُ قَطُّ بَابُ سَمْعٍ وَلَا أَتَى زَائِرًا بِإِذْنٍ

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ ^(٢) بِنْتُ الْإِمَامِ الْمُقْتَفَى لِأَمْرِ اللَّهِ ، أَخْتُ الْمُسْتَنجِدِ ، وَعَمَّةُ
الْمُسْتَضِيِّ ، كَانَتْ قَدْ عُمِّرَتْ دَهْرًا طَوِيلًا ، وَلَهَا صَدَقَاتُ كَثِيرَةٍ دَارَةً ، وَقَدْ
تَزَوَّجَهَا فِي وَقْتِ السُّلْطَانِ مُسْعُوذٍ عَلَى صَدَاقٍ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَتَوَفَّى قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلَ بِهَا ، وَقَدْ كَانَتْ كَارِهَةً لذلك ، فَحَصَلَ مَقْصُودُهَا .

الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ فَاطِمَةُ خَاتُونُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَمِيدِ ، كَانَتْ
صَالِحَةً عَابِدَةً زَاهِدَةً ، عُمِّرَتْ مِائَةَ سَنَةٍ وَسِتِّ سِنِينَ ، كَانَ قَدْ تَزَوَّجَهَا فِي وَقْتِ
أَمِيرِ الْجِيوشِ نَظَّرَ وَهِيَ بِكَرٍّ ، فَتَبَقَّيْتُ عَنْدَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّى وَلَمْ تَتَزَوَّجْ بَعْدَهُ ، بَلِ
اشْتَعَلَتْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْعِبَادَةِ ، رَحِمَهَا اللَّهُ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنْفَذَ الْخَلِيفَةُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيُّ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ

(١) تقدم في ص ٣٥٦ .

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٣٢٤ ، والوفاء بالوفيات ١٧٨/١٤ .

ابن الجوزي يطلب منه أن يزيد على أبيات عدي بن زيد المشهورة ما يناسبها من
الأشعار، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات، وهي هذه الأبيات^(١):

أيها الشاميث المعير بالدَّهْدِ	رَأَيْتَ الْمُبْرَأَ الْمُفُورَ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْ	أَيَّامٍ، بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ
مَنْ رَأَيْتَ الْمُتُونِ خَلْدَنَ أَمْ مَنْ	ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كِشْرَى كِشْرَى الْمُلُوكِ أَبُو سَا	سَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبْنُو الْأَصْفَرِ الْمُلُوكِ مَلُوكُ الرُّ	ومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأُخُو الْحَضَرِ إِذْبَنَاهُ وَإِذْ دَجْ	لَهُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَزْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلْدَ	سَا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهِ وَكُورُ
لَمْ تَهَبْهُ رَيْبُ الْمُتُونِ فَرَّالِ	مَلِكُ عَنْهُ فَبَائِهِ مَهْجُورُ
وَتَذَكَّرُوا رَبَّ الْخَوَزَنْقِ إِذَا أَشَدَّ	رَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سِرُّهُ حَالَهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْدُ	بِلِكُ وَالْبَحْرُ مُغْرَضًا وَالسَّيْدِيرُ
فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ وَمَا غِيبَ	طَةً حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمْدِ	ة ^(٢) وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَدِ	فٌ فَالْوَتْ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورُ
غَيْرَ أَنَّ الْأَيَّامَ تَخْتَصُّ بِالْمُرْ	ءِ وَفِيهَا لَعْمَرَى الْعِظَاثُ وَالتَّفْكِيرُ

(١) الأبيات في الشعر والشعراء ١/ ٢٢٥، ٢٢٦، والأغاني ٢/ ١٣٨، ١٣٩.

(٢) في النسخ: «الأمر»، والمثبت من مصدرى التخريج. والإمة، بالكسر: النعيم والملك. اللسان (أ م م).

ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة

لما استقرَّ الملك الأفضل بن صلاح الدين مكان أبيه بدمشق، بعث بهدايا سنّية فيها تحف شريفة إلى باب الخلافة^(١)؛ من ذلك سلاح أبيه، وحصانه الذي كان يخضّر عليه الغزوات، وأشياء كثيرة؛ منها صليب الصلّوت الذي استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين، وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلاً، وهو مرصّع بالجواهر النفيسة، وأزيع جوار من نبات ملوك الفرنج، وأنشأ له العِماد الكاتب كتاباً حافلاً يذكر فيه التّعزية بأبيه، والسؤال من الخليفة أن يكون في ملكه من بعده؛ فأجيب إلى ذلك.

ولما كان شهر جمادى الأولى قدّم العزيز صاحب مصر إلى دمشق^(٢)؛ ليأخذها من أخيه الأفضل، فخيّم على الكُشوة^(٣) يوم السبت سادس جمادى، وحاصر البلد، فمانعه أخوه ودافعه عنها، فقطعت الأنهار ونهبت الثمار، واشتدّ الحال، ولم يزل الأمر كذلك حتى قدّم العادل - عمهما - فأصلح بينهما، وردّ الأمر للألفة بعد اليمين على أن يكون للعزيز القدس وما جاور فلسطين من ناحيته أيضاً، وعلى أن يكون جبلّة واللاذقية للظاهر صاحب حلب، وأن يكون لعمهما العادل إقطاعه الأول ببلاد مصر مضافاً إلى ما بيده من الشام^(٤) [٣١٥/٩ و]

(١) في الأصل، م: «الخليفة الناصر»، وانظر الروضتين ٢/٢٢٥، والفتح القسى ص ٦٥٠.

(٢) الكامل ١٢/١٠٩.

(٣) الكُشوة: قرية هي أول منازل القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. معجم البلدان ٤/٢٧٥.

(٤) في ص: «ملكة الكرك والشوبك رباط».

والجزيرة؛ كحرّان والرّها وجعبر وما جاور ذلك، فاتّفقوا على ذلك، وتزوّج العزيرُ بابتنة عمّه العادل، ومريض ثم غوفى وهو مخيّم، بمزج الصّفير، وخرّجت الملوك لتنهّيته بالعافية والتّزويج والصّلاح، ثم كرّ راجعاً إلى مصر لطول شوقه إلى أهله وأولاده.

وكان الأفضل بعد موت أبيه قد أساء التدبير فأبعد أمراء أبيه وخواصّه، وقرب الأجانب، وأقبل على شرب المسكر واللّهو واللّعب، واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزيرى، وهو الذى كان يخذوه إلى ذلك، فتلف وأثله، وأضل وأضله، وزالت النعمة عنهما، كما سيأتى.

وفىها كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين ملك غزنة وبين كفار الهند^(١)؛ أقبلوا إليه فى ألف ألف مقاتل، ومعهم سبعمائة فيل، منها فيل أبيض لم ير مثله، فالتقوا فافتتلوا قتالاً شديداً لم ير مثله، فهزّمهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له: ماجون^(٢). وقتل ملكهم، واستحوذ على خواصّله وخواصل بلاده، وغنم فيلتهم، ودخل بلد الملك الكبرى، فحمل من خزائنه ذهباً وغيره على ألف وأربعمائة جمل، ثم عاد إلى بلاده سالماً منصوراً.

وفىها ملك السلطان خوارزم شاه يكش - ويقال له: ابن الأصباغى - بلاد الرى وغيرها، واضطّلع مع السلطان طغرل السلجوقى، وكان قد تسلّم بلاد الرى وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه، وعظّم شأنه، ثم التقى هو والسلطان طغرل فى ربيع الأوّل من هذه السّنة، فقتل السلطان طغرل، وأرسل

(١) الكامل ١٢/١٠٥.

(٢) فى النسخ: «الملاحون». والمثبت من الكامل ١٢/١٠٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٩٢. قال ابن الأثير: وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل.

رأسه إلى الخليفة، فغلّق على باب النوبة عدّة أيام، وأرسل الخليفة الخلع والتّقاليد إلى السُّلطان خوارزم شاه، ومَلَكَ هَمْدانَ وغيرها من البلاد المُتسعة.

وفيها نَقَمَ الخليفة على الشيخ أبي الفرج بن الجوزيّ وتعصّب عليه، ونفاه إلى واسط، فمَكَثَ خَمْسَةَ أَيامٍ لم يستطِعْ بطعام، وأقام بها خَمْسَةَ أَعوامٍ يَخْدُمُ نَفْسَهُ ويستقي من بئر عميقة لنفسه الماء، وكان شيخًا كبيرًا قد بَلَغَ ثمانين سنة، وكان يَتَلَوُّ في كُلِّ يومٍ وَليلةً خَمْسَةَ، قال^(١): ولم أَقرأ سورة يُوسُفَ لَوْجَدِي على وَلَدِي يُوسُفَ، إلى أن فَرَجَ اللَّهُ. كما سيأتى إن شاء اللَّهُ.

وفيها تُوفِّي مِنَ الْأَعْيَانِ :

أحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ يُوسُفَ، أبو الحَيْرِ الْقَزَوِينِي^(٢)، الشّافعيّ المُفسِّرُ، قَدِيمُ بَغْدَادَ، ووَغَطَ بِالنِّظَامِيَّةِ، وكان يَذْهَبُ إلى قَوْلِ الْأَشْعَرِيِّ فِي الْأُصُولِ، وجَلَسَ فِي يَوْمٍ عَاشُوراءَ، فَقِيلَ لَهُ: الْعَنُ يَزِيدَ بْنَ مُعاوِيَةَ. فقال: ذاكَ إِمَامٌ مُجْتَهِدٌ، فَرَمَاهُ النَّاسُ بِالْأَجْرُ فَأَخْتَفَى، ثم هَرَبَ إلى قَزَوِينَ.

ابنُ الشَّاطِئِيّ؛ نَاطِلُ الشَّاطِئِيَّةِ، أبو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بنُ فَيْرِهِ^(٣) بن أبي الْقَاسِمِ خَلَفَ بنِ أَحْمَدَ، الرُّعَيْنِيّ الشَّاطِئِيّ الصَّرِيرُ، مُصَنِّفُ الشَّاطِئِيَّةِ فِي الْقَرَأَاتِ السَّبْعِ، فلم يُسَبِّقْ إليها ولا يُلْحَقْ فيها، وفيها مِنَ الرُّمُوزِ كُنُوزٌ لا يَهْتَدِي

(١) مرآة الزمان ٤٣٩/٢/٨.

(٢) مرآة الزمان ٤٤٣/٢/٨، وسير أعلام النبلاء ١٩٠/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠) ص ٣٦٨، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/٦، والوفاء بالوفيات ٢٥٣/٦.

(٣) في م: «قسيرة»، وفي ص: «غميرة». وانظر ترجمته في: معجم الأدباء ٢٩٣/١٦، ووفيات الأعيان ٧١/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٦١/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ) ص ٣٨٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/٢٧٠.

إليها إلا كل ناقد بصير، هذا مع أنه ضريز، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ،
وشاطِئُهُ بَلَدُهُ قَرْيَةُ شَرْقَى الْأَنْدَلُسِ^(١)، [٣١٥/٩ ظ] كَانَ فَقِيرًا، وَقَدْ أُريدَ أَنْ يَلِي
خِطَابَةَ بَلَدِهِ فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَجْلِ مُبَالِغَةِ الْخُطْبَاءِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي وَصْفِ الْمُلُوكِ.

خَرَجَ الشَّاطِئِيُّ إِلَى الْحَجِّ، فَقَدِمَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ
وَخَمْسِمِائَةٍ، وَسَمِعَ عَلَى السَّلَفِيِّ الْحَافِظِ، وَوَلَاهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ مَشِيخَةَ
الْإِقْرَاءِ بِمَدْرَسَتِهِ، وَزَارَ الْقُدْسَ الشَّرِيفَ وَصَامَ بِهِ شَهْرَ رَمَضَانَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى
الْقَاهِرَةِ، فَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ بِالْقَرَاةِ
بِالْقُرْبِ مِنَ الثَّرْبَةِ الْفَاضِلِيَّةِ، وَكَانَ ذِيًّا خَاشِعًا نَاسِكًا كَثِيرَ الْوَقَارِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا
لَا يَغْنِيهِ، وَكَانَ يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ، وَهِيَ لُغْزٌ فِي النَعَشِ، وَهِيَ لَغِيرُهُ^(٢):

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ	إِذَا سَارَ صَاحُ ^(٣) النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا	وَكُلُّ أَمِيرٍ يَغْتَلِيهِ أَسِيرُ
يَحُثُّ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قَوْبَهُ	وَتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَزَرَ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ	وَلَكِنْ عَلَى رَغَمِ الْمَزُورِ يَزُورُ

(١) فِي ص: «الملك».

(٢) الْأَيَّاتُ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٧٢/٤، وَقَدْ نَسَبَهَا ابْنُ خُلَكَانَ لِأَبِي زَكْرِيَا يَحْيَى بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكْفِيِّ.

(٣) فِي الْأَصْلِ، م: «هَاج».

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

فيها^(١) كانت وقعة الزلاقة ببلاد الأندلس شمالي قرطبة، بمزج الحديد، كانت وقعة عظيمة، نصر الله فيها الإسلام وخذل فيها عبدة الصلبان، وذلك أن الفُش^(٢) مَلِكَ الفِرَنْجِ ببلاد الأندلس - ومقرُّ ملكه بمدينة طليطلة - كتب إلى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن مَلِكِ المغرب يستنخيه ويستدعيه ويستحثه إليه، في كلام طويل فيه تأنيب وتهديد ووعد شديد، فكتب السلطان يعقوب بن يوسف في رأس كتابه فوق خطه: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِسَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٢٧]. ثم نهض من فوره بجنوده وعساكره، حتى قطع الزقاق إلى الأندلس، فالتقوا في المكان المتقدم ذكره، فكانت الدائرة أولاً على المسلمين، فقتل منهم عشرون ألفاً، ثم كانت أخيراً على الكافرين، فهزمهم الله وكسرهم وخذلهم أقبح كسرة، وشتر هزيمة وأشتعها، فقتل منهم مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً، وأسر منهم ثلاثة عشر ألفاً، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً؛ من ذلك مائة ألف خيمة وثلاثة وأربعون خيمة، ومن الخيل ستة وأربعون ألف فرس، ومن البغال مائة ألف بغل، ومن الحمر مثلها، ومن السلاح الثام سبعون ألفاً، ومن الغدد شيء كثير، وملك عليهم من حصونهم شيئاً كثيراً، وحاصر مدينتهم طليطلة مدة، ثم لم يفتحها،

(١) الكامل ١١٣/١٢.

(٢) في م: «القيش». وانظر الكامل ١١٣/١٢، وتاريخ الإسلام. (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠)

فانفصل عنها راجعًا إلى بلاده .

ولمَّا حصل للفُتُش ما حصل حلق رأسه ولحيته ، ونكس صليبه وركب
جِمارًا ، وحلف لا يركب فرسًا ولا يتلذذ بطعام ، ولا ينام مع امرأة حتَّى تنصُرَه
النَّصْرانيَّةُ ، فجمع من الجنود ما لا يعلمه إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فاستعدَّ له السُّلطانُ
يَعْقُوبُ ، فالتقيا فاقْتتلا قتالًا عظيمًا ، فانهزم الفِرْنَجُ أَقْبَحَ من هزيمتهم الأولى ،
وَعَنِمُوا منهم نَظِيرَ ما تقدَّم ذكره أو أكثر ، واستحوذَ السُّلطانُ على كثيرٍ من
معاقلهم وقلاعهم - وللهُ الحمدُ والمِنَّةُ - حتَّى قيل : إِنَّه يبيع الأسير بدرهم ،
والحصانُ بخمسةِ دراهم ، والخيمةُ [٣١٦/٩] بدرهم والسيفُ بنصفِ درهم ، ثم
قسم السُّلطانُ هذه العنائم على الوجهِ الشرعيِّ ، فاستغنى المجاهدون إلى الأبد ، ثم
طلب الفِرْنَجُ من السُّلطانِ الأمانَ ، فهادنهم على وضع الحربِ خمسَ سنين ، وإِنما
حملَه على ذلك أَنَّ رجلاً يقالُ له : عليُّ بنُ إِسحاقَ الميُورقي^(١) الذي يُقالُ له :
الملُكُ^(٢) . ظهر ببلادِ إفريقيةَ فأحدثَ أمورًا فظيعةً في غيبةِ السُّلطانِ واشتغاله بقتالِ
الفِرْنَجِ مُدَّةَ ثلاثِ سنين ، وظهَر هذا المارقُ الميُورقيُّ بالباديةِ ، وعاثَ في الأرضِ
فسادًا ، وقتلَ خلقًا كثيرًا ، وتملَّك بلادًا .

وفى هذه السَّنَةِ والى قبلها استحوذَ جيشُ الخليفةِ على بلادِ الرُّمِّ وأصْبَهانَ
وهمْدانَ وخوزستانَ وغيرها من البلادِ ، وقوى جانبُ الخلافةِ على الملوكِ
والممالكِ . وفيها خرجَ العزيزُ من مصرَ قاصدًا دِمَشقَ ليأخذها من يَدِ أخيه
الأفْضَلِ ، وكان الأفْضَلُ قد تاب وأتاب وأقلعَ عمَّا كان فيه من الشرابِ واللُّهُوِّ

(١) فى الأصل : « التوزنى » ، وفى م : « التوزى » ، وانظر الكامل ١١٦/١٢ .

(٢) فى الأصل ، وم : « الملكتُم » .

واللعب، وأقبل على الصَّيام والصَّلَاة، وشرع بكتابة مُصْحَفٍ بيده، وحسنت طريقته، غير أن وزيره الضيَّاء الجزريُّ يُفْسِدُ عليه دَوْلته، ويكدرُ عليه صفوته، فلمَّا بلغ الأفضَلَ إقبالُ أخيه نحوه سار سريعًا إلى عمِّه العادل وهو بجعبر فاستنجدَه، فسار معه وسبقه إلى دِمَشقَ، وراح الأفضَلُ أيضًا إلى أخيه الظَّاهر بحلب، فسارا جميعًا نحو دِمَشقَ، فلمَّا سمع العزيزُ بذلك، وقد اقترب من دِمَشقَ، كرَّرَ راجعًا سريعًا إلى مِصرَ، وركب وراءه العادل والأفضَلُ ليأخذا منه ديارَ مِصرَ، وقد اتَّفَقَا على أن يكونَ ثلثُ مِصرَ للعادل وثلثاها للأفضَلِ، ثم بدا للعادل في ذلك، فأرسل للعزيز يُبَيِّنُهُ، وأقبل على الأفضَلِ يُبَيِّنُهُ، وأقاما على بُلبَيسَ أيامًا حتى خرج إليهما القاضي الفاضلُ من جهة العزيز، فوقع الصُّلحَ بينهما على أن يَرَجِعَ القُدُسُ ومعاملتها للأفضَلِ، ويستقرَّ العادلُ مُقيمًا بمِصرَ على إقطاعه القديم، فأقام العادلُ بها طمَعًا فيها ورجع الأفضَلُ^(١) إلى دِمَشقَ بعدما خرج العزيزُ لتوديعه، وهى هُدْنَةٌ على قَدَى، وُصِّلَتْ على دَحْنٍ.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

عليُّ بنُ حَسَّانَ بنِ مُسَافِرٍ^(٢) أبو الحسنِ، الكاتبُ البَغْدَادِيُّ، كان أديبًا شاعِرًا، من شِعْرِه قولُه :

نَفَى رُقَادِي وَمَضَى بَرَقَ بَسْلَعٌ^(٣) وَمَضَا
لَا حَ كَمَا سَلَّتْ يَدُ الْ أَسْوَدَ عَضْبًا^(٤) أَبِيضًا

(١) فى م : « العادل ». وانظر الكامل ١٢ / ١٢٠.

(٢) فى م : « سافر ». وانظر ترجمته فى : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٦٩.

(٣) السلع : الشق فى الجلد .

(٤) فى الأصل : « عَضْبًا » ، والعضب : السيف . اللسان (ع ض ب) .

كَأَنَّهُ الْأَشْهُبُ فِي	النَّعْمِ إِذَا مَا رَكَضًا
يَبْدُو كَمَا تَخْتَلِفُ الرُّ	يُحْ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
فَتَحَسَّبُ الزُّنْجِيُّ ^(١) أَب	دَى نَظْرًا وَغَمَّضًا
أَوْ شُعْلَةُ النَّارِ عَلَا	لَهَيْبُهَا وَانْخَفَضَا
آهٍ لَهُ مِنْ بَارِقٍ	ضَاءٍ عَلَى ذَاتِ الْأَضَا
أَذْكُرْنِي عَهْدًا مَضَى	عَلَى الْغَوِيرِ وَانْقَضَى
فَقَالَ لِي قَلْبِي أَتَو	صِي حَاجَةً وَأَعْرَضَا
يَطْلُبُ مِنْ أَمْرَضِهِ	فَدَيْتَ ذَاكَ الْمُفْرِضَا
يَا غَرَضَ الْقَلْبِ لَقَدْ	غَادَرْتَ قَلْبِي غَرَضَا
لَأَسْهَمَ كَأَنَّمَا	يُرْسَلُهَا صَرَفُ الْقَضَا
فَبِتُّ لَا أَرْتَابُ فِي	أَنَّ رُقَادِي قَدْ قَضَى
حَتَّى قَفَا اللَّيْلُ وَكَادَ	الْلَّيْلُ أَنْ يَنْقَرِضَا
وَأَقْبَلَ الصَّبْحُ لِأَط	رَافِ الدُّجَا مُبَيِّضَا
وَسَلَّ فِي الشَّرْقِ عَلَى الـ	غَرْبِ ضِيَاءٍ وَانْقَضَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « الرِّيح » .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة

فى رجب منها^(١) أقبل العزيزُ صُعبَةُ عمُّه الملكِ العادلِ فى عساکرَ، فدخلَا دِمَشْقَ قَهْرًا، وأخرجَا منها الأفضلَ ووزيره الذى أساء تدبيره، وصلىَّ العزيزُ عند ثُوبَةِ والدِهِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ، وخطبَ له بِدِمَشْقَ، ودخلَ إلى القلعة المنصورة وجلسَ فى دارِ العدلِ للحُكْمِ والفضلِ، كلُّ هذا وأخوه الأفضلُ حاضِرٌ عنده فى الخدمة، وأمرَ القاضى مُحبىِّ الدينِ بنَ الزكىَّ بتأسيسِ المدرسةِ العزيزيَّةِ إلى جانبِ ثُوبَةِ أبيه، وكانت دارًا للأميرِ عزِّ الدينِ شامةً، ثم استناب على دِمَشْقَ عمُّه الملكُ العادلُ، ورجعَ إلى مصرَ يومَ الاثنينِ تاسعَ شعبانَ^(٢)، والسَّكَّةُ والخُطْبَةُ له، وصُولِحَ الأفضلُ عن دِمَشْقَ على صَرْخَدَ، وهربَ وزيره ابنُ الأثيرِ الجزيرى إلى جزيرته^(٣)، وقد أتلَفَ نفسه ومُلْكَه بِجزيرته، وانتقلَ الأفضلُ إلى صَرْخَدَ بأهله وأولاده وأخيه قُطْبِ الدينِ.

وفى هذه السَّنة هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ سوداءُ مُدْلِهَمَةٌ بأرضِ العراقِ، ومعها رَمَلٌ أحمرٌ، حتى احتاجَ الناسُ إلى السُّرُجِ بالنَّهارِ، وفيها ولى قِوَامَ الدينِ أبو طالبٍ يحيى بنُ سعيدٍ^(٤) بنَ زيادةَ كِتَابِ الإنشاءِ ببغدادَ، وكان بليغًا، وليس هو كالفاضلِ، وفيها درَّسَ مُحْيِىُّ الدينِ أبو القاسمِ محمودُ بنُ المباركِ بالنُّظاميَّةِ،

(١) الكامل ١٢/١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠ .

(٢) فى م : « شوال » .

(٣) هى جزيرة ابن عمر ، من أعمال الموصل .

(٤) فى م : « سعد » .

وكان فاضلاً مُناظراً .

وفيها قُتِلَ رئيسُ الشَّافِعِيَّةِ بأَصْبَهَانَ صدرُ الدينِ محمدٌ^(١) بنُ عبدِ اللطيفِ ابنِ محمدٍ^(٢) بنِ عبدِ اللطيفِ^(٣) بنِ ثابتِ الحُجَنْدِيِّ، قَتَلَهُ فَلَكَ الدِّينِ سَنَقَرُ الطَّوِيلُ، وكان ذلك سببَ زوالِ مُلْكِ أَصْبَهَانَ عن الدِّيوانِ .

وفيها مات الوزيرُ؛ وزيرُ الخِلافةِ :

مُؤَيَّدُ الدِّينِ أَبُو الفَضْلِ^(٣) محمدُ بنُ عَلِيِّ بنِ القَصَّابِ، وكان أبوه يبيعُ اللَّحْمَ في بَعْضِ أَشْوَاقِ بَغْدَادَ، فتقدَّم وسادَ أَهْلَ زمانِهِ . وكانت وفاته بِهَمْدَانَ، وقد أَعادَ رَسَائِقَ كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِ العِراقِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا إِلَى دِيوانِ الخِلافةِ، وكان ناهِضًا ذا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وله صَرَامَةٌ وشَهَامَةٌ وشِعْرٌ جَيِّدٌ .

وفيها تُوفِّيَ : الفَخْرُ محمودُ بنُ عَلِيِّ التَّوْقَانِيِّ^(٤) الشَّافِعِيُّ، عائدًا مِنَ الحِجِّ .
والشَّاعِرُ : أَبُو الغَنَائِمِ محمدُ بنُ عَلِيِّ بنِ المُعَلِّمِ الهَزْزِيِّ^(٥) مِنْ قُرَى واسِطٍ، عن إِحْدَى وَتِسْعِينَ سَنَةً، وكانَ شاعِرًا فصيحًا، وكانَ ابنُ الجَوَزِيِّ يَسْتَشْهِدُ في

(١) في النسخ: «محمود». وكذا ورد في الكامل ١٢/١٢٤. والمثبت من مصادر ترجمته الآتية: ذيل الروضتين ص ١٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠٥، وطبقات الشافعية للسبكي ١٣٣/٦.

(٢ - ٢) ليس في النسخ وهو مثبت من مصادر الترجمة.

(٣) مرآة الزمان ٨/٤٥٠، وذيل الروضتين ص ٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٢٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ١١١، والوافي بالوفيات ٤/١٦٨.

(٤) في الأصل، م: «التوقاني». وانظر ترجمته في الكامل ١٢/١٢٤ وفيه: «القوفاني». وفي إحدى نسخه كالمثبت هنا، وكتاب الذيل على الروضتين ص ١٠ كالمثبت هنا. وانظر الأنساب ٥/٥٣٧.

(٥) معجم البلدان ٤/٩٥٩، والكامل ١٢/١٢٤، ومرآة الزمان ٨/٢/٤٥١، وذيل الروضتين ص ٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠٧، والعبر ٤/٢٧٩، والوافي بالوفيات ٤/١٦٥.

مجالسِه بشيءٍ مِنْ لطائفِ أشعارِه^(١) ، وقد أوردَ ابنُ السَّاعِي قِطْعَةً جَيِّدَةً مِنْ شعرِه الحَسَنِ المَليح^(٢) .

وفيها تُوفِّي الفَقِيهُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الحَسَنِ البَغْدَادِيُّ المَعْرُوفُ بِابْنِ العَرِيفِ^(٣) ، وَيَلَقَّبُ بِالْبَيْعِ الفَاسِدِ ، كَانَ حَنَبَلِيًّا ثُمَّ اشْتَغَلَ شَافِعِيًّا عَلَى أَبِي القَاسِمِ بْنِ فَضْلَانَ ، وَهُوَ الَّذِي لَقَّبَهُ بِذَلِكَ لكَثْرَةِ تَكَرُّرِهِ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بَيْنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ ، وَيَقَالُ^(٤) : إِنَّهُ صَارَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ إِلَى مَذْهَبِ الإِمَامِيَّةِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفيها تُوفِّي الشَّيْخُ أَبُو شُجَاعٍ^(٥) مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شُعَيْبٍ^(٦) بْنِ الدَّهَّانِ الفَرَضِيُّ الحَاسِبُ المَوْزُوحُ البَغْدَادِيُّ ، قَدِيمُ دِمَشْقَ ، وَامْتَدَّحَ الشَّيْخُ أَبُو اليَمَنِ الكِنْدِيُّ زَيْدُ بْنُ الحَسَنِ ، فَقَالَ^(٧) :

يَا زَيْدُ زَادَكَ رَبِّي مِنْ مَوَاهِبِهِ نَعْمَاءٌ يَفْضُرُ عَنْ إِذْرَاكِهَا الْأَمَلُ
لَا بَدَلَ لِلَّهِ حَالًا قَدْ حَبَاكَ بِهَا مَا دَارَ بَيْنَ الثُّحَاةِ الْحَالُ وَالْبَدَلُ
النَّحْوُ أَنْتَ أَحَقُّ الْعَالَمِينَ بِهِ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ فِيهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ

(١) ذيل الروضتين ص ١٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١١٠ ، والوفاء بالوفيات ١٦٥/٤ .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) التكملة لوفيات النقلة ٣٢/٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠٠ ، والوفاء بالوفيات ١٣٤/٢١ .

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٠٠ ، عن ابن النجار مجزومًا به .

(٥) في الأصل : «أبو إسحاق» .

(٦) في الأصل ، م : «مغيث» . وانظر ترجمته في : إنباه الرواة ١٩١/٣ ، وذيل الروضتين ص ٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠ هـ) ص ٣٩١ ، والوفاء بالوفيات ١٦٤/٤ ، ورواة الجنان ٤٦٨/٣ ، والنجوم الزاهرة ١٣٩/٦ ، وبغية الوعاة ١٨٠/١ .

(٧) الأبيات في إنباه الرواة ١٩٢/٣ ، وذيل الروضتين ص ٩ دون البيت الأول ، والوفاء بالوفيات ١٦٥ ، وبغية الوعاة ١٨١/١ .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين [٣١٧/٩] وخمسمائة

فيها^(١) وردَ كتابُ من القاضي الفاضل إلى ابن الزكيّ يخبره فيه أنَّ في ليلة الجمعة التاسع^(٢) من جمادى الآخرة أتى عارضٌ فيه ظلماتٌ متكاثفةٌ، وبروقٌ خاطفةٌ، ورياحٌ عاصفةٌ، فقوى لهوبها^(٣)، واشتدَّ هبوبها، فندفعت^(٤) لها أعتةٌ مُطلقاتٌ، وارتفعت لها صَعَقَاتٌ، فرجفت لها الجدرانُ واضطَفَقَتْ، وتلاقت على بُعْدِها واعتنقت، وثار بين السماء والأرض عجاجٌ، فقبل: لعلَّ هذه على هذه قد انطبقت. ولا تحسبُ إلا أنَّ جهنَّمَ قد سالَ منها وادٍ، وعدا منها عادٍ، وزاد عصفُ الرِّيحِ إلى أنَّ أطفأَ سُرجَ النُّجومِ؛ ومزقت أديمَ السماءِ، ومحت ما فوقه من الرُّقومِ، فكُنَّا كما قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصُّوَءِ﴾ [البقرة: ١٩] وكما قلنا: يَرُدُّونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَعْيُنِهِمْ مِنَ الْبَوَارِقِ. لا عاصِمَ مِنَ الْخَطْفِ لِلْأَبْصَارِ، ولا مَلْجَأَ مِنَ الْخَطْبِ إِلَّا مَعَاقِلُ الْاسْتِغْفَارِ، وفرَّ النَّاسُ نِسَاءً وَرِجَالًا وَأَطْفَالًا، ونَفَرُوا مِنْ دُورِهِمْ خِفَافًا وَثِقَالًا؛ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ولا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فاعتَصَمُوا بِالمَسَاجِدِ الجامِعةِ، وأدْعَنُوا لِلنَّازِلَةِ بِأَعْنَاقٍ خاضِعةٍ، بوجوهٍ عانيَّةٍ، ونفوسٍ عن الأهلِ والمالِ ساليةٍ، ينظرونَ من طرفِ

(١) الروضتين ٢/ ٢٣٢. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٦.

(٢) في الروضتين: «ثامن عشر». وفي تاريخ الإسلام: «تاسع عشر». فالله أعلم.

(٣) في الأصل، م: «الجو بها». وانظر الروضتين ٢/ ٢٣٢. ومن المجاز: ألْهَبَ البرقُ إذا تابَع وتدارك لمعانه حتى لا يكون بين البرقتين فرجة. التاج (ل ه ب).

(٤) في الأصل، م: «قد أثبت». وانظر الروضتين ٢/ ٢٣٢.

خَفِيٍّ ، وَيَتَوَقَّعُونَ أَيْ خَطْبَ جَلِيٍّ ، قَدْ انْقَطَعَتْ مِنَ الْحَيَاةِ غُلَّتْهُمْ^(١) ، وَعَمِيَتْ
عَنِ النَّجَاةِ طُرُقُهُمْ ، وَوَقَعَتِ الْفِكْرَةُ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ قَادِمُونَ ، وَقَامُوا إِلَى صَلَاتِهِمْ
وَوَدُّوا لَوْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ هُمْ عَلَيْهَا دَائِمُونَ ، إِلَى أَنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الرُّكُودِ ، وَأَسْعَفَ
الْهَاجِدِينَ بِالْهُجُودِ ، وَأَصْبَحَ كُلُّ يُسَلِّمُ عَلَى رَفِيقِهِ ، وَيُهَيِّئُهُ بِسَلَامَةِ طَرِيقِهِ ، وَيَرَى
أَنَّهُ قَدْ بُعِثَ بَعْدَ النَّفْخَةِ ، وَأَفَاقَ بَعْدَ الصَّيْحَةِ وَالصَّرَوخَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ رَدَّ لَهُ الْكُرَّةَ ،
وَأَحْيَاهُ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَأْخُذُهُ عَلَى غِرَّةٍ ، وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهَا قَدْ كَسَرَتْ الْمَرَائِبَ
فِي الْبَحَارِ ، وَالْأَشْجَارَ فِي الْقِفَارِ ، وَأَثْلَفَتْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الشُّفَّارِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ
فَلَمْ يَنْفَعَهُ الْفِرَارُ ... إِلَى أَنْ قَالَ : وَلَا يَحْسَبُ الْمَجْلِسُ أَنِّي أَرْسَلْتُ الْقَلَمَ مُحَرِّفًا
وَالْقَوْلَ مُجَزِّفًا ، فَلَا أَمْرَ أَعْظَمُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، وَنَزَجُو أَنْ اللَّهَ قَدْ أَيْقَظَنَا بِمَا
وَعَظَّنَا ، وَنَبَّهَنَا بِمَا وَلَّهَنَا ، فَمَا مِنْ عِبَادِهِ مَنْ رَأَى الْقِيَامَةَ عَيْنًا ، وَلَمْ يَلْتَمِسْ عَلَيْهَا
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بُزْهَانًا إِلَّا أَهْلُ بَلَدِنَا ؛ فَمَا قَصَّ الْأَوَّلُونَ مِثْلَهَا فِي الْمَثَلَاتِ ، وَلَا
سَبَقَتْ لَهَا سَابِقَةٌ فِي الْمُغْضِلَاتِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ فَضْلِهِ أَنْ جَعَلْنَا نُخْبِرُ
عَنْهَا ، وَلَا تُخْبِرُ عَنَّا ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَضْرِفَ عَنَّا عَارِضَ الْحَرِصِ وَالْعُرُورِ^(٢) إِذَا
عَنَّا^(٣) .

وَفِيهَا كَتَبَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ بِدَمْشَقٍ يَحْتُهُ
عَلَى قِتَالِ الْفِرْنَجِ ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا هُوَ بِصَدِّدِهِ مِنْ مُحَارِبَتِهِمْ ، وَحَفِظِ حَوْزَةَ
الْإِسْلَامِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْكُتُبِ^(٣) : هَذِهِ الْأَوْقَاتُ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا

(١) الْغُلَّى : جَمْعُ (الْغُلَّةِ) وَهِيَ مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ . وَانْظُرِ اللَّسَانَ (ع ل ق) .

(٢ - ٢) فِي الْأَصْلِ ، م : « وَلَا يَجْعَلُنَا مِنْ أَهْلِ الْهَلَاكِ وَالْتِبُورِ » . وَانْظُرِ مَصْدَرَ التَّخْرِيجِ . وَعَنَّا أَيْ
ظَهَرَا .

(٣) الرُّوضَتَيْنِ ٢/٢٣٣ .

عرائس الأعمار، وهذه التفقات التي تجرى على أيديكم مهوور الحور في دار القرار، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه، فتلك نعم الله عليه، وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل إليه، وسواد العجاج في هذه المواقف يباض ما سودته الذنوب من الصّحائف، فما أسعد [٣١٧/٩] تلك الوقعات، وما أعود بالطمأنينة تلك الرجفات. وكتب إليه أيضًا^(١): أدام الله ذلك الاسم تاجا على مفارق المنابر والطروس، وحياء للدنيا وما فيها من الأجساد والنفس، وعرف المملوك ما عرفه من الأمر الذي اقتضته المشاهدة، وجرّت به العاقبة^(٢) في سرور^(٣)، ولا مزيد على تشبيه الحال بقوله:

ألم تر أن المرء تدوى^(٣) يمينه فيقطعها عمدا ليسلم سائره

ولو كان فيها تذيير لكان مولانا سبق إليه، ومن قلم من الأصبع طفرا فقد جلب إلى الجسد بفعله نفعا، ودفع عنه ضرا.

وتجشّم المكروه ليس بضائر ما خلّته سببا إلى المحمود

وآخِرُ كُلِّ شِفْوَةٍ أَوَّلُ كُلِّ غَزْوَةٍ، فلا يشأم مولانا نيّة الرّباط وفعلها، وتجشّم الكلف وحملها، فهو إذا صرف وجهه إلى وجه واحد، وهو وجه الله، صرف الله إليه الوجوه كلها ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفي هذه السنّة انقضت مدّة الهدنة التي كان عقدها الملك صلاح الدين

(١) الروضتين ٢/٢٣٣.

(٢ - ٢) في ص: «في هاروت». وفي الروضتين: «في بيروت».

(٣) دوى يدوى دوى، فهو دوى: إذا هلك بمرض باطن. اللسان (د و ا).

للفِرْنَجِ ، فَأَقْبَلُوا بِقَضِّهِمْ وَقَضِيضِهِمْ ، فَتَلَقَّاهُم الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِمَرْجٍ عَكَّا فَكَسَّرَهُمْ
وَعَنَمَهُمْ ، وَفَتَحَ يَافَا عَنُوتَةً ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

وَقَدْ كَانُوا كَتَبُوا إِلَى مَلِكِ الْأَلْمَانِ يَسْتَنْهَضُونَهُ لِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَدَّرَ اللَّهُ
هَلَكَهَ سَرِيعًا ، وَأَخَذَتِ الْفِرْنَجُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ يَبْزُوتَ مِنْ نَائِبِهَا عَزَّ الدِّينُ شَامَةً مِنْ
غَيْرِ قِتَالٍ وَلَا نِزَالٍ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ^(١) فِي الْأَمِيرِ شَامَةً :

سَلَّمَ الْحِصْنَ مَا عَلَيْكَ مَلَامَةٌ مَا يُلَامُ الَّذِي يَزُومُ السَّلَامَةَ
فَعَطَاءُ الْحِصُونِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ سُنَّةٌ سَنَّا بِبَيْرُوتَ شَامَةً

وَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَلِكُ الْفِرْنَجِ كُنْذَهْرِي ؛ سَقَطَ مِنْ شَاهِقٍ فَمَاتَ ، فَبَقِيَتِ
الْفِرْنَجُ كَالْعَنَمِ بِلَا رَاعٍ ، حَتَّى مَلَكَوْا عَلَيْهِمْ صَاحِبَ قَبْرَسَ ، وَزَوَّجُوهُ بِالْمَلِكَةِ امْرَأَةً
كُنْذَهْرِي ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُوبَ ، فَفِي
كُلِّهَا يَسْتَظْهِرُ عَلَيْهِمْ وَيُكْسِرُهُمْ ، وَيَقْتُلُ خُلُقًا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . وَلَمْ
يَزَالُوا كَذَلِكَ مَعَهُ حَتَّى طَلَبُوا الصُّلْحَ وَالْمُهَادَنَةَ ، فَعَاقَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِي السَّنَةِ
الْآتِيَةِ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تُوفِّيَ : مَلِكُ الْيَمَنِ سَيْفُ الْإِسْلَامِ طُغْتَكِينُ ^(٢) ، أَخُو
السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً جَدًّا ، وَكَانَ يَشْبِكُ الذَّهَبَ
مِثْلَ الطَّوَاجِينِ وَيَدْخِرُهُ كَذَلِكَ ، وَقَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ ، وَكَانَ أَهْوَجَ
قَلِيلَ التَّنْذِيرِ ، فَحَمَلَهُ جَهْلُهُ عَلَى أَنْ ادَّعَى أَنَّهُ قُرَشِيٌّ أُمَوِيٌّ ، وَتَلَقَّبَ بِالْهَادِي ،

(١) الروضتين ٢/٢٣٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٧ .
(٢) مرآة الزمان ٨/٢/٤٥٣ ، وفیات الأعيان ٢/٥٢٣ ، وسیر أعلام النبلاء ٢١/٣٣٣ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٢٩ ، وغاية النهاية ١/٤٦٠ ، ومرآة الجنان ٣/٤٧٥ ،
والنجوم الزاهرة ٦/١٤١ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمُهُ الْعَادِلُ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَهَدَّدُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَلَا التَفَّتْ إِلَيْهِ ، بَلْ تَمَادَى فِي ذَلِكَ وَأَسَاءَ إِلَى الْأُمَرَاءِ وَالرَّعِيَّةِ ، فَقُتِلَ وَتَوَلَّى بَعْدَهُ تَمْلُوكٌ مِنْ مَمَالِكِ أَبِيهِ .

وفيها تُوفِّي : الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَبُو الْهَيْجَاءِ السَّمِينُ الْكُرْدِيُّ^(١) ، كَانَ مِنْ أَكَابِرِ أُمَرَاءِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ نَائِبًا عَلَى عَمَّا ، وَخَرَجَ مِنْهَا قَبْلَ أَخْذِ الْفَرَنْجِ ثُمَّ دَخَلَهَا بَعْدَ الْمَشْطُوبِ ، فَأُخِذَتْ مِنْهُ ، وَاسْتَنَابَهُ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى الْقُدْسِ ، ثُمَّ لَمَّا أَخَذَهَا الْعَزِيزُ غَزَلَ عَنْهَا ، فَطُلِبَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأُكْرِمَ إِكْرَامًا زَائِدًا ، وَأُرْسِلَهُ الْخَلِيفَةُ مُقَدِّمًا عَلَى الْعَسَاكِرِ إِلَى هَمْدَانَ ، فَمَاتَ هُنَاكَ .

وفيها تُوفِّي : قَاضِي قِضَاةِ بَغْدَادَ أَبُو طَالِبٍ عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، ابْنُ الْبُخَارِيِّ^(٢) ، سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي الْوَقْتِ وَغَيْرِهِ ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ فَضْلَانَ ، وَتَوَلَّى نِيَابَةَ الْحُكْمِ بِبَغْدَادَ ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالْمَنْصِبِ ، وَأُضِيفَ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ نِيَابَةِ الْوِزَارَةِ ، ثُمَّ غُزِلَ عَنِ الْقِضَاةِ ، ثُمَّ أُعِيدَ وَمَاتَ وَهُوَ حَاكِمٌ ، نَشَأُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ ، وَكَانَ فَاضِلًا بَارِعًا ، مِنْ بَيْتِ فِقْهِ وَعَدَالَةٍ ، وَلَهُ شِعْرٌ^(٣) :

تَنَحَّ عَنْ الْقَبِيحِ وَلَا تُرِدْهُ وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ حَسَنًا فَرِدْهُ
سَتُكْفَى^(٤) مِنْ عُدُوِّكَ كُلِّ كَيْدٍ إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ وَلَمْ تَكِدْهُ

وفيها تُوفِّي : السَّيِّدُ الشَّرِيفُ نَقِيبُ الطَّالِبِيِّينَ بِبَغْدَادَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ

(١) الكامل ١٢/١٢٥ ، وذيل الروضتين ص ١١ ، ومرة الزمان ٨/٢/٤٥٨ (في وفيات سنة ٥٩٤ هـ) .

(٢) الكامل ١٢/١٣٠ ، والتكملة لوفيات النقلة ٢/٨٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ هـ - ٦٠٠ هـ) ص ١٣٨ ، والعبر ٤/٢٨٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٧/٢٢٧ ، والنجوم الزاهرة ٦/١٤٠ .

(٣) الدر الفريد وبيت القصيد ٣/١٧٣ ، ٣٥٠ ، وهما منسوبان فيه لأبي بكر الصديق .

(٤) في النسخ « كفافك » والمثبت من الدر الفريد .

عَلِيٌّ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ^(١) بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْعَلَوِيِّ
الْحُسَيْنِيِّ، المعروفُ بِابْنِ الْأَفْصَاسِيِّ، الْكُوفِيُّ مَوْلِدًا وَمَنْشَأً، كَانَ شَاعِرًا مُطَبِّقًا،
امْتَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَالْوُزَرَءَ، وَهُوَ مِنْ بَيْتٍ مَشْهُورٍ بِالْأَدَبِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْمُزَوَّعَةِ، قَدِيمٌ
بُعْدَادَ فَاُمْتَدَحَ الْمُقْتَفِيَّ وَالْمُسْتَنْجِدَ وَابْنَهُ الْمُشْتَضِيَّ وَابْنَهُ النَّاصِرَ، فَوَلَّاهُ النَّقَابَةَ، كَانَ
شَيْخًا مَهِيئًا، جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، وَقَدْ أُوْرِدَ لَهُ ابْنُ السَّاعَى قَصَائِدُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

اضْبِرْ عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ فَمَا يَدُومُ عَلَى طَرِيقَةٍ
سَبَقَ الْقَضَاءُ فَكُنْ بِهِ رَاضٍ وَلَا تَطْلُبْ حَقِيقَةَ
كَمْ قَدْ تَغْلَبَ مَرَّةً وَأَرَاكَ مِنْ سَعَةِ وَضِيقَةٍ
مَا زَالَ فِي أَوْلَادِهِ يَجْرِي عَلَى هَذِي الطَّرِيقَةِ

وَفِيهَا تُوفِّتُ: السَّتُّ عَذْرَاءُ بِنْتُ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ^(٢)، وَدُفِنَتْ بِمَدْرَسَتِهَا
دَاخِلَ بَابِ النَّصْرِ.

وَالسَّتُّ خَاتُونُ^(٣) وَالِدَةُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ، وَدُفِنَتْ بِدَارِهَا بِدِمَشْقَ الْمَجَاوِرَةِ لِدَارِ
أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ.

(١) فِي م: «يَزِيد». وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: التَّكْمَلَةُ لَوْفِيَاتِ النُّقْلَةِ ٩٣/٢، وَالدِّزِيلُ عَلَى الرُّوسْتَيْنِ ص ١١،
وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٢٥، وَالْوَفَايُ بِالْوَفِيَّاتِ ١٢٨/١٢، وَأَعْيَانُ
الشَّيْخَةِ ٣٢٦/٢٢.

(٢) وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤٥٣/٢ (فِي تَرْجَمَةِ وَالدَّاهِ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ)، وَذِيلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ١١، وَتَارِيخُ
الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٣٧، وَالدَّرَسُ فِي تَارِيخِ الْمَدَارِسِ ٣٧٣/١.

(٣) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٢٧، وَالْوَفَايُ بِالْوَفِيَّاتِ ٢٣٧/١٣،
وَالدَّرَسُ فِي تَارِيخِ الْمَدَارِسِ ٥٠٦/١.

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

فِيهَا^(١) جَمَعَتِ الْفِرْنَجُ جُمُوعَهَا وَأَقْبَلُوا فَحَاصَرُوا تَيْبِينَ^(٢)، فَاسْتَدْعَى الْعَادِلُ بَنِي أَخِيهِ لِقَاتِلِهِمْ، فَجَاءَهُ الْعَزِيزُ مِنْ مِصْرَ، وَالْأَفْضَلُ مِنْ صَرْخَدَ، فَأَقْلَعَتِ الْفِرْنَجُ عَنِ الْحِصْنِ وَبَلَّغَهُمْ مَوْتَ مَلِكِ الْأَلْمَانِ، فَطَلَبُوا مِنَ الْعَادِلِ الْهُدَنَةَ وَالْأَمَانَ، فَهَازَنَهُمْ وَرَجَعَتِ الْمُلُوكُ إِلَى أَمَاكِيهَا، وَقَدْ عَظُمَ الْمُعْظَمُ عَيْسَى بْنُ الْعَادِلِ فِي هَذِهِ الْمَدَةِ، وَاسْتَنَابَهُ أَبُوهُ عَلَى دِمَشْقَ، وَسَارَ إِلَى مُلْكِهِ بِالْجَزِيرَةِ، فَأَحْسَنَ فِيهِمُ السَّيْرَةَ.

وَكَانَ قَدْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ السُّلْطَانُ صَاحِبُ سِنْجَارَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَدَائِنِ الْكِبَارِ، وَهُوَ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي بْنُ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِي الْأَتَابِكِيِّ^(٣)، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُلُوكِ وَأَحْسَنِهِمْ شَكْلًا وَسَيْرَةً، وَأَجُودَهُمْ طَوِيَّةً وَسَرِيرَةً، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُسَخِّلُ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحَبَّةِ لِلْعُلَمَاءِ، وَلَا سِيَّما الْحَنَفِيَّةَ، وَقَدْ ابْتَنَى لَهُمْ مَدْرَسَةً بِسِنْجَارَ، وَشَرَطَ لَهُمْ طَعَامًا يُطْبَخُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَهَذَا نَظَرٌ حَسَنٌ، وَالْفَقِيهُ أَوْلَى بِهِذِهِ الْحَسَنَةِ مِنَ الْفَقِيرِ؛ لِاسْتِغَالِ الْفَقِيهِ بِتَكَرَّارِهِ وَمُطَالَعَتِهِ عَنِ الْفِكْرِ فِيمَا يُقِيئُهُ، فَعَدَا عَلَى أَوْلَادِهِ ابْنُ عَمِّهِ صَاحِبُ الْمُؤَصِّلِ، فَأَخَذَ الْمُلْكَ مِنْهُمْ، فَاسْتَعَاثَ

(١) الكامل ١٢/١٣٢، والروضتين ٢/٢٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٩.

(٢) في م: «تينين»، وتبين: بلدة في جبال بني عامر المطللة على بلد بانياس بين دمشق وصور. معجم البلدان ١/٨٢٤.

(٣) الكامل ١٢/١٣٢، ووفيات الأعيان ٢/٣٣٠، وبغية الطلب ٨/٤١٦ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٦٠، والوفاء بالوفيات ١٤/٢٢٣.

بُنُوهُ بِالْمُلْكِ الْعَادِلِ ، فَرَدَّ فِيهِمُ الْمُلْكَ ، وَدَرَأَ عَنْهُمْ الضَّيْمَ ، وَاسْتَقَرَّتِ الْمَمْلَكَةُ لَوْلَاهِ قُطْبُ الدِّينِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ سَارَ الْعَادِلُ إِلَى مَارِدِينَ فَحَاصَرَهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى رَبْضِهَا وَمُعَامَلَتِهَا ، وَأَعْجَزَتْهُ قَلْعَتُهَا ، فَصَافَ عَلَيْهَا وَشَتَا ، وَمَا ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ تَمَلَّكَهَا ؛ حَتَّى هَتَّتِ الشَّعْرَاءُ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَثْبُوتًا وَلَا مَقْدَرًا .

وَفِيهَا مَلَكَتِ الْغُورُ مَدِينَةَ بَلَخَ وَكَسَرُوا الْخِطَا^(١) [٣١٨/٩] وَقَهَرُوهُمْ ، وَهَزَمُوهُمْ وَتَوَقَّعُوا بِإِرسَالِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِمْ أَنَّ يَمْنَعُوا خُورِزْمَ شَاهٍ مِنْ دُخُولِ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُرْوَمُ أَنَّ يُخْطَبَ لَهُ بِبَغْدَادَ .

وَفِيهَا حَاصَرَ خُورِزْمَ شَاهُ مَدِينَةَ بُخَارَا فَفَتَحَهَا بَعْدَ مَدَّةٍ ، وَقَدْ كَانَتْ امْتَنَعَتْ عَلَيْهِ دَهْرًا وَنَصَرَهُمُ الْخِطَا ، فَقَهَرَهُمْ جَمِيعًا وَأَخَذَهَا غَنًوَةً ، وَعَقَا عَنْ أَهْلِهَا وَصَفَحَ عَنْهُمْ ، وَقَدْ كَانُوا أَلْبَسُوا كَلْبًا أَغُورَ قَبَاءَ وَسَمَّوْهُ خُورِزْمَ شَاهٍ ، وَرَمَوْهُ فِي الْمَنْجَنِيْقِ إِلَى الْخُورِزْمِيَّةِ ، وَقَالُوا : هَذَا مَلِكُكُمْ . وَكَانَ خُورِزْمَ شَاهُ أَغُورَ ، فَلَمَّا قَدَرَ عَلَيْهِمْ عَقَا عَنْهُمْ ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا .

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْقَوَامُ^(٢) بِنُ زَبَادَةَ ، كَاتِبُ الْإِنشَاءِ بِيَابِ الْخِلَافَةِ ، وَهُوَ أَبُو طَالِبٍ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ زَبَادَةَ ، قَوَامُ الدِّينِ ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ التَّرْشُلِ

(١) الخطا : جنس من الترك بلادهم في متاخمة بلاد الصين . صبح الأعشى ٤/٤٨٣ ، وانظر السلوك ١/٢٢٨ ، حاشية (١) .

(٢) في الأصل ، م : « العوام » . وانظر ترجمته في : معجم الأدياء ٧/٢٨٠ ، والكمال ١٢/١٣٨ ، ووفيات الأعيان ٦/٢٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٣٦ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٧٤ .

والإنشاء والبلاغة والفصاحة في زمانه بالعراق ، وله علومٌ كثيرةٌ غير ذلك من
الفقه على مذهب الشافعي ، أخذَه عن ابن فضالان ، وله معرفةٌ جيدةٌ بالأصلين
والحساب واللغة ، وله شعرٌ جيّد ، وقد ولى عدّة مناصب ، وكان مشكوراً في
جميعها ، ومن مُستجاد شعره قوله :

لا تحقرنَّ عدوّاً تزدريه فكم قد أتعس الدهرُ جدَّ الجدِّ باللعبِ
فهذه الشمسُ يغروها الكسوفُ لها على جلالتيها بالرأسِ والذنبِ
وقوله ^(١) :

باضطرابِ الزمانِ ترتفعُ الأند ذالُ فيه حتى يعمُّ البلاءُ
وكذا الماءُ راكداً فإذا حركتْ ثارت من قعره الأقداءُ
وله أيضاً ^(٢) :

قد سلوتُ الدنيا ولم يسُلها من علقت في آماله والأراجي
فإذا ما صرفتُ وجهي عنها قذفوني في بحرِها العجاجِ
يستضيئون بي وأهلك وحدى فكأنى ذبالاً في سراجِ
توفّي في هذه السنة من ذى الحجة وله ثنتان وسبعون سنة ، وحضر جنازته
خلقٌ كثيرٌ ، ودُفنَ عندَ موسى بن جعفر .

القاضي أبو الحسن علي بن جابر ^(٣) بن زهير بن علي البطائحي ، قديم بغداد

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٢٤٥ .

(٢) الذيل على الروضتين ص ١٤ .

(٣) في الأصل ، م : « رجاء » . وانظر ترجمته في : ذيل تاريخ بغداد ١٨/ ٢٣٤ ، والذيل على الروضتين ص ١٣ ، والتكملة لوفيات النقلة ١/ ٣١٦ . وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٦٣ .

فَفَقَّهَ بِهَا وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَأَقَامَ بِرَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ مَدَّةً يَشْتَغِلُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّبِيِّ^(١) الْفَرِضِيِّ ، ثُمَّ وَلِيَ قِضَاءَ الْعِرَاقِ مَدَّةً ، وَكَانَ أَدِيبًا ، وَقَدْ سَمِعَ مِنْ شَيْخِهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّبِيِّ يَنْشُدُ لِنَفْسِهِ مُعَارِضًا لِلْحَرِيرِيِّ فِي بَيْتَيْهِ اللَّذَيْنِ زَعَمَ أَنَّهُمَا لَا يُعَزَّزَانِ بِثَالِثٍ لِهَمَا ، وَهَمَا قَوْلُهُ^(٢) :

سِمَ سِمَةً يُحْمَدُ آثَارُهَا وَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمِيسِمَةً
وَالْمَكْرُ مِنْهُمَا اسْطَغَتْ لَا تَأْتِيهِ لَتَقَتْنِي السُّؤْدَدُ وَالْمَكْرُومَةُ

فَقَالَ ابْنُ النَّبِيِّ^(٣) :

مَا الْأَمَةُ الْوَكْعَاءُ^(٤) بَيْنَ الْوَرَى أَحْسَنُ مِنْ حُرٍّ أَتَى مَلَأَمَةً
فَمَهْ إِذَا اسْتُجْدِيَتْ عَنْ قَوْلٍ لَا فَالْحُرُّ لَا يَمْلَأُ مِنْهَا فَمَهْ

الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ جُرْدَيْكُ^(٥) كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ فِي زَمَانِ ثَوْرِ الدِّينِ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَرِكَ فِي قَتْلِ شَاوِرٍ ، وَحِظِي عِنْدَ صِلَاحِ الدِّينِ ، وَقَدْ اسْتَنَابَهُ عَلَى الْقُدْسِ حِينَ افْتَتَحَهَا ، وَكَانَ يَسْتَنْدِبُهُ لِلْمُهَيَّمَاتِ الْكِبَارِ فَيَسُدُّهَا بِنَهْضَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، وَلَمَّا وَلِيَ الْأَفْضَلُ عِزْلَهُ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَتَرَكَ بِلَادَ الشَّامِ وَانْتَقَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَمَاتَ بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

(١) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَفِي ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادَ ، وَذَيْلِ الرُّوسْتَيْنِ : « الْمُنْقَبَةُ » ، وَفِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ١٦ / ٢٧١ : « الْمُنْقَبَةُ » . وَكَذَا فِي الْمَوَاضِعِ النَّالِيَةِ .

(٢) مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ ص ٣٧٢ (الْمَقَامَةُ السَّادِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ الْحَلِيبِيَّةُ) .

(٣) ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادَ ١٨ / ٢٣٥ ، وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ١٦ / ٢٧٣ .

(٤) فِي الْأَصْلِ ، م : « الْوَكْعَاءُ » ، وَفِي ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادَ : « الْوَكْفَاءُ » . وَالمُثَبِّتُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ١٦ / ٢٧٣ . وَالْوَكْعَاءُ : اللَّيْمَةُ .

(٥) فِي النُّسخِ : « جَرْدِيل » . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : الْكَامِلِ ١٢ / ١٣٤ وَفِيهِ : « جُورْدِيك » ، وَمِرَاةُ الزَّمَانِ ٨ / ٢٥٦ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٥٧ ، وَالْوَفَا فِي الْوَفَيَاتِ ١١ / ٦٨ ، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٦ / ٣٢٦ .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة

وفيهما كانت وفاة الملك العزيز صاحب مصر^(١)

وذلك أنه خرج إلى الصيد ، فلما [٣١٩/٩] كان ليلة الأحد العشرين من المحرم ، ساق خلف ذئب ، فكبا به الفرس ، فسقط عنه ، وكانت وفاته بعد أيام بعد رجوعه إلى البلد ، فتقل ودفن بداره ، ثم حوّل إلى عند تربة الشافعي ، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة ، رحمه الله . ويقال : إنه كان قد عزم في هذه السنة على إخراج الحنابلة من بلده ، ويكتب إلى بقيّة إخوته أن يخرجوهم من بلادهم ، وشاع ذلك عنه وسمع منه وذاع وصرح به ، وكل ذلك من معلّميه وخلطائه وعُشرائه من الجهميّة ، وقلة علمه بالقرآن والحديث ، فلما وقع ما وقع عظم قدر الحنابلة بديار مصر والشام عند الخاصّ والعامّ . وقيل : إن بعض صالحهم دعا عليه ، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد ، فكان هلاكه سريعاً ، فالله أعلم .

وكتب القاضي الفاضل كتاب التّعزية بالعزيز إلى عمّه الملك العادل وهو مقيم على محاصرة ماردین ومعه العساكر ، وولّده محمد الكامل ، وهو نائبه على بلاد الجزيرة المقاربة لبلاد الحيرة ، وصورة الكتاب^(٢) : أدام الله سلطان مولانا الملك

(١) الكامل ١٢/١٤٠ ، وذيل الروضتين ص ١٦ ، وزبدة الحلب ٣/١٤٢ ، ومرآة الزمان ٨/٢/٤٦٠ ، ووفيات الأعيان ٣/٢٥١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢٩١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٨٨ .

(٢) الروضتين ٢/٢٣٤ .

الْعَادِلِ ، وَبَارَكَ فِي عُمْرِهِ وَأَعْلَا أَمْرَهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَعَزَّ نَصَرَ الْإِسْلَامِ بِنَصْرِهِ ، وَفَدَّتِ
الْأَنْفُسُ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ ، وَأَضْعَفَ اللَّهُ الْعِظَائِمَ بِنِعْمِهِ فِيهِ الْعَظِيمَةَ ، وَأَحْيَاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً
يَقِفُ فِيهَا هُوَ وَالْإِسْلَامُ فِي مَوَاقِفِ الْفَتْوحِ الْجَسِيمَةِ ، وَيَنْقَلِبُ عَنْهَا بِالْأُمُورِ
الْمُسْلِمَةِ وَالْعَوَاقِبِ السَّلِيمَةِ ، وَلَا نَقْصَ لَهُ رِجَالًا وَلَا عِدَدًا ، وَلَا أَعْدَمَهُ نَفْسًا وَلَا
وَلَدًا ، وَلَا قَصَرَ لَهُ ذِيْلًا وَلَا يَدًا ، وَلَا أَسْخَنَ لَهُ قَلْبًا وَلَا كَبَدًا ، وَلَا كَدَّرَ لَهُ خَاطِرًا
وَلَا مَوْرِدًا ، وَلَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ مَا قَدَّرَ فِي الْمَلِكِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَتَحْيَاثُهُ مُكَرَّرَةٌ إِلَيْهِ
مِنْ انْقِضَاءِ مُهْلِهِ وَحُضُورِ أَجَلِهِ ، كَانَتْ بِدِيهَةِ الْمَصَابِ عَظِيمَةً ، وَطَالِعَةُ الْمَكْرُوهِ
أَلِيمَةً ، فَرَحِمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ وَنَضَّرَهُ ، ثُمَّ إِلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ يَسَّرَهُ :

وَإِذَا مَحَاسِنُ أَوْجِهِ بَلِيَتْ فَعَفَا الثَّرَى عَنْ وَجْهِهِ الْحَسَنِ

فَأَعَزَّ عَلَى الْمَمْلُوكِ وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ بَلْ عَلَى قَلْبِ مَوْلَانَا ، لَا سَلْبَهُ ثِيَابَ الْعِزَاءِ ،
لِسُرْعَةِ مَصْرَعِهِ وَانْقِلَابِهِ إِلَى مَضْجَعِهِ ، وَلِبَاسِهِ ثَوْبَ الْبِلَى قَبْلَ أَنْ يَلْيَ ثَوْبُ
الشَّبَابِ ، وَزَفَّهُ إِلَى التَّرَابِ وَسَرِيرُهُ مَحْفُوفٌ بِاللَّذَاتِ وَالْأَتْرَابِ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ
الْمَرَضِ بَعْدَ الْعُودِ مِنَ الْفَيْتُومِ أَشْبُوعَيْنِ ، وَكَانَتْ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ مِنْ لَيْلَةِ الْأَحَدِ
الْعِشْرِينَ مِنَ الْحَرَمِ ، وَالْمَمْلُوكُ فِي حَالِ تَشْطِيرِهَا مَجْمُوعٌ بَيْنَ مَرَضِ قَلْبٍ
وَجَسَدٍ ، وَوَجَعَ أَطْرَافٍ وَغَلِيلِ كَبِدٍ ، وَقَدْ فُجِعَ بِهَذَا الْمَوْلَى ، وَالْعَهْدُ بِوَالِدِهِ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، غَيْرُ بَعِيدٍ ، وَالْأَسَى عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٌ .

وَلَمَّا تَوَفَّى الْعَزِيزُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، خَلَفَ مِنَ الْوَلَدِ عَشْرَةَ ذُكُورٍ ، فَعَمَدَ أُمَرَاؤُهُ
فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا ، وَلَقَّبُوهُ بِالْمَنْصُورِ ، وَجُمُھُورُ الْأُمَرَاءِ فِي الْبَاطِنِ مَائِلُونَ
إِلَى تَمْلِكِ الْعَادِلِ ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتَبَعَدُوا مَكَانَهُ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى الْأَفْضَلِ وَهُوَ بَصْرَحَدَ
فَأَحْضَرُوهُ عَلَى الْبَرِيدِ سَرِيعًا ، فَلَمَّا حَصَلَ عَنْدهُمْ مُنِعَ رِفْدُهُمْ ، وَوَجَدُوا الْكَلِمَةَ

مُخْتَلَفَةً عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَنْمَ لَهُ مَا صَارَ إِلَيْهِ ، وَخَامَرَ عَلَيْهِ أَكَابِرُ الْأُمَرَاءِ النَّاصِرِيَّةِ ،
وَحَرَجُوا مِنْ دِيَارِ مِصْرَ فَأَقَامُوا فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ [٣١٩/٩ ظ] وَأَرْسَلُوا يَسْتَحْثُونَ
الْجِيوشَ الْعَادِلِيَّةَ ، فَأَقَرَّ ابْنُ أَخِيهِ عَلَى السُّلْطَانَةِ ، وَنَوَّهَ بِاسْمِهِ عَلَى السُّكَّةِ وَالْخُطْبَةِ
فِي سَائِرِ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْمَمْلَكَةِ ، لَكِنْ اسْتَفَادَ بِهَذِهِ السُّفْرَةِ أَنْ أَخَذَ جَيْشًا كَثِيفًا مِنْ
الْمِصْرِيِّينَ ، وَأَقْبَلَ بِهِمْ لِيَسْتَرِدَّ دِمَشْقَ فِي غَيْبَةِ عَمِّهِ بِمَحَاصِرِ مَارِدِينَ ، وَذَلِكَ
بِإِشَارَةِ أَخِيهِ صَاحِبِ حَلَبَ ، وَابْنِ عَمِّهِ مَلِكِ حِمَاصَ أَسَدِ الدِّينِ . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا
وَنَزَلَ حَوْلَ يَتِهَا ، قَطَعَ أَنْهَارَهَا وَعَقَرَ أَشْجَارَهَا ، وَقَلَّلَ ثِمَارَهَا ، وَنَزَلَ بِمُخَيَّمِهِ عَلَى
مَسْجِدِ الْقَدَمِ ، وَقَدْ لَحِقَهُ الْأَسْفُ وَالنَّدَمُ ، وَجَاءَ إِلَيْهِ أَخُوهُ الظَّاهِرُ وَابْنُ عَمِّهِ الْأَسَدُ
الْكَاسِرُ وَاللَيْثُ الْكَاشِرُ وَجَيْشُ حِمَاةَ ، فَكَثُرَ جَيْشُهُ وَقَوِيَ الْأَفْضَلُ بْنُ النَّاصِرِ ،
وَقَدْ دَخَلَ جَيْشُهُ إِلَى الْبَلَدِ ، وَنَادَوْا بِشِعَارِهِ ، فَلَمْ يُتَابِعْهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ أَحَدٌ ، وَأَقْبَلَ
الْعَادِلُ مِنْ مَارِدِينَ بِعَسَاكِرِهِ وَقَدْ التَّفَّ عَلَيْهِ طَائِفَةُ بَنِي أَخِيهِ ، وَأَمَدَّهُ كُلُّ مِصْرٍ
بَأَكَابِرِهِ ، وَسَبَقَ الْأَفْضَلُ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمِينَ فَحَصَّنَهَا وَحَفِظَهَا مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَذِي
عَيْنَيْنِ ، وَقَدْ اسْتَنَابَ عَلَى مَارِدِينَ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا الْكَامِلَ رَئِيسَ السُّلَاطِينِ .

وَلَمَّا دَخَلَ دِمَشْقَ خَامَرَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ الْأُمَرَاءِ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ ، وَضَعُفَ أَمْرُ
الْأَفْضَلِ وَيُسَسَّ مِنْ بَرِّهِمْ وَخَيْرِهِمْ ، فَأَقَامَ مُحَاصِرًا الْبَلَدَ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى انْسَلَخَ الْحَوْلُ
وَهُوَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ انْفَضَلَ الْحَالُ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الْآتِيَةِ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى .

وَفِيهَا شَرَعَ فِي بِنَاءِ سُورِ بَغْدَادَ مِنَ الْآجِزِّ وَالْكَلسِ ، وَفَرَّقَ عَلَى الْأُمَرَاءِ ،
وَكَمَلَتْ عِمَارَتُهُ بَعْدَ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَأَمِنَتْ بَغْدَادُ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَصَارِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا
سُورٌ قَبْلَ ذَلِكَ .

وفى هذه السنة تُوفى :

السلطان الكبير أبو محمد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن^(١) ، صاحب المغرب والأندلس بمدينة سلا^(٢) ، وكان قد ابتنى عندها مدينةً مليحةً سماها المهديّة ، وقد كان دينا حسن السيرة ، صحيح السريرة ، وكان مالكي المذهب ، ثم صار ظاهريًا حزميًا ، ثم مال إلى مذهب الشافعي ، واستقضى فى بعض بلاده منهم قضاة ، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، وكان كثير الجهاد ، رحمه الله ، وكان يؤم الناس فى الصلوات الخمس ، وكان قريبًا إلى المرأة والضعيف . وهو الذى كتب إليه صلاح الدين يستنجده على الفرنج ، فلما لم يخاطبه بأمر المؤمنين غضب من ذلك ولم يجبه إلى ما طلب منه ، وقام بالملك بعده ولده محمد ، فسار كسيرة والده ، ورجع إليه كثير من البلدان اللاتى كانت قد عصت على أبيه ، ثم من بعد ذلك تفرقت بهم الأهواء ، وباد هذا البيت بعد الملك يعقوب .

وفى هذه السنة ادعى رجل أعجمي بدمشق أنه عيسى ابن مريم ، فأمر الأمير صارم الدين بزغش نائب القلعة ، بصلبه فُصلب عند حمام العمد الكاتب ، خارج باب الفرّج مُقابل الطّاحون التى بين البابين ، وقد باد هذا الحمام قديمًا ، وبعد صلبه يومين ثارت العائمة على الروافض ، وعمدوا إلى قبر رجل منهم بباب الصغير يقال له : وثاب . فنبشوه وصلبوه مع كلبين ، وذلك فى ربيع الآخر منها .

(١) الكامل ١٢/١٤٥ ، ومرآة الزمان ٨/٢/٤٦٤ ، ووفيات الأعيان ٣/٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩٠ - ٦٠٠ هـ) ص ٢١٣ .
(٢) سلا : مدينة بأقصى المغرب . معجم البلدان ٣/١٠٩ .

وفى هذه السنة وَقَعَتْ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ بِلَادِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّ فَخْرَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرِو الرَّاذِيَّ [٣٢٠/٩] أَسَاطَذَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي زَمَانِهِ وَقَدْ إِلَى الْمَلِكِ غِيَاثِ الدِّينِ الْغُورِيِّ صَاحِبِ غَزَنَةَ ، فَأَكْرَمَهُ وَبَنَى لَهُ مَدْرَسَةً بِهَرَاةَ ، وَكَانَ أَكْثَرُ الْغُورِيَّةِ كَرَامِيَّةً ؛ فَأَبْغَضُوا الرَّاذِيَّ وَأَحْبَبُوا إِبْعَادَهُ عَنِ الْمُلْكِ ، فَجَمَعُوا لَهُ جَمَاعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ وَالْكَرَامِيَّةِ ، وَخَلَقُوا مِنَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَحَضَرَ ابْنُ الْقُدَوَةِ وَكَانَ شَيْخًا مُعَظَّمًا فِي النَّاسِ ، وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ ابْنِ كَرَامٍ ، وَابْنِ الْهَيْصَمِ ، فَتَنَازَرُ هُوَ وَالرَّاذِيُّ ، وَخَرَجَا مِنَ الْمُنَازَرَةِ إِلَى السَّبِّ وَالشَّتْمِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، وَقَامَ وَاعِظٌ فَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا لَا نَقُولُ إِلَّا مَا صَحَّ عِنْدَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَمَّا عِلْمُ أَرِسْطَاطَا لَيْسَ وَكُفَرِيَّاتُ ابْنِ سِينَا ، وَفَلَسَفَةُ الْفَارَابِيِّ ، فَلَا نَعْلَمُهَا ، وَلَأَيُّ حَالٍ يُشْتَمُ بِالْأَمْسِ شَيْخٌ مِنْ شُيُوخِ الْإِسْلَامِ يَذُبُّ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ . قَالَ : فَبَكَى النَّاسُ وَضَجُّوا ، وَبَكَتِ الْكَرَامِيَّةُ وَاسْتَغَاثُوا ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ خَوَاصِّ النَّاسِ ، وَأَنْهَوْا إِلَى الْمَلِكِ صُورَةَ مَا وَقَعَ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ الرَّاذِيَّ مِنْ بِلَادِهِ ، وَعَادَ إِلَى هَرَاةَ ؛ فَلِهَذَا أُشْرِبَ قَلْبُ الرَّاذِيَّ بُغْضَ الْكَرَامِيَّةِ ، وَصَارَ يَلْهَجُ بِهِمْ فِي كَلَامِهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، وَكَلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا .

وفى هذه السنة وَقَعَ الرِّضَا عَنْ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوَازِيِّ شَيْخِ الْوَعَاظِ فِي زَمَانِهِ وَبَعْدَهُ ، وَقَدْ كَانَ أَخْرَجَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى وَاسِطٍ ، فَأَقَامَ بِهَا خَمْسَ سِنِينَ ، فَانْتَفَعَ بِهِ أَهْلُهَا وَاشْتَغَلُوا عَلَيْهِ وَاسْتَفَادُوا مِنْهُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَغْدَادَ خَلَعَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ عَلَى عَادَتِهِ عِنْدَ الثَّرَوَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِقَبْرِ مَعْرُوفِ الْكَزْخِيَّ ، فَكَثُرَ الْجَمْعُ جَدًّا ، وَحَضَرَ الْخَلِيفَةُ ، وَأَخَذَ فِي الْعِتَابِ ، وَأَنْشَدَ يَوْمَئِذٍ فِيمَا يُخَاطَبُ بِهِ الْخَلِيفَةُ :

لَا تُعْطِشِ الرُّوْضَ الَّذِي نَبَتْهُ بِصَوْبٍ إِنْعَامِكَ قَدْ رُوِّضَا

لا تَبْرِ عُوْدًا أَنْتَ قَدْ رِشْتَهُ حَاشَا لِبَانِي الْمَجْدِ أَنْ يَنْقُضَا
 إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ «لَمْ آتِهِ» فَاسْتَأْنَفِ الْعَفْوَ وَهَبْ لِي الرِّضَا
 قَدْ كُنْتُ أَرْجُوكَ لِنَيْلِ الْمُنَى فَالْيَوْمَ لَا أَطْلُبُ إِلَّا الرِّضَا
 وَمَا أَنْشَدَهُ يَوْمَئِذٍ^(١) :

شَقِينَا بِالنَّوَى زَمَنًا فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا كَأَنَّا مَا شَقِينَا
 سَخِطْنَا عِنْدَ مَا جَنَّتِ اللَّيَالِي وَمَا زَالَتْ بَنَا حَتَّى رَضِينَا
 وَمَنْ لَمْ يَخَى بَعْدَ الْمَوْتِ يَوْمًا فَإِنَّا بَعْدَ مَا مِثْنَا حَيِينَا

وفى هذه السنة استدعى الخليفة الناصر قاضى الموصل ضياء الدين بن الشهرزورى ، فولاه قضاء قضاء بغداد . وفى هذه السنة وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغنى المقدسى ؛ وذلك أنه كان يتكلم فى مقصورة الخنابلة بالجامع الأموى ، فذكر يوماً شيئاً من العقائد ، فاجتمع القاضى محبى الدين بن الزكى وضياء الدين الخطيب الدولعى بالسلطان المعظم ، والأمير صارم الدين بُزْغَشْ ، فغفد له مجلس فيما يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والتزول والحرف والصوت ، فوافق النجم الحنبلى بقیة الفقهاء ، واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه ، واجتمع بقیة الفقهاء عليه ، وألزموه بالزامات شيعية لم يلتزمها ، حتى قال له الأمير بُزْغَشْ : كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق ؟! قال : نعم . فغضب [٣٢٠/٩ ط] الأمير عند ذلك ، وأمر بتفقيه من البلد ، فاستنظره ثلاثة أيام ، فأنظره ، وأرسل بُزْغَشْ الأسارى من القلعة ،

(١ - ١) فى الأصل، ص: «بحرته»، و م: «قد جنيته». والمثبت من ذيل الروضتين ص ١٥.

(٢) ذيل الروضتين ص ١٥.

فكسروا منبرَ الحافظ^(١)، وتعلّلت صلاةَ الظهرِ يومئذٍ في محرابِ الحنابلةِ، وأُخْرِجَت الخزائنُ والصناديقُ التي كانت هناك، وجرت خبطةٌ شديدةٌ، نعوذُ باللهِ مِنَ الْفِتَنِ، ما ظهرَ منها وما بطنَ، وكان عقدُ المجلسِ يومَ الاثنينِ الرابعِ والعشرينِ مِن ذِي الْحِجَّةِ، فازتَحَلَ الحافظُ عبدُ الغنّى إلى بَغْلَبَكَّ، ثم سارَ إلى الديارِ المصريةِ، فأَوَاهَ المحدثونَ، فحنُّوا عليه وأكرموه.

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الأميرُ مجاهدُ الدينِ قايمازُ الرُّومى^(٢)، نائبُ الموصلِ، والمُسْتولى على مملكتها أيامَ ابنِ أستاذه نورِ الدينِ أرسلانَ، وكان عاقلاً ذكياً فقيهاً حنفيّاً، وقيل : شافعيّاً. يحفظُ شيئاً كثيراً مِنَ التواريخِ والحكاياتِ، وقد ابتنى عدَّةَ جوامعَ ومدارسَ ورُبُطٍ وخاناتٍ، وله صدقاتٌ كثيرةٌ دارَّةٌ. قال ابنُ الأثيرِ^(٣) : وقد كان مِن محاسنِ الدنيا .

أبو الحسنِ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ العباسيِّ الهاشميِّ^(٤)، قاضى القضاةِ ببغدادَ، بعدَ ابنِ النجاريِّ، كان شافعيّاً، تفقّه على أبى الحسنِ بنِ الخَلِّ وغيره، وقد ولى القضاءَ والخطابةَ بمكةَ، وأصله منها، ولكن ارتحلَ إلى بغدادَ، فنال منها ما نال مِنَ الدنيا، وآل به الأمرُ إلى ما آلَ، ثم إنَّه عُزِلَ

(١) فى م : « الحنابلة » .

(٢) الكامل ١٢/١٥٣، وذيل الروضتين ص ١٤، ضمن وفيات سنة أربع وتسعين وخمسمائة، ووفيات الأعيان ٨٢/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٣٠/٢١ دون ترجمة، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ١٩٤.

(٣) الكامل ١٢/١٥٤.

(٤) ذيل الروضتين ص ١٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٢٠٠، والعقد الثمين ٤٣٧/١.

عن القضاء بسببٍ مخضّرٍ رُقم خطُّه عليه ، وكان ، فيما قيل ، مُزوَّراً عليه . فالله أعلم ، فجلس في منزله حتى مات .

الشيخ جمال الدين أبو القاسم يحيى بن علي بن الفضل بن بركة بن فضلان^(١) ، شيخ الشافعية ببغداد ، تفقّه أولاً على سعيد بن محمد الرزاز^(٢) مدرس النظامية ، ثم ارتحل إلى خراسان فأخذ عن الشيخ محمد الزبيدي تلميذ الغزالي ، وعاد إلى بغداد وقد اقتبس علم المناظرة والأصليين ، وساد أهل بغداد ، وانتفع به الطلبة والفقهاء ، وُنيت له مدرسة فدرّس بها وبعد صيته ، وكثرت تلاميذه ، وكان كثير التلاوة وإسماع الحديث ، وكان شيخاً حسناً لطيفاً ظريفاً ، ومن شعره^(٣) :

وإذا أردت منازل الأشراف فعليك بالإسعاف والإنصاف
وإذا بغا باغ عليك فخله والدهر فهو له مكاف كاف

(١) ذيل الروضتين ص ١٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢٥٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ هـ - ٦٠٠ هـ) ص ٢١١ ، وطبقات الشافعية للسيكي ٧/٣٢٢ ، ومراة الجنان ٣/٤٧٩ .
(٢) في الأصل : «الزار» ، وفي م : «الزار» .
(٣) ذيل الروضتين ص ١٥ .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

اشتَهَلَتْ هذه السَّنَةُ^(١) والملكُ الأفضلُ، بالجيشِ المصريِّ، مُحاصِرَ لَعْمَهُ العادلِ بدمشقَ، وقد قطعَ عنها الأنهارَ والميَرةَ، فلا خبزَ ولا ماءَ إلا قليلاً، وقد تَطَاوَلَ الحَالُ، وقد خَنَدُوا مِنْ أَرْضِ اللُّوَانِ إِلَى يَلْدَا^(٢) خَنَدَقًا؛ لَعَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِمْ جيشُ دمشقَ، وجاء فصلُ الشتاءِ وكَثُرَتِ الأمطارُ والأوحالُ، فلما دَخَلَ شَهْرُ صَفِيرٍ، قَدِمَ الملكُ الكاملُ مُحَمَّدُ بْنُ العادلِ على أبيه بخلقٍ مِنَ الثُّرَكَمَانِ، وعساكرٍ مِنَ بِلَادِ الجزيرةِ والرَّهَا وَحَرَانَ، فعندَ ذلك انصَرَفَتِ العساكرُ المِصرِيَّةُ، وتفرَّقُوا أَيَادِي سَبَا، فرجعَ الظَّاهِرُ إِلَى المملِكةِ الحَلِيبِيَّةِ، والأسدُ إِلَى حمصَ، والأفضلُ إِلَى الديارِ المِصرِيَّةِ، وسَلِمَ العادلُ مِنْ كَيْدِ الأَعَادِي، بعدما كان قد عَزَمَ على تسليمِ البلدِ واستسلمَ، ولكنَّ اللَّهَ سَلَّمَ. وسارَتِ الأُمراءُ الناصِرِيَّةُ خَلْفَ الأفضلِ لِيَمْنَعُوهُ مِنَ الدَّخُولِ [٣٢١/٩] إِلَى القَاهِرَةِ، وكَاتَبُوا العادلَ أَنْ يُسْرِعَ السَّيْرَ إِلَيْهِمُ وَالْقُدُومَ عَلَيْهِمُ، فَهَضَّ إِلَيْهِمْ سَرِيعًا سَامِعًا لِمَشُورَتِهِمْ مَطِيعًا، فَتَحَصَّنَ الأفضلُ بِالْقَلْعَةِ مِنَ الْجَبَلِ، وَقَدْ اعْتَرَاهُ الضُّعْفُ وَالْفَشْلُ، وَنَزَلَ العادلُ عَلَى الْبِرْكََةِ^(٣) وَاسْتَبَدَّ بِمَلِكِ مِصْرَ آمَنًا مِنَ الشَّرِكََةِ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ الْأَفْضَلُ خَاضِعًا

(١) الكامل ١٢/١٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٢٦.

(٢) في م: «اللد». ويلد: قرية من دمشق على ثلاثة أميال منها، وإليها ينسب غير واحد من الرواة. معجم البلدان ٤/١٠٢٥.

(٣) أى بركة الحجاج، وعرفت قديمًا باسم حُبْ عُقْمِرة، وسميت ببركة من أجل نزول حجاج البر بها، وهى محلَّة اليوم من قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية. الخطط المقرزية ٢/٥٨٣.

ذليلاً بعدما كان مهيباً جليلاً ، فأقطعه بلاداً من الجزيرة ، ونفاه عن الشام لشوء السيرة ، ودخل العادل إلى دار السلطان بالقاهرة ، وأعاد القضاء إلى صدر الدين عبد الملك بن دزباسب الماراني الكُردي ، وأبقى الخطبة والسكة باسم ابن أخيه المنصور ، ولكن هو المستقل بالأمور ، واستوزر صاحب صفى الدين بن شكر لصرامته وشهامته ، وسيادته وديانته ، وكتب العادل إلى ولده الكامل يشدعيه من بلاد الجزيرة ؛ ليملكه على الديار المصرية ويسترعيه ، فقدم عليه فأكرمه واحترمه وعانقه والتزمه ، وأحضر الملك الفقهاء واستفتاهم فى صحة ملكة ابن أخيه المنصور بن العزيز ، وأنه صغير ابن عشر سنين ، فأفتوا بأن ولايته لا تصح ؛ لأنه متولّى عليه ، فعند ذلك طلب الأمراء ودعاهم إلى مبايعته فامتنعوا ، فأرغبتهم وأرهبهم ، وقال فيما قال : قد سمعتم ما أفتى به العلماء والأئمة والفقهاء ، وقد علمتم أن ثغور المسلمين لا يحفظها الأطفال الصغار ، وإنما يحرسها الملوك الكبار . فأذعنوا عند ذلك وبايعوه ، ثم من بعده لولده الكامل ، فخطب الخطباء بذلك بعد الخليفة لهما ، فضربت السكة باسميهما ، واستقرت دمشق باسم المعظم عيسى بن العادل ، ومصر باسم الكامل .

وفى سؤال رجع إلى دمشق الأمير فلك^(١) الدين أبو منصور سليمان بن شروة^(٢) بن خلدك ، وهو أخو الملك العادل لأمه ، وهو واقف الفلكية داخل باب الفراديس ، وبها قبره ، فأقام بها محترماً معظماً إلى أن توفى فى هذه السنة .
وفىها وفى التى بعدها كان بديار مصر غلاء شديد ، فهلك بسببه الغنى

(١) فى م : « ملك » .

(٢) فى م : « مسرور » ، وفى ذيل الروضتين ص ٣٣ « سليمان بن شبرويه بن جندر » ، وفى تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٠ : « سليمان بن شروة بن خلدك » .

والفقير، وهرب الناس منها نحو الشام فلم يصل إليها إلا القليل، وتخطفهم
الفرنج من الطرقات وغرّوهم من أنفسهم واغتالوهم بالقليل من الأقوات، وأما
بلاد العراق فإنه كان مُرخصاً. قال ابن الساعي^(١): وفي هذه السنة باض ديك
بيغداد، فسألت جماعة عن ذلك فأخبروني به.

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

السلطان علاء الدين خوارزمشاه تكش بن ألب أرسلان بن أتمسز، من
ولد طاهر بن الحسين^(٢)، وهو صاحب خوارزم وبعض خراسان والري وغير
ذلك من الأقاليم المتسعة، وهو الذي قطع دولة السلاجقة، كان عادلاً حسن
السيرة، وله معرفة جيدة بالموسيقى، حسن المعاشرة، فقيهاً على مذهب أبي
حنيفة، ويعرف الأصول، وبنى للحنفية مدرسة عظيمة، ودفن بثربة بناها
بخوارزم، وقام في الملك من بعده ولده علاء الدين محمد، وكان يلقب بقطب
الدين. وفيها قتل وزير السلطان خوارزمشاه.

نظام الدين [٣٢١/٩ ظ] مسعود بن علي^(٣)، وكان حسن السيرة، شافعي
المذهب، له مدرسة عظيمة بخوارزم، وجامع هائل، وبنى بمرو جامعاً عظيماً

(١) تاريخ ابن الساعي ٢١/٩. وقد ذكره ضمن أحداث سنة ٥٩٥ هـ.
(٢) الكامل ١٥٦/١٢، وذيل الروضتين ١٧، ومرة الزمان ٤٧١/٢/٨، وسير أعلام النبلاء ٣٣٠/٢١،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠) ص ٢٣٣.
(٣) الكامل ١٥٨/١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٢٧١. وطبقات
الشافعية للسبكي ٢٩٦/٧. ويعرف في مصادر ترجمته بـ «نظام الملك»؛ لا بـ «نظام الدين». وقال في
طبقات الشافعية: وقد اشترك نظام الملك هذا ونظام الملك المتقدم ذكره - أي الحسن بن علي بن إسحاق
ابن العباس الطوسي - الذي هو سيد الوزراء، اشتركا في اللقب والوزارة والتعصب للشافعية وبناء
المدارس وأنها قتلها الملاحدة.

لِلشَّافِعِيَّةِ ، فَحَسَدَهُمُ الْخَنَابِلَةُ^(١) ، وَشَيَّخَهُم بِهَا يُقَالُ لَهُ : شَيْخُ الْإِسْلَامِ . فَيُقَالُ :
إِنَّهُمْ أَخْرَقُوهُ . وَهَذَا إِنَّمَا يَصْدُرُ مِنْ قَلَّةٍ الدِّينِ وَالْعَقْلِ واحْتِرَامِ مَعَابِدِ الْإِسْلَامِ ،
فَأَغْرَمَهُمُ السُّلْطَانُ خُورَزْمِشَاهَ مَا غَرِمَ الْوَزِيرُ عَلَى بَنَائِهِ .

وَفِيهَا تُوفِّي الشَّيْخُ الْمُسْنِدُ الْمُعَمَّرُ رُحْلَةُ الْوَقْتِ ؛ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ
عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ صَدَقَةَ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ كَلِيبٍ^(٢) الْحَرَّانِيُّ الْأَصْلِي ، الْبَغْدَادِيُّ الْمَوْلِدِ
وَالدَّارِ وَالْوَفَاةِ ، عَنْ سِتٍّ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَأَسْمَعَ ، وَتَفَرَّدَ بِالرِّوَايَةِ عَنْ
جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَشَايِخِ ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الثُّجَّارِ وَذَوِي الثَّرْوَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الْفَقِيهُ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ طَاهِرُ بْنُ نَصْرِ اللَّهِ بْنِ جَهْبَلٍ^(٣) ، مُدَرِّسُ
الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، أَوَّلُ مَنْ دَرَسَ بِالصَّلَاحِيَّةِ ، وَهُوَ وَالِدُ الْفُقَهَاءِ ؛ بَنَى جَهْبَلُ
الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَدْرَسَةِ الْجَارُوحِيَّةِ ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى الْعِمَادِيَّةِ وَالْأَبَوِيَّةِ^(٤) فِي أَيَّامِنَا
هَذِهِ ، ثُمَّ مَاتُوا وَلَمْ يَنْقُ إِلَّا شَرْحُهُمْ .

الْأَمِيرُ صَارِمُ الدِّينِ^(٥) قَائِمَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّجْمِيُّ^(٦) ، مِنْ أَكْبَارِ الدَّوْلَةِ

(١) كَذَا بِالنَّسْخِ ، وَهُوَ خَطَأٌ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمَرْوِ خَنَابِلَةٍ ، لَكِنْ ابْنُ كَثِيرٍ قَدْ وَافَقَ فِي هَذَا ابْنَ الْأَثِيرِ . وَالصَّوَابُ
أَنَّهُمُ الْخَنَفِيَّةُ لَا الْخَنَابِلَةُ . وَانْظُرْ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ ، وَطَبِيقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ ؛ الْمَوْضِعَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ عِنْدَ تَرْجُمَتِهِ أَنْفَا .

(٢) الْكَامِلُ ١٢/١٥٩ ، وَذِيلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ١٨ ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ٣/٢٢٧ . وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢١/
٢٥٨ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٢٥٤ ، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٦/١٥٩ .

(٣) فِي م ، ص : « جَمِيلٌ » . وَكَذَا وَرَدَ فِي مَرَأَةِ الْجَنَانِ . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : تَارِيخِ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ
وَوَفَايَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٢٤٣ ، وَالْعَبَرُ ٤/٢٩٢ ، وَمَرَأَةُ الْجَنَانِ ٣/٤٨٥ .

(٤) الدِّمَاغِيَّةُ نِسْبَةً إِلَى شَجَاعِ الدِّينِ ابْنِ الدِّمَاغِ ، وَقَدْ أَنْشَأَهَا زَوْجَتُهُ مُنْتَصِفَةً بَيْنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْخَنَفِيَّةِ فِي
سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَمِئَاءَةَ . الدَّرَاسُ فِي تَارِيخِ الْمَدَارِسِ ١/٢٣٦ .

(٥) كَذَا بِالنَّسْخِ ، وَلَمْ أَجِدْ هَذَا اللَّقْبَ إِلَّا فِي مَرَأَةِ الزَّمَانِ ٨/٤٧٤ ، وَمَصَادِرُ تَرْجُمَتِهِ عَلَى أَنَّهُ
مُجَاهِدُ الدِّينِ .

(٦) الْكَامِلُ ٢/١٥٣ ، وَذِيلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ١٤ ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ٤/٨٢ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ
وَوَفَايَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ١٩٤ ، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٦/١٤٤ .

الصِّلَاحِيَّةِ ، كان عندَ الملكِ صلاحِ الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ أَسْتَاذٍ^(١) وهو الذى تسَلَّمَ القَصْرَ حينَ ماتَ العاضِدُ ، فَحَصَلَ لَهُ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ جَدًّا ، وكان كثيرَ الصَّدَقَاتِ والأَوْقَافِ ، تصدَّقَ فى يومٍ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ عَيْنًا ، وهو واقِفُ المَدْرَسَةِ القِيمَازِيَّةِ ، شَرْقِيَّ القَلْعَةِ المنصُورَةِ ، وقد كانت دارُ الحديثِ الأَشْرَفِيَّةِ دارًا لهذا الأميرِ ، وله بها حَمَّامٌ ، فاشتَرى ذلك الملكُ الأَشْرَفُ ، فيما بعدُ ، موسى بنَ العادلِ وبنَّاهَا دارَ حديثٍ ، وأخَرَبَ الحَمَّامَ وبنَّاه مَسْكَنًا للشَّيخِ المُدْرِيسِ بها . ولما تُوفِّى ودُفِنَ فى قَبْرِه ، نُبِشَتْ دُورُهُ وَحَوَاصِلُهُ ، وكانَ مَتَّهَمًا بِمَالٍ جَزِيلٍ ، فكان مُتَحَصِّلُ ما جُمِعَ مِنْ ذلكِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وكانَ يُظَنُّ أَنَّ عِنْدَهُ أَكْثَرَ مِنْ ذلكِ ، ولكن كان يَدْفِنُ أَمْوالَهُ فى الخَرَابِ مِنْ أَرْضِي ضِياعِهِ وقَرَاياه . فسامَحَه اللهُ وبَلَّ بالرحمةِ ثراه .

الأميرُ الكبيرُ لَوْلُو^(٢) أَحَدُ الحُجَّابِ بالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، كان مِنْ أَكْبارِ الأُمراءِ فى الدَّولَةِ الصِّلَاحِيَّةِ ، وهو الذى كانَ يَتَسَلَّمُ الأَسْطُولَ بِالْبَحْرِ فيكونُ كالشُّجَا فى حُلُوقِ الفِرْنَجِ والنَّحْرِ فى النَّحْرِ ، فَكَمَ مِنْ شُجَاعٍ قد أَسَرَ ، وَكَمَ مِنْ مَرْكَبٍ قد

(١) فى ص : « الأستاذ دار » . وفى م : « الأستاذ » . وصواب ذلك كله : « الإستاذ » . قال فى صبح الأعشى ٤٥٧/٥ : « الإستاذ بكسر الهمزة وهو لقب على الذى يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ، وتمثل أوامره فيه ، وهو مركب من لفظتين فارسيتين ؛ إحداهما إستد ، ومعناها الأخذ . والثانية دار ومعناها المسك . فأدغمت الذال الأولى وهى المعجمة فى الثانية وهى المهمله فصار إستاذ ... والمتشدقون من الكتاب يضمون الهمزة فى أوله ويلحقون فيه ألفًا بعد التاء فيقولون : « أستاذ » . وربما قالوا : « أستاذ الدار » . ظنا منهم أن المراد حقيقة الدار فى اللفظ العربى ، وأن أستاذ بمعنى السيد أو الكبير ... وهو خطأ صريح لما تقدم بيانه » . فتبين مما سبق خطأ ذلك كله بما فى ذلك ما أثبتناه من الأصل ، وإنما أثبتناه احترامًا للنسخ .

(٢) مرآة الزمان ٢/٨/٤٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣٨٤/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٦٣ ، والعبر ٣٠٤/٤ ، وشذرات الذهب ٣٣٦/٤ .

كَسَرَ، وَكَم مِنْ أَسْطُولٍ لَهُمْ قَدْ فَرَّقَ شَمْلَهُ، وَمِنْ بَطُوسٍ وَقَارِبٍ قَدْ غَرَّقَ أَهْلَهُ،
وَقَدْ كَانَ مَعَ كَثْرَةِ جِهَادِهِ دَارَ الصَّدَقَاتِ، كَثِيرَ التَّفَقَّاتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَكَانَ بَدْيَارٍ
مِصْرَ غَلَاءً شَدِيدًا فَتَصَدَّقَ بِاِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَغِيفٍ، لِاِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ فَقِيرٍ، فَجَزَاهُ
اللَّهُ خَيْرًا وَرَحْمَةً فِي قَبْرِهِ، وَيَبِضُّ وَجْهَهُ يَوْمَ مُحْشَرِهِ وَمُنْشَرِهِ، آمِينَ.

الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَقِيهُ الْعَلَّامَةُ شَهَابُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ^(١) أَحَدُ مُشَايِخِ الشَّافِعِيَّةِ
بَدْيَارٍ مِصْرَ، وَشَيْخُ الْمَدْرَسَةِ الْمَنْشُوبَةِ إِلَى تَقِيٍّ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ،
الَّتِي يُقَالُ لَهَا: مَنْزِلُ الْعِزِّ. وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى تَلْمِيزِ الْغَزَّالِيِّ،
كَانَ لَهُ قَدْرٌ وَمَنْزِلَةٌ عِنْدَ مُلُوكِ مِصْرَ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِلَى
أَنْ تُوفِّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فَازْدَحَمَ النَّاسُ فِي جِنَازَتِهِ، وَتَأَسَّفُوا عَلَيْهِ.

الشَّيْخُ ظَهِيرُ الدِّينِ عَبْدِ السَّلَامِ الْفَارِسِيُّ^(٢) شَيْخُ [٣٢٢/٩] الشَّافِعِيَّةِ
بَحْلَبَ، أَخَذَ الْفَقْهَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى تَلْمِيزِ الْغَزَّالِيِّ، وَتَلَمَّذَ لِلْفَخْرِ الرَّازِيِّ،
وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ فَعَرَّضَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْرُسَ بَتَرْتِيبَةِ الشَّافِعِيِّ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَسَارَ إِلَى حَلَبَ،
فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ.

الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ بَدْرُ الدِّينِ بْنِ عَسْكَرٍ^(٣) رَئِيسُ الْحَنْفِيَّةِ بِدِمَشْقَ، قَالَ
أَبُو شَامَةَ^(٤): وَيَعْرِفُ بَابِنِ الْعَقَّادَةِ^(٥).

(١) مرآة الزمان ٤٧٥/٨، والروضتين ٢٤٠/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٨٧/٢١، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٢٦٧، والوفاء بالوفيات ٩/٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٦/
٣٩٦، والنجوم الزاهرة ١٥٩/٦.

(٢) الوفاء بالوفيات ٤٣٥/١٨، وطبقات الشافعية للسبكي ١٧٠/٧، وطبقات الإسنى ٢٨٤/٢.

(٣) ذيل الروضتين ص ١٧. وفيه: «بدر الدين عسكر».

(٤) ذيل الروضتين ص ١٧.

(٥) كذا بالنسخ وفي ذيل الروضتين ص ١٧: «العفارة».

الشَّاعِرُ المَاهِرُ الهُمَامُ العَبْدِيُّ ، وهو أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ رَبِيعَةَ^(١) وهو بَغْدَادِيٌّ ، قَدِمَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَمَعَهُ دِيْوَانُ شَعْرِ لَهُ ، فِيهِ دُرَرٌ حِسَانٌ وَفَرَائِدُ وَعَقَائِدُ وَعِقْيَانُ ، وَقَدْ تَصَدَّى لِمَدْحِ الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ صَاحِبِ بَغْلَبَكْ وَمَنْ قَبْلَهُ وَهُوَ^(٢) :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَامِلُ الْحِظِّ نَاقِصٌ وَآخِرُ مِنْهُمْ نَاقِصُ الْحِظِّ كَامِلٌ
وَأِنِّي لَمُثْرٍ مِنْ حَيَاءٍ وَعِفَّةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي مِنَ الْمَالِ طَائِلٌ
وَفِيهَا تُوفَّى :

القَاضِي الْفَاضِلُ ، الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ شَيْخُ الْفُصَحَاءِ وَالْبُلَغَاءِ . أَبُو عَلِيٍّ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْقَاضِي الْأَشْرَفِ أَبِي الْمَجْدِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْبَيْهَقَانِيِّ^(٣) الْمُؤَلَّى الْأَجَلُ ، الْقَاضِي الْفَاضِلُ ، كَانَ أَبُوهُ قَاضِيًا بَعَثَقْلَانَ ، فَأُرْسِلَ وَلَدُهُ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَاسْتَغْلَ بِهَا بَكْتَابَةَ الْإِنْشَاءِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ قَادُوسٍ وَغَيْرِهِ ، فَسَادَ أَهْلُ الْبِلَادِ حَتَّى بَغْدَادَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي زَمَانِهِ نَظِيرٌ ، وَلَا عَدِيدٌ وَلَا فِيمَا بَعْدَهُ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا مِمَّا ثَلَّ وَلَا مَنَاطَرٌ وَلَا نَدِيدٌ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ صَلَاحُ الدِّينِ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ جَعَلَهُ كَاتِبَهُ وَصَاحِبَهُ وَوَزِيرَهُ وَجَلِيسَهُ وَأُنَيْسَهُ ، وَكَانَ أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَأَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيفِهِ وَتِلَادِهِ ، وَتَسَاعَدَا حَتَّى فَتَحَ الْأَقَالِيمَ وَالْبُلْدَانَ وَالْحَصُونِ وَالْمَعَاقِلَ ، هَذَا بِحُسَامِهِ وَسِتَانِهِ ، وَهَذَا بِقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ وَبَيَانِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ مَعَ كَثْرَةِ أَمْوَالِهِ وَوَجَاهَتِهِ وَرِيَاسَتِهِ كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ

(١) مرآة الزمان ٤٧٣/٢/٨.

(٢) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ٣٥/١ ، والروضتين ٢/٢٤١ ، ووفيات الأعيان ٣/١٥٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣٨/٢١ ، ونهاية الأرب ٥١/١/٨.

وَالصَّلَاتِ وَالصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ ، وَكَانَ يُوَاطِبُ كُلَّ يَوْمٍ وَلِيلَةٍ عَلَى خُتْمَةٍ كَامِلَةٍ ، مَعَ مَا يَزِيدُ عَلَيْهَا مِنْ نَافِلَةٍ ، رَحِيمَ الْقَلْبِ ، حَسَنَ السَّيْرِ ، طَاهِرَ الْقَلْبِ وَالسَّرِيرَةِ لَهُ مَدْرَسَةٌ بِدِيَارِ مِصْرَ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ ، وَأَوْقَافٌ عَلَى تَخْلِيصِ الْأَسَارَى مِنْ أَيْدِي النَّصَارَى ، وَقَدْ أَقْتَنَى مِنَ الْكُتُبِ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ أَلْفِ كِتَابٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَلَا الْعُلَمَاءِ وَلَا الْمُلُوكِ وَلَا الْكُتَّابِ ، كَانَ مَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمٍ دَخَلَ الْعَادِلُ إِلَى قَصْرِ مِصْرَ بِمَدْرَسَتِهِ فَجَاءَهُ ، يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ سَادِسَ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَاخْتَفَلَ النَّاسُ بِجِنَازَتِهِ ، وَزَارَ قَبْرَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي الْمَلِكُ الْعَادِلُ ، وَتَأَسَّفَ عَلَيْهِ ، وَيُقَالُ ^(١) : إِنَّهُ اسْتَوَزَرَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ صَفِيَّ الدِّينِ بَنَ شُكْرِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْفَاضِلُ بِذَلِكَ دَعَا اللَّهَ أَنْ لَا يُحْيِيَهُ إِلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، لَمَّا يَفْنِيهِمَا مِنَ الْمُنَافَسَةِ ، فَمَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَلَمْ يَنْتَلِ أَحَدٌ بِضَمٍّ وَلَا أَذَى ، وَلَا رَأَى فِي الدَّوْلَةِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَقَدْ رثَاهُ الشُّعْرَاءُ بِأَشْعَارٍ حَسَنَةٍ ، مِنْهَا قَوْلُ الْقَاضِي هَبَّةِ اللَّهِ بْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ ^(٢) :

عَبْدُ الرَّحِيمِ عَلَى الْبَرِّيَّةِ رَحْمَةً	أَمِنْتُ بِضُحِّيَّتِهَا حُلُولَ عِقَابِهَا
يَا سَائِلًا عَنْهُ وَعَنْ أَسْبَابِهِ	نَالَ السَّمَاءَ فَسَلَّهُ عَنْ أَسْبَابِهَا
^(٣) وَالذَّهْرُ يَعْلَمُ أَنَّ فَيَصِلَ خُطْبُهُ	بِخُطَا يِرَاعَتِهِ وَفَصَلِ خُطَابِهَا
وَلَقَدْ عَلَتْ رَتْبُ الْأَجَلِّ عَلَى الْوَرَى	بِسَمَوِّ مَنْصِبِهَا وَطِيبِ نَصَابِهَا ^(٣)
وَأَثْنُهُ خَاطِبَةٌ إِلَيْهِ وَزَارَةٌ	وَلَطَالَمَا أُغِيثَتْ عَلَى خُطَابِهَا

(١) مرآة الزمان ٤٧٢/٢/٨ ، وسير أعلام النبلاء ٣٤١/٢١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٥٦/١ ، وفي الروضتين ٢٤٣/٢ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

^(١) ما لَقَّبُوهُ بها لأنَّ يعلُّو بها أسماؤه أغنَّته عن ألقابها
 قال الزمانُ لغيره إذ رامها تَرَبَّتْ يمينُكَ لستَ من أترابها
^(٢) اذْهَبْ طريقَكَ لستَ من أربابها وارْجِعْ وراءَكَ لستَ من أصحابها^(٢)
 وبعزُّ سيدنا وسيِّد غيرنا^(٣) ذلَّتْ من الأيامِ شمسُ صعبائها^(١)
 وأتتْ سعادته إلى أبوابه لا كالذي يسعَى إلى أبوابها
 تغتو الملوكُ لوجهه بوجوهها لا بلْ تُساقُ لبابه برقابها
 شُغِلَ الملوكُ بما يزولُ ونفسه مشغولةٌ بالذِّكرِ في مخربها
 فى الصُّومِ والصَّلواتِ أتعبَ نفسه وضمانُ راحته على إلتعابها
 وتعجَّلَ الإقلاعَ عن لذاته ثِقَّةٌ بحسَنِ مآلِها ومآبها
 فلْتَفَخَّرِ الدُّنيا بسائِسِ مُلكِها منه ودارِسِ عِلْمِها وكتابها
 صَوَامِها قَوَامِها عَلامِها عَمَالِها بَذَالِها وهَابِها

والعجبُ أنَّ القاضىَ الفاضلَ مع براعته وفصاحته التى لا تُدَانى ولا تُجَارى لا
 يُعرفُ له قصيدةٌ طويلةٌ طنانةٌ، بل له ما بينَ بيتٍ وبيتينِ فى أثناءِ الرسائلِ وغيرها
 شيءٌ كثيرٌ جدًّا، فَمِنْ ذلك قولُه^(٤) :

سَبَقْتُكُمْ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ تَكْرُمًا وما مثْلُكُمْ فِيمَنْ تَحَدَّثَ أَوْ حَكَى
 وقد كَانَ ظَنُّى أَنْ أَسَابِقَكُمْ بِهِ ولكنْ بَكَتْ قَبْلَى فَهَيَّجَ لى الْبَكَاءِ
 ومن ذلك قولُه^(٥) :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) فى النسخ، والديوان : « وسيد عزنا » ، وفى نسخة من نسخ الديوان كما ورد هنا .

(٤) الروضتين ٢ / ٢٤٤ .

(٥) تاريخ ابن الساعى ٢٨ / ٩ .

ولى صاحب ما خِفْتُ من جورِ حادثٍ من الدَّهرِ إلَّا كانَ لى مِن ورائيَه
إذا عَضَّنِي صَرَفُ الزمانِ فَإِنِّي براياتِه أَشْطُو عليه ورائيَه
وله فى بَدْؤِ أمرِه ^(١) :

أَرَى الكُتَّابَ كُلَّهُم جَمِيعًا بأُزْراقٍ تُعْثِمُهم سَينَا
وَمَالِي بَيْنَهُم رِزْقُ كائِي خُلِقْتُ مِنَ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ
وله فى النَّحْلَةِ وَالزَّلْقَةِ ^(٢) :

وَمُعَزِّدِينَ تَجَاوَبًا فى مَجْلِسٍ فَنفَاهُما لَأَذَاهُما الْأَقْوَامُ
هَذَا يَجُودُ بَعْكُسٍ ما يَأْتِي بِهِ هَذَا فَيُحْمَدُ ذَا وَذَاكَ يُذَامُ
وله فى مَسْحَةِ الْقَلَمِ ^(٣) :

مَسْحَةُ نَهَارِها يَجُنُّ لَيْلَ الظُّلَمِ كأنها من طرفها مَنديلُ كَفِّ الْقَلَمِ ^(٣)
وقولُه ^(٤) :

بِثْنَا على حَالِ تَشْرِهُ الهوى لِكِنَّهُ لا يَمُكِنُ الشَّرْحُ
بَوَائِبنا اللَّيْلُ وَقُلْنَا لَهُ إِنْ غِيبَتْ عَنَّا هَجَمَ الصُّبْحُ

وسأله المَلِكُ العَزِيزُ عِثْمَانُ بْنُ الناصِرِ عن جاريةٍ من حِظايَها أَرْسَلْتَ إِلَيْهِ زِرًّا
من ذَهَبٍ مُغْلَفٍ بَعْتَبِيرِ أَشْوَدَ، فَأَنْشَأَ الْفَاضِلُ يَقُولُ ^(٥) :

(١) ديوانه ٥٦/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣ - ٣) سقط من : م ، والبيت فى تاريخ ابن الساعى ٢٨/٩.

(٤) وفيات الأعيان ١٦٠/٣.

(٥) المصدر السابق ١٦١/٣.

أَهْدَتْ لَكَ الْعَنْبَرَ فِي وَسْطِهِ زُرٌّ مِنْ التَّبَرِّ رَقِيقُ اللَّحَامِ
فَالزُّرُّ فِي الْعَنْبَرِ مَعْنَاهُمَا زُرٌّ هَكَذَا مُخْتَفِيًا فِي الظَّلَامِ

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ خَلَّكَانَ^(١) : وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي لِقَبِهِ ؛ فَقِيلَ : مُحْيِي الدِّينِ
وَقِيلَ : مُجِيرُ الدِّينِ . وَحُكِيَ عَنْ عُمَارَةَ الْيَمْنِيِّ أَنَّهُ ذَكَرَهُ بِذِكْرِ جَمِيلٍ ، وَأَنَّ
الْعَادِلَ بْنَ الصَّالِحِ بْنَ زُرَّيْكَ هُوَ الَّذِي اسْتَقْدَمَهُ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ
مَعْدُودًا فِي حَسَنَاتِهِ . وَقَدْ بَسَطَ ابْنُ خَلَّكَانَ تَرْجُمَتَهُ بِنَحْوِ مَا ذَكَرْنَا ، وَفِي هَذِهِ
زِيَادَةٌ كَثِيرَةٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) وفيات الأعيان ١٦٢/٣ ، ١٦٣ .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة

فيها^(١) اشتدَّ الغلاء بأرض مصر جدًّا، فهلك خلق كثير جدًّا من الفقراء والأغنياء، ثم أعقبه فناء عظيم، حتى حكى الشيخ أبو شامة في «الذيل»^(٢) أنَّ العادل كَفَّنَ مِنْ مَالِهِ فِي مَدَّةِ شَهْرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مِئَةٍ، وَأُكِلَتِ الْكِلَابُ وَالْمَيْتَاتُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِمِصْرَ، وَأُكِلَ مِنَ الصُّغَارِ وَالْأَطْفَالِ [٩/٣٢٣] خَلْقٌ كَثِيرٌ، يَشْوِيهِ وَالِدَاهُ وَيَأْكُلَانِهِ، وَكَثُرَ هَذَا فِي النَّاسِ حَتَّى صَارَ لَا يُنْكَرُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ صَارُوا يَحْتَالُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَيَأْكُلُونَ مِنْ يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَمَنْ غَلَبَ مِنْ قَوَى ضَعِيفًا ذَبَحَهُ وَأَكَلَهُ.

وكان الرجل يُضَيِّفُ صَاحِبَهُ فَإِذَا خَلَا بِهِ ذَبَحَهُ وَأَكَلَهُ، وَوُجِدَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ أَرْبَعُمِائَةٍ رَأْسٍ.

وهلك كثير من الأطباء الذين يُسْتَدْعَوْنَ إِلَى الْمَرْضَى، فَيَذْبَحُونَ وَيُؤْكَلُونَ؛ وَقَدْ اسْتَدْعَى رَجُلٌ طَبِيبًا فَخَافَ الطَّبِيبُ وَذَهَبَ مَعَهُ عَلَى وَجَلٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّقُ عَلَى مَنْ وَجَدَهُ فِي الطَّرِيقِ وَيَذْكُرُ وَيُسَبِّحُ، وَيَكْثُرُ مِنْ ذَلِكَ، فَارْتَابَ بِهِ الطَّبِيبُ وَتَخَيَّلَ، وَمَعَ هَذَا حَمَلَهُ الطَّمَعُ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ مَعَهُ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الدَّارِ إِذَا هِيَ خَرِبَةٌ فَارْتَابَ أَيْضًا، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الدَّارِ، فَقَالَ لَصَاحِبِهِ: وَمَعَ هَذَا الْبُطْءِ جِئْتَ لَنَا بِصَيِّدٍ. فَلَمَّا سَمِعَهَا الطَّبِيبُ هَرَبَ، فَخَرَجَا خَلْفَهُ سِرَاعًا فَمَا

(١) الكامل ١٢/١٧٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣١.

(٢) ذيل الروضتين ص ١٩.

خَلَصَ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ .

وفيهما وقع وباءٌ شديدٌ ببلادِ عَنزَةَ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ ، وكانوا يسكنون في عشرين قريةً ، فبادت منها ثمانى عشرة قريةً ، ولم يبقَ فيها ديارٌ ولا نافخُ نارٍ ، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قانى لها ، ولا يستطيع أحدٌ أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها ، بل كان من اقترب إلى شىءٍ من هذه القرى هلك من ساعته ، فسيحان من بيده ملكوت كل شىءٍ وإليه ترجعون ، أمّا القريتان الباقيتان فإنهما لم يمتَ منهما أحدٌ ، ولا عندهم شعورٌ بما جرى على من حولهم ، بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم أحدٌ .

واتَّفَقَ باليمنِ فى هذه السَّنةِ كائنةً غريبةً جدًّا ؛ وهى أن رجلاً يقال له : "عبدُ اللهِ" بنُ حَمَزَةَ الْعَلَوِيُّ كان قد تَغَلَّبَ على كثيرٍ من بلادِ اليمنِ ، وجمَعَ نحوًا من اثنتى عشر ألفَ فارسٍ ، ومن الرِّجَالِ جمعًا كثيرًا ، وخافه ملكُ اليمنِ الْمُعْزُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ بْنِ طُغْتِكِينَ بْنِ أُتُوبَ ، وغلبَ على ظنِّه زوالُ مُلكِهِ على يدَيِّ هذا المتغلبِ ، وأيقنَ بالهَلَكَةِ لضعفه عن مقاومته ، واختلافِ أمرائه معه فى المشورةِ ، فأرسلَ اللهُ صاعقَةً ، فنزلتْ عليهم ، فلم يبقَ منهم أحدٌ فاضطربَ الجيشُ فيما بينهم وأقبلَ المُعْزُ بعسكرِهِ فغَشِيَهُمْ فقتلَ منهم سِتَّةَ آلافٍ قتيلاً ، واستقرَّ فى مُلكِهِ آمناً .

وفيهما تكاثبَ الأخوانِ ؛ الأفضَلُ مِنَ صَرْحَدَ ، والظَّاهِرُ مِنَ حَلَبَ ، على أن يجتمعا على حصارِ دِمَشْقَ وينزعاهما مِنَ الْمُعْظَمِ بْنِ الْعَادِلِ ، وتكونَ للأفضَلِ ، ثم يسيرا إلى الديارِ المصريةِ فيأخذاها من العادِلِ وإنيهِ الكاملِ اللَّذِينَ نَقَضَا الْعَهْدَ

(١ - ١) فى تاريخ الإسلام : « عبد الرحمن » .

وأبطلا خُطْبَةَ المنصورِ بنِ العزيزِ، ونكثًا الموائيقَ، فإذا استقرَّ لهما مُلكُ مِصرَ كانتَ للأفضلِ، وتَصِيرُ دِمَشْقُ مضافةً إلى الظَّاهِرِ مع حَلَبَ، فلَمَّا بَلَغَ العادِلُ ما تَمَلَّأَ عليه، أَرْسَلَ جَيْشًا مَدَدًا لائِيهِ الْمُعْظَمِ بِدِمَشْقَ، فَوَصَلُوا قَبْلَ وَصُولِ الظَّاهِرِ وأَخِيهِ الأفضلِ، وكانَ وَصُولُهُمَا إِلَيْهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ نَاحِيَةِ بَغْلَبَكْ، فَتَزَلَّأَ بِجَيْشِهِمَا فِي مَسْجِدِ الْقَدَمِ، وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ لِلْبَلَدِ، وَتَسَلَّقَ كَثِيرٌ مِنَ الْجَيْشِ مِنْ نَاحِيَةِ خَانَ ابْنِ الْمَقْدَمِ، وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا فَتْحَ الْبَلَدِ، لَوْلَا هُجُومُ اللَّيْلِ. ثُمَّ إِنَّ الظَّاهِرَ بَدَأَ لَهُ فِيمَا كَانَ عَاهِدَ أَخَاهُ عَلَيْهِ مِنْ كَوْنِ دِمَشْقَ تَكُونُ لِلأَفْضَلِ، فَرَأَى أَنْ تَكُونَ لَهُ أَوَّلًا، ثُمَّ إِذَا فُتِحَتْ مِصرُ يُسَلِّمُهَا لِلأَفْضَلِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَقْبَلِ الْأَفْضَلُ ذَلِكَ، وَاخْتَلَفَا وَتَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمَا، وَتَنَازَعَا الْمُلْكَ بِدِمَشْقَ، فَتَفَرَّقَتِ الْأُمَرَاءُ عَنْهُمَا، وَكُوتِبَ الْعَادِلُ فِي الصُّلْحِ، فَأَرْسَلَ يَجِيبُ إِلَى مَا سَأَلَ مِنْ إِقْطَاعِهُمَا شَيْئًا مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ، وَبَعْضِ مُعَامَلَةِ الْمَعْرَةِ. وَتَفَرَّقَتِ الْعَسَاكِرُ عَنِ الْبَلَدِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ، وَسَارَ كُلُّ مِنَ الْمَلِكَيْنِ إِلَى تَسْلِيمِ الْبِلَادِ الَّتِي أُقْطِعَتْ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ يَطُولُ شَرْحُهَا، وَقَدْ كَانَ الظَّاهِرُ وَأَخُوهُ كَتَبَا إِلَى صَاحِبِ الْمَوْصِلِ نُورِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ الْأَتَايَكِيِّ أَنْ يُحَاصِرَ مَدَنَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي مَعَ عَمَّهُمَا الْعَادِلِ، فَرَكِبَ فِي جَيْشِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ قُطْبِ الدِّينِ صَاحِبِ سِنْجَارَ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُمَا صَاحِبُ مَارِدِينَ الَّذِي كَانَ الْعَادِلُ قَدْ حَاصَرَهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ مُدَّةً طَوِيلَةً، فَقَصَدَتِ الْعَسَاكِرُ حَرَّانَ، وَبِهَا الْفَائِزُ بْنُ الْعَادِلِ، فَحَاصَرُوهُ مُدَّةً، ثُمَّ لَمَّا بَلَغَهُمْ وَقُوعُ الصُّلْحِ بَيْنَ الْعَادِلِ وَابْنِ أَخِيهِ الظَّاهِرِ وَالْأَفْضَلِ عَدَلُوا إِلَى الْمُصَالَحَةِ أَيْضًا، وَذَلِكَ بَعْدَ طَلَبِ الْفَائِزِ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَتَمَهَّدَتِ الْأُمُورُ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وفى هذه السَّنة مَلَكَ غِيَاثُ الدِّينِ وَأَخُوهُ شَهَابُ الدِّينِ الْغُورِيَّانِ جَمِيعَ مَا

كَانَ يَمْلِكُهُ خُورَزْمُ شَاهٍ مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْحَوَاصِلِ وَالْأَمْوَالِ ، وَجَرَتْ لَهُمْ خُطُوبٌ طَوِيلَةٌ جَدًّا . وَفِيهَا كَانَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، ابْتَدَأَتْ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَالْعِرَاقِ ، وَكَانَ جُحُوهُورُهَا وَعُظْمُهَا بِالشَّامِ ؛ تَهَدَّمَتْ مِنْهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ ، وَخُسِفَ بَقْرِيَّةٌ مِنْ أَرْضِ بُصْرَى ، وَأَمَّا السَّوَاهِلُ فَهَلَكَ فِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ ، وَخَرِبَتْ مَحَالٌ كَثِيرَةٌ مِنْ طَرَابُلُسَ وَصُورَ وَعَكَّا وَنَابُلُسَ ، وَلَمْ يَبْقَ بِنَابُلُسَ سِوَى حَارَةٍ السَّامُرَةِ ^(١) وَمَاتَ بِهَا وَبِقَرَاهَا ثَلَاثُونَ أَلْفًا تَحْتَ الرَّدَمِ ، وَسَقَطَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ ^(٢) وَأَزْبَعَ عَشْرَةٌ ^(٣) شُرْفَةٌ مِنْهُ ، وَغَالِبُ الْكَلَّاسَةِ وَالْمَارَسَاتِ الثُّورَى ، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْمِيَادِينِ يَسْتَنْغِيثُونَ ، وَسَقَطَ غَالِبُ قَلْعَةِ بَغْلَبَكْ مَعَ وَثَاقَةٍ بِنَائِهَا ، وَانْفَرَقَ الْبَحْرُ إِلَى قُبُورِ ، وَحَذَفَ بِالْمَرَاقِبِ إِلَى سَاحِلِهِ ، وَتَعَدَّى إِلَى نَاحِيَةِ الشَّرْقِ ، فَسَقَطَ بِسَبَبِهَا دُورٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَاتَ أَمَمٌ لَا يُحْصَوْنَ حَتَّى قَالَ صَاحِبُ « مِرَاةِ الزَّمَانِ » ^(٤) : إِنَّهُ مَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِسَبَبِ الزَّلْزَلَةِ نَحْوُ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ وَمِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ . نَقَلَهُ فِي « ذَيْلِ الرُّوسْتَيْنِ » عَنْهُ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْيَانِ :

الشيخُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوَزِيِّ ^(٥) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَادَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ الْجَوَزِيِّ - نِسْبَةً إِلَى فُرْصَةٍ ^(٥)

(١) فِي ص ، وَمِرَاةُ الزَّمَانِ ٤٧٨/٢/٨ ، وَذَيْلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ٢٠ : « السَّمُرَةُ » .

(٢ - ٢) كَذَا بِالنَّسْخِ ، وَفِي مِرَاةِ الزَّمَانِ ٤٧٨/٢/٨ ، وَذَيْلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ٢٠ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٨ : « سِتْ عَشْرَةٌ » . قَالَهُ أَعْلَمُ .

(٣) مِرَاةُ الزَّمَانِ ٤٧٨/٢/٨ ، وَذَيْلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ٢٠ .

(٤) الْكَامِلُ ١٧١/١٢ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٤٠/٣ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٦٥/٢١ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَيَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٢٨٧ ، وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ ١٣٤٢/٤ ، وَذَيْلُ طَبَقَاتِ الْخَنَابِلَةِ ١/٣٩٩ ، وَطَبَقَاتُ الْمَفْسَرِينَ لِلدَّوْدِيِّ ١/٢٧٠ .

(٥) فُرْصَةٌ : فُرْصَةُ النَّهْرِ ثَلَمَتُهُ الَّتِي يَسْتَقَى مِنْهَا . التَّاجُ (ف ر ض) ، وَهَذِهِ الْفُرْصَةُ تَعْرِفُ بِفُرْصَةِ الْجَوْزِ .

نَهْرٍ بِالْبَصْرَةِ - ابن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله
ابن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، الشيخ الحافظ الواعظ
جمال الدين أبو الفرج ، المشهور بابن الجوزي ، القرشي التيمي البغدادي الحنبلي ،
أحد أفراد العلماء ، برز في كثير من العلوم ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحو
من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحواً من ألفي مجلدة ، وتفرّد بفن الوعظ الذي
لم يسبق إلى مثله ولا يلحق شأؤه في طريقته وشكله ، [٣٢٤/٩] وفي فصاحته
وبلاغته وعدوبة كلامه ، وحلاوة تزويجه ، ونفوذ وعظه ، وغوصه على المعاني
البدعية ، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية ، بعبارة وجيزة
سريعة ، هذا وله في العلوم اليد الطولى ، والمشاركات في سائر أنواع العلوم من
التفسير والحديث والتاريخ والحساب ، والنظر في النجوم ، وله من المصنفات في
ذلك ما يضيق هذا المقام عن تعدادها ، وحضر أفرادها ؛ منها كتابه في التفسير
الشهير بـ « زاد المسير » ، وله أبسط منه ولكنه ليس بمشهور ولا منكور ، وله « جامع
المسائيد » استوعب فيه غالب « مسند الإمام أحمد » و « صحيح البخاري
ومسلم » و « جامع الترمذي » ، وله كتاب « المنتظم في تواريخ الأمم من العرب
والعجم » في عشرين مجلداً ، قد أوردنا في كتابنا هذا كثيراً من حوادثه وتراجمه ،
فلم يزل يُورّخ أخبار العالم حتى صار هو تاريخاً ، وما أحقّه بقول الشاعر ^(١) :

مازلت تذأب في التاريخ مُجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

وله مقامات وخطب ، وله « الأحاديث الموضوعّة » ، و « العلل المتناهية في
الأحاديث الواهية » ، وغير ذلك .

وُلد سنة عشر وخمسمائة ، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين ، وكان أهله تجاراً

(١) القائل هو أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الله بن سليمان . وفیات الأعيان ١٣٧/٣ .

فى النحاس ، فلما ترعرع جاءَتْ به عمُّه إلى مسجدِ محمد بنِ ناصِرِ الحافظ ،
فلزم الشيخ ، وسمع عليه الحديث ، وتفقه بآبِنِ الرَّاعُونِي ، وحفظ الوعظ ، ووعظ
وهو دون العشرين ، وأخذ اللغة عن أبى منصور الجوالقي ، وكان صَيِّتًا دَيِّتًا ،
مجموعًا على نفسه لا يخالط أحدًا ، ولا يأكلُ مِمَّا فيه شُبْهَةٌ ، ولا يخرجُ من بيته
إِلَّا للجمعة ، وقد حضر مجلسَ وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء
والفقراء ، ومن سائر صنوفِ بنى آدم ، وأقلُّ ما كان يجتمعُ فى مجلسه عشرة
آلاف ، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون ، وربما تكلم من خاطره على البديهة
نظمًا ونثرًا ، رحمه الله .

وبالجملة كان أستاذًا فزْدًا فى الوعظ ، له مشاركاتٌ حسنةٌ فى بقیة العلوم ،
وقد كان فيه بهاءٌ ، وترفعٌ فى نفسه ، ويسمو بنفسه أكثرَ من مقامه ، وذلك ظاهرٌ
فى نثره ونظمه ، فمن ذلك قوله ^(١) :

مازلت أدرك ما غلا بل ما علا	وأكابد النهج العسير الأطولا
تجرى بى الآمال فى حلباته	طلق ^(٢) السعيد جرى مدى ما أملا
يُفْضِى بى التوفيق فيه إلى الذى	أعمى سواى توصلا وتغللا
لو كان هذا العلم شخصًا ناطقًا	وسألته هل زرت مثلى قال لا
ومن شعره أيضًا ويؤوى لغيره ^(٣) :	

إذا قنعت بميسور من القوت	أصبحت فى الناس حُرًّا غير ممقوت
يا قوت نفسى إذا ما درَّ خَلْقُك ^(٤) لى	فلست آسى على ذرِّ وياقوت

(١) تاريخ ابن الساعى ٦٧/٩ .

(٢) فى الأصل ، م : « جرى » .

(٣) المصدر السابق ٦٦/٩ .

(٤) الخلف ، بكسر الخاء ، من ذوات الخف كاللدى للإنسان .

وله مِنَ النَّظْمِ والنَّثْرِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَا يَنْضِبُ ، وله كِتَابٌ مُفْرَدٌ سَمَاهُ : « نَظْمُ الْجُمَانِ فِي كَانَ وَكَانَ » .

وَمِنْ لَطَائِفِ كَلَامِهِ قَوْلُهُ ^(١) فِي الْحَدِيثِ : « أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ » ^(٢) : إِنَّمَا طَالَتْ أَعْمَارُ مَنْ قَبَلْنَا لَطُولَ الْبَادِيَةِ ، فَلَمَّا شَارَفَ الرُّكْبُ بِلَدِ الْإِقَامَةِ قِيلَ لَهُمْ : حُثُّوا الْمَطِيَّ . وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَيْمًا أَفْضَلُ ؟ أَجْلِسُ أَسْبَحُ أَوْ أَسْتَغْفِرُ ؟ فَقَالَ ^(٣) : الثُّوبُ الْوَسِيخُ أَخْوَجُ إِلَى الصَّابُونَ مِنَ الْبُخُورِ .

وَسُئِلَ عَمَّنْ أَوْصَى وَهُوَ فِي السِّيَاقِ ، فَقَالَ ^(٤) : هَذَا طَيْئٌ سَطُوهُ فِي كَانُونٍ . وَالتَّفَتَ يَوْمًا إِلَى نَاحِيَةِ الْخَلِيفَةِ الْمُشْتَضِيءِ وَهُوَ فِي الْوَعْظِ فَقَالَ ^(٥) : [٣٢٤ ط] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ تَكَلَّمْتُ خِفْتُ مِنْكَ ، وَإِنْ سَكَتُ خِفْتُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ قَوْلَ الْقَائِلِ : اتَّقِ اللَّهَ ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ قَوْلِهِ : إِنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مَغْفُورٌ لَكُمْ . وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : إِذَا بَلَغْنِي عَنْ عَامِلٍ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَلَمْ أُعْزِزْهُ ، فَأَنَا الظَّالِمُ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَشْبَعُ فِي زَمَنِ الْقَحْطِ حَتَّى لَا يَنْسَى الْجِيْعَانَ ، وَكَانَ عَمْرٌ يَضْرِبُ بَطْنَهُ عَامَ الرَّمَادَةِ وَيَقُولُ : قَرِّزُوا أَوَّلًا تَقَرِّزُوا ، وَاللَّهِ لَا سَمَنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى يُخَصِّبَ النَّاسُ . قَالَ : فَتَصَدَّقَ الْمُشْتَضِيءُ بِمَالٍ جَزِيلٍ ، وَأُطْلِقَ الْحَايِسَ ، وَكَسَى خَلْقًا مِنَ الْفُقَرَاءِ .

وُلِدَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي حَدُودِ سَنَةِ عَشْرِ وَخَمْسِمِائَةٍ ، كَمَا تَقَدَّمَ ^(٦) ، وَكَانَتْ

(١) مرآة الزمان ٤٩١ / ٢ / ٨ .

(٢) الترمذی (٣٥٥٠) ، وابن ماجه (٤٢٦) . حسن لذاته (السلسلة الصحيحة ٧٥٧) .

(٣) مرآة الزمان ٤٩٠ / ٢ / ٨ .

(٤) المصدر السابق ٤٩٠ / ٢ / ٨ .

(٥) المصدر السابق ٤٩١ / ٢ / ٨ .

(٦) تقدم في ص ٧٠٧ .

وَفَاتَهُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ،
 وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، وَحُمِلَتْ جِنَازَتُهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ ، فَدُفِنَ بِيَابِ حَرْبٍ
 عِنْدَ أَبِيهِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّهُ أَفْطَرَ
 جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ بِسَبَبِ شِدَّةِ الْحَرْبِ وَكَثْرَةِ الزَّحَامِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ أَوْصَى أَنْ
 تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ ^(١) :

يَا كَثِيرَ الْعَفْوِ عَمَّنْ كَثُرَ الذَّنْبُ لَدَيْهِ
 جَاءَكَ الْمَذْنِبُ يَرْجُو الصَّفْحَ عَنْ جُرْمِ يَدَيْهِ
 أَنَا ضَعِيفٌ وَجَزَاءُ الصَّفْحِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ

وَقَدْ كَانَ لِلشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الْجَوَازِيِّ مِنَ الْأَوْلَادِ الذُّكُورِ ثَلَاثَةٌ : عَبْدُ
 الْعَزِيزِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ ، مَاتَ شَابًّا فِي حَيَاةِ وَالِدِهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، ثُمَّ
 أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ ، وَقَدْ كَانَ عَاقًا لَوَالِدِهِ إِلَّا بَأْتِيَهُ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ الْحِجَةِ وَغَيْرِهَا ، وَقَدْ تَسَلَّطَ
 عَلَى كُتُبِهِ فِي غَيْبَتِهِ بِوَاسِطَةِ ، فَبَاعَهَا بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ ، ثُمَّ مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفُ ،
 وَكَانَ أَنْجَبَ الْأَوْلَادِ وَأَصْغَرَهُمْ ؛ وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ ، وَوَعَظَ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَاشْتَغَلَ
 وَحَرَّرَ وَأَتَقَنَ وَسَادَ أَقْرَانَهُ ، ثُمَّ بَاشَرَ حِسْبَةَ بَغْدَادَ ، ثُمَّ كَانَ رَسُولَ الْخُلَفَاءِ إِلَى
 الْمُلُوكِ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ ، وَلَا سِيَّمَا إِلَى بَنِي أَيُّوبَ بِالشَّامِ ، وَقَدْ حَصَلَ مِنْهُمْ مِنَ
 الْأَمْوَالِ وَالْكَرَامَاتِ مَا ابْتَنَى بِهِ الْمَدْرَسَةَ الْجَوَازِيَّةَ الَّتِي بِالنَّشَايِينَ بِدِمَشْقَ ، ثُمَّ صَارَ
 أَسْتَاذَ دَارِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَاسْتَمَرَّ مُبَاشِرَهَا إِلَى أَنْ قُتِلَ
 مَعَ الْخَلِيفَةِ عَامَ هَوْلَاكِهِ بِنِ تُولَى بْنِ جَنْكِزْخَانَ ، وَكَانَ لِأَبِي الْفَرَجِ عِدَّةُ بَنَاتٍ ؛
 مِنْهُنَّ رَابِعَةٌ أُمُّ سَبِيحَةَ أَبِي الْمُظَفَّرِ بْنِ قَرَاوُغْلَى صَاحِبِ « مِرْآةِ الزَّمَانِ » ، وَهِيَ كِتَابٌ

(١) سِير أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ ٢١ / ٣٨٠ .

مِن أَجْمَعَ التَّوَارِيخِ وَأَكْثَرَهَا فَائِدَةً ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي « الْوَفَيَاتِ » ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ وَشَكَرَ تَصَانِيفَهُ وَعُلُومَهُ .

الْعِمَادُ الْكَاتِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ^(١) مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَامِدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ أَلَّةٍ^(٢) - بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَضَمِّهَا - الْمَعْرُوفُ بِالْعِمَادِ الْكَاتِبِ الْأَصْبَهَانِيِّ ، صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ وَالرِّسَالِ وَالشَّعْرِ ، وُلِدَ بِأَصْبَهَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقَدِيمُ بَغْدَادَ ، فَاشْتَغَلَ بِهَا عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ سَعِيدِ بْنِ الرَّزَّازِ مُدَرِّسِ النِّظَامِيَّةِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ ، فَحَظِيَ عِنْدَ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِي ، وَكَتَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَلَّاهُ الْمَدْرَسَةَ الَّتِي أَنْشَأَهَا دَاخِلَ بَابِ الْفَرَجِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْعِمَادِيَّةُ ؛ نِسْبَةً إِلَى الْعِمَادِ هَذَا لِكثَرَةِ إِقَامَتِهِ بِهَا ، وَتَدْرِيسِهِ فِيهَا ، وَلَمْ يَكُنْ أَوَّلَ مَنْ دَرَسَ بِهَا ، بَلْ قَدْ سَبَقَهُ إِلَى تَدْرِيسِهَا غَيْرُ وَاحِدٍ ، [٣٢٥/٩] كَمَا تَقَدَّمَ^(٣) فِي تَرْجَمَةِ نُورِ الدِّينِ .

ثُمَّ صَارَ الْعِمَادُ كَاتِبًا فِي الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ ، وَكَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَشْكُرُهُ ، قَالُوا^(٤) : وَكَانَ مَنْطُوقُهُ يَغْتَرِيهِ جَمُودٌ وَفَتْرَةٌ ، وَقَرِيحَتُهُ فِي غَايَةِ الْجَوْدَةِ وَالْحِدَّةِ . وَقَدْ قَالَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ لِأَصْحَابِهِ يَوْمًا : قُولُوا . فَتَكَلَّمُوا وَشَبَّهُوهُ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ بِصِفَاتٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا الْقَاضِي ، وَقَالَ^(٥) : هُوَ كَالزَّنَادِ ، ظَاهِرُهُ بَارِدٌ

(١) الكامل ١٢/١٧١ ، ومعجم الأدباء ١٩/١١ ، ووفيات الأعيان ٥/١٤٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٤٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣١٦ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٦/١٧٨ .

(٢) أَلَّة : بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء ، وهو اسم عجمي معناه بالعربي العقاب وهو الطائر المعروف . وفيات الأعيان ٥/١٥٢ .

(٣) تاريخ ابن الساعي ٩/٦٤ .

(٤) المصدر السابق .

وداخله ناز. وله من المصنّفات: «خريدة القصر في شعراء العصر»، و«الفتح القدسي»، و«البرق الشامي»، وغير ذلك من المصنّفات المشجعة، وال عبارات المصروعة، والقصائد المطوّلة، والمعاني والألفاظ المؤثّلة.

ومن لطيف تغزّله قوله هذه الأبيات^(١):-

كيف قُلْتُم في مُقْلَتِيهِ فُتُورُ	وأراها بلا فتورٍ تجورُ
لو بصرتم بطرفه كيف يَسْبِي	قُلْتُم ذاك كاسِرٌ لا كسيِرُ
مُوتِرٌ قوسَ حاجِبِيهِ لِإِضْمَا	ء ^(٢) فؤادى كأنه موتورُ
لا تَسْلُنِي عن العَقَارِ فَعَقْلِي	طافِحٌ من عَقَارِهِنَّ عَقِيرُ
كيف يَضْحُومُنْ شُكْرِهِ مَسْتَهَامُ	مَزَجَتْ كَأْسَهُ الحَسَانُ الحَوْرُ
أورثته سقامها الحدقُ النَجْدُ	لُ وأهدت له النحولُ الخصورُ
ما تصيدُ الأُسْدُ الخَوَادِرُ إِلَّا	ظبياتٍ كَنَاسِهِنَّ الخدورُ
كُلُّ غُضْنِيَّةٍ الموشِحِ هيفَا	ء على البدرِ جيئها مزورُ
وجناتٌ تَجْنِي الشقائق منها	وثنايا كأنها المنثورُ

وقد كانت وفاته في مُسْتَهْلَ رَمَضَانَ من هذه السّنة عن ثمانٍ وسبعين سنةً، رحمه الله، ودُفِنَ بمقابرِ الصّوفيّة.

الأميرُ بهاءُ الدّينِ قراقوش^(٣)، الفحلُ الخَصِي، أحدُ كبراءِ^(٤) أمراءِ الدولة الصّلاحيّة، كانَ شَهِمًا شُجاعًا فَاتِكًا، تسَلَّمَ القَصْرَ لما ماتَ العاضِدُ، وعَمَرَ سُورَ

(١) تاريخ ابن الساعي ٦٢/٩.

(٢) أضْمَى الصيْدُ: رماه فقتله مكانه. القاموس المحيط (ص م ي).

(٣) الروضتين ٢/٢٤٤، ومرآة الزمان ٨/٢/٥٠٤، ووفيات الأعيان ٤/٩١، وتاريخ الإسلام (حوادث

وفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣١٢، والعبير ٤/٢٩٨، والنجوم الزاهرة ٦/١٧٦.

(٤) في م: «كبار كتاب».

القاهرة مُحِيطًا على مِصْرَ أيضًا ، وانتهى به إلى المَقْسَم ؛ وهو المَكَانُ الذى اقْتَسَمَتْ فيه الصَّحَابَةُ ما غَنِمُوا مِنَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، وَبَنَى قَلْعَةَ الجَبَلِ ، وقد كان الملكُ صلاحُ الدِّينِ سَلَّمَهُ عَمَّا لِيَعْمَرَ فيها أَمَاكِنَ كَثِيرَةً ، فَوَقَعَ الحِصَارُ وهو بها ، فَلَمَّا خَرَجَ البَدَلُ منها كان هو مِن جَمَلَةٍ مَنْ خَرَجَ ، ثُمَّ ^(١) دَخَلَهَا ابْنُ المَشْطُوبِ . وقد ذُكِرَ أَنَّهُ أُسِرَ فَاقْتَدَى نَفْسَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وعَادَ فى حَيَاةِ الملكِ صلاحِ الدِّينِ ، فَفَرِحَ به فَرَحًا شَدِيدًا ، وَلَمَّا تَوَفَّى فى هَذِهِ السَّنَةِ اخْتَطَأَ الملكُ العَادِلُ على تَرْكِتِهِ ، وَصَارَتْ أَقْطَاعُهُ وَأَمْلَاكُهُ لِلْمَلِكِ الكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ العَادِلِ . قال القاضى ابْنُ خَلِّكَانَ ^(٢) : وقد نُسِبَ إليه أَحْكَامٌ عَجِيبَةٌ ، حَتَّى صَنَّفَ بَعْضُهُمْ جُزْءًا لَطِيفًا سَمَّاهُ : كِتَابُ « الفَاشُوشِ فى أَحْكَامِ قَرَاوِش » ، فَذَكَرَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً جَدًّا ، وَأَظْنَاهَا مُوضُوعَةٌ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الملكَ صلاحَ الدِّينِ كان يَعْتمِدُ عليه ، ^(٣) وما كان لِيَفْعَلَ ذَلِكَ وهو ^(٤) بِهِذِهِ المَثَابَةِ ! وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

مَكْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ المُسْتَجِدِّى ^(٥) ، كَانَ تُزَكِّيًا عَابِدًا زَاهِدًا ، سَمِعَ المُوَدَّنَ وَقَتَ السَّحْرِ وهو يَنْشِدُ على المَنَارَةِ :

يا رِجَالَ اللَّيْلِ جِدُّوا رَبَّ صَوْتٍ لَا يُرَدُّ
ما يَقُومُ اللَّيْلَ إِلَّا مَنْ لَهْ عَزْمٌ وَجَدُّ
فَبَكَى مَكْلَبَةُ ، وَقَالَ لِلْمُوَدَّنِ : يامُودُّنُ زِدْنِي . فَقَالَ المُوَدَّنُ :

قد مَضَى اللَّيْلُ وَوَلَّى وَحَبِيبِي قد تَجَلَّى ^(٥)

(١) فى الأصل : « حتى » ، وفى ص : « حين » .

(٢) وفيات الأعيان ٩٢ / ٤ .

(٣ - ٣) فى م : « فكيف يعتمد على من » .

(٤) ذيل الروضتين ص ٢٨ ، ومراة الزمان ٥٠٨ / ٢ / ٨ .

(٥) فى م : « تخلا » .

فصرخ مكلبة صرخة كان فيها حثفه، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابيه، فالسعيد من وصل إلى نعشه، رحمه الله تعالى.

[٣٢٥/٩ ط] أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع، المُرْكلش^(١) ببغداد، ويعرف بابن نقطة، كان يدور في أسواق بغداد بالنهار ينشد كان وكان والمواليا، ويسخر الناس في ليالي رمضان، وكان مطبوعاً ظريفاً خليعاً، وكان أخوه الشيخ عبد الغني الزاهد من أكابر الصالحين، له زاوية ببغداد يزار فيها، وكان له أتباع ومريدون، ولا يدخر شيئاً يحصل له من الفتوح. تصدق في ليلة بألف دينار وأصحابه ضيائاً لم يدخر منها شيئاً لعشائهم. وزوجته أم الخليفة بجارية من خواصها وجهزتها بعشرة آلاف دينار إليه، فما حال الحول وعندهم من ذلك شيء، بل جميع ذلك يؤثر به ويتصدق به حتى لم يبق عندهم سوى هاؤن، فوقف سائل ببابه فألح في الطلب، فأخرج إليه الهاؤن، فقال: خذ هذا وكل به ثلاثين يوماً، ولا تشنع على الله عز وجل. وكان من خيار الصالحين.

والمقصود أنه قيل لأخيه أبي منصور هذا: ويحك، أنت تدور في الأسواق وتُنشد الأشعار، وأخوك من قد عرفت! فأنشأ يقول في جواب ذلك بيتين مواليا من شعره على البديهة:

قد خاب من شبه الجزعة^(٢) إلى الدرة وشابه قحبه إلى مستحجنه^(٣) حرة

(١) في الأصل: «المركلش»، وفي ص: «المركلش»، وفي م: «المركلش». وانظر ترجمته في: ذيل الروضتين ص ٢٨، ومراة الزمان ٥٠٩/٢/٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٢٨.

(٢) الجزعة: واحدة الجزع والجزع: وهو ضرب من الحرز، وقيل: هو الحرز اليماني، وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به الأعين. لسان العرب (ج ز ع).

(٣) في الأصل، ص: «مستحسنة»، وفي م: «مستحسنة»، والمثبت من مصادر الترجمة. ومستحسنة أي مسترة صينة.

أنا مُغْنَى وأخى زاهد إلى مرّة في «الدار بثرين» ذى حلوة وذى مرّة
وقد جرى عنده مرّة ذكر قتل عُثْمَانَ ، وعلى حاضرٍ ، فأنشأ يقول : كان
وكان ، ومن قُتِلَ في جواره مثل ابنِ عَفَّانَ فاعتذر ، يجبُ عليه أن يقبلَ في الشَّامِ
عُذْرَ يزيد . فأرادتِ الرّوافضُ قتله ، فاتَّفَقَ أنَّه في بعضِ اللَّيالي يُسَحِّرُ النَّاسَ في
رَمَضانَ إذ مرَّ بدارِ الخليفةِ فَعَطَسَ الخليفةُ في الطَّارِقَةِ ^(٢) فَشَمَّتَهُ أَبُو مَنْصُورٍ هذا من
الطَّرِيقِ في نَظْمٍ ارْتَجَلَهُ على البديهةِ موالياً يقولُ في آخره : أَى مَنْ عَطَسَ في
المنظرةِ يَرَحِّمُكَ اللَّهُ . فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ مِائَةٌ دِينَارٍ ، وَرَسَمَ بِحِمَائَتِهِ مِنَ الرّوَافِضِ ، إِلَى أَنْ
مَاتَ في هذه السَّنَةِ ، رَجِمَهُ اللَّهُ .

وفيها تُوفِّي : مُسْنِدُ الشَّامِ ، أَبُو طَاهِرٍ بَرَكَاتُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَاهِرٍ
الْحُشُوعِيِّ ^(٣) ، شَارَكَ ابْنَ عَسَاكِرَ في كثيرٍ من مَشِخَّتِهِ ، وَطَالَتْ حَيَاتُهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ
بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَأَلْحَقَ فِيهَا الْأَخْفَادَ بِالْأَجْدَادِ .

(١ - ١) في الأصل : «الدر بثرين» ، وفي ص : «الدارين» ، وفي م : «الديرى» . والمثبت من مصادر الترجمة .

(٢) في الأصل ، ص : «الطارمة» ، والطارقة : عشيرة الرجل . القاموس (ط ر ق) .

(٣) ذيل الروضتين ص ٢٨ . وسير أعلام النبلاء ٣٥٥/٢١ .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

فيها^(١) شرع الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي^(٢) في بناء المسجد الجامع بالجبل، فأنفق عليه رجل يقال له: الشيخ أبو داود محاسن الفامي. حتى بلغ البناء مقدار قامة، فتقد ما عنده، وما كان معه من المال، فأرسل الملك المظفر كوكبوري بن زين الدين صاحب إزبل مالا جزيلاً ليشتمه به فكمّل، وأرسل ألف دينار ليساق بها إليه الماء من بوزة^(٣)، فلم يمكن من ذلك الملك المعظم صاحب دمشق، واعتذر بأن هذا يشوش^(٤) قبورا كثيرة للمسلمين، فضيغ له بئر وبغل يدور، وأوقف عليه وقف لذلك.

وفيها كانت حروب كثيرة وخطوب طويلة بين الخوارزمية والغورية ببلاد المشرق، بسطها ابن الأثير^(٥)، واختصرها ابن كثير.

وفيها درس بالنظامية مجد الدين يحيى بن الربيع، وخلع عليه خلعة سنية سوداء وطرحه كخليفة، وحضر عنده العلماء والأعيان. وفيها ولي قضاء القضاة بيغداد أبو الحسن علي بن سليمان الجيلي، وخلع عليه أيضا.

(١) الكامل ١٢/١٧٣، وذيل الروضتين ص ٢٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩٠ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٥.

(٢) في م: «باني المدرسة بسفح قايسون».

(٣) في م: «بردى».

(٤) في الأصل، م: «فرش».

(٥) الكامل ١٢/١٧٣.

ومن تُوفّي فيها مِنَ الأعيان :

القاضي ابنُ الزَكِيِّ ، محمدُ بنُ عليّ بن محمد بن يحيى بن عليّ بن عبد العزيز ، أبو المعالي ^(١) القرشيّ ، مُحْيِي الدِّين قاضي القضاة بدمشق ، وكلّ منهم كان قاضيًا ؛ [٣٢٦/٩] أبوه وجدّه وأبو جدّه يحيى بن عليّ المذكور ، وهو أوّل من ولي الحكم بدمشق منهم ، وكان جدّ الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأُمّه ، وقد ترجمه ابنُ عساكر في التاريخ ، ولم يزد على القرشيّ ^(٢) قال الشيخ أبو شامة ^(٣) : ولو كان أُمويًّا عُثمانيًّا كما يزعمون لذكر ذلك ابنُ عساكر ؛ إذ كان فيه شرفٌ لجدّه وخاليه ؛ محمد وسلطان ، فلو كان ذلك صحيحًا لما خفي على ابن عساكر .

اشتغل ابنُ الزكّي على القاضي شرف الدّين أبي سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عضرون ، وناب عنه في الحكم ، وهو أوّل من ترك الثّيابة ، وهو أوّل من خطب بالقدس لما فتحه الملك صلاح الدين ، كما تقدّم بيان ذلك في سنة ثلاث وثمانين ^(٤) ، ثم ولّاه قضاء دِمَشق وأضاف إليه قضاء حلب أيضًا ، وكان ناظر أوقاف الجامع ، ثم عُزل قبل وفاته بشهر ، ووليها شمس الدّين بن البيهقي ^(٥) ضمانيًا ، وقد كان القاضي محيي الدين بن الزكّي ينهى الطلبة عن الاشتغال

(١) ذيل الروضتين ص ٣١ ، ووفيات الأعيان ٢٢٩/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣٥٨/٢١ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٦٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ١٥٧/٦ .

(٢) تاريخ دمشق ١٦٩/١٨ (مخطوط) .

(٣) ذيل الروضتين ص ٣١ .

(٤) تقدم في ص ٥٩١ .

(٥) في الأصل : « لبي » ، وفي م : « اللي » ، وانظر تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ -

٦٠٠ هـ) ص ٣٦٨ .

بِالْمَنْطِقِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَيُمَزَّقُ كُتُبَ مَنْ كَانَ عَنْدهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَدْرَسَةِ التَّقْوِيَّةِ^(١)، وَكَانَ يَحْفَظُ الْعَقِيدَةَ الْمُسَمَّاةَ بِالْمِصْبَاحِ لِلْعَزَّالِيِّ، وَيَحْفَظُهَا أَوْلَادَهُ أَيْضًا، وَكَانَ لَهُ دُرُسٌ فِي التَّفْسِيرِ يَذْكُرُهُ بِالْكَلاَسَةِ، تُجَاهُ تَرْبَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَكَانَ قَدْ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، فَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَاتَّخَذَ لَهُ أَبًا مِنْ دَارِهِ إِلَى الْجَامِعِ؛ لِيُخْرِجَ مِنْهُ إِلَى الصَّلَاةِ، ثُمَّ خُوِلَطَ فِي عَقْلِهِ، فَكَانَ يَغْتَرِبُهُ شِبْهُ الصَّرْعِ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ فِي سَابِعِ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَدُفِنَ فِي تَرْبَةٍ بِسَفْحِ قَاسِيُونِ.

الْخَطِيبُ الدَّوْلَعِيُّ، ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زَيْدِ بْنِ يَاسِينَ التَّغْلِبِيُّ^(٢) الدَّوْلَعِيُّ، نَسَبُهُ إِلَى قَرْيَةٍ بِالْمَوْصِلِ، يُقَالُ لَهَا: الدَّوْلَعِيَّةُ. وُلِدَ بِهَا فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتَفَقَّهَ بِبَغْدَادَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ، فَسَمِعَ «التِّرْمِذِيَّ» عَلَى أَبِي الْفَتْحِ الْكُرُوخِيِّ، وَ«النَّسَائِيَّ» عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْبِزْدِيِّ^(٣)، ثُمَّ قَدِمَ دِمَشْقَ فَوَلَّى بِهَا الْخُطَابَةَ وَتَدْرِيسَ الْعَزَّالِيَّةِ، وَكَانَ زَاهِدًا مُتَوَرِّعًا حَسَنَ الطَّرِيقَةِ مَهِيئًا فِي الْحَقِّ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَانِي^(٤) عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ بَابِ الصَّغِيرِ عِنْدَ قُبُورِ الشُّهَدَاءِ، وَكَانَ يَوْمُ جِنَازَتِهِ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَتَوَلَّى بَعْدَهُ الْخُطَابَةَ وَلَدُ أَخِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ زَيْدِ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَقَدْ كَانَ ابْنُ الزَّكَايَا وَلَّى وَلَدَهُ

(١) فِي م: «النُّورِيَّة».

(٢) فِي الْأَصْلِ، م: «التَّغْلِبِيُّ». وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: مَرَاةُ الزَّمَانِ ٥١١/٢/٨، وَذِيلُ الرُّوسْتِينِ ص ٣١، وَسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٣٥٠/٢١، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٣٥٨، وَطَبِيقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّيْكِيِّ ١٨٧/٧.

(٣) فِي م: «الْبِزْدِيُّ».

(٤) فِي الْأَصْلِ، م: «تَاسِعَ»، وَفِي ص: «مِنْ». وَالمُثَبَّتُ مِنْ مَصَادِرِ التَّرْجُمَةِ.

الزكّي الطاهر، فصلّى صلاةً واجدةً، فتشفّع جمال الدين بالأمير^(١) «فلک الدین»
أخي العادل، فولّاه إياها فبقی فيها إلى أن توفّي سنة خمس وثلاثين وستمائة.

الشيخ علي بن محمد^(٢) بن غليس^(٣)، اليميني العابد الزاهد، كان مقيمًا
شرقي الكلاسة، وكانت له أحوال وكرامات، نقلها الشيخ علم الدين السخاوي
عنه، وساقها أبو شامة عنه في «الذيل»^(٤).

الصدر أبو الشاء حماد بن هبة الله بن حماد الحراني التاجري^(٥)، ولد سنة
إحدى عشرة، عام ولد نور الدين بن زكي، وسمع الحديث ببغداد ومصر
وغيرهما من البلاد وحدث، وتوفّي في ذي الحجة.

ومن شعره قوله^(٦):

تنقل المراء في الآفاق يكسبه محاسنًا لم تكن فيه بيلدته
أما ترى يبدق الشطرنج أكسبه حُسن الثقل فيها فوق رُتبته
السُّت الجليّة المصونة بنفسا^(٧) بنت عبد الله، [٣٢٦/٩ ظ] عتيقة الإمام

(١ - ١) في م، وذيل الروضتين ص ٣١: «علم الدين». وانظر الكامل ٨٢/١٢، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٠٧.

(٢) في م: «علي». وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٣٦٢/٢، وذيل الروضتين ص ٣٠،
وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٦١، والوفاء بالوفيات ١١١/٢٢.

(٣) في م: «عليش». وانظر مصادر ترجمته السابقة.

(٤) ذيل الروضتين ص ٣٠.

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٣٧٢/٢، وذيل الروضتين ص ٢٩، ومراة الزمان ٥١١/٢/٨، وسير أعلام
النبلأ ٣٨٥/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٤٦، والوفاء بالوفيات
١٥٤/١٣.

(٦) مراة الزمان ٥١١/٢/٨، وذيل الروضتين ص ٣٠، والوفاء بالوفيات ١٥٤/١٣.

(٧) في الأصل: «بنفيسا»، وفي م: «بنفسا». وانظر ترجمتها في: التكملة لوفيات النقلة ٣٤٣/٢ =

المُشْتَضِيءِ ، كانت من أكبر حظاياه ، ثم صارت من بعده من أكثر النساء صدقةً وريًا ، وإحسانًا إلى العلماء والفقراء ، لها بطريق الحجاز معروف كثير معروف ، ووقفت مدرسة على الحنابلة وأوقافًا دائرة ، ودُفنت ببغداد عند تربة معروف الكرخي .

ابن المختسب الشاعر ، أبو الشكر محمود بن سليمان بن سعيد الموصلي^(١) ، يعرف بابن المختسب ، تفقه بغداد ، ثم سافر إلى البلاد ، وصحب ابن الشهرزوري وقدم معه ، فلما ولي قضاء بغداد ولأه نظر أوقاف النظامية ، وكان فاضلاً يقول الشعر الرائق ، فمن ذلك^(٢) :

أسلف لنا في سلافة^(٣) العنب جميع ما يُقتنى من الذهب
وانشبت مع النفس في معاملة فيها بما عندنا من النشبت^(٤)
جميع ما في الهميان يخفيه إل عاقل في لثم ريقها الشنب^(٥)
لا سيما إن أتت كالذهب قد قلدها عقدًا من الحب
تخرق كف المديـر إن وقف الدور بها ساعة من اللهب
إذا بدا همنا ليسترق السمع برفق للهو واللعب

= ومراة الزمان ٥١٠ / ٢ / ٨ ، وذيل الروضتين ص ٢٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٤٢ ، والوافي بالوفيات ٢٩٣ / ١٠ .

(١) التكملة لوفيات النقلة ٣٨١ / ٢ ، وتاريخ ابن الساعي ٩٠ / ٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٧٢ .

(٢) تاريخ ابن الساعي ٩١ / ٩ .

(٣) السلافة من كل شيء : خالصة . اللسان (س ل ف) .

(٤) النشبت : المال الأصيل من الناطق والصامت . اللسان (ن ش ب) .

(٥) الهميان : الذي يجعل فيه النفقة ويشد على الوسط ، والنشبت : البارء .

تُبَّعُهُ مِنْ سَمَاءٍ رَاوَوْقَهَا الرَّائِقِ رَجْمًا بِالْأَنْجُمِ الشُّهُبِ
 مَا قَطُّ تَبَّتْ يَدٌ لَشَارِبِهَا وَحَقُّ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ
 أَمْرٌ بِالْكَرَمِ خَلْفَ حَائِطِهِ تَأْخُذُنِي نَشْوَةٌ مِنَ الطَّرَبِ
 أَشْكُرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْبِ غَدًا إِنَّ ذَا مِنَ الْعَجَبِ
 جَنَّبَهَا سُكْرَهَا وَضَحَبَتَهَا تَحْرِيْمُ شَرِيعَ لَسِيْدِ الْعَرَبِ
 تَرَكَتْهَا جَانِبًا وَلُذْتُ إِلَى ظِلُّ إِمَامٍ مُنْجٍ مِنَ الثُّوْبِ
 الطَّاهِرِ الطُّهْرِ وَابْنِ خَيْرِ فَتَى وَطَاهِرِ الْخُلُقِ طَاهِرِ النَّسَبِ
 مَاذَا يَقُولُ الْمَدَاخِ فِي رَجُلٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّ
 وَمِنْ شَعْرِهِ الرَّائِقِ لَهُ أَيْضًا ^(١) :

أَهَابُ وَصَفَ الْخَمْرِ فِي إِهَابِهَا يَا حَبْدَا مَا كَانَ مِنْ مُهَابِهَا
 حَبَا بِهَا السَّاقِي وَقَدْ أَقْعَدَهُ سُكْرٌ فَزَادَ السُّكْرُ إِذْ حَبَا بِهَا
 خَطَا بِهَا وَثِيقَةً شَرْعِيَّةً عَلَى الَّذِي يُفْلِسُ مِنْ خُطَا بِهَا
 دَعَا بِهَا فِي صَدْرِ كُلِّ بَاخِلٍ وَخَلِيًّا مِنْ كُلِّ مَنْ دَعَا بِهَا
 فَتَا بِهَا قَلْبَ الْحَسُودِ وَأَشْكُرَا كُلُّ فَتَى فِي النَّاسِ قَدْ فَتَا بِهَا
 اغْنِ بِهَا يَا أَيُّهَا الْمُغْرَى بِهَا وَأَسْلِفِ النَّضَارِ ^(٢) فِي أَعْنَابِهَا
 ثَوَى بِهَا كُلُّ السُّرُورِ عِنْدَنَا وَائْتُمَهَا أَكْبَرُ مِنْ ثَوَابِهَا

(١) الأبيات في تاريخ ابن السامى ٩١/٩، ٩٢.

(٢) النضار: الخالص من جوهر الثبر والخشب. اللسان (ن ض ر).

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة^(١)

قال سبط ابن الجوزي في «المؤاة»^(٢) : في ليلة السبت سلخ المحرم حاجت النجوم في السماء وماجت شرقاً وغرباً ، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً ، قال : ولم يُر مثلاً هذا إلا في عام المبعث^(٣) وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين . وفي هذه السنة شرع في عمارة سور قلعة دمشق ، وابتدئ بئرج الزاوية الغربية القبلية المجاور لباب النصير .

وفيها أرسل الخليفة الناصر الخلع وسراويلات الفتوة للملك العادل وبنيه . وفيها بعث السلطان ولده الأشرف موسى محاصرة ماردين ، وساعده جيش سنجار والموصل ، ثم وقع الصلح على يدي الظاهر ، على أن يخمل صاحب ماردين للعادل في كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وأن تكون السكة والخطبة للعادل ، وأنه متى طلبه بجيشه يحضر إليه .

وفيها كمل بناء رباط الموزنانية^(٤) ، ووليه الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد الشهرزدي^(٥) ، ومعه جماعة من الصوفية ، ورُتب لهم من المعلوم والجراية ما

(١) الكامل ١٧٩/١٢ ، وذيل الروضتين ص ٣٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ هـ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٨ .

(٢) مرآة الزمان ٥١٣/٢/١ .

(٣) أي : عام مبعث النبي ﷺ .

(٤) في ص : «الزبانية» ، وفي م : «المورانية» . وانظر ذيل الروضتين ص ٣٢ .

(٥) في الأصل ، م : «الشهرزوري» . وانظر المصدر السابق ص ٣٣ .

يَنْبَغِي لِمُثْلِهِمْ مِنْ إِقَامَتِهِمْ بِالْدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ .

وفيها اخْتَجَرَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَإِخْوَتِهِ ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَى الرُّهَا خَوْفًا مِنْ إِقَامَتِهِمْ بِمِصْرَ . وفيها اسْتَحْوَذَتِ الْكُرُجُ عَلَى مَدِينَةِ دَوِينَ ، فَقَتَلُوا أَهْلَهَا وَنَهَبُوهَا ، وَهِيَ مِنْ بِلَادِ أَدَرْبِيجَانَ ، وَذَلِكَ لِاسْتِغَالِ مَلِكِهَا بِالْفِسْقِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، فَتَمَكَّنَتِ الْكُفْرَةُ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِهِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ غُلٌّ فِي غُنَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وفيها تُوفِّيَ الْمَلِكُ غِيَاثُ الدِّينِ الْغُورِيُّ ، أَخُو شَهَابِ الدِّينِ ^(١) ، فَقَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ ، وَتَلَقَّبَ بِلَقَبِ أَبِيهِ ، وَكَانَ غِيَاثُ الدِّينِ عَاقِلًا حَازِمًا شُجَاعًا ، لَمْ تُكْسَرْ لَهُ رَايَةٌ قَطُّ مَعَ كَثَرَةِ ^(٢) حُرُوبِهِ ، وَكَانَ شَافِعِي الْمَذْهَبِ ، قَدْ ابْتَنَى مَدْرَسَةً هَائِلَةً لِلشَّافِعِيَّةِ ، وَكَانَتْ سِيرَتُهُ فِي غَايَةِ الْجُودَةِ ، وَكَذَا سِرِّيرَتُهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَمَنْ تُوفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الْأَمِيرُ ^(٣) الْكَبِيرُ فَلَكُ الدِّينِ ^(٤) ، أَبُو مَنْصُورِ سُلَيْمَانَ بْنِ شَرُوقَ ^(٥) بْنِ خَلْدَكٍ أَخُو الْمَلِكِ الْعَادِلِ لِأُمِّهِ ^(٦) ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْمَحَرَّمِ ، وَدُفِنَ

(١) الكامل ١٢ / ١٨٠ ، والتكملة لوفيات النقلة ٢ / ٤٣٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٢٠ ، وتاريخ الإسلام

(ح) حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ ص ٤٠٤ ، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ١٢١ ، والنجوم الزاهرة ٦ / ١٨٤ .

(٢) في الأصل ، ص : « قلة » .

(٣ - ٣) في م : « علم الدين » . وانظر ترجمته في : الكامل ١٢ / ٨٢ ، وذيل الروضتين ص ٣٣ ،

والمختصر في أخبار البشر ٣ / ١٠٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٠٧ ،

وتاريخ ابن الوردي ٢ / ١١٩ ، والدارس في تاريخ المدارس ١ / ٤٣١ .

(٤) في م : « شيرده » . وانظر : الدارس في تاريخ المدارس ١ / ٤٣٢ .

(٥) في الأصل : « خارك » وفي ص : « جندل » ، وفي م : « جندر » . والمثبت من الدارس ، الموضع

السابق .

(٦) في م : « لأبيه » .

بداره التى جعلها مدرسةً داخلَ بابِ الفراديسِ فى محلَّةِ الأفتريس^(١) ، وأوقف عليها الجُمانَ^(٢) بكمالِها ، تقبَّلَ اللهُ منه .

القاضى ضياءُ الدين الشَّهْرزُورِيُّ^(٣) ، أبو الفَضَائِلِ ، القاسِمُ بنُ يحيى بن عبدِ اللهِ بنِ القاسِمِ الشَّهْرزُورِيُّ المَوْصِلِيُّ ، قاضى القضاةِ ببغدادَ ، وهو ابنُ أخى قاضى القضاةِ بدمشقَ كمالِ الدين الشَّهْرزُورِيُّ أيامَ نورِ الدين ، ولما توفى سنةً ستَّ وسبعين فى أيامِ الدولةِ الصَّلاحيةِ أوصى لولَدِ أخيه هذا بالقضاءِ فولَّيه ، ثم عُزلَ عنه بائِنِ أبى عَصْرُونَ ، وعُوِّضَ بالسَّفارةِ إلى المُلوكِ ، ثم تولَّى قضاءَ بلدةِ المَوْصِلِ ، ثم استُدعى إلى بغدادَ فولَّيها سنتين وأربعةَ أشهرٍ ، ثم استقاله فلم يُقبله الخليفةُ لحظوته عنده ، فاستشفعَ بزوجتهِ ستِّ المُلوكِ على أمِّ الخليفةِ ، وكانت لها مكانةٌ عندها ، فأجيبَ إلى ذلك ، فصارَ إلى قضاءِ حَمَاةٍ لمحَبَّتِهِ إيَّاهَا ، وكان يُعابُ عليه ذلك ، وكانت لديه فضائلُ ، وله أشعارُ رائقةٌ ، وكانت وفاته بحماةٍ فى المنتصفِ من رجبٍ ، رَحِمَهُ اللهُ .

عُبَيْدُ^(٤) اللهُ بنُ على بنِ نَصْرِ بنِ حَمْزَةَ ، أبو بَكْرِ البَغْدَادِيُّ المَعْرُوفُ بابنِ المَرَشَتَائِيَّةِ ، أحدُ الفُضلاءِ المشهورين ، سَمِعَ الحديثَ وجمَعَهُ ، وكانَ طبيباً مُنَجِّماً يَعْرِفُ علُومَ الأوائلِ وأيامَ الناسِ ، وصَنَّفَ ديوانَ الإسلامِ فى تاريخِ دارِ السَّلامِ ،

(١) فى م : « لافتراس » .

(٢) جُمان : جُمان الصُّوى من أرض اليمن .

(٣) خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٣٤٣/٢ ، وذيل الروضتين ص ٣٥ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٠٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢٧٢/٧ ، والنجوم الزاهرة ١٨٣/٦ .

(٤) فى م ، ص : « عبد » . وانظر ترجمته فى : ذيل الروضتين ص ٣٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣٩٧/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٩٤ ، وتاريخ ابن الساعى ١١٢/٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٤٤٢/١ .

ورثته على ثلاثمائة وستين كتاباً إلا أنه لم يُشتهر، وجمع سيرة ابن هُبَيْرَةَ . وقد كان يزعم أنه من سُلالة الصُّدِّيقِ ، فتكلَّموا فيه بسبب ذلك . وأنشد بعضهم ^(١) :

دَعِ الْأَنْسَابَ لَا تَغْرُضْ لِتَيْمٍ فَإِنَّ الْهُجْنَ مِنْ وَلَدِ الصَّيِّمِ
لَقَدْ أَضْبَحْتَ مِنْ تَيْمٍ دَعِيًّا كَدَعَوَى حَيْصٍ يَيْصُ إِلَى تَيْمٍ

ابْنُ النَّجَا الْوَاعِظُ ، عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَجَا ، زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ الدَّمَشَقِيُّ ^(٢) ، الْوَاعِظُ الْحَنْبَلِيُّ ، ^(٣) وَسِبْطُ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ الشَّيرَازِيُّ الْحَنْبَلِيُّ ^(٤) . قَدِيمٌ بَعْدَازٍ فَتَقَفَّهَ بِهَا ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ جِهَةِ نُورِ الدِّينِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَحَدَّثَ بِهَا ، ثُمَّ كَانَتْ لَهُ حُظُوءَةٌ عِنْدَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ ، وَهُوَ الَّذِي نَمَّ عَلَى عُمَارَةَ الْيَمِينِيِّ وَذَوِيهِ فَصُلِبُوا ، وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ بِمَصْرَ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّتِي خُطِبَ فِيهَا بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْجُمُعَةِ ، وَكَانَ وَقْتُاً مَشْهُودًا ، وَكَانَ يَعِيشُ عَيْشًا ^(٥) «أَطْيَبَ مِنْ عَيْشِ الْمُلُوكِ» فِي الْأَطْعِمَةِ وَالْمَلَابِسِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ عَشْرُونَ سُرِّيَّةً ، كُلُّ وَاحِدَةٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ مَاتَ فَقِيرًا لَمْ يُخْلَفْ كَفَنًا ، وَقَدْ أَنْشَدَ وَهُوَ عَلَى مَنْبَرِهِ لِلْوَزِيرِ طَلَّاعِ بْنِ رُزَيْكَ شِعْرًا فَقَالَ ^(٦) :

مَشِيئِكَ قَدْ قَضَى صَبَغَ الشَّبَابِ وَحَلَّ الْبَارُ فِي وَكْرِ الْغُرَابِ

(١) ذيل الروضتين ، ص ٣٤ .

(٢) مرآة الزمان ٥١٥/٢/٨ ، وذيل الروضتين ص ٣٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣٩٣/٢١ ، وتاريخ الإسلام

(حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٩٨ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٤٣٦/١ .

(٣ - ٣) سقط من الأصل ، م .

(٤ - ٤) في الأصل ، ص : «هائلاً كما» .

(٥) ذيل الروضتين ، الموضع السابق .

(٦) في م : «شرح» .

تَنَامُ وَمُقْلَةٌ الْحَدَثَانِ يَحْظَى وما نابُ النَّوَابِ عَنْكَ نابِ
وكيف بقاء عُمْرِكَ وَهُوَ كَنْزٌ وقد أَنْفَقْتَ مِنْهُ بِلَا حِسَابِ
الشيخ أبو البركات، محمد بن أحمد بن سعيد التُّكْرَيْتِيُّ^(١) يُعْرَفُ
بالمؤيد، كان أديبًا شاعرًا. ومما نظمَه في الوجيه التَّحَوُّيَّ - حين كان حَنْبَلِيًّا،
فانتقل حَنْبَلِيًّا، ثم صارَ شافِعِيًّا - في حَلَقَةِ النَّحْوِ بِالنُّظَامِيَّةِ^(٢) :

أَلَا مُبْلِغٌ^(٣) عَنِّي الْوَجِيهَ رِسَالَةً وإنْ كَانَ لَا تُجْدِي لَدَيْهِ الرِّسَائِلُ
تَمَذَّهَبَتْ لِلتُّعْمَانِ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ وذلكَ لَمَّا أَعْوَزْتُكَ الْمَاكِلُ
وما اخْتَزَتْ رَأْيَ^(٤) الشَّافِعِيِّ تَدْيِينًا^(٥) وَلَكِنَّمَا تَهْوَى الَّذِي هُوَ حَاصِلُ
وعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ لَا شَكَّ صَائِرٌ إِلَى مَالِكٍ فَافْطِنْ^(٦) لَمَّا أَنْتَ قَائِلُ؟

السُّتُّ الْجَلِيلَةُ الْمَصُونَةُ زُمُرُدٌ^(٧) خَاطُونَ أُمِّ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ بْنِ^(٨)
الْمُسْتَضَيِّ، كَانَتْ صَالِحَةً عَابِدَةً كَثِيرَةَ الْبِرِّ وَالصُّلَاتِ^(٩) وَالْأَوْقَافِ

(١) التكملة لوفيات النقلة ١/٤٥٤، وذيل الروضتين ص ٣٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٠٨، والوافي بالوفيات ٢/١١٥، والملقى الكبير للمقرئ ٥/٢٦٢.
(٢) ذيل الروضتين، الموضع السابق، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٠٩، والوافي بالوفيات ٢/١١٥.

(٣) في م: «مبلغا».

(٤) في م: «قول».

(٥) في م: «ديانة».

(٦ - ٦) في م: «إلى ما أنت»، وفي ذيل الروضتين، وتاريخ الإسلام: «لما أنا».

(٧) في الأصل، ص: «درة». وانظر ترجمتها في: مرآة الزمان ٨/٢٠١٣، وذيل الروضتين ص ٣٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٣٨٥، والوافي بالوفيات ١٤/٢١٣، والنجوم الزاهرة ٦/١٨٢.

(٨) في م: «زوجة».

(٩) في الأصل، ص: «الصلة».

^(١) والصدقات، عمّرت المصانع^(٢) بطريق الحِجَارِ الشريف، وأصلحت الطُرُقَاتِ^(٣)، وبَنَتْ لها ثُوبَةً إلى جانبِ قَبْرِ مَعْرُوفِ الكَرْخِيِّ، وكانت جِنَازَتُهَا مشهُودَةً جَدًّا، واشتَمَرَّ العَزَاءُ بِسَبِّهَا شَهْرًا، عاشت في خِلَافَةٍ وَلَدَهَا أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً نافذةَ الكَلِمَةِ مُطَاعَةً الأوامِرِ.

وفي هذه السَنَةِ كان مَوْلِدُ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ أَبِي شَامَةَ، وقد تزَجَمَ نَفْسَهُ عِنْدَ ذِكْرِ مَوْلِدِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فِي «الذَّيْلِ»^(٤) تَرْجَمَةً مُطَوَّلَةً، فَيُنْقَلُ إِلَى سَنَةِ وَفَاتِهِ، رَجِمَهُ اللَّهُ، وَذَكَرَ بَدْءَ أَمْرِهِ وَاشْتِغَالِهِ، وَمُصَنَّفَاتِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَسْعَارِهِ، وَمَا رَأَى لَهُ مِنَ الْمَنَامَاتِ الْمُبَشِّرَةِ. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ ابْتِدَاءُ مُلْكِ جِنْكَزْ خَانَ مُلِكِ التَّتَارِ، لَعَنَهُ اللَّهُ، وَجِنْكَزْ خَانٌ هُوَ صَاحِبُ الْيَاسِقِ^(٥)، وَضَعَهَا لِيَتَحَاكَمَ إِلَيْهَا التَّتَارُ^(٦) وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنْ أُمَرَاءِ التُّوْكِ - مِمَّنْ يَتَّبَعِي^(٧) حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ - وَهُوَ وَالِدُ تُوْلَى^(٨)، وَجَدُّ^(٩) هُوَلَاكُو بْنِ تُولَى^(١٠) - الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَعْصِمَ وَأَهْلَ بَغْدَادَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

(١ - ١) سقط من م.

(٢) المصانع: ما كان لماء السماء يحتفرها الناس، فيملؤها ماء السماء؛ يشربونها. التاج (ص ن ع).

(٣) ذيل الروضتين ص ٣٧.

(٤ - ٤) في م: «ليتحاكموا إليها - يعني».

(٥) في ص: «يتبع».

(٦) في الأصل، ص: «مولى»، وفي م: «تولى»، والمثبت من صبح الأعشى ٣٠٨/٤.

(٧ - ٧) في الأصل: «هو لا دون من يولى»، وفي ص: «هو لابن مولى».

سنة ستمائة من الهجرة النبوية^(١)

فى هذه السنة كانت الفرنج قد جمعوا خلقا كثيرا منهم ليستعيدوا بيت المقدس من المسلمين - فيما كانوا زاعمين - فأشغلهم الله بقتال الروم؛ وذلك لأنهم اجتازوا فى طريقهم بالقسطنطينية، فوجدوا ملوكها قد اختلفوا فيما بينهم، فحاصروها حتى فتحوها قسرا، وأباحوها ثلاثة أيام قتلا وأسرا، واحترق أكثر من ربعها، وما أصبح أحد من الروم بعد الثلاثة إلا قتيلا أو فقيرا أو مكبولا أو أسيرا، ولجأ^(٢) عامة من بقى منها إلى كنيسيتها العظمى المسماة بصوفيا^(٣)، فقصدوا الفرنج، فخرج إليهم القسيسون بالأناجيل؛ ليتوسلوا إليهم ويثلوا عليهم، فما التفؤوا إلى شىء مما واجهوهم به، بل قتلوهم أجمعين أكتعين أبصعين، وأخذوا ما كان فى الكنيسة من الحلي والأذهاب والأموال التى لا تحصى ولا تعد، وأخذوا ما كان على الصليبان والحيطان، والحمد لله الرحيم الرحمن، الذى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ثم اقترع ملوك الفرنج وكانوا ثلاثة؛ وهم دوقس^(٤) البنادقة، [٣٢٨/٩] وكان شيخا أعمى ثقاد فرسه، ومركيس الإفرنسيس، وكند أفلند، وكان أكثرهم عددا وعددا، فخرجت الفرعة له ثلاث مرات، فولوه ملك القسطنطينية

(١) الكامل ١٢/١٩٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٥٣.

(٢) فى الأصل، ص: «نجأ».

(٣) فى الأصل: «يسوقنا»، وفى م: «آيا صوفيا». وانظر الكامل ١٢/١٩١.

(٤) فى م: «دوق». وانظر الكامل ١٢/١٩١.

وأخذ الملكان الآخران بعض البلاد، وتحول الملك من الروم إلى الفرنج بالقسطنطينية في هذه السنة ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. ولم يبق بأيدي الروم هنالك إلا ما وراء الخليج، استحوذ عليه رجل منهم يقال له: لشكري^(١). لم يزل مالكا لتلك الناحية حتى توفى، لعنه الله.

ثم إن الفرنج قصدوا بلاد الشام وقد تقوّوا بمملكهم القسطنطينية، فنزلوا عكا، وأغاروا على كثير من بلاد الإسلام من ناحية الغور^(٢) وتلك الأراضي، فقتلوا وسبوا، فنهض إليهم الملك العادل وكان بدمشق - ولله الحمد - واستدعى بالجيوش المصرية والمشرقية، ونازلهم بالقرب من عكا، فكان بينهم قتال شديد ومصابرة عظيمة، ثم وقع الصلح بينهم والهدنة، وأطلق لهم السلطان شيئا من بعض البلدان، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وفي هذه السنة جرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والغورية بالمشرق يطول ذكرها.

وفيها تحارب نور الدين - صاحب الموصل - وقطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي - صاحب سينجار - وساعد الأشرف بن العادل القطب، ثم اضطلحوا فيما بينهم، وتزوج الأشرف أخت نور الدين، وهي الأتابكية بنت عز الدين مسعود بن مؤدود بن زنكي، واقفة المدرسة التي بالسفح، وبها تربيها. وفيها كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والجزيرة وقبرس وغيرها من البلاد؛

(١) في الأصل، ص: «يشكري»، وفي م: «تسكري». والمثبت من الكامل ١٢/١٩٢.

(٢) الغور: غور الأردن بالشام، بين البيت المقدس ودمشق. معجم البلدان ٣/٨٢٢.

قاله ابن الأثير في « كامليه »^(١).

وفيها تغلب رجل من التجار يقال له : محمود بن محمد الحميمي على بعض بلاد حضر موت ؛ ظفار وغيرها ، واستمرت أيامه إلى سنة تسع عشرة وستمائة وما بعدها .

وفي جمادى الأولى منها عقد مجلس لقاضي القضاة ببغداد ، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سليمان الحلبي^(٢) بدار الوزير ، وثبت عليه محضر بأنه يتناول الرشا ، فغزل في ذلك المجلس ، وفسق ، ونزعت الطوحة عن رأسه ، وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

وفيها كانت وفاة الملك ركن الدين بن قلع أرسلان^(٣) ، صاحب بلاد الروم ما بين ملطية وقونية ، وكانت فيه شهامة وصرامة ، غير أنه كان ينسب إلى اغتقاد الفلاسفة ، وكان كهفا لمن ينسب إلى ذلك ، وملجأ لهم ، وظهر منه قبل موته تجهم عظيم ؛ وذلك أنه حاصر أخاه شقيقه - وكان صاحب أنكورية ، وتسمى أيضا : أنقرة - مدة سنتين حتى ضيق عليه الأقوات بها ، فسلمها إليه قسرا ، على أن يعطيه بعض البلاد ، فلما تمكن منه ومن أولاده أرسل إليهم من قتلهم غدرا وخديعة ومكرًا ، فلم ينظروا إلا خمسة أيام حتى ضربه الله تعالى بالقولنج سبعة أيام ومات ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٩] وأقيم بعده في الملك ولده قلع أرسلان ، وكان صغيرا فبقي سنة

(١) الكامل ١٢ / ١٩٨ .

(٢) في م : « الجلي » .

(٣) الكامل ١٢ / ١٩٥ ، والمختصر في تاريخ البشر ٣ / ١٠٥ ، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ١٢٢ ، وكنز الدرر وجامع الفرر ٧ / ١٥٧ .

واحدةً ، ثم نُزِعَ منه المُلْكُ أيضًا ، وصارَ إلى عَمِّهِ كَيْفَ حَسَرُوا .

وفيها قُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ بِوَاسِطِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

[٣٢٨/٩] قال ابنُ الأثير^(١) : وفي رَجَبٍ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِرِبَاطِ

بِغْدَادَ فِي سَمَاعٍ ، فَأَنْشَدَهُمُ الْحَادِي ، وَهُوَ الْجَمَالُ الْحَلِيُّ :

عَوَيْذَلَيْ أَقْصِرَى كَفَى بِمَشِيْبِي عَذْلُ
شَبَابٌ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَشَيْبٌ كَأَنْ لَمْ يَزَلْ
وَحَقٌّ^(٢) لِيَالِي الْوِصَالِ أَوَاخِرُهَا وَالْأَوَّلُ
وَصُفْرَةٌ لَوْنِ الْحَبَابِ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْعَذْلِ
لَعْنُ عَادَ عَيْشِي بِكُمْ حَلَا الْعَيْشُ لِي وَاتَّصَلْ

قال : فَتَحَرَّكَ الصُّوفِيَّةُ عَلَى الْعَادَةِ ، فَتَوَاجَدَ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : أَحْمَدُ

ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الرَّازِي ، فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَحَرَّكَوهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ . قال : وَكَانَ رَجُلًا

صَالِحًا ، وَقَالَ ابْنُ السَّاعِي^(٣) : كَانَ شَيْخًا صَالِحًا صَحِبَ الصَّدْرَ عَبْدَ الرَّحِيمِ شَيْخَ

الشُّيُوخِ . فَشَهِدَ النَّاسُ جِنَازَتَهُ ، وَدُفِنَ بِبَابِ أَتْرَزَ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

أَبُو مُحَمَّدٍ^(٤) ، الْقَاسِمُ ، بِهَاءِ الدِّينِ ، الْحَافِظُ ، ابْنُ الْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ

(١) الكامل ١٢/١٩٨ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، م : « بَشَى » .

(٣) تاريخ ابن الساعي ٩/١١٧ .

(٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ ، م . وَاَنْظَرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : التَّكْمِلَةُ لَوْفِيَّاتِ النُّقْلَةِ ٣/٦ ، وَذِيلُ الرُّوضَتَيْنِ ص ٤٧ ،

وَتَارِيخُ ابْنِ السَّاعِي ٩/١٢٨ ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢١/٤٠٥ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ ٥٩١ -

٦٠٠ هـ) ص ٤٧١ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّبْكِ ٨/٣٥٢ .

عليّ بن هبة الله بن عساكر، كان مولده في سنة سبع وعشرين وخمسمائة،
أسمعه أبوه الكثير، وشارك أباه في أكثر مشايخه، وكتب تاريخ أبيه مرتين
بخطه، وكتب الكثير، وأسمع، وصنّف كُتُبًا عدّة، وخلف أباه في إسماع
الحديث بالجامع، ودار الحديث الثوريّة.

وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر، ودُفن بعد العصر على أبيه بمقابر باب
الصغير شرقيّ قبور الصحابة خارج الحظيرة، رَحِمَهُمَا اللهُ.

الحافظ عبد الغنيّ المقدسيّ، عبد الغنيّ بن عبد الواحد بن عليّ بن
سُرور، الحافظ أبو محمد المقدسيّ^(١)، صاحبُ التّصانيف المشهورة، من
ذلك: «الكمال في أسماء الرجال»، و«الأحكام الكبرى»، و«الصّغرى»،
وغير ذلك، وُلِدَ بجَمَاعِيلَ^(٢) في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة،
وهو أَسَنُّ من^(٣) «ابن خالته» الإمامِ مُوَفَّقِ الدِّينِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ قُدَّامَةَ
المقدسيّ، بأربعة أشهر، وكان قدّومهما مع أهلهما من بيت المقدس إلى مسجد
أبي صالح أوّلًا، ثم انتقلوا إلى السّفح فغرقت الحلة بهم، فقبل لها: الصّالحية.
فسكنوا الدّير، وقرأ الحافظ عبد الغنيّ القرآن، وسمع الحديث، وازنحل هو
والموَفَّقُ إلى بغداد سنة ستين وخمسمائة، فأنزلهما الشيخ عبد القادر عنده في
المدرسة، وكان لا يترك أحدًا ينزل عنده، ولكنه توسّم فيهما النّجاة والخير

(١) ذيل الروضتين ص ٤٦، ومرة الزمان ٥١٩/٢/٨، والتكملة لوفيات النقلة ١٩/٣، وسير أعلام
النبلأ ٤٤٣/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٤٢، وتذكرة الحفاظ
١٣٧٢/٤.

(٢) جماعيل: قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين. معجم البلدان ١١٣/٢.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «عميه»، وفي ص: «ابن عمته». والمثبت من تاريخ الإسلام (حوادث
ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٤٣، وانظر مقدمة المغني بتحقيقنا ٧/١.

والصَّلاحَ ، فأكرمَهُما وأسمَعَهُما ، ثم تُوفِّي بعدَ مُقدِمِهِما بخمسين ليلةً .

وكانَ مِثْلُ عبدِ الغنَّيِّ إلى الحديثِ وأسماءِ الرِّجالِ ، ومِثْلُ المَوْفَّقِ إلى الفِقهِ ، واشتَغَلَ على الشيخِ أبي الفتحِ ابنِ المُنَيِّ^(١) ، ثم قَدِمَا دمشقَ بعدَ أَرْبَعِ سنينَ ، فدخلَ عبدُ الغنَّيِّ إلى مصرَ وإسكندريَّةَ ، ثم عادَ إلى دمشقَ ، ثم ارتَحَلَ إلى الجزيرةِ وبغدادَ ، ثم رحَلَ إلى أَصْبَهانَ ، فسَمِعَ بها الكثيرَ ، ووقَّفَ على مُصَنَّفٍ للحافظِ أبي نُعَيمٍ في أَسْماءِ الصَّحابةِ - قلتُ : وهو عندي بِحَظِّ أبي نُعَيمٍ - فأخَذَ في مُناقَشَتِهِ في أَمَاكِنَ مِنَ الكُتَابِ في مائةٍ وتسعينَ موضِعًا ، فغَضِبَ بَنُو الحُجَنْدِيِّينَ مِنْ ذَلِكَ ، وتَعَصَّبُوا عليه وأَخْرَجُوهُ منها مُخْتَفِيًا في إِزَارٍ .

ولمَّا دَخَلَ في طريقِهِ إلى المَوْصِلِ ، سَمِعَ كُتَابَ العُقَيْلِيِّ في الجَوْحِ والتَّعْدِيلِ ، فثارَ عليه الحَنَفِيَّةُ بسببِ أبي حنيفةَ ، فخرجَ منها أيضًا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فلَمَّا وَرَدَ دمشقَ كانَ يَقرَأُ الحديثَ [٣٢٩/٩] بعدَ صلاةِ الجُمُعَةِ بِرِوَاقِ الحَنَابِلَةِ مِنْ جَامِعِ دمشقَ ، فيجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وكانَ رقيقَ القلبِ ، سريعَ الدُّمعةِ ، فحصلَ له قَبُولٌ ، فحَسَدَهُ الدَّمَاشِقِيُّ ، وجَهَّزُوا الناصِحَ ابنَ الحَنْبَلِيِّ ، فتَكَلَّمَ تحتَ النَّسْرِ^(٢) ، حتَّى يشوَّشَ عليه ، فحوَّلَ عبدُ الغنَّيِّ مِيعَادَهُ إلى بعدِ العَصْرِ ، فذَكَرَ يومًا عَقِيدَتَهُ على الكُرْسِيِّ ، فثارَ عليه القاضي مُحْيِي الدينِ ابنُ الزَكِيِّ ، والخطيبُ ضِيَاءُ الدينِ الدَّوْلَعِيُّ ، وعُقِدَ لَهُ مَجْلِسٌ في القلعةِ يومَ الاثنينِ الرَّابِعِ والعشرينِ مِنْ ذِي القَعْدَةِ سنةَ خمسٍ وتسعينَ .

وتكَلَّمُوا معه في مسألةِ العُلُوِّ ومسألةِ التَّزْوِيلِ ، ومسألةِ الحَرْفِ والصَّوْتِ ،

(١) في ص : « المثنى » . وانظر سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٢١ .

(٢) أى تحت قبة النسرة من جامع دمشق الأموى .

وطالَ الكلامُ، حتى قال له الصارمُ بُزْعُشْ وإلى القلعة^(١) : كلُّ هؤلاء على الضلالة، وأنتَ على الحقِّ؟ قال : نعم . فغَضِبَ بُزْعُشْ مِنْ ذَلِكَ وأمره بالخروج من البلد .

فارتحلَ بعدَ ثلاثٍ إلى بَغْلَبَكْ، ثم إلى الديارِ المصرية، فأواه الطَّحَّانُونَ، فكانَ يقرأ الحديثَ بها، فثارَ عليه الفقهاءُ بمصرَ أيضًا، وكتبوا إلى الوزيرِ صفِيِّ الدِّينِ بنِ شُكْرِ، فأقرَّ بِنَفْيِهِ إلى المغربِ، فماتَ قبلَ وصولِ الكتابِ يومَ الاثنينِ الثالثِ والعشرينَ من ربيعِ الأوَّلِ من هذه السَّنة، وله تسعٌ وخمسونَ سنةً، ودُفِنَ بالقرافةِ عندَ الشيخِ أبي عمرو بنِ مَرْزُوقٍ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ .

قال السَّبْطُ^(٢) : وكان ورعًا زاهدًا عابدًا، يُصَلِّي كلَّ يومٍ ثلاثمائةَ ركعةً، كوزِدَ الإمامَ أحمدَ، ويقومُ الليلَ، ويصومُ عَامَّةَ السَّنةِ، وكانَ كريماً جواداً لا يَدَّخِرُ شيئاً، ويتصدَّقُ على الأرامِلِ والأيتامِ حيثُ لا يراه أحدٌ، وكان يُرْفَعُ ثوبُهُ، ويؤثَرُ بَثْمِنِ الحديدِ، وكان قد ضعُفَ بصرُهُ مِنْ كَثَرَةِ المَطالعةِ والبُكاءِ، وكان أَوْحَدَ زَمَانِهِ في علمِ الحديثِ والحفظِ .

قلتُ : وقد هذَّبَ شَيْخُنَا الحافظُ أبو الحجاجِ المِزِّيُّ - تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ - كتابَهُ «الكَمالَ في أسماءِ الرِّجالِ» - رجالِ الكُتُبِ السَّنةِ - بِتَهْذِيبِهِ الَّذِي اسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ أَمَاكِنَ كَثِيرَةً، نَحْوًا مِنْ أَلْفِ مَوْضِعٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ الْإِمَامُ المِزِّيُّ الَّذِي لَا يُبَارَى وَلَا يُجَارَى وَلَا يُمَارَى، وَكِتَابُهُ «التَّهْذِيبُ» لَمْ يُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَا يُلْحَقُ فِي مِثْلِ شَكْلِهِ، فَرَحِمَ اللَّهُ صَاحِبِي «التَّهْذِيبِ» وَ«الكَمالِ»، فَلَقَدْ

(١) سير أعلام النبلاء ٤٦٣/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٥٥ .

(٢) مرآة الزمان ٥٢١/٢/٨ .

كَانَا نَادِرَيْنِ فِي زَمَانَيْهِمَا فِي الرُّجَالِ حِفْظًا وَإِتْقَانًا وَسَمَاعًا وَإِسْمَاعًا، وَسَوَدًا
لِلْمُتُونِ وَأَسْمَاءِ الرُّجَالِ .

قال ابن الأثير^(١) : وفيها تُوفى أبو الفتح أسعدُ بنُ محمودِ العجلِيّ^(٢)
صاحبُ «تَيْمَةِ التَّيْمَةِ» ، أسعدُ بنُ أبي الفضلِ بنِ محمودِ بنِ خلفِ العجلِيّ ،
الفقيهُ الشافعيُّ الأصبهانيُّ ، الواعِظُ^(٣) مُتَنَجِّبُ الدِّينِ^(٤) ، سَمِعَ الحديثَ ، وَتَفَقَّهَ
وَبَرَعَ ، وَصَنَّفَ «تَيْمَةَ التَّيْمَةِ» لأبي سَعْدِ الهَرَوِيِّ ، وَكَانَ زَاهِدًا عَابِدًا ، وَلَهُ
«شَرْحُ مُشْكَلَاتِ الْوَسِيطِ وَالْوَجِيزِ» ، قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ^(٥) : تُوفِيَ فِي صَفَرٍ سَنَةِ
سِتِّمِائَةٍ .

البَنَانِيُّ الشَّاعِرُ ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَنَّا^(٦) ، الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَنَانِيِّ ،
مَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَالْوُزَرَءَ وَالْأَمْرَاءَ وَغَيْرَهُمْ ، وَكَبِيرٌ وَعَلَتْ سِنُّهُ ، وَكَانَ رَقِيقَ الشَّعْرِ
لَطِيفَهُ ، فَمِنْ قَوْلِهِ^(٧) :

ظَلَمًا تَرَى مُغْرَمًا فِي الْحَبِّ تَرْجُرُهُ وَغِرَةً بِالْهَوَى أَمْسَيْتَ تُنْكِرُهُ
يَا عَاذِلَ الصَّبِّ لَوْ عَاتَبْتَ قَاتِلُهُ بَوَجْنَةٍ وَعِذَارٍ كُنْتَ تَعْذُرُهُ
أَفْدَى الذِّي سَحَرُ عَيْنِيهِ يَعْلَمُنِي [٣٢٩/٩] إِذَا تَصَدَّى لِقَتْلَى كَيْفَ أَسْحَرُهُ

(١) الكامل ١٢/١٩٩ .

(٢) التكملة لوفيات النقلة ٣/١٠ ، ووفيات الأعيان ١/٢٠٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٠٢ ، وتاريخ

الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٢٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٨/١٢٦ .

(٣ - ٣) في الأصل ، م : «منتخب الدين» ، وانظر مصادر الترجمة .

(٤) وفيات الأعيان ١/٢٠٩ .

(٥) التكملة لوفيات النقلة ٣/٥٤ ، وتاريخ ابن الساعي ٩/١٣٧ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات

٥٩١ - ٦٠٠ هـ) ص ٤٧٩ ، والوافي بالوفيات ٥/٨٢ .

(٦) تاريخ ابن الساعي ٩/١٣٧ .

يَسْتَمْتِعُ اللَّيْلَ فِي نَوْمٍ وَأَشْهَرُهُ
وَلَهُ أَيْضًا ^(١) :

بَكَرْتُ تَدِيرُ عَلَى الْعَوَازِلِ وَتَجُرُّ ذِيلاً فِي الْخَمَائِلِ
وَتَهْزُ فِي ثَنَى الْغَلَا ثَلِ رَذَفُهَا هَزُّ الذَّوَابِلِ
وَتَقُولُ لِلْغَصَنِ الرُّطْبِ إِذَا تَمَاطَلْ أَوْ تَمَاطِلُ
بَيْضَاءُ صَبْغَةً خَذَهَا تَنْمَى وَصَبْغُ الْوَرْدِ حَائِلُ
شَهِدُ الْحَيَاةِ وَصَالُهَا وَصَدُورُهَا سُمُّ الْقَوَاتِلِ

أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ خَالِدٍ ^(٢) بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَضِرٍ ^(٣) النَّضْرَانِيُّ الْمَارِدِينِيُّ ،
الْمُلَقَّبُ بِالْوَحِيدِ ، اشْتَغَلَ فِي حَدَائِثِهِ بِعِلْمِ الْأَوَائِلِ فَاتَّقَنَهُ وَبَرَزَ فِيهِ ، وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ
طَوَّلَى فِي الشَّعْرِ الرَّائِقِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ، قَاتَلَهُ اللَّهُ ^(٤) :

أَتَانِي كِتَابٌ أَنْشَأْتَهُ أَنَامِلُ حَوَتْ أَبْحُرًا مِنْ فَيْضِهَا يَغْرُقُ الْبَحْرُ
فَوَا عَجَبًا أَنِّي التَّوْتُ فَوْقَ طَرْسِهِ ^(٥) وَمَا عَوَّدْتُ بِالْقَبْضِ أُمْلُهُ الْعَشْرُ
وَلَهُ أَيْضًا لَعَنَهُ اللَّهُ ^(٤) :

لَقَدْ أَثَّرَتْ صُدْغَاهُ فِي لَوْنِ خَدِّهِ وَلاَحَ كَفْيٌ مِنْ وَرَاءِ رُجَاكِ
تَرَى عَشْكَرًا لِلرُّومِ فِي الزَّنْجِ قَدْ بَدَتْ طَلَائِعُهُ تَسْعَى لِيَوْمِ هِيَاكِ
أَمِ الصُّبْحُ بِاللَّيْلِ الْبَهِيمِ مُوشِخٌ حَكَى أَبْنَوْسًا فِي صَفِيحَةِ عَاكِ

(١) تاريخ ابن الساعي ١٣٧/٩ .

(٢) في م : « خلد » . وانظر ترجمته في : تاريخ ابن الساعي ١٤١/٩ .

(٣) سقط من : م ، وفي الأصل : « محطر » ، وفي ص : « محظر » . والمثبت من مصدر الترجمة .

(٤) تاريخ ابن الساعي ١٤٢/٩ .

(٥) الطرس : الصحيفة .

لقد غَارَ صُدْغَاهُ عَلَى وَرْدٍ خَدَّهُ فَسَيَّجَهُ مِنْ شِعْرِهِ بِسِيَّاحِ
 الطَّائُوسِيِّ صَاحِبِ الطَّرِيقَةِ، الْعِرَاقِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعِرَاقِيِّ^(١)، رُكْنُ الدِّينِ
 أَبُو الْفَضْلِ الْقَزْوِينِيُّ، ثُمَّ الْهَمْدَانِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِالطَّائُوسِيِّ، كَانَ بَارِعًا فِي عِلْمِ
 الْخِلَافِ وَالْجَدَلِ وَالْمُنَاطَرَةِ، أَخَذَ هَذَا الشَّأْنَ عَنِ الشَّيْخِ رَضِيِّ الدِّينِ النَّيْسَابُورِيِّ
 الْحَنْفِيِّ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَ تَعَالِيْقَ، قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ^(٢): أَحْسَنُهُنَّ الْوُسْطَى .
 وَكَانَتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَةُ بِهِمْدَانَ، وَقَدْ بَنَى لَهُ بَعْضُ الْأَمْراءِ الْحَجَبَةَ بِهَا مَدْرَسَةً تُعْرَفُ
 بِالْحَاجِيَّةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَيُقَالُ^(٣): إِنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى طَائُوسِ بْنِ
 كَيْسَانَ التَّابِعِيِّ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) وفيات الأعيان ٣/٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٥٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ) ص ٤٦٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٨/٣٤٦، وشذرات الذهب ٤/٣٤٦ .
 (٢) وفيات الأعيان ٣/٢٥٩ .
 (٣) المصدر السابق .

ثم دخلت سنة إحدى وستمائة

فيها^(١) عزَل الخليفة الناصر وَلَدَه مُحَمَّدًا الملقَّب بالظاهرِ عن ولايةِ العهدِ بعدَ ما خطَبَ له بذلك سبعَ عشرةَ سنةً ، ووَلَّى العهدَ وَلَدَه الآخرَ عليًّا ، فماتَ عليٌّ عن قريبٍ ، فعادَ الأمرُ إلى الظَّاهرِ ، فبُويعَ له بالخِلافةِ بعدَ أبيه النَّاصرِ ، كما سيأتى فى سنةِ ثلاثٍ وعشرينَ .

وفيهما وَقَعَ حريقٌ عظيمٌ بدارِ الخلافةِ فى خزائنِ السِّلَاحِ ، فاحترقَ شىءٌ كثيرٌ من السِّلَاحِ والأُمُتعةِ والمساكينِ ما يُقاربُ قيمتهُ أربعةَ آلافِ ألفِ دينارٍ ، وشاعَ خبرُ هذا الحريقِ فى الناسِ ، فأرسلَتِ الملوكُ من سائرِ الأقطارِ هدايا ؛ أسلحةً إلى الخليفةِ عِوضًا ممَّا فاتَ شيئًا كثيرًا ، وللهِ الحمدُ .

وفيهما عاثتِ الكُرُجُ ببلادِ المسلمينَ فقتلُوا خلقًا ، وأسروا أئمةً . وفيها وقعتِ الحربُ بينَ أميرِ مَكَّةَ قتادةَ الحُسَينى^(٢) ، وبينَ أميرِ المدينةِ سالمِ بنِ قاسمِ الحُسَينى ، وكان قتادةُ قد قصَدَ المدينةَ فحصرَ سالمًا فيها ، فركبَ إليه سالمٌ بعدَ ما صلَّى عندَ الحُجُرةِ النبويَّةِ واستنصرَ اللهَ على قتادةَ ، ثم برَزَ إليه فكسره ، وساقَ وراءه إلى مَكَّةَ فحصره بها ، ثم أرسلَ قتادةُ إلى أمراءِ سالمٍ فأفسدَهم عليه ، وكرَّ سالمٌ راجعًا إلى المدينةِ وهو سالمٌ .

(١) الكامل ١٢/٢٠٠ ، وذيل الروضتين ص ٥٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٥ .

(٢) فى الأصل ، م : « الحسينى » . وانظر الكامل ١٢/٢٠٥ .

وفيهَا مَلِكٌ غِيَاثُ الدِّينِ كَيْخَسْرُو بْنُ قَلِجٍ أَرْسَلَان [٣٣٠/٩] بِنِ مَسْعُودِ بْنِ قَلِجٍ أَرْسَلَانِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ قُتْلُمِشَ بِلَادِ الرُّومِ وَاسْتَلَبَهَا مِنْ ابْنِ أَخِيهِ ، وَاسْتَقَرَّ هُوَ بِهَا ، وَعَظَّمْ شَأْنَهُ وَقَوَّيْتُ شَوْكَتَهُ ، وَكَثُرَتْ عَسَاكِرُهُ ، وَأَطَاعَهُ الْأُمَرَاءُ وَأَصْحَابُ الْأَطْرَافِ ، وَخَطَبَ لَهُ الْأَفْضَلُ بْنُ صِلَاحِ الدِّينِ بِسَمَيْسَاطَ ، وَسَارَ إِلَى خِدْمَتِهِ . وَاتَّفَقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنَّ رَجُلًا بِيَعْدَادَ نَزَلَ إِلَى دِجْلَةَ يَسْبِيحُ فِيهَا ، وَأَعْطَى ثِيَابَهُ لُغْلَامِهِ فَعَرِقَ فِي الْمَاءِ ، فَوُجِدَ فِي وَرْقَةٍ بِعِمَامَتِهِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ ^(١) :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَانَ لِي أَمَلٌ قَصَّرَ بِي عَنْ بُلُوغِهِ الْأَجَلَ
فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبُّهُ رَجُلٌ أَمَكْنَهُ فِي زَمَانِهِ الْعَمَلَ
مَا أَنَا وَخَدِي نُقِلْتُ حَيْثُ تَرَى كُلُّ إِلَى مِثْلِهِ سَيَتَّقِلُ

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَغْيَانِ :

أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ ^(٢) بْنُ الْحَسَنِ ^(٢)بْنِ عَنَتَرِ بْنِ ثَابِتِ الْحِلِّيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِشَمْسِيمٍ ، كَانَ شَيْخًا أَدِيبًا فَاضِلًا لُغَوِيًّا شَاعِرًا ، جَمَعَ مِنْ شَعْرِهِ حِمَاسَةً كَانَ يَفْضُلُهَا عَلَى حِمَاسَةِ أَبِي تَمَّامَ ، وَلَهُ خَمْرِيَّاتٌ يَزْعُمُ أَنَّهَا أَفْحَلُ مِنَ الَّتِي لِأَبِي نُوَّاسٍ . قَالَ أَبُو شَامَةَ فِي « الذَّلِيلِ » ^(٣) : كَانَ قَلِيلَ الدِّينِ ذَا حِمَاقَةٍ وَرَقَاعَةٍ وَخَلَاعَةٍ ، وَلَهُ حِمَاسَةٌ وَرَسَائِلُ . قَالَ ابْنُ السَّاعِي ^(٤) : قَدِيمَ بَعْدَادَ فَأَخَذَ النَّحْوُ عَنْ ابْنِ الْخَشَّابِ ، وَحَصَّلَ

(١) الأبيات في تاريخ ابن الساعي ١٥٢/٩ .

(٢ - ٢) سقط من الأصل ، م . وانظر ترجمته في : معجم الأدباء ٥٠/٣ ، وإنباه الرواة ٢/٢٤٣ ، وذيل الروضتين ص ٥٢ ، وتاريخ ابن الساعي ١٥٧/٩ ، ووفيات الأعيان ٣/٣٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤١١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٦١ .

(٣) ذيل الروضتين ص ٥٢ .

(٤) تاريخ ابن الساعي ١٥٧/٩ ، ١٥٨ .

طَرْفًا صَالِحًا مِنَ النَحْوِ وَاللُّغَةِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ حَتَّى تُوفِّيَ بِهَا .
وَمِنْ شَعْرِهِ فِي حِمَاسَتِهِ ^(١) :

لَا تَسْرَحَنَّ الطَّرْفَ فِي بَقْرِ ^(٢) الْمَهَا فَمَصَّارِعُ الْآجَالِ فِي الْآجَالِ ^(٣)
كَمْ نَظْرَةً أَرَدْتُ وَمَا أَخَذْتُ يَدَ لِدُ الْمُضْمِيِّ ^(٤) لِمَنْ قَتَلْتُ أَدَاةَ قِتَالِ
سَنَحْتُ وَمَا سَمَحْتُ بِتَسْلِيمِ إِقْلَالِ ^(٥) التَّحِيَةِ فِعْلَةً الْمَغْتَالِ ^(٦)
^(٧) وَمِنْ خَمَرِيَّاتِهِ قَوْلُهُ :

امزُجْ بِمَسْبُوكِ اللَّجِينِ دَمَا حَكَتْهُ دَمَوْعُ عَيْنِي
لَمَّا نَعَى نَاعَى الْفِرَا قِي بَيْنِي مَنْ أَهْوَى وَيَتْنِي
خَفَقَتْ لَنَا شَمْسَانِ مِنْ لِأَلَائِهَا فِي الْخَافَقِينَ
وَبَدَتْ لَنَا فِي كَأْسِهَا مِنْ لَوْنِهَا فِي حُلَّتَيْنِ ^(٧)
وَلَهُ فِي التَّجْنِيسِ ^(٨) :

لَيْتَ مَنْ طَوَّلَ بِالشَّيْءِ أَمَّ نَوَاهُ ^(٩) وَتَوَى بِهِ

(١) معجم الأدباء ٥٩ / ١٣ ، ٦٠ ، وإنباه الرواة ٢ / ٢٤٥ .

(٢) فى م : « مقل » .

(٣) الآجال الأولى : جمع أجل ، وهى غاية الوقت فى الموت ، والآجال الثانية : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . اللسان (أ ج ل) .

(٤) المصمى : يقال : أصمى الصائد الصيد ؛ أصابه فوق بين يديه . الوسيط (ص م ي) .

(٥) فى الأصل ، م : « أغلال » ، وفى ص : « أعلال » . والمثبت من معجم الأدباء ، وإنباه الرواة .

(٦) فى الأصل : « المختال » ، وفى م ، ص : « المحتال » . والمثبت من معجم الأدباء ، وإنباه الرواة .

(٧ - ٧) سقط من : م . وانظر الأبيات فى معجم الأدباء ٥٤ / ١٣ .

(٨) معجم الأدباء ٥٦ / ١٣ ، ٥٧ .

(٩) فى النسخ : « نواه » . والمثبت من معجم الأدباء .

جَعَلَ الْعَوْدَ إِلَى الرَّوِّ رَاءَ مِنْ بَعْضِ ثَوَابِهِ
 أَتَرَى يُوطِئُنِي الدَّهْرُ ثَرَى مِسْكٍ ثَرَابِهِ
 وَأَرَى أَيْ نَوْرَ عَيْنِي مَوْطِئًا لِي وَتَرَى بِهِ
 أَبُو نَضْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ اللَّهِ بْنِ نَضْرٍ بْنِ سَعِيدٍ ^(١) «بِالِدَّجَاجِيِّ»، كَانَ بِهِيًّا
 وَاعْظًا حَنِئِيًّا فَاضِلًا شَاعِرًا مَجِيدًا، وَلَهُ ^(٢) :

نَفْسُ الْفَتَى إِنْ أَضْلَحَتْ أَحْوَالَهَا كَانَ إِلَى نَيْلِ الْمُنَى أَحْوَى لَهَا
 وَإِنْ تَرَاهَا سَدَّدَتْ أَقْوَالَهَا كَانَ عَلَى حَمْلِ الْعَلَا أَقْوَى لَهَا
 فَإِنْ تَبَدَّدَتْ حَالُ مَنْ لَهَا لَهَا فِي قَبْرِهِ عِنْدَ الْبَلَى لَهَا لَهَا
 أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَشْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُرْطُبِيُّ الْخَزَرَجِيُّ ^(٣)، كَانَ إِمَامًا
 فِي التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْعَرُوضِ وَالطَّبِّ، وَلَهُ
 تَصَانِيفٌ حَسَنَةٌ، وَشِعْرٌ رَائِقٌ، مِنْهُ قَوْلُهُ ^(٤) :

وَفِي الْوَجَنَاتِ مَا فِي الرُّوضِ لَكِنْ لِرَوْنَقٍ زَهْرُهَا مَعْنَى عَجِيبُ
 وَأَعْجَبُ مَا التَّعْجُبُ عَنْهُ أَنِّي أَرَى الْبَسْتَانَ يَحْمِلُهُ قَضِيبُ
 أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَرْنَقَشَ ^(٤) السَّنْجَارِيُّ، مُؤَلَّى صَاحِبِهَا عِمَادِ الدِّينِ
 زَنْكِي بْنِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِي، وَكَانَ جَنْدِيًّا حَسَنَ الصُّورَةِ، مَلِيحَ النَّظْمِ، كَثِيرَ

(١ - ١) سقط من: م. وانظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٨٤/٣، وذيل الروضتين ص ٥٢،
 وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٧١، والذيل على طبقات الحنابلة ٣٤/٢،
 والوافي بالوفيات ٩١/٣، والنجوم الزاهرة ١٨٧/٦.

(٢) ذيل الروضتين ص ٥٢.

(٣) تاريخ ابن الساعي ١٦٣/٩.

(٤) المصدر السابق ١٦٤/٩.

الأدب ، ومن شعره ما كتب به إلى الملك الأشرف موسى بن العادل يعزيه في أخ له اسمه يوسف :

دُمُوعُ المعالي والمكارمِ دُرُفُ	وربُّ العُلا قاعٌ لفقدك صَفَصَفُ
[ط ٣٣٠/٩] غدا الجودُ والمعروفُ في اللحدِ ثاوياً	غداةٌ ثوى في ذلك اللحدِ يوسفُ
فتى خَطَفَتْ كَفَّ المنيّةِ رُوحَهُ	وقد كانَ للأزواجِ بالبيضِ يَخْطَفُ
سَقَتَهُ لِيالي الدَّهرِ كأسَ حِمَامِهَا	وكانَ بسقي الموتِ في الحزبِ يُعرَفُ
فوا حَشَرْتا لو يَنْفَعُ الموتَ حَسْرَةُ	ووا أَسفا لو كانَ يجدي التأسفُ
وكانت على الأرزاءِ نفسى قويّةً	ولكنّها عن حملِ ذا الرُزءِ تَضَعُفُ

أبو الفضل إلياس بن جامع بن عليّ الإربلي^(١) ، تفقّه بالنظاميّة ، وسمع الحديث ، وصنّف « التاريخ » وغيره ، وتفرّد بحسنِ كتابةِ الشُّروطِ ، وله فضلٌ ونظمٌ حسنٌ ، منه قوله^(٢) :

أُمرِضَ قلبي ، ما لهجرِكَ آخِرُ	ومُسْهِرَ طَوْفى ، هل خيالك زائرُ
ومستعذِبَ التّعذيبِ جوراً بصدّه	أمالكَ فى شَرعِ المحبّةِ زاجرُ
هنيئاً لك القلبُ الذى قد وفّقته	على ذكرِ أيامى وأنتَ مسافرُ
فلا فارَقَ الحزنُ المبرّحُ خاطرى	لبُعْدِكَ حتى يجمعَ الشَّمْلَ قادرُ
فإنّ ميتٌ فالتَّسليمُ منى عليكم	يُعاوِدُكم ما كَبّرَ اللّهَ ذاكرُ

أبو السَّعاداتِ الحليّ^(٣) ، التاجرُ البَغْدادِيّ الرافِضِيّ ، كانَ فى كُلِّ جُمُعَةٍ

(١) التكملة لوفيات النقلة ٩٣/٣ ، وتاريخ ابن الساعى ١٦٥/٩ ، والمختصر المحتاج إليه ص ١٤٨ ،

وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٤٨ ، وطبقات الشافعية للإسنوى ١٢٥/١ .

(٢) تاريخ ابن الساعى ١٦٥/٩ .

(٣) فى ص : « الحبلَى » ، وفى تاريخ ابن الساعى ١٦٢/٩ : « الجبلى » .

يَلْبَسُ لَأَمَّةَ الْحَرْبِ، وَيَقِفُ خَلْفَ بَابِ دَارِهِ، وَهُوَ مُجَافٌ عَلَيْهِ، وَالنَّاسُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَخْرُجَ صَاحِبُ الزَّمَانِ مِنْ سِوْدَابِ سَامَرَا - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْعَشْكَرِيِّ - لِيَمِيلَ بِسَيْفِهِ فِي النَّاسِ نُصْرَةً لِلْمَهْدِيِّ.

أَبُو غَالِبٍ بْنُ كَمُونَةَ^(١) الْيَهُودِيُّ الْكَاتِبُ، كَانَ يُرَوِّزُ عَلَى خَطِّ ابْنِ مُقْلَةَ مِنْ قُوَّةِ خَطِّهِ، تُوفِّيَ لَعَنَهُ اللَّهُ، بِمَطْمُورَةٍ وَاسِطٍ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ السَّاعِيِّ فِي «تَارِيخِهِ»^(٢).

وَفِيهَا تُوفِّيَ يَهُودِيٌّ آخَرُ يُقَالُ لَهُ: أَبُو غَالِبٍ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ بْنِ شَبْرِ. كَانَ عَامِلًا عَلَى دَارِ الضَّرْبِ بِبَغْدَادَ، ذَكَرَهُ ابْنُ السَّاعِيِّ الْخَازِنُ فِي «تَارِيخِهِ»^(٣).

(١) فِي م: «كَمُونَةُ». وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: تَارِيخِ ابْنِ السَّاعِيِّ ١٦٥/٩.

(٢) تَارِيخِ ابْنِ السَّاعِيِّ ١٦٥/٩.

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ١٦٦/٩.

ثم دخلت سنة ثنتين وستمائة

فيها^(١) وقعت حربٌ عظيمةٌ بينَ الملكِ شهابِ الدينِ محمدِ بنِ سامِ الغُورِيِّ، صاحبِ غَزَنَ، وبينَ بنى كَوَكْرَ^(٢) أصحابِ الجبلِ الجُودِيِّ، وكانوا قد ارتدُّوا عن الإسلامِ، فقاتلهم وكسَرهم، وغَنِمَ منهم شيئاً كثيراً لا يُحَدُّ ولا يوصَفُ، فاتَّبَعَهُ بعضهم حتى قَتَلَهُ غِيْلَةً فى لَيْلَةٍ مُسْتَهْلٍ شَعْبَانَ منها بعدَ العِشاءِ، رَحِمَهُ اللهُ، وكان مِن أجودِ الملوكِ سيرةً، وأَعْقَلِهِم وأَثْبَتِهِم فى الحربِ، تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، ولَمَّا قُتِلَ كان فى صُحْبَتِهِ فخرُ الدينِ الرَّازِئِ، وكان يجلسُ للوعظِ فيحضرُ الملكُ وعظَه، ويبكى حينَ يقولُ له فى آخرِ مجلسِهِ^(٣): يا سلطانُ، سلطَانُكَ لا يَبْقَى، ولا تَلْبِيسُ الرَّازِئِ أَيْضاً، وإنَّ مَرَدَّنَا جَمِيعاً إلى اللهِ. وحينَ قُتِلَ السلطانُ اتَّهَمَهُ بعضُ الخاصِّكِينَ بِقَتْلِهِ، فخافَ مِن ذلك، والتجأَ إلى الوزيرِ مُؤَيَّدِ الملكِ بنِ خواجا، فسَيَّرَهُ إلى حيثُ يَأْمَنُ، وتملَّكَ غَزَنَ بعدهُ أحدُ مَماليكِهِ؛ تاجُ^(٤) الدينِ الدُّرِّ، وجرتَ بعدَ ذلكَ خطوبٌ يطولُ بسطُها، قد استقصاها ابنُ الأثيرِ وابنُ السَّاعِى.

وفىها أَغارَتِ الكُرُجُ على بلادِ المسلمين، فوصلُوا إلى خِلاطَ، فقتلُوا وسبُّوا،

(١) الكامل ٢٠٨/١٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٩.

(٢) فى م: «بوكر».

(٣) الكامل ٢١٦/١٢.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «الدر». وانظر الكامل ٢١٤/١٢، وتاريخ ابن الساعى ١٧٣/٩.

وقَاتَلَهُمُ الْمُقَاتِلَةُ وَالْعَامَّةُ . وفيها سار صاحبُ إِزْبِلَ مُظَفَّرُ الدِّينِ كُوكُبُورِي^(١)
وصحبته صاحبُ مِرَاغَةَ لِقِتَالِ مَلِكِ أَذْرَبَيْجَانَ ، وهو أَبُو بَكْرِ بْنُ الْبَهْلَوَانِ^(٢) ؛
وذلك لِنُكُولِهِ عَنِ قِتَالِ الْكُرْجِ ، وإِقْبَالِهِ عَلَى الشُّكْرِ لِيلاً وَنَهَارًا ، فلم يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ،
ثم إِنَّهُ تَزَوَّجَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِنْتَ مَلِكِ الْكُرْجِ ، فَاثْنَكَفَ شَرَّهُمْ عَنْهُ . قال ابْنُ
الْأَثِيرِ^(٣) : [٣٣١/٩] وكان كما يقالُ : أَعْمَدَ سَيْفَهُ وَسَلَّ أَثَرَهُ .

وفيها اسْتَوَزَرَ الْخَلِيفَةُ نَصِيرُ الدِّينِ نَاصِرَ بْنَ مَهْدِيٍّ الْعَلَوِيِّ الْحَسَنِيِّ ، وَخَلَعَ
عَلَيْهِ بِالْوِزَارَةِ وَضَرِبَتِ الطُّبُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَلَى بَابِهِ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ . وفيها
أَغَارَ صَاحِبُ بِلَادِ الْأَرَمَنِ ، وهو ابْنُ لَأُون^(٤) عَلَى بِلَادِ حَلَبَ ، فَقَتَلَ وَسَبَى
وَنَهَبَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ غَازِي بْنُ النَّاصِرِ ، فَهَرَبَ ابْنُ لَأُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
فَهَدَمَ الظَّاهِرُ قَلْعَةً كَانَ قَدْ بَنَاهَا ، وَذَكَّهَا إِلَى الْأَرْضِ .

وفى شَعْبَانَ مِنْهَا هُدِمَتِ الْقَنْطَرَةُ الرُّومَانِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ ،
وُنُشِرَتْ حِجَارُهَا لِيُنْطَلَقَ بِهَا الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ بِسِفَارَةِ الْوَزِيرِ صَفِيِّ الدِّينِ بْنِ شُكْرِ ،
وَزِيرِ الْعَادِلِ ، وَكَمَلَ تَبْلِيغُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ .

وَمَنْ تُوْفِيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، جَمَالِ الْإِسْلَامِ

(١) فِي النِّسْخِ : « كُوكُرِي » . وَفِي الْكَامِلِ ٢٣٦/١٢ ، وَتَارِيخُ ابْنِ السَّاعِي ١٧٥/٩ : « كُوكُبُورِي » .

وَالْمُتَبَيَّنُ مِنْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ١١٣/٤ ، وَالْعَبَرُ ١٢١/٥ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ١٣٨/٥ .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، م : « الْبَهْلُولُ » . وَانْظُرِ الْكَامِلَ ٢٤٢/١٢ .

(٣) الْكَامِلُ ٢٤٢/١٢ .

(٤) فِي الْكَامِلِ ٢٣٨/١٢ ، وَتَارِيخُ ابْنِ السَّاعِي ١٧٦/٩ : « لِيُون » . وَانْظُرِ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ

وَوَفَيَاتُ ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٩ .

الشَّهْرُزُورِيُّ^(١)، بمدينة جَمَصَ، وقد كان أُخْرِجَ إليها مِن دِمَشقَ، وكان قَبْلَ ذلك مُدَرِّسًا بِالْأَمِينِيَّةِ^(٢) والحَلْفَةِ بِالْجَامِعِ نُجَاةَ الْبَرَادَةِ، وكان لديه عِلْمٌ جَيِّدٌ بِالْمَذْهَبِ وَالْخِلَافِ.

التَّقِيُّ عَيْسَى بْنُ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ الْعِرَاقِيُّ الْغُرَافِيُّ الضَّرِيرُ^(٣)، مُدَرِّسُ الْأَمِينِيَّةِ أَيْضًا، كَانَ يَسْكُنُ الْمَنَارَةَ الْغُرِيَّةَ، وَكَانَ عِنْدَهُ شَابٌّ يَخْدُمُهُ وَيَقُودُ بِهِ، فَعَدِمَ لِلشَّيْخِ دِرَاهِمُ فَاتَّهَمَ هَذَا الشَّابَّ بِهَا، فَلَمْ يَبْتُثْ لَهُ عِنْدَهُ شَيْءٌ، وَاتَّهَمَ بِهِ الشَّيْخُ، وَلَمْ يَكُنْ يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا، فَضَاعَ الْمَالُ، وَاتَّهَمَ عِرْضُهُ، فَأَصْبَحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مَشْنُوقًا بَيْتَهُ بِالْمُثَدَّنَةِ الْغُرِيَّةِ، فَامْتَنَعَ النَّاسُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ؛ لَكُونِهِ قَتَلَ نَفْسَهُ، فَتَقَدَّمَ الشَّيْخُ فَخَرَّ الدِّينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَسَاكِرَ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَاتَّهَمَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ. قَالَ أَبُو شَامَةَ^(٤): وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَهُ ذَهَابُ مَالِهِ وَالْوَقُوعُ فِي عِرْضِهِ. قَالَ: وَقَدْ جَرَى لِي أَخْتُ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ فَعَصَمَنِي اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ. قَالَ: وَقَدْ دَرَسَ بَعْدَهُ فِي الْأَمِينِيَّةِ الْجَمَالُ الْمَصْرِيُّ وَكَيْلُ بَيْتِ الْمَالِ.

أَبُو الْغَنَائِمِ الرِّكْسَلَارُ^(٥) الْبَغْدَادِيُّ، كَانَ يَخْدُمُ مَعَ عَزِّ الدِّينِ نَجَاحٍ

(١) التكملة لوفيات النقلة ١٢٦/٣، وذيل الروضتين ص ٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤٢٣/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٠٠، والوفاء بالوفيات ٩٦/٢٢، وطبقات الشافعية للإسنوي ٤٢٨/٢.

(٢) منسوبة إلى أمين الدين كمشتكين بن عبد الله المتوفى سنة ٥٤١. الدارس في تاريخ المدارس ١٧٨/١. (٣) ذيل الروضتين ص ٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤٢٢/٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٨٣، ومروءة الجنان ٢/٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٤٥/٨.

(٤) ذيل الروضتين ص ٥٥.

(٥) في الأصل: «الريلسار»، وفي م: «الركبسهلار»، وفي ص: «الركبسلار». والمثبت من تاريخ ابن الساعى ٨٥/٩. وسلار: اسم جماعة، وهى كلمة أعجمية أظنها سالار، بزيادة الألف، وهى بالفارسية الرئيس المقدم، ثم حذفت وشددت اللام. تاج العروس (س ل ر).

الشَّرايِي^(١) ، وحَصَلَ أَمْوَالًا جَزِيلَةً ، كانَ كُلُّما تَهَيَّأَ لَهُ مالٌ اشْتَرى بِهِ مِلْكًا ، وَكَتَبَهُ بِاسْمِ صاحِبٍ لَهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ أَوْصَى ذلكَ الرَّجُلَ أَنْ يَتَوَلَّى أَوْلادَهُ ، وَيُنْفِقَ عَلَيْهِم مِّن مِّيراثِهِ مِمَّا تَرَكَه لَهِم ، فَمَرِضَ الْمُوصَى إِلَيْهِ بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَاسْتَدْعَى الشُّهُودَ ؛ لِيشْهَدَهُم عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ ما فِي يَدِهِ لورثةِ أَبِي الغَنائِمِ ، فَتَمَادَى وَرَثَتُهُ فِي إِحْضارِ الشُّهُودِ ، وَطَوَّلُوا عَلَيْهِ ، وَأَخَذَتْهُ سَكَنَةٌ ، فَمَاتَ فَاسْتَوَلَى وَرَثَتُهُ عَلَى تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْلاكِ ، وَلَمْ يَعْطُوا أَوْلَئِكَ شَيْئًا مِمَّا تَرَكَه أَبُوهُمْ لَهُم .

أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ^(٢) «عَلِيِّ بْنِ سَعَادَةَ» الْفَارُقِيِّ^(٣) ، تَفَقَّهَ بِبَغْدَادَ ، وَأَعَادَ بِالنُّظَامِيَّةِ وَنَابَ فِي تَدْرِيسِهَا ، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَتْهَا أُمُّ الْخَلِيفَةِ وَأُرِيدَ عَلَى نِيَابَةِ الْقَضَاءِ عَنْ أَبِي طَالِبٍ^(٤) «عَلِيِّ بْنِ عَلِيٍّ» الْبَخَارِيِّ ، فَامْتَنَعَ ، فَأُلْزِمَ بِهِ فَبَاشَرَهُ قَلِيلًا ، ثُمَّ دَخَلَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ فَلَيْسَ عَلَى رَأْسِهِ مِئْزَرٌ صُوفٍ ، وَأَمَرَ الْوُكَلَاءَ وَالْجَلَاوِذَةَ أَنْ يَنْصَرِفُوا [٣٣١/٩] عَنْهُ ، وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِعَزْلِهَا عَنْ نِيَابَةِ الْقَضَاءِ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى الْإِعَادَةِ وَالتَّدْرِيسِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ تُوفِّيَتْ :

الْخاتُونُ^(٥) أُمُّ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ عَيْسَى بْنِ الْعَادِلِ ، فَدُفِنَتْ بِالْقُبَّةِ بِالْمَدْرَسَةِ الْمُعْظَمِيَّةِ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ .

(١) فِي م : «السراي» .

(٢ - ٢) فِي م : «سعاد» . وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : الْكَامِل ٢٤٣/١٢ ، وَتَارِيخُ ابْنِ السَّاعِي ١٨٨/٩ ، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٩٩ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْسَّبْكِ ٢٩٥/٨ ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِلْإِسْنَوِيِّ ٢٥٥/٢ .

(٣) فِي الْأَصْل : «الْقَارِي» ، وَفِي م : «الْفَارِسِي» .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : م .

(٥) ذِيلُ الرُّوضَتَيْنِ ص ٥٤ ، وَالدَّارِسُ فِي تَارِيخِ الْمَدَارِسِ ٥٨١/١ .

الأمير مجير الدين طاشتكين المستجدي^(١) أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان، كان شيخاً خيراً حسن السيرة، كثير العبادة، غالباً في التشيع، توفي بشستر ثاني جمادى الآخرة من سنة ثنتين وستمئة، وحمل تابوته إلى الكوفة فدفن بمشهد علي، بوصية منه، هكذا ترجمه ابن الساعي في «تاريخه»^(٢)، وذكر أبو شامة في «الذيل»^(٣) أنه طاشتكين بن عبد الله المفتوي أمير الحاج، حج بالناس سناً وعشرين سنة، وكان يكون في الحجاز كأنه ملك، وقد رماه الوزير ابن يونس بأنه يكاتب صلاح الدين فحبسه الخليفة، ثم تبيّن له بطلان ما ذكر عنه فأطلقه، وأعطاه خوزستان، ثم أعاده إلى إمرة الحج، وكانت الحلة السيفية^(٤) إقطاعه، وكان شجاعاً جواداً سمحاً، قليل الكلام، يمضي عليه الأسبوع لا يتكلم فيه بكلمة، وكان فيه حلم واحتمال، استغاث به رجل على بعض ثوابه فلم يرد عليه، فقال له المشتغي: أجمار أنت؟ فقال: لا. وفيه يقول ابن التعاويذي^(٥):

وأميز على البلاد مؤلّي
لا يجيب الشاكي بغير الشكوت
كلما زاد رفعة حطنا الد
ه بتغفيله إلى البهْموت

(١) الكامل ١٢/٢٤١، ومرآة الزمان ٨/٢/٥٢٧، وذيل الروضتين ص ٥٣، وتاريخ ابن الساعي ٩/١٨٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ٩٢، والنجوم الزاهرة ٦/١٩٠، وشذرات الذهب ٥/٨.

(٢) تاريخ ابن الساعي ٩/١٨٦.

(٣) ذيل الروضتين ص ٥٣.

(٤) في الأصل، م: «الشيعة». وكذا وقع هذا التحريف في ذيل الروضتين ص ٥٣، وتحرفت في ص إلى: «السنية». والحلة السيفية هي حلة بني مزند، وتسمى السيفية نسبة إلى سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديس بن علي بن مزيد الأسدي. وانظر معجم البلدان ٢/٣٢٢، ومرآة الزمان ٨/٢/٥٢٧.

(٥) ذيل الروضتين ص ٥٣، والنجوم الزاهرة ٦/١٩٠.

وقد سَرَقَ فَرَّاشُهُ حِيَاصَةً لَهُ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَقْرِزُوا الْفَرَّاشَ عَلَيْهَا ، وَكَانَ قَدْ رَأَى
الْأَمِيرَ طَاشِيكِينَ وَهُوَ يَأْخُذُهَا ، فَقَالَ : لَا تُعَاقِبُوا أَحَدًا ، فَإِنَّهُ أَخَذَهَا مِنْ لَا يَزُدُّهَا ،
وَرَأَاهُ مَنْ لَا يَنْتُمُ عَلَيْهِ . وَقَدْ كَانَ بَلَغَ مِنَ الْعُمَرِ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ اسْتَأْجَرَ أَرْضًا
مُدَّةَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ لِلْوَقْفِ ، فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ الْمُضْحِكِينَ : هَذَا لَا يُوقِنُ بِالْمَوْتِ ؛
عُمُرُهُ تِسْعُونَ سَنَةً وَاسْتَأْجَرَ أَرْضًا ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ . فَاسْتَضْحَكَ الْقَوْمَ .

ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة

فيها^(١) جرت أمور طويلة ببلاد المشرق بين الغورية والخورزمية، ومَلَكَ خُوارزم شاه محمد بن تِكش بلاد الطالقان. وفيها وَلَّى الخليفة قضاء القضاة بيغداد لعماد الدين أبي القاسم عبد الله بن الدامغانى.

وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلانى^(٢)، بسبب فسقه وفجوره، وقد أُخْرِقَتْ كُتُبُه وأمواله قبل ذلك؛ لما فيها من كتب الفلاسفة، وعلوم الأوائل، وأصبح يستعطي من الناس، وهذا بخطيئة قيامه على الشيخ أبي الفرج بن الجوزى؛ فإنه هو الذى كان وشى به إلى الوزير ابن القصاب حتى أُخْرِقَتْ بعض كُتُب ابن الجوزى، وخُتِم على بقيتها، ونُفِىَ إلى واسط خمس سنين، كما تقدّم بيان ذلك^(٣)، والناس يقولون: فى الله كفاية. وفى القرآن: ﴿وَجَزَّوْا سِنْتَهُ سِنْتَهُ مِثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. والصوفية يقولون: الطريق تأخذ حقها. والأطباء يقولون: الطبيعة مكافئة.

وفيها نازلت الفرنج حمص فقاتلهم ملكها أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير، وأعانه بالمدد الملك الظاهر صاحب حلب،

(١) الكامل ١٢/٢٤٥، وذيل الروضتين ص ٥٥، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٤.

(٢) فى الأصل، ص: «الكيلانى». قال فى الأنساب ١٤٥/٢: الجيلى بكسر الجيم وسكون الياء المنقوطة باثنين من تحتها، هذه النسبة إلى بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها: كيل، وكيلان. فعربت ونسب إليها، وقيل: جيلى وجيلانى.

(٣) تقدم فى ص ٦٦٥.

فَكَفَّ اللَّهُ شَرَّهُمْ . وَلِلَّهِ [٩/٣٣٢] الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

وفيهما اجتمع شائبان ببغداد على الشراب ، فضرَبَ أحدهما الآخرَ بسكينٍ
فقتله وهرب ، فأخذ فُقُتِلَ ، فوجد معه رُقْعَةٌ فيها بيتان من نَظْمِهِ أمر أن تُجْعَلَ بينَ
أكفانه ، وهما قوله ^(١) :

قَدِمْتُ عَلَى الْكَرِيمِ بغيرِ زادٍ مِنْ الْأَعْمَالِ بِالْقَلْبِ السَّلِيمِ
وَسُوءِ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدَّ زادًا إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمِ

وَمَنْ تُوفِّي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ :

الْفَقِيهَ أَبُو منصورٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثُّعْمَانِ
النَّيْلِيِّ ^(٢) ، وَالْمَلَقَّبُ بِالْقَاضِي شُرَيْحٍ ، لَذَكَائِهِ وَفَضْلِهِ وَبِرَاعَتِهِ وَعَقْلِهِ وَكَمَالِ
أَخْلَاقِهِ ، وَلِيَ قَضَاءَ بَلَدِهِ ، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ ، فَتَدَبَّعَ إِلَى الْمَنَاصِبِ الْكِبَارِ فَأَبَاهَا ،
فَحَلَفَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ طَاشْتِكِينَ أَنْ يَعْمَلَ عِنْدَهُ فِي الْكِتَابَةِ ، فَخَدَمَهُ عَشْرِينَ عَامًا ، ثُمَّ
وَسَّى بِهِ الْوَزِيرُ ابْنُ مَهْدِيٍّ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَحَبَسَهُ فِي دَارِ طَاشْتِكِينَ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي
هَذِهِ السَّنَةِ ، ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ عَمَّا قَرِيبٍ حُبِسَ بِهَا أَيْضًا ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ الْغَرِيبِ .
عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ^(٣) ، كَانَ ثَقَّةً عَابِدًا زَاهِدًا وَرِعًا ، لَمْ يَكُنْ
فِي إِخْوَتِهِ خَيْرٌ مِنْهُ ، لَمْ يَدْخُلْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنَ الْمَنَاصِبِ وَالْوَلَايَاتِ ، بَلْ كَانَ

(١) البيتان في الكامل ٢٥٧/١٢ ، وتاريخ ابن الساعي ٢٠٠/٩ ، والنجوم الزاهرة ١٩٢/٦ - ١٩٣ .
(٢) في م : « النيلي » . وانظر ترجمته في : مرآة الزمان ٥٣١/٢/٨ ، وذيل الروضتين ص ٥٨ ، وتاريخ ابن
الساعي ٢٠٧/٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١١٧ ، والوفاء بالوفيات
١٣٦/١٨ . والنيلي : نسبة إلى النيل ، وهي بليدة على الفرات بين بغداد والكوفة . الأنساب ٥٥١/٥ .
(٣) ذيل الروضتين ص ٥٨ ، وتاريخ ابن الساعي ٢١٤/٩ ، وسير أعلام النبلاء ٤٢٦/٢١ ، وتاريخ
الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١١٩ ، وتذكرة الحفاظ ١٣٨٥/٤ ، وذيل طبقات
الحنابلة ٤٠/٢ .

مُتَقَلِّلاً مِنَ الدُّنْيَا، مُقْبِلاً عَلَى الْآخِرَةِ، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ أَيْضًا.

أَبُو الْحَرَمِ مَكِّي بْنُ رِيَّانَ^(١) بْنِ شَيْبَةَ بْنِ صَالِحِ الْمَاكِينِيِّ^(٢)، مِنْ أَعْمَالِ سِنْجَارَ، ثُمَّ الْمُؤَصِّلِيِّ النَحْوِيِّ، قَدِيمُ بَغْدَادَ، وَأَخَذَ عَنِ ابْنِ الْحَشَّابِ، وَابْنِ الْقَصَّارِ، وَالْكَمَالِ الْأَنْبَارِيِّ، وَقَدِيمِ الشَّامِ، فَانْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ السَّخَاوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَكَانَ ضَرِيرًا يَتَعَصَّبُ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمُعَرِّيِّ؛ لَمَّا بَيَّنَّاهُمَا مِنَ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ فِي الْأَدَبِ وَالْعَمَى، وَمِنْ شِعْرِهِ^(٣):

إِذَا احتَاجَ النَّوَالُ إِلَى شَفِيعٍ فَلَا تَقْبَلُهُ تُضْحِ قَرِيرَ عَيْنٍ
إِذَا عِيفَ النَّوَالُ لَفَزْدَ مَنْ فَأُولَى أَنْ يُعَافَ لِمَنْتَيْنِ
وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا^(٤):

نَفْسِي فِدَاءٌ لِأَعْيَدٍ غَنِجٍ قَالَ لَنَا الْحَقُّ يَوْمَ وَدَعْنَا
مَنْ وَدَّ شَيْئًا مِنْ حُبِّهِ طَمَعًا فِي قُبْلَةٍ لِلْوَدَاعِ وَدَّ عَنَا
إِقْبَالُ الْخَادِمِ، جَمَالُ الدِّينِ^(٥)، أَحَدُ خُدَّامِ الْمَلِكِ صَالِحِ الدِّينِ، وَاقِفُ

(١) فِي م: «زِيَان». وَكَذَا وَقَعَ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ١٩/١٧١، وَقَدْ نَصَّ أَبُو شَامَةَ فِي الذَّيْلِ ص ٥٨، ٥٩ عَلَى أَنَّهُ: رِيَّانُ، بِالرَّاءِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، أَمَّا ابْنُ خُلِكَانَ فِي الْوُفِيَّاتِ ٥/٢٨٠ فَنَصَّ عَلَى أَنَّهُ: رِيَّانُ، بِالرَّاءِ وَالْيَاءِ الْمُتَنَاءَةِ.

(٢) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٩/١٧١، وَالْكَامِلُ ١٢/٢٥٨، وَإِنْبَاهُ الرِّوَاةِ ٣/٣٢٠، وَذَيْلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ٥٨، وَتَارِيخُ ابْنِ السَّاعِيِّ ٩/٢١٦، وَوُفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ٥/٢٧٨، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٢١/٤٢٥، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوُفِيَّاتُ ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٣٣.

(٣) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٩/١٧٢، وَذَيْلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ٥٩، وَوُفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ٥/٢٧٩.

(٤) تَارِيخُ ابْنِ السَّاعِيِّ ٩/٢١٧.

(٥) ذَيْلُ الرُّوسْتَيْنِ ص ٥٩، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٩/٤٠، وَتَارِيخُ الْإِسْلَامِ (حَوَادِثُ وَوُفِيَّاتُ ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١١٠، وَالْوَافِي بِالْوُفِيَّاتِ ٩/٣٠٤. وَفِي مَصَادِرٍ تَرْجَمَتْهُ أَنَّهُ يَلْقَبُ: جَمَالَ الدَّوْلَةِ، عَدَا نَهَايَةَ الْأَرْبِ فَقِيهِ: جَمَالُ الدِّينِ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الإقباليتين ؛ الشافعية والحنفية ، وكانتا دارين له فجعلهما مدرستين ، ووقف
عليهما وقفًا ؛ الكبيرة للشافعية ، وعليها ثلثا الوقف ، والصغيرة للحنفية ، وعليها
ثلث الوقف . وكانت وفاته بالقُدس ، رحمه الله .

ثم دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ

فيها^(١) رَجَعَ الْحَاجُّ إِلَى الْعِرَاقِ وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ ، وَيَشْتَكُونَ إِلَى النَّاسِ مَا لَقُوا مِنْ صَدْرِ جِهَانَ الْبُخَارِيِّ الْخَنَفِيِّ ، الَّذِي كَانَ قَدِيمَ بَغْدَادَ فِي رِسَالَةٍ ، فَاحْتَقَلَ بِهِ الْخَلِيفَةُ ، وَخَرَجَ إِلَى الْحَجِّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَضَيَّقَ عَلَى النَّاسِ فِي الْمِيَاهِ وَالْمِيرَةِ ، فَمَاتَ نَحْوُ مِنْ سِتَّةِ آلَافٍ مِنَ الْحَجَّاجِ الْعِرَاقِيِّ بِسَبَبِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ . وَكَانَ - فِيمَا ذَكَرَ - يَسْبِقُ غِلْمَانَهُ إِلَى الْمَنَاهِلِ فَيَتَحَجَّرُونَ عَلَى الْمَاءِ ، وَيَأْخُذُونَهُ فِيرْشُونَ حَوْلَ خَيْمَةِ مَخْدُومِهِمْ فِي قَيْظِ الْحِجَازِ ، وَيَشْقُونَ الْبَقُولَاتِ الَّتِي تُحْمَلُ مَعَهُ فِي ثُرَابِهَا ، وَيَمْتَنِعُونَ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ ، الْآمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَلَمَّا رَجَعَ [٣٣٢/٩ ظ] مَعَ النَّاسِ لَعْنَتَهُ الْعَامَّةُ ، وَلَمْ تَحْتَفِلْ بِهِ الْخَاصَّةُ ، وَلَا أَكْرَمَهُ الْخَلِيفَةُ ، وَلَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَحَدًا ، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ وَالْعَامَّةُ مِنْ وَرَائِهِ يَرْجُمُونَهُ وَيَلْعَنُونَهُ ، وَسَمَّاهُ النَّاسُ : صَدْرَ جَهَنَّمَ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ .

وفيهما قبضَ الخليفةُ على وزيره ابنِ مَهْدِيِّ الْعَلَوِيِّ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نُسِبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَرُومُ الْخِلَافَةَ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ حُبَسَ بِدَارِ طَاشْتِكِينَ حَتَّى مَاتَ بِهَا ، وَكَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، يَذُمُّهُ الشُّعْرَاءُ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ^(٢) :

خَلِيلِي قُولَا لِلْخَلِيفَةِ أَحْمَدِ تَوَقَّ وَقِيَتِ الشُّوءَ مَا أَنْتَ صَانِعُ
وَزِيرُكَ هَذَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ فِيهِمَا صَنِيعُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ضَائِعُ

(١) الكامل ٢٥٩/١٢ ، وذيل الروضتين ص ٥٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٥ .

(٢) الأبيات في ذيل الروضتين ص ٦٠ .

فَإِنْ كَانَ حَقًّا مِنْ سُلَالَةِ حَيْدَرٍ فِهَذَا وَزِيرٌ فِي الْخِلَافَةِ طَامِعٌ
وَإِنْ كَانَ فِيمَا يَدَّعَى غَيْرَ صَادِقٍ فَأُضْيَعُ مَا كَانَتْ لَدَيْهِ الصَّنَائِعُ
وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ عَفِيفًا عَنِ الْأَمْوَالِ ، حَسَنَ السَّيْرِ ، جَيِّدَ الْمُبَاشَرَةِ . فَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِحَالِهِ .

وَفِي رَمَضَانَ رَتَّبَ الْخَلِيفَةُ بِيْعْدَادَ عِشْرِينَ دَارًا لِلضِّيَافَةِ يُفْطِرُ فِيهَا الصَّائِمُونَ
مِنَ الْفُقَرَاءِ ، يُطْبَخُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِيهَا طَعَامٌ كَثِيرٌ ، وَيُحْمَلُ إِلَيْهَا مِنَ الْخُبْزِ النَّعِيِّ
وَالْحَلَوَاءِ شَيْءٌ كَثِيرٌ أَيْضًا - فَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا - وَهَذَا الصَّنِيعُ يُشْبِهُ مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ
قَرِيشٌ مِنَ الرِّفَادَةِ فِي زَمَنِ الْحُجِّ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى ذَلِكَ عُمَةُ أَبُو طَالِبٍ ^(١) ، كَمَا كَانَ
جَدُّهُ الْعَبَّاسُ يَتَوَلَّى السَّقَايَةَ ، وَقَدْ كَانَتْ فِيهِمُ السَّفَارَةُ وَاللَّوَاءُ وَالنَّدْوَةُ ، كَمَا تَقَدَّمَ
بَيَانُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ الْمَنَاصِبُ كُلُّهَا عَلَى أَيْمِ الْأَخْوَالِ فِي
الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

وَفِيهَا أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ الشَّيْخَ شَهَابَ الدِّينِ الشُّهْرَوَرْدِيَّ وَفِي صُحْبَتِهِ سُنْقُرُ
السَّلِيحْدَارِ إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ بِالْخِلْعَةِ السَّيِّيَّةِ ، وَفِيهَا الطُّوقُ وَالسَّوَارِيزُ ، وَإِلَى جَمِيعِ
أَوْلَادِهِ بِالْخِلْعِ أَيْضًا .

وَفِيهَا مَلَكَ الْأَوْحُدُ بْنُ الْعَادِلِ صَاحِبُ مَيَّافَارِقِينَ مَدِينَةَ خِلَاطٍ بَعْدَ قَتْلِ
صَاحِبِهَا ابْنِ بَكْتَمُرَ ، وَكَانَ شَابًّا جَمِيلَ الصُّورَةِ جَدًّا ، قَتَلَهُ بَعْضُ مَمَالِكِهِمْ ، ثُمَّ
قُتِلَ الْقَاتِلُ أَيْضًا ، فَخَلَا الْبَلَدُ عَنْ مَلِكٍ ، فَأَخَذَهَا الْأَوْحُدُ بْنُ الْعَادِلِ ، كَمَا ذَكَرْنَا .
وَفِيهَا مَلَكَ خُورَزْمِ شَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ تِكِشَ بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مِنَ الْخِطَا بَعْدَ
حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ .

(١) أَيْ عَمَ الْخَلِيفَةِ ؛ لِأَنَّ الْخَلِيفَةَ يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبُو طَالِبٍ عَمَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ .

اتَّفَقَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَمْرٌ عَجِيبٌ^(١) ؛ وَهُوَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ انْهَزَمُوا عَنِ السُّلْطَانِ خُورَزْمِ شَاهٍ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ ، وَبَقِيَ هُوَ وَمَعَهُ عِصَابَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ الْكُفَّارَ مِنَ الْخِطَا مَنْ قَتَلُوا ، وَأَسْرَوْا خَلْقًا مِنْهُمْ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ خُورَزْمِ شَاهٍ فِي جَمَلَةٍ مَنْ أُسِرَ ؛ أَسْرَهُ رَجُلٌ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ الْمَلِكُ ، وَأُسِرَ مَعَهُ أَمِيرًا يُقَالُ لَهُ : ابْنُ مَسْعُودٍ . فَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ وَتَرَا جَعَتِ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى مَقَرِّهَا ، فَقَدُوا مِنْ بَيْنِهِم السُّلْطَانَ ، فَاخْتَبَطُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، وَانْزَعَجَتْ خُرَاسَانُ بِكَمَالِهَا ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ ظَنَّ أَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ قُتِلَ .

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ السُّلْطَانِ وَذَلِكَ الْأَمِيرِ ؛ فَإِنَّ الْأَمِيرَ قَالَ لِلْسُّلْطَانِ : إِنِّي أَرَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ أَنْ تَتْرَكَ الْمُلْكَ عَنْكَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ، وَتُظْهِرَ أَنَّكَ غُلَامٌ لِي . فَقَبِلَ مِنْهُ مَا أَشَارَ بِهِ ، وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ ، وَيُلْبِسُهُ ثِيَابَهُ ، وَيَسْقِيهِ [٩/٣٣٣] وَيَضَعُ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا يَأْلُو جَهْدًا فِي خِدْمَتِهِ ، فَقَالَ الَّذِي أَسْرَهُمَا : إِنِّي أَرَى هَذَا يَخْدُمُكَ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا ابْنُ مَسْعُودِ الْأَمِيرِ ، وَهَذَا غُلَامِي ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْلَا عِلْمُ الْأَمْرَاءِ بَأَنِّي قَدْ أَسْرَوْتُ أَمِيرًا لَأَطْلَقْتُكَ . فَقَالَ : إِنِّي إِنَّمَا أَخَشَى عَلَى أَهْلِي ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنِّي قَدْ قُتِلْتُ وَيَقِيمُونَ الْمَائِمَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُفَادِيَنِي عَلَى مَالٍ ، وَتُرْسِلَ مَنْ يَقْبِضُهُ مِنْهُمْ فَعَلْتُ خَيْرًا . فَقَالَ : نَعَمْ . فَعَيَّنَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : إِنَّ أَهْلِي لَا يَعْرِفُونَ هَذَا ، وَلَكِنْ إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ أُرْسِلَ مَعَهُ غُلَامِي ؛ لِيُسَرِّهَمَ بِحَيَاتِي ، وَيَأْمُرَهُمْ بِتَحْصِيلِ الْمَالِ . فَقَالَ : نَعَمْ . فَجَهَّزَ مَعَهُمَا مَنْ يَحْفَظُهُمَا إِلَى مَدِينَةِ خُورَزْمِ .

فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ مَدِينَةِ خُورَزْمِ سَبَقَهُ الْمَلِكُ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّاسُ فَرَحُوا فَرَحًا شَدِيدًا ، وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ فِي سَائِرِ بِلَادِهِ ، وَعَادَ الْمَلِكُ إِلَى نِصَابِهِ ، وَاسْتَقَرَّ الشُّرُورُ

(١) الكامل ٢٦٣/١٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٥ .

بإيَّاهِ ، وأصلَح ما كان وَهَى مِنْ مَمْلَكَتِهِ بِسَبَبِ ما كان اسْتَهْرَ مِنْ عَدَمِهِ ، وحاصر هَرَاةَ وأخذها عَنَوَةً .

وأما الذى كان قد أسره ، فإنه قال يوماً لابنِ مشعُودٍ : إنّ الناسَ ينُوحُونَ أنّ حُوارِزْمَ شاهٍ قد عُدِمَ . فقال : لا ، هو الذى كان فى أُسْرِكَ . فقال له : فهَلَّا أَعْلَمْتَنِي به حتى كُنْتُ أُرَدُّهُ مُوقَّراً مَعْظَماً ! فقال : خِفْتُكَ عليه . فقال : سِرْ بنا إليه . فسارا إليه فأكْرَمَهُما إِكْراماً زائداً ، وأَحْسَنَ إليهما .

وفيهما غَدَرٌ صاحِبٌ سَمَوْقَنْدَ ، فقتلَ كُلَّ مَنْ كان يبلِدهُ مِنَ الحُوارِزْمِيَّةِ ، حتى كان الرجلُ يُقَطِّعُ قِطْعَتَيْنِ ، ويُعَلِّقُ فى الشوقِ كما تُعَلِّقُ الأَغْنَامُ ، وعَزَمَ على قَتْلِ زَوْجَتِهِ بَنَتْ حُوارِزْمَ شاهَ ، ثم رَجَعَ عن قَتْلِها ، وحَصَرها وحَبَسَها فى قلعةٍ وَضَبَّتِ عليها ، فلَمَّا بَلَغَ الخَبْرُ إلى المَلِكِ حُوارِزْمَ شاهٍ سارَ إليه فى الجُنُودِ فَنازَلَهُ وحاصر سَمَوْقَنْدَ ، فأخَذَها قَهْرًا ، وقتلَ مِنْ أَهْلِها نَحْوَ مِائَتَيْنِ أَلْفَ ، وأنزَلَ المَلِكُ مِنَ القَلْعَةِ ، وقُتِلَ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ولم يَثْرُكْ لَهُ نَسْلًا ولا عَقِيبًا ، واستَحَوذَ حُوارِزْمَ شاهَ على تِلْكَ المَمالِكِ التى هُنالك .

وفيهما تَحارَبَ الحِطّا ومَلِكُ التَّارِ كَشلى خانُ المُتَاخِمِ لِمَمْلَكَةِ الصَّبِينِ ، فكَتَبَ مَلِكُ الحِطّا إلى حُوارِزْمَ شاهٍ يَسْتَنْجِذُهُ على التَّارِ ، ويقولُ : متى غَلَبْنَا خَلَصُوا إلى بلادِكَ . وكذا وَقَعَ . وَكَتَبَ التَّارُ إليه أيضًا يَسْتَنْصِرُونَهُ على الحِطّا ويقولُونَ : هؤلاء أَعْدَاؤُنَا وأَعْدَاؤُكَ ، فَكُنْ مَعَنَا عَلَيْهِمَ . فكَتَبَ إلى كُلِّ مِنَ الفَرِيقَيْنِ يُطَيِّبُ قَلْبَهُ ، وحَصَرَ الوَقْعَةَ بَيْنَهُمَ وهو مُتَحَيِّزٌ عن الفَرِيقَيْنِ ، فَكانَتِ الدَّائِرَةُ على الحِطّا ، فَهَلَكُوا إِلَّا القَلِيلَ مِنْهُمْ . وغَدَرَ التَّارُ ما كانوا عَاهَدُوا عليه حُوارِزْمَ شاهَ ، فوَقَعَتْ بَيْنَهُما الوَحْشَةُ الأَكِيدَةُ ، وتَواعَدُوا للقتالِ ، وخافَ مِنْهُمْ حُوارِزْمَ شاهَ ،

وخرَّب بلادًا كثيرةً مُتاخِمةً لبلادِ كَشلى خان ؛ خوفاً عليها أن يملكها ، ثم إن جَنْكِرْخان خرج على كَشلى خان ، فاشتغل بمُحارَبته عن مُحارَبة خُوارِزم شاه ، ثم وَقَعَ من الأمور الغريبة ما سَنَدُكُوه ، إن شاء الله تعالى .

وفيهما كثُرت غاراتُ الفِرْنَجِ من طرَابُلُس على نَواحِي حِمَص ، فَضَعُفَ صاحبُها أَسَدُ الدِّين شِيرِكُوه عن مُقاوَمَتِهِمْ ، فَبَعَثَ إليه الظاهرُ صاحبُ حَلَب [٣٣٣/٩ ظ] عسكراً قَوَّاه بهم على الفِرْنَجِ .

وخرجَ الملكُ العادلُ من الديارِ المِصرِيَّة في العساكِرِ الإِسلامِيَّة ، وأرْسَلَ إلى جُيوشِ الجَزِيرَةِ العُمَرِيَّة فوافوه على عَكَا فحاصرها ؛ لأنَّ القَبَارِسَةَ كانوا قد أخذوا من أسطُولِ المُسْلِمِينَ قِطْعاً فيها جماعةٌ من المسلمين ، فطلَبَ صاحبُ عَكَا الأمانَ والصُّلْحَ على أن يَرُدَّ الأسارى ، فأجابَه إلى ذلك ، وسارَ العادلُ فنَزَلَ على بُحَيْرَةِ قَدَسَ قَرِيْباً من حِمَص ، ثم سارَ إلى بلادِ طرَابُلُس ، فأقامَ بها اثْنِي عَشَرَ يوماً يُقَتِّلُ وَيَأْسِرُ وَيَغْنَمُ ، وخرَّبَ تلكَ البلدانَ الأَطرابُلسِيَّةَ ، حتى جَنَحَ الفِرْنَجُ إلى المهادنة ، ثم عادَ إلى دِمَشقَ مؤيِّداً منصوراً مسروراً محبوباً .

وفيهما مَلِكٌ صاحبُ أَذْرَبِيجانَ وهو الأميرُ نُصْرَةُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ بنُ البَهْلُوانِ مَدِينَةَ مَراغَةَ ؛ وذلكَ لخلُوها عن مَلِكِ قاهرٍ ، فإنَّ مَلِكها مات ، وقامَ بالمُلْكِ بعده وَلَدٌ له صَغِيرٌ ، فَذَبَّرَ أمره خادِمٌ له .

وفى غُرَّةِ ذِي القَعْدَةِ^(١) شَهِدَ مُخَيِّى الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ يُوسُفُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الجُوزِيِّ عِنْدَ قاضِي القُضاةِ أَبِي القاسِمِ بنِ الدَّامَغانِيِّ ، فَقَبِلَهُ وَوَلَّاهُ حِشْبَةَ جَانِبِي بَغْدَادَ ، وَخَلَعَ عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً سَوْداءَ بِطَرُوحَةٍ كُحْلِيَّةٍ ، وَبَعْدَ عَشْرَةِ أَيامٍ

(١) تاريخ ابن الساعي ٢٣١ / ٩ .

جَلَسَ لِلوُعْظِ مَكَانَ أَبِيهِ أَبِي الْفَرَجِ بَيْتَابِ بَدْرِ الشَّرِيفِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمَيْهِ دَرَسَ بِمَشْهَدِ أَبِي حَنِيفَةَ ضَيْاءُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مَشْعُودِ
التُّرْكُشْتَانِي^(١) الْحَنْفِيَّ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَغْيَانُ وَالْأَكَابِرُ .

وَفِي رَمَضَانَ مِنْهَا وَصَلَتْ الرُّسُلُ مِنَ الْخُلَيْفَةِ إِلَى الْعَادِلِ بِالْخَلِجِ ، فَلَيْسَ هُوَ
وَوَلَدَاهُ الْمُعْظَمُ وَالْأَشْرَفُ وَوَزِيرُهُ صَفِيُّ الدِّينِ بْنُ شُكْرِ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ
الْخَلِجِ السَّنِيَّةِ الْخَلِيفِيَّةِ ، وَدَخَلُوا إِلَى الْقَلْعَةِ وَقَتَّ صَلَاةَ الظَّهْرِ مِنْ بَابِ الْحَدِيدِ ، وَقَرَأَ
التَّقْلِيدَ الْوَزِيرُ وَهُوَ قَائِمٌ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا .

^(٢) وَفِيهَا رُكِبَتِ السَّاعَاتُ بِمِئْذَنَةِ الْعُرُوسِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ ، وَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ
الدَّرَجِ الَّتِي تُجَاهَ الْمَدْرَسَةِ الْقِيَمَارِيَّةِ^(٣) .

وَفِيهَا دَرَسَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْنِ الْقُضَاةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ
سُلْطَانَ بِالْمَدْرَسَةِ الرَّوَاحِيَّةِ بِدِمَشْقَ .

وَفِيهَا انْتَقَلَ الشَّيْخُ ابْنُ الْحُبَيْرِ الْبَغْدَادِيُّ مِنَ الْحَنْبَلِيَّةِ إِلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ،
وَدَرَسَ بِمَدْرَسَةِ أُمِّ الْخَلِيفَةِ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ الْأَكَابِرُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ .

وَمِنْ تَوْفَى فِيهَا مِنَ الْأَغْيَانِ :

الْأَمِيرُ إِيْتَامَشُ^(٣) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَدُ أُمَرَاءِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ ، كَانَ مِنْ سَادَاتِ
الْأُمَرَاءِ دِينًا وَعَقْلًا وَنَزَاهَةً وَعِفَّةً ، سَقَاهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ مِنَ النَّصَارَى سُتْمًا ، فَمَاتَ

(١) فِي الْأَصْلِ ، م : « الرِّكْسَانِي » ، وَفِي ص : « الْمَرْكْسَانِي » . وَالمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ ابْنِ السَّاعِي ٣٣٣/٩ .
وَانْظُرِ الْجَوَاهِرَ الْمُضْيِيَّةَ ٣٣١/١ .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ ، م .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يِيَامِينَ » وَفِي ص : « نِيَامِي » وَفِي م : « بَنِيَامِينَ » ، وَانْظُرِ تَرْجُمَتَهُ فِي مَرَاةِ الزَّمَانِ ٢/٨ .

٥٣٥ وَفِيهِ : « تَنَامَش » ، وَذِيلُ الرُّوضَتَيْنِ ص ٦١ .

رَحِمَهُ اللَّهُ . وكان اسْمُ الذي سَقَاه ابْنُ سَاوَى ، فلما اطَّلَعَ الخليفةُ على الحالِ سَلَّمَ
ابْنَ سَاوَى إلى غِلْمَانٍ إِيْتَامَشَ فَشَفَعَ فِيهِ ابْنُ مَهْدِيٍّ الوزيرُ ، وقالَ : إِنَّ النِّصَارَى
قد بذَلُوا فِيهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَكَتَبَ الخليفةُ على رَأْسِ الوَرَقَةِ ^(١) :

إِنَّ الْأُسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

فَتَسَلَّمَهُ غِلْمَانُ إِيْتَامَشَ فَقَتَلُوهُ وَحَرَّقُوهُ ، وَقَبِضَ الخليفةُ بَعْدَ ذَلِكَ على ابْنِ
مَهْدِيٍّ الوزيرِ ، كما تَقَدَّمَ .

حَنْبَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَرَجِ بْنِ سَعَادَةَ الرُّصَافِيِّ الْحَنْبَلِيُّ ^(٢) ، الْمُكَبَّرُ بِجَامِعِ
الْمَهْدِيِّ ، رَاوَى « مُسْنَدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ » عَنِ ابْنِ الْحُصَيْنِ ، عَنِ ابْنِ الْمُذْهَبِ ، عَنِ
ابْنِ مَالِكٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ . عُثِرَ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ ،
فَأَسْمَعَهُ [٣٣٤/٩] بِإِزْبِيلَ ، وَاسْتَقْدَمَهُ مُلُوكُ دِمَشْقَ إِلَيْهَا ، فَسَمِعَ النَّاسُ بِهَا عَلَيْهِ
الْمُسْنَدَ ، وَكَانَ الْمُعْظَمُ يَكْرِمُهُ ، وَيَأْكُلُ عِنْدَهُ عَلَى السَّمَاطِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، فَتُصِيبُهُ
الثَّخَمَةُ كَثِيرًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ ضَيِّقَ الْحَالِ ، خَشِنَ الْعَيْشِ بِبَغْدَادَ ، وَكَانَ الْكِندِيُّ إِذَا
دَخَلَ عَلَى الْمُعْظَمِ يَسْأَلُ عَنْ حَنْبَلٍ فَيَقُولُ الْمُعْظَمُ : هُوَ مَتَحَوِّمٌ ، فَيَقُولُ : أَطْعِمَهُ
الْعَدَسَ . فَيَضْحَكُ الْمُعْظَمُ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ الْمُعْظَمُ مَالًا جَزِيلًا ، وَرَدَّهُ إِلَى بَغْدَادَ ، فَتَوَفَّى
بِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ عَشْرِ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ مَعَهُ ابْنُ طَبْرَزْدَ ،
فَتَأَخَّرَتْ وَفَاتُهُ عَنْهُ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّمِائَةٍ .

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عِيسَى بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبُزُورِيُّ الْوَاعِظُ الْبَغْدَادِيُّ ^(٣) ،

(١) ذيل الروضتين ص ٦١ .

(٢) التقييد ص ٢٥٩ ، والكامل ٢٧٨/١٢ ، ومرة الزمان ٥٣٦/٢/٨ ، وذيل الروضتين ص ٦٢ ،
وتاريخ ابن الساعي ٢٤٥/٩ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣١/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ -
٦١٠ هـ) ص ١٤٢ .

(٣) مرة الزمان ٥٣٧/٢/٨ ، وذيل الروضتين ص ٦٢ ، وتاريخ ابن الساعي ٢٤٩/٩ ، وتاريخ الإسلام =

سَمِعَ مِنْ ابْنِ أَبِي الْوَقْتِ وَغَيْرِهِ ، وَاشْتَغَلَ عَلَى ابْنِ الْجَوْزِيِّ بِالْوَعْظِ ، ثُمَّ حَدَّثَهُ
نَفْسُهُ بِمُضَاهَاةِ وَشَمَخَتْ نَفْسُهُ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ بَابِ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ
تَزَوَّجَ فِي آخِرِ عُمرِهِ - وَقَدْ قَارَبَ السَّبْعِينَ - بِصَبِيَّةٍ ، فَاعْتَسَلَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ ،
فَانْتَفَخَ ذَكَرُهُ ، فَمَاتَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ .

الْأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ قَرَاجَا الصَّلَاحِيُّ ^(١) صَاحِبُ صَرْخَدَ ، كَانَتْ لَهُ دَارٌ عِنْدَ
بَابِ الصَّغِيرِ عِنْدَ قَنَاةِ الرِّلَاقَةِ ، وَتُرِبَتْهُ بِالسَّنْفِجِ فِي قُبَّةٍ عَلَى جَادَةِ الطَّرِيقِ عِنْدَ تُرْبَةِ
ابْنِ تَمِيرِكَ ، وَأَقَرَّ الْعَادِلُ وَلَدَهُ يَعْقُوبَ عَلَى صَرْخَدَ .

عَبْدُ الْعَزِيزِ الطَّيِّبُ ^(٢) تُوْفِيَ فَجَاءَةً ، وَهُوَ وَالِدُ سَعْدِ الدِّينِ ، الطَّيِّبِ
الْأَشْرَفِيِّ ، وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ عُثَيْمٍ :

فُرَادَى وَلَا خَلْفَ الْخَطِيبِ جَمَاعَةً وَمَوْتُ وَلَا عَبْدَ الْعَزِيزِ طَيِّبُ
وَفِيهَا تُوفِّي :

الْعَفِيفُ ابْنُ الدَّرَجِيِّ ^(٣) إِمَامٌ مَقْصُورَةُ الْحَنْفِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ بِجَامِعِ بَنِي أُمَيَّةَ .

= (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٤٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٤١/٢ ، وشذرات
الذهب ١٧/٥ .

(١) مرآة الزمان ٥٣٨/٢/٨ ، وذيل الروضتين ص ٦٢ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ -
٦١٠ هـ) ص ١٥٧ .

(٢) ذيل الروضتين ص ٦٣ .

(٣) كذا ذكره ابن كثير ضمن وفيات هذه السنة متابعا في ذلك أبا شامة في كتابه ذيل الروضتين ص
٦٤ ، والصواب أنه توفي سنة ٦٦٤ هـ ، وانظر مصادر ترجمته التالية : العبر ٢٧٧/٥ ، والنجوم الزاهرة
٢٢١/٧ ، والدارس في تاريخ المدارس ٦٠٥/١ - وفيه إشارة إلى أن ابن كثير ذكر العفيف هذا ضمن
وفيات ٦٦٤ هـ ، وباستقراء المخطوطات التي لدينا والمصدر الذي نقل عنه ابن كثير (ذيل الروضتين) يتبين
لنا أنه لم يذكره في غير سنة ٦٠٤ هـ - والجواهر المضية ٣٩٤/١ ، وشذرات الذهب ٣١٥/٥ .

أبو محمد جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ محمودِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ أحمدَ بْنِ يُونُسَ
 الإِزِيلِيِّ^(١)، كَانَ فاضِلاً فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ؛ فِي الفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ،
 والحِسَابِ والفرائضِ والهندسةِ والأدبِ والنَّحْوِ، وما يَتَعَلَّقُ بِعُلُومِ القرآنِ العَزِيزِ
 وغيرِ ذلك. ومن شعره الحسنِ الجيِّدِ قولُه:

لا يَدْفَعُ المَرْءُ ما يَأْتِي بِهِ القَدَرُ	وفِي الخُطُوبِ إِذَا فَكَّرْتَ مُعْتَبِرُ
فَلَيْسَ يُنْجِي مِنَ الأَقْدَارِ إِنْ نَزَلَتْ	رَأَى وَحَزَمَ وَلَا خَوْفٌ وَلَا حَذَرُ
فاسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فِي كُلِّ الأُمُورِ وَلَا	تَجَزَّعْ لشيءٍ فَعَقَبِي صَبْرَكَ الظَّفَرُ
كَمْ مَسَّنَا مَرَّةً عُسْرٌ فَصَرَّفَهُ	صَرَفُ الزَّمانِ وَوالِي بَعْدَهُ يُسَرُّ
لَا يَتَيَّأَسُ المَرْءُ مِنْ رُوحِ الإِلَهِ فَمَا	"يَتَيَّأَسُ مِنْهُ إِلَّا عُصْبَةٌ كَفَرُوا" ^(٢)
إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ الدَّهْرَ ذُو دُؤْلٍ	وَأَنَّ يَوْمِيهِ ذَا أَمْنٍ وَذَا خَطَرُ

(١) تاريخ ابن الساعى ٢٤٣/٩.

(٢ - ٢) كذا بالنسخ والمصدر، وفي الوزن خلل.

ثم دخلت سنة خمس وستمائة

فى مُحَرَّمِهَا^(١) تكامل بناء دار الضيافة ببغداد التى أنشأها الناصر لدين الله بالجانب الغربى من بغداد للحاج والمارة ؛ لهم الضيافة ما داموا نازلين بها ، فإذا عزم أحدهم على السفر منها زود وكسى وأعطى بعد ذلك كله ديناراً للسفر ، جزاه الله خيراً . وفيها عاد أبو الخطاب ابن دحية الكلبي من رحلته العراقية ، فاجتاز بالشام ، فاجتمع فى مجلس الوزير صفى الدين بن شكر هو والشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي [٣٣٤ / ٩ ط] شيخ اللغة والحديث ، فأورد ابن دحية فى كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى قول إبراهيم عليه السلام : « إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ »^(٢) . بفتح اللَّفْظَتَيْنِ ، فقال الكندي : من وراء وراء . بضمهما ، فقال ابن دحية للوزير ابن شكر : من ذا ؟ فقال : هذا الشيخ أبو اليمن الكندي ، فنال منه ابن دحية ، وكان جريئاً ، فقال الكندي : هو من كلب فنبح . قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة^(٣) : وكلتا الروايتين محكيان ، وحكى فيهما الجزأ أيضاً .

وفيها عاد فخر الدين ابن تيمية خطيب حران من الحج إلى بغداد ، وجلس بباب بدر للوعظ ، مكان محيى الدين يوسف بن الشيخ أبى الفرج ، فقال فى

(١) ذيل الروضتين ص ٦٤ ، وتاريخ ابن الساعى ٢٥٨ / ٩ .

(٢) صحيح مسلم ٣٢٩ / ١٩٥ . وانظر النهاية ١٧٨ / ٥ .

(٣) ذيل الروضتين ص ٦٥ .

كلامه ذلك :

وابن اللبون إذا مالز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس^(١)
كأنه يعرض بالحبي بن الجوزي ، لكونه شاباً ابن خمس وعشرين سنة . والله
أعلم .

وفي يوم الجمعة تاسع المحرم دخل مملوك إفرنجي من باب مقصورة جامع
دمشق وهو سكران وفي يده سيف مشلول ، والناس جلوس ينتظرون صلاة
الفجر ، فمال على الناس يضربهم بسيفه ، فقتل اثنين أو ثلاثة ، وضرب المنبر
بسيفه فانكسر فأخذ وأودع المارستان ، وشيق في يومه ذلك على جسر اللبادين .
وفيها عاد الشيخ شهاب الدين الشهروردي من دمشق بهدايا الملك العادل ،
فلقاه الجيش ومعه أموال كثيرة لنفسه أيضاً ، وكان قبل ذلك فقيراً زاهداً ، فلما
عاد مئيع من الوعظ وأخذت منه الرباط التي يباشرها ، ووكل إلى ما بيده من
الأموال ، فشرع في تفريقها على الفقراء والمساكين ، فاستغنى منه خلق كثير من
الفقهاء وغيرهم ، فقال الحبي بن الجوزي في مجلسه ما معناه : لا حاجة بالرجل
أن يأخذ أموالاً من غير حقها ، ويصرفها إلى من يشتحقها ، وكان تزكها أولى به
من تناولها ، وإنما أراد أن ترتفع منزلته ببذلها ، أو يعود إلى حاله كما كان ، ولو
ترك على ما كان يباشره لما بذلها ، فليحذر العبد الدنيا فإنها خداعة غرارة تسترق
فحول العلماء والعباد فضلاً عن العوام والقواد . وقد وقع ابن الجوزي فيما بعد ،

(١) لُز في قرن : يقال للبعيرين إذا قرنا في قرن (حبل) واحد قد لُزا . البزل : جمع بازل وهو البعير الذي
طلع نابه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . القناعيس : هو من الإبل العظيم الضخم ، وانظر التاج (ق ن
ع س) واللسان (ل ز ز) وفيهما البيت منسوب لجرير .

فيما وقع فيه الشَّهْرُورُذِيُّ وأَعْظَمَ .

وفيهما قَصَدَتِ الْفَرْنَجُ مَدِينَةَ حِمَاصَ ، وَعَبَّرُوا عَلَى الْعَاصِي بِجَسْرِ أَعْدُوهُ فِي
بِلَادِهِمْ ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِمُ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ رَكِبُوا فِي آثَارِهِمْ ، فَهَرَبُوا مِنْهُمْ ،
فَقَتَّلُوا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَغَنِمَ الْمُشْلَمُونَ مِنْهُمْ غَنِيمَةً جَيِّدَةً .

وفيهما قُتِلَ صَاحِبُ الْجَزِيرَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَشْوَأِ النَّاسِ سِيرَةً ، وَأَزْدَاهُمْ سَرِيرَةً ،
وَهُوَ الْمَلِكُ سَنَجَرُ شَاهُ بْنُ غَازِي بْنِ مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِي بْنِ آقِ سُنْقَرِ الْأَتَابِكِيِّ ^(١) ،
وَكَانَ ابْنُ عَمِّ نُورِ الدِّينِ صَاحِبِ الْمُوصِلِ ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى قَتْلَهُ وَلَدُهُ غَازِي ،
تَوَصَّلَ إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخَلَاءِ سَكَرَانُ ، فَضَرَبَهُ بِسَكِّينِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ
ضَرْبَةً ، ثُمَّ ذَبَحَهُ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ لِيَأْخُذَ الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَحَرَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ ، فَتُبِيعَ
بِالْمَلِكِ لِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، وَأُخِذَ غَازِي هَذَا الْعَاقُ لَوَالِدِهِ فَقُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ ، فَسَلَبَهُ اللَّهُ
الْمُلْكَ وَالْحَيَاةَ ، وَلَكِنْ أَرَاخَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ظُلْمِ أَبِيهِ وَغَشْمِهِ وَفَسَقِهِ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

وَمِنْ تُوَفِّي فِيهَا أَيْضًا :

[٣٣٥/٩] أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَخْتِيَارِ بْنِ عَلِيٍّ ^(٢) بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ ^(٣) الْوَاسِطِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُنْدَائِيِّ ، آخِرُ مَنْ رَوَى مَسْنَدَ الْإِمَامِ
أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ الْحُصَيْنِ ، وَكَانَ مِنْ بَيْتِ فِقْهِهِ وَقَضَائِهِ وَدِيَانَةِ ، وَكَانَ ثِقَةً عَدْلًا

(١) الكامل ٢٧٩/١٢ ، وتاريخ ابن الساعي ٢٦٩/٩ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٧/٢١ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٤٦ ، ١٧٤ ، والعبر ١٢/٥ ، والوفاء بالوفيات ٤٧٢/١٥ .
(٢ - ٣) سقط من : م ، وانظر ترجمته في : الكامل ٢٨٢/١٢ ، وتاريخ ابن الساعي ٢٧٧/٩ ، وذيل
الروضتين ص ٦٦ وفيه (محمد بن بختيار بن عبد الله) وسير أعلام النبلاء ٤٣٨/٢١ ، وتاريخ الإسلام
(حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٨٧ .

مُتَوَرِّعًا فِي التَّقْلِ ، وَمَا أُنْشَدَهُ مِنْ حَفْظِهِ ^(١) :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى مَطْلَعُ الشَّمْسِ دُونَهَا وَكُنْتُ وَرَاءَ الشَّمْسِ حِينَ تَغِيبُ
لَحَدَّثْتُ نَفْسِي بِانْتِظَارِ نَوَالِهَا وَقَالَ الْمُتَى لِي إِنَّهَا لَقَرِيبُ
قَاضِي الْقُضَاةِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ صَدْرُ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ دَرْبَاسٍ ^(٢) الْمَارَانِيُّ
الْكُرْدِيُّ .

(١) تاريخ ابن الساعي ٢٧٨/٩ .

(٢) ذيل الروضتين ص ٦٧ ، والعبر ١٣/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤٧٤/٢١ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٠١ - ٦١٠ هـ) ص ١٧٩ ، والنجوم الزاهرة ١٩٦/٦ .

فهرس

الجزء السادس عشر من « البداية والنهاية »

الموضوع	الصفحة
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة	٥
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة	٧
وممن توفى فيها من الأعيان	٩
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة	١٢
وممن توفى فيها من الأعيان	١٣
ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة من الهجرة النبوية	١٤
وممن توفى فيها من الأعيان	١٥
ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة	١٨
وممن توفى فيها من الأعيان	٢٠
ثم دخلت سنة ثنتين وستين وأربعمائة	٢١
وفيه توفى فيها من الأعيان والمشاهير	٢٣
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة	٢٥
وممن توفى فيها من الأعيان	٢٧
ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة	٣٥
وممن توفى فيها من الأعيان	٣٥
ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة	٣٧

- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٣٩
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وَسِتِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ ٤٤
- غَرَقَ الْعِرَاقُ ٤٤
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٤٥
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَسِتِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ ٤٧
- صِفَةُ مَوْتِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ٤٧
- خِلَافَةُ الْمُقْتَدَى بِأَمْرِ اللَّهِ ٤٩
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٥١
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَمَانٌ وَسِتِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ ٥٤
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٥٥
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ تِسْعٌ وَسِتِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ ٥٩
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٦١
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ٦٥
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٦٦
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ ٧١
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٧٢
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ ٧٣
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٧٤
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ ٧٦
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٧٦
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ ٧٩
- وَمَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٧٩

- ٨٢ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة
- ٨٢ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٨٥ ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة
- ٨٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٩٠ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة
- ٩١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٩٣ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة
- ٩٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٠٢ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة
- ١٠٥ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٠٧ ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة
- ١٠٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١١٢ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة
- ١١٢ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١١٣ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة
- ١١٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١١٦ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة
- ١١٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١١٨ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة
- ١٢٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ١٢٢ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة
- ١٢٥ وممن توفى فيها من الأعيان

- السلطان ملكشاه ١٢٩
- ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة ١٣٥
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٣٧
- ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة ١٤٠
- شيء من ترجمة المقتدى بأمر الله ١٤١
- خلافة المستظهر بالله ١٤١
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٤٣
- ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ١٤٦
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٤٨
- ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة ١٥٥
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٥٧
- ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة ١٦١
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٦٢
- ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ١٦٤
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٦٥
- ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ١٦٦
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٦٨
- ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ١٧١
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٧٣
- ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة ١٧٥
- ومن توفى فيها من الأعيان ١٧٧
- ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة ١٨١

- ومن توفي فيها من الأعيان ١٨٢
- ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة ١٨٣
- ومن توفي فيها من الأعيان ١٨٤
- ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة ١٨٥
- ومن توفي فيها من الأعيان ١٨٦
- ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ١٨٨
- ومن توفي فيها من الأعيان ١٨٨
- ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة ١٩١
- ومن توفي فيها من الأعيان ١٩٢
- ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة النبوية ١٩٤
- ومن توفي فيها من الأعيان ١٩٦
- ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة ٢٠١
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٠٢
- ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة ٢٠٤
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٠٤
- ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة ٢٠٧
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٠٧
- ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة ٢٠٩
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢٠٩
- ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة ٢١٢
- ومن توفي فيها من الأعيان ٢١٣
- ثم دخلت سنة ست وخمسمائة ٢١٦

- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢١٦
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٢٠
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٢١
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٢٥
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٢٧
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٢٧
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ عَشْرِ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٢٩
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٢٩
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٣٢
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٣٣
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ ثِنْتِي عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٣٦
- وَفَاةُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَظْهَرِ بِاللَّهِ ٢٣٦
- خِلَافَةُ الْمُسْتَرْشِدِ بِاللَّهِ ٢٣٧
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٣٨
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٤٠
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٤١
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٤٤
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٤٨
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٥٠
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٥٢
- ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ سِتَ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ ٢٥٦
- وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ٢٥٨

- ٢٦٣ ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة
- ٢٦٤ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٦٥ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة
- ٢٦٥ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٦٧ ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة
- ٢٦٧ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٦٩ ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة من الهجرة النبوية
- ٢٧١ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٧٤ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة
- ٢٧٦ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٧٨ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة
- ٢٧٩ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٨١ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة
- ٢٨٢ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٨٤ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة
- ٢٨٤ قتل خليفة مصر الفاطمي
- ٢٨٥ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٨٨ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة
- ٢٨٨ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٩٢ ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة
- ٢٩٣ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٢٩٥ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

- ومن توفى فيها من الأعيان ٢٩٦
- ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ٣٠٠
- ومن توفى فيها من الأعيان ٣٠٠
- ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة ٣٠٣
- ذكر شيء من ترجمة المسترشد ٣٠٥
- خلافة الراشد بالله ٣٠٦
- ومن توفى فيها من الأعيان ٣٠٦
- ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة ٣٠٩
- خلافة المقتفى لأمر الله ٣١٠
- فائدة حسنة ٣١٠
- ومن توفى فيها من الأعيان ٣١١
- ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ٣١٣
- ومن توفى فيها من الأعيان ٣١٤
- ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ٣١٥
- ومن توفى فيها من الأعيان ٣١٦
- ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ٣٢١
- ومن توفى فيها من الأعيان ٣٢٢
- ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ٣٢٦
- ومن توفى فيها من الأعيان ٣٢٧
- ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ٣٢٨
- ومن توفى فيها من الأعيان ٣٢٨
- ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة ٣٣١

- ٣٣١ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٣٣ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة
 ٣٣٤ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
 ٣٣٤ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٣٦ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة
 ٣٣٦ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٣٨ ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة
 ٣٣٨ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٤٠ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة
 ٣٤٢ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٤٥ ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة
 ٣٤٥ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٤٨ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة
 ٣٥٠ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٥٢ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة
 ٣٥٥ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٥٩ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة
 ٣٦٠ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٦٢ ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة
 ٣٦٣ وممن توفى فيها من الأعيان
 ٣٦٤ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة
 ٣٦٦ وممن توفى فيها من الأعيان

- ٣٦٨ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
- ٣٦٩ وفيها كانت وفاة ...
- ٣٧٠ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة
- ٣٧١ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٣٧٣ ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة
- ٣٧٤ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٣٧٦ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة
- ٣٧٧ ذكر حصار بغداد
- ٣٧٨ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٣٨١ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة
- ٣٨٢ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٣٨٥ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة
- ٣٨٦ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٣٩٠ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة
- ٣٩١ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٣٩٣ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة
- ٣٩٤ خلافة المستنجد بالله
- ٣٩٦ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٣٩٩ ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة
- ٤٠٢ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٤٠٣ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة
- ٤٠٣ ومن توفى فيها من الأعيان

- ٤٠٦ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة
- ٤٠٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٠٩ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة
- ٤١٠ وقعة حارم
- ٤١١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤١٤ ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة
- ٤١٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤١٨ ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة
- ٤١٨ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٢١ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة
- ٤٢٢ فتح الإسكندرية على يد أسد الدين شيركوه
- ٤٢٣ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٢٥ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة
- ٤٢٦ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٢٨ ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة
- ٤٣١ صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين
- ٤٣٣ ذكر قتل الطواشي وأصحابه على يد صلاح الدين
- ٤٣٤ وقعة السودان
- ٤٣٥ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٤٠ ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة
- ٤٤٢ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٤٤٤ ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

٤٤٥	 خلافة المستضىء
٤٤٨	 وممن توفى فيها من الأعيان
٤٥٠	 ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة
٤٥٠	 موت العاضد آخر خلفاء العبيدين
٤٦١	 وممن توفى فيها من الأعيان
٤٦٣	 ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة
٤٦٤	 فتح بلاد النوبة
٤٦٤	 وممن توفى فيها من الأعيان
٤٧٠	 ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة
٤٧٤	 مقتل عمارة بن أبي الحسن بن زيدان الحكمي
٤٨٠	 فصل : فى وفاة الملك العادل نور الدين محمود وذكر شىء من سيرته
٤٩٣	 صفة الملك نور الدين
٤٩٤	 فصل : فلما مات نور الدين بويق من بعده لولده الصالح إسماعيل
٤٩٦	 وممن توفى فيها من الأعيان والمشاهير
٤٩٩	 ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة
٥٠٧	 وفيها توفى من الأعيان
٥٠٩	 ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة
٥١٤	 وفيها توفى من الأعيان
٥١٦	 ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة
٥٢٠	 وممن توفى فيها من الأعيان
٥٢٢	 ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
٥٢٥	 وممن توفى فيها من الأعيان

- ٥٢٨ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة
- ٥٣١ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٥٣٥ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة
- ٥٣٧ تخريب حصن بيت الأحزان
- ٥٤٠ وفاة المستضىء بأمر الله ، وشيء من ترجمته
- ٥٤١ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٥٤٢ خلافة الناصر لدين الله أحمد بن المستضىء
- ٥٤٤ ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة
- ٥٤٥ وفاة تورانشاه أخى السلطان
- ٥٤٨ ومن توفى فى هذه السنة من الأعيان
- ٥٥١ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة
- ٥٥١ ذكر وفاة الملك الصالح إسماعيل ، وما جرى بعده من الأمور
- ٥٥٥ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٥٥٦ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة
- ٥٥٨ فصل : فى وفاة الملك المنصور عز الدين
- ٥٥٩ ومن توفى فيها من الأعيان
- ٥٦٢ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة
- ٥٦٧ ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة
- ٥٦٩ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة
- ٥٧١ ومن توفى فى هذه السنة من الأعيان
- ٥٧٦ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة
- ٥٧٨ ومن توفى فى هذه السنة من المشاهير

- ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ٥٧٩
- ذكر فتح بيت المقدس واستنقاذه من أيدي النصارى ٥٨٥
- ذكر أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه فى الدولة الصلاحية ٥٨٨
- نكتة غريبة ٥٩٢
- ومن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٥٩٧
- ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ٦٠٠
- فصل : فى صفة فتح صفد وحصن كوكب ٦٠٢
- ومن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٠٤
- ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة ٦٠٧
- قصة عكا وما كان من أمرها ٦٠٧
- وقعة مرج عكا ٦٠٨
- ومن توفى فيها من الأعيان ٦٠٩
- ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة ٦١٢
- ومن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٢٥
- ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ٦٢٧
- فصل : فى كيفية أخذ العدو مدينة عكا من يد السلطان ٦٢٨
- فصل : فيما جرى من الحوادث بعد أخذ الفرنج عكا ٦٣٣
- ومن توفى فى هذه السنة من الأعيان ٦٣٦
- ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ٦٣٩
- ومن توفى فيها من الأعيان ٦٤٨
- ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة ٦٥١
- ذكر تركته وشيء من ترجمته ٦٥٤

- ٦٦٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٦٣ ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة
- ٦٦٥ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٦٧ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة
- ٦٦٩ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٧١ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة
- ٦٧٢ وفيها توفى ...
- ٦٧٤ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
- ٦٧٧ وفي هذه السنة توفى ...
- ٦٨٠ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة
- ٦٨١ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٨٤ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة
- ٦٩٠ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٦٩٢ ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة
- ٦٩٤ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٧٠٣ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة
- ٧٠٦ وممن توفى فيها من المشاهير والأعيان
- ٧١٦ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
- ٧١٧ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٧٢٢ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة
- ٧٢٣ وممن توفى فيها من الأعيان
- ٧٢٨ سنة ستمائة من الهجرة النبوية

٧٣١	ومن توفي فيها من الأعيان
٧٣٨	ثم دخلت سنة إحدى وستمائة
٧٣٩	ومن توفي فيها من المشاهير والأعيان
٧٤٤	ثم دخلت سنة ثنتين وستمائة
٧٤٥	ومن توفي فيها من الأعيان
٧٥٠	ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة
٧٥١	ومن توفي فيها من الأعيان
٧٥٤	ثم دخلت سنة أربع وستمائة
٧٥٩	ومن توفي فيها من الأعيان
٧٦٣	ثم دخلت سنة خمس وستمائة
٧٦٥	ومن توفي فيها أيضاً

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء السادس عشر ،
ويتلوه الجزء السابع عشر ويبدأ بأحداث
سنة ست وستمائة
ولله الحمد والمنة

رقم الإيداع ٩٨/١٣٣٠٦

I . S . B . N : 977 - 256 - 186 - 7

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٢٥١٧٥٦

المطبعة : ٢، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ٣٢٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة